

السيرة التبوّن

لإمام أبي الفداء إسماعيل بن كثير

٧٧٤ — ٧٠١ هـ

تحقيق

مصطفى عبد الواحد

الجزء الثالث

١٢٩٣ = ١٩٧٦ م

وَارِ الْمِرْفَم

للطباعة والنشر والتوزيع

٢٤٦٦٦ - ٢٣٦٧٩ هـ

ص. ب. ٥٧٦٩

بيروت - لبنان

السيرة النبوية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سنة ثلاثة من الهجرة

في أولها كانت غزوة نجد ويقال لها غزوة ذي أمر .

قال ابن إسحاق : فلما رجم رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة السويف أقام بالمدينة بقية ذى الحجة أو قريباً منها ، ثم غزا نجداً يريد غطفان ، وهى غزوة ذى أمر^(١) .

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة عثمان بن عفان .

قال ابن إسحاق : فأقام بتجدد صفرأ كله ، أو قريباً من ذلك ، ثم رجع ولم يلقَ كيداً .

وقال الواقدي : بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن جمعاً من غطفان من بني ثمبلة ابن محارب تجمعوا بذى أمر يريدون حرابة ، خرج إليهم من المدينة يوم الخميس لثنتي عشرة خلت من ربيع الأول سنة ثلاثة ، واستعمل على المدينة عثمان بن عفان ، ففاب أحد عشر يوماً ، وكان معه أربعمائة وخمسون رجلاً .

وهربت منه الأعراب في رؤوس الجبال حتى بلغ ما يقال له ذو أمر فسكنوا به ، وأصحابهم مطر كثير فابتلت ثياب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنزل تحت شجرة هناك ونشر ثيابه لتجف ، وذلك برأي من المشركين ، واشتعل المشركون في شونهم .

(١) ذو أمر : موضع من ديار غطفان . وقال ابن سعد : بناية التغيل .

فبعث المشركون رجلاً شجاعاً منهم يقال له غورث بن الحارث أو دعنود بن الحارث فقالوا : قد أُمْكِنَكَ اللَّهُ مِنْ قَتْلٍ مُّحَمَّدًا .

فذهب ذلك الرجل ومعه سيف صقيل ، حتى قام على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسيف مشهوراً ، فقال : يا محمد من يمنعك مني اليوم ؟ قال : الله . ودفع جبريل في صدره فوق السيف من يده .

فأخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : من يمنعك مني ؟ قال : لا أحد ، وأناأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، والله لا أكثُر عليك جمعاً أبداً . فاعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم سيفه .

فما رجع إلى أصحابه فقالوا : وبذلك ، مالك ؟ فقال : نظرت إلى رجل طويل فدفعه في صدرى فوسمت لظيرى فعرفت أنه ملك ، وشهدت أن محمداً رسول الله ، والله لا أكثُر عليه جمعاً . وجعل يدعونه إلى الإسلام .

قال : ونزل في ذلك قوله تعالى : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذْ كَرِوا نَعْمَةً اللَّهُ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيهِمْ فَكَفَّأَ أَيْدِيهِمْ عَنْكُمْ » الآية .

قال البهقي : وسيأتي في غزوة ذات الرئاف قصة تشبه هذه ، فاعلموا قصتان . قلت : إن كانت هذه محفوظة فهي غيرها قطعاً ، لأن ذلك الرجل اسمه غورث ابن الحارث أياضًا لم يسلم بل استمر على دينه ، ولم يكن عاشر النبي صلى الله عليه وسلم ألا يقاتلها . والله أعلم .

غزوة الفُرُعُ من بُحران

قال ابن إسحاق : فقام بالمدينة ربيعًا الأول كله أو إلا قليلاً منه ثم غداً^(٢) .

(١) سورة المائدة ١١ . (٢) ابن هشام : ثم غزا .

بريد قريشاً ، قال ابن هشام : واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم .
 قال ابن إسحاق : حتى بلغ بحران ^(١) ، وهو معدن بالحجاز من ناحية الفرع ^(٢) .
 وقال الواقدي : إنما كانت غيته عليه السلام عن المدينة عشرة أيام . فالله أعلم .

خبر يهود بنى قينقاع من أهل المدينة

وقد زعم الواقدي أنها كانت في يوم السبت النصف من شوال سنة ثقين من
 الهجرة . فالله أعلم .

وهم المرادون بقوله تعالى : « كُمْلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَمْ
 عَذَابُ الْآيْمِ » ^(٣) .

قال ابن إسحاق : وقد كان فيما بين ذلك من عز و رسول الله صلى الله عليه وسلم
 أمرُ بنى قينقاع .

قال : وكان مِنْ حديثهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جمعهم في سوقهم ثم
 قال : يامعشر يهود احضروا من الله مثل ما نزل بقريش من النقم و أسلموا ، فإنكم قد
 عرفتم أنى نبى مرسلا تجدون ذلك في كتابكم و عَبَدُ اللهُ إِلَيْكُمْ .

فقالوا : يا محمد إنك ترى أنا قومك ؟ لا يفترنك أنك لقيتَ قوماً لا يعلم لهم
 بالحرب فأصبحتَ منهم فرصة ، أما والله لئن حاربناك لتعلمنا أنا نحن الناس .

قال ابن إسحاق : خذلني مولى لزيد بن ثابت ، عن سعيد بن جبير ، وعن عكرمة ،
 عن ابن عباس قال : مانزلت هؤلاء الآيات إلا فيهم : « قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلِبُونَ
 وَتُخْسِرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ . قد كان لكم آية في فتنتين التقينا » يعني أصحاب بدر

(١) بحران : بضم الباء وفتحها وهي أول قرية مارت اسماعيل وأمه التمر بعكة .

(٢) الفرع : بضم الفاء والراء وفي الواهب بفتحهما . (٣) سورة الحشر ١٥ .

من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقريش : « فَتَهْ تِقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَخْرَى
كَافِرَةً يَرَوْنَهُم مُثْلِيْهِمْ رَأَى العَيْنِ وَاللَّهُ يُؤْيِدُ بَنْصَرِهِ مَنْ يَشَاءُ ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً
لِأُولَى الْأَبْصَارِ ^(١) ».

قال ابن إسحاق : وحدثني عاصم بن قتادة أنّ بني قينقاع كانوا أولَ يهود
نقضوا العهدَ وحاربوا فيما بين بدر وأحد .

قال ابن هشام : فذكر عبد الله بن جعفر بن المسوّر بن حنّمة عن أبي عون
، قال : كان [من] ^(٢) أمر بني قينقاع أنّ امرأةً من العرب قدمت بحملَ لها فباءته
بسوق بني قينقاع ، وجلست إلى صائم هناك منهم فخلعوا يربوونها على كشف وجهها
فأبَتْ ، فعمد الصائغ إلى طرف ثوبها فعقدَه إلى ظهرها ، فلما قامت انكشفت سوأتها
فضحِّكوا بها ، فصاحت فوتب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله وكان يهودياً ،
فشدَّت اليهودُ على المسلم فقتلوه ، فاستصرخ أهلُ المسلم المسلمين على اليهود فأغضب ^(٣)
المسلمون ، فوقع الشرُ بينهم وبين بني قينقاع .

* * *

قال ابن إسحاق : خذثني عاصم بن عمر بن قتادة قال : خاصلهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم حتى نزلوا على حنّمة .

فقام إليه عبد الله بن أبي سلول حين أمسكته الله منهم فقال : يا محمد أحسن
في موالي . وكانوا حلفاء المزرج . قال : فأبطأ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
قال : يا محمد أحسن في موالي فأعرض عنه . قال : فأدخل يده في جيب درع النبي صلى
الله عليه وسلم . قال ابن هشام : وكان يقال لها ذات الفضول . فقال له رسول الله صلى الله

عليه وسلم : أرسلني . وغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى رأوا وجهه ظلاماً ثم قال : ويحك أرسلني .

قال : لا والله لا أرسلك حتى تحسن في موالى ، أربعاء حاسر وثماناء دارع قد منعوني من الأحمر والأسود ، تحصدكم في غدات واحدة ! إني والله اسرؤ أخشى الدوائر .

قال : فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : هُمْ لَكَ .

قال ابن هشام : واستعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم في محاصرته إياهم أبو البابا بشير بن عبد المنذر ، وكانت محاصرته إياهم خمس عشرة ليلة .

قال ابن إسحاق : وحدثني أبي ، عن عبادة بن الوليد ، عن عبادة من الصامت

قال: وفيه وفي عبد الله بن أبي نزلت الآيات من المائدة: «يا أيها الذين آمنوا لا تَخْذُلُوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض» الآيات حتى قوله: «فَتَرَى الذين في قلوبهم مَرْضٌ يسارعون فيهم، يقولون تخشى أن تصيبنا دائرة» يعني عبد الله ابن أبي إلى قوله «ومن يَتَوَلَّ الله ورسوله والذين آمنوا فإن حِزْبَ الله هم الغالبون» يعني عبادة بن الصامت. وقد تكلمنا على ذلك في التفسير.

سرية زيد بن حارثة

إلى عير قريش^(١) صحبة أبي سفيان أيضاً، وقيل صحبة صفوان

قال يونس بن^(٢) بيكير، عن ابن إسحاق: وكانت بعد وقعة بدر بستة أشهر.

قال ابن إسحاق: وكان من حدتها أن قريشاً خافوا طريقهم التي كانوا يسلكون إلى الشام حين كان من وقعة بدر ما كان، فسلكوا طريقَ العراق، نخرج منهم تجارة فيهم أبو سفيان ومعه فضة كثيرة، وهي عظم تجارةهم، واستأجروا رجلاً من بكر بن وائل يقال له فرات بن حيّان، يعني العجمي حليف بني سهم، ليديهم على تلك الطريق.

قال ابن إسحاق: فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم زيدَ بن حارثة، فلقيهم على ماء يقال له القردة^(٣)، فأصاب تلك العير وما فيها وأعجزه الرجال، فقدم بها على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فقال في ذلك حسان بن ثابت:

دعوا فلجلجات الشام قد حال دونها
جلاد كأفواه المخاض الأوارك^(٤)

بأيدي رجال هاجروا نحو ربهم
 وأنصاره حقاً وأيدي الملائكة

إذا سلكت لغور من بطن عالم^(٥)
فقولا لها ليس الطريق هنا لك

قال ابن هشام: وهذه القصيدة في أبيات الحسان، وقد أجابه فيها أبو سفيان ابن الحارث.

وقال الواقدي: كان خروج زيد بن حارثة في هذه السرية مستهلاً جمادى الأولى على رأس نهانية وعشرين شهراً من الهجرة، وكان رئيس هذه العير صفوان بن أمية.

(١) ابن هشام: إلى القردة. (٢) الأصل: عن بيكير. وهو تحريف. (٣) القردة: ماء من مياه نجد.

(٤) الفلجلات: مع فاجة، وهي التهر الصغير. وقال السمهوي: الفلجلات جمع فاجة وهو العين الجازية. ذن: والمخاض: واحدتها خلقة من غير لفظها. وهي الحامل، وقد قيل في الواحد: ماخض. والأوارك: زرعت الأراك واشتكت من أكامه. (٥) الغور: ما انخفض من الأرض. وعالم: موضع كثيرون.

وكان سبب بعثة زيدَ بن حارثة أنْ نعيمَ بن مسعودَ قدمَ المدينةَ ومعه خبرُ هذهِ العبرَةِ وهو على دينِ قومِهِ، واجتمعَ بكتابَةِ بن أبي الحقيقِ في بني النضيرِ ومعهم سليمَ بن النعمانَ مِنْ أسلمَ، فشربوا، وكان ذلكَ قبلَ أنْ تحرّمَ المحرَّم، فتحدثَ بقضيةِ العبرَةِ نعيمَ بن مسعودَ وخروجَ صفوانَ بن أميةِ فيها وما معه من الأموالِ، فخرجَ سليمَ بن ساعتهِ فاعلمَ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ علَيْهِ وسلَّمَ، فبعثَ من وقتهِ زيدَ بن حارثةَ فلقوهُمْ فأخذُوا الأموالَ وأعجزُهم الرجالُ، وإنما أسرُوا رجلاً أو رجلينِ، وقدِّموا بالعيرِ خمسَها رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ علَيْهِ وسلَّمَ فبلغَ خمسَها عشرينَ ألفاً، وقسمَ أربعةَ خمسَها على السريةِ. وكانَ فيمنْ أسرَ الدليلُ فراتُ بن حمَّانَ، فأسلمَ . رضيَ اللهُ عنْهُ .

قالَ ابنُ جريرٍ : وزعمَ الواقديُّ أنَّ فِي ربيعِ مِنْ هذِهِ السَّنةِ تزوجَ عثمانُ بنَ عفانَ امْ كاثِنَةَ بنتَ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ علَيْهِ وسلَّمَ وادْخَلَتْ علَيْهِ فِي جَمَادِيِّ الْآخِرَةِ مِنْهَا .

• مقتلُ كعبَ بنِ الأشرفِ اليهوديِّ

وكانَ مِنْ بني طيءٍ ، نِمَّا أَحَدُ بَنِي بَنْهَانَ وَلَكِنْ أَمَّهُ مِنْ بَنِي النَّضِيرِ .

هكذا ذكره ابن إسحاق قبل جلاء بني النضير ، وذكره البخاري والبيهقي بعد قصة بني النضير ، وال الصحيح ما ذكره ابن إسحاق ، لما سأله ، فإن بني النضير إنما كان أمرُها بعد وفاةِ أُحدَّ ، وفي محاصرتهم حرمت المحرّم كاسندينه بطريقه إن شاء الله . قال البخاري في صحيحه : « قُتِلَ كعبُ بن الأشرف » حدثنا علي بن عبد الله ، حدثنا سفيهان ، قال عمرو : سمعتُ جابرَ بن عبد الله يقول : قال رسول الله صلَّى اللهُ علَيْهِ وسلَّمَ : مَنْ لَكَعبُ بنِ الأشرفِ ؟ فَإِنَّهُ قَدْ آذَى اللهَ وَرَسُولَهُ . فَقَامَ مُحَمَّدُ بنُ مَسْلَمَةَ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ أَتَحْبُ أَنْ أُقْتَلَهُ ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : فَأَذْنُ لِي أَنْ أَقُولَ شَيْئاً . قَالَ : قُلْ .

فأَتَاهُ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ فَقَالَ : إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ قَدْ سَأَلَنَا صِدْقَةً وَإِنَّهُ قَدْ عَنَّا نَا^(١) وَإِنَّ قَدْ أَتَيْتُكَ أَسْنَسَلْفَكَ . قَالَ : وَأَيْضًا وَاللَّهُ لَمْلَمَنَّهُ .

قَالَ : إِنَّا قَدْ اتَّبَعْنَاهُ فَلَا نَحْبُثُ أَنَّ تَدَعَهُ حَتَّى نَنْظُرَ إِلَى أَيِّ شَيْءٍ يَصِيرُ شَانَهُ ، وَقَدْ أَرَدْنَا أَنْ تُسْلِفَنَا^(٢) .

قَالَ : نَعَمْ أَرْهَنْوَنِي . قَلْتَ : أَيِّ شَيْءٍ تَرِيدُ ؟ قَالَ : أَرْهَنْوَنِي نِسَاءَكَمْ .

فَقَالُوا : كَيْفَ نُرْهِنْكَ نِسَاءَنَا وَأَنْتَ أَجْلَلُ الْعَرَبِ ! قَالَ : فَأَرْهَنْوَنِي أَبْنَاءَكَمْ . قَالُوا : كَيْفَ نُرْهِنْكَ أَبْنَاءَنَا فَيُسَيِّبَ أَحَدُهُمْ فَيَقُولَ : رُهْنٌ بُوسَقٌ أَوْ وَسَقَيْنِ ! هَذَا عَارٌ عَلَيْنَا ، وَلَكِنْ نُرْهِنْكَ الْأَمَّةَ . قَالَ سَفِيَّانُ : يَعْنِي السَّلَاحَ^(٣) .

فَوَاعْدَهُ أَنْ يَأْتِيهِ لِيَلَّا ، خَيَّاهُ لِيَلَّا وَمَعَهُ أَبُو نَاثِلَةَ^(٤) وَهُوَ أَخُو كَعْبٍ مِنَ الرَّضَاعَةِ . فَدَعَاهُمْ إِلَى الْحَصْنِ فَبَرَزَ إِلَيْهِمْ ، فَقَالَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ : أَيْنَ تَخْرُجُ هَذِهِ السَّاعَةِ ؟ وَقَالَ غَيْرُ عُمَرَ وَ^(٥) : قَالَتْ : أَسْعِمْ صَوْتَكَ أَكَانَهُ يَقْطُرُ مِنْهُ الدَّمْ . قَالَ : إِنَّمَا هُوَ أَخِي مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ وَرَضِيعِي أَبُو نَاثِلَةَ ، إِنَّ الْكَرِيمَ لَوْ دَعَى إِلَى طَعْنَةٍ بِلِيلٍ لَأَجَابَ !

قَالَ : وَيُدْخِلُ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ مَعَهُ رَجُلَيْنِ ، فَقَالَ : إِذَا مَا جَاءَ فِي مَائِلٍ^(٦) بِشِعْرٍ فَأَشْكَمَهُ ، إِذَا رَأَيْتُمُونِي اسْتَمْكَفْتُ مِنْ رَأْسِهِ فَدُوَّنَكُمْ فَاضْرِبُوهُ . وَقَالَ : مَرَّةً ، ثُمَّ أَشْكَمَ^(٧) .

فَبَرَزَ إِلَيْهِمْ مَتَوَسِّحًا وَهُوَ يَنْفَعِحُ مِنْهُ رَيْحُ الطَّيِّبِ فَقَالَ^(٨) : مَا رَأَيْتَ كَالِبَوْمَ رِيحًاً ، أَيِّ أَطْيَبَ . وَقَالَ غَيْرُ عُمَرَ : قَالَ^(٩) : عَنْدِي أَعْطَرُ نِسَاءَ الْعَرَبِ وَأَجْلَلُ الْعَرَبِ .

(١) عَنَّا : أَنْعَنَا . (٢) زادَ فِي بَعْضِ رَوَاِيَاتِ الْبَخَازِيِّ : وَسَقَأً أَوْ وَسَقَيْنِ .

(٣) الْأَمَّةُ فِي الْأَمَّةِ : الْأَدْرُعُ . وَإِطْلَاقُ السَّلَاحِ عَلَيْهَا مِنْ إِطْلَاقِ اسْمِ السَّكَلِ عَلَى الْبَعْضِ . وَتَصَدُّوُا مِنْ ذَلِكَ أَلَا يَبْكِرُ عَلَيْهِمُ الْسَّلَاحُ حِينَ يَأْتُونَهُ بِهِ . (٤) هُوَ سَلْكَانُ بْنُ سَلَامَةَ .

(٥) غَيْرُ عُمَرَ : أَيْ رَوْاِيَةُ أُخْرَى غَيْرُ رَوَاِيَةِ عُمَرِ بْنِ دِينَارٍ . (٦) وَتَرَوِيَ : قُتُلَ بِشِعْرٍ . أَيْ أَحْدَدَ .

(٧) أَشْكَمَ : أَمْكَسَكَ مِنَ الْأَمْ . (٨) أَيْ شَكَّانُ بْنُ مَسْلَمَةَ . (٩) أَيْ كَعْبَ .

قال عمرو : فقال : أتاذن لي أن أشم رأسك ؟ قال : نعم . فشمَّهُ ثم أشَمَّ أصحابَه ، ثم قال : أتاذن لي ؟ قال : نعم . فلما استمكِن منه قال : دونكم . فقتلوه . ثم أتوا النبي صلى الله عليه وسلم فأخبروه .

* * *

وقال محمد بن إسحاق : كان من حديث كعب بن الأشرف ، وكان رجلاً من طيء ، ثم أحد بنى نبهان وأمه من بنى النضير ، أنه لما بلغه الخبر عن مقتل أهل بدر حين قدم زيد بن حارثة وعبد الله بن رواحة ، قال : والله لئن كان محمد أصاب هؤلاء القوم لبطن الأرض خيراً من ظهرها .

فلم يقِن عدو الله الخبرَ خرج إلى مكة ، فنزل على المطلب بن أبي وداعة بن ضبيرة السهري ، وعندَه عاتكة بنت أبي العيص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ، فأنزلته وأكرمتها ، وجعل يحرض على قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم وينشد الأشعار ويندب من قُتل من المشركيْن يوم بدر .

فذكر ابن إسحاق قصيده التي أولها :

طَحَّفَتْ رَحَى بَدْرِ لِمَهْلَكَ أَهْلِهِ وَلِمُلْلِ بَدْرِ تَسْهَلَ وَتَدْمَعَ
وذكر جوابها من حسان بن ثابت رضي الله عنه ومن غيره .

ثم عاد إلى المدينة فجعل يشتبه بنساء المسلمين ويهجو النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه .

وقال موسى بن عقبة : وكان كعب بن الأشرف أحد بنى النضير أو فيهم ، قد آذى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهجاء وركب إلى قريش فاستغرِّاه ، وقال له أبو سفيان وهو بمكة : أناشدك أدينتنا أحب إلى الله أم دين محمد وأصحابه ؟ وأينا أهدى في رأيك وأقرب إلى الحق ؟ هنا نطعم الجوز السَّكُونِيَّة ، ونسق اللبن على الماء ونظم ما هيَّأَ الشَّمال .

فقال له كعب بن الأشرف : أنت أهداى منهم سبيلا !

قال فأنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم : « ألم تر إلى الذين أتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجُبْتِ والطاغوتِ ويقولون للذين كفروا : هؤلاء أهداى من الذين آمنوا آمنوا سبيلا أولئك الذين آمنهم الله ومنْ يَأْمُنَ اللَّهُ فلن تجده نصيرا » وما بعدها .

قال موسى و محمد بن إسحاق : وقدم المدينة يُعلن بالعداوة ويحرّض الناس على الحرب ، ولم يخرج من مكة حتى أجمع أمرهم على قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجعل يشتبّه بأم الفضل بن الحارث وبغيرها من نساء المسلمين .

قال ابن إسحاق : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما حدثني عبد الله بن المغيرة ابن أبي بردة : من لابن الأشرف ؟

قال له محمد بن مسلمة أخو بني عبد الأشهل : أنا لك به يا رسول الله أنا أقتلها . قال : فاقبل ابن قدرت على ذلك .

قال : فرجع محمد بن مسلمة ، فمكث ثلاثة لا يأكل ولا يشرب إلا ما يعلق نفسه ، فدُكِر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فدعاه فقال له : لم تركت الطعام والشراب ؟ فقال : يا رسول الله قلت لك قولا لا أدرى هل أفي لك به أم لا . قال : إنما عليك الجهد .

قال : يا رسول الله ، إنه لا بد لنا أن نقول . قال : فقولوا ما بدا لكم فأنتم في حل من ذلك .

قال : فاجتمع في قته محمد بن مسلمة و سلّمان بن سلامة بن وقش ، وهو أبو نائلة أحد بنى عبد الأشهل ، وكان أخا كعب بن الأشرف من الرضاعة ، وعبد بن بشر بن

وقُلْشَ أَحَدُ بْنِ عَبْدِ الْأَشْهَلِ ، وَالْخَارِثُ بْنُ أَوْسٍ بْنُ مَعَاذَ أَحَدُ بْنِ عَبْدِ الْأَشْهَلِ
وَأَبُو عَبْسٍ بْنِ جَبْرٍ أَخُو بْنِ حَارِثَةَ .

قَالَ : فَقَدَّمَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ إِلَى عَدُوِّ اللَّهِ كَعْبَ سَلْكَانَ بْنَ سَلَامَةَ أَبَا نَاثِلَةَ ،
فِيَاءَهُ فَتَجَدَّثَ مَعَهُ سَاعَةً فَتَنَاهَا شِعْرًا ، وَكَانَ أَبُو نَاثِلَةَ يَقُولُ الشِّعْرَ ، ثُمَّ قَالَ : وَيَحْكُ
يَا بْنَ الْأَشْرَفِ ! إِنِّي قَدْ جَئْنَتُكَ لِحَاجَةٍ أَرِيدُ ذِكْرَهَا لَكَ فَاكِتَمْتُ عَنِّي . قَالَ : أَفْعُلُ .

قَالَ : كَانَ قَدْوَمُ هَذَا الرَّجُلِ عَلَيْنَا بَلَاءً ، عَادَتْنَا الْعَرَبُ وَرَمَّتُنَا عَنْ قَوْسٍ
وَاحِدَةٍ وَقَطَعَتْ عَنَا السَّبِيلَ ، حَتَّى ضَاعَ الْعِيَالُ وَجَهَدَتِ الْأَنْفُسُ وَأَصْبَحَنَا قَدْ جَهَدْنَا
وَجَهَدَ عَيَالَنَا .

فَقَالَ كَعْبٌ : أَنَا بْنُ الْأَشْرَفِ ! أَمَّا وَاللَّهِ لَقَدْ كَنْتَ أَخْبُرُكَ يَا بْنَ سَلَامَةَ أَنَّ الْأَمْرَ
يَصِيرُ إِلَى مَا أَقُولُ .

فَقَالَ لَهُ سَلْكَانٌ : إِنِّي قَدْ أَرَدْتُ أَنْ تَبَيَّنَنَا طَعَامًا وَتُرْهِنَنَا وَنُوَثِقَ لَكَ وَتُخْسِنَ
فِي ذَلِكَ .

قَالَ : تُرْهِنُونِي أَبْنَاءَكَ ؟ قَالَ : لَقَدْ أَرَدْتَ أَنْ تَفْضِلَنَا ، إِنْ مَعَ أَحْبَابَنِي عَلَى
مَشْ رَأِيِّي ، وَقَدْ أَرَدْتَ أَنْ آتِيَكَ بِهِمْ فَتَبَيَّنُوهُمْ وَتُخْسِنَ فِي ذَلِكَ وَتُرْهِنَنَا مِنْ
الْحَلْقَةِ مَا فِيهِ وَفَاءٌ .

وَأَرَادَ سَلْكَانٌ أَلَا يَنْكِرَ السَّلَاحَ إِذَا جَاءَ وَابْنَهَا . فَقَالَ : إِنَّ فِي الْحَلْقَةِ لَوْفَاءً .
قَالَ : فَرَجِعَ سَلْكَانٌ إِلَى أَحْبَابِهِ فَأَخْبَرَهُمْ خَبْرَهُ ، وَأَمْرَهُمْ أَنْ يَأْخُذُوا السَّلَاحَ ثُمَّ يَنْطَلِقُوا
فِي جَمِيعِهِ ، فَاجْتَمَعُوا إِلَيْهِ ، فَاجْتَمَعُوا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : خَدَنِي ثُورُ بْنُ زَيْدٍ ، عَنْ عَكْرَمَةَ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ : مَشَى
مَعْهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى بَقِيعِ الْغَرَقَدِ ثُمَّ وَجَهَهُمْ . وَقَالَ : « انْطَلِقُوا عَلَى

اسم الله ، اللهم أعنهم » ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيته وهو في ليلة مقررة ، فانطلقوا حتى اتّهوا إلى حصنه .

فهتف به أبو نائلة وكان حديثَ عهدي بعرس ، فوثب في ملحفته ، فأخذت امرأته بناحيتها وقالت : أنت امرؤ محارب ، وإن أصحاب الحرب لا ينزلون في هذه الساعة ، قال : إنه أبو نائلة لو وجدني نائماً ما أيقظني . فقالت : والله إني لأعرف في صوته الشر . قال : يقول لها كعب : لو دعى الفتى لطمنة أجاب !

فنزل فتحدث معهم ساعة وتحدثوا معاً ، ثم قالوا : هل لك يا ابن الأشرف أن تناشى إلى شعب العجوز فتحدث به بقية ليتنا هذه ؟ قال : إن شئتم . نخرجوا فنشروا ساعة .

ثم إن أبو نائلة شام يده في فود رأسه ، ثم شم يده فقال : ما رأيت كالليلة طيماً أغطر وط . ثم مسى ساعة ثم عاد لمثلها حتى اطمأن ، ثم مسى ساعة ثم عاد لمثلها فأخذ بفوْدِ رأسه ثم قال : اضرموا عدو الله ! فاختلفت عليه أسيافهم فلم تُعن شيئاً .

قال محمد بن مسلمة : فذكرت مغولاً^(١) في سيف فأخذته وقد صالح عدو الله صيحة لم يبق حولنا حصن إلا أوقدت عليه نار ، قال : فوضعته في ثنتين^(٢) ثم تحاملت عليه حتى بلغت عانته^(٣) ، فوقع عدو الله . وقد أصيب الحارث بن أوس بخراج في رجله أو في رأسه أصابه بعض سيفنا .

قال : نخرجنا حتى سلّكنا على بنى أمية بن زيد ثم على بنى قريظة ثم على بعاث ، حتى أنسدنا في حرة العريض ، وقد أبطأ علينا صاحبنا الحارث بن أوس ونزفه الدم ، فوقفنا له ساعة ثم أتانا يتبع آثارنا فاحتمناه ، خبثنا به رسول الله صلى الله عليه وسلم آخر الليل وهو قائم يصلي ، فسلمَّنا عليه ، نخرج إلينا فأخبرناه بقتل عدو الله وتغلب رسول الله صلى

(١) المقول : أصل طويل . (٢) الثانية : ما بين المرة والعاشرة . (٣) الاكتئفا : غايته .

الله عليه وسلم على جرح صاحبنا ، ورجعنا إلى أهلهنا فأصبجنا وقد خافت يهود بوعقتنا
بعد الله ، فليس بها يهود إلا وهو خائف على نفسه .

قال ابن جرير : وذم الواقدي أنهم جاءوا برأس كعب بن الأشرف إلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم .

قال ابن إسحاق : وفي ذلك يقول كعب بن مالك :

فَنُوْدِرَ مِنْهُمْ كَعْبَ صَرِيْعًا فَذَلَّتْ بَعْدَ مَصْرِعِهِ النَّضِيرُ
عَلَى الْكَفَّيْنِ ثُمَّ وَقَدْ عَلَّتْ بِأَيْدِينَا مُشَهَّرَةً ذَكُورُ
بَأْصِرِّ مُحَمَّدٍ إِذْ دَسَ لِيَلَاءً إِلَى كَعْبٍ أَخَا كَعْبٍ يَسِيرُ
فَمَا كَرَهَ فَأَنْزَلَنَا بِمَكْرٍ وَمُحَمَّدٌ أَخْوَ ثَقَةَ جَسُورٍ

قال ابن هشام : وهذه الأبيات في قصيدة له في يوم بني النضير ستائى .

قلت : كان قتل كعب بن الأشرف على يدي الأوس بعد وقعة بدر ، ثم
إن الخزرج قتلوا أبو رافع بن أبي الحقيق بعد وقعة أحد ، كما سيأتي بيانه إن شاء
الله وبه الثقة .

وقد أورد ابن إسحاق شعر حسان بن ثابت :

لَهُ دَرُّ عَصَابَةٍ لَاقِيْهِمْ يَا بَنَ الْحَقِيقِ وَأَنْتَ يَا بَنَ الْأَشْرَفِ
يَسِرُونَ بِالْيَمِينِ الْخِفَافِ إِلَيْكُمْ مَرَحًا كَاسِدِ فِي عَرِينِ مُعْرِفِ
حَتَّى أَتَوْكُمْ فِي مَحْلَّ بَلَادِكُمْ فَسَقَوْكُمْ حَتَّفًا بِيَمِينِ دُفَّ
مُسْتَبْصِرِينَ لِنَصْرِ دِينِ نَبِيِّهِمْ مُسْتَصْغِرِينَ لِكُلِّ أَمْرٍ بُخْجِفِ

قال محمد بن إسحاق : وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من ظفرتم به من رجال
يهود فاقتلوه ».

فوثب عند ذلك نحيبة بن مسعود الأوسى على ابن سمية ، رجل من تجار يهود

كان يلاسهم ويبايعهم ، فقتله ، وكان أخوه حويصة بن مسعود أسن منه ولم يسلم بعد ، فلما قتله جعل حويصة يضربه ويقول : أى عدو الله أقتلته ؟ ! أما والله لرب شحرين في بطneck من ماله !

قال حميضة : قلت والله لقد أمرني بقتله من لو أمرني بقتلك لضربت عنقك !
قال : فو الله إن كان لأول إسلام حويصة وقال : والله لو أمرك محمد بقتلي
لقتلني ؟ قال : نعم ، والله لو أمرني بضرب عنقك لضربتها !
قال : فو الله إن ديننا بلغ بك هذا العجب ! فأسلم حويصة .
قال ابن إسحاق : حدثني بهذا الحديث مولى لبني حارثة عن أمينة حميضة ،
عن أبيها .

وقال في ذلك حميضة :

يلوم ابن أمٍ (١) لو أمرت بقتله لطابت ذفراه بأبيض قارب (٢)
حسام كلون للوح أخلص صقله متى ما أصوبه قليس بكافر
وما سرني أنى قتلتك طائعاً وأن لنا ما بين مصرى ومأرب

وحسكي ابن هشام ، عن أبي عبيدة ، عن أبي عمرو المدائى ، أن هذه القصة
كانت بعد مقتل بنى قريظة ، فإن المقتول كان كعب بن يهودا ، فلما قتله حميضة عن أمر
رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بنى قريظة قال له أخوه حويصة ما قال ، فرد عليه
حميضة بما تقدم ، فأسلم حويصة يومئذ . فالله أعلم .

تنبيه : ذكر البهقى والبخارى قبله خبر بنى النضير قبل وقعة أحد ، والصواب
إيرادها بعد ذلك ، كما ذكر ذلك محمد بن إسحاق وغيره من آئمة المذاوى .

وبرهانه : أن المحر حرم مالي حصار بنى النضير ، وثبت في الصحيح أنه اصطبخ

(١) ابن هشام : ابن أمى . (٢) الدفرى : عظم ناقى خلف الأذن وفي ابن هشام : فاضب . وهو القاطع .

الْمَحْرَر جماعةٌ مِنْ قُتُلَ يومَ أَحَد شهيداً ، فدلَّ على أَنَّ الْمَحْرَر كَانَتْ إِذَا ذَاكَ حَلَالاً ،
وَإِنَّمَا حَرَمَتْ بَعْدَ ذَلِكَ ، فَقَبَيْنَ مَا قَلَنَاهُ مِنْ أَنْ قَصَّةَ بَنِي النَّضِير بَعْدَ وَقْعَةِ أَحَدٍ .
وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

تَنبِيهٌ آخَرٌ : خَبْرُ يَهُودَ بَنِي قَيْمَنْقَاعَ بَعْدَ وَقْعَةِ بَدْرٍ . كَمَا تَقْدِمُ . وَكَذَلِكَ قَتْلُ كَعْبَ
ابْنِ الْأَشْرَف الْيَهُودِي عَلَى يَدِي الْأَوْسَ .

وَخَبْرُ بَنِي النَّضِير بَعْدَ وَقْعَةِ أَحَدٍ كَمَا سَيَّأْتَى . وَكَذَلِكَ مَقْتُلُ أَبِي رَافِعِ الْيَهُودِي تَاجِرُ
أَهْلِ الْحِجَاز عَلَى يَدِي الْمَزْرَجِ .

وَخَبْرُ يَهُودَ بَنِي قَرِبَطَةَ بَعْدَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ وَقَصَّةِ الْخِنْدَقِ . كَمَا سَيَّأْتَى .

غزوة أُحد في شوال سنة ثلاثة

«فائدة» ذكرها المؤلف في تسمية أُحد . قال : سُئلَ أَحَدٌ أَحَدًا لتوَّحْدِه مِنْ بَيْنِ تلَكَ الْجِبَالِ .

وفي الصحيح : «أَحَدُ جَبَلٍ يَحْبَنَا وَنَحْبِه» قيل : معناه أَهْلُه . وقيل : لأنَّه كَانَ يُشَرِّه بِقُرْبِ أَهْلِه إِذَا رَجَعَ مِنْ سَفَرِه ، كَمَا يَفْعَلُ الْخَبِيثُ . وقيل : على ظَاهِرِه كَوْلُه : «وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطَ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ» .

وفي الحديث عن أبي عبس بن جبر : «أَحَدٌ يَحْبَنَا وَنَحْبِه ، وَهُوَ عَلَى بَابِ الْجَنَّةِ ، وَعَيْرٌ يَبْخَضُنَا وَنَبْخَضُهُ . وَهُوَ عَلَى بَابِ مِنْ أَبْوَابِ النَّارِ» .

قال السهيلي مقوياً لهذا الحديث : وقد ثبت أَنَّه عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ : «المرءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ» .

وهذا من غريب صنف السهيلي . فإنَّ هذا الحديث إنما يراد به النَّاسُ ، ولا يسمى الجبل أَسْرَأً .

وكانت هذه الغزوة في شوال سنة ثلاثة . قاله الزهرى وقتادة وموسى بن عقبة ومحمد بن إسحاق ومالك .

قال ابن إسحاق : للنصف من شوال . وقال وقتادة : يوم السبت الحادى عشر منه .

قال مالك : وكانت الواقعة في أول النَّهار ، وهى على المشهور التى أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهَا قَوْلَه تعالي : «وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلَكَ تُبُوّى الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ الْقَتْلَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلَيْمٌ . إِذْ هَمَّ طَافِقَانَ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشِلَا وَاللَّهُ وَلِيَهُمَا ، وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلَ الْمُؤْمِنُونَ . وَلَقَدْ نَصَرَكُمْ اللَّهُ بِيَدِِكُمْ أَذْلَهُ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعْلَكُمْ تَشَكَّرُونَ . إِذْ تَقُولُ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّ يَكْفِيَكُمْ أَنْ

يُعَذِّبُكُمْ رَبُّكُمْ بِشَلَاثَةٍ أَلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُهْزَلِينَ . بَلَ إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَقَوَّا وَيَأْتُوكُمْ مِّنْ فَوْرَهُمْ هَذَا يُتَدِّدِّبُكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةٍ أَلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ » الآيات وما بعدها إلى قوله : « ما كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ ، حَتَّىٰ يَعْلَمَ الْخَيْرَ مِنَ الطَّيْبِ ، وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطَلَّعَكُمْ عَلَىٰ الْفَيْمِ^(١) ». »

وقد تكلمنا على تفاصيل ذلك كله في كتاب التفسير بما فيه كفاية والله الحمد والمنة .

ولنذكر هنا ملخص الواقعة مما ساقه محمد بن إسحاق وغيره من علماء هذا الشأن رحمة الله .

* * *

وكان من حديث أحد ، كما حدثني محمد بن مسلم الزهرى و محمد بن يحيى بن حبان ، وعاصم بن قتادة ، والحسين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ ، وغيرهم من علمائنا ، كلهم قد حدث بعض هذا الحديث عن يوم أحد ، وقد اجتمع حديثهم كلهم فيما سقت . قالوا - أو من قال منهم - :

لما أصيب يوم بدر من كفار قريش أصحاب القليب ورجع فلائم إلى مكة ، ورجع أبو سفيان بعيده ، مشى عبد الله بن أبي ربعة وعكرمة بن أبي جهل وصفوان ابن أمية ، في رجال من قريش من أصيب آباءهم وأبناؤهم وإخوانهم يوم بدر ، فكلّموا أبا سفيان ومن كانت له في تلك العبر من قريش تجارة ، فقالوا : يا معاشر قريش ، إن محمدًا قد وتركم وقتل خياركم ، فأعينونا بهذا المآل على حرثه لعلنا ندرك منه ثاراً . فعلوا .

قال ابن إسحاق : ففيهم كما ذكر لي بعض أهل العلم أنزل الله تعالى : « إِنَّ الَّذِينَ

كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصْدُرُوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ، فَسَيُنْفَقُونَ هَا نَمْ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ
يُعْلَمُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمْ يُحْمَسَرُونَ^(١) .

قالوا : فاجتمع قريش لحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم حين فعل ذلك أبو سفيان وأصحاب العير بأحابيشها ومن أطاعها من قبائل كنانة وأهل تهامة .
وكان أبو عزة عمرو بن عبد الله الجتمحي قد منَّ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر ، وكان فقيراً ذا عيال وحاجة ، وكان في الأساري ، فقال له صفوان بن أمية : يا أبو عزة ، إنك أسرؤ شاعر فأعننا بسانك وآخر معنا . فقال : إن محدداً قد منَّ على فلان أريد أن أظاهِر عليه . قال : بلى ، فأعننا بنفسك ، فلك الله إن رجعتَ أن أغنيك ، وإن قُتلتَ أن أجعل بناتك مع بناتي يصيّبهن ما أصابهن من عُسر ويسر .

خرج أبو عزة يسير في تهامة ويدعو بني كنانة ويقول :

أَيَا^(٢) بْنِ عَبْدِ مَنَّةِ الرِّزَامِ^(٣) أَنْتُ حَمَّاءٌ وَأَبُوكَمْ حَامٌ
لَا يَعْدُونِي نَصْرُكُمْ بَعْدَ الْعَامِ لَا تُسْلِمُونِي لَا يَحْلِلُ إِسْلَامٌ

قال : وخرج نافع بن عبد مناف بن وهب بن حذافة بن جحش إلى بني مالك بن كنانة يحرضهم ويقول :

يَا مَالِ^(٤) مَالِ الْخَسَبِ الْمَقْدَمِ أَنْشَدَ ذَا الْقَرْبِي وَذَا التَّذَمْ
مَنْ كَانَ ذَا رَحْمٍ وَمَنْ لَمْ يَرْحِمْ الْحَلْفَ وَسْطَ الْبَلْدِ الْمَحْرَمَ
عِنْدَ حَطِيمِ الْكَعْبَةِ الْمَعْظَمِ

قال : ودعاجمير بن مطعم غلاماً له حبسياً يقال له وحشى يقذف بحربة له قذف

(٢) سورة الأنفال ٣٦ . (٣) ابن هشام : ليهبا . (٤) الرِّزَام : جمع رازم ، وهو الذي يثبت

في الحرب لا يربح . (٥) يمال : يريد يا مالك خذف آخره للتاريخ .

الجبيشة ، فَلَمَّا يَخْطُى بِهَا ، فَقَالَ لَهُ : اخْرُجْ مَعَ النَّاسِ ، إِنْ أَنْتَ قَاتِلٌ حَمْزَةُ عَمْ مُحَمَّدٍ بْعَمِيَّةٍ بْنَ عَدَى فَأَنْتَ عَتِيقٌ .

* * *

قال : نَفَرَ جَتْ قَرِيشٌ بِحَدَّهَا وَحْدَيْهَا وَجَدَهَا وَأَحَايَشَهَا ، وَمَنْ تَابَعَهَا مِنْ بَنِي كَنَانَةَ وَأَهْلِ تَهَامَةَ ، وَخَرَجُوا مَعَهُمْ بِالظُّفَرِ^(١) التَّمَاسَ الْحَفِيظَةَ وَالْأَيْفَرُوا . وَخَرَجَ أَبُو سَفِيَّانَ صَخْرَ بْنَ حَرْبَ ، وَهُوَ قَائِدُ النَّاسِ ، وَمَعَهُ زَوْجُهُ هَنْدُ بْنَ عَتِيقَةَ بْنَ رَبِيعَةَ .

وَخَرَجَ عَكْرَمَةَ بْنَ أَبِي جَهْلٍ بِزَوْجِهِ ابْنَهُ عَمِّهِ أُمِّ حَكَمٍ بْنَ الْحَارِثَ بْنَ هَشَامَ بْنَ الْمَغِيرَةِ . وَخَرَجَ عَمِّهِ الْحَارِثَ بْنَ هَشَامَ بِزَوْجِهِ فَاطِمَةَ بْنَتِ الْوَلِيدِ بْنِ الْمَغِيرَةِ . وَخَرَجَ صَفْوَانَ بْنَ أُمِّيَّةَ بَهْرَزَةَ بْنَتِ مُسْعُودَ بْنِ عُمَرَ وَبْنِ عَمِيرِ التَّقْفِيَّةِ ، وَخَرَجَ عُمَرُ بْنُ الْعَاصِ بَرَيْطَةَ بْنَتِ مُنْبَهَةَ بْنِ الْحَاجَاجَ ، وَهِيَ أُمُّ ابْنِهِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ . وَذَكَرَ غَيْرُهُمْ مِنْ خَرْجِ باصِ أَتَهُ .

قال : وَكَانَ وَحْشَى كَلَامًا مَرَّ بِهَنْدَ بْنَتِ عَتِيقَةَ أَوْ مَرَّتَ بِهِ تَقُولُ : وَيْهَا أَبَا دَسْمَةَ اشْفَرَ وَاشْتَفَرِ . يَعْنِي تَحْرِضُهُ عَلَى قُتْلِ حَمْزَةَ بْنِ عَبْدِ الْمَطَلَبِ .

قال : فَأَقْبَلُوا حَتَّى نَزَلُوا بَعَيْنِينَ بِجَبَلِ بِطْنِ السَّبْخَةِ مِنْ قَنَاءَ عَلَى شَفِيرِ الْوَادِي مَقَابِلَ الْمَدِينَةِ .

فَلَمَّا سَمِعْ بِهِمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْمُسْلِمُونَ قَالُوا لَهُمْ : «قَدْ رَأَيْتُ وَاللَّهُ خَيْرًا، رَأَيْتُ بَقْرًا تُذْبَحُ ، وَرَأَيْتُ فِي دُبُّابِ سَيْفِ ثَلَمًا ، وَرَأَيْتُ أَنِّي أَدْخَلْتُ يَدِي فِي دِرْعٍ حَصِينَةً . فَأَوْتَهَا الْمَدِينَةَ» .

وَهَذَا الْحَدِيثُ رَوَاهُ الْبَخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ جَمِيعًا عَنْ أَبِي كَرْبَلَةِ ، عَنْ أَبِي أَسْمَاءَ ، عَنْ

(١) الطعن : عَمْ طَعْنَةٌ وَهِيَ الرَّأْدُ مَا دَامَتْ فِي هَوْدِجٍ .

برِيدُ بن عبد الله بن أبي بُرْدَةَ ، عن أبي بُرْدَةَ ، عن أبي موسى الأشعري ، عن النبي صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « رأَيْتُ فِي الْنَّارِ أَنِّي أَهَاجِرُ مِنْ مَكَّةَ إِلَى أَرْضٍ بَهَا نَخْلٌ ، فَذَهَبَ وَهُلِي ^(١) إِلَى أَنْهَا الْيَمَامَةُ أَوْ هَجَرَ ، فَإِذَا هِيَ الْمَدِينَةُ يَثْرَبُ . وَرَأَيْتُ فِي رَؤْيَايِّ هَذِهِ أَنِّي هَرَّزْتُ سِيفًا فَانْقَطَعَ صَدْرُهُ ، فَإِذَا هُوَ مَا أَصَبَّ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ أَحَدٍ ، ثُمَّ هَرَّزْتُهُ أُخْرَى فَعَادَ أَحْسَنَ مَا كَانَ ، فَإِذَا هُوَ مَا جَاءَ اللَّهُ بِهِ مِنَ الْفَتْحِ وَاجْتِمَاعِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَرَأَيْتُ فِيهَا أَيْضًا بَقَرًا ، وَاللَّهُ خَيْرٌ ^(٢) ، فَإِذَا هُمُ النَّفَرُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ أَحَدٍ ، وَإِذَا الْخَيْرُ مَا جَاءَ اللَّهُ بِهِ مِنَ الْخَيْرِ وَثَوَابُ الصَّدَقِ الَّذِي أَتَانَا بَعْدَ يَوْمِ بَدْرٍ » .

وَقَالَ الْبَيْهِقِيُّ : أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحَافِظُ ، أَخْبَرَنَا الْأَصْمَمُ ، أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْحَكْمَ ، أَخْبَرَنَا ابْنَ وَهْبٍ ، أَخْبَرَنَا ابْنَ أَبِي الزَّنَادَ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ عَبِيدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ : تَعَقَّلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سِيفَهُ ذَا الْفَقَارِ يَوْمَ بَدْرٍ . قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : وَهُوَ الَّذِي رَأَى فِيهِ الرَّؤْيَا يَوْمَ أَحَدٍ .

وَذَلِكَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَجِدْ لِلشَّرِّ كُوْنًا يَوْمَ أَحَدٍ كَانَ رَأَيْهُ أَنْ يَقِيمَ بِالْمَدِينَةِ فِي قَاتَلَاهُمْ فِيهَا ، فَقَالَ لَهُ نَاسٌ لَمْ يَكُونُوا شَهِدُوا بَدْرًا : نَخْرُجُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِلَيْهِمْ نَقَاتَاهُمْ بِأَحَدٍ . وَرَجَوْا أَنْ يَصِيبُوهُمْ مِنَ الْفَضْلِيَّةِ مَا أَصَابَ أَهْلَ بَدْرٍ .

فَازَ الْوَالِي بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى لَبِسَ أَدَاتَهُ ، ثُمَّ نَدَمُوا وَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَقِمْ ، فَالرَّأْيُ رَأْيِكَ .

فَقَالَ لَهُمْ : مَا يَنْبَغِي لِنَبْيِّ أَنْ يَضْعُفْ أَدَاتَهُ بَعْدَ مَا لَبِسَهَا حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بِيَنْتَهِ وَبَيْنَ عَدُوَّهِ .

قَالَ : وَكَانَ قَالَ لَهُمْ يَوْمَئِذٍ قَبْلَ أَنْ يَلْبِسَ الْأَدَاتَهُ : إِنِّي رَأَيْتُ أَنِّي فِي دِرْزَعٍ حَصِيقَهُ ،

(١) وَهُلِي : أَوْلَى ظَنِّي .

(٢) قَالَ الْقَسْطَلَانِيُّ : وَاللَّهُ خَيْرٌ : رفعَ مُبْتَدأً أَوْ خَبَرٍ ، وَفِيهِ حَذْفٌ تَقْدِيرٍ : وَصَنَعَ اللَّهُ خَيْرٌ .

فَأَوَّلَتْهَا الْمَدِينَةَ، وَأَنِي مُرْدِفٌ كَبِشاً وَأَوْلَتْهَ كَبِشَ الْكَتَبِيَّةَ، وَرَأَيْتَ أَنَّ سَيِّفِي ذَا الْفَقَارَ فُلَّاً، فَأَوْلَتْهَ فَلَّا فِيكُمْ، وَرَأَيْتَ بَقَرًا يُذْبَحُ، فَبَقَرٌ^(١)، وَاللَّهُ خَيْرٌ.

رواہ الترمذی وابن ماجہ من حدیث عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه به .

وروى البیهقی من طریق حماد بن سلمة ، عن علی بن زید ، عن أنس مرفوعاً قال : رأیت فيما يرى النائم کانی مردف کبشاً ، وکان ضبة سيف انكسرت ، فأوَّلت أني أقتل کش القوم ، وأولت کسر ضبة سيف قفل رجل من عترتي .

فُقْتَلَ حَمْرَةُ، وَقُتِلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طَلْحَةُ، وَكَانَ صَاحِبُ الْلَّوَاءِ.

* * *

وقال موسى بن عقبة : ورجعت قريش فاستجلبوا من أطاعهم من مشركي العرب ، وسار أبو سفيان بن حرب في جمع قريش ، وذلك في شوال من السنة المقللة من وقعة بدر ، حتى نزلوا بپطن الوادي الذي قبلَ أحد ، وكان رجال من المسلمين لم يشهدوا بدرًا قد ندموا على ما فاتهم من السابقة ، وتمنوا لقاء العدو ليجلبوا ما أبلى إخوانهم يوم بدر .

فَلَمَّا نَزَلَ أَبُو سَفِيَّانَ وَالْمُشْرِكُونَ بِأَصْلِ أَحَدٍ فَرَحَ الْمُسْلِمُونَ الَّذِينَ لَمْ يَشْهُدُوا بَدْرًا بِقدومِ الْعُدُوِّ عَلَيْهِمْ، وَقَالُوا: قَدْ سَاقَ اللَّهُ عَلَيْنَا أَمْنِيَّتَنَا.

ثم إن رسول الله صلی الله علیه وسلم أرى ليلة الجمعة رؤيا فاصبح ، خباء نفر من أصحابه فقال لهم : « رأیت البارحة في منامي بقرًا تذبح ، والله خير ، ورأیت سيفي ذا الفقار انقض من عند ضبنته ، أو قال : به فلوں ، فذكرهته ، وهو مصييان ، ورأیت أني في درع حصينة وأني مردف کبشا ». .

فَلَمَّا أَخْبَرْتُمْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِرَؤْيَا، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَاذَا

(١) يرى بالبقر هنا : مصدر بقره يقره بقر ، أى شق بطنه .

أَوْلَتْ رُؤْيَاكِ؟ قَالَ : «أَوْلَتْ الْبَقَرَ الَّذِي رَأَيْتُ بَقْرًا فِينَا وَفِي الْقَوْمِ ، وَكَرِهْتُ مَا رَأَيْتُ بِسَيْفِي» .

وَيَقُولُ رَجُالٌ : كَانَ الَّذِي رَأَى بِسَيْفِهِ : الَّذِي أَصَابَ وَجْهَهُ ، فَإِنَّ الْعَدُوَّ أَصَابَ وَجْهَهُ يَوْمَئِذٍ ، وَقَصَمُوا رُباعِيَّتَهُ وَخَرَقُوا شَفَتَهُ ، يَزْعُمُونَ أَنَّ الَّذِي رَمَاهُ عُتْبَةُ بْنُ أَبِي وَقَاصٍ ، وَكَانَ الْبَقَرُ مَنْ قُتِلَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَئِذٍ .

وَقَالَ : أَوْلَتْ السَّكَبَشُ أَنَّهُ كَبَشُ كَتِيبةِ الْعَدُوِّ يَقْتَلُهُ اللَّهُ ، وَأَوْلَتْ الدَّرَعَ الْحَصِينَةَ الْمَدِينَةَ ، فَامْكَنُوهَا وَاجْعَلُوهَا التَّرَارِيَّ فِي الْآطَامِ ، فَإِنْ دَخَلَ عَلَيْنَا الْقَوْمُ فِي الْأَرْزَاقَةِ فَاتَّلَاهُمْ وَرُمُوا مِنْ فَوْقِ الْبَيْوَتِ . وَكَانُوا قَدْ سَكَنُوا أَرْزَاقَةَ الْمَدِينَةِ بِالْبَيْنَيَانِ حَتَّى [صَارَتْ] كَالْحَصْنِ . فَقَالَ الَّذِينَ لَمْ يَشْهُدُوا بِدْرًا : كَنَا نَتَمَنِي هَذَا الْيَوْمَ وَنَدْعُو اللَّهَ ، فَقَدْ سَاقَ اللَّهُ إِلَيْنَا وَقْرَبَ الْمَسِيرَ .

وَقَالَ رَجُلٌ مِّنَ الْأَنْصَارِ : مَتَى نَقَاتِلُهُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِذَا لَمْ نَقَاتِلُهُمْ عِنْدَ شَعْبَنَا؟ وَقَالَ رَجُلٌ : مَاذَا نَفْعَمْ إِذَا لَمْ نَمْنَعْ الْحَرَبَ بِرَوْعَعْ؟

وَقَالَ رَجُلٌ قُلَّا صَدَقُوا بِهِ وَمَضَوْا عَلَيْهِ ، مِنْهُمْ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِّبِ ، قَالَ : وَالَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِنُجَادِلَنَّهُمْ .

وَقَالَ ثَعِيمُ بْنُ مَالِكَ بْنُ ثَعْلَبَةَ ، وَهُوَ أَحَدُ بْنِ سَالِمٍ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ لَا تَحْرِمَنَا الْجَنَّةَ ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا دَخْلَنَّهَا .

فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : بَمْ؟ قَالَ : بَأْنِي أَحَبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا أَفْرُثُ يَوْمَ الزَّحْفِ . فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : صَدِقْتَ . وَاسْتَشْهِدْ يَوْمَئِذٍ . وَأَبَى كَثِيرٍ مِّنَ النَّاسِ إِلَّا الْخُرُوجُ إِلَى الْعَدُوِّ ، وَلَمْ يَنْتَهُوا إِلَى قَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَرَأَيْهِ ، وَلَوْ رَضُوا بِالَّذِي أَمْرَهُمْ كَانَ ذَلِكَ ، وَلَكِنْ غَلَبَ الْقَضَاءُ وَالْقَدَرُ .

وَعَامَةً مَنْ أَشَارَ عَلَيْهِ بِالخُرُوجِ رَجُالٌ لَمْ يَشْهُدُوا بِدْرًا ، قَدْ عَلِمُوا الَّذِي سَبَقَ
لِأَحْمَابِ بِدْرَ مِنَ الْفَضْيَلَةِ .

فَلَمَّا صَلَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْجَمَعَةَ وَعَظَ النَّاسَ وَذَكَرَهُمْ ، وَأَمْرَهُمْ بِالْجَدَادِ
وَالْجَهَادِ ، ثُمَّ انْصَرَفَ مِنْ خُطْبَتِهِ وَصَلَاتِهِ ، فَدَعَا بِالْأَمْرِ فَلَبَسُوهَا ، ثُمَّ أَذَّنَ
فِي النَّاسِ بِالخُرُوجِ .

فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ رَجُالٌ مِنْ ذُوِّ الرَّأْيِ قَالُوا : أَمْرَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
أَنْ تَمْكِثَ بِالْمَدِينَةِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِاللَّهِ وَمَا يَرِيدُ وَيَأْتِيهِ الْوَحْيُ مِنَ السَّمَاءِ .

فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِمْكَثْ كَمَا أَمْرَنَا . قَالَ : مَا يَنْبَغِي لِنَبْيِّ إِذَا أَخْذَ لَأْمَةَ الْحَرْبِ
وَأَذَّنَ بِالخُرُوجِ إِلَى الْعَدُوِّ أَنْ يَرْجِعَ حَتَّى يُقَاتَلُ ، وَقَدْ دَعَوْتُكُمْ إِلَى هَذَا الْحَدِيثِ فَأَبَيْتُمْ
إِلَّا الخُرُوجَ ، فَعَلَيْكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَالصَّابَرَعْنَدَ الْبَأْسِ إِذَا لَقَيْتُمُ الْعَدُوَّ وَانظُرُوا مَاذَا أَمْرَكُمْ
اللَّهُ بِهِ فَافْعُلُوا .

قَالَ : نَفْرَجُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْمُسْلِمُونَ ، فَسَلَّكُوا عَلَى الْمَدِينَةِ
وَهُمْ أَلْفُ رَجُلٍ ، وَالْمُشْرِكُونَ ثَلَاثَةَ آلَافٍ ، فَضَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
حَتَّى نَزَلَ بِأَحَدٍ .

وَرَجَعَ عَنْهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ سَلَولٍ فِي ثَلَاثَةِ مِائَةٍ ، فَبَقَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ فِي سَبْعَةِ مِائَةٍ .

قَالَ الْبَيْهِقِيُّ : هَذَا هُوَ الشَّهُورُ عِنْدَ أَهْلِ الْمَهَازِيِّ ، أَهْمَمُهُمْ بِقَوْافِي سَبْعَةِ مِائَةٍ . قَالَ :
وَالْمُشْهُورُ عَنِ الزَّهْرَى أَهْمَمُهُمْ بِقَوْافِي أَرْبَعَةِ مِائَةٍ مُقاَتِلٍ . كَذَلِكَ رَوَاهُ يَعْقُوبُ بْنُ سَفِيَّانَ عَنِ
أَصْبَعٍ ، عَنْ أَبْنَ وَهْبٍ ، عَنْ يُونُسَ ، عَنْ الرَّهْرَى ، وَقَيْلَ عَنْهُ بِهَذَا الإِسْنَادِ
سَبْعَةِ مِائَةٍ . فَاللَّهُ أَعْلَمُ .

قَالَ مُوسَى بْنُ عَقْبَةَ : وَكَانَ عَلَى خَيْلِ الْمُشْرِكِينَ خَالِدَ بْنَ الْوَنِيدَ ، وَكَانَ مَعَهُمْ مَائَةً

فرس ، وكان لواوه مع عثمان بن طلحة . قال : ولم يكن مع المسلمين فرس واحدة . ثم ذكر الواقعة كما سيأتي تفصيلها إن شاء الله تعالى .

*** *

وقال محمد بن إسحاق : لما قصَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم رؤياه على أصحابه قال لهم : إن رأيتم أن تقيموا بالمدينة وتدعوهم حيث نزاوا فإن أقاموا أقاموا بشرَّ مُقَام ، وإن هم دخلوا علينا قاتلناهم فيها .

وكان رأى عبد الله بن أبيِّ بن سَلْول مع رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في
الآنِيَّةِ خارجَ إِلَيْهِمْ .

فقال رجال من المسلمين ، منْ كرم الله بالشهادة يوم أحد ، وغيرهم منْ كان فاته
بدر : يا رسول الله اخرج بنا إلى أغدائنا لا يرون أتنا جبئنا عنهم وضعفنا .

فقال عبد الله بن أبيِّ : يا رسول الله لا تخُرُجْ إِلَيْهِمْ ، فوالله ما خرجنا منها إلى
عدوٍّ قطٌّ إِلَّا أصحاب مَنَا ، ولا دَخَلَهَا عَلَيْنَا إِلَّا أَصْبَنَا مِنْهُ .

فلم يزل الناسُ بِرسول الله صلى الله عليه وسلم حتى دخل فلبس لآمته ، وذلك يوم
الجمعة حين فرغ من الصلاة ، وقد ماتت في ذلك اليوم رجل من بنى النجار يقال له مالك
ابن عمرو ، فصلَّى عليه ثم خرج عليهم وقد ندم الناس وقالوا : استَكَرَ هُنَّا رسول الله صلى
الله عليه وسلم ولم يكن لنا ذلك .

فلمَّا خرج عليهم قالوا : يا رسول الله إن شئت فاقعد . فقال : ما ينفعني لبني إذا
لبس لآمته أن يضعها حتى يقاتل .

نخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في ألف من أصحابه .

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم .

قال ابن إسحاق : حتى إذا كان بالشوط بين المدينة وأحد الخزَّال عنه عبد الله بن

أبى بثاث الناس ، وقال : أطاعهم وعصانى ، ما ندرى علامَ نقتل أنفسنا ها هنا
أيها الناس .

فرجع بن ابيه من قومه من أهل النفاق والرّيّب ، واتبعهم عبد الله بن عمرو بن حرام السُّلْمَى والد جابر بن عبد الله ، فقال : يا قوم أذكُركم الله ألا تخذلوا قومكم ونبيكم عندما حضر من عدوهم . قالوا : لو نعلم أنكم تقابلون ما أسلمناكم ، ولكننا لا نرى أن يكون قتال .

فَلَمَّا اسْتَعْصُوْا عَلَيْهِ وَأَبْوَا إِلَّا الْاِنْصَارَفَ قَالَ : أَبْعَدَ كُمُّ اللَّهُ أَعْدَاءَ اللَّهِ ، فَسِيَغُنُّنِي
اللَّهُ عَنْكُمْ بَنِيَّةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

* * *

قلت : وهؤلاء القوم هم المرادون بقوله تعالى : « وَلِيَعْلَمُ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقَيْلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ ادْفَمُوا . قَالُوا : لَوْ نَعْلَمُ قَاتِلًا لَا تَبْعَنَا كُمْ ، هُمْ لِلْكُفَّارِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ ، يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ^(١) » .

يعنى أنهم كاذبون في قوله : لو نعلم قتالا لا تبعناكم . وذلك لأنّ قوّة القتال أسره ظاهر بين واضح لاختفاء ولا شك فيه .

وَهُمُ الَّذِينَ أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِمْ : « فَالَّذِي كَمْ فِي الْمَنَافِقِينَ فَتَبَيَّنَ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا »^(٢) الآية . وَذَلِكَ أَنْ طَائِفَةً قَاتَلَتْ نَاقَاتَهُمْ . وَقَاتَلَ آخَرُونَ لَا نَاقَاتَهُمْ . كَمَا ثَبَّتَ وَبِيَّنَ فِي الصَّحِيحِ .

وذكر الزهري أن الأنصار استأذنوا حينئذ رسول الله صلى الله عليه وسلم في الاستعانتة بحملائهم من يهود المدينة ، فقال : لا حاجة لنا فيهم .

وذكر عروة بن موسى بن عقبة أن بنى سلمة وبنى حارثة لما رجع عبد الله بن أبيه وأصحابه همّا أن تفشا ، فثبتتّهما الله تعالى ، ولهذا قال : « إذ همّت طائفتان منكم أن تفشا والله ولهمما وعلى الله فليتوكل كل المؤمنون ». .

قال جابر بن عبد الله : ما أحبّ أنها لم تنزل والله يقول : « والله ولهمما^(١) » كا ثبت في الصحيحين عنه .

* * *

قال ابن إسحاق : ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى سلك في حرّة بنى حارثة ، فذبَّ فرسنْ بذنبه فأصاب كُلَّابَ^(٢) سيفِ فاستله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لصاحب السيف : شِمْ سيفك . أى أغمده ، فإنِّي أرى السيف سُكّالِ اليوم .

ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه : منْ رجلٍ يخرج بنا على القوم منْ كتب أى من قريب - من طريق لا يمر بنا عليهم؟ فقال أبو خيشمة أخو بنى حارثة بن الحارث : أنا يا رسول الله . فنفذ به في حرّة بنى حارثة وبَيْنَ أموالهم ، حتى سلك به في مال لم يَرَ ابن قَيْظَى ، وكان رجلاً منافقاً ضريراً البصر ، فلما سمع حسنَ رسول الله ومن معه من المسلمين قام يَخْنُى في وجوههم الترابَ ويقول : إنْ كفتَ رسول الله فإنِّي لا أحلُّ لك أن تدخل في حائلتي .

قال ابن إسحاق : وقد ذُكر لي أنه أخذ حفنةً من التراب في يده ثم قال : والله لو أعلم أنني لا أصيّب بها غيرك يا محمد لضررتُ بها وجهك . فابتدره القوم ليقتلوه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تقتلوه ، فهذا الأعمى أعمى القلب أعمى البصر . وقد

(١) أى لما حصل لهم من الشرف ببناء الله تعالى وإنزاله فيهم آية ناطقة بصحة الولاية .

(٢) الكلاب : ذؤابة السيف .

بدر إلـيـه سـعـدـ بـن زـيدـ أـخـوـ بـنـ عـبدـ الـأـشـهـلـ قـبـلـ هـنـىـ رـسـوـلـ اللـهـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ فـضـرـ بـهـ بـالـقـوـسـ فـيـ رـأـسـهـ فـشـجـهـ .

ومضـىـ رـسـوـلـ اللـهـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ حـتـىـ نـزـلـ الشـعـبـ مـنـ أـحـدـ ،ـ فـيـ عـدـوـةـ الـوـادـىـ وـفـىـ الـجـبـلـ ،ـ وـجـعـلـ ظـهـرـهـ وـعـسـكـرـهـ إـلـىـ أـحـدـ ،ـ وـقـالـ :ـ لـاـ يـقـاتـلـنـ أـحـدـ حـتـىـ أـمـرـهـ بـالـقـتـالـ .

وـقـدـ سـرـحـتـ قـرـيـشـ الـظـهـرـ وـالـكـرـاعـ^(١)ـ فـيـ زـرـوعـ كـانـتـ بـالـصـمـمـةـ مـنـ قـيـمةـ كـانـتـ الـمـسـلـمـينـ ،ـ فـقـالـ رـجـلـ مـنـ الـأـنـصـارـ حـيـنـ هـنـىـ رـسـوـلـ اللـهـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ عـنـ الـقـتـالـ :ـ أـتـرـعـىـ زـرـوعـ بـنـ قـيـمةـ وـلـمـ نـضـارـبـ ؟ـ !

وـتـعـبـاـ رسولـ اللـهـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ لـلـقـتـالـ وـهـوـ فـيـ سـبـعـاـنـةـ رـجـلـ ،ـ وـأـمـرـ عـلـىـ الرـماـةـ يـوـمـئـذـ عـبـدـ اللـهـ بـنـ جـبـيرـ أـخـاـ بـنـ عـمـرـ بـنـ عـوـفـ ،ـ وـهـوـ مـعـلـمـ يـوـمـئـذـ بـثـيـابـ بـيـضـ ،ـ وـالـرـماـةـ خـمـسـونـ رـجـلـاـ ،ـ فـقـالـ :ـ اـنـضـحـ الـخـيلـ عـنـاـ بـالـنـبـلـ لـاـ يـأـتـوـنـاـ مـنـ خـلـفـيـاـ ،ـ إـنـ كـانـتـ لـنـاـ أـوـ عـلـيـنـاـ فـائـتـ مـكـانـكـ لـاـ نـؤـتـيـنـ مـنـ قـبـلـكـ .

وـسـيـأـنـىـ شـاهـدـ هـذـاـ فـيـ الصـحـيـحـيـنـ إـنـ شـاءـ اللـهـ تـعـالـىـ .

قالـ اـبـنـ إـسـحـاقـ :ـ وـظـاهـرـ رـسـوـلـ اللـهـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ بـيـنـ دـرـعـيـنـ .ـ يـعـنـىـ لـبـسـ درـعـاـ فـوـقـ دـرـعـ ،ـ وـدـفـعـ الـلـوـاءـ إـلـىـ مـضـعـبـ بـنـ عـمـيرـ أـخـىـ بـنـ عـبـدـ الدـارـ .

قـلتـ :ـ وـقـدـرـاـ رسولـ اللـهـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ جـمـاعـةـ مـنـ الـفـلـمـانـ يـوـمـ أـحـدـ ،ـ فـلـ يـمـكـنـهـ مـنـ حـضـورـ الـحـرـبـ لـصـغـرـهـ ،ـ مـنـهـمـ :ـ عـبـدـ اللـهـ بـنـ عـمـرـ ،ـ كـاـنـتـ فـيـ الصـحـيـحـيـنـ قـالـ :ـ عـرـضـتـ عـلـىـ النـبـيـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ يـوـمـ أـحـدـ فـلـ يـجـزـنـيـ ،ـ وـعـرـضـتـ عـلـيـهـ يـوـمـ الـخـنـدـقـ وـأـبـاـ اـبـنـ خـمـسـ عـشـرـةـ فـأـجـازـنـيـ .

وـكـذـلـكـ رـدـ يـوـمـئـذـ أـسـمـاـةـ بـنـ زـيدـ ،ـ وـزـيدـ بـنـ ثـابـتـ وـالـبرـاءـ بـنـ عـاـزـبـ ،ـ وـأـسـمـاـدـ بـنـ

(١) الـطـهـرـ :ـ الـإـبـلـ .ـ وـالـكـرـاعـ :ـ الـخـيلـ .

ظهير ، وعراة بن أوس بن قيظى . ذكره ابن قتيبة وأورده السهيلى ، وهو الذى يقول فيه الشماخ :

إذا ما رأيْتُ رفعت لجَدِّي تلقاها عَرَابَةً باليمينِ

ومنهم ابن سعيد بن خيثمة . ذكره السهيلى أيضا ، وأجازهم كلهم يوم الخندق .
وكان قد ردَّ يومئذ سَمْرَةَ بن جُنْدَبَ ورافعَ بن حَدِيجَ ، وهما ابنا خمس عشرة سنة ،
فقيل : يا رسول الله إِن رافعاً رامٌ فاجازه . فقيل : يا رسول الله فإن سَمْرَةَ يصرخ
رافعاً فاجازه .

قال ابن إسحاق : وتعبَّاتُ قريشَ ، وهم ثلاثةَ آلَافٍ ومعهم مائتا فرساً قد جنَّبُوها ،
فعملوا على مَيْمَنةَ الخيل خالدَ بن الوليدَ ، وعلى ميسرتها عكرمةَ بن أبي جهلَ بن هشامَ .

* * *

وقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : من يأخذُ هذا السيفَ بحقه ؟
فقام إِلَيْهِ رَجُلٌ فَأَمْسَكَهُ عَنْهُمْ ، حَتَّى قَامَ إِلَيْهِ أَبُو دُجَانَةَ سِمَاكَ بْنَ حَرَشَةَ أَخُو بْنِ
سَاعِدَةَ ، فَقَالَ : وَمَا حَقُّهُ يَا رَسُولَ اللهِ ؟

قال : أَنْ تَضْرِبَ بِهِ فِي الْعَدُوِّ حَتَّى يَنْتَهِي .

قال : أَنَا آخِذُهُ يَا رَسُولَ اللهِ بِحَقِّهِ . فَأَعْطَاهُ إِيَاهُ .

هَكَذَا ذَكَرَهُ ابنُ إِسْحَاقَ مُنْقَطِعًا .

وقد قال الإمامُ أَحْمَدُ : حَدَثَنَا يَزِيدُ وَعَفَّانُ ، قَالَا حَدَثَنَا حَمَادُ ، هُوَ ابْنُ سَلَمَةَ ، أَخْبَرَنَا ثَابِتُ ، عَنِ النَّبِيِّ ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخْذَ سِيفَيْنِ يَوْمَ أَحَدٍ فَقَالَ : مَنْ يَأْخُذُ
هَذَا السِّيفَ ؟ فَأَخْذَهُ قَوْمٌ فَعَمِلُوا بِنَظَرِهِنَّ إِلَيْهِ ، فَقَالَ : مَنْ يَأْخُذُهُ بِحَقِّهِ ؟ فَأَحْجَمَ الْقَوْمُ ، فَقَالَ
أَبُو دُجَانَةَ سِمَاكَ : أَنَا آخِذُهُ بِحَقِّهِ . فَأَخْذَهُ فَقْلَقَ بِهِ هَامَ الْمُشَرِّكُونَ .
وَرَوَاهُ مُسْلِمٌ ، عَنْ أَبِي بَكْرٍ عَنْ عَفَّانَ بْنِ

قال ابن إسحاق : و كان أبو دجابة رجلا شجاعا يخال عند الحرب ، وكان له عصابة حمراء يعلم بها عند الحرب يعتصب بها ، فيعلم أنه سيقاتل .

قال : فلما أخذ السيف من يد رسول الله صلى الله عليه وسلم أخرج عصابته تلك فاعتصب بها ، ثم جعل يتبعه بين الصفين .

قال : خذثني جعفر بن عبد الله بن أسلم ، مولى عمر بن الخطاب ، عن رجل من الأنصار من بني سلمة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رأى أبو دجابة يتبعه : إنها لمشية يبغضها الله إلا في مثل هذا الوطن !

* * *

قال ابن إسحاق : وقد قال أبو سفيان لأصحاب اللواء من بني عبد الدار يحرضهم على القتال : يا بني عبد الدار قد ولتم لواءنا يوم بدر ، فأصحابنا ما قد رأيتم ، وإنما يُؤْتَى الناس من قبل رايتهم ، إذا زالت زوالا ، فإما أن تكفونا لواءنا وإما أن تخذلوا يبنينا وينه فنكفيكموه .

فهموا به وتوعدوه وقالوا : نحن نسل إليك لواءنا ! ستعلم غدا إذا التقينا كيف نصنع . وذلك الذي أراد أبو سفيان .

قال : فلما التقى الناس ودنا بعضهم من بعض ، قامت هند بنت عتبة في النسوة اللاتي معها ، وأخذن الدفوف يضرن بها خلف الرجال ويحرضن على القتال ، فقالت هند فيما تقول :

وَيَهَا بَنِي عَبْدِ الدَّارِ وَيَهَا حَمَةَ الْأَدْبَارِ
ضَرَبَا بِكُلِّ بَتَارِ
وقول أيضاً :

إِنْ تَقْبِلُوا نُعَانِقَ وَنَفْرَشَ التَّمَارِقَ
أَوْ تُدْبِرُوا نُفَارِقَ فَرَاقَ غَيْرِ وَامِقَ

قال ابن إسحاق : وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، أن أبا عامر عبد عمرو بن صالح ابن مالك بن المنعان أحد بنى ضبيعة ، وكان قد خرج إلى مكة مبعاداً الرسول الله صلى الله عليه وسلم معه خمسون غلاماً من الأوس . وبعض الناس يقول : كانوا خمسة عشر . وكان يُعد قريشاً أن لو قد لقي قومه لم يختلف عليه منهم رجالان .

فلا التقى الناسُ كأنَّ أولَ من لقيهم أبو عامر في الأحابيش وعِبْدَانَ أهلَ مكة ، فنادى : يا معاشر الأوس أنا أبو عامر . قالوا : فلا أَنْعَمَ اللَّهُ بِكَ عَيْنًا يا فاسق . وكان يسمى في الجاهلية الراهب ، فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم الفاسق .

فلا يسمع ردهم عليه قال : لقد أصاب قومي بعدي شرّاً نعم قاتلهم فقالاً شديداً ثم أرضخهم بالحجارة .

قال ابن إسحاق : فأقبل الناسُ حتى حميت الحربُ ، وقاتل أبو دجابة حتى أمعنَ في الناس .

قال ابن هشام : وحدثني غير واحد من أهل العلم أن الزبير بن العوام قال : وجدت في نفسي حين سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم السيف فمعنىيه وأعطيه أبا دجابة ، وقلت : أنا ابن صافية عمه ومن قريش ، وقد قتلت إلهي وسألته إيه قبله فأعطيه أبا دجابة وتركني ، والله لأنظرن ما يصنع .

فأتبعته ، فآخر ج عصابة له حمراء فعصب بها رأسه ، فقالت الأنصار : أخرج أبو دجابة عصابة الموت : وهكذا كانت تقول له إذا تعصب . نخرج وهو يقول :

أنا الذي عاهدني خليلى ونحن بالسفح لدی التخييل
أن لا أقوم الدهر في الكيؤل أضرب بسيف الله والرسول

وقال الأموي : حدثني أبو عبيد في حديث النبي صلى الله عليه وسلم ، أن رجالاته وهو يقاتل به ، فقال : لعلك إن أعطيتنيك تقاتل في الكيؤل ؟ قال : لا . فأعطاء سيفاً فحمل يرتجز ويقول :

أنا الذي عاهدنا خليبي لـ أن لا أقوم الدهر في السكين
وهذا حديث يروى عن شعبة ، ورواه إسرائيل كلاماً عن أبي إسحاق ، عن هند
بنت خالد أو غيره يرفعه .

السكين : يعني مؤخر الصنوف . سمعته من عدة من أهل العلم ، ولم أسمع هذا
الحرف إلا في هذا الحديث .

قال ابن هشام : فعل لا يلقى أحداً إلا قتله . وكان في المشركين رجل لا يدع
جريحاً إلا ذفف عليه شعل كل منهما يدنو من صاحبه ، فدعوتُ الله أن يجمع بينهما ،
فالتحققا ، فاختلغا ضربتين فضرب المشركون أبو دجانة بدرقه فغضبت بسيفه ،
وضرب به أبو دجانة فقتلته . ثمرأيته قد حمل السيف على مفرق رأس هند بنت عقبة ، ثم
عدل السيف عنها فقلت : الله ورسوله أعلم .

وقد رواه البيهقي في الدلائل من طريق هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن الزبير بن
العوام بذلك .

قال ابن إسحاق : قال أبو دجانة : رأيت إنساناً يحمّس الناس حسماً شديداً ،
فخصمته له ، فلما حملت عليه السيف ولول فإذا امرأة ، فأكرمت سيف رسول الله
صلى الله عليه وسلم أن أضرب به امرأة .

وذكر موسى بن عقبة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما عرضه طلبه منه عمر
فأعرض عنه ، ثم طلبه منه الزبير فأعرض عنه ، فوجدا في أنفسهما من ذلك ، ثم عرضه
الثالثة فطلبته أبو دجانة فدفعه إليه فأعطي السيف حمة .

قال : فزعموا أن كعب بن مالك قال : كفت فيمن خرج من المسلمين ، فلما رأيت
مئلاً للمشركين بقتلى المسلمين قلت فتجاورت ، فإذا رجل من المشركين جمع اللامة يجوز

المسامين وهو يقول : استوْسِقُوا كَمَا اسْتُوْسِقَتْ جُرْزُ الْغَنَمَ (١) . قال : وإذا رجل من المسامين ينتظره وعليه لِأْمَتَه ، فضيّت حتى كبرت مِنْ وزائِه ، ثُمَّ قُتِّلَ أَفْدَرُ السَّلْمِ وَالْكَافِرَ بِبَصَرِى ، إِذَا الْكَافِرُ أَفْضَلُهُمَا عُدَّةٌ وَهَيَّةٌ . قال : فلَمْ أَزَلْ أَنْتَظِرُهُمَا حَتَّى التَّقِيَا ، فَضَرَبَ الْمُسْلِمُ الْكَافِرَ عَلَى حَبْلِ عَاتِقِهِ ضَرْبَةً بِالسِّيفِ فَبَلَغَتْ وَرْكَهُ وَتَفَرَّقَ فِرْقَتَيْنِ ، ثُمَّ كَشَفَ الْمُسْلِمُ عَنْ وَجْهِهِ وَقَالَ : كَيْفَ تَرَى يَا كَعْبَ ؟ أَنَا أَبُو دُجَانَةَ !

مقتل حمزة رضي الله عنه

قال ابن إسحاق : وقاتل حمزة بن عبد المطلب حتى قُتِلَ أَرْطَاطَةَ بن عبد شُرَّ حَبِيلَ بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار ، وكان أحد النَّفَرِ الَّذِينَ يحملون اللواء .
وكذلك قُتَلَ عَمَّانَ بن أبي طلحة ، وهو حامل اللواء ، وهو يقول :

إِنَّ عَلَى أَهْلِ الْلَّوَاءِ حَقًا
أَنْ يُخْضِبُوا الصَّعْدَةَ أَوْ تَمَدَّقًا
فَخَلَلَ عَلَيْهِ حَمْزَةَ فَقُتِلَهُ (٢) .

ثُمَّ مَرَّ بِهِ سَبِيعَ بن عبد العَزَّى الْغُبْشَانِي ، وكان يَكْنَى بِأَبِيهِ نِيَارَ ، فقال حمزة :
هَلَّ إِلَيْيَا بَنْ مُقْطَعَةَ الْبَظُورِ . وكانت أُمُّهُ أمَّ نَمَارَ مولاة شَرِيقَ بن عَرْوَةَ وَهُبَّ
الثَّقْفِيِّ ، وكانت خَتَّانَةَ بَعْكَةَ ، فلما التَّقِيَا ضَرَبَهُ حَمْزَةُ فَقُتِلَهُ .

فقال وحشى غلام جبير بن مُطْعَمْ : والله إِنِّي لَأَنْتَرُ لَحْمَزَةَ يَهْدُ النَّاسَ بِسِيفِهِ
ما يُلِيقُ (٣) شَيْئًا يَمْرُّ بِهِ ، مثل الجمل الأَوْرُقِ ، إِذَا قَدْ تَقْدَمَنِي إِلَيْهِ سَبِيعَ ، فقال حمزة :
هَلَّمَّا يَا بَنْ مُقْطَعَةَ الْبَظُورِ . فَضَرَبَهُ ضَرْبَةً فَكَأْنَاهُ أَخْطَأَ رَأْسَهُ ، وَهَزَّتْ حَرْبَتِي حَتَّى
إِذَا رَضِيَتْ مِنْهَا دَفْعَتْهَا عَلَيْهِ فَوَقَعَتْ فِي ثُنْدِي (٤) حَتَّى خَرَجَتْ مِنْ بَيْنِ رِجْلِيهِ ، فَأَقْبَلَ

(١) استوْسِقُوا : اجتمعوا . والجزر : ما يليجع من الشاء واحدتها جزرة .

(٢) ليس في ابن هشام . (٣) ما يليق : ما يليق . (٤) الثنة : بين السرة والعانة .

نحوى فُلْبُ ، فوْقُ وَأَمْهَلَتْهُ حَتَّى إِذَا ماتَ جَئْتَ فَأَخْذَتْ حَرْبَقَ ، ثُمَّ تَحْيِيْتُ إِلَى الْعَسْكَرِ
وَلَمْ يَكُنْ لَّيْ بَشَّىءَ حَاجَةً غَيْرَهُ .

* * *

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَحَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْفَضْلِ بْنُ عَيَّاشَ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ الْحَارِثِ ،
عَنْ سَلِيمَانَ بْنِ يَسَارٍ ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ عُمَرٍ وَبْنِ أُمِّيَّةَ الصَّمْرَى ، قَالَ : خَرَجْتُ أَنَا وَعَبْدُ اللَّهِ
ابْنُ عَدَى بْنِ الْخِيَارِ ، أَحَدَ بْنِ نُوفَلَ بْنِ عَبْدِ مَنَافَ فِي زَمَانِ مَعَاوِيَةَ ، فَأَدْرَبَنَا مَعَ النَّاسِ ،
فَلَمَّا مَرَرْنَا بِجِمِيعِهِ وَكَانَ وَحْشِيًّا مُولَى جُبِيرٍ قَدْ سَكَنَهَا وَأَقَامَ بِهَا ، فَلَمَّا قَدِمْنَا هَا قَالَ
عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَدَى : هَلْ لَكَ فِي أَنْ نَأْتَى وَحْشِيًّا فَنَسْأَلُهُ عَنْ قَتْلِ حَمْزَةَ كَيْفَ قُتْلَهُ ؟ قَالَ
قَلْتُ لَهُ : إِنْ شِئْتَ .

نَخْرَجْنَا نَسْأَلُ عَنْهُ بِحَمْصَ ، فَقَالَ لَنَا رَجُلٌ وَنَحْنُ نَسْأَلُ عَنْهُ : إِنْ كَانَ سَتْجِدَانَهُ بِفَنَاءِ
دَارِهِ ، وَهُوَ رَجُلٌ قَدْ غَلَبَتْ عَلَيْهِ الْمُنْتَرُ ، إِنْ تَجْدَاهُ صَاحِيًّا تَجِدُهُ رَجُلًا عَرِيَّا وَتَجِدُهُ عَنْهُ
بَعْضَ مَاتَرِيدَانَ وَتُصِيبَاهُ عَنْهُ مَا شَتَّلَاهُ مِنْ حَدِيثٍ تَسْأَلَاهُ عَنْهُ ، وَإِنْ تَجْدَاهُ وَبَهِ بَعْضُ مَا بَهَ
فَانْصُرْ فَأَعْنَهُ وَدُعَاهُ .

قَالَ : نَخْرَجْنَا نَسْأَلُهُ حَتَّى جِئْنَاهُ ، فَإِذَا هُوَ بِفَنَاءِ دَارِهِ عَلَى طِنْفَسَةِ لَهُ ، وَإِذَا شَيْخٌ
كَبِيرٌ مُثْلِ الْبَعَاثَ ، وَإِذَا هُوَ صَاحِحٌ لَا بَأْسَ بِهِ ، فَلَمَّا اتَّهَيْنَا إِلَيْهِ سَلَّمَنَا عَلَيْهِ .

فَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَدَى فَقَالَ ابْنُ عَدَى بْنِ الْخِيَارِ أَنْتَ ؟ قَالَ : نَعَمْ .
قَالَ : أَمَّا وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُكَ مِنْذِ نَأْوَلْتُكَ أَمَّا أُمَّكَ السَّعْدِيَّةُ الَّتِي أَرْضَعْتُكَ بَذِي طُوَّى ، فَإِنِّي
نَأْوَلْتُكَهَا وَهِيَ عَلَى بَعِيرِهَا فَأَخْذَتُكَ بِعُرْضِيَّكَ فَلَمَعْتَ لِي قَدْمَاكَ حَتَّى رَفَعْتُكَ إِلَيْهَا ،
فَوَاللَّهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ وَقَتَتْ عَلَى فَرْقَتِهِما !

قَالَ : خَلَسْنَا إِلَيْهِ فَقَلَّا : جَئْنَاكَ لِتَحْدِّثَنَا عَنْ قَتْلِ حَمْزَةَ ، كَيْفَ قُتْلَهُ ؟

فقال : أما إني سأحذّركا كما حدثتُ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين سألني عن ذلك .

كفت غلاماً لجبيـر بن مطعم ، وكان عمـه طعـيمـة بن عـدـى قد أصـيب يومـ بـدرـ ، فـلـما سـارـت قـريـشـ إـلـى أحـدـ قالـ لـى جـبـيرـ : إـنـ قـتـلـتـ حـمـزـةـ عـمـ مـحـمـدـ بـعـمـيـ فـأـنـتـ عـقـيقـ .

قالـ : خـرـجـتـ مـعـ النـاسـ ، وـكـفـتـ رـجـلاـ حـبـشـيـاـ أـقـذـفـ بـالـخـرـبـةـ قـدـفـ الـحـبـشـةـ قـلـ ماـ أـخـطـيـ بـهـ شـيـئـاـ ، فـلـماـ لـقـىـ النـاسـ خـرـجـتـ أـنـظـرـ حـمـزـةـ وـأـتـبـصـرـهـ ، حـتـىـ رـأـيـهـ فـيـ عـرـضـ النـاسـ كـأـنـهـ الجـلـ الأـورـقـ يـهـذـ النـاسـ بـسـيـفـهـ هـدـاـ مـاـ يـقـومـ لـهـ شـيـءـ ، فـوـالـلـهـ إـنـيـ لـأـتـهـيـأـ لـهـ أـرـيـدـهـ وـأـسـتـرـ مـنـهـ بـشـجـرـةـ أـوـ بـحـجـرـ لـيـدـنـوـ مـنـيـ ، إـذـ تـقـدـمـنـيـ إـلـيـهـ سـبـاعـ بـنـ عـبـدـ العـزـىـ ، فـلـماـ رـأـهـ حـمـزـةـ قـالـ : هـلـ إـلـىـ يـاـ بـنـ مـقـطـعـةـ الـبـظـورـ . قـالـ : فـضـرـ بـهـ ضـرـبـةـ كـأـنـاـ أـخـطـأـ رـأـسـهـ ، قـالـ : وـهـزـتـ حـرـبـتـ حـتـىـ إـذـ رـضـيـتـ مـنـهـ دـفـعـتـهـ عـلـيـهـ فـوـقـعـتـ فـيـ ثـنـقـهـ ، حـتـىـ خـرـجـتـ مـنـ بـيـنـ رـجـلـيـهـ ، وـذـهـبـ لـيـنـوـ نـحـوـ فـغـلـبـ ، وـتـرـكـتـهـ وـإـلـيـاهـ حـتـىـ مـاتـ ، ثـمـ أـتـيـتـهـ فـأـخـذـتـ حـرـبـتـ ثـمـ رـجـعـتـ إـلـىـ الـعـسـكـرـ وـقـعـدـتـ فـيـهـ ، وـلـمـ يـسـكـنـ لـىـ بـغـيـرـهـ حـاجـةـ ، إـنـما قـتـلـتـهـ لـأـعـتـقـ .

فـلـماـ قـدـمـتـ مـكـةـ عـنـقـتـ ، ثـمـ أـقـتـ ، حـتـىـ إـذـ اـفـتـقـحـ رـسـولـ اللـهـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ مـكـةـ هـرـبـتـ إـلـىـ الطـائـفـ ، فـكـتـ بـهـ ، فـلـماـ خـرـجـ وـفـدـ الطـائـفـ إـلـىـ رـسـولـ اللـهـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ لـيـسـلـمـواـ تـعـيـتـ عـلـىـ المـذاـهـبـ ، فـقـلـتـ : أـلـحـقـ بـالـشـامـ أـوـ بـالـيـمنـ أـوـ بـعـضـ الـبـلـادـ ، فـوـالـلـهـ إـنـيـ لـفـيـ ذـلـكـ مـنـ كـمـمـيـ إـذـ قـالـ لـىـ رـجـلـ : وـيـحـكـ ! إـنـهـ وـالـلـهـ لـاـ يـقـتـلـ أـحـدـاـ مـنـ النـاسـ دـخـلـ فـيـ دـيـنـهـ وـشـهـدـ شـهـادـةـ الـحـقـ .

قـالـ : فـلـمـ قـالـ لـىـ ذـلـكـ خـرـجـتـ حـتـىـ قـدـمـتـ عـلـىـ رـسـولـ اللـهـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ الـمـدـيـنـةـ فـلـمـ يـرـعـهـ إـلـاـ بـيـ قـائـمـاـ عـلـىـ رـأـسـهـ أـشـهـدـ شـهـادـةـ الـحـقـ ، فـلـمـ أـرـآـنـيـ قـالـ لـىـ : أـوـحـشـيـ أـنـتـ ؟ قـلـتـ : نـعـمـ يـاـ رـسـولـ اللـهـ . قـالـ : أـقـعـدـ خـدـنـيـ كـيـفـ قـتـلـتـ حـمـزـةـ ؟

قال : خدّثتُه كـا حدّثـتـكـا ، فلـمـا فرـغـتـ منـ حـدـيـثـيـ قال : وـيـحـكـ غـيـبـ عنـيـ وجـهـكـ فـلاـ أـرـيـنـكـ !

قال : فكنت أتنة كَبُّ رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث كان إثلا يرانی ، حتى
قبضه الله عز وجل .

فَلَمَّا خَرَجَ الْمُسَلَّمُونَ إِلَى مَسِيلَمَةِ الْكَذَابِ صَاحِبِ الْيَامَةِ خَرَجَتْ مَعْهُمْ وَأَخْدَتْ حَرْبَتِي الَّتِي قَتَلْتُ بِهَا حَمْزَةَ ، فَلَمَّا تَقْرَئَ النَّاسُ رَأَيْتُ مَسِيلَمَةَ قَائِمًا وَبِيَدِهِ السِّيفَ ، وَمَا أَعْرِفُهُ ، فَتَهَمَّأْتُ لَهُ وَتَهَمَّأْتُ لَهُ رَجُلٌ مِّنَ الْأَنْصَارِ مِنَ النَّاحِيَةِ الْأُخْرَى ، كَلَانَا يَرِيدُهُ ، فَهَزَّتْ حَرْبَتِي حَتَّى إِذَا رَضَيْتُ مِنْهَا دَفْعَتْهَا عَلَيْهِ فَوَقَعَتْ فِيهِ ، وَشَدَّ عَلَيْهِ الْأَنْصَارِي بِالسِّيفِ ، فَرَبِّكَ أَعْلَمُ أَيُّهُنَا قَتَلَهُ ، فَإِنْ كَفَتْ قَتْلُهُ فَقَدْ قَتَلْتُ خَيْرَ النَّاسِ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَقُتِلَتْ شَرَّ النَّاسِ !

قلت : الأنصارى هو أبو دجابة سماك بن خرشة .

وقال الواقدي في الرَّدَّةِ : هو عبد الله بن زيد بن عاصِي المازني . وقال سيف بن عمرو : هو عدى بن سهل . وهو القائل :

ألم تر أن ووحشيم قتلت مسيمة المفتتن
وبالتالي الناس عن فقل له فقلت: أخبرت وهذا طعن

والمشهور أن وحشياً هو الذي بدره بالضربة ودفع عليه أبو دجانة ، إمام روى ابن إسحاق ، عن عبد الله بن الفضل ، عن سليمان بن يسّار ، عن ابن عمر قال : سمعت صارخاً يوم اليمامة يقول : قتل العبد الأسود .

* * *

وقد روى البخاري قصةً مقتل حمزة من طريق عبد العزيز من عبد الله بن أبي سلمة

الماجشون ، عن عبد الله بن الفضل ، عن سليمان بن يسأر ، عن جعفر بن عمرو بن أمية الصّمْرِي ، قال : خرجت مع عبد الله بن عدى بن الحياز . فذَكَر القصة كَا تقدَم . وذَكَر أنَّ عبد الله بن عدى كان مُعْتَجِراً عَامَةً لَا يرَى منه وحشى إِلَّا عينيه ورجليه ، فذَكَر من معرفته له ما تقدَم .

وَهَذِهِ قِيَافَةٌ عَظِيمَةٌ ، كَمَا عُرِفَ بُجَزُّ الْمُذْلِجِي أَقْدَامَ زِيدٍ وَابْنِهِ أَسَمَّةَ مَعَ اخْتِلَافِ أَوْانِهِمَا .

وَقَالَ فِي سِيَاقَتِهِ : فَلَمَّا أَنْ صُفَّ النَّاسُ لِلقتالِ خَرَجَ سَبَاعَ فَقَالَ : هَلْ مِنْ مُبَارِزٍ ؟ بَخْرَجَ إِلَيْهِ حِزَّةُ بْنِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ فَقَالَ لَهُ : يَاسِبَاعَ يَا بْنَ أَمِّ الْمُنَارِ مُقْطَعَةُ الْبَظُورِ ، أَنْهَادَ اللَّهُ وَرَسُولَهُ ؟ ! ثُمَّ شَدَّ عَلَيْهِ فَكَانَ كَأْسِ الْمُذَاهِبِ !

قَالَ : وَكَمْفَتُ لَحْزَةً تَحْتَ صَخْرَةً ، فَلَمَّا دَنَى مِنِي رَمَيْتُهُ بِحَرْبِتِي فَأَضَعَهَا فِي ثُدْثَةٍ ، حَتَّى خَرَجَتْ مِنْ بَيْنِ وَرَكِيهِ ، قَالَ : فَكَانَ ذَلِكَ آخِرَ الْعَهْدِ بِهِ .

إِلَى أَنْ قَالَ : فَلَمَّا قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَخَرَجَ مُسِيلَمَةُ الْكَذَابُ فَقَالَتْ لِأَخْرَجَ إِلَى مُسِيَّامَةَ لَعْلَى أَقْتَلَهُ فَأَكَافِئُ بِهِ حِزَّةً . قَالَ : فَخَرَجَتْ مَعَ النَّاسِ فَكَانَ مِنْ أَمْرِهِ مَا كَانَ . قَالَ : فَإِذَا رَجَلٌ قَائِمٌ فِي ثَلْمَةٍ جِدَارٌ كَأَنَّهُ جَلَّ أَوْرَقَ ثَائِرَ الرَّأْسِ ، قَالَ : فَرَمَيْتُهُ بِحَرْبِتِي فَأَضَعَهَا بَيْنَ ثَدْنَيْهِ حَتَّى خَرَجَتْ مِنْ [بَيْنَ] ^(١) كَتْفِيهِ ، قَالَ : وَوَثَبَ إِلَيْهِ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَضَرَبَهُ بِالسَّيْفِ عَلَى هَامَتِهِ .

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْفَضْلِ : فَأَخْبَرَنِي سَلِيمَانُ بْنُ يَسَّارٍ أَنَّهُ سَمِعَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍ يَقُولُ :

فَقَالَتْ جَارِيَةٌ عَلَى ظَهَرِ الْبَيْتِ : وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنَاتِ ^(٢) ! قَتَلَهُ الْعَبْدُ الْأَسْوَدُ .

قَالَ ابْنَ هَشَامَ : فَبَلَغَنِي أَنَّ وَحْشِيَاً لَمْ يَرِزِلْ يُحَدَّثُ فِي الْمَرْحَى حَتَّى خُلِّمَ مِنَ الْدِيوَانِ ، فَكَانَ عَمَرُ بْنُ الْخَطَابِ يَقُولُ : قَدْ قَاتَ إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُنْ لِيَدْعَ قَاتِلَ حِزَّةَ !

(١) مِنْ صَحِيفَةِ الْبَخَارِيِّ . (٢) الْبَخَارِيُّ : وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنَاتِ .

قلت : وتوفى وحشى بن حرب ، أبو دسمة ، ويقال أبو حرب ، بمحصن ، وكان أول من لبس الثياب المدلوكية .

* * *

قال ابن إسحاق : وقاتل مصعب بن عمير دون رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى
قتل . وكان الذي قتله ابن قميئه الليثي ، وهو يظن أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
فرجم إلى قريش فقال : قلت ممداً .

قلت : وذَكْرُ مُوسَى بْنِ عَقْبَةَ فِي مَفَازِيهِ عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ أَنَّ الَّذِي قُتِلَ مُصْبِبًاً
هُوَ أَبُو ظَيْبٍ بْنُ خَلْفٍ . فَاللَّهُ أَعْلَمُ .

قال ابن إسحاق : فلما قُتِلَ مصعبُ بْنُ عَمِيرٍ أُعْطِيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اللِّوَاءَ عَلَيْهِ بْنُ أَبِي طَالِبٍ .

وقال يonus بن بُكير عن ابن إسحاق : كان اللواء أولاً مع على بن أبي طالب ، فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم لواء المشركين مع عبد الدار قال : نحن أحق باللواء منهم ، أخذ اللواء من على بن أبي طالب فدفعه إلى مصعب بن عمير ، فلما قتل مصعب أعطى اللواء على بن أبي طالب .

قال ابن إسحاق : قاتل علي بن أبي طالب ورجالٌ من المسلمين .

قال ابن هشام : وحدثني مسامة بن علقة المازني ، قال : لما اشتدَّ القتالُ يومَ أحد جلس رسولُ الله صلى الله عليه وسلم تحت راية الأنصار ، وأرسل إلى عليٍّ : أنْ قدمَ الراية . فقدم على وهو يقول : أنا أبو القصْم . فناداه أبو سعد بن أبي طالب ، وهو صاحب لواء المشركين : هل لك يا أبو القصْم في البِرَاز من حاجة؟ قال : نعم . فبَرَزَا بينَ الصَّفَيْن ، فاختلغا ضربتين ، فضر به على " فصرعه ، ثم انصرف ولم يجهز عليه .

قال له بعض أصحابه : أفلأ جهزتَ عليه ؟ قال : إنه استقبلني بعورته فغضبتُ منه . عليه الرَّحْمُ وعرفتُ أنَّ الله قد قتله .

وقد فعل ذلك على رضى الله عنه يوم صيفٍ مع بُسر بن أبي أرطاة لما حمل عليه ليقتله أبدى له عورته فرجع عنه .

وكذلك فعل عمرو بن العاص حين حمل عليه على في بعض أيام صيفين أبدى عن عورته فرجع على أيضاً . ففي ذلك يقول الحارث بن النضر :

أفِ^(١) كُلُّ يَوْمٍ فَارِسٌ غَيْرُ مُفْتَهٍ وَعُورَتُهُ وَسْطَ الْمَجَاجَةِ بَادِيَهُ
يَكْفُ لَهَا عَنْهُ عَلَى سِنَاهَهُ وَيَضْحِكُ مِنْهَا فِي الْخَلَاءِ مَعَاوَيَهُ !

وذكر بونس عن ابن إسحاق ، أن طلحة بن أبي طلحة العبدري حامل لواء المشركين يومئذ دعا إلى البراز فأخجم عنده الناس ، فبهرز إليه الزبير بن العوام فوثب حتى صار معه على جمله ، ثم اقتصر به الأرض فألقاه عنه وذبحه بيده ، فأثنى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن لكل نبي حوارياً وحواري الزبير » وقال : لم يبرز إليه ليرزت أنا إليه لما رأيت من إخجام الناس عنه .

وقال ابن إسحاق : قتل أبا سعد بن أبي طلحة سعد بن أبي وقاص .

وقاتل عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح فقتل نافع بن أبي طلحة وأخاه الحالس ، كلّا هما يشعره سهماً فيأتي أمّه سلافة فيضع رأسه في حجرها ، فتقول : يا بني من أصابك ؟ فيقول : سمت رجلاً حين رماني يقول : خذها وأنا ابن أبي الأقلح . فندرت إن أمكنها الله من رأس عاصم أن تشرب فيه الماء .

وكان عاصم قد عاهد الله لا يمس مشركاً أبداً ولا يتسم . وهذا حماه الله منه يوم الرأي جميع كاسياتي .

قال ابن إسحاق : والتقى حنظلة بن أبي عامر ، واسميه عمرو ، ويقال عبد عمرو بن صحيف ، وكان يقال لأبي عامر في الجاهلية الراهن ، لكثره عبادته ، فسماه رسول الله

(١) الأصل : أتى . وهو تعريف . وما أثبتته عن الروايات الأربع / ٢ .

صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْفَاسِقُ ، لَمَّا خَالَفَ الْحَقَّ وَأَهْلَهُ وَهَرَبَ مِنَ الْمَدِينَةِ هَرَبًا مِنَ الْإِسْلَامِ وَمُخَالَفَةً لِلنَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ . وَحَفْظَةُ الدِّينِ يُعْرَفُ بِحَفْظِهِ الْفَسِيلِ ، لِأَنَّهُ غَسْلَتِهِ الْمَلَائِكَةُ . كَمَا سَيَّأَتِيَ . هُوَ وَأَبُو سَفِيَّانَ صَخْرُ بْنُ حَرْبٍ ، فَلَمَّا عَلِمَ حَفْظَةُ الدِّينِ رَأَاهُ شَدَّادَ الْأُوسَ ، وَهُوَ الَّذِي يُقَالُ لَهُ ابْنُ شَعْوَبَ ، فَضَرَّ بِهِ شَدَّادُ فَقْتَلَهُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّ صَاحِبَكُمْ لِتَغْسِلَهُ الْمَلَائِكَةُ ، فَاسْأُلُوا أَهْلَهُ مَا شَأْنُهُ؟ » .

فَسُئِلَتْ صَاحِبَتِهِ . قَالَ الْوَاقِدِيُّ : هِيَ جَمِيلَةُ بَنْتِ أَبِي بَنْ سَلَولَ وَكَانَتْ عَرَوْسًا عَلَيْهِ تَلَكَ الْيَمِيلَةَ .

فَقَالَتْ : خَرَجَ وَهُوَ جُنْبٌ حِينَ سَمِعَ الْمَاهِفَةَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : كَذَلِكَ غَسْلَتِهِ الْمَلَائِكَةُ !

وَقَدْ ذَكَرَ مُوسَى بْنُ عَقْبَةَ أَنَّ أَبَاهُ ضَرَبَ بِرِجْلِهِ فِي صَدْرِهِ ، فَقَالَ : ذَنْبَانِ أَصْبَاهُمَا ، وَلَقَدْ نَهَيْتُكَ عَنِ مَصْرِعِكَ هَذَا ، وَلَقَدْ وَاللَّهُ كَفَّتْ وَصَوْلَا لِلرَّحْمَ بَرَّا بِالْوَالِدِ .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَقَالَ ابْنُ شَعْوَبَ فِي ذَلِكَ :

لَأَحْمِينَ صَاحِبِي وَنَفْسِي بِطَعْنَةٍ مِثْلِ شَعَاعِ الشَّمْسِ

وَقَالَ ابْنُ شَعْوَبَ :

وَلَوْلَا دَفَاعِي يَا بْنَ حَرْبٍ وَمَشْهَدِي لَأَنْفَيْتَ يَوْمَ النَّعْفِ^(١) غَيْرِيَ حُجَّيبِ

وَلَوْلَا مَكْرَرِيَ الْمُهُرَّ^(٢) بِالنَّعْفِ فَرَفَرَتْ^(٣) عَلَيْهِ ضِيَاعَ^(٤) أَوْ ضَرَاءَ^(٥) كَلِيبَ^(٦)

وَقَالَ أَبُو سَفِيَّانَ :

وَلَوْ شِئْتُ نَجَّيْتُنِي كَمِيَّتِي^(٧) : طِمْرَة^(٨) وَلَمْ أَخْجُلْ النَّعَاءَ لَابْنِ شَعْوَبِ^(٩)

(١) النَّعْفُ : مَا أَنْهَدَ مِنْ حَزْوَنَةِ الْجَبَلِ (٢) فَرَفَرَتْ : أَسْرَعَتْ وَظَاشَتْ . وَفِي ابْنِ هَشَامَ :

فَرَفَرَتْ . بِالنَّفَافِ . (٣) ابْنُ هَشَامَ : ضِيَاعَ عَلَيْهِ (٤) الضَّرَاءُ : الْفَهَارِيَّةُ مِنَ الْكَلَابِ .

(٥) الطِّمْرَةُ : الْخَرْسُ الْمُسْرِعُ الْجَرَى .

وَمَا زَالَ مُهْرِزِي مَرْجِرَ الْكَلْبِ مِنْهُمْ
أَفَاتَلَهُمْ وَأَدْعَى يَا فَالْبِ
فَبَكَّى وَلَا تَرَعَى مَقَالَةً عَادِلَ
أَبَاكِ وَإِخْوَانِهِ لَهُ قَدْ تَتَابَعُوا
وَسَلَّى الَّذِي قَدْ كَانَ فِي النَّفْسِ أَنْتِي
وَمِنْ هَاشِمٍ قَرْمَامٌ^(١) كَرِيْنَا وَمُضَعَّبَا
فَلَوْ أَنِّي لَمْ أَشْفِ نَفْسِي مِنْهُمْ
فَاسْبَوْا وَقَدْ أَوْدَى الْجَلَابِيْبُ مِنْهُمْ
أَصَابَهُمْ مِنْ لَمْ يَكُنْ لَدَمَاهُمْ
فَأَجَابَهُ حَسَانُ بْنُ ثَابَتَ :

ذَكَرْتَ الْقَرْوَمَ الصَّيْدَ مِنْ آلِ هَاشِمٍ
أَنْعَجَبَ أَنْ أَفْصَدْتَ حَمْزَةَ مِنْهُمْ
أَلَمْ يَقْتَلُوا سَعْرًا وَعَتْبَةَ وَابْنَ حَبِيبٍ
غَدَاءَ دُعَا الْعَاصِي عَلَيْهَا فَرَاعَهُ

فصل

قال ابن إسحاق : ثم أنزل الله نصره على المسلمين ، وصدّقهم وعده ، فجحش وهم بالسيوف حتى يكشفوهم عن العسكر ، وكانت المهزيمة لا شك فيها .

وحدثني يحيى بن عباد بن الزبير ، عن أبيه عباد ، عن عبد الله بن الزبير ، عن الزبير ، قال : والله لقدرأ يتنى أنظر إلى خدام^(٣) هند بنت عتبة وصواتها مشمرات هوارب ،

(١) القرم : السيد . (٢) الخدب : الهوج . والمعبط . الذي يسائل دمه . (٣) الخدم : السوق .

مادون أخذهن قليلٌ ولا كثير ، إذ مالت الرماةُ على العسكر حين كشفنا القومَ عنه
وخلوا ظهورنا للخيل ، فأتينا من خلفنا ، وصرخ صارخ : ألا إنَّ مُحَمَّداً قد قُتُلَ .
فانكفأنا وانكفا القومُ علينا ، بعد أن أصْبَنَا أصحابَ اللواء ، حتى ما يدْنُو
منه أحدٌ منهم .

خدشني بعض أهل العلم ، أن اللواء لم يزَلْ صريحاً حتى أخذته عمرة بنت علقمة
الحارثية فرفعته لقريش فلأثروا به ، وكان اللواء مع صواب ، غلام لبني أبي طلحة جبشي ،
وكان آخر من أخذه منهم ، فقاتل به حتى قطعت يده ، ثم برَّك عليه ، فأخذ اللواء
بصدره وعنقه حتى قُتل عليه وهو يقول : اللهم هل أعزَّرتَ . يعني : اللهم
هل أعذرتَ .

فقال حسان بن ثابت في ذلك :

نَخْرَتِمْ بِاللَّوَاءِ وَشَرِّيْخَرِ
لَوَاءِ حِينَ رُدَّ إِلَى صَوَابِ
جَعَلَتِمْ فَخْرَكُمْ فِيهِ لَعْبَدِ
وَالْأَمَّ مَنْ يَطَا عَفْرَ التَّرَابِ
ظَفَنَتِمْ وَالسَّفَيْهُ لَهُ ظُنُونُ
بَأْنَ جَلَادَنَا يَوْمَ التَّقِيَّةِ
أَقْرَ العَيْنَ أَنْ عَصِبَتْ يَدَاهِ
وَقَالَ حَسَانٌ أَيْضًا فِي رفع عمرة بنت علقمة اللواء لهم :

(١) جدایة شرک معلمات الحواجب
إذا عَصَلْ سَيَقْتَ إِلَيْنَا كَانَهَا
وَحْزَنَاهُمْ بِالضَّرْبِ مِنْ كُلِّ جَانِبِ
أَقْفَنَا لَهُمْ طَعْنَانَا مُبِيرًا مِنْ كُلِّا
فَلَوْلَا لَوَاءَ الْحَارِثِيَّةِ أَصْبَحُوا

* * *

قال ابن إسحاق : فانكشَفَ المُسلِّمُونَ وأصحابُهُمْ العدوُ ، وكان يوم بلاء

(١) الجدایة : الغزال . وشرک : موضع .

وتحقيق ، أَكْرَمَ اللَّهُ فِيهِ مَنْ أَكْرَمَ بِالشَّهَادَةِ ، حَتَّىٰ خَلَصَ الْمُدُوْبِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَدَعَ بِالْحَجَارَةِ حَتَّىٰ وَقَعَ لِشَقَّهُ ، فَأَصَبَّتْ رِبَاعِيَّتَهُ وَشَجَّهَ فِي وَجْهِهِ وَكَلِمَتْ شَفَقَهُ ، وَكَانَ الَّذِي أَصَابَهُ عَتَبَةُ بْنُ أَبِي وَقَاصٍ .

خَدْنَىٰ حُمَيْدَ الطَّوَيْلَ ، عَنْ أَنَسَ بْنِ مَالِكٍ قَالَ : كَسَرَتْ رِبَاعِيَّةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ أَحَدٍ وَشَجَّهَ فِي وَجْهِهِ ، فَجَعَلَ يَسْعِي الدَّمَ وَيَقُولُ : كَيْفَ يَفْلُحُ قَوْمٌ خَضَبُوا وَجْهَ نَبِيِّهِمْ وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ . فَأَنْزَلَ اللَّهُ : « لَيْسَ لَكُمْ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذَّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ » .

قَالَ ابْنُ جَرِيرَ فِي تَارِيْخِهِ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسِينِ ، حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ الْفَضْلِ ، حَدَّثَنَا أَسْبَاطُ ، عَنِ السُّدَىِّ ، قَالَ أَتَى ابْنُ قَتَّةِ الْحَارِنِ فَرَمَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِحَجْرٍ فَكَسَرَ أَنْفَهُ وَرِبَاعِيَّتَهُ وَشَجَّهَ فِي وَجْهِهِ فَأَنْقَلَهُ ، وَتَفَرَّقَ عَنْهُ أَصْحَابُهُ وَدَخَلَ بَعْضُهُمْ الْمَدِينَةَ وَانْطَلَقَ طَافِئَةً فَوْقَ الْجَبَلِ إِلَى الصَّخْرَةِ ، وَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْعُو النَّاسَ : إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ ، إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ . فَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ ثَلَاثُونَ رَجُلًا ، فَجَعَلُوا يَسِيرُونَ بَيْنَ يَدِيهِ فَلَمْ يَقْفِ أَحَدٌ إِلَّا طَلَحَةُ وَسَهْلُ بْنُ حَنْيَفَ ، فَخَاهَ طَلَحَةُ فَرُمِيَ بِسَبْطِهِ فِي يَدِهِ فَيَبْسُطُ يَدَهُ ، وَأَقْبَلَ أَبْيَ بْنُ خَلْفَ الْجَمْعِيِّ وَقَدْ حَلَفَ لِيَقْتَلَنِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : بَلْ أَنَا أَقْتَلُهُ . فَقَالَ : يَا كَذَابَ أَيْنَ تَفَرَّتَ ، فَخَمَلَ عَلَيْهِ فَطَعَنَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي جَيْبِ الدَّرَعِ بَخْرَحَ جَرَحًا خَفِيفًا فَوَقَعَ يَخْنُورُ خُوارُ الثُّورِ فَاحْتَمَلَهُ ، وَقَالُوا : لَيْسَ بِكَ جَرَاحَةٌ نَمَا يَجْزِعُكَ ؟ قَالَ : أَلَيْسَ قَالَ لِأَقْتَلَنِكَ ! لَوْ كَانَتْ تَجْتَمِعُ رِبَيعَةُ وَمُضَرُّ لِقَتْلَاهُمْ . فَلَمْ يَلْبِثْ لَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ حَتَّىٰ مَاتَ مِنْ ذَلِكَ الْجَرَحِ .

وَفَسَّا في النَّاسِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُدِّمَ قُتْلًا ، فَقَالَ بَعْضُ أَصْحَابِ الصَّخْرَةِ : لَيْتَ لَنَا رَسُولًا إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي فَيَا خَذْ لَنَا أَمْمَةً مِنْ أَبْيَ سَفِيَّانَ ، يَا قَوْمَ إِنَّمَا قُدِّمَ قُتْلًا فَارْجِعُوكُمْ إِلَى قَوْمِكُمْ قَبْلَ أَنْ يَأْتُوكُمْ فَيَقْتُلُوكُمْ .

فقال أنس بن النضر : يا قوم إنَّ كَانَ مُحَمَّدًا قُتُلَ فَإِنَّ رَبَّ مُحَمَّدٍ لَمْ يُقْتَلْ ، فَقَاتَلُوا عَلَى مَا قاتَلُوا عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعْتَذُرُ إِلَيْكَ مَا يَقُولُ هُؤُلَاءِ وَأَبْرَأُ إِلَيْكَ مَا جَاءَ بِهِ هُؤُلَاءِ . ثُمَّ شَدَّ بِسِيفِهِ فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ !

وَانْطَلَقَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْعُ النَّاسَ حَتَّى اتَّهَى إِلَى أَصْحَابِ الصَّخْرَةِ ، فَلَمَّا أَوْهَ وَضَمَرْ جَلْسَهُمَا فِي قَوْسِهِ يَرْمِيهِ فَقَالَ : أَنَا رَسُولُ اللَّهِ . فَفَرَحُوا بِذَلِكَ حِينَ وَجَدُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَفَرَحَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ رَأَى أَنَّ فِي أَصْحَابِهِ مَنْ يَقْنَعُ بِهِ ، فَلَمَّا اجْتَمَعُوا وَفِيهِمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَهَبَ عَنْهُمُ الْحَزَنُ ، فَأَقْبَلُوا يَذْكُرُونَ الْفَتْحَ وَمَا فَاتَهُمْ مِنْهُ وَيَذْكُرُونَ أَصْحَابَهُمُ الَّذِينَ قُتُلُوا .

فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي الَّذِينَ قَالُوا : إِنَّ مُحَمَّدًا قُدْ قُتُلَ فَارْجُوا إِلَى قَوْمِكُمْ : « وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَّتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّشْدُ » الآية .

فَأَقْبَلَ أَبُو سَفِيَّانَ حَتَّى أَشْرَفَ عَلَيْهِمْ ، فَلَمَّا نَظَرُوا إِلَيْهِ نَسُوا ذَلِكَ الَّذِي كَانُوا عَلَيْهِ وَهُمْ أَبُو سَفِيَّانَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « لَيْسَ لَهُمْ أَنْ يَعْلَمُوا ، اللَّهُمَّ إِنْ تُقْتَلُ هَذِهِ الْمَصَابَةُ لَا تُبْعَدُ فِي الْأَرْضِ » . ثُمَّ نَدَبَ أَصْحَابَهُ فَرَمَوْهُمْ بِالْحَجَّارَةِ حَتَّى أَنْزَلُوهُمْ .

فَقَالَ أَبُو سَفِيَّانَ يَوْمَئِذٍ : أَعْلَمُ هُبَيلٌ ، حَنْظَلَةٌ بِحَنْظَلَةٍ ، وَيَوْمٌ أَحَدٌ يَوْمٌ بَدْرٌ .
وَذَكَرَ تَمَامَ الْقَصَّةِ . وَهَذَا غَرِيبٌ جَدًّا وَفِيهِ نَكَارَةٌ .

* * *

قال ابن هشام : وَزَعْمَ رَبِيعَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنَ أَبِي سَعِيدٍ ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ ، أَنَّ عَقِيمَةَ بْنَ أَبِي وَقَاصٍ رَمَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكَسَرَ رِبَاعِيَّتَهُ الْيَنْبِيَّ السَّفْلِيَّ وَجَرَحَ شَفَتَهُ السَّفْلِيَّ ، وَأَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ شَهَابَ الزَّهْرَى شَجَّهَ فِي جَبَّتِهِ ، وَأَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ قَنْتَةَ جَرَحَ وَجْنَتَهُ فَدَخَلَتْ حَلْقَتَانِ مِنْ حَلْقِ الْمِغْفَرِ فِي وَجْنَتِهِ ، وَوَقَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ

عليه وسلم في حفرة من الحفر التي عملها أبو عامر ليقع فيها المسلمين فأخذ على بن أبي طالب بيده ورفمه طلحة بن عبيد الله حتى استوى قائمًا، ومص مالك بن سنان أبو أبي سعيد الدم من وجهه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ازدرده فقال: من مس دمه دمى لم تنسسه النار.

قلت: وذكر قتادة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما وقع لشهه أغمى عليه، فمر به سالم مولى أبي حذيفة فأجلسه ومسح الدم عن وجهه، فأفاق وهو يقول: كيف يُفلاح قوم فعلوا هذا ببنبيهم وهو يدعوهم إلى الله. فأنزل الله: «ليس لك من الأمر شيء» الآية.

رواه ابن جرير وهو مرسل، وسيأتي بسط هذا في فصل وحده.

قلت: كان أول النهار للMuslimين على الكفار، كما قال الله تعالى «ولقد صدّقكم الله وعده إذ تحسونهم بإذنه حتى إذا فشلت وتنازعتم في الأمر وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون، منْسِكُمْ من يريده الدنيا ومنكم من يريده الآخرة، ثم صرَّفْتُمْ عنهم لِيُبَتَّلِيكُمْ، ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين إذ تصعدون ولا تلُون على أحدٍ والرسول يدعوكم في آخركم فأتابكم غمًا بعنة» الآية.

* * *

قال الإمام أحمد: حدثنا سليمان بن داود، أخبرنا عبد الرحمن بن أبي الزناد، عن أبيه، عن عبيد الله، عن ابن عباس، أنه قال: مانصر الله في موطن كأنه يوم أحد.

قال: فأنا كُرْنَا ذلك. فقال: بَيْنِي وبين من أَنْكَرَ ذلك كتاب الله: إن الله يقول في يوم أحد: «ولقد صدّقكم الله وعده إذ تحسونهم بإذنه» يقول ابن عباس: وأَلْحَسَ القتل «حتى إذا فشلت» إلى قوله «ولقد عفا عنكم والله ذو فضل

على المؤمنين » وإنما عني بهذا الرماة وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم أقامهم في موضع
نَّمْ قال : احْوَا ظهُورَنَا ، فَإِنْ رأَيْتُمُونَا قُتُلْ فَلَا تَنْصُرُونَا ، وَإِنْ رأَيْتُمُونَا قُتُلْ
فَلَا تَشْرِكُونَا .

فَلَمَّا غَنِمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبْاحَوْا عَسْكَرَ الْمُشْرِكِينَ أَكْبَرَ الرَّمَاءَ جَمِيعًا ،
فَدَخَلُوا فِي الْعَسْكَرِ يَنْهَبُونَ ، وَقَدْ التَّقَتْ صَفَوْفُ أَحَادِيبِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،
فَهُمْ هَكُذا ، وَشَبَّئِكَ بَيْنَ أَصَابِعِ يَدِيهِ ، وَالْتَّبَسُوا .

فَلَمَّا أَخْلَى الرَّمَاءَ تَلَكَ الْحَسْلَةَ الَّتِي كَانُوا فِيهَا دَخَلَتِ الْخَلِيلُ مِنْ ذَلِكَ الْمَوْضِعِ عَلَى
أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَضَرَبَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ، فَالْتَّبَسُوا وَقُتُلَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ نَاسٌ
كَثِيرٌ ، وَقَدْ كَانَ لِرَسُولِ اللَّهِ وَأَصْحَابِهِ أَوْلُ النَّهَارِ ، حَتَّى قُتِلَ مِنَ أَصْحَابِ لَوَاءِ الْمُشْرِكِينَ
سَبْعَةً أَوْ تِسْعَةً ، وَجَالَ الْمُسْلِمُونَ جَوْلَةً نَحْوَ الْجَبَلِ وَلَمْ يَبْلُغُوا حِيثُ يَقُولُ النَّاسُ الْفَارَ ، إِنَّمَا
كَانَ تَحْتَ الْمَهْرَاسِ .

وَصَاحَ الشَّيْطَانُ : قُتُلَ مُحَمَّدٌ ، فَلَمْ يُشَكْ فِيهِ أَنَّهُ حَقٌّ ، فَازْلَنَا كَذَلِكَ مَا نَشَكَ أَنَّهُ
حَقٌّ حَتَّى طَلَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ السَّعْدَيْنِ نَعْرَفُ بِتَكْفِيرِهِ إِذَا مَشَى . قَالَ :
فَقَرَحَنَا كَأَنَّهُ لَمْ يُصِبِّنَا مَا أَصَابَنَا . قَالَ : فَرَقَّ نَحْنُ وَهُوَ يَقُولُ : اشْتَدَ غَضْبُ اللَّهِ عَلَى
قَوْمٍ دَمَوا وَجْهَ رَسُولِ اللَّهِ . وَيَقُولُ مَرَةً أُخْرَى : اللَّهُمَّ إِنَّمَا لَمْ يَعْلَمْ أَنَّ يَعْلَمُونَا . حَتَّى
اَتَهُنَّ إِلَيْنَا .

فَسَكَثَ سَاعَةٌ إِذَا أَبْوَأْ سَفِيَانٌ بِصِيَحَّةٍ فِي أَسْفَلِ الْجَبَلِ : أَعْلَمُ هُبَّلَ ، أَعْلَمُ هُبَّلَ ،
مَرْتَنَ ، يَعْنِي آلَهَتَهُ ، أَيْنَ أَبْنُ أَبِي كَبْشَةَ ؟ أَيْنَ أَبْنُ أَبِي قِحَافَةَ ؟ أَيْنَ أَبْنُ الْخَطَابِ ؟
فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَابَ : أَلَا أَجِبُهُ ؟ قَالَ : بَلِي . قَالَ : فَلَمَا قَالَ : أَعْلَمُ هُبَّلَ قَالَ : اللَّهُ أَعْلَمُ
وَأَجَلُ . قَالَ أَبْوَا سَفِيَانَ : يَا بْنَ الْخَطَابِ قَدْ أَنْعَمْتَ عَيْنَاهَا ^(١) ، فَعَادَ عَنْهَا ، أَوْ فَعَالَ عَنْهَا .

(١) يَرِيدُ الْحَرْبَ . وَفَعَالَ : أَمْرٌ ، أَيْ عَالَ عَنْهَا وَأَقْصَرَ عَنْ لَوْمَهَا .

فقال : أين ابن أبي كبشة أين ابن أبي قحافة ، أين ابن الخطاب ؟ فقال عمر : هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا أبو بكر ، وهأنذا عمر .

قال : فقال أبو سفيان : يوم بدر ، الأيام دُول ، وإن الحرب سِجال .

قال : فقال عمر : لا سواء ، قتلنا في الجنة وقتلتم في النار .

قال : إنكم لترعمن ذلك ، لقد خَبِّنَا إِذْنَ وَخَسَرْنَا !

ثم قال أبو سفيان : أما أنكم سوف تجدون في قتلامكم مُثَلَّة ، ولم يكن ذلك عن رأى سرتانا . قال : ثم أدركته حمبة الجاهنية فقال : أما إنه إنْ كان ذلك لم تَكُرْهْه . وقد رواه ابن أبي حاتم والحاكم في مستدركه والبيهقي في الدلائل من حديث سليمان ابن داود الماشي به .

وهذا حديث غريب ، وهو من مرسالات ابن عباس ، وله شواهد من وجوه كثيرة سنذكر منها ما تيسر إن شاء الله ، وبه الثقة وعليه التكلان . وهو المستعان .

قال البخاري : حدثنا عبد الله بن موسى ، عن إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن البراء ، قال : لقينا المشركين يومئذ ، وأجلس النبي صلى الله عليه وسلم جيشاً من الرماة وأمرَ عليهم عبد الله بن جعير ، وقال : لا تَبْرُحوا ، إن رأيتمونا ظَهَرْنَا عليهم فلا تَبْرُحوا ، وإن رأيتمونا ظَهَرْوا علينا فلا تُعْيِّنُونا .

فَلَمَّا لَقِيَنَا هَرْبَوْا ، حَتَّى رَأَيْتَ النَّاسَ يَشَقِّدُنَّ فِي الْجَبَلِ رُفْعَنَ عَنْ سُوقِهِنَّ قَدْ بَدَتْ خَلَالَهُنَّ ، فَأَخْذُوا يَقُولُونَ : الْفَنِيمَةُ الْفَنِيمَةُ . فَقَالَ عَبْدُ اللهِ : عَهِدْتُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَلَا تَبْرُحُوا . فَأَبْوَأُوا ، فَلَمَّا أَبْرَأُوا صَرِفْتُ وَجْهَهُمْ^(١) .

فَأَصَبَّ سَبْعُونَ قَتِيلًا ، وَأَشْرَفَ أَبُو سَفِيَانَ فَقَالَ : أَفِي الْقَوْمِ مُحَمَّدٌ ؟ فَقَالَ : لَا تَحْبِبُوهُ .

(١) صرفت وجوههم : تخربوا فلم يدرؤوا أين يذهبون .

قال : أَفِ الْقَوْمُ ابْنُ أَبِي قَحْفَةَ ؟ فَقَالَ^(١) : لَا تُحِبُّوْهُ . فَقَالَ : أَفِ الْقَوْمُ ابْنُ الْخَطَابَ ؟
قَالَ : إِنَّ هُؤُلَاءِ قُتُلُوا ، فَلَوْ كَانُوا أَحْيَاءً لَأَجَابُوا .

فَلَمْ يَمْلِكْ سُرُورٌ نَفْسَهُ فَقَالَ : كَذَبْتَ يَا عَدُوَّ اللَّهِ ، أَبْقَى اللَّهُ حَدِيثَ مَا تُحِبُّنِكَ .

فَقَالَ أَبُو سَفِينَانَ : أَعْلَمُ هُبْلَ . فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَجِيبُوهُ . قَالُوا :
مَا تَقُولُ ؟ قَالَ : قَوْلُوا : اللَّهُ أَعْلَمُ وَأَجَلٌ^{*}

فَقَالَ أَبُو سَفِينَانَ : لَنَا الْعَزَّى وَلَا عُزَّى لَكُمْ . فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
أَجِيبُوهُ . قَالُوا : مَا تَقُولُ ؟ قَالَ : قَوْلُوا : اللَّهُ مُوْلَانَا وَلَا مَوْلَى لَكُمْ .

قَالَ أَبُو سَفِينَانَ : يَوْمُ بَدْرٍ ، وَالْحَرْبُ سِجَالٌ ، وَتَجْدُونَ مُشَاهِدَةً لِمَ آمَرْتُ
بِهَا وَلَمْ تَسْوُنِي .

وَهَذَا مِنْ أَفْرَادَ الْبَخَارِيِّ دُونَ مُسْلِمٍ .

وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ : حَدَثَنَا مُوسَى ، حَدَثَنَا زُهْرَةُ ، حَدَثَنَا أَبُو إِسْحَاقُ ، أَنَّ الْبَرَاءَ بْنَ
عَازِبَ قَالَ : جَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الرَّمَاءِ يَوْمَ أُحَدٍ ، وَكَانُوا خَمْسِينَ
رَجُلًا ، عَبْدَ اللَّهِ بْنَ جُبَيرَ ، قَالَ : وَوَضَعُهُمْ مَوْضِعًا وَقَالَ : إِنْ رَأَيْتُمُونَا تَخْفَظُنَا الطَّيْرُ فَلَا
تَبْرَحُوا حَتَّى أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ ، وَإِنْ رَأَيْتُمُونَا ظَهَرَنَا عَلَى الْعُدُوِّ وَأَوْطَانَاهُمْ فَلَا تَبْرَحُوا حَتَّى
أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ .

قَالَ : فَهَرَمُوهُمْ ، قَالَ : فَأَنَا وَاللَّهُ رَأَيْتُ النَّسَاءَ يَسْتَقْدِدُنَّ عَلَى الْجَبَلِ وَقَدْ بَدَتْ
أَسْوَاقُهُنَّ وَخَلَاخِلُهُنَّ رَافِعَاتٍ ثِيَابَهُنَّ .

فَقَالَ أَصْحَابُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جُبَيرٍ : الْغَنِيمَةُ ، أَيْ قَوْمُ الْغَنِيمَةِ ، ظَهَرَ أَصْحَابُكُمْ ، فَا
تَنْظُرُونَ ؟ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنَ جُبَيرٍ : أَنْسَيْتُمْ مَا قَالَ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟
قَالُوا : إِنَّا وَاللَّهُ لَنَا تِينَ النَّاسَ فَلَمْ يَصِّبُنَّ مِنَ الْغَنِيمَةِ .

(١) القائل هو رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فَلَمَّا أَتَوْهُمْ صُرْفَتْ وِجْوَاهِمْ فَأَقْبَلُوا مُنْزَمِينْ ، فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُونَ الرَّسُولَ فِي أُخْرَاهِمْ ، فَلَمْ يَقُلْ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَيْرَ اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلًا ، فَأَصَابُوا مِنَا سَبْعَيْنَ رَجُلًا ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَحْبَابُهُ أَصَابُوا مِنَ الشَّرَكِينَ يَوْمَ بَدرٍ أَرْبَعِينَ وَمِائَةً : سَبْعَيْنَ أَسْتِرَأْ وَسَبْعَيْنَ قَتِيلًا .

فَقَالَ أَبُو سَفِيَّانَ : أَفِ الْقَوْمُ مُحَمَّدٌ ؟ أَفِ الْقَوْمُ مُحَمَّدٌ ؟ ثَلَاثَةٌ ، فَهَمَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَجْمِعُوهُ .

ثُمَّ قَالَ : أَفِ الْقَوْمُ ابْنُ أَبِي قَحْفَةَ ، أَفِ الْقَوْمُ ابْنُ أَبِي قَحْفَةَ ؟ أَفِ الْقَوْمُ ابْنُ الْخَطَابِ ، أَفِ الْقَوْمُ ابْنُ الْخَطَابِ ؟ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى أَحْبَابِهِ فَقَالَ : أَمَّا هُؤُلَاءِ فَقَدْ قُتُلُوا وَقَدْ كَفَيْتُمُوهُمْ . فَمَا مَلِكَ عُمَرَ نَفْسَهُ إِنْ قَالَ : كَذَبْتُ وَاللَّهُ يَا عَدُوَ اللَّهِ ، إِنَّ الَّذِينَ عَدَدْتَ لِأَحْيَاءِ كُلَّهُمْ ، وَقَدْ بَقَ لَكَ مَا يَسُوَّكَ .

فَقَالَ : يَوْمَ بَدر ، وَالْحَرْبُ سِجَالٌ ، إِنْكُمْ سَتَجِدونَ فِي الْقَوْمِ مُمْلَةً لَمْ آمِرْ بِهَا وَلَمْ تَسْوِيْ . ثُمَّ أَخْذَ يَرْتَجِزْ : أَعْلَمُ هُبَلْ أَعْلَمُ هُبَلْ .

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَلَا تَجْبِيْهُنَّهُ ؟ قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا تَقُولُ ؟ قَالَ : قُولُوا : اللَّهُ أَعْلَمُ وَأَجْلَ .

قَالَ : إِنَّ الْعَزَّى لَنَا وَلَا عَزَّى لَكُمْ ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَلَا تَجْبِيْهُنَّهُ ؟ قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا نَقُولُ ؟ قَالَ : قُولُوا : اللَّهُ مُولَانَا وَلَا مُوْلَى لَكُمْ .

وَرَوَاهُ الْبَخَارِيُّ مِنْ حَدِيثِ زَهِيرٍ ، وَهُوَ ابْنُ مَعَاوِيَةَ ، مُخْتَصِّرًا . وَقَدْ تَقدَّمَ رَوَايَتُهُ مَطْوِلَةً مِنْ طَرِيقِ إِمْرَأَيْلَ عنْ أَبِي إِسْحَاقَ .

* * *

وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ : حَدَّثَنَا عَفَانُ ، حَدَّثَنَا حَمَادَ بْنُ سَلَمةَ ، أَخْبَرَنَا ثَابَتُ وَعَلَى بْنِ زَيْدٍ ،

عن أنس بن مالك ، أن المشركين لما رهقوا النبي ﷺ صلى الله عليه وسلم وهو في سبعة من الأنصار ورجل من قريش ، قال : من يردهم عنا وهو رفيق في الجنة ؟ فجاء رجل من الأنصار فقاتل حتى قُتِل .

فَلَمَّا رَهْقُوهُ أَيْضًا قَالَ : مَنْ يَرْدِهُمْ عَنَا وَهُوَ رَفِيقٌ فِي الْجَنَّةِ ؟ حَتَّىٰ قُتُلَ السَّبْعَةُ .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما أنصفنا أصحابنا .

ورواه مسلم عن هذبة بن خالد ، عن حماد بن سلمة به .

وقال البيهقي في الدلائل : ياسناده عن عمارة بن غزية ، عن أبي الزبير ، عن جابر
قال : انهزم الناسُ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد وبقي معه أحد عشر رجلاً
من الأنصار وطلحة بن عبيد الله وهو يصعد الجبل ، فلتحقهم المشركون فقال : ألا أحد
لهؤلاء ؟ فقال طلحة : أنا يا رسول الله . فقال : كم أنت يا طلحة ، فقال رجل من الأنصار :
فأنا يا رسول الله . فقاتل عنه ، وصعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن بقي معه ، ثم
قتل الأنصارى فلتحقوه ، فقال : ألا رجل لهؤلاء ؟ فقال طلحة مثل قوله ، فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم مثل قوله . فقال رجل من الأنصار : فأنا يا رسول الله ، فقاتل
وأصحابه يصدون ، ثم قُتل فلتحقوه .

فلم يزل يقول مثل قوله الأول ويقول طلاحة : أنا يارسول الله . فيحبسه ، فيستأذنه
رجل من الأنصار لقتال فيأذن له فيقاتل مثلَ مَنْ كان قبله .

حتى لم يُبَقِّ معه إلَّا طلحة، ففَسَّرُوهَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَنْ هُوَ لَهُ أَوْلَى؟ فَقَالَ طلحة : أَنَا . فَقَاتَلَ مِثْلَ قَاتَالِ جَمِيعِ الَّذِينَ كَانُوا قَبْلَهُ ، وَأُصْبِيَتْ أَنَامَلُهُ فَقَالَ : حَسْنٌ ، فَقَالَ : لَوْ قُلْتَ بِسْمِ اللَّهِ لِرَفِعَتِكَ الْمَلَائِكَةُ وَالنَّاسُ يَنْتَظِرُونَ إِلَيْكَ حَتَّى تَلْيَجَ بَكَ فِي جَوَّ السَّمَاءِ . ثُمَّ صَعَدَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى أَحْصَابِهِ وَهُمْ يَجْتَمِعُونَ .

وروى البخارى عن عبد الله بن أبي شيبة ، عن وكيم ، عن إسماعيل ، عن قيس بن

أبي حازم . قال : رأيت بدَّ طلحة شَلَاءَ وَقَبْهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ أَحَدٍ .
وَفِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ حَدِيثِ مُوسَى بْنِ إِسْمَاعِيلَ ، عَنْ مُعَتَمِرِ بْنِ سَلَيْمَانَ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ أَبِي
عُثْمَانَ النَّهْدَى قَالَ : لَمْ يَمْقُمْ بِنَفْسِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَعْضِ تَلْكَ الأَيَّامِ الَّتِي يَقَاتِلُ فِيهِنَّ
غَيْرَ طَلْحَةَ وَسَعْدَ عَنْ حَدِيثِهِمَا .

وَقَالَ الْحَسْنُ بْنُ عَرْفَةَ . حَدَّثَنَا مُرْوَانَ بْنَ مَعَاوِيَةَ ، عَنْ هَاشِمَ بْنِ هَاشِمَ السَّعْدِيِّ ،
سَمِعْتُ سَعِيدَ بْنَ الْمَسِيَّبَ يَقُولُ : سَمِعْتُ سَعْدَ بْنَ أَبِيهِ وَقَاصَ يَقُولُ : نَصَّلَ لِي رَسُولُ
اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَفَانَتِهِ يَوْمَ أَحَدٍ وَقَالَ : ارْمِ فَدَاكَ أَبِيهِ وَأَمِيَّ .
وَأَخْرَجَهُ الْبَخَارِيُّ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ ، عَنْ مُرْوَانَ بْنِهِ .

وَفِي صَحِيحِ الْبَخَارِيِّ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَدَادَ ، عَنْ عَلَى بْنِ أَبِيهِ طَالِبٍ قَالَ :
مَا سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَمْعَ أَبْوَاهِهِ لِأَحَدٍ إِلَّا لِسَعْدِ بْنِ مَالِكَ ، فَإِنِّي سَمِعْتُهُ يَقُولُ
يَوْمَ أَحَدٍ : يَا سَعْدَ ارْمِ فَدَاكَ أَبِيهِ وَأَمِيَّ .

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ : حَدَّثَنِي صَالِحُ بْنُ كَيْسَانَ ، عَنْ عَصْبَى أَلْ سَعْدٍ ، عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِيهِ
وَقَاصِ أَنَّهُ رَمَى يَوْمَ أَحَدٍ دُونَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . قَالَ سَعْدٌ : فَلَقِدْ رَأَيْتُ رَسُولَ
اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَنَاوِلُنِي الْفَيْلَ وَيَقُولُ : ارْمِ فَدَاكَ أَبِيهِ وَأَمِيَّ ! حَتَّى إِنَّهُ لَيَنَاوِلُنِي
السَّهْمَ لِيَسْ لَهُ نَصْلُ فَأَرْمَى بِهِ .

وَثَبَّتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ حَدِيثِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سَعْدٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ جَدِّهِ ، عَنْ سَعْدٍ
ابْنِ أَبِيهِ وَقَاصٍ قَالَ : رَأَيْتُ يَوْمَ أَحَدٍ عَنْ يَمِينِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَنْ يَسَارِهِ رَجُلَيْنِ
عَلَيْهِمَا ثِيَابٌ يَمِيزُ يَقَاتَلَانِ أَشَدَّ الْقَتَالِ مَا رَأَيْتَهُمَا قَبْلَ ذَلِكَ وَلَا بَعْدَهُ . يَعْنِي جَبْرِيلَ
وَمِيكَائِيلَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ .

وَقَالَ أَحْمَدُ : حَدَّثَنَا عَفَانَ ، أَخْبَرَنَا ثَابِتَ ، عَنْ أَنْسٍ ، أَنَّ أَبَا طَاجِهَةَ كَانَ يَرْمِي بَيْنَ
يَدَيِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ أَحَدٍ ، وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَلْفَهُ يَتَرَسَّسُ بِهِ ، وَكَانَ

رامياً ، وكان إذا رفع رسول الله صلى الله عليه وسلم شخصه ينظر أين يقع سهم ، ويرفع أبو طلحة صدره ويقول: هكذا ، بأبي أنت وأمي يارسول الله لا يصييك سهم ، تخرى دون نحرك . وكان أبو طلحة يُسوار نفسه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول : إن جلد يارسول الله ، فوجئني في حوانبك ومُرني بما شئت .

وقال البخاري : حدثنا أبو معمر ^(١) ، حدثنا عبد الوارث ، حدثنا عبد العزيز ^(٢) ، عن أنس قال : لما كان يوم أحد انهزم الناس عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وأبو طلحة بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم مُجوب عليه بمحاجفة ^(٣) له ، وكان أبو طلحة رجلاً رامياً شديد التردد كسر يومئذ قوسين أو ثلاثة ، وكان الرجل يمر معه الجعابة من القبل فيقول ^(٤) : انثرها لأبي طلحة .

قال : ويشرف النبي صلى الله عليه وسلم ينظر إلى القوم ، فيقول أبو طلحة : بأبي أنت وأمي لا تشرف يصييك سهم من سهام القوم ، تخرى دون نحرك . ولقد رأيت عائشة بنت أبي بكر وأم سليم وإنهما لمشرمان أرى خدام سوقة ما تتقزان ^(٥) القراب على متوجهما تفرغانه في أفواه القوم ، ثم ترجعان فتملا بهما ثم تحيثان فتفرغانه في أفواه القوم . ولقد وقع السيف من يد أبي طلحة إما صرتين وإما ثلاثة .

قال البخاري : وقال لى خليفة : حدثنا يزيد بن زريع ، حدثنا سعيد ، عن قتادة ، عن أنس ، عن أبي طلحة قال : كنت فيمن تمشيَّن الفعاش يوم أحد حتى سقط سيفي من يديه مراراً ، يسقط وآخذه ويسقط فآخذه .

هكذا ذكره البخاري معلقاً بصيغة الجزم ، ويشهد له قوله تعالى « ثم أنزَلَ عَلَيْكُم مِنْ بَعْدِ الْفَمَّ أَمْنَةً نَعَسًا يَغْشِي طَافِقَةً مِنْكُمْ ، وَطَافِقَةً قَدْ أَهْتَمْتُمْ أَنفُسَهُمْ يَظْنُونَ بِاللهِ غَيْرَ الْحَقِّ »

(١) هو عبد الله بن عمرو العقدى . (٢) هو عبد العزيز بن صالح . (٣) محبوب : متى عليه يحمسه . والمحاجفة : ترس من جلد . (٤) القائل هو النبي صلوات الله وسلامه عليه . (٥) خدم سوقة ما : خلائيلهما . قال القسطلاني : وذلك محول على نظر الفجأة . وتتقزان : تثبان وتفرغان القراب .

ظنَّ الجاهلية يقولون : هل لنا من الأمرِ مِنْ شَيْءٍ ، قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كَهُوَ اللَّهُ يَخْفُونَ فِي أَنفُسِهِمْ مَا لَا يُبَدِّلُونَ لَكُمْ ، يقولون : لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ، مَا قَتَلْنَا هَاهُنَا ، قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بَيْوَتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلَيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلَيُحَصِّنَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلَيْهِ بِذَاتِ الصُّدُورِ . إِنَّ الَّذِينَ تُولَّوْ مِنْكُمْ يوْمَ التَّقْرِيبَةِ الْجَمَاعَةَ إِنَّمَا اسْتَرْلَهُمُ الشَّيْطَانُ بِعِصْمَ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ » .

قال البخاري : حدثنا عبدان^(١) أخبرنا أبو حمزة ، عن عثمان بن موهب ، قال :

جاء رجل حجَّ البيت فرأى قوماً جلوساً ، فقال : من هؤلاء القعود ؟ قال : هؤلاء قريش

قال : من الشيخ ؟ قالوا : ابن عمر . فأتاهم فقال : إِنِّي سائلُكُمْ عَنْ شَيْءٍ أَتَحْدِثُ شَيْئاً ؟ قال : أَنْشَدَكَ بِحَرْمَةِ هَذَا الْبَيْتِ : أَتَعْلَمُ أَنَّ عُمَانَ بْنَ عَفَانَ فَرَأَ يَوْمَ أَحَدٍ ؟ قال : نَعَمْ . قال : فَتَعْلَمَهُ تَغْيِيباً عَنْ بَدْرٍ فَلَمْ يَشْهُدْهَا ؟ قال : نَعَمْ . قال : فَتَعْلَمَ أَنَّهُ تَخَلَّفَ عَنْ بَيْعَةِ الرَّضْوَانِ فَلَمْ يَشْهُدْهَا ؟

قال : نَعَمْ . قال : فَكَبَرَ^(٢) .

قال ابن عمر : تعال لأُخْبِرَكَ وَلَا يَبْيَنَ لَكَ عَمَّا سَأَلْتَنِي عَنْهُ .

أما فراره يوم أحد : فأشهد أنَّ اللَّهَ عَفَاهُ عَنْهُ ، وأما تغيبه عن بدر فإنه كان تحققه بنتُ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَانَتْ مَرِيضَةً ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنَّكَ لَكَ أَجْرٌ رَجُلٌ مَنْ شَهَدَ بَدْرًا وَمَمْهُومًا .

وَأَمَّا تغيبه عن بيعة الرضوان : فإنه لو كان أحد أعز بيتين مكة من عثمان بن عفان بعثه مكانه ، فبعث عثمان ، وكانت بيعة الرضوان بعد ما ذهب عثمان إلى مكة ، فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بيده المني : هذه يد عثمان . فضرب بها على يده . فقال :

هذا لعثمان .

(١) عبدان : لقب عبد الله بن عثمان المروزي .

اطابقته لـ ۱. يعتقد في عثمان رضي الله عنه .

اذهب بهذا^(١) الآن معك .

وقد رواه البخاري أيضاً في موضع آخر ، رواه مسی من حديث أبي عوانة ، عن عثمان بن عبد الله بن مونهَب به .

وقال الأموي في مغازييه ، عن ابن إسحاق : حدثني يحيى بن عباد ، عن أبيه ، عن جده سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ، وقد كان الناس انهزموا عنه حتى بلغ بعضهم إلى المِنْقَ دون الأعوص ، وفرَّ عمار بن عفان وسعد بن عثمان رجل من الأنصار حتى بلغوا الجَلَعْب ، جبل بناحية المدينة مما بلي الأعوص ، فأقاموا ثلاثة ثم رجعوا ، فزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهم : لقد ذهبتم فيها عَرِيبةً .

* * *

ومقصود آن أحداً وقع فيها أشياء مما وقع في بدر ، منها : حصول النعاس حال التحام الحرب ، وهذا دليل على طمأنينة القلوب بنصر الله وتأييده و تمام توكيها على خالقها وبارئها .

وقد تقدم الكلام على قوله تعالى في غزوة بدر : « إِذْ يَفْشِيمُكُمُ النَّعَاسَ أَمْنَةً مِنْهُ » الآية وقال هاهنا : « ثُمَّ أَنْزَلْتُ عَلَيْكُم مِنْ بَعْدِ الْفَمِ أَمْنَةً نَعَسًا يَغْشَى طَافِئَةً مِنْكُمْ » يعني المؤمنين السَّكُمَّلَ كما قال ابن مسعود وغيره من السلف : النعاس في الحرب من الإيمان ، والنعاس في الصلاة من النفاق . ولهذا قال بعد هذا : « وَطَافِئَةً قَدْ أَهْمَمْتُمُ أَنفُسَهُمْ » الآية . ومن ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استنصر يوم أحد كاستنصر يوم بدر بقوله : « إِنْ تَشَاءْ لَا تُبْدِي فِي الْأَرْضِ » .

كما قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الصمد وعفان قالا : حدثنا حماد ، حدثنا ثابت ، عن أنس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول يوم أحد : « اللهم إِنَّكَ إِنْ تَشَاءْ لَا تُبْدِي فِي الْأَرْضِ » .

(١) يريد : اذهب بهذه الأجوية التي أجيتك بها .

ورواه مسلم عن حجاج بن الشاعر ، عن عبد الصمد ، عن حماد بن سلمة به .
وقال البخاري : حدثنا عبد الله بن محمد ، حدثنا سفيان ، عن عمرو ، سمع جابر بن عبد الله قال : قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد : « أرأيت إن قُتلتُ فَأين أنا؟ » قال : في الجنة ، فألقي تمرات في يده ثم قاتل حتى قُتل ». .
ورواه مسلم والنمساني من حديث سفيان بن عيينة به .
وهذا شبيه بقصة عمير بن الحمام التي تقدّمت في غزوة بدر رضى الله عنهما وأرضاهما .

فصل

فيما لقى النبي صلى الله عليه وسلم يومئذ من المشركين قبحهم الله

قال البخاري : ما أصاب النبي صلى الله عليه وسلم من الجراح يوم أحد .

حدثنا إسحاق بن نصر ، حدثنا عبد الرزاق ، عن همام بن منبه ، سمع أبا هريرة

قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اشتدَّ غضبُ الله على قومٍ فعلوا بنبيله - يشير إلى رباعيته - اشتدَّ غضبُ الله على رجلٍ يقتله رسولُ الله في سبيلِ الله ». .

ورواه مسلم من طريق عبد الرزاق ، حدثنا مختلَّ بن مالك ، حدثنا يحيى بن سعيد

الأموي ، حدثنا ابن جريج ، عن عمرو بن دينار ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال :

« اشتدَّ غضبُ الله على مَنْ قتله النبي في سبيلِ الله ، اشتدَّ غضبُ الله على قومٍ دمُوا وجهَ رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقال أَحْمَدُ : حدثنا حَمَادٌ ، حدثنا حَمَادٌ ، أَخْبَرَنَا ثَابِتٌ ، عَنْ أَنْسٍ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ يَوْمَ أَحْدٍ وَهُوَ يَنْتَهِي إِلَيْهِ مِنْ وَجْهِهِ وَهُوَ يَقُولُ : « كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ شَجَوْا

نَبِيَّهُمْ وَكَسَرُوا رَباعيَّتَهُ ، وَهُوَ يَدْعُونَ إِلَيْهِ نَهَارًا » فَأَنْزَلَ اللَّهُ : « لَيْسَ لَكُمْ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يَعْذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ طَاغُوتُونَ ». .

ورواه مسلم عن القعنبي ، عن حماد بن سلمة به .

ورواه الإمام أحمد ، عن هارون ، عن حميد ، عن أنس ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَسَرَتْ رَباعيَّتَهُ وَشَجَّعَ فِي هَارُونَ حَتَّى سَالَ الدَّمُ عَلَى وَجْهِهِ فَقَالَ :

« كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ فَعَلُوا هَذِهِ بَنِيَّتَهُ وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ نَهَارًا » فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى : « لَيْسَ لَهُ شَيْءٌ ». .

وقال البخاري : حدثنا قتيبة ، حدثنا يعقوب ، عن أبي حازم ، أنه سمع سهل بن سعد وهو يسأل عن جرح النبي صلى الله عليه وسلم فقال : أما والله إنما لأعرف من كان ي فعل جرح رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن كان يسبك الماء وبعده دعوى ، قال : كانت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم تفصله وعلى يسبك الماء بالجبن ، فلما رأت فاطمة أن الماء لا يزيد الدم إلا كثرة أخذت قطعة من حصير فأحرقتها وألصقتها فاستمسك الدم ، وكسرت رباعيته يومئذ ، وجرح وجهه وكسرت البيضة على رأسه .

* * *

وقال أبو داود الطيالسي في مسنده : حدثنا ابن المبارك ، عن إسحاق ، عن يحيى بن طلحة بن عبيد الله ، أخبرني عيسى بن طلحة ، عن أم المؤمنين عائشة قالت : كان أبو بكر إذ ذكر يوم أحد قال : ذاك يوم كله طلحة ! ثم أنشأ يحدّث قال : كنت أول من فاء يوم أحد ، فرأيت رجلاً يقاتل في سبيل الله دونه ، وأراه قال : حمّة ، قال : فقلت : كُنْ طلحة ، حيث فاتني ما فاتني ، فقلت : ي تكون رجلاً من قومي أحببت إلى ، وبيني وبين الشركين رجل لا أعرفه ، وأنا أقرب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم منه وهو يخطف المشي خطفًا لا يخطفه ، فإذا هو أبو عبيدة بن الجراح ، فانتهينا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كسرت رباعيته وسُجّن في وجهه ، وقد دخل في وجنته حلقتان من حلق المفتر ، قال ، رسول الله صلى الله عليه وسلم : « عليكما صاحبكم » يريد طلحة . وقد نَزَفَ ، فلم تلتفت إلى قوله .

قال : وذهبت لأنزع ذلك من وجهه ، فقال : أقسم عليك بحق لما تركتني . فتركته فسکرہ تناولها بيده فيؤذی رسول الله صلى الله عليه وسلم فازم عليها بفيه ، فاستخرج إحدى الحلقتين ووسمت ثنيتيه مع الحلقة ، وذهبت لأصنع ماصنع فقال : أقسمت عليك بحق لما تركتني . قال : ففعل مثل ما فعل في المرة الأولى ، فوسمت ثنيتيه الأخرى مع الحلقة ،

فكان أبو عبيدة رضى الله عنه من أحسن الناس همَا !

فأصلاحنا من شأن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم أتيانا طلحة في بعض تلك الجفار فإذا به بضم وسبعون من بين طعنة ورمية وضربة ، وإذا قد قطعت إصبعه ، فأصلاحنا من شأنه .

* * *

وذكر الواقدي عن ابن أبي سبرة ، عن إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة ، عن أبي الحويرث ، عن نافع بن جبير ، قال : سمعت رجلاً من المهاجرين يقول : شهدت أحداً فنظرت إلى النبل تأني من كل ناحية ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم وسطها كل ذلك يُصرَّف عنه ، ولقد رأيت عبد الله بن شهاب الزهرى يومئذ يقول : دُلُونى على محمد لا نجوتُ إن نجا ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جنبه مامعه أحد ، خوازه ، فمات به في ذلك صفوان بن أمية ، فقال : والله ما رأيته ، أخلف بالله إنه منا من نوع ، خرجنا أربعة فتما هدنا وتعاقدنا على قتله فلم يخلص إليه .

قال الواقدي : ثبتَ عندِي أنَّ الذِّي رمَى في وجهِي رسولَ اللهِ صلى اللهِ عليهِ وَسَلَّمَ ابنَ قتنةَ ، والذِّي رمى في شفتيهِ وأصابَ رباعيَّتهِ عتبةَ بنَ أبيِّ وقاصٍ .

وقد تقدمَ عنِ ابنِ إسحاقِ نحوَ هـذا ، وأنَّ الرابعةَ التي كسرَتْ لهُ عليهِ السلامَ هيُ التيَّنِي السفليَّ .

قال ابنِ إسحاقَ : وحدَثَنِي صالحُ بنَ كيسانَ ، عنْ حدَثَهُ ، عنْ سعدِ بنِ أبيِّ وقاصٍ ، قال : ماحرَّصْتُ على قتلِ أحدٍ قطْ ماحرَّصْتُ على قتْلِ عتبةَ بنَ أبيِّ وقاصٍ ، وإنْ كانَ ماعلَمْتُ لَسِيًّاً أَخْلَقَ مُبْغَضًا فِي قَوْمِهِ ، ولقدْ كفَانِي فِيهِ قَوْلُ رَسُولِ اللهِ صلى اللهِ عليهِ وَسَلَّمَ « اشتدَّ غَضْبُ اللهِ عَلَى مَنْ دَمَى وَجْهَ رَسُولِهِ » .

وقال عبدُ الرزاقَ : حدَثَنَا مَعْمَرٌ ، عنْ الزهرى ، عنْ عَمَانَ الْحَرُوبِىِّ ، عنْ مِقْسِمٍ ،

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا على عتبة بن أبي وقاص حين كسر رباعيته ودمى وجهه فقال : « اللهم لا يحول عليه الحول حتى يموت كافراً ».
فأحال عليه الحول حتى مات كافراً إلى النار .

وقال أبو سليمان الجوزجاني : حدثنا محمد بن الحسن ، حدثني إبراهيم بن محمد ، حدثني ابن عبد الله بن محمد بن أبي بكر بن حرب ، عن أبيه ، عن أبي أمامة بن هشام بن حنيف ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم داوى وجهه يوم أحد بعضه بال .
هذا حديث غريب رأيته في أثناء كتاب المغازي للأموي في وقعة أحد .

* * *

وَمَا نالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنَ قَتَّةَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا نالَ ، رَجَعَ وَهُوَ يَقُولُ : قُتِلَتُ مُحَمَّدًا . وَصَرَخَ الشَّيْطَانُ أَزْبُ الْعَقْبَةِ يَوْمَئِذٍ بِأَبْعَدِ صَوْتٍ : أَلَا إِنَّ مُحَمَّدًا قُدُّمُ قُتْلَةِ .

خُصلَّ بِهَتَّةٍ عَظِيمَةٍ فِي الْمُسْلِمِينَ ، وَاعْتَقَدَ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ ذَلِكَ ، وَصَدَّمُوا عَلَى الْقَتَالِ عَنْ حَوْزَةِ الإِسْلَامِ حَتَّى يَمُوتُوا عَلَى مَامَاتِ عَلَيْهِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، مِنْهُمْ أَنَسُ بْنُ النَّضْرِ وَغَيْرُهُ مِنْ سِيَّارَتِي ذَكْرَهُ .

وَقَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى التَّنْسِيلَةَ فِي ذَلِكَ عَلَى تَقْدِيرِ وَقْوَعِهِ ، فَقَالَ تَعَالَى : « وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَّتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ ، أَفَإِنْ ماتَ أَوْ قُتُلَ انْقَلَبُوهُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ ، وَمَنْ يَدْقُلُّ عَلَى عَقْبِيهِ فَلَنْ يُضْرَبَ اللَّهُ شَيْئًا وَسِيَّرَنِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ . وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَنْوَتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كَتَابًا مَؤْجَلًا ، وَمَنْ يَرْدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتَهُ مِنْهَا ، وَمَنْ يَرْدُ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتَهُ مِنْهَا ، وَسِنَجِرَنِي الشَّاكِرِينَ . وَكَأَيِّ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رَبِّيُّونَ كَثِيرُ ، مَا وَهَنَا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَمَا ضَعَفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يَحْبُّ الصَّابِرِينَ . وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا أَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرَنَا وَثَبَّتْ أَقْدَامَنَا

وأنصرنا على القوم الكافرين . فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب الحسنين . يأيها الذين آمنوا إن تعطعوا الذين كفروا يردوكم على أعقابكم فتقنبلوا خاسرين . بل الله مولاكم وهو خير الناصرين . سُنُنُ في قلوبِ الذين كفروا الرُّعب بما أشركوا بالله مالم ينزل به سلطاناً وما واه النار وبئس من شَوَّى الظالِّين »^(١) .

وقد تكلمنا على ذلك مستقئصاً في كتابنا التفسير والله الحمد .

وقد خطب الصديق رضي الله عنه في أول مقام قامه بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أيها الناس ، من كان يعبد محمدًا فإن محمدًا قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت . ثم تلا هذه الآية : « وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل ، فإن مات أو قُتل انقلب على أعقابكم » الآية . قال : فـكـان الناس لم يسمعوا بها قبل ذلك ، فـفـما من الناس أحد إلا يقتلوها .

وروى البيهقي في دلائل النبوة من طريق ابن أبي تجبيح ، عن أبيه قال : مرّ رجل من المهاجرين يوم أحد على رجل من الأنصار وهو يتشحّط في دمه . فقال له : يا فلان ، أشعّرت أن محمدًا قد قُتل ؟ فقال الأنصاري : إنَّ كَانَ مُحَمَّدَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد قُتل فقد بلغَ الرسالة فقاتلوا عن دينكم !

فنزل : « وما محمد إلا رسول قد خلت من قبيله الرسل » الآية .

ولعل هذا الأنصاري هو أنس بن النضر رضي الله عنه ، وهو عم أنس بن مالك . قال الإمام أحمد : حدثنا يزيد ، حدثنا حميد ، عن أنس ، أن عمه غاب عن قتال بدر ، فقال غبت عن أول قتال قاتله النبي صلى الله عليه وسلم للمشركين ، ائن الله أشهدني قاتلا للمشركين ليزبن ما أصنع .

فـلـمـاـ كـانـ يـوـمـ أـحـدـ اـنـكـشـفـ الـمـسـلـمـونـ ، فـقـالـ : اللـهـمـ إـنـ أـعـذـرـ إـلـيـكـ عـماـ صـنـعـ

هؤلاء ، يعني أصحابه ، وأبرأ إليك مما جاء به هؤلاء ، يعني المشركين ، ثم تقدم فلقيه سعد بن معاذ دون أحد قال سعد : أنا معك . قال سعد : فلم أستطع أصنع ماصنعاً .

فوجد فيه بعض وثائقون ، من بين ضربة بسيف وطعنها برمج ورمية بسهم . قال : فكنا نقول : فيه وفي أصحابه نزالت : « قتالهم من قضى نحبه وهم من ينتظرون » .

ورواه الترمذى عن عبد بن حميد ، والنسائى عن إسحاق بن راهويه ، كلها عن يزيد بن هارون به . وقال الترمذى : حسن .
قالت : بل على شرط الصحاحيين من هذا الوجه .

وقال أَحْمَدُ : حدثنا بَهْرَ، وحدثنا هاشم ، قالا : حدثنا سليمان بن المغيرة ، عن ثابت قال : قال أنس : عمى . قال هاشم : أنس بن النضر . سميت به ، ولم يشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر . قال : فشق عليه وقال : أول مُشْهَد شهده رسول الله صلى الله عليه وسلم غبت عنه ، ولئن أراني الله مُشْهِداً فيما بعد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نيرَينَ الله ما أصنع . قال : فهاب أن يقول غيرها .

فشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد ، قال : فاستقبل سعد بن معاذ ، فقال له أنس : يا أبا عمرو أين ؟ واهماً لريح الجنة أجدك دون أحد . قال : فقاتلتهم حتى قُتل ، فوجد في جسده بعض وثائقون من ضربة وطعنها ورمية .

قال : فقالت أخته عمى الريبع بنت النضر : فما عرفت أخي إلا بيئاته . ونزلت هذه الآية : « مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رَجُلٌ صَدَقَوَا مَا عاهَدُوا اللَّهُ عَلَيْهِ ، قَتَلُوهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ ، وَمَا يَدْلُو ابْنَدِيلًا » .

قال : فكانوا يرون أنها نزلت فيه وفي أصحابه .

ورواه مسلم ، عن محمد بن حاتم ، عن بَهْزَنْ بن أَسْدٍ . ورواه الترمذى والنسائى من
حدیث عبد الله بن المبارك . وزاد النسائى ، وأبو ذاود وحماد بن سلمة ، أربعتهم عن
سلیمان بن المغيرة به . وقال الترمذى : حسن صحيح .

وقال أبو الأسود ، عن عروة بن الزبير قال : كان أبُّي بن خلف أخو بني جمَح قد
خلف وهو بمكَّةً ليقتلن رسولَ الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . فلما بلغتْ رسولَ الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِلْقَتُهُ قال : بل أنا أقتلته إِن شاءَ اللهُ .

فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ أَحَدِ أَقْبَلَ أَبُّي فِي الْحَدِيدِ مَقْنَعًا وَهُوَ يَقُولُ : لَا نجُوتُ إِنْ تَجَاهَ مُحَمَّدًا .
فَخَمَلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَرِيدُ قَتْلَهُ ، فَاسْتَقْبَلَهُ مَصْعُبُ بْنُ عَمِيرٍ أَخُو بَنِي
عَبْدِ الدَّارِ بَقِيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِنَفْسِهِ ، فَقُتُلَ مَصْعُبُ بْنُ عَمِيرٍ ، وَأَبْصَرَ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَرْفُوَةَ أَبُّي بَنِ خَلْفٍ مِنْ فُرْجَةٍ بَيْنَ سَابِغَةِ الدَّرَّعِ وَالْبَيْضَةِ
فَطَعَنَهُ فِيهَا بِالْحَرْبَةِ فَوَقَعَ إِلَى الْأَرْضِ عَنْ فَرْسِهِ ، وَلَمْ يَخْرُجْ مِنْ طَعْنَتِهِ دَمٌ .

فَأَتَاهُ أَصْحَابُهُ فَاحْتَمَلُوهُ وَهُوَ يَخُورُ خُوارَ الثُّورِ فَقَالُوا لَهُ : مَا أَجْزَعَكَ ! إِنَّمَا
هُوَ خَدْشٌ .

فَذَكَرَ لَهُمْ قَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَا أُقْتَلُ أَبِيًّا ، ثُمَّ قَالَ : وَالَّذِي نَفْسِي
بِيدهِ ، لَوْ كَانَ هَذَا الَّذِي بِي بِأَهْلِ ذِي الْمَجَازِ لَمَاتُوا أَجْمَعُونَ .
فَمَاتَ إِلَى النَّارِ ، فَسُجِّلَ لِأَصْحَابِ السَّعْيِ !

وقد رواه موسى بن عقبة في مغازيه ، عن الزهرى ، عن سعيد بن المسيب نحوه .
وقال ابن إسحاق : لما أنسد رسول الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الشَّعْبِ ، أَدْرَكَهُ أَبُي
ابن خلف وهو يقول : لَا نجُوتُ إِنْ تَجَاهَ .

فَقَالَ الْقَوْمُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ يَعْطُفُ عَلَيْهِ رَجُلٌ مَنَا ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ : دُعْوَهُ .

فَلَمَّا دَنَا مِنْهُ : تَنَاهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْحَرْبَةَ مِنَ الْحَارِثَ بْنَ الصَّمَّةِ ، قَالَ بَعْضُ الْقَوْمِ ، كَادَ كَرْلِي ، فَلَمَّا أَخْذَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اتَّفَضَ اتَّفَاضَةً طَائِرَنَا عَنْهُ طَائِرَ الشَّعْرِ عَنْ ظَهَرِ الْبَعِيرِ إِذَا اتَّفَضَ ، ثُمَّ اسْتَقْبَلَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَطَعْنَهُ فِي عَنْقِهِ طَعْنَةً تَدَأَّدَّ مِنْهَا عَنْ فَرْسِهِ سَرَارًا .

وَذَكَرَ الْوَاقِدِيُّ عَنْ يُونُسَ بْنِ بُكَيْرٍ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ ، عَنْ عَاصِمِ بْنِ عُمَرَ ابْنِ قَاتِدَةَ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ كَعْبٍ بْنِ مَالِكٍ ، عَنْ أَبِيهِ . نَحْوُ ذَلِكَ .

قَالَ الْوَاقِدِيُّ : وَكَانَ أَبْنَ عُمَرَ يَقُولُ : ماتَ أَبِي تَبَّانَ خَلْفَ بِيْطَنَ رَابِعَ ، فَإِنِّي لَأَسِيرُ بِيْطَنَ رَابِعَ بَعْدَ هُوَيِّ مِنَ الْلَّيلِ إِذَا أَنَا بِنَارٍ تَاجِجَتْ ، فَهَبِّسْتَهَا وَإِذَا بَرْجَلٌ يَخْرُجُ مِنْهَا بِسَلْسَلَةٍ يَمْذُبُهَا يَهْبِيجُهُ الْعَطْشُ ، فَإِذَا رَجَلٌ يَقُولُ : لَا تَسْقُهُ ، فَإِنَّهُ قَتِيلُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، هَذَا أَبِيَّ بْنَ خَلْفَ .

وَقَدْ ثَبَّتَ فِي الصَّحِيحَيْنَ كَمَا تَقْدِمُ ، مِنْ طَرِيقِ عَبْدِ الرَّزَاقِ ، عَنْ مَعْمُورٍ ، عَنْ هَمَّامَ ، عَنْ أَبِي هَرِيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « اشْتَدَ غَصْبُ اللَّهِ عَلَى رَجُلٍ يَقْتَلُهُ رَسُولُ اللَّهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ » .

وَرَوَاهُ الْبَخَارِيُّ ، مِنْ طَرِيقِ ابْنِ حُرَيْجٍ ، عَنْ عَمْرُو بْنِ دِينَارٍ ، عَنْ عَكْرَمَةَ ، عَنْ ابْنِ حَسَّسٍ : « اشْتَدَ غَصْبُ اللَّهِ عَلَى مَنْ قَتَلَهُ رَسُولُ اللَّهِ بِيَدِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ » .

* * *

وَقَالَ الْبَخَارِيُّ . قَالَ أَبُو الْوَلِيدَ ، عَنْ شَعْبَةَ ، عَنْ أَبِي الْمُنْكَدِرِ ، سَمِعَتْ جَابِرًا قَالَ : لَمْ يُقْتَلْ أَبِي جَعْدَتْ أَبْكَى وَأَكْشَفَ التَّوْبَ عَنْ وَجْهِهِ ، فَجَعَلَ أَصْحَابَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَنْهَا تَنْهِيَّ وَالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَنْهِهِ ، وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَا تَنْكِهُ أَوْ مَا تَبْكِيهُ ، مَا زَالَتِ الْمَلَائِكَةُ نُظْلَهُ بِأَجْنَحَتِهَا حَتَّى رُفَعَ » .

هكذا ذكر هذا الحديث هاهنا ملقاً ، وقد أسنده في الجنائز عن بندر عن
بندر ، عن شعبة .

ورواه مسلم والنمساني من طرق عن شعبة به .

وقال البخاري : حدثنا عبدان ، أخبرنا عبد الله بن المبارك ، عن شعبة ، عن سعد
ابن إبراهيم ، عن أبيه إبراهيم ، أن عبد الرحمن بن عوف أتى ب الطعام وكان صائماً فقال :
قتل مصعب بن عمير وهو خير مني ، كُفِنَ فِي بُرْدَةٍ إِنْ غُطِّيَ رَأْسُهُ بَدَتْ رِجْلَاهُ ،
وإِنْ غُطِّيَ رِجْلَاهُ بَدَأْرَأْسُهُ ، وَأَرَاهُ قَالَ : وَقُتِلَ حَمْزَةُ هُوَ خَيْرُ مِنِّي ، ثُمَّ بَسْطَ لَنَا مِنَ
الدُّنْيَا مَا بَسْطَ ، أَوْ قَالَ : أُعْطَيْنَا مِنَ الدُّنْيَا مَا أُعْطَيْنَا . وقد خشينا أن تكون حساناتنا
عَجَّلَتْ لَنَا . ثُمَّ جَعَلَ يَبْكِي حَتَّى بَرَدَ الطَّعَامَ .
انفرد به البخاري .

وقال البخاري : حدثنا أحمد بن يونس ، حدثنا زهير ، حدثنا الأعمش ، عن شقيق ،
عن حبيب بن الأرت ، قال : هاجرنا مع النبي صلى الله عليه وسلم نبغى وجه الله ، فوجب
أجرنا على الله ، فنما من مصري أو ذهب لم يأكل من أحمره شيئاً ، كان منهم مصعب بن
عمير ، قُتُلَ يَوْمَ أَحَدٍ لَمْ يَتَرَكْ إِلَّا نَمَراً^(١) ، كُنَّا إِذَا غَطَّيْنَا بَهَا رَأْسَهُ خَرَجَتْ رِجْلَاهُ ، وَإِذَا
غُطِّيَ بَهَا رِجْلَاهُ خَرَجَ رَأْسُهُ ، فَقَالَ لَنَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : غَطُّوا بَهَا رَأْسَهُ وَاجْعَلُوهَا
عَلَى رِجْلِهِ الْآخِرِ . وَمِنَّا مَنْ أَبْيَنَتْ لَهُ نَمَرَةٌ فَهُوَ يَهْدِيهَا^(٢) .

وأخرجها بقية الجماعة إلا ابن ماجه من طرق ، عن الأعمش به .

وقال البخاري : حدثنا عبيد الله بن سعيد ، حدثنا أبوأسامة ، عن هشام بن عروة ،
عن أبيه ، عن عائشة قالت : لَمَّا كَانَ يَوْمُ أَحَدٍ هُزِمَ الْمُشْرِكُونَ ، فَصَرَخَ إِبْلِيسُ لِعْنَةُ اللَّهِ

(١) النَّمَرَةُ : بُرْدَةٌ مِنْ صَوْفٍ .

(٢) يَهْدِيهَا : يَجْتَنِيْهَا .

عليه : أَيْ عِبَادَ اللَّهِ^(١) أُخْرَاكُمْ . فَرَجَعَتْ أُولَاهُمْ فَاجْتَلَدَتْ هُنَّا وَأُخْرَاكُمْ ، فَبَصَرَ حَذِيفَةَ
إِذَا هُوَ بِأَيْمَانِهِ فَقَالَ : أَيْ عِبَادَ اللَّهِ أَبِي أَيْ ! قَالَ : قَالَتْ : فَوَاللَّهِ مَا احْتَجَزُوا حَتَّى
قُتُلُوهُ . فَقَالَ حَذِيفَةَ : يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ .

قال عروة : فَوَاللَّهِ مَا زَالَ فِي حَذِيفَةَ بَقِيَّةُ خَيْرٍ^(٢) حَتَّى لَقِيَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ .

قلت : كان سبب ذلك أن الميَانَ و ثابتَ بنَ وَقْشَ كَانَا فِي الْآطَامِ مَعَ النِّسَاءِ لِكَبِيرِهِمَا
وَضَعْفُهُمَا ، فَقَالَا : إِنَّهُ لَمْ يَبْقُ مِنْ آجَالَنَا إِلَّا ظُلْمٌ^(٣) حَمَارٌ . فَنَزَلا لِيَخْضُرَا الْحَرَبَ فَجَاءَ
طَرِيقَهُمَا نَاحِيَةَ الْمُشْرِكِينَ ، فَأَمَّا ثَابَتُ فَقَتَلَهُ الْمُشْرِكُونَ ، وَأَمَّا الْمِيَانُ فَقَتَلَهُ الْمُسْلِمُونَ خَطَاً .
وَنَصَدَقُ حَذِيفَةَ بَدِيهَةَ أَبِيهِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ ، وَلَمْ يَعَاذْ أَحَدًا مِنْهُمْ ، لِظَّهُورِ الْعَدْرِ فِي ذَلِكَ .

* * *

فصل

قال ابن إسحاق : وأصيَّت يومئذ عين قتادة بن النعيم حتى سقطت على وجهه ،
فردَّها رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده ، فـكانت أحسن عينيه وأحدَّها .
وفي الحديث عن جابر بن عبد الله ، أن قتادة بن النعيم أصيَّت عينيه يوم أحد حتى
سالت على خده ، فـردَّها رسول الله صلى الله عليه وسلم مكانَهَا ، فـكانت أحسنَ عينيه
وأحدَّها ، وكانت لا تَرْمِدُ إِذَا رَمَدَتِ الْأُخْرَى .

وروى الدارقطني بإسناد غريب ، عن مالك ، عن محمد بن عبد الله بن أبي صعصعة ،
عن أبيه ، عن أبي سعيد ، عن أخيه قتادة بن النعيم قال : أصيَّت عيناي يومَ أحد
فـسقطتا على وجهي ، فـأنيت بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعادهما مكانَهُما وبصق
فيهما فعادتا تَبَرِّقانِ .

(١) يزيد المسلمين ، أَيْ احْتَرَزُوا مِنَ الَّذِينَ وَرَاءَكُمْ مَتَّخِذِينَ عَنْكُمْ ، ليقتل بعضهم بعضاً .

(٢) وقيل : بقية حزن . القسطلاني ٦ / ٣٠٠

(٣) الظُّلْمُ : ما بين الشَّهْرَيْنِ وَالْوَرَدَيْنِ ، وَالْمَرَادُ : مَا يَقْعُدُ إِلَّا يَسِيرُ ، لَا يَهْبِسُ شَيْءاً ، أَنْصَرَ ظَمَّاً مِنْهُ .

والمشهور الأول ، أنه أصيّت عينه الواحدة ، ولهذا ما وفده على عمر بن عبد العزيز قال له : من أنت ؟ فقال له مترجملا :

أنا ابنُ الْذِي سَالَتْ عَلَى الْخَدَّ عَيْنِهِ فَرُدَّتْ بِكَفِّ الْمَصْطَفَى أَحْسَنَ الرَّدِّ
فَعَادَتْ كَمَا كَانَتْ لِأَوَّلِ أَمْرِهَا فَيَا حُسْنَهَا عَيْنًا وَيَا حُسْنَهَا مَا خَدَّ
فقال عمر بن عبد العزيز عند ذلك :

تَلَكَ الْمَكَارُمُ لَا قَعْبَانَ مِنْ لَبِنِ شِيمَاءَ فَعَادَ بَعْدًا أَبْوَالًا !
نَمْ وَصَلَهُ فَأَحْسَنَ جَاهِزَتَهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

فصل

قال ابن هشام : وقاتلت أم عمارة نسيبة^(١) بنت كعب المازريّة يوم أحد
فذكر سعيد بن أبي زيد الأنصاري ، أن أم سعد بنت سعد بن الربيع كانت قوى
دخلت على أم عمارة فقلت لها : يا خالة أخبرني خبرك . فقالت : خرجتُ أول الهاجر
أنظر ما يصنع الناسُ وهي سقاء فيه ماء ، فاتجهت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو في أصحابه ، والدولة والريح لل المسلمين ، فلما انهرم المسلمون انحرفتُ إلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقمت أباشر القتال وأدبتُ عنه بالسيف وأرمي عن القوس ، حتى
خلصت الجراح إلى .

قالت : فرأيت على عاتقها جرحًا أجوف له غور ، فقلت لها : من أصابك بهذا ؟
قالت : ابن قميته أقامه الله ، لما ولّ الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبل يقول :
دلوني على محمد لا نجوت إبن نجوا . فاعتبرضت له أنا ومصعب بن عمير وأناس من ثبت

(١) نسيبة ، بفتح النون وكسر السين المهملة ، كما ضبطها في الإكمال والتبيين والإصابة وغيرهم ، وصيغتها
بالتصغير وهي ، إنما هذا في نسيبة أم عطية ، فقله في أم عمارة غلط . انظر شرح المواهب ٤١ .

مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فضربني هذه الضربة ، ولقد ضرته على ذلك ضرباتٍ ولكن عدوَ الله كانت عليه درعًا .

قال ابن إسحاق : وَرَسَّأَ أبو دُجَانَةَ دونَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِنَفْسِهِ ، يَقُولُ فِي ظَهَرِهِ وَهُوَ مُنْهَنٌ عَلَيْهِ حَتَّى كَثُرَ فِيهِ النَّبْلُ .

قال ابن إسحاق : وَحَدَّثَنِي عَاصِمُ بْنُ عُمَرَ بْنِ قَاتِدَةَ ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَمَى عَنْ قَوْسِهِ ، حَتَّى اندَّقَتْ سِيَّتِهَا فَأَخْذَهَا قَاتِدَةُ بْنُ النَّعْمَانَ فَكَانَتْ عِنْدَهُ .

قال ابن إسحاق : وَحَدَّثَنِي الْقَاسِمُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ رَافِعٍ ، أَخُو بْنِ عَدَى بْنِ الْبَجَارِ ، قَالَ : اتَّهَى أَنْسُ بْنُ النَّضْرِ عَمُ أَنْسٍ بْنِ مَالِكٍ إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَابِ وَطَلْحَةَ بْنِ عَبِيدِ اللَّهِ ، فِي رِجَالٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ، وَقَدْ أَتَقْوَا بِأَيْدِيهِمْ قَالَ : فَمَا يَحْلِسُكُمْ؟ قَالُوا : قُتِلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . قَالَ : فَمَا تَصْنَعُونَ بِالْحَيَاةِ بَعْدَهُ! قَوْمًا فَوْتُوا عَلَى مَامَاتِ عَلِيهِ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . ثُمَّ اسْتَقْبَلَ الْقَوْمَ فَقَاتَلُوهُ حَتَّى قُتِلَ ، وَبِهِ سَمِّيَ أَنْسُ بْنُ مَالِكَ .

فَحَدَّثَنِي نُحَيْدُ الطَّوَيْلُ ، عَنْ أَنْسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ : لَقَدْ وَجَدْنَا بِأَنْسٍ بْنِ النَّضْرِ يَوْمَنِ سَبْعِينِ ضَرْبَةً ، فَمَا عَرَفْنَا إِلَّا أَخْتَهُ ، عَرَفْتُهُ بِيَنَانَهُ .

قال ابن هشام : وَحَدَّثَنِي بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ ، أَنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنَ بْنَ عَوْفَ أُصَيْبَ فُوهَ يَوْمَنِ فَهِمْ ، وَجُرِحَ عَشْرِينَ جَرَاحَةً أَوْ أَكْثَرَ ، أَصَابَهُ بَعْضُهَا فِي رِجْلِهِ فَعَرَجَ .

* * *

فصل

قال ابن إسحاق : وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ عَرَفَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ المَزِيْدَةَ وَقَوْلِ النَّاسِ قُتِلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، كَذَّكَرَ لِي الزَّهْرَى ، كَعْبُ بْنُ مَالِكَ

قال : رأيت عينيه تُزهان من تحت المغفر ، فناديت بأعلى صوتي يا معاشر المسلمين أبشروا هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم . فأشار رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أنصت .

قال ابن إسحاق : فلما عرف المسلمون رسول الله صلى الله عليه وسلم نهضوا به ، ونهض معهم نحو الشّعب معه أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعلى بن أبي طالب وطلحة بن عبيد الله والرّبير بن العوام والحارث بن الصّمة ورهط من المسلمين ، فلما أُسند^(١) رسول الله صلى الله عليه وسلم في الشّعب أدركه أبي بن خلف ، فذكر قتله عليه السلام أبياً كما تقدم .

قال ابن إسحاق : وكان أبي بن خلف ، كما حدثني صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن ابن عوف يلقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فيقول : يا محمد إن عندي العوذ ، فرساً ، أغلفه كل يوم فرقاً من ذرة أقتلك عليه .

فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : بل أنا أقتلك إن شاء الله .

فلم يرجع إلى قريش وقد خدشه في عنقه خدشاً غيرَ كبيرٍ فاحتقن الدم ، فقال : قتلتني والله محمد . فقالوا له : ذهب والله فؤادك ! والله إنْ بكِ بأس . قال : إنه قد كان قال لي بمكة : أنا أقتلك . فوالله لو بَصَقْتْ عَلَيْهِ لَقْتَلْتَنِي ! فمات عدو الله بسرف^(٢) ، وهم قافلون به إلى مكة .

قال ابن إسحاق : فقال حسان بن ثابت في ذلك :

لقد ورثَ الضلالَةَ عن أبيهِ أَبِيَّ يَوْمَ بَارَزَهُ الرَّسُولُ
أَتَيْتَ إِلَيْهِ تَحْمِلُ رِمَّ عَظِيمٍ وَتُوعَدُهُ وَأَنْتَ بِهِ جَهُولٌ
وَقَدْ قَتَلْتَ بَنْوَ النَّجَارِ مِنْكُمْ أَمْيَةَ إِذْ يَفْوَتُهُ : يَا عَقِيلُ

(١) أُسند : صعد . أي استند إلى جانب من الجبل . (٢) سرف : موضع على ستة أميال من مكة .

وَبَأْبَنِ رَبِيعَةَ إِذْ أَطَاعَهُ
أَبَا جَهْلَ لِأَمْهَا الْمُبُولُ
وَأَفْلَتَ حَارِثٌ لَمَّا شَعَلَنَا
وَقَالَ حَسَانُ بْنُ ثَابِتٍ أَيْضًا :

فَقَدِ^(١) الْقِيتَ فِي سُخْقِ السَّعِيرِ
أَلَا مَنْ مُبْلِغٌ عَنِّي أَبِيَا
تَمَّىٰ بِالضَّلَالَةِ مِنْ بَعْدِ
وَتُقْسِمُ أَنْ قَدْرَتَ مَعَ النَّذُورِ
تُمْنِيكَ الْأَمْسَانِي مِنْ بَعْدِ
وَقُولُ الْكُفَرِ يَرْجُعُ فِي غُرُورِ
فَقَدْ لَاقْتَكَ طَعْنَةً ذِي حِفَاظٍ
كَرِيمَ الْبَيْتِ لَيْسَ بِذِي فُجُورٍ
لَهُ فَضْلٌ عَلَى الْأَحْيَاءِ طَرّاً
إِذَا نَابَتْ مُمَمَّاتُ الْأَمْوَارِ

* * *

قال ابن إسحاق : فلما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى قم الشعب خرج على ابن أبي طالب حتى ملا درقه ماء من المهراس^(٢) ، فجاء بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليشرب منه ، فوجده ريحًا فعافه ولم يشرب منه ، وغسل عن وجهه الدم وصبَّ على رأسه وهو يقول : « اشتدَّ غَضْبُ اللَّهِ عَلَى مَنْ دَمَى وَجْهَ نَبِيِّهِ » .

وقد تقدم شواهد ذلك من الأحاديث الصحيحة بما فيه الكفاية .

قال ابن إسحاق : فَيَئِنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الشَّعْبِ مَعَهُ أَوْلَئِكَ الْكُفَرِ
مِنْ أَصْحَابِهِ إِذْ عَلَمَتْ عَالِيَّةً مِنْ قَرْبِشَ الْجَبَلَ . قال ابن هشام : فيهم خالد بن الوليد .

قال ابن إسحاق : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم إنا لا يتبغى لمن
أن يَعْلَوْنَا .

فقاتل عمر بن الخطاب ورهط معه من المهاجرين حتى أهبطوهم من الجبل ، ونهض

(١) ابن هشام : لقد .

(٢) المهرقة : الحجفة ، وهي ترس من جلد . والمهراس : ماء بأحد .

النبي صلى الله عليه وسلم إلى صخرة من الجبل ليعلوها وقد كان بَدْنَ^(١) رسول الله صلى الله عليه وسلم وظاهر بين درعين ، فلما ذهب ليهض لم يستطع ، فجلس تحته طلحة بن عبيد الله فهض به حتى استوى عليها .

خديني يحيى بن عَبَّاد ، بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه ، عن عبد الله بن الزبير ، عن الزبير ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يومئذ : « أَوْجَب طَلْحَة^(٢) » حين صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ ما صنع .

قال ابن هشام : وذكر عمر مولى عفرا ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى الظهر يوم أحد قاعداً من الجراح التي أصابته ، وصلى المسامون خلفه قعوداً .

* * *

قال ابن إسحاق : وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة قال : كان فيما رجل أَيُّ
لا يُدْرِى مَنْ هُوَ يَقَالُ لَهُ قَزْمَان ، فَكَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : إِذَا
ذُكْرٌ : « إِنَّمَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ ». .

قال : فلما كان يوم أحد قاتل قاتلاً شديداً ، فقتل هو وحده ثمانية أو سبعة من
المشركين ، وكان ذا بَأْسٍ ، فأشتبهَتْ الجراحَةُ ، فاحتُمِلَتْ إِلَى دارِ بَنِي ظفر .

قال : فجعل رجال من المسلمين يقولون له : والله لقد أبأيت اليوم يا ق Zimmerman فأبشر .

قال : بماذا أبشر ! فوالله إِنْ قاتلتُ إِلَّا عنْ حِسَابِ قومِيْ ، وَلَوْلَا ذَلِكَ مَا قاتلتُ !

قال : فلما اشتدت علية جراحته أخذ سهماً من كماناته فقتل به نفسه .

وقد ورد مثل قصة هذا في غزوة خيبر . كما سيأتي إن شاء الله .

قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا معمر ، عن الزهرى ، عن السيب ،
عن أبي هريرة ، قال : شهدنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر فقال لرجل

(١) بَدْنَ : نقل من السن . (٢) يعني : أحدث شيئاً يستوجب به الجنة .

من يدَّعى الإسلام : « هذا من أهل النار ». .

فَلَمَّا حَضَرَ الْقِتَالُ قَاتَلَ الرَّجُلُ قَتَالًا شَدِيدًا ، فَأَصَابَتْهُ جَرَاحَةٌ ، فَقَيْلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ الرَّجُلُ الَّذِي قَلَّتْ إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ . قَاتَلَ الْيَوْمَ قَتَالًا شَدِيدًا وَقَدْ مَاتَ . فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِلَى النَّارِ » .

فَكَادَ بَعْضُ الْقَوْمِ يَرْتَابُ ، فَبَيْنَمَا هُمْ عَلَى ذَلِكَ إِذْ قَيْلَ : إِنَّهُ لَمْ يَمْتَ وَلَكِنْ بِهِ جَرَاحَ شَدِيدَةٍ ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الظَّلَلِ لَمْ يَصْبِرْ عَلَى الْجَرَاحِ فَقُتِلَ نَفْسَهُ .

فَخَبَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِذَلِكَ فَقَالَ : « اللَّهُ أَكْبَرُ ، أَشْهَدُ أَنِّي عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ » .

ثُمَّ أَمْرَ بِلَالًا فَنَادَى فِي النَّاسِ : « إِنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا نَفْسٌ مُسْلِمَةٌ ، وَإِنَّ اللَّهَ يُؤْيِدُ هَذَا الدِّينَ بِالرَّجُلِ الْفَاجِرِ ! » .

وَأَخْرَجَاهُ فِي الصَّحِيفَيْنِ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ الرَّزَاقِ بْنِهِ .

* * *

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَكَانَ مِنْ قُتُلَ يومَ أَحَدٍ مُخَيْرِيقَ ، وَكَانَ أَحَدَ بْنِ ثَلْمَةَ بْنِ الْفَطِيْوَيْنَ فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ أَحَدٍ قَالَ : يَا مَعْشَرَ يَهُودِ ، وَاللَّهُ لَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ نَصْرَ مُحَمَّدٍ عَلَيْكُمْ حَقٌّ . قَالُوا : إِنَّ الْيَوْمَ يَوْمُ السَّبْتِ . قَالَ : لَا سَبْتُ لَكُمْ .

فَأَخْذَ سَيْفَهُ وَعَدَّهُ وَقَالَ : إِنَّ أَصْبَتُ فَالِّي لَهُمْ بِصَنْعِ فِيهِ مَا شَاءَ .

ثُمَّ غَدَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَاتَلَ مَعَهُ حَتَّى قُتُلَ .

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا بَلَغَنَا : « مُخَيْرِيقُ خَيْرُ يَهُودِ » .

قَالَ السَّهِيْلِيُّ : خَجَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمْوَالَ مُخَيْرِيقَ ، وَكَانَتْ سَبْعَ حَوَاطِنَ ، أَوْ قَافَّاً بِالْمَدِيْنَةِ لِلَّهِ .

قال محمد بن كعب القرطبي : وكانت أولَ وقفي بالمدينة .

وقال ابن إسحاق : وحدثني الحصين بن عبد الرحمن بن عمر بن سعد بن معاذ ، عن أبي سفيان مولى ابن أبي أحمد ، عن أبي هريرة ، أنه كان قول : حدثوني عن رجل دخل الجنة لم يصل قط .

فإذا لم يعرّفه الناس سأله من هو ؟ فيقول : أصيّم بن عبد الأشهل ، عمرو بن ثابت بن وقش .

قال الحصين : قلت لخمود بن أسد : كيف كان شأن الأصيّم ؟ قال : كان يأبى الإسلام على قومه ، فلما كان يوم أحد بدا له فأسلم ، ثم أخذ سيفه فندا حتى دخل في عرض الناس ، فقاتل حتى أثبته الجراحة . قال : فيما رجأ من بنى عبد الأشهل يلتمسون قتلاهم في المعركة إذا هم به ، فقالوا : والله إن هذا لآلاصيّم ماجاء به ؟ لقد تركناه وإنه لم ينكّر لهذا الحديث . فسأله فقالوا : [ماجاء بك يا عمرو] ^(١) أَحَدَبْ على قومك أُمِّ رغبة في الإسلام ؟

قال : بل رغبة في الإسلام ، آمنت بالله وبرسوله وأسلّمت ، ثم أخذت سيفي وغدوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقاتلت حتى أصابني ما أصابني .

فلم يلبث أن مات في أيديهم ، فذكروه لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « إنه من أهل الجنة » .

قال ابن إسحاق : وحدثني أبي ، عن أشياخ من بنى سلمة ، قالوا : كان عمرو بن الجوح رجلاً أعرج شديد العرج ، وكان له بنون أربعة مثل الأسد يشهدون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم المشاهد ، فلما كان يوم أحد أرادوا حبسه وقالوا : إن الله قد عذرك . فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : إن بنى يريدون أن يحبسوه عن هذا

الوجه والخروج معك فيه ، فوالله إني لأرجو أن أطأ بعْرَجَتِي هذه الجنة !
 فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أما أنت فقد عذرك الله فلا جهاد عليك »
 وقال لبنيه : « ما عليكِمْ أَن لا تمنعوه ، لعل الله أن يرزق الشهادة » .
 فخرج معه فُتُلِّ يوم أحد رضى الله عنه .

* * *

قال ابن إسحاق : ووَقَعَتْ هَنْدُ بُنْتُ عَتْبَةَ - كَا حَدَثَنِي صَالِحُ بْنُ كَيْسَانَ - وَالنَّسْوَةُ الْلَّائِي مَعَهَا يَمْتَلَّنَ بِالْقَتْلِي مِنْ أَحَادِيبِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ، يَجْدَعْنَ الْآذَانَ وَالْأَنُوفَ ، حَتَّى اتَّخَذْتُ هَنْدَ مِنْ آذَانِ الرِّجَالِ وَأَنُوفِهِمْ خَدْمًا^(١) وَقَلَانِدَ ، وَأَعْطَتْ خَدْمَهَا وَقَلَانِدَهَا وَقَرْطَهَا وَحْشِيًّا . وَبَقَرَتْ عَنْ كَبْدِ حَمْزَةَ فَلَا كَتَهَا فَلَمْ تُسْتَطِعْ أَنْ تُسْيِمَهَا فَلَفَظَتْهَا .

وَذَكَرَ مُوسَى بْنُ عَقْبَةَ أَنَّ الَّذِي بَقَرَ عَنْ كَبْدِ حَمْزَةَ وَحْشِيًّا ، فَخَلَمَهَا إِلَى هَنْدَ فَلَا كَتَهَا فَلَمْ تُسْتَطِعْ أَنْ تُسْيِمَهَا . فَاللَّهُ أَعْلَمُ .

قال ابن إسحاق : ثُمَّ عَلَتْ عَلَى صَخْرَةٍ مُّشَرْفَةٍ فَصَرَخَتْ بِأَعْلَى سَوْتِهَا فَقَالَتْ :

نَحْنُ جَرِينَـا كَمْ بِيَوْمِ بَدْرٍ وَالْحَرْبُ بَعْدَ الْحَرْبِ ذَاتُ سُعْرٍ^(٢)
 مَا كَانَ لِي عَنْ عُتْبَةِ مِنْ صَبَرٍ وَلَا أَخِي وَعْمَـهُ وَبَكَرٍ
 شَفِيتُ نَفْسِي وَقَضَيْتُ نَذْرِي شَفِيتَ وَحْشِيًّا غَلِيلَ صَدْرِي
 فَشُكْرُ وَحْشِيًّا عَلَى عُمْرِي حَتَّى تَرَمَّ أَعْظَمِي فِي قَبْرِي

قال : فَأَجَابَتْهَا هَنْدَ بُنْتُ أَنَاثَةَ بْنَ عَبَادَ بْنَ الْمَطَّلِبِ فَقَالَتْ :

خَرَبَتِ فِي بَدْرٍ وَبَعْدَ بَدْرٍ يَا بَنْتَ وَقَاعٍ عَظِيمِ الْكُفُرِ
 صَبَّحَكَ اللَّهُ غَدَةَ الْفَجْرِ مِنْ الْمَائِمِينَ الطَّوَالِ الْزَّهْرِ

(٢) السعر بضمتين : الشدة والقرم .

(١) المدم : الخلاخيل .

بكل قطاع حسام يفرى حزة لئى و على صقري
 إذ رام شيب وأبوك عذرى فضبا منه ضواحي النحر
 و ندرك السوء فشر نذر

قال ابن إسحاق : وكان الحليس بن زيان أخو بني الحارث بن عبد مناة - وهو يومئذ سيد الأحابيش - مرأة أبي سفيان وهو يضرب في شدق حزة بن عبد المطلب برج الرمح ويقول : ذُقْ عَقْقَ !

فقال الحليس : يابني كنانة ، هذا سيد قريش يصنع بابن عمك ماترون لحما !
 فقال : ويحلك أكتمها عن فايهها كانت زلة .

* * *

قال ابن إسحاق : ثم إن أبو سفيان حين أراد الانصراف أشرف على الجبل ثم صرخ بأعلى صوته : أَنْعَمْتَ [١) فَعَالٍ [٢) إِنَّ الْحَرْبَ سِجَالٌ ، يوْمَ بَدْرٍ ، أَعْلَمْ هُبْلٍ أَيْ ظَهَرْ دِينُكَ [٣) .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر : « قم يا عمر فأحببه فقل : الله أَعْلَى وأَجْلَى ، لا سواه ، قُتْلَانَا فِي الْجَنَّةِ وَقُتْلَكَ فِي النَّارِ ». .

فقال له أبو سفيان : هل إلى يا عمر . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر : انته فاظر ما شأنه .

فجاءه فقال له أبو سفيان : أنسدك الله يا عمر ، أقتلنا مهدا ؟ ف قال عمر : اللهم لا ، وإنك ليسمع كلامك الآن . قال : أنت عندى أصدق من ابن قنة وأبر .

(١) أَنْعَمْتَ : بفتح التاء : خطاب لنفسه . ويسكونها يريد : الحرب أو الواقعة أو الأزمات : « أَجَابَ بِنَعَمْ »

(٢) من ابن هشام . وفعال : اسم للفعل الحسن . وقال السهili : فعال : أمر ، أى عال عنها وأقصر عن لومها ، تقول العرب : أعل عن وعال ، بمعنى ارتفع عن ودعي .

(٣) ابن هشام : أى : ظهر دينك .

قال ابن إسحاق : ثم نادى أبو سفيان : إنه قد كان في قتلاكم مثل^(١) والله مارضيت وما سخطت ، وما نهيت ولا أمرت .

قال : ولما انصرف أبو سفيان نادى : ابنَ موعدَ كم بدر العامَ المُقْبَلِ .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل من أصحابه : قل : نعم هو ينتاوينك موعد .

قال ابن إسحاق : ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبي طالب فقال : أخرج في آثار القوم وانظر ماذا يصنعون وما يريدون ، فإن كانوا قد جنّبوا الخيل وامتطوا الإبل فليهم يريدون مكة ، وإن ركبوا الخيل وساقوا الإبل فهم يريدون المدينة . والذى نفسى بيده إن أرادوها الأسرى إليهم فيها ثم لأنجزهم .

قال علي : نخرجت في آثرهم أنظر ماذا يصنعون ، خنبوا الخيل وامتطوا الإبل ووجهوا إلى مكة .

(١) المثل : كالمثل ، التكبيل بالقتل .

ذَكْرُ دُعَاء النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ الْوَقْتَ يَوْمَ أَحَدٍ

قال الإمام أحمد : حدثنا مروان بن معاوية الفزارى ، حدثنا عبد الواحد بن أيمى المكتى ، عن ابن رفاعة الزرق ، عن أبيه ، قال : لما كان يوم أحد وانكفا المشركون قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « استووا حتى أثني على ربى عز وجل ، فصاروا خلفه صفوفاً فقال :

« اللهم لك الحمد كله ، اللهم لا قابض لما بسطت ، ولا باسط لما قبضت ، ولا هادى من أضللت ، ولا مُضل من هديت ، ولا ممعنٰى لما منعت ولا مانع لما أعطيت ، ولا مقرب لما باعدت ولا مبعد لما قربت ، اللهم ابسط علينا من بر كاتك ورحمتك وفضلك ورزقك .

اللهم إنى أسألك النعيم المقيم الذى لا يخouول ولا يزول ، اللهم إنى أسألك النعيم يوم العيـلة والأمن يوم الخوف .

اللهم إنى عاذ بك من شر ما أعطينا وشر ما منعتنا .

اللهم حبـب إلينا الإيمان وزينـه في قلوبـنا ، وكرـه إلينـا الكـفر والفسـق والعـصيان واجعلـنا من الرـاشـدين .

اللهم توفـنا مـسلمـين وأـحـيـنا مـسلـمـين ، وأـلحـقـنا بـالـصالـحـين غـيرـ خـزاـيا ولامـفـتوـنـين .

اللهم قـاتـلـ الـكـفـرـةـ الـذـينـ يـكـذـبـونـ رـسـلـكـ وـيـصـدـونـ عـنـ سـبـيلـكـ ، وـاجـعـلـ عـلـيـهـمـ رـجـزـكـ وـعـذـابـكـ . اللـهمـ قـاتـلـ الـكـفـرـةـ الـذـينـ أـوـتـواـ الـكـتـابـ ، إـلـهـ الـحـقـ » .

ورواه النسائي في اليوم والليلة ، عن زياد بن أيوب ، عن مروان بن معاوية ، عن عبد الواحد بن أيمى ، عن عبيد بن رفاعة ، عن أبيه به .

فصل

قال ابن إسحاق : وفرغ الناس لقتلاهم ، خذثني محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن ابن أبي صمعنة المازني ، أخو بنى النجار ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : مَنْ رَجُلٌ يُنْظَرُ إِلَيَّ مَا فَعَلَ سَعْدُ بْنُ الْرَّبِيعَ أَفِي الْأَحْيَاءِ هُوَ أَمْ فِي الْأَمْوَاتِ ؟ فقال رجل من الأنصار : أنا .

فنظر فوجده جريحاً في القتل وبه رمق ، قال : فقال له : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرني أن أنظر أفي الأحياء أنت أم في الأموات .

فقال : أنا في الأموات ، فأبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم سلامي وقل له : إن سعد ابن الربيع يقول لك : جزاك الله عنّا خيراً ما جزّي نبيّاً عن أمته . وأبلغ قومك عن السلام وقل لهم : إن سعد بن الربيع يقول لكم : إنه لا عذر لكم عند الله إن خلص إلى نبيكم وفيكم عين آطرف !

قال : ثم لم أبرح حتى مات وجئت النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته خبره .
فت . كان الرجل الذي التمس سعداً في القتل محمد بن سلمة ، فيما ذكره محمد بن عمر الواقعى . وذكر أنه ناداه مرتين فلم يحبه ، فلما قال : إن رسول الله أمرني أن أنظر خيراً . أجابه بصوت ضعيف وذگره .

وقال الشيخ أبو عمر في الاستيعاب : كان الرجل الذي التمس سعداً أبي بن كعب . فالله أعلم .

وكان سعد بن الربيع من النقباء ليلة المقببة رضي الله عنه ، وهو الذي آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بيته وبين عبد الرحمن بن عوف .

قال ابن إسحاق : وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في بلغى يلتسم حزنة بن عبد المطلب ، فوجده يبطن الوادي قد بقر بطنه عن كبدہ ومثلاً به فجذع أنه وأذناه .
حدثني محمد بن جعفر بن الزبير ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حين رأى مارأى : « لو لا أن تَحْزُن صَفَيَّةً وَتَكُون سُنَّةً مِنْ بَعْدِي ، لَرَكِّتُهُ حَتَّى يَكُون فِي بَطْوَنِ السَّبَاعِ وَحَوَاصِلِ الطَّيْرِ ، وَلَئِنْ أَظْهَرْنِي اللَّهُ عَلَى قَرِيشٍ فِي مَوْطِنِهِ لَمْ يَمْثُلْنَا بَلْ ثَلَاثَيْنَ رَجُلًا مِنْهُمْ ». لِمَنْ شَاءَ

فَلَمَّا رأى الْمُسْلِمُونَ حُزْنَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَغَيْظَهُ عَلَى مِنْ فَعَلَ بِعْدِهِ مَا فَعَلَ ، قَالُوا : وَاللَّهِ لَئِنْ أَظْفَرْنَا اللَّهَ بِهِمْ يَوْمًا مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَمْثُلُنَا بَلْ ثَلَاثَيْنَ رَجُلًا مِنَ الْعَرَبِ .

قال ابن إسحاق : حدثني بُريدة بن سفيان بن فروة الأشلمي ، عن محمد بن كعب ، وحدثني من لا أتهم عن ابن عباس ، أن الله أنزل في ذلك : « وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاوِقُّبُوا بِمِثْلِ مَا عَوِقْبُتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ » الآية .

قال : فعفا رسول الله صلى الله عليه وسلم وصبر ونهى عن المثلة .

قلت : هذه الآية مكية ، وقصة أحد بعد الهجرة بثلاث سنين ، فكيف يلتهم هذا ؟ فالله أعلم .

قال : وحدثني حميد الطويل ، عن الحسن ، عن سمرة ، قال : ما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم في مقام قفارته حتى يأمر بالصدقة وينهى عن المثلة .

وقال ابن هشام : ولما وقف النبي صلى الله عليه وسلم على حزنة قال : « لن أصاب بثلث أبداً ، ما وقفتُ قط موقعاً أغrieve إلى من هذا ! ». ثم قال :

« جاءني جبريل فأخبرني أن حزنة مكتوب في السماوات السبع : « حزنة ابن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله ». .

قال ابن هشام : وكان حمزة وأبو سلمة بن عبد الأسد أخوئ رسول الله صلى الله عليه وسلم من الرضاعة ، أرضعهم ثلاثة ثانية مولاة أبي هب .

ذكر الصلاة على حمزة وقتل أحد

وقال ابن إسحاق : وحدثني من لا أتهم ، عن مِقْسَمَ ، عن ابن عباس ، قال : « أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بمحنة فسُجْنِي ببردة ثم صلّى عليه ، فكثير سبع تكبيرات ، ثم أتى بالقتل . يوضعون إلى حمزة فصلّى عليهم وعليه معهم ، حتى صلّى عليه ثنتين وسبعين صلاة » . وهذا غريب وسنده ضعيف .

قال السُّهْلِي : ولم يقل به أحد من علماء الأمصار .
وقد قال الإمام أحمد : حدثنا عفان ، حدثنا حماد ، حدثنا عطاء بن السائب ، عن الشعبي ، عن ابن مسعود ، قال : إن النساء كُنَّ يومَ أَحَد خَلْفَ الماسِمِينَ يُجْهَزُنَّ على جرحي المشركين ، فلو حَلَفْتُ يومئذ رجوتُ أن أَبْرَأَ أَنْ لِي إِحْدَى مَا يُرِيدُ الدِّينُ
حتى أَنْزَلَ اللَّهُ : « مَنْ كُمْ مَنْ يُرِيدُ الدِّينَ وَمَنْ كُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ، ثُمَّ صَرَفَكُمْ
عَنْهُمْ لِيَتَأْمِيكُمْ ». »

فَلَمَا خَالَفَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَصَوْا مَا أَمْرَوْا بِهِ أَفْرَدَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي تِسْعَةٍ : سَبْعَةٍ مِنَ الْأَنْصَارِ وَاثْنَيْنِ مِنْ قُرَيْشٍ وَهُوَ عَاشِرُهُمْ ، فَلَمَّا
رَأَهُمْ قَوْهُ قَالَ : رَحْمَةُ اللَّهِ رَجْلًا رَدَمْهُ عَنَا . فَلَمْ يَزِلْ يَقُولُ ذَاهِتًا حَتَّى قُتِلَ السَّبْعَةُ ، فَقَالَ رَسُولُ
الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِصَاحْبِيَّهُ : مَا أَنْصَفْنَا أَصْحَابَنَا .

خَيْرُ أَبْوَابِ سَفِيَانَ قَالَ : أَعْلَمُ هَبْلٌ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : قُولُوا :
اللَّهُ أَعْلَمُ وَأَجَلٌ . فَقَالُوا : اللَّهُ أَعْلَمُ وَأَجَلٌ .

قال أبو سفيان : لنا العزّى ولا عزى لكم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
قولوا : الله مولانا ولا مولى لكم .

تم قال أبو سفيان : يوم بيوم بدر ، يوم لنا و يوم علينا ، و يوم نساء و يوم نسر ،
حنظلة بحنظلة ، و فلان بفلان .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا سواء ، أمّا قتلنانا فأحياء يُرْزَقون و قتلناكم
في النار يعذّبون .

قال أبو سفيان : قد كانت في القوم مُثْلَةً وإن كانت لعن غير ملائِه منا ، ما أمرت
ولا نهيت ولا أحبيت ولا كُوشت ، ولا ساءني ولا سرّاني .

قال : فنظروا فإذا حمزة قد بُقر بطنه وأخذت هند كبدَه فلما كثُرَها فلم تستطع أن
تأكلها . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أَكَلْتُ شَيْئًا ؟ قالوا : لا . قال : ما كان
الله يُمْدِنُ شَيْئًا من حمزة في النار .

قال : فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم حمزة فصلَّى عليه وجىء برجل من
الأنصار فوضع إلى جنبه فصلَّى عليه ، فرفع الأنصارى وترك حمزة . وجىء بأخر
فوضعه إلى جانب حمزة فصلَّى عليه ، ثم رفع وترك حمزة . حتى صلى عليه يومئذ
سبعين صلاة » .

تفرد به أَحْمَد ، وهذا إسناد فيه ضعف أيضًا من جهة عطاء بن السائب . فالله أعلم .
والذى رواه البخارى أثبَتَ حِيثَ قال : حدثنا قتيبة ، حدثنا المثلث ، عن ابن
شہاب ، عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك ، أن جابر بن عبد الله أخبره أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان يجمع بين الرجالين من قتلى أحد في ثوب واحد ثم يقول : أئُهم
أَكثَرَ أَخْذًا للقرآن ؟ فإذا أُشير له إلى أحد هما قدَّمه في اللحد ، وقال : أنا شهيد على هؤلاء
يوم القيمة . وأَمْسَ بِدَفْنِهِ بِدَمَائِهِ وَلَمْ يَصُلْ عَلَيْهِمْ وَلَمْ يَغْسِلُوهَا .

تفرد به البخارى دون مسلم . ورواه أهل السنن من حديث الليث بن سعد به .
وقال أَحْمَدُ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ ، يَعْنِي أَبْنَ جَعْفَرَ ، حَدَّثَنَا شَعْبَةُ ، سَمِعَتْ عَبْدَ رَبِّهِ يَحْدُثُ
عَنِ الزَّهْرَىِ ، عَنْ أَبْنَ جَابِرٍ ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
أَنَّهُ قَالَ فِي قَتْلِ أَحَدٍ : إِنَّ كُلَّ جَرْحٍ أَوْ كُلَّ دَمٍ يَفْوَحُ مِسْكًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ .
وَلَمْ يَصُلْ عَلَيْهِمْ .

وَثَبَّتَ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِمْ بَعْدَ ذَلِكَ بِسِنِينَ عَدِيدَةٍ قَبْلَ وَفَاتِهِ يَسِيرًا . كَمَا قَالَ البخارى :
حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحِيمِ ، حَدَّثَنَا زَكَرِيَّاً بْنَ عَدَى ، أَخْبَرَنَا [أَبْنُ]^(١) [الْمَبَارَكُ] ،
عَنْ حَيَّوَةِ ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي حَبِيبٍ ، عَنْ أَبِي الْتَّلِيْرِ ، عَنْ عُقْبَةِ بْنِ عَامِرٍ ، قَالَ :
صَلَّى ^(٢) رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى قَتْلِ أَحَدٍ بَعْدَ ثَمَانِيْ سنِينَ كَالْمَوْدُعُ لِلأَحْيَاءِ
وَالْأَمْوَاتِ ، ثُمَّ طَلَّمَ الْمَبَرْ قَالَ : « إِنِّي بَيْنَ أَيْدِيكُمْ فَرَطْ وَأَنَا عَلَيْكُمْ شَهِيدٌ ، وَإِنِّي
مَوْعِدُكُمْ الْحَوْضُ ، وَإِنِّي لَأَنْظُرُ إِلَيْهِ مِنْ مَقَامِ هَذَا ، وَإِنِّي لَسْتُ أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ
تُشَرِّكُوا ، وَلَكُنِّي أَخْشَى عَلَيْكُمُ الدِّينِ أَنْ تَنَافَسُوهَا .

قَالَ : فَكَانَ آخِرُ نَظَرِهِ نَظَرُهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وَرَوَاهُ البخارى فِي مَوَاضِعِ أَخْرَى ، وَمُسْلِمٌ ، وَأَبُو دَاوُدَ ، وَالنَّسَائِيُّ ، مِنْ حَدِيثِ يَزِيدَ
أَبْنِ أَبِي حَبِيبٍ بِهِ نَحْوُهُ .

وَقَالَ الْأَمْوَى : حَدَّثَنِي أَبِي ، حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ عَمَارَةَ ، عَنْ حَبِيبِ بْنِ أَبِي ثَابَتِ ،
قَالَ : قَالَتْ عَائِشَةُ : خَرَجْنَا مِنَ السَّحْرَ مَحْرَجَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى أَحَدٍ
نَسْتَطِعُ الْخَبْرَ ، حَتَّى إِذَا طَلَّمُ الْفَجْرِ إِذَا رَجَلٌ مُحْتَجِرٌ يَشْتَدُّ وَيَقُولُ :
لَبِثْ قَلِيلًا يَشْهُدُ الْهَيْجَانَ حَمْلٌ ^(٣)

(١) أَبْنُ الْمَبَارَكُ هُوَ عَبْدُ اللَّهِ . وَقَدْ سُقِطَتْ مِنَ الْأَصْلِ . وَأَثْبَتَهَا مِنْ صَحِيحِ البخارى فِي غَزْوَةِ أَحَدٍ .

(٢) قَالَ الْقَسْطَلَانِيُّ : الْمَرَادُ أَنَّهُ دَعَا لَهُمْ بِدُعَاءِ صَلَاةِ الْمَيْتِ ، وَالْأَجَاعِيْدُ لَهُ ، لَأَنَّهُ لَا يَصْلِي عَلَيْهِ - أَيِّ الْقَبْرِ -

عِنْ الشَّافِعِيَّةِ ، وَعِنْدَ أَبِي حَيْفَةَ الْمَالِكِ : لَا يَصْلِي عَلَى الْقَبْرِ بَعْدَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ . إِرشَادُ السَّارِيِّ ٦ / ٢٩١ .

(٣) نَسَبَهُ فِي تَاجِ الْعَرَوْسِ ٧ / ٢٩٠ - تَحْمِلُ بْنُ سَعْدَانَةَ الصَّحَابَى . وَعِبْرَهُ : « مَا أَحْسَنَ الْوَتْ إِذَا حَانَ

الْأَجْلِ » وَرَوَاهُتِهِ فِي الْلِسَانِ ١٣ / ١٩٣ : « ضَعَ قَلِيلًا يَدْرَكُ .. » وَقَالَ : « يَعْنِي بِهِ قَلْلُ بَنْ بَنْدَرٍ » .

قال : فنظرنا فإذا أسيد بن حضير ، ثم مكثنا بعد ذلك ، فإذا بغير قد أقبل ، عليه امرأة بين وسقين .

قالت : فدنونا منها فإذا هي امرأة عور و بن الجوح ، فقلنا لها : ما الخبر ؟ قالت : دفع الله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واتخذ من المؤمنين شهدا « ورد الله الذين كفروا بعيمهم لم ينالوا خيرا و كفى الله المؤمنين القتال ، وكان الله قويانا عزيزا » .

ثم قالت لبعيرها : حل . ثم نزلت ، فقلنا لها : ما هذا ؟ قالت : أخي وزوجي .

وقال ابن إسحاق : وقد أقبلت صفية بنت عبد المطلب لتنظر إليه ، وكان أخاه الأبيها وأمها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يهرا الزبير بن العوام : القها فارجعوا لا ترى ما ياخيها . فقال لها : يا أمها إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرك أن ترجعي . قالت : ولم ، وقد بلغنى أنه مثل أخي وذلك في الله ، فما أرضانا ما كان من ذلك ، لأنفسين ولأصبرن إن شاء الله .

فلما جاء الزبير إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبره بذلك قال : خل سبيلها ، فأتته فنظرت إليه وصلّت عليه واسترجمت واستغفرت .

قال ابن إسحاق : ثم أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فدفن ، ودفن معه ابن اخته عبد الله بن جحش وأمه أميمة بنت عبد المطلب ، وكان قد مثل به غير أنه لم ينكر عن كبده . رضي الله عنهما .

قال السهيلي : وكان يقال له المجدع في الله . قال : وذكر سعد أنه هو عبد الله بن جحش داعيا بدعاوة فاستجيبت لها ، فدعى سعد أن يلقى فارساً من المشركين فيقتله ويستتابه ، فكان ذلك . ودعا عبد الله بن جحش أن يلقاء فارس فيقتله ويجددع أنه في الله ، فكان ذلك .

وذكر الزبير بن بكار أن سيفه يومئذ انقطع ، فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم عرجونا فصار في يد عبد الله بن جحش سيفاً يقاتل به ، ثم بيع في تركة بعض ولده بمائة دينار .

وهذا كما تقدم لعكاشة في يوم بدر .

* * *

وقد تقدم في صحيح البخاري أيضاً أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يجمع بين الرجلين والثلاثة في القبر الواحد ، بل في السكفين الواحد .

وإنما أرخص لهم في ذلك لما بالمسامين من الجراح التي يشق معها أن يحفروا السكل واحد واحد . ويقدم في اللحد أكثراً مما أخذ للقرآن .

وكان يجمع بين الرجلين للتتصابجين في اللحد الواحد ، كما جمع بين عبد الله بن عمرو بن حرام والدجابر ، وبين عمرو بن الجحوض ، لأنهما كانوا متصابجين .
ولم يغسلوا بل ترکهم بجراحهم ودمائهم .

كما روى ابن إسحاق عن الزهرى ، عن عبد الله بن ثعلبة بن صعير ^(١) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما انصرف عن القتلى يوم أحد قال : « أنا شهيد على هؤلاء ، أنه مامن جريح ينجرح في سبيل الله إلا والله يبعثه يوم القيمة يدْمِي جرحه ، اللون لون دم والريح ريح مسك » .

قال : وحدثني عبّى موسى بن يسار ، أنه سمع أبا هريرة يقول : قال أبو القاسم صلى الله عليه وسلم : « مامن جريح ينجرح في الله إلا والله يبعثه يوم القيمة وجرحه يدْمِي ، اللون لون الدم والريح ريح المسك » .

(١) من بي عذرة حلبي بي زهرة ، له رؤبة ولم يثبت له سماع ، مات سنة تسع وسبعين .

وهذا الحديث ثابت في الصحيحين من غير هذا الوجه .

وقال الإمام أحمد : حدثنا علي بن عاصم ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : أَصْرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا أَحَدًا بِالشَّهْدَاءِ أَنْ يُنْزَعُ عَنْهُمُ الْحَدِيدُ وَالْجَلْوَدُ وَقَالَ : « ادْفُونُوهُمْ بِدَمَائِهِمْ وَثِيَابِهِمْ ». رواه أبو داود وابن ماجه من حديث علي بن عاصم به .

وقال الإمام أبو داود في سنته : حدثنا القعبي ، أن سليمان بن المغيرة حدثهم ، عن حميد بن هلال ، عن هشام بن عامر ، أنه قال : جاءت الأنصار إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد فقلوا : قد أصابنا قرح وجه فكيف تأمر ؟ فقال : « احفروا وأوسعوا ، واجعلوا الرَّجَلَيْنِ وَالثَّلَاثَةَ فِي الْقَبْرِ الْوَاحِدِ ». .

قيل : يارسول الله فأيهما يقدّم ؟ قال : أَكْثَرُهُمْ قرآنًا .

ثم رواه من حديث الثورى ، عن أيوب ، عن حميد بن هلال ، عن هشام بن عامر . فذكره . وزاد : وأعمقوها .

قال ابن إسحاق : وقد احتمل ناسٌ من المسلمين قتلهم إلى المدينة فدفونهم بها ، ثم نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك وقال : « ادفونهم حيث صرعوا ». .

وقد قال الإمام أحمد : حدثنا علي بن إسحاق ، حدثنا عبد الله وعتاب ، حدثنا عبد الله ، حدثنا عمر بن سامة بن أبي يزيد المديني ، حدثني أبي ، سمعت جابر بن عبد الله يقول : استشهد أبي بأحد ، فأرسلني أخيه إلى بناضج لهن ، فقام : اذهب فاحتمل أباك على هذا الجبل فادفنه في مقبرة بنى سامة .

فقال : فجئته وأعوانَ لِي ، فبلغ ذلك نبَّيَ الله وهو جالس بأحد ، فدعاني فقال : « وَالَّذِي نَفْسِي بِيدهِ لَا يُدْفَنُ إِلَّا مَعَ إِخْوَتِهِ ». .

فُدُونَ مَعَ أَصْحَابِهِ بِأَحَدٍ .
تَفَرَّدَ بِهِ أَحَدٌ .

وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ : حَدَثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ ، حَدَثَنَا شُعْبَةُ ، عَنِ الْأَسْوَدِ بْنِ قَيْسٍ ، عَنْ
نَبِيِّهِ ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، أَنَّ قُتْلَى أَحَدٍ حَمَلُوا مِنْ مَكَانِهِمْ ، فَنَادَى مَنَادِي النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَنْ رُدُوا الْقَتْلَى إِلَى مَضَاجِعِهِمْ .

وَقَدْ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدُ وَالنَّسَائِيُّ مِنْ حَدِيثِ الشَّوَّرِيِّ ، وَالترْمذِيُّ ، مِنْ حَدِيثِ شُعْبَةَ
وَالنَّسَائِيِّ أَيْضًا ، وَابْنِ ماجِهِ مِنْ حَدِيثِ سَفِيَّانَ بْنِ عَيْنَةَ ، كُلُّهُمْ عَنِ الْأَسْوَدِ بْنِ قَيْسٍ ، عَنْ
نَبِيِّهِ الْعَزِيزِ ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ : خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْمَدِينَةِ
إِلَى الْمُشْرِكِينَ يَقَاتِلُهُمْ وَقَالَ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ : يَا جَابِرُ لَا عَلَيْكَ أَنْ تَكُونَ فِي نَظَارَى أَهْلِ
الْمَدِينَةِ حَتَّى تَعْلَمَ إِلَى مَا يَصِيرُ أُمُرُّنَا ، فَإِنِّي وَاللَّهِ لَوْلَا أَنِّي أَتَرَكَ بَنَاتِي لَيْ بَعْدِي لَأَحْبَبَتْ أَنِّي
تُقْتَلَ بَيْنَ يَدَيِّ .

قَالَ : فَبَيْنَا أَنَا فِي النَّظَارَيْنِ إِذْ جَاءَتِي عَمْتِي بَنِي وَخَالِي عَادِلَتَهُمَا عَلَى نَاضِحٍ ، فَدَخَلْتُ
بِهِمَا الْمَدِينَةَ لِتَدْفَهُمَا فِي مَقَابِرِنَا ، إِذْ لَحِقَ رَجُلٌ يَنادِي : أَلَا إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَرْجِعُوا بِالْقَتْلَى فَتَدْفُنُوهَا فِي مَصَارِعِهَا حِيثُ قُتِلْتُ . فَرَجَعْنَا بِهِمَا فَدَفَنَاهُمَا
حِيثُ قُتِلُّا .

فَبَيْنَما أَنَا فِي خَلَافَةِ مَعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سَفِيَّانٍ إِذْ جَاءَنِي رَجُلٌ قَالَ : يَا جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ ،
وَاللَّهِ لَقَدْ أَثَارَ أَبَاكَ عَمَالُ مَعَاوِيَةَ فَبَدَا ، نَفَرَّجَ طَافِهَةً مِنْهُ .

فَأَتَيْتَهُ فَوَجَدَتْهُ عَلَى النَّجْحُونِ الَّذِي دَفَنَتْهُ لَمْ يَتَغَيَّرْ ، إِلَّا مَا لَمْ يَدَعْ الْقَتْلُ أَوْ الْقَتْلِ .
ثُمَّ سَاقَ الْإِمَامَ قَصَّةً وَفَاثَهُ دَيْنَ أَبِيهِ ، كَمَا هُوَ ثَابُتُ فِي الصَّحِيفَتِينِ .

وَرَوَى البَيْهِقِيُّ مِنْ طَرِيقِ حَمَادَ بْنِ زَيْدٍ ، عَنْ أَيُوبَ ، عَنْ أَبِي الزَّبِيرِ ، عَنْ جَابِرِ بْنِ
عَبْدِ اللَّهِ قَالَ : لَمَّا أَجْرَى مَعَاوِيَةَ الْعَيْنَ عِنْدَ قَتْلِ أَحَدٍ بَعْدَ أَرْبَعينَ سَنَةً اسْتُصْرَخَنَا إِلَيْهِمْ ،

فأَتَيْنَاهُمْ فَأَخْرَجْنَاهُمْ ، فَأَصَابَتِ الْمِسْحَاجَةَ قَدْمَ حَمْزَةَ فَانْبَعَثَ دَمًا !
وَفِي رِوَايَةِ ابْنِ إِسْحَاقَ عَنْ جَابِرٍ قَالَ : فَأَخْرَجْنَاهُمْ كَائِنًا دُفِنُوا بِالْأَمْسِ .
وَذَكَرَ الْوَاقِدِيُّ أَنَّ مَعَاوِيَةَ لَمْ أَرَادْ أَنْ يُجْرِيَ الْعَيْنَ نَادَى مَنَادِيهِ : مَنْ كَانَ لَهُ قَتْلٌ
بِأَحَدٍ فَلَا يَشَهِّدْ . قَالَ جَابِرٌ : خَفَرَ نَاعِمُهُمْ فَوُجِدَتْ أَبِي فِي قَبْرِهِ كَائِنًا هُوَ نَائِمٌ عَلَى هِيَئَتِهِ
وَوَجَدْنَا جَابِرَهُ فِي قَبْرِهِ عُمَرَ بْنَ الْجَمَوْحِ وَيَدُهُ عَلَى جَرْحٍ ، فَأَزْيَلْتُ عَنْهُ فَانْبَعَثَ جَرْحُهُ دَمًا !
وَيَقَالُ : إِنَّهُ فَاحَ مِنْ قَبْوَرِهِ مُثِلُّ رَيحِ الْمَسْكِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ . وَذَلِكَ بَعْدَ
مُتْ وَأَرْبَعينَ سَنَةً مِنْ يَوْمِ دُفْنِهِ .

* * *

وَقَدْ قَالَ الْبَخَارِيُّ : حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ ، حَدَّثَنَا بَشْرٌ بْنُ الْمَفْضِلِ ، حَدَّثَنَا حَسْيَنُ الْمَعْلُومُ ، عَنْ
عَطَاءٍ ، عَنْ جَابِرٍ قَالَ : لَمَّا حَضَرَ أَحَدٌ دُعَى أَبِي مِنَ الظَّلِيلِ فَقَالَ لَى : مَا أَرَانِي إِلَّا مُقْتُولًا
فِي أَوَّلِ مَنْ يُقْتَلُ مِنْ أَحْمَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَإِنِّي لَا أَتُرْكُ بَعْدِ أَعْزَّ عَلَى
مِنْكَ غَيْرَ نَفْسِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَإِنِّي عَلَى دِينِي فَاقْضِ وَاسْتَوْصِ
بِأَخْوَاتِكَ خَيْرًا .

فَأَصَبَّنَا ، وَكَانَ أَوَّلَ قَتْلًا ، فَدَفَنْتُ مَعَهُ آخَرَ فِي قَبْرِهِ ، ثُمَّ لَمْ تَطِبْ نَفْسِي أَنْ أَتَرْكَهُ
مَعَ آخَرَ فَاسْتَخْرَجْتُهُ بَعْدَ سَتَةِ أَشْهُرٍ ، إِذَا هُوَ كَيْوَمْ وَضُعْتُهُ هِيَئَةً غَيْرَ أَذْنِهِ .
وَثَبَتَ فِي الصَّحِيفَتَيْنِ مِنْ حَدِيثِ شَعْبَةَ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُنْكَدِرِ ، عَنْ جَابِرٍ ، أَنَّهُ لَمَّا قُتِلَ
أَبُوهُ جَعَلَ يَكْشِفُ عَنْهُ الثُّوبَ وَيَبْكِيُّ ، فَنَهَا النَّاسُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ : « تَبَكِّيهُ أَوْ لَا تَبَكِّيهُ ،
لَمْ يَرْزُلْ لِلْمَلَائِكَةَ تُظْلَهُ حَتَّى رَفِقَمُوهُ » .
وَفِي رِوَايَةِ أَنَّ عَمَتَهُ هِيَ الْبَاكِيَّةِ .

وَقَالَ الْبَيْهِقِيُّ : حَدَّثَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحَافِظِ وَأَبُو بَكْرِ أَحْمَدِ بْنِ الْحَسَنِ الْقَاضِيِّ ، قَالَا :
حَدَّثَنَا أَبُو الْعَبَّاسِ مُحَمَّدِ بْنِ يَعْقُوبَ ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ ، حَدَّثَنَا فَيْضُ بْنُ وَثِيقِ الْبَصَرِيِّ ،

حدثنا أبو عبادة الأنصارى ، عن الزهرى ، عن عروة ، عن عائشة ، قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجابر : « يا جابر ألا أبشرك ؟ قال : بلى ، بَشَّرَكَ اللَّهُ بِالظَّيْرِ . فقال : « أشرعتَ أنَّ اللَّهَ أَحَدًا أَبَاكَ فَقَالَ : تَمَنَّ عَلَى عَبْدِي مَا شَاءَتْ أَعْطَكَهُ . قال : يَا رَبَّ عَبْدَكَ حَقَ عِبَادَتِكَ ، أَتَمَنِّي عَلَيْكَ أَنْ تَرَدَّنِي إِلَى الدُّنْيَا فَأَفْاتِلُ مَعَ نَبِيِّكَ وَأُقْتَلَ فِيكَ مَرَّةً أُخْرَى . قال : إِنَّهُ سَلَفَ مِنِّي أَنَّهُ إِلَيْهَا لَا يَرْجِعُ » .

وقال البهقى : حدثنا أبو الحسن محمد بن أبي المعرف الأسفراينى ، حدثنا أبو سهل بشر بن أحمد ، حدثنا أحمد بن الحسين بن نصر ، حدثنا على بن المدى ، حدثنا موسى ابن إبراهيم بن كثير بن بشير بن الفاكه الأنصارى ، قال : سمعت طلحة بن خراش بن عبد الرحمن بن خراش بن الصمة الأنصارى ثم السالى ، قال : سمعت جابر بن عبد الله قال : نظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال . « مَا لِي أَرَأَكَ مُهْتَمًّا ؟ قال : قلت : يارسول الله قُتُلَ أَبِي وَتَرَكَ دِيْنَنَا وَعِيَالًا ، فقال : أَلَا أَخْبُرُكَ ؟ مَا كَلَمَ اللَّهُ أَحَدًا إِلَّا مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ، وَإِنَّهُ كَلَمَ أَبَاكَ كِفَاحًا وَقَالَ لَهُ : يَا عَبْدِي سَانِي أَعْطُكَ . فقال : أَسْأَلُكَ أَنْ تَرَدَّنِي إِلَى الدُّنْيَا فَأُقْتَلَ فِيكَ ثَانِيَةً ، فقال : إِنَّهُ قد سبقَ مِنِّي القَوْلُ : أَتَهُمْ إِلَيْهَا لَا يَرْجِعُونَ . قال : يَا رَبَّ فَأَبْلُغُ مِنْ وَرَائِي . فَأَنْزَلَ اللَّهُ « وَلَا تَحْسِنَ النِّسَاءَ قُتْلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاهُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ^(١) » الْآيَةَ .

وقال ابن إسحاق : وحدثني بعض أصحابنا عن عبد الله بن محمد بن عقيل ، سمعت جابرًا يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أَلَا أَبْشِرُكَ يَا جابر ؟ قلت : بلى ، قال : إِنَّ أَبَاكَ حَيْثَ أُصِيبَ بِأَحَدِ أَحْيَاهُ اللَّهُ ثُمَّ قَالَ لَهُ : مَا تَحْبَبُ يَا عَبْدَ اللَّهِ ، مَا تَحْبَبُ أَنْ أَفْعَلَ بِكَ ؟ قَالَ : أَئِ رَبُّ أَحَبُّ أَنْ تَرَدَّنِي إِلَى الدُّنْيَا فَأُقْتَلَ فِيكَ مَرَّةً أُخْرَى » .

وقد رواه أحمد عن على بن المدى ، عن سفيان بن عيينة ، عن محمد بن علي بن

ربعة السالى ، عن ابن عقىل ، عن جابر ، وزاد : فقال الله : إنى قضيت أئمـا إلـيـها
لا يرجعون .

وقال أـحمد : حدثنا يعقوب ، حدثـنا أـبـى ، عن أـبـى إسـحـاق ، حدـثـنى عـاصـمـ بنـ عـمـرـ بنـ
قـاتـادـةـ ، عنـ عـبـدـ الرـحـمـنـ بنـ جـابـرـ ، عنـ عـبـدـ اللهـ عنـ جـابـرـ بنـ عـبـدـ اللهـ ، قـالـ : سـمعـتـ
رـسـولـ اللهـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ يـقـولـ ، إـذـاـ ذـكـرـ أـخـحـابـ أـحـدـ : «ـ أـمـاـ وـالـلـهـ لـوـ دـدـتـ أـنـيـ
غـورـدـتـ مـعـ أـخـحـابـهـ بـخـضـنـ الـجـبـلـ »ـ يـعـنـيـ سـفـحـ الـجـبـلـ .
تـفـرـدـ بـهـ أـحـدـ .

وقد روى البيهقي من حديث عبد الأعلى بن عبد الله بن أبي فروة ، عن قطن بن وهب ، عن عبيـدـ بنـ عـمـيرـ ، عنـ أـبـى هـرـيـرـةـ أـنـ رـسـولـ اللهـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ حـينـ
انـصـرـفـ مـنـ أـحـدـ مـرـأـةـ عـلـىـ مـصـبـعـ بنـ عـمـيرـ وـهـ مـقـتـولـ عـلـىـ طـرـيقـهـ ، فـوـقـفـ عـلـيـهـ فـدـعـالـهـ
ثـمـ قـرـأـ : «ـ مـنـ الـمـؤـمـنـينـ رـجـالـ صـدـقـواـ مـاعـاهـدـواـ اللهـ عـلـيـهـ »ـ الآـيـةـ قـالـ : «ـ أـشـهـدـ أـنـ هـؤـلـاءـ
شـهـدـاءـ عـنـدـ اللهـ يـوـمـ الـقـيـامـةـ فـأـتـوـهـ وـزـوـرـهـ ، وـالـذـىـ نـفـسـىـ بـيـدـهـ لـاـ يـسـلـمـ عـلـيـهـمـ أـحـدـ إـنـ
يـوـمـ الـقـيـامـةـ إـلـاـ رـدـوـاـ عـلـيـهـ »ـ .

وهـذـاـ حـدـيـثـ غـرـيـبـ .
وـرـوـىـ عـنـ عـبـيـدـ بنـ عـمـيرـ مـرـسـلـاـ .

* * *

وـرـوـىـ الـبـيـهـقـيـ مـنـ حـدـيـثـ مـوـسـىـ بـنـ يـعقوـبـ ، عـنـ عـبـادـ بـنـ أـبـىـ صـالـحـ ، عـنـ أـبـىـ يـهـ ،
عـنـ أـبـىـ هـرـيـرـةـ قـالـ : كـانـ النـبـىـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ يـأـتـىـ قـبـورـ الشـهـدـاءـ ، فـإـذـاـ أـتـىـ فـرـضـةـ
الـشـعـبـ قـالـ : «ـ السـلـامـ عـلـيـكـ بـمـاـ صـبـرـتـ فـنـعـمـ عـقـبـىـ الدـارـ »ـ ثـمـ كـانـ أـبـوـ بـكـرـ بـعـدـ النـبـىـ
صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ يـفـعـلـهـ ، وـكـانـ عـمـرـ بـعـدـ أـبـىـ بـكـرـ يـفـعـلـهـ ، وـكـانـ عـمـانـ بـعـدـ
عـمـرـ يـفـعـلـهـ .

قال الواقدي : كان النبي صلى الله عليه وسلم يزورهم كلَّ حَوْل ، فإذا بلغ نقرة الشَّعْب يقول : « السلام عليكم بما صبرتم فعم عَقْبَى الدَّار » ثمَّ كان أبو بكر يفعل ذلك كلَّ حَوْل ، مُمْعِرًا ثُمَّ عَمَان ، وكانت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم تأتيهم فتبكي عندم وتدعوا لهم ، وكان سعد يسلمُ ثُمَّ يقبل على أصحابه فيقول : ألا تَسْأَلُونَ عَلَى قَوْمٍ يرْدَوْنَ عَلَيْكُمْ .

ثُمَّ حَكَى زَيَارَتَهُمْ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ ، وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍ ، وَأُمِّ سَالِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ .

وقال ابن أبي الدنيا : حدثني إبراهيم ، حدثني الحكم بن نافع ، حدثنا العطاف بن خالد ، حدثني خالتى قالت : رَكِبْتُ بُومًا إِلَى قبور الشهداء - وكانت لاتزال تأتىهم - فنزلتُ عند حمزة فقلت ماشاء الله أَصْلِي ، وما في الوادي داع ولا مجيب ، إلا غلاماً قاءً آخذًا بِرَأسِ دابتي ، فلما فرغت من صلاتي قلت هَذَا بِيَدِي : « السلام عليكم » قالت : فسمعت رَدَّ السَّلَامِ عَلَىٰ يَخْرُجُ مِنْ تَحْتِ الْأَرْضِ ، أَعْرَفُهُ كَمَا أَعْرَفُ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خلقنى ، وكما أعرف الدليل والنهاير ، فاقشعرت كل شعرة مني !

وقال محمد بن إسحاق ، عن إسماعيل بن أمية ، عن أبي الزبير ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم « لَمَّا أُصِيبَ إِخْوَانَكُمْ يَوْمَ أَحَدٍ جَعَلَ اللَّهُ أَرْوَاحَهُمْ فِي أَجْوَافِ طَيْرٍ خُضْرٍ تَرَدُّ أَهْمَارُ الْجَنَّةِ وَتَأْكُلُ مِنْ تُمَارَهَا وَتَأْوِي إِلَى قَنَادِيلِ مِنْ ذَهَبٍ مَعْلَقَةً فِي ظَلِّ الْعَرْشِ ، فَلَمَّا وَجَدُوا طَيْبًا مَا كَلَّهُمْ وَمَشَرَبَهُمْ وَمَقِيلَهُمْ قَالُوا : مَنْ يَلْعَنُ إِخْوَانَنَا عَنَّا أَنَا أَحْيَاهُ فِي الْجَنَّةِ نُرْزَقُ لِثَلَاثَةِ يَنْ كَلَّوْا عَنِ الْحَرْبِ وَلَا يَزَهَّدُوا فِي الْجَهَادِ ؟

فقال الله عز وجل : أنا أبلغهم عنكم . فأَنْزَلَ اللَّهُ فِي الْكِتَابِ قَوْلَهُ تَعَالَى : « وَلَا تَحْسِبُنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاهُ اللَّهُ عِنْدَ رَبِّهِمْ بُرُزَقُونَ » .

وروى مسلم والبيهقي من حديث أبي معاوية ، عن الأعمش ، عن عبد الله بن مُرَّة ، عن مسروق قال : سألنا عبد الله بن مسعود عن هذه الآية : « ولا تحسنَّ الذين قُتُلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياءً عند ربهم يُرْزقون ». .

فقال : أَمَّا إِنَا قَدْ سَأَلْنَا عَنْ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : أَرْوَاحُهُمْ فِي جُوفِ طِيرٍ خُضْرٍ تَسْرَحُ فِي أَيْمَانِهَا شَاءَتْ ، ثُمَّ تَأْوِي إِلَى قَنَادِيلٍ مَعْلَقَةً بِالْعَرْشِ ، قَالَ : فَبِينَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذَا اطْلَعْنَا عَلَيْهِمْ رَبَّكُمْ اطْلَاعَةً ، فَقَالَ : أَسْأَلُنَّكُمْ مَا شَائُمُّ . فَقَالُوا : يَا أَبَنَنَا وَمَا نَسَأَلْنَا وَنَحْنُ نَسْرَحُ فِي الْجَنَّةِ فِي أَيْمَانِهَا شَاءَنَا . فَفَعَلَ ذَلِكَ بِهِمْ ثَلَاثَ مَرَاتٍ ، فَلَمَّا رأَوْا أَنَّ لَنْ يُتَرَكُوْا مِنْ أَنْ يُسْأَلُوا قَالُوا : نَسَأَلْنَا أَنْ تَرَدَّ أَرْوَاهُنَا إِلَى أَجْسَادِنَا فِي الدُّنْيَا فَقُتُلُوا فِي سَبِيلِكَ مَرَةً أُخْرَى . قَالَ : فَلَمَّا رأَى أَنَّهُمْ لَا يُسْأَلُونَ إِلَّا هَذَا تَرَكُوْا .

فصل

في عدد الشهداء

قال موسى بن عقبة : جميع من استشهد يوم أحد من المهاجرين والأنصار تسعه وأربعون رجلا .

وقد ثبت في الحديث الصحيح عند البخاري عن البراء ، أنهم قُتلوا من المسلمين سبعين رجلا . فالله أعلم .

وقال قتادة : عن أنس ، قُتل من الأنصار يوم أحد سبعون ، ويوم بئر معونة سبعون ويوم اليمامة سبعون .

وقال حماد بن سلمة ، عن ثابت ، عن أنس ، أنه كان يقول : قارب السبعين يوم أحد ، ويوم بئر معونة ، ويوم مؤتة ، ويوم اليمامة .

وقال مالك : عن يحيى بن سعيد الأنباري ، عن سعيد بن المسيب ، قُتل من الأنصار يوم أحد ويوم اليمامة سبعون ، ويوم حسر أبي عبيدة سبعون .

وهكذا قال عكرمة وعروة والزهرى و محمد بن إسحاق فى قتلى أحد ، ويشهد له قوله تعالى « أَولَئِكَ مُصْبَرُكُمْ قَدْ أَصْبَرْتَهُمْ مِثْلِهَا قَلْمَنْ : أَنَّ هَذَا ^(١) » يعنى أنهم قتلوا يوم بدر سبعين وأسرعوا سبعين .

وعن ابن إسحاق : قتل من الأنصار - لعله من المسلمين - يوم أحد خمسة وستون ، أربعة من المهاجرين : حمزة وعبد الله بن جحش ومصعب بن عمير وشamas بن عثمان والباقيون من الأنصار .

وسرد أسماءهم على قيائدهم . وقد استدرك عليه ابن هشام زيادة على ذلك خمسة آخرين ، فصاروا سبعين على قول ابن هشام .

وسرد ابن إسحاق أسماء الذين قتلوا من المشركين ، وهم اثنان وعشرون رجلا .

وعن عروة : كان الشهداء يوم أحد أربعة ، أو قال سبعة ، وأربعين .

وقال موسى بن عقبة : تسعه وأربعون . وقتل من المشركين يومئذ ستة عشر رجلا وقال عروة : تسعه عشر . وقال ابن إسحاق : اثنان وعشرون .

وقال الربيع عن الشافعى : ولم يؤسر من المشركين سوى أبي عزة الجحوى ، وقد كان فى الأسرى يوم بدر ، فمن عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بلا فدية واشتربط عليه أبا يقاتله ، فلما أسر يوم أحد قال : يا محمد امن على ليناتى ، وأعاهد ألا أقاتلك . فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا أدعك تتسع عارضيك بمكة وتقول : خدعت محمدًا مرتين ، ثم أمر به فضربت عنقه .

وذكر بعضهم أنه يومئذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يلْدُغُ المؤمنُ من جحر مرتين ! »

فصل

قال ابن إسحق : ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، فلقيته حنة بنت جحش كما ذكرت ، فلما لقيت الناس نهى إليها أخوها عبد الله بن جحش ، فاسترجمت واستغفرت له ، ثم نهى لها خالها حزرة بن عبد المطلب فاسترجمت واستغفرت له ، ثم نهى لها زوجها مصعب بن عمير فصاحت ورولت . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إنَّ زَوْجَ الْمَرْأَةِ مِنْهَا لِبَكَانٍ ! » لما رأى من تبتهما عند أخيها وخالها وصياحها على زوجها . وقد قال ابن ماجه : حدثنا محمد بن يحيى ، حدثنا إسحاق بن محمد الفروي ، حدثنا عبد الله بن عمر ، عن إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن جحش ، عن أبيه ، عن حنة بنت جحش ، أنه قيل لها : قتل أخوك . فقالت : رحمه الله وإنما الله وإنما إليه راجعون . فقالوا : قتل زوجك قالت : واحزنناه !

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن للزوج من المرأة أشعبة ما هي لشيء ! » قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الواحد بن أبي عون ، عن إسماعيل ، عن محمد ، عن سعد بن أبي وقاص ، قال : صر رسول الله صلى الله عليه وسلم بأمرأة من بنى دينار وقد أصيب زوجها وأخوها وأبوها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بأحد ، فلما نعوا لها قالت : ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قالوا : خيراً يا أم فلان هو محمد الله كما تحيين . قالت : أزوئيه حتى أنظر إليه . قال : فأشير لها إليه حتى إذا رأته قالت : كل مصيبة بعدك جلل .

قال ابن هشام : الجلل يكون من القليل والكثير ، وهو هنا القليل . قيل : أمرؤ القيس :

لَقُتْلُ بْنِ أَسَدٍ رَبَّهُمْ أَلَا كُلُّ شَيْءٍ خَلَهُ جَلَّ
أى صغير وقليل .

قال ابن إسحاق : فلما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهلة ناول سيفه ابنته فاطمة فقال : « اغسل عن هذا دمه يا بنتي ، فوالله لقد صدقني في هذا اليوم ». وناولها على بن أبي طالب سيفه فقال : وهذا فاغسل عنده دمه ، فوالله لقد صدقني في هذا اليوم .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لئن كفتَ صدَقَتَ القتالَ لقد صدَقَه معي سهيل بن حنيف وأبو دجانة » .

وقال موسى بن عقبة في موضع آخر : ولما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم سيف على مخصوصاً بالدماء قال : « لئن كنت أحسنتَ القتالَ فقد أحسن عاصمُ بن ثابت بن أبي الأقلع والحارث بن الصمة وسهيل بن حنيف » .

وروى البيهقي عن سفيان بن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : جاء على بن أبي طالب بسيفه يوم أحد قد أخنى فقال لفاطمة : هاكِ السيف حميداً فإنها قد شفته .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لئن كنت أجدتَ الضربَ بسيفك لقد أجاده سهيل بن حنيف وأبو دجانة وعاصم بن ثابت والحارث بن الصمة » .

قال ابن هشام : وسيف رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا هو ذو الفقار .

قال : وحدثني بعض أهل العلم عن ابن أبي تجبيح قال : نادى مناد يوم أحد : لاسييف إلا ذو الفقار ^(١) .

قال : وحدثني بعض أهل العلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعلي : « لا يصيب المشركون مما مثلها حتى يفتح الله علينا » .

قال ابن إسحاق : ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم بدار بن عبد الأشهل ، فسمع

(١) ابن هشام : لا سيف إلا ذو الفقار ، ولا بن إلا على . ولا ندرى لماذا استطلاع ابن كثير !

البكاء والنواحي على قتلامهم ، فذرفت عينها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال : « لكن حزنة لا يواكي له ».

فَلَمَّا رَجَعَ سَعْدُ بْنُ مَعَاذَ وَأَسِيدُ بْنُ الْحُضَيْرِ إِلَى دَارِ بْنِ عَبْدِ الْأَشْهَلِ أَمْرَاهُنَّ أَنْ يَتَحَزَّزَ مِنْ ثُمَّ يَذْهَبَنَ فَيَكِيْنُ عَلَى عَمِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

فحدثني حكيم بن حكيم بن عباد بن حنيف ، عن بعض رجال بني عبد الأشهل قال : لما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بكاءهن على حزنة خرج عليهن وهن في باب المسجد يبكين فقال : « ارجععن يرحمكن الله فقد آسيتن بأنفسكم ».

قال : وَهُنَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّوْحِ ، فَيَا قَالَ ابْنُ هَشَامٍ .
وَهُدَا الَّذِي ذُكِرَهُ مِنْ قَطْعٍ وَمِنْهُ مَرْسَلٌ .

قال : ثم نام فاستتبه وهن يمكين قال : « فهن الاليوم إذاً يمكين يندبن حجزة ». وهذا على شرط مسلم .

وقد رواه ابن ماجه، عن هارون بن سعيد ، عن ابن وهب ، عن أسماء بن زيد الالبي ،
عن نافع ، عن ابن عمر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مرّ بنساء بني عبد الأشهل
يبيكين هلْ كاهن يوم أحد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَكُنْ حمزة
لابوا كي له ». .

« ويجهن ما انقاين بعدَ مرورهن ، فلينقاين ولا يبكيين على هالكَ بعدَ اليوم » .

وقال موسى بن عقبة : ولما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم أزقة المدينة إذا النوح والبكاء في الدور قال : « ما هذا ؟ » قالوا : هذه نساء الأنصار يبكين قتلامهم فقال : « لكن حزنة لا بواكي له » واستغفر له .

فسمع ذلك سعد بن معاذ وسعد بن عبادة ومعاذ بن جبل وعبد الله بن رواحة ، فشوا إلى دورهم فجمعوا كل ناحية بأكملها كانت بالمدينة ، فقالوا : والله لا تبكين قتلى الأنصار حتى تبكين عم النبي صلى الله عليه وسلم ، فإنه قد ذكر أنه لا بواكي له بالمدينة . وزعموا أن الذي جاء بالنوح عبد الله بن رواحة ، فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ما هذا ؟ » فأخبر بما فعلت الأنصار بنسائهم ، فاستغفر لهم وقال لهم خيرا وقال : « ما هذا أردت ، وما أحب البكاء » ونهى عنه .

وهكذا ذكر ابن لحيعة ، عن أبي الأسود ، عن عروة بن الزبير سواء .

قال موسى بن عقبة : وأخذ المنافقون عنده بكاء المسلمين في المكر والتفرق عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتخزين المسلمين ، وظهر غش اليهود ، وفارت المدينة بالتفاق فور المراجل .

وقالت اليهود : لو كان نبياً ما ظهروا عليه ولا أصيب منه ما أصيب ، ولو كف عنه طالب ملك تكون له الدولة وعاليه .

وقال المنافقون مثل قوله ، وقالوا للMuslimين : لو كنتم أطعتمونا ما أصابكم الذين أصابوا منكم .

فأنزل الله القرآن في طاعة من أطاع ونفاق من نافق وتعزية المسلمين ، يعني فيمن قُتل منهم فقال : « وإذا غدَوتَ مِنْ أهْلَكَ تُبُوّيَ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ الْقَتْلَ وَالله سميع عليم » الآيات كلها - كما تكلمنا على ذلك في التفسير والله الحمد والمنة .

ذكر خروج النبي ﷺ بأصحابه

على ما بهم من القرح والجرح ، في أثر أبي سفيان ، إرها بالله ولأصحابه
حتى بلغ حمراه الأسد ، وهي على ثمانية أميال من المدينة

قال موسى بن عقبة بعد اقتصاصه وقعة أحد ، وذكره رجوعه عليه السلام
إلى المدينة :

وقدِّمَ رجُلٌ من أهل مكة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسأله عن أبي سفيان
وأصحابه فقال : نازأتمهم فسمعتمهم يتلاؤون ويقول بعضهم لبعض : لمْ تصنعوا شيئاً ،
أصلبتم شوكةَ القومَ وحدَّهم ثم تركتموه ولم تبتروه ، فقد بقي منهم رؤوس
يجمعون لكم .

فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم - وِهِمْ أشدُّ القرح - بطلب العدو ليسمعوا
 بذلك ، وقال : لا ينطلقن معى إلا من شهد القتال . فقال عبد الله بن أبي : أنا راكب
 معك . فقال : لا .

فاستجابوا لله ولرسوله على الذي بهم من البلاء . فانطلقوا .

قال الله في كتابه : « الذين استجابوا لله والرسول منْ بَعْدِ ما أصابَهُمُ القرح ،
اللذين أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرًا عظيمًا » (١) .

قال : وأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم لجابر ، حين ذكر أن أباه أمره بالمقام
في المدينة على أخواته .

(١) سورة آل عمران

قال : وطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم العدو حتى بلغ حمراء الأسد .
وهكذا روى ابن أبي حمزة ، عن أبي الأسود ، عن عروبة بن الزبير ، سواء .

* * *

وقال محمد بن إسحاق في مغازييه : وكان يوم أحد يوم السبت النصف من شوال ،
اما كان العدد من يوم الأحد لست عشرة ليلة مضت من شوال ، وأذن مؤذن رسول الله
عليه وسلام في الناس بطلب العدو ، وأذن مؤذنه : ألا يخرجن أحد إلا من حضر
يومنا بالأمس . فكلّمه جابر بن عبد الله فأذن له .

قال ابن إسحاق : وإنما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مُرْهِبًا للعدو لِيَنْهَا
أنه خرج في طلبهم ، ليظنوها به قوةً ، وأن الذي أصابهم لم يوهنهم عن عدوهم .
قال ابن إسحاق رحمه الله : فخذلتني عبد الله بن خارجة بن زيد بن ثابت ، عن أبي
السائل مولى عائشة بنت عثمان ، أن رجلاً من بنى عبد الأشهل قال : شهدت أحداً أنا
وآخر لي ، فرجعنا جريحين ، فلما أذن مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخروج في
طلب العدو قاتل لأنني وقل لي : أتفوّتنا غزوةً مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ !
والله مالنا من دابة نركبها وما متنا إلا جريح ثقيل . فخرجنا مع رسول الله صلى الله عليه
 وسلم ، وكفت أيسراً جرحـاً منه ، فسكنـاً إذا غلبـ حـملـتهـ عـقبـةـ ومشـى عـقبـةـ (١) ، حتى
انتهينا إلى ما انتهـى إـلـيـهـ المـاسـامـونـ .

قال ابن إسحاق : نخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتهى إلى حمراء الأسد ، وهي من المدينة على ثمانية أميل ، فاقام بها الاثنين والثلاثاء والأربعاء ثم رجع إلى المدينة .

قال ابن هشام : وقد كان استعمال على المدينة ابنَ أم مكتوم .

قال ابن إسحاق : حدثني عبد الله بن أبي بكر [أنّ] مَعْبِدَ بْنَ أَبِي مَعْبُدَ الْخَزَاعِي ، وكانت خزاعة مُسلمةً لهم وكافرهم عَيْبَة^(١) رسول الله صلى الله عليه وسلم بتهمة ، صفتهم^(٢) معه لا يُحْفَنُونَ عَنْهُ شَيْئًا كَانَ بِهَا ، وَمَعْبِدٌ يَوْمَئِذٍ مُشْرِكٌ ، مَرَّ بِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ مَقِيمٌ بِحَمْرَاءِ الْأَسْدِ ، فَقَالَ : يَا مُحَمَّدَ أَمَّا وَاللهِ لَقَدْ عَزَّ عَلَيْنَا مَا أَصَابَكَ فِي أَهْلَبِكَ ، وَلَوْدَنَا أَنَّ اللَّهَ عَافَاكَ فِيهِمْ .

نَمْ خَرَجَ مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِحَمْرَاءِ الْأَسْدِ حَتَّى لَقِيَ أَبَا سَفِيَّانَ بْنَ حَبْرٍ وَمَنْ مَعَهُ بِالرَّوْحَاءِ ، وَقَدْ أَجْمَعُوا الرَّاجِعَةَ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَهْلَبِهِ ، وَقَالُوا : أَصَبَنَا حَدَّ أَهْلَبِهِ وَقَادِهِمْ وَأَشْرَافَهُمْ ثُمَّ نَرْجِعُ قَبْلَ أَنْ نَسْأَلَهُمْ ! لَنَكُرَّنَّ عَلَى بَقِيهِمْ فَلَنْفَرُغَنَّ مِنْهُمْ .

فَلَمَّا رَأَى أَبُو سَفِيَّانَ مَعْبِدًا قَالَ : مَا وَرَأَتُكَ يَامِعْدٍ ؟ قَالَ : مُحَمَّدٌ قَدْ خَرَجَ فِي أَهْلَبِهِ يَطْلَبُكُمْ فِي جَمِيعِ لَمْ أَرْ مِثْلَهُ قَطُّ ، يَتَحرِّقُونَ عَلَيْكُمْ تَحْرِقًا ، قَدْ اجْتَمَعَ مَعَهُ مَنْ كَانَ تَخَلَّفَ عَنْهُ فِي يَوْمِكُمْ وَنَدَمُوا عَلَى مَا صَنَعُوا ، فِيهِمْ مَنْ الْحَقُّ عَلَيْكُمْ شَيْءٌ لَمْ أَرْ مِثْلَهُ قَطُّ .

قَالَ : وَيْلَكَ مَا تَقُولُ ؟ قَالَ : وَاللهِ مَا أَرَاكَ تَرْتَحِلُ حَتَّى تَرَى نُواصِي الْخَيْلِ .

قَالَ : فَوَاللهِ لَقَدْ أَجْمَعُنَا السُّكْرَةَ عَلَيْهِمُ الْمُسْتَأْصِلُ شَفَقُهُمْ . قَالَ : فَإِنِّي أَنْهَاكُ عن ذلك ، وَوَاللهِ لَقَدْ حَلَّنِي مَارَأِيَتُ عَلَى أَنْ قَلَّتْ فِيهِ أُبَيَّاتٍ مِّنْ شِعْرٍ . قَالَ : وَمَا قَلَّتْ ؟ قَالَ : قَلَّتْ :

كَادَتْ تَهُدُّ مِنَ الْأَصْوَاتِ رَاحِلَتِي
إِذْ سِرَّ لِأَرْضِ مَا يَجْرِدُ الْأَبَابِيلِ^(٣)
تَرَدِي^(٤) بِأَسْدِ كَرَامِ لَا تَنَابِلُهُ
عِنْدَ النَّقَاءِ وَلَا مِيَمِيلٌ مَعَازِيلٌ
فَظَلَّتْ عَدْوًا أَظْنَنَّ الْأَرْضَ مَائِلَةً
إِمَّا سَمَّوَا بِرَيْسِ غَيْرِ مَخْذُولٍ

(١) ابن هشام : عَيْبَة نَصِيح لِرَسُولِ اللهِ . وَعَيْبَة : مَوْضِعُ السُّرِّ . (٢) صفتهم : حَلْفُهُمْ .

(٣) الْأَبَابِيلُ : عَنْقَافُ الْخَيْلِ . وَالْأَبَابِيلُ : الْجَمَاعَاتِ .

(٤) تَرَدِي : تَسْرِعُ .

فُقِلَتْ وَبْلَ ابْنُ حَرْبٍ مِّنْ لَقَائِكُمْ
إِذَا تَنَطَّمَتِ الْبَطْحَاءِ بِالْجَيْلِ^(١)
إِنْ بَذِيرٌ لِأَهْلِ الْبَشَلِ^(٢) صَاحِيَةَ
لِكُلِّ ذِي إِرْبَةٍ مِّنْهُمْ وَمَعْقُولٍ
مِّنْ جَيْشِ أَحَدٍ لَا وَخْشٌ^(٣) قِنَابِهِ
وَلَيْسَ بِوَصَفٍ مَا أَنْذَرْتُ^{*} بِالْقَيْلِ
قَالَ: فَتَنَى ذَلِكَ أَبَا سَفِيَانَ وَمَنْ مَعَهُ.

وَمِنْ بَهْ رَكْبٌ مِّنْ عَبْدِ الْقَيْسِ قَالَ: أَيْنَ تَرِيدُونَ؟ قَالُوا: لِلْمَدِينَةِ . قَالَ: وَلِمْ؟ قَالُوا
غَرِيدَ الْمِيرَةِ . قَالَ: فَهَلْ أَنْتُمْ مِّلْفُونُونَ عَنِ الْمَحْمَدَ رَسُولَ الْأَرْسَلَكَ بِهَا إِلَيْهِ وَأَحْجَلَ لَكُمْ
إِبْلِكُمْ هَذِهِ غَدَّاً زَبِيَّاً بِعَكَاظٍ إِذَا وَافَيْتُمُوهَا؟ قَالُوا: نَعَمْ . قَالَ: فَإِذَا وَافَيْتُمُوهُ فَأُخْبِرُوهُ
أَنَا قَدْ أَجْعَنَا السِّيرَ إِلَيْهِ وَإِلَى أَحْمَاهِهِ لِنَسْتَأْصِلْ بِقِيمَتِهِ .
فَرَرَكْبُ بَرْسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ بِحُمْرَاءِ الْأَسْدِ ، فَأُخْبِرُوهُ بِالَّذِي قَالَ
أَبُو سَفِيَانَ ، قَالَ: حَسَبْنَا اللَّهَ وَنَعَمْ الْوَكِيلِ .
وَكَذَا قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ .

وَقَدْ قَالَ الْبَخَارِيُّ : حَدَثَنَا أَحْدَنْ بْنُ بُونَسْ ، أَرَاهُ قَالَ: حَدَثَنَا أَبُو بَكْرٍ ، عَنْ أَبِي
حَصِينَ ، عَنْ أَبِي الصَّحْفَى ، عَنْ أَبِي عَبَّاسٍ: حَسَبْنَا اللَّهَ وَنَعَمْ الْوَكِيلِ . قَالَهَا إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ
السَّلَامُ حِينَ أُتَقَى فِي النَّارِ ، وَقَالَ مَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ قَالُوا: إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا
لَكُمْ فَاخْشُومُ فَزَادُهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا: حَسَبْنَا اللَّهَ وَنَعَمْ الْوَكِيلِ .
تَفَرَّدَ بِرَوَايَتِهِ الْبَخَارِيُّ .

وَقَدْ قَالَ الْبَخَارِيُّ : حَدَثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَلَامَ ، حَدَثَنَا أَبُو مَعَاوِيَةَ ، عَنْ هَشَامَ ، عَنْ
أَبِيهِ ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: « الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابُوهُمْ
الْفَرَحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرًا عَظِيمًا » قَالَتْ لَعْرُوْةُ: يَا أَخْتَى كَانَ أَبُوكَ

(١) تَنَطَّمَتْ: اهْتَرَتْ . وَالْجَيْلِ: الصَّفُّ مِنَ النَّاسِ . (٢) أَهْلُ الْبَشَلِ: قُرِيشٌ .

(٣) الْوَخْشُ: الرَّدَى . وَقَابِلَهُ: تَنَابِلَهُ . وَالْقِنَابِلُ: جَمْعُ قِنَابَلَةِ الطَّائِفَةِ مِنَ النَّاسِ وَالْجَيْلِ .

منهم ، الزبير وأبو بكر رضي الله عنهم ، لما أصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أصاب يوم أحد وانصرف عنه المشركون خاف أن يرجعوا ، فقال : من يذهب في إثرهم ؟ فانتدب منهم سبعون رجلاً فيهم أبو بكر والزبير .

هكذا رواه البخاري . وقد رواه مسلم مختصرًا من وجهٍ عن هشام ، وهكذا رواه سعيد بن منصور وأبو بكر الحيدري جميعاً عن سفيان بن عيينة . وأخرجه ابن ماجه من طرقه ، عن هشام بن عمرو به . ورواه الحكم في مستدركه من طريق أبي سعيد عن هشام بن عمرو به ، ورواه من حديث السدي عن عمرو ، وقال في كل منهما : صحيح ولم يخرجاه .

كذا قال . وهذا السياق غريب جداً ، فإن المشهور عند أصحاب المغازي أن الذين خرجوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حراء الأسد كلُّ من شهد أحداً ، وكانوا سبعاً ، كما تقدم . قُتل منهم سبعون وبقي الباقيون .

وقد روى ابن جرير من طريق العوف ، عن ابن عباس قال : إن الله قدَّفَ في قلب أبي سفيان الرعب يوم أحد بعد الذي كان منه ، فرجع إلى مكة ، وكانت وقعة أحد في شوال ، وكان التجار يقدِّمون في ذي القعدة المدينةَ فينزلون بيدر الصغرى في كل سنة مرة ، وإنهم قدموها بعد وقعة أحد ، وكان أصحاب المسلمين الفرج واشتكوا ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واشتد عليهم الذي أصحابهم ، وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم ندب الناس لينطلقوا بهم ويتبعوا ما كانوا مُتبعين وقال لنا : ترتحلون الآن فاقأتون الحجَّ ولا يقدرون على مثلها حتى عام قابل .

خاء الشيطان يخوّف أولياءه فقال : إن الناس قد جمعوا لكم . فأبى عليه الناس أن يتبعوه فقال : إني ذاهب وإن لم يتبعني أحد .

فانتدب معه أبو بكر وعمر وعمان وعلى وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن بن

عوف وأبو عبيدة وابن مسعود وحذيفة في سبعين رجلاً، فساروا في طلب أبي سفيان حتى بلغوا الصفراء فأنزل الله : « الذين استجابو لله والرسول منْ بعد ما أصابهم الترُّجُّع للذين أحسنوا منهم واتَّقوا أجرَ عظيم ». وهذا غريب أيضاً .

وقال ابن هشام : حدثنا أبو عبيدة ، أنَّ أبا سفيان بن حرب لما انصرف يوم أحد أراد الرجوع إلى المدينة ، فقال لهم صفوان بن أمية : لا تفعلوا ، فإنَّ القوم قد حرَبوا ، وقد خشينا أن يكون لهم قاتلٌ غير الذي كان ، فارجعوا . فرجعوا .

قال النبي صلَّى الله عليه وسلم وهو يحرث الأسد حين بلغه أنَّهم هُم بالراجحة : « والذِّي نفسي بيده لقد شُوِّمت لهم حجارةً لو صبَّحُوا بها لكانوا أكْمَسِ الْدَّاهِبِ ! ». قال : وأخذ رسول الله صلَّى الله عليه وسلم في وجهه ذلك قبل رجوعه المدينة ، معاوية بن المغيرة بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس ، جد عبد الملك بن مروان لأمه عائشة بنت معاوية ، وأبا عزَّة الجحوي ، وكان رسول الله صلَّى الله عليه وسلم قد أسره بيدر ثم منَّ عليه فقال : يا رسول الله أقْلِنِي ، فقال : لا والله لا تمسح عارضيك بمكة تقول : خدعت مهداً مرتين . اضرب عنقه يا زيد . فضرب عنقه .

قال ابن هشام : وبلفى عن ابن المسمى أنه قال : قال رسول الله صلَّى الله عليه وسلم : « إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَا يُلْدَغُ مِنْ جُحْرٍ مرتين ، اضرب عنقه يا عاصم بن ثابت » فضرب عنقه .

وذكر ابن هشام : أنَّ معاوية بن المغيرة بن أبي العاص استأمان له عمانٌ على ألا يقيم بعد ثلاثة ، فبعث رسول الله صلَّى الله عليه وسلم بعدها زيد بن حارثة وعمار بن ياسر وقال : ستجداني في مكان كذا وكذا فاقتلاه . ففعلاً رضي الله عنهم ما .

قال ابن إسحاق . ولما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة كان عبد الله بن أبي كعب حديثي الذهري له مقام يقام كل جمعة لا يُنكر له شرفاً في نفسه وفي قومه ، وكان فيهم شريفاً ، إذا جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة وهو يخطب الناس قام فقال : أيها الناس ، هذا رسول الله بين أظهركم كأكرمكم الله به وأعزكم به ، فانصروه وعزّروه واسمعوا له وأطيعوا . ثم يجلس .

حتى إذا صنع يوم أحد ما صنع ورجع الناس قام بفعل ذلك كما كان يفعله ، وأنذ المسلمين بشبابه من نواحيه وقالوا : اجلس أي عدو الله ، والله لست بذلك بأهل وقد صنعت ما صنعت .

خرج يتحطّى رقاب الناس وهو يقول : والله لـكـائـنا قـلت بـجـراً^(١) أـنـ قـتـ أـشـدـ أـمـرـهـ !

فليه رجال من الأنصار بباب المسجد فقالوا : ويلك مالك ؟ قال : قت أشدّ أمره فوثب إلى رجال من أصحابه يخبطونه ويعنقوه ، لكائنا قلت بجراً أَنْ قت أَشَدَّ أَمْرَه .

قالوا : ويلك أرجع يستغفر لك رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : والله ما أبغى أن يستغفر لي .

* * *

ثم ذكر ابن إسحاق ما نزل من القرآن في قصة أحد من سورة آل عمران عند قوله «إِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلَكَ تُبَوَّئِ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلقتالِ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ» .

قال : إلى تمام ستين آية . وتتكلم عليها .

وقد بسطنا الكلام على ذلك في كتابنا التفسير بما فيه كفاية .

(١) البجر : الشر والأمر العظيم .

ثم شرع ابن إسحاق في ذكر شهداء أحد وتعذادهم بأسمائهم وأسماء آباءهم على
قبائلهم كما جرت عادته .

فذكر من المهاجرين أربعة : حمزة ومصعب بن عمير وعبد الله بن جحش وشمس
ابن عمان رضي الله عنهم ، ومن الأنصار إلى تمام خمسة وستين رجلا . واستدرك عليه
ابن هشام خمسة أخرى فصاروا سبعين على قول ابن هشام .

ثم سمي ابن إسحاق من قتل من المشركين وهم اثنان وعشرون رجلا على
قبائلهم أيضا .

قلت : ولم يؤسر من المشركين سوى أبي عزة الجمحى ، كما ذكره الشافعى وغيره ،
وقتله رسول الله صلى الله عليه وسلم صبراً بين يديه ، أمر الزبير ، ويقال : عاصم بن ثابت
ابن أبي الأفلح ، فضرب عنقه .

فصل

فيما تقاول به المؤمنون والكافار في وقعة أحد من الأشعار

وإنما نورد شعر الكفار لذكر جوابها من شعر الإسلام ، ليكون أبلغ في وقوعها من الأسماء والأفهام ، وأقطع لشبة الكفرة الطفام .

قال الإمام محمد بن إسحاق رحمه الله : وكان مما قيل من الشعر يوم أحد قول هبيرة ابن أبي وهب المخزومي ، وهو على دين قومه من قريش ، فقال :

ما بال هم عميد بات يطرقي
باتت تعاتبني هند وتعذلني
والحرب قد شغلت عن موالها
مهلاً فلا تعذلني إن من خلق
مساعف لبني كعب بما كلفوا
وقد حملت سلاحى فوق مُشرف
كأنه إذ جرى عَيْر بفُدفة
من آل أغوج يرتاح الندى له
أعدته ورفاق الحدب منتخلافاً
هذا وببيضاء مثل النهى حكمه
سقنا كنانة من أطراف ذى يمن
قالت كنانة أى تذهبون بها
كجذع شعراء مستعمل مراقيها
ومارنا خطوطب قد الاقيها^(١)
لظن على فما تبذلو مساويها^(٢)
عرض البلاد على ما كان يُزجيها
قلنا التخييل فآموها ومن فيها^(٣)

(١) مشرف : مشرف . والساطي : الفرس البعيد الخطو . والسبوح : الذي يسبح في جريه .

(٢) العبر : حمار الوحش . والفذفة : الفلاة . والمكدم المغضض . والعون : جمع عانة وهو القطيع من حمر الوحش . (٣) رفاق الحدب : السيف . ومنتخلا : متخيراً والمارن : الرمح الصلب اللدن .

(٤) البيضاء : يزيد بها الدرع . والنهى : الغسر . لظن : لصقت . (٥) التخييل : عين قرب المدينة .

هَابَتْ مَعْدُّ فَقْلَنَا نَحْنُ نَأْتِهَا
 مَا يَرَوْنَ وَقَدْ ضُمِّتْ قَوَاصِيهَا^(١)
 وَقَامْ هَامُّ بَنِي التَّجَارِ يَبْكِيهَا^(٢)
 مِنْ قَيْضِ رُبْدِ نَفَتَهُ عَنْ أَدَاحِيهَا^(٣)
 بَالْتَّعَاوَرِهِ مِنْهَا سَوَافِيهَا^(٤)
 وَأَطْهَنَ الْخَيلَ شَزَرًا فِي مَاقِيهَا^(٥)
 يَخْتَصُّ بِالنَّقْرَى الْمُثْرِينَ دَاعِيهَا^(٦)
 جَرَبًا مُجَادِيَّةً وَذَبَّتْ أَسْرِيهَا^(٧)
 مِنَ الْقَرِيسِ وَلَا تَسْرِي أَفَاعِيهَا^(٨)
 كَالْبَرقِ ذَا كَيْةِ الْأَرْكَانِ أَجْحِيمَهَا^(٩)
 مِنْ قَبْلِهِ كَانَ بِالْمَشْتَى يُغَالِيهَا^(١٠)
 دَأَتْ عَنِ السَّوْرَةِ الْعَلْيَا مَسَاعِيهَا
 نَحْنُ الْفَوَارِسُ يَوْمَ الْجَرِ^(١١) مِنْ أَحَدِ
 هَابِوا ضَرَابًا وَطَعَنَا صَادِقًا خَذِيمًا
 ثَمَّتْ رُحْنَا كَانَا عَارِضُ بَرِدٍ
 كَانَ هَامِمُ عِنْدَ الْوَغَى إِلَقَّ
 أَوْ حَنَظَلَ ذَعْدَعَتَهُ الرِّيحُ فِي غَصْنٍ
 قَدْ نَبَذَلُ الْمَالَ سَحَّا لَا حَسَابَ لَهُ
 وَلِيلَةٌ يَصْطَلِي بِالْفَرَثِ جَازِرُهَا
 وَلِيلَةٌ مِنْ مُجَادِي ذَاتِ أَنْدِيَةٍ
 لَا يَنْبَحِي الْكَلْبُ فِيهَا غَيْرَ وَاحِدَةٍ
 أَوْ قَدَتْ فِيهَا لِذِي الْضَّرَاءِ جَاهِمَةً
 أَوْ رَثَنِي ذَالِكُمْ عَمْرُو وَوَالَّدُهُ
 كَانُوا يَبَارُونَ أَنْوَاءَ النَّجَومِ فَـ

* * *

قال ابن إسحاق : فأجابه حسان بن ثابت رضي الله عنه فقال :

قال ابن هشام : وتروى لـ كعب بن مالك وغيره . قلت : وقول ابن إسحاق

أشهر وأكثرو والله أعلم :

- (١) الجر : أصل الجبل . (٢) المخذم : القاطع . (٣) العارض : السحاب . وبرد : به برد ، وهو حب الغمام . (٤) القيفن : القشرة العليا اليابسة من البيض . والربد : النعام . والأداحي : جم أداحي وهو مبيض النعام . (٥) ذعْدَعَتَهُ : حركته . وتعاونه : تداوله . والسواف : الرياح الشديدة .
 (٦) سجا : صبا . والشزر في الطعن : أن يكون من ناحية غير مستقيمة .
 (٧) يصطلي : يستند . والنقرى : الدعوة الخاصة ، أي يختص الأغنياء طلباً لـ مـ كـافـهـمـ ، يصف شدة الزمان . (٨) أندية : جم ندى على غير قياس ، وقيل : إنه جمع الجم ، والجرباء : المقحطنة .
 (٩) القريض : البرد الشديد .
 (١٠) الجاحة : المتهية .
 (١١) ابن هشام : بالمعنى . وما هنا أوضاع .

سُقْمَ كَنَانَةَ جَهَلًا مِنْ سَفَاهَتْكُمْ
إِلَى الرَّسُولِ بُغْنَدَ اللَّهِ مُخْزِيْهَا
فَالنَّارُ مَوْءَدُهَا وَالْقُتُلُ لَاقِيْهَا
أَمْئَةُ الْكُفَّرِ غَرَّتْكُمْ طَوَاغِيْهَا
أَهْلَ الْقَلِيبِ وَمَنْ أَقْيَنَهُ فِيهَا
كُمْ مِنْ أَسِيرٍ فَكَنَاهَا بِلَا تَمَنِّيْهَا
وَجَزَّ نَاصِيَةً كُنَّا مَوَالِيْهَا

قال ابن إسحاق : وقال كعب بن مالك يحيى هبيرة بن أبي وهب المخزومي أيضاً :

من الأرض خرق سيره متنعنه^(١)

من الْبَعْدِ نَقْعٌ هَامِدٌ مُتَقْطَعٌ^(٢)

وَيَحْلُوْهُ غَيْثُ السَّنَنِ فِيْمُرَعٌ^(٣)

كَلَاحٌ كَتَانٌ التَّجَارُ الْمَوْضَعُ^(٤)

وَبَيْضٌ نَعَامٌ قَيْصِنْهُ يَتَقْلُبُ^(٥)

مُذَرَّبَةٌ فِيهَا الْقَوَانِسُ تَلْمَعُ^(٦)

إِذَا لُبْسَتْ تَهْنَى مِنَ الْمَاءِ مُتَرَعٌ^(٧)

مِنَ النَّاسِ وَالْأَنْبَاءِ بِالْغَيْبِ تَنْفَعُ

سَوَانَا لَقْدِ أَجْلَوْهُ بِلِيلٍ فَأَفْشَعُوا

أَعِدَّوْهُ مَا يُزْجِي ابْنُ حَرْبٍ وَيَجْمَعُ

أَلَا هَلْ أَتَى غَسَانَ عَنَّا وَدَوَاهُمْ

صَحَارِيْ وَأَعْلَامُ كَانَ قَتَّامَهَا

أَنْظَلَ بِهِ الْبُزُلُ الْعَرَامِيْسُ رُزَّحًا

بِهِ جِيفُ الْحَسْرِيِّ يَلُوحُ صَلَيْهِا

بِهِ الْعَيْنُ وَالْأَرَامُ يَمْشِيْنَ خَلْفَهُ

بِمُحَالَدَنَا عَنْ دِينِنَا كُلُّ نَخْمَةٍ

وَكُلُّ صَمُوتٍ فِي الصَّوَانِ كَانَهَا

وَلَكِنْ بِيَدِنْ سَارَلَوْا مَنْ لَقِيمُ

وَإِنَا بِأَرْضِ الْخَوْفِ لَوْكَانَ أَهْلَهَا

إِذَا جَاءَ مَنْتَ رَاكِبٌ كَانَ قَوْلُهُ

(١) المتنعنة : المضطرب . (٢) الأعلام : الجبال . والقتام العبار . والنفع : العبار أيضاً .

(٣) البزل : جم بازل . وهي التامة التي تبلغ التاسعة . والعراميس : الصالبة . والرزح : المعيبة .

(٤) الصليب : ودك العظام . والموض : المبوسط .

(٥) العين : بقر الوحش والأكرام . وخلفة : قطة وراء قطعة . والقيض : قشور البيض . ويتقلع : يتشقق

(٦) مذرية : محددة . والقوانس : جم قونس وهي بضة السلاح .

(٧) كل صمود : أراد به الدرع . جعلها صموداً لشدة نسجها وإحكام صنعتها . والتهي : الغدير .

والمنع : المليء .

فَهَا يُهْمِّ النَّاسَ مَا يَكِيدُنَا فَعَنْ لِهِ مِنْ سَائِرِ النَّاسِ أَوْسَعُ
 فَلَوْغَيْرِنَا كَانَتْ جَمِيعاً تَكِيدُهُ الْبَرِيَّةُ قَدْ أَعْطَوْا يَدًا وَتَوَزَّعُوا
 بِجَالِدٍ لَا تُبْقِي عَلَيْنَا قَبِيلَةٌ مِنَ النَّاسِ إِلَّا أَنْ يَهَابُوا وَيَقْطَعُوا
 عَلَامٌ إِذَا لَمْ يَمْتَنِعْ الْعَرْضَ تَزَرَّعُ^(١)
 إِذَا قَالَ فِينَا الْقَوْلَ لَا تَنْظَلِمْ^(٢)
 يُنَزَّلُ مِنْ جَوَّ السَّمَاءِ وَيُرْفَعُ
 إِذَا مَا اشْتَهَى أَنَا نُطْعِمُ وَتَسْعِمُ
 ذَرُوا عَنْكُمْ هَوْلَ الْمِنَاتِ وَاطْمَعُوا
 إِلَى مَلَكٍ يُحْبِسُ لَدِيهِ وَيُرْجِعُ
 عَلَى اللَّهِ إِنَّ الْأَمْرَ لَهُ أَجْمَعُ
 ضَحْيَّا عَلَيْنَا الْبَيْضُ لَا تَنْخَشَعُ
 إِذَا ضَرَبُوا أَقْدَامَهَا لَا تَوْرَعُ^(٤)
 أَحَايِشُهُمْ مِنْهُمْ حَاسِرٌ وَمَقْنَعٌ
 ثَلَاثَ مِئَنِ إِنْ كَثُرْنَا فَأَرْبَعٌ^(٥)
 نُشَارِعُهُمْ حَوْضَ الْمَنَابِيَّ وَتَشْرُعُ
 وَمَا هُوَ إِلَّا الْيَثْرِيُّ الْمَقْطَعُ^(٦)
 يُذْرُ عَلَيْهَا السَّمُّ سَاعَةً تُصْنَعُ^(٧)

وَلَا ابْتَنُوا بِالْعِرْضِ قَالَتْ سُرَاتِنَا
 وَفِينَا رَسُولُ اللَّهِ نَتَبِعُ أَمْرَهُ
 تَدَلَّ عَلَيْهِ الرُّوحُ مِنْ عَنْدِ رَبِّهِ
 نُشَارِهِ فِيهَا نُرِيدُ وَقَصَرْنَا^(٣)
 وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ لَمَا بَدَأُوا لَنَا
 وَكَوْنُوا كَمْ يَشْرِي الْحَيَاةَ تَقْرَبَا
 وَلَكِنْ خَدُوا أَسْيَافَكُمْ وَتَوَكَّلُوا
 فَسِرْنَا إِلَيْهِمْ جَهَرَةً فِي رِحَالِهِمْ
 بِمَلْمُومَةٍ فِيهَا السَّنَورُ وَالقَنَا
 بِخِفْنَا إِلَى مَوْجٍ مِنَ الْبَحْرِ وَسَطْهُ
 ثَلَاثَةُ آلَافٌ وَنَحْنُ نَصِيَّةٌ
 نُفَارُهُمْ تَجْرِي الْمَنِيَّةُ بَيْنَنَا
 تَهَادَى قِسْيٌ النَّبَعُ فِينَا وَفِيهِمْ
 وَمَنْجُوفَةٌ حَرَمَيَّةٌ صَاعِدَيَّةٌ

(١) العرض : سفح الجبل . وهو جبل أحد .

(٢) لا تنظم : لا غسل عنـه .

(٣) قصرنا : غابتـنا .

(٤) الملومة : الكتبـة . والسنور : السلاح . لاتورع : لا تـكـفـ .

(٥) النصـية : الخيارـ منـ القـومـ .

(٦) النـبعـ : شـجـرـ لـقـسـيـ وـالـسـهـامـ يـنـبـتـ فـي قـلـةـ الجـبـلـ . وـالـيـثـرـيـ : الـوـتـرـ المـنـسـوبـ إـلـيـ يـزـبـ .

(٧) المنـجـوفـةـ : السـهـامـ . وـالـحـرـمـيـةـ : المـنـسـوبـ إـلـيـ الـحـرـمـ . وـالـصـاعـدـيـةـ : مـنـسـوبـ إـلـيـ صـاعـدـ ، كـانـ يـصـنـعـها

تصوّب بأبدان الرجال وتارةً
تمرُّ بأعراض البصار فتَقْعُدُ^(١)
وخيِلٌ تراها بالفضاء كأنها
جرادٌ صبأً في قرفةٍ يتربَّع^(٢)
فلمَا تلاقينا ودارت بنا الرحى
وليس لأمرٍ حمَّه الله مدفعٌ
ضرَّ بناهم حتى تركنا سرَّاً لهم
كأنهُم بالقائع خُشبٌ مُصَرَّعٌ
لَدُنْ عُدوةٍ حتى استقْبَلَا عشيةً^(٣)
كأن ذَكَانا حرًّا نار تلفَّ^(٤)
وراحوا سراعاً موجعين^(٥) كأنهم
جهنم هراقت ماءه الريح مُفْلَعٌ
ورحنا وأخْرَانَا بِطَاءٌ كأننا
أسود على لحمٍ ببيشة ضلَّعٌ^(٦)
فنلنا ونالَّ القومُ مِنَّا ورُبِّنا
فعملنا ولكنَّ ما لدى الله أَوْسَعُ
ودارت رحانا واستدارت رحاهُ^(٧)
وقد جعلوا كلَّ من الشر يُشَبِّعُ
وحنَّ أناسٌ لا نَرَى القتل سُبَّةً^(٨)
على كلٍّ من يَحْمِي الدُّمَار ويمنعُ
جِلَادٌ على رَبِّ الحوادث لازَّى
على هالكٍ عيناً لنا الدهرَ تدمعُ
بنو الحرب لا نَعِيَا بشيءٍ نقوله
ولا نحن مِنْ أظفارنا نتَوَجَّعُ
بنو الحرب إنْ نظر فاسنا بفتحَشِ^(٩)
ويفرُج عنده مَنْ يليه ويُسْفِعَ^(١٠)
وكنَّا شهاباً يتقى الناسُ حرَّاهُ^(١١)
لَكُم طَابٌ مِنْ آخر الليل مُتَّبِعٌ
شُورَتَ على ابن الزعْرى وقد سرى
من الناس من أَخْرَى مقاماً أو أشعَّ^(١٢)
فسَلَ عنك في عالمٍ مَعَدٍّ وغيرها

(١) قال السهيلي : « يقول : تشق أبدان الرجال حتى تبلغ البصار فتفقعن فيها ، وهي جمع بصرة ، وهي حجارة لينة . ويجوز أن يكون أراد جمع بصيرة ، مثل كريمة وكرام . وال بصيرة : الدرع ، وقيل : الترس » .

(٢) الصبا : ريح شرقية . والقرفة : الليلة الباردة . يتربَّع : يذهب ويحيى .

(٣) ذكانا : حرارتنا في الحرب .

(٤) ابن هشام : موجعين .

(٥) الجهام : السجان الرقيق .

(٦) بيشة : موضع كثيير الأسود . وفي ابن هشام : ظلم .

(٧) يفرج عنه : ينكشف . ويُسْفِعَ : يافح .

وَمَنْ خَدُّهُ يَوْمَ الْكَرِيمَةِ أَضْرَعُ
عَلَيْكُمْ وَأَطْرَافُ الْأَسْنَةِ شُرَاعُ
عَزَّالِيٌّ مَزَادٍ مَأْوَاهَا يَهْزَعُ^(١)
بِذِكْرِ الْلَّوَاءِ فَهُوَ فِي الْمَدِ أَسْرَعُ
أَبْنَى اللَّهُ إِلَّا أَمْرُهُ وَهُوَ أَضْعَفُ
وَمَنْ هُوَ لَمْ يَتَرَكْ لِهِ الْحَرْبُ مَفْخَرًا
شَدَّدْنَا بِحَوْلِ اللَّهِ وَالنَّصْرِ شَدَّةً
تَسْكِرُ القَنَاءِ فِيكُمْ كَأَنَّ فُرُوعَهُمَا
عَدَنَا إِلَى أَهْلِ الْلَّوَاءِ وَمَنْ يَطِرُ
فَانُوا وَقَدْ أَعْطَوْا يَدًا وَتَخَذَّلُوا

* * *

قال ابن إسحاق : وقال عبد الله بن الزبير في يوم أحد وهو يومئذ مشركٌ بعد :

يَا غُرَابَ الْبَيْنِ أَسْمَتَ قَدْ فَعْلَ
إِنَّا تَنَطِّقُ شَيْئًا قَدْ فَعْلَ
إِنَّ لِلْخَيْرِ وَلِلشَّرِّ مَدَى
وَكَلَّا ذَلِكَ وَجْهٌ وَقَبَلٌ^(٢)
وَالْعَطَيَاتِ خِسَاسٌ بَيْنَهُمْ
وَسَوَاءٌ قَبْرٌ مُرْبٌ وَمُقْلٌ
كُلُّ عِيشٍ وَنَعِيمٍ زَائِلٌ
وَبَنَاتُ الدَّهْرِ يَلْعَبُنَّ بِكُلِّ
أَبْلَغًا حَسَانًا عَنِ آيَةَ
فَقْرِيْبُ الشَّعْرِ يَشْفِي ذَا الْغُلَلَ
كَمْ تَرَى بِالْجَلَّ مِنْ جُمْجَمَةَ
وَسَرَابِيلِ حِسَانٍ سُرَيْتَ
وَأَكْفَّ قَدْ أَتَرَتَ وَرِجْلٌ^(٣)
كَمْ قَتَلْنَا مِنْ كَرِيمٍ سَيِّدٍ
عَنْ كُلَّهٗ أَهْلَكُوا فِي الْمُنْزَلِ
مَاجِدُ الْجَدَّيْنِ مِقْدَامٌ بَطَلٌ
صَادِقُ النِّجَدَةِ قِرْمٌ بارِعٌ
غَيْرُ مُلْتَاثٍ لَدَى وَقْعُ الْأَسْلِ
فَسِيلُ الْمِهْرَاسَ مَا سَاكِنُهُ
بَيْنَ أَقْحَافٍ وَهَامٍ كَالْحَجَلٌ^(٤)
لَيْتَ أَشْيَاخِي بِيَدِي شَهَدُوا جَزَعَ الْخَرْجِ مِنْ وَقْعِ الْأَسْلِ

(١) العزالِي : جمع عزالٍ ، وهي مصب الماء من الرواية . والزاد : جمع مزادة وهي الرواية .
ويهزع : يتقطع . (٢) القبل : العيان والواجهة . (٣) الجر : أصل الجبل . وأترت : قطعت .
(٤) المهراس : ماء بأحد . وفي ابن هشام : من ساكنه . والأقحاف : جمع قحف . والهام :
الرؤس . والحجَل : الذكر من القبيح .

حين حَكَتْ بقيَاءَ بَرْ كَهَا^(١)
وَسَتَحَرَّ القُتْلُ فِي عَبْدِ الْأَشْلَ
رَقْنَ الْخَفَانِ يَعْلُو فِي الْجَبَلِ^(٢)
عَدَلَنَا مَيْلَ بَدْرِ فَاعْتَدَلَ
لَوْ كَرَزَنَا لَفْعَنَا الْمُفْتَعَلُ
بِسَيْفِ الْمَهْدِ تَلُو هَامِهِمْ عَلَلَأَ تَلُومُ بَعْدَ نَهَلَ

قال ابن إسحاق : فأجابه حسان بن ثابت رضي الله عنه :

ذَهَبَتْ بَابِنِ الزَّبْعَرِي وَقَمَةَ
كَانَ مِنَ الْفَضْلِ فِيهَا لَوْ عَدَلْ
وَكَذَكَ الْحَرَبُ أَحْيَانًا دُولَ
حِيتُ نَهَوْيَ عَلَلَأَ بَعْدَ نَهَلَ
كَسْلَاحَ النَّيْبِ يَا كُلَّنِ الْعَصَلِ^(٣)
هَرَبَا فِي الشَّعْبِ أَشْبَاهُ الرَّسُلِ^(٤)
فَأَجَانَاكُمْ إِلَى سَفْحِ الْجَبَلِ
مَنْ يُلَاقُوهُ مِنَ النَّاسِ يُهَلَّ^(٥)
وَمَلَأْنَا الْفَرَطَ مِنْهُ وَالرَّجَلَ^(٦)
بِرْ جَالِ لَسْمُ أَمْثَالِهِمْ أَيْدُوا جَبَرِيلَ نَصْرًا قَنْزِل^(٧)

(١) البرك : الصدر . وعبد الأشل : هم بنو عبد الأشل .

(٢) الرقن : الحب في السير ، وهو الإسراع . والخفان : فراخ النعام .

(٣) الأصبع : وصف للبن المذوق المخرج من بطونهم ، كما قال السهيل ١٥٨ / ٢ وتروى : الأضياح . وهو اللبن المزوج بالملاء . والنبيب : التوق المسنة . والعصل : نبات يصلح الإبل إذا أكلته .

(٤) الرسل : الغنم إذا أرسلها الراعي ، والرسل : القطيبيع من كل شيء .

(٥) الخاطيل : الجساعات . والأشداق : جمع شدق ، وهو من الوادي عرضاه وناحياته . والملا : الفلاة ذات حر وسراب . ويهل : يفزع .

(٦) نجزعه : نقطعه عرضاً . والفرط : المرتفع من الأرض . والرجل : المطئن منها .

(٧) أيدوا جبريل : أراد : أيدوا بجبريل .

وعلّونا يوم بدر بالقى طاعة الله وتصديق الرسُّل
 وقتلنا كل جَحْجَاح رِفْل^(١)
 يوم بدر وأحاديث المَلَءَ
 يوم بدر والتنابيل المُبْلِل^(٢)
 مثل ما يجتمع في الخصب المَهْلَ^(٣)
 تَخَضُّر البَأْسِ إِذَا الْبَأْسُ نَزَلَ
 وتركتنا في قريش عَنْوَرَةَ
 ورسول الله حَقًا شاهدًا
 في قريش من جموع جمعوا
 نحن لا مِثَالَكُمْ وَلَدُّ اسْتَهَا

* * *

قال ابن إسحاق : وقال كعب يبكي حزنة ومن قُتل من المسلمين يوم أحد ،

رضي الله عنهم :

نشجتَ وهل لك من مَنْشَجٍ
 وكنت متى تَذَكَّرْ تَلْجَجْ
 تَذَكَّرْ قَوْمٌ أَتَانِي لَهُمْ
 أَهَادِيثَ فِي الزَّمْنِ الْأَعْوَجَ
 فَقَلْبُكَ مِنْ ذِكْرِهِمْ خَافِقٌ
 وَقَتْلَاهُمْ فِي جَنَانِ النَّعَيمِ
 كَرَامُ الدَّاخِلِ وَالْمَخْرَجِ
 بِمَا صَبَرُوا تَحْتَ ظَلِّ اللَّوَاءِ
 وَقَتْلَاهُمْ فِي جَنَانِ النَّعَيمِ
 لَوَاءُ الرَّسُولِ بِذِي الْأَضْوَجِ^(٤)
 غَدَاءَ أَجَابَتْ بِأَسِيفَهَا
 جَمِيعًا بَنُو الْأَوْسِ وَالْخَزْرَاجِ
 وَأَشْيَاعُ أَحْمَدَ إِذَا شَابَعُوا
 فَإِنَّهُمْ فِي الْقَسْطَلِ الْمَرَهَاجِ^(٥)

(١) الججاج : السيد . والرفل : الذي يجر ثوبه خيلاً .

(٢) التنبيل : القصار . والمبل : الذين نقلوا لـ كثرة اللحم عليهم .

(٣) المهل : الإبل المهملة التي تركت دون راع .

(٤) الأضوج : جمع ضوج ، وهو منعطف الوادي .

(٥) القسطل : الغبار .

كذلك حتى دعاهم مليكٌ إلى جنة دوحة المؤلِّج^(١)
وكلهم مات بُرَّ البَلَاءَ
على مَسْلَةِ اللَّهِ لَمْ يَخْرُجَ
كحمنة لما وفَ صادقاً
بَذِي هَبَّةٍ صارَمِ سَجَحَجَ^(٢)
فلاقاًه عبدُ بْنِ نوْفَلَ
يُبَرِّ بِرَ كَالْمَلِ الأَدْعَجَ^(٣)
فأَوْجَرَه حَرَبَةَ كَالْشَّهَابَ
تلهَّبَ فِي الْهَبِ المَوَهَّجَ
ونهانٌ أَوْفِيَتِهِ
وَحْنَظَةَ الْخَيْرِ لَمْ يَخْنُجَ^(٤)
عنَ الْحَقِّ حَتَّى غَدَتْ رُوحَه
إِلَى مَنْزِلِ فَاخِرِ الزَّبْرَجَ^(٥)
أولئك لا مَنْ ثَوَى مَنْكُمْ
مِنَ النَّارِ فِي الدُّرُكِ الْمَوْتَجَ

* * *

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت يهكي حزنة ومن أصيب من المسلمين يوم أحد ، وهي على روى قصيدة أمية بن أبي الصلت في قتلى المشركين يوم بدر .

قال ابن هشام : ومن أهل العلم بالشعر من يشكِّر هذه لحسان . والله أعلم :

يَأَمِيْ قَوْمِيْ فَانْدَبِيْ بِسُحْيَرَةِ شَجَوَ النَّوَايَهُ
كَالْحَامِلَاتِ الْوِقْرِ بِالسَّقْلِ الْمَلَحَاتِ الدَّوَالِخِ^(٦)
الْمُسْلَوَاتِ الْخَامِشَهِ تَوْجُوهَ حُرَّاتِ صَاحِبِ
وَكَانَ سِيلَ دَمَوْعَهَا الْأَنْصَابُ تَخْضَبَ بِالذَّبَائِعَ
يَنْقَضُنَ أَشْهَارًا لَهُنَ هَنَاكَ بَادِيَهَا الْمَسَائِعَ^(٧)
وَكَأَنَّهَا أَذْنَابَ خَيْرٍ لِبِالصُّحُّ شَمْسٍ رَوَامِعَ

(١) الدوحة : الكثيرة الأغصان . والملج : المدخل . (٢) السلبح : المرهف .

(٣) عبد بني نوبل : وحشى قاتل حزنة . وبيبر : يصبح . والأدعج : الأسود .

(٤) لم ينج : لم يعل .

(٥) الزبرج : الوشى .

(٦) المساع : ذواقب الشعر .

(٧) الدوالح : الحاملات التقلل .

من بين مشرور وجه زور يذعن بالبوارح ^(١)
 يمكين شجواً مسلبات كدّهن الكوادح
 تجعل له جلب قوارخ ^(٢)
 كنا نرجي إذا نشأين ^(٣)
 دهر ألم له جوارخ
 مينا إذا بعث المصالح ^(٤)
 أنساك ماص لفاح
 ياف وأرملة تلامح ^(٥)
 حرب خرب وهي لا فتح
 حمز قد كفت المصامح ^(٦)
 ب إذا ينوب هن فادح
 ل وذلك مدرهنا المتأفح
 عده الشريرون الجحاجح
 سبط اليدين أغراً واضح ^(٧)
 ذو علة بالحمل آنيخ
 رأ منه سيب أو منادخ
 أودى شباب أولى احدا
 ظ والثقيلون المراجح
 المطعون إذا الشتا تى باصتن ناضح

(١) المشرور : الذي وضمه سى خصفة ليجف . ويدعنه : يفرق . والبوارح : الرياح الشديدة .

(٢) الجل : أن يكون بين الجلد واللحم ماء . والجلب : جم جلة وهو قشرة تعلو الجرح عندالبرء .

(٣) نشأين : نذر .

(٤) الملاع : تنظر خمسة نفس بصرها . (٦) المصالح : المدافع القوى .

(٥) تلامح : ضعيف واهن . يقال آنج البعير : إذا جعل الثقل أخرج من صدره صوت المتصحر .

(٧) آنج : ضعيف واهن .

لَمَ الْجَلَادِ وَفُوقَهُ مِنْ شَحْمِهِ شُطَّبَ شَرَاحِ
لِيَدَافِعُوا عَنْ جَارِهِ مَارِمَ ذُو الصُّفَنِ الْمُكَاشِحِ
لَهُ فِي لِشْبَاتِ رُزْدَ نَاهِمُ كَأَنَّهُمْ الْمَصَابِحِ
شُمُّ بَطَارِقَةِ غَطَا رَفَةِ خَضَارَمَةِ مَسَامِحِ^(١)
الْمُشْتَرِّونَ الْحَمَدَ بِالْأَمْوَالِ إِنَّ الْحَمَدَ رَاجِعٌ
وَالْجَامِزُونَ بِلِجُّهُمْ يَوْمًا إِذَا مَاصَحَ صَانِحٌ^(٢)
مِنْ كَانَ يُرْمَى بِالنَّوَا قَرَ^(٣) مِنْ زَمَانٍ غَيْرَ صَانِحٍ
بِمَا إِنْ تَزَالَ رَكَابَهُ يَرْسِمُنَ فِي غَيْرِ صَاحِصٍ^(٤)
رَاحَتْ تَبَارِي وَهُوَ فِي رَكْبِ صَدُورِهِ رَوَاشِحٌ
حَتَّى تَوَبَ لِهِ الْمَعَا لِلَّيْسِ مِنْ فَوْزِ السَّفَائِحِ^(٥)
يَاحْمَزَ قَدْ أَوْحَدْتُنِي كَالْمُوَدَّشَدَّ بِهِ الْكَوَافِحِ^(٦)
أَشْكُوكَ إِلَيْكَ وَفَوْقَكَ الْثَّرْبُ الْمُكَوَّرُ وَالصَّفَائِحُ
مِنْ جَنْدِلِ يَلْقِيهِ فَوْقَكَ إِذَا جَادَ الضَّرِحَ ضَارِحٌ^(٧)
فِي وَاسِعِ يَحْشُوْنَهِ بِالْتُّرْبِ سَوَّتَهُ الْمَاسِحُ
فَعَزَّازُونَا أَنَا نَقُولَ وَقُولُنَا بَرَحُ بَوَارِخٌ^(٨)
مِنْ كَانَ أَمْسِي وَهُوَ عَمَا أَوْقَعَ الْحِدَثَانُ جَانِحٌ
فَلِيَأْنَتْنَا فَلَتَبْكِ عِينَاهُ هَلْكَانَا النَّوَافِحِ^(٩)

(١) **البطارقة** : الرؤساء ، والبطارقة : السادة . والضارقة : المكترون من العطاء . والسامح : الكرام .

(٢) **الجامزوون** : الوابئون . واللجم : جمع لجام . (٣) **التوافق** : الدواهي والصائب .

(٤) **يرسمن** : يسرن الرسم ، وهو نوع من سير الإبل . والغبر : جم غراء وهي الأرض : والصالحة : الأرض المستوية .

(٥) **السفائح** : جمع سفيح وهو من قدح الميسر . (٦) **الكوافع** : الذين يتناولونه بالقطم .

(٧) **الضرح** : المحر للبيت . (٨) **برح** : صعب . (٩) **النوافح** : من ينفعون بالعطاء والخير .

القائلين نـاعـلـين ذـوـىـ السـاحـةـ وـالـمـادـحـ

من لا يزال ندى يديه له طوال المهر مائج^(١)

قال ابن هشام : وأكثـرـ أـهـلـ الـعـلـمـ بـالـشـعـرـ كـرـهـاـ لـخـانـ .

* * *

قال ابن إسحاق : وقال كعب بن مالك يبكي حمزة وأصحابه :

طرقتْ هومك فالرقاد مسهدُ
وجزعتَ أَن سُلَيْخَ الشَّبَابُ الأَعْيُدُ
وَدَعَتْ فُؤَادَكَ لِلَّهِ وَلِلْمُرْيَةِ
فَهُوَ أَكْغَورِيٌّ وَصَحْوَكُ مُنْجِدٌ
فَدَعَ التَّمَادِي فِي الغَوَايَةِ سَادِرًا^(٢)
وَلَقَدْ أَنِي لَكَ أَنْ تَنَاهِي طَائِعًا
وَلَقَدْ هُدِيتَ لِفَقْدِ حَمْزَةَ هَدَةً
وَلَوْا نَهَيْتَ فُجِعْتَ حِرَاءَ بِمَشَلَهِ
قَرْمَهُ تَمَكَّنَ فِي ذَوَابَةِ هَاشِمٍ
وَالْعَاقِرِ الْكُوْمِ الْجِلَادِ إِذَا غَدَتْ
وَالتَّارِكِ الْقِرْنَ الْكَمِيَّ مَجْدَلًا^(٣)
وَتَرَاهُ يَرْفَلُ فِي الْحَدِيدِ كَأَنَّهُ
عَمَّ النَّبِيِّ مُحَمَّدَ وَصَفِيهُ
وَأَنِي الْمَنِيَّةَ مُعْلِمًا فِي أُسْرَةِ
وَلَقَدْ إِخَالَ بِذَاكَ هَنَدًا بُشِّرَتْ
مَا صَبَحَنَا بِانْعَقَنَقَلَ قَوْمَهَا

(١) مائج : طالب مبتغٍ . (٢) تفند : تعذر وتلام . (٣) ذو ليد : يزيد أسدًا . والشأن :

الغليظ . والبران للأسد كالأصابع للإنسان . والأربد : المعبر .

جبريلٌ تحت لوائنا وَمُحَمَّدٌ
وَبَيْثُرٌ بَدِيرٌ إِذْ يَرُدُّ وجوهَهُم
قَسْمَيْنَ نَقْتَلُ مِنْ نَشَاء وَنَطْرُدُ
حَتَّى رَأَيْتَ لَدِي النَّبِيِّ سَرَاهِيم
سَبْعَوْنَ عَتَقَبَةً مِنْهُمْ وَالْأَسْوَدُ
فَاقَامَ بِالْعَطَنِ الْمَعْطَنَ مِنْهُمْ
وَابْنَ الْمَغِيرَةِ قَدْ ضَرَبَنَا ضَرَبةً
فَوْقَ الْوَرِيدِ لَهَا رَشَاشٌ مُزْبَدٌ
وَأَمَّةً أُلْجَمِحَى قَوْمٌ مِيَلَهَ
عَصْبٌ بِأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ مُهَنَّدٌ
فَأَنْتَكَ فَلَئِنْ الْمُشَرِّكُينَ كَانُوكَمْ
وَالْخَلِيلُ تَشْفَعُهُمْ (١) نَعَمْ شُرَدُ
شَقَّانَ مَنْ هُوَ فِي جَهَنَّمَ ثَاوِيَا
أَبَدًا وَمَنْ هُوَ فِي الْجَنَانِ خَلَدًا

* * *

قال ابن إسحاق : وقال عبد الله بن رواحة يبكي حزنة وأصحابه يوم أحد . قال ابن هشام : وأنشدناها أبو زيد لكتعب بن مالك . فالله أعلم :

بَكَتْ عَيْنِي وَحَقَّ لَهَا بَكَاهَا وَمَا يُغْنِي الْبَكَاهَ وَلَا الْعَوْيَلُ
أَحْمَزَةً ذَاكِمَ الرَّجُلِ الْفَتِيلُ عَلَى أَسَدِ الإِلَهِ غَدَاءَ قَالُوا
هَنَاكَ وَقَدْ أُصِيبَ بِهِ الرَّسُولُ أُصِيبَ الْمُسْلِمُونَ بِهِ جَمِيعًا
وَأَنْتَ الْمَاجِدُ الْبَرُّ الْوَصُولُ أَبَا يَعْلَى لَكَ الْأَرْكَانُ هُدَّتْ
مَخَالِطَهُمْ سَا نَعِيمٌ لَا يَزُولُ عَلَيْكَ سَلَامٌ رَبِّكَ فِي جَنَانِ
فَكُلْ فَعَالَكُمْ حَسْنٌ جَيْلٌ أَلَا يَا هَاشَمَ الْأَخِيَارَ صَبَرًا
بِأَمْرِ اللهِ يَنْطَقُ إِذْ يَقُولُ رَسُولُ اللهِ مُصْطَبَدُ كَرِيمٌ
فِي بَدَاءِ الْيَوْمِ دَائِلَةً تَدُولُ أَلَا مَنْ مُبْلِغٌ عَنِي لَوْيَا
وَقَبْلَ الْيَوْمِ مَا عَرَفُوا وَذَاقُوا نَسِيمَ ضَرَبَنَا بَقْلِيَبِ بَدِيرٍ
غَدَاءَ أَنَا كُمُّ الْمَوْتِ الْعَجِيلُ

(١) تَشْفَعُهُمْ : تَطْرَدُهُمْ .

غداة ثوى أبه
عنته الطير حائمة تحولُ
وعتبة واد سمه جحيمَ و عصنه السيف الصقيلُ
ومتركتنا أمينة مجلمعاً وفي حيزومه لدِنْ نبيل^(١)
وهام بنى ريمدة سائلوها
ألا ياهند قابكى لا تتملى
فأنت الواله العبرى التمُولُ
لا ياهند لا تبُدى شماتاً بمحنة ابن عزكم ذليل

* * *

قال ابن إسحاق : وقالت صفية بنت عبد المطلب تبكي أخها حمزة بن عبد المطلب ، وهي أم الزبير عمّة النبي صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنهم أجمعين :
 أسائلة أصحاب أحد مخافة
 بنات أبي من أجمعٍ وخبير
 فقال الخبير إن حمزة قد ثوى
 دعاه إله حق ذو العرش دعوة
 فذلك ما كنا نرجى ونرتجي
 لحمزة يوم الحشر خير مصير
 فوالله لا أنساك ماهبت الصبا
 علىأسد الله الذي كان مدرها^(٢)
 فياليت شلوى^(٣) عند ذلك وأعظمي
 أقول وقد أعلى النعى عشيرتي جزى الله خيراً من أخي ونصير
 قال ابن إسحاق : وقالت نعم ، امرأة شمس بن عثمان ، تبكي زوجها والله أعلم
 والله الحمد والمنة :

(١) مجلمعاً : يمتد على الأرض . والحيزوم : ما يكتنف الحلقوم من جنب الصدر . والالدن : الميت من الرماح .

(٢) المدره : المدافع الخامبي .

ياعينُ جودي بفَيْضِ غيرِ إِنْسَاسٍ
 على كَرِيمٍ من الفتىـان لِبَاسٍ
 صعب الـبـديـهـة مـيمـون نـقـيـتـه
 حـمـال الـأـلـوـيـة رـكـابُ أـفـارـاسـ
 أـقـول لـمـا أـنـى النـاعـى لـه جـزـعـاـ
 أـوـدـى الجـوـادـوـأـوـدـى المـطـعمـ الـكـلـيـ
 وـقـلت لـمـا خـلـت مـنـه مـجـالـسـه لا يـبـعـد الله مـنـا قـرـبـ شـمـاسـ
 قال : فـأـجـابـها أـخـوـهـا الـحـكـمـ بـنـ سـعـيدـ بـنـ يـرـبـوـعـ يـعـزـهـا فـقـالـ :

اقـنـى حـيـاءـكـ في سـتـرـ وـفـ كـرـيمـ
 فـإـنـما كـانـ شـمـاسـ مـنـ النـاسـ
 لـا تـقـتـلـي الـنـفـسـ إـذـ حـانـتـ مـنـيـتـه
 فـي طـاعـةـ اللهـ يـوـمـ الرـوـعـ وـالـبـاسـ
 فـذـاقـ يـوـمـئـيـزـ مـنـ كـأسـ شـمـاسـ
 قدـ كـانـ حـزـةـ لـيـثـ اللهـ فـاصـطـبـرـي
 وـقـالـتـ هـنـدـ بـنـ عـتـبـةـ اـمـرـأـ أـبـيـ سـفـيـانـ حـيـنـ رـجـمـواـ مـنـ أـحـدـ
 رـجـعـتـ وـفـ نـفـسـيـ بـلـأـبـلـ بـجـمـةـ
 وـقـدـ فـاتـيـ بـعـضـ الـذـىـ كـانـ مـطـلـبـيـ
 مـنـ اـصـحـابـ بـدـرـ مـنـ قـرـيشـ وـغـيرـهـ
 بـنـيـ هـاشـمـ مـنـهـمـ وـمـنـ أـهـلـ يـثـربـ
 وـلـكـنـيـ قـدـ نـلـتـ شـيـثـاـ وـلـمـ يـكـنـ
 كـاـكـنـتـ أـرـجـوـ فـمـسـيـرـيـ وـمـرـكـيـ

* * *

وـقـدـ أـورـدـ اـبـنـ إـسـحـاقـ فـهـذـاـ أـشـعـارـاـ كـثـيرـةـ تـرـكـنـاـ كـثـيرـاـ مـنـهـاـ خـشـيـةـ الإـطـالـةـ وـخـوفـ
 الـلـلـاـلـةـ ، وـفـيـاـ ذـكـرـنـاـ كـفـاـيـةـ . وـلـلـهـ الـحـمـدـ .

وـقـدـ أـورـدـ الـأـمـوـىـ فـمـغـازـيـهـ مـنـ الـأـشـعـارـ أـكـثـرـ مـاـ ذـكـرـهـ اـبـنـ إـسـحـاقـ كـاـ جـرـتـ
 عـادـتـهـ ، وـلـاـ سـيـاـ هـاهـنـاـ .

فـمـنـ ذـلـكـ مـاـ ذـكـرـهـ لـحـسـانـ بـنـ ثـابـتـ أـنـهـ قـالـ فـيـ غـزـوـةـ أـحـدـ . فـالـلـهـ أـعـلمـ :

طـلـأـعـوا الشـيـطـانـ إـذـ أـخـزـاهـمـ
 فـاستـبـانـ الـخـزـيـ فـيـهـمـ وـالـفـشـلـ
 حـيـنـ صـاحـوا صـيـحـةـ وـاحـدـةـ
 مـعـ أـبـيـ سـفـيـانـ قـالـوا أـعـلـ هـبـلـ
 فـأـجـبـنـاهـمـ جـمـيـعـاـ كـلـثـمـاـ

أبْتَقَوْا تَسْتَعْمِلُوهَا مَرَّةً من حِيَاضِ الْمَوْتِ وَالْمَوْتُ هَلْ
وَاعْهَدَ وَأَنَا إِذَا مَا نَصَحْتُ عن خِيَالِ الْمَوْتِ فَدِرْ تَشْتَعِلُ
وَكَأْنَ هَذِهِ الْأَيَّاتُ قَطْعَةً مِنْ جَوَابِ لَعْبِ الدَّلِيلِ بْنِ الزَّبْعَرِ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .
« آخر الكلام على وقعة أحد »

فصل

قد تقدم ما وقع في هذه السنة الثالثة من الحوادث والغزوات والسرايا ، ومن أشهرها
وقعة أحد كانت في النصف من شوال منها ، وقد تقدم بسطها والله الحمد .
وفيها في أحد توفي شهيداً أبو يعلى ، ويقال أبو عمارة أيضاً ، حمزة بن عبد المطلب
عم رسول الله صلى الله عليه وسلم الملقب بأسد الله وأسد رسوله ، وكان رضيع النبي صلى
الله عليه وسلم هو وأبو سلمة بن عبد الأسد ، أرضعهم ثوبية مولاة أبي هب ، كما ثبت
ذلك في الحديث المتفق عليه .

فعلى هذا يكون قد جاوز المحسين من السنين يوم قتل رضي الله عنهم ، فإنه كان
من الشجعان الأبطال ومن الصديقين الكبار ، وقتل معه يومئذ تمام السبعين . رضي
الله عنهم أجمعين .

وفيها عقد عثمان بن عفان على أم كلثوم بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد
وفاة أختها رقية ، وكان عقده عليها في ربيع الأول منها ، وبني بها في جمادى الآخرة
منها . كما تقدم فيها . ذكره الواردى .

وفيها قال ابن جرير : ولد لفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسن بن علي
بن أبي طالب . قال : وفيها عاشرت بالحسين رضي الله عنهم .

لِسْتُ بِرِّ الْجَمَرِ الْحَيَّمِ

رب يسر

سنة أربع من الهجرة النبوية

في الحرم منها كانت سرية أبي سلمة بن عبد الأسد إلى طليحة الأسدى ، فانتهى
إلى ما يقال له قطن .

قال الواقدى : حدثنا عمر بن عثمان بن عبد الرحمن بن سعيد اليربوعى ، عن سلمة
بن عبد الله بن عمر بن أبي سلمة وغيره ، قالوا : شهد أبو سلمة أحداً فجُرح جرحاً على
عضده ، فأقام شهرأً يداوى ، فلما كان الحرم على رأس خمسة وثلاثين شهراً من الهجرة ،
دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : اخرج في هذه السرية فقد استعملتك عليهم .
وعقد له لواء وقال : سر حتى تأتى أرض بني أسد فأغره عليهم ، وأوصاه بتقوى الله
وبن معه من المسلمين خيراً .

وخرج معه في تلك السرية خمسون ومائة .

فانتهى إلى أدنى قطن ، وهو ماء لبني أسد ، وكان هناك طليحة الأسدى وأخوه
سلمة ابنه خويلا ، وقد جمعا حلفاء من بني أسد ليقصدوا حرب النبي صلى الله عليه وسلم ،
فجاء رجل منهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره بما تناولاً وأعليه فبعث معه أبا سلمة
في سريته هذه .

فلما انتهوا إلى أرضهم تفرقوا وتركوا نعماً كثيراً لهم من الإبل والغنم ، فأخذ ذلك
كله أبو سلمة وأسر منهم معه ثلاثة مالايك ، وأقبل راجعاً إلى المدينة ، فأعطي ذلك الرجل

الأَسْدِيُّ الَّذِي دَلَّهُمْ نَصِيبًا وَافْرَاً مِنَ الْمَقْمَمِ ، وَأَخْرَجَ صَفِيفَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، عَدَّا
وَخَسَّ الْفَنِيمَةَ ، وَقَسَمَهَا بَيْنَ أَصْحَابِهِ . ثُمَّ قَدِمَ الْمَدِينَةَ .

قَالَ عُمَرُ بْنُ عَمَانَ : خَدَّثَنِي عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ عَبِيدٍ ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَعِيدٍ بْنِ
يَرْبُوعٍ ، عَنْ عَمَرِ بْنِ أَبِي سَلَمَةَ قَالَ : كَانَ الَّذِي جَرَحَ أَبِي أَبْوَ أَسَمَّةَ الْجُشْعَى ، فَكَثُرَ
شَهْرًا يَدَاوِيهِ فَبَرَأَ ، فَلَمَّا بَرَأَ بَعْدَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْحَرَمَ ، يَعْنِي مِنْ سَنَةِ
أَرْبَعٍ ، إِلَى قَطَنَ ، فَغَابَ بَضْعَ عَشَرَةَ لَيْلَةً ، فَلَمَّا دَخَلَ الْمَدِينَةَ اتَّقْضَى بِهِ جَرْحُهُ فَمَاتَ ثَلَاثَ
بَقِيَنِي مِنْ جَاهَدِي الْأُولَى .

قَالَ عُمَرُ : وَاعْتَدَتْ أُمِّي حَتَّى خَلَتْ أَرْبَعَةُ أَشْهُرٍ وَعِشْرَ ، ثُمَّ تَزَوَّجَهَا رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَدَخَلَ بَهْافَ لِيَالٍ بَقِيَنِي مِنْ شَوَّالٍ ، فَكَانَتْ أُمِّي تَقُولُ :
مَا بِأَنَّ بِالنِّسَكَاحِ فِي شَوَّالٍ وَالدُّخُولِ فِيهِ ، قَدْ تَزَوَّجَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي
شَوَّالٍ وَبَنَى فِيهِ .

قَالَ : وَمَاتَتْ أُمُّ سَلَمَةَ فِي ذِي القَعْدَةِ سَنَةَ تَسْعَ وَخَمْسِينَ .
رَوَاهُ الْبَيْهِقِيُّ .

قَلْتَ : سَنْدٌ كَرِفَ أَوْ أَخْرَى هَذِهِ السَّنَةِ فِي شَوَّالٍ هَا تَزِيجُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
بِأَنَّ سَلَمَةَ ، وَمَا يَقْعُلُ بِذَلِكَ مِنْ ذَلِكَ لِيَالٍ الْأَبْنَاءُ فِي النِّسَكَاحِ ، وَمَذَاهِبُ الْعُلَمَاءِ فِي ذَلِكَ .
إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى . وَبِهِ الثَّقَةِ .

غزوَة الرَّجَيْع

قال الواقدي : وكانت في صفر يعني سنة أربع . بعثهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهل مكة ليجيزوه .

قال : والرَّجَيْع على ثمانية أميال من عسفان .

قال البخاري : حدثني إبراهيم بن موسى ، أخبرنا هشام بن يوسف ، عن مَعْمَر ، عن الزهرى ، عن عمرو بن أبي سفيان الثقفى ، عن أبي هريرة ، قال : بعث النبي صلى الله عليه وسلم سريَّةً عَيْنَا ، وأمَرَ عليهم عاصِمَ بن ثابت ، وهو جَدُّ عاصِم^(١) بن عمر بن الخطاب .

فانطلقوا حتى إذا كانوا بين عسفان ومكة ، ذُكروا الحَيٌّ من هذيل يقال لهم بنو لحيان ، فتبعوهم بقريب من مائة رايم ، فاقتضوا آثارَهُم حتى أتوا منزلًا نزلوه فوجدوا فيه نوى تمر تزوده من المدينة فقالوا : هذا تمر يُثْبَ . فتبعوا آثارَهُم حتى لحقوهم .

فلما انتهى عاصِم وأصحابه إلى قَدْفَد^(٢) ، وجاء القوم فأحاطوا بهم فقالوا : لكم العهد والميثاق إنْ نزلتم إلينا ألا نقتل منكم رجلاً . فقال عاصِم : أما أنا فلا أنزل في ذمة كافر ، اللهم أخْبِرْ عَنِ رسُولِكَ .

فقاتلهم حتى قتلوا عاصِمًا في سبعه بعر بالشَّبل .

وبقي خَيْبَ وَزِيدَ وَرَجُلَ آخَرَ ، فاعطوهُم العَهْدَ وَالْمِيَّاثَ ، فلما أعطوهُم العَهْدَ وَالْمِيَّاثَ

(١) قال المحافظ عبد العظيم : غلط عبد الرزاق وابن عبد البر فقالا في عاصِم هذا : هو جَدُّ عاصِم بن عمر ابن الخطاب ، وذلك مُؤْخَرُ حِلْمٍ ، وإنما هو خال عاصِم ، لأنَّ أمَّ عاصِم بن عمر جميلاً بنت ثابت ، وعاصِم هو آخر جميلاً . كَرَّ ذلك زَيْدُ القاضى وعمه مصعب . إرشاد السارى ٣١٢ / ٦ .

(٢) قَدْفَد : رَأْيَةٌ مُشرفة .

نزلوا إليهم ، فلما استمكروا منهم حلوا أوتار قسيمهم فربطوه بها ، فقال الرجل الثالث الذي معهما : هذا أول العذر ! فأبى أن يضجعهم . فبرأوه وعالجوه على أن يضجعهم فلم يفعل ، فقتلوه .

وانطلقوا بخبيب وزيد حتى باعوها بمكة ، فاشترى خبيباً بن الحارث بن عامر بن نوفل ، وكان خبيب هو قاتل الحارث يوم بدر ، فكث عندهم أسيراً حتى إذا أجمعوا قتله استumar موسى من بعض بنات^(١) الحارث يستحدها فأغارته .

قالت : ففقلتُ عن صبي لي فدرج إليه حتى أتاه فوضعه على نفذه ، فلما رأيته فزعـتْ فـزـعة عـرـفـ ذـلـكـ مـنـيـ ، وـفـ يـدـهـ الـموـسـيـ فـقـالـ : أـتـخـشـيـ أـنـ قـتـلـهـ ؟ مـاـ كـنـتـ لـأـفـلـ ذلكـ إـنـ شـاءـ اللهـ .

وـكـانـتـ تـقـولـ : مـاـ رـأـيـتـ أـسـيـرـاـ قـطـ خـيـرـاـ مـنـ خـبـيـبـ ، لـقـدـ رـأـيـهـ يـأـكـلـ مـنـ قـطـبـ عـنـبـ وـمـاـ بـكـةـ يـوـمـذـنـ مـنـ ثـرـةـ ، وـإـنـ لـمـوـتـقـ فيـ الـحـدـيدـ وـمـاـ كـانـ إـلاـ رـزـقـ رـزـقـهـ اللهـ .

نـفـرـجـواـ بـهـ مـنـ الـحـرـمـ لـيـقـتـلـهـ فـقـالـ : دـعـونـيـ أـصـلـيـ رـكـعـتـينـ ، ثـمـ اـنـصـرـفـ إـلـيـهـ فـقـالـ : لـوـلـأـنـ تـرـأـوـ أـنـ جـزـعـ مـنـ الـمـوـتـ لـزـدـتـ . فـكـانـ أـوـلـ مـنـ سـنـ الرـكـعـتـينـ عـنـ القـتـلـ هـوـ . ثـمـ قـالـ : اللـهـمـ أـخـصـهـ عـدـداـ وـاقـتـلـهـ بـدـدـاـ . ثـمـ قـالـ :

وـلـسـتـ أـبـالـ حـيـنـ أـقـتـلـ مـسـلـماـ عـلـىـ أـىـ شـيـقـ كـانـ فـيـ اللـهـ مـضـرـعـيـ
وـذـلـكـ فـيـ ذـاتـ إـلـهـ وـإـنـ يـشـأـ يـبـارـكـ عـلـىـ أـوـصـالـ شـلـوـ مـزـعـ^(٢) .

قـالـ : ثـمـ قـامـ إـلـيـهـ عـقـبةـ بـنـ الـحـارـثـ قـتـلـهـ ، وـبـعـثـتـ قـرـيـشـ إـلـيـ عـاصـمـ لـيـؤـتـواـ بـشـيـءـ مـنـ جـسـدـهـ يـعـرـفـونـهـ ، وـكـانـ عـاصـمـ قـتـلـ عـظـيـمـاـ مـنـ عـظـائـهـ^(٣) يـوـمـ بـدرـ ، فـبـعـثـ اللـهـ

(١) اسمها زينب بنت الحارث : أخت عقبة بن الحارث الذي قتل خبيباً .

(٢) أوصال : جم وصل وهو العضو . والشلو : الجسد والعضو . (٣) قيل : هو عقبة بن أبي معيط .

عليه مثلَ الظُّلْمَةَ مِنَ الدَّبْرِ^(١) فَخَمْتَهُ مِنْ رُسُلِهِمْ فَلَمْ يَقْدِرُوا مِنْهُ عَلَى شَيْءٍ .
وقال البخاري : حدثنا عبد الله بن محمد ، حدثنا سفيان ، عن عمرو ، سمع جابر بن عبد الله يقول : الذى قتل خيباً هو أبو سروعه .
قلبت : واسمه عقبة بن الحارث وقد أسلم بعد ذلك ، وله حديث في الرضاع وقد قيل إن أبي سروعه وعقبة أخوان . فالمأثور أعلم .

* * *

هكذا ساق البخاري في كتاب المغازي من صحيفته قصة الرَّجَيمع . ورواه أيضاً في التوحيد وفي الجهاد من طرق ، عن الزهرى ، عن عمرو بن أبي سفيان وأسد ابن حارثة الثقفى جليف بنى زهرة ، ومنهم من يقول عمر بن أبي سفيان والشهير عمرو .

وفي لفظ للبخاري : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة رهطٍ سريةً عيناً ، وأمر عليهم عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح . وساق بنحوه .
وقد خالفه محمد بن إسحاق وموسى بن عقبة وعروة بن الزبير في بعض ذلك .
ولنذكر كلام ابن إسحاق ليعرف ما بينهما من التفاوت والاختلاف ، على أن ابن إسحاق إمام في هذا الشأن غير مدافع ، كما قال الشافعى رحمه الله : من أراد المغازي فهو عيال على محمد بن إسحاق !

قال محمد بن إسحاق : حدثنا عاصم بن عمر بن قتادة قال : قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أحد رهطٍ من عَصَلٍ رَالقارَةَ ، فقالوا : يا رسول الله إنَّ فَينَا إِسْلَامًا فَابعثْ مَعْنَا نَفْرًا مِنْ أَهْلَبِكَ يَفْقِهُونَا فِي الدِّينِ وَيَقْرئُونَا الْقُرْآنَ وَيَعْلَمُونَا شرائعَ الإِسْلَامِ .

(٤) الظلة : السحابة . والدبر : ذكر النحل .

فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم معهم نفرًا ستة من أصحابه ، وهم مَرْثَدُ بْنُ أَبِي مَرْثَدَ الْقَنْوَى ، حليف حمزة بن عبد المطلب .

قال ابن إسحاق : وهو أمير القوم .

وخلال بن الْبَكَيْرِ الْلَّيْنِي حليف بنى عدى ، وعاصم بن ثابت بن أبي الأفلح أخو بنى عمرو بن عوف ، وخَبِيبَ بن عدى أخو بنى جَحْجَبَيْنَ كُلْفَةَ بن عَمْرُو بن عَوْفَ ، وزيد بن الدَّئْنَةِ أخو بنى بَيَاضَةَ بن عَامِرَ ، وعبد الله بن طارق حليف بنى ظفر رضى الله عنهم .

هكذا قال ابن إسحاق أنهم كانوا ستة ، وكذا ذكر موسى بن عقبة وسماهم كما قال ابن إسحاق .

وعند البخاري : أنهم كانوا عشرة ، وعنده أنَّ كَبِيرَهُمْ عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح . فالله أعلم .

قال ابن إسحاق : نفروا ^(١) مع القوم ، حتى إذا كانوا على الرَّأْجِيعِ ماء هذيل بناحية الحجاز من صدور المَدَأَة ^(٢) غدوا بهم ، فاستصرخوا عليهم هذيلًا ، فلم يرُعِ القومَ وهم في رحالمهم إلا الرجال بأيديهم السيوف قد غَشُومْ ، فأخذوا أسيافهم ليقاتلوا القوم فقالوا لهم : إنما والله ما نريد قتلكم ، ولكننا نريد أن نصيب بكم شيئاً من أهل مكة ، ولكم عهد الله وميثاقه ألا تقتلنَا .

فاما مَرْثَدُ وَخَالِدُ بْنُ الْبَكَيْرِ وَعَاصِمُ بْنُ ثَابَتَ قَالُوا : وَاللَّهِ لَا نَقْبَلُ مِنْ مُشْرِكٍ عَهْدًا
وَلَا عَدْدًا أَبْدًا ، وَقَالَ عَاصِمُ بْنُ ثَابَتَ . وَلَهُ أَعْلَمُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَاللَّهُ :

مَا عَلِمْتُ وَأَنَا جَلَدْ نَابِلُ وَالقوسُ فِيهَا وَتَرْعَنَابِلُ ^(٣)

(١) ابن هشام : فخرج . (٢) المَدَأَة : موضع بين عسفان ومكة ، على سبعة أميال من عسفان .

(٣) النابيل : صاحب النبل . والعتابيل : الغليظ .

تزلُّ عن صفحتها العابل^(١) الموت حقٌ والحياة باطلٌ
وكل ماحمَّ الإله نازلٌ بالمرء والمرء إلى ما آيلٌ
إن لم أقاتلكم فأمّي هابلٌ

وقال عاصم أيضًا :

أبو سليمان وربشُ المُقْدَدِ وضالَةٌ مثلُ الجحيمِ المُوْقَدِ^(٢)
إذا النواحي افترشت لم أرْعِدِ ومحبنا من جلدِ ثورٍ أجزدِ^(٣)
ومؤمنٌ بما على محمدٍ

وقال أيضًا :

أبو سليمان ومثلي رامي وكان قومي معترضاً كراماً

قال : ثم قاتل حتى قتل وقتل أصحابه .

فلمًا قُتل عاصم أرادت هذيل أخذَ رأسه ليبيعوه من سلاقة بنت سعد بن سهيل ،
وكانت قد ندرت حين أصحاب ابنيها يوم أحد : لئن قدرت على رأس عاصم لتشرينَ
في قِحْفَه انظر .

ففتحته الدبر^٤ ، فلما حالت بينهم وبينه قالوا : دعوه حتى يُمسى ثيذهب عنه فنأخذه ،
بعث الله الوادي فاحتمل عاصمًا فذهب به .

وقد كان عاصم قد أعطى الله عه دأً لا يمسه مشرك ولا يمس مشركًا
أبداً . تنجسًا .

فكان عمر بن الخطاب يقول حين بلغه أن الدبر منعنه : يحفظ الله العبد المؤمن !

(١) العابل : جمع معبلة وهو نصل عريض طويل .

(٢) المقد : رجل كان يربس السهام . والضاللة : السلاح ، أو السهام .

(٣) الجحيم : الترس لاحديده فيه . والأجرد : الألسن .

كان عامِم نذر ألا يمسه مشرك ولا يمس مشركاً أبداً في حياته ، فنفعه الله بعد وفاته
كما امتنع منه في حياته !

قال ابن إسحاق : وأما خبيب وزيد بن الدثنة وعبد الله بن طارق ، فلأنهما
ورثوا ورثيما في الحياة وأعطوا بأيديهم ، فأسرر وهم ثم خرجوا بهم إلى مكة
ليبيعوهم بها .

حتى إذا كانوا بالظهران انزع عبد الله بن طارق يده من القرآن ثم أخذ سيفه
واستأثر عنه القوم فرموه بالحجارة حتى قتلواه ، ففجراه بالظهران .
وأما خبيب بن عدي وزيد بن الدثنة ، فقدموا بهما مكة ، فباعوها من قريش
بأسيرين من هذيل كانوا بمكة .

قال ابن إسحاق : فابن خبيبا حمير بن أبي إهاب التميمي حليف بني نوفل
لمقبة بن الحارث بن عامر بن نوفل ، وكان أبو إهاب أخا الحارث بن عامر لأمه
ليقتلها بأبيه .

قال : وأما زيد بن الدثنة فابتاعه صفوان بن أمية ليقتلها بأبيه ، فبعثه مع مولى له
يقال له نسطاس إلى التنعيم ، وأخرجه من الحرام ليقتلها ، واجتمع رهط من قريش فيهم
أبو سفيان بن حرب ، فقال له أبو سفيان حين قدم ليُقتل : أنشدك بالله يازيد ، أتحب
أن مهدآ الآن عندنا مكانك نضرب عنقه وأنك في أهلك ؟

قال : والله ما أحب أن مهدآ الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكه تؤذيه وأنى
جالس في أهل .

قال : يقول أبو سفيان : ما رأيت من الناس أحداً يحب أحداً كحب أصحاب
محمدٍ محمدًا !

قال : ثم قتله نسطران .

قال : وأما خبيب بن عدى : فقد ثنى عبد الله بن أبي تجبيح أنه حدث عن ماوية مولاة حجير بن أبي إهاب ، وكانت قد أسلمت ، قالت : كان عندي خبيب حبس في يدي ، فلقد اطألت عليه يوماً وإن في يده لقطفان من عنب مثل رأس الرجل يأكل منه ، وما أعلم في أرض الله عنباً يؤكل !

قال ابن إسحاق : وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة وعبد الله بن أبي تجبيح أنها قالا : قالت : قال لي حين حضره القتل : اعنى إلى بمحديدة أظهر بها للقتل . قالت : فأعطيت غلاماً من الحي الموسى ، فقلت له : ادخل بها على هذا الرجل البيت . فقالت : فوالله إن هو إلا أن ول الغلام بها إليه فقلت : ماذا صنعت ؟! أصاب والله الرجل ثاره ، يقتل هذا الغلام فيكون رجلاً برجل .

فلما ناوله الحديدية أخذها من يده ثم قال : لعمري ما خافت أمك غدرى حين بعثتك بهذه الحديدية إلى ! ثم خلّ سبيله .

قال ابن هشام : ويقال إن الغلام ابنها .

قال ابن إسحاق : قال عاصم : ثم خرجوه بخبيب حتى جاءوا به إلى التعذيب ليصلبوه .

وقال لهم : إن رأيتم أن تدعوني حتى أركع ركعتين فافعلوا ، قالوا : دونك فاركع . فرکع رکعتين أتمهما وأخسهما ، ثم أقبل على القوم فقال : أما والله لو لا أن نظنو أنى إنما طوّلت جزعاً من القتل لاستكثرت من الصلاة .

قال : فكان خبيب أول من سنَّ هاتين الرکعتين عند القتل للمسلمين (١) .

(١) في هامش الأصل : « حاشية بخط المصنف . قال السهيلي : وإنما صارت سنة لأنها فعلت في زمن النبي صلى الله عليه وسلم واستحسنت من صنعيه ، قال : وقد صلها زيد بن حارثة في حياة النبي صلى الله عليه وسلم . =

قال : ثم رفوه على خشبة فلما أوثقوه قال : اللهم إنا قد بلّغنا رسالة رسولك ، فبلغه
الغداة ما يصنع بنا ، ثم قال : اللهم أخصهم عدداً واقتلمهم بدداً ولا تغادر منهم أحداً .
ثم قتلوه .

وكان معاوية بن أبي سفيان يقول : حضرته يومئذ فيمن حضره مع أبي سفيان ،
فقدرأيته يُقيني إلى الأرض فرقاً من دعوة خبيب ، وكانوا يقولون : إن الرجل إذا
دعى عليه فاضطجع لجنبه زلت عنه .

وفي مغازى موسى بن عقبة : أن خيبا وزيد بن الدثنة قُتلا في يوم واحد ، وأن
رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع يوم قتلا وهو يقول : وعليكم أو عليك السلام .
خبيب قتله قريش !

وذكر أنهم لما صلبوا زيد بن الدثنة رموه بالنبل ليقتلوه عن دينه ، فما زاده إلا
إيماناً وتسليماً .

ثم ساق ياسناده من طريق أبي بكر بن أبي خيشمة ، عن يحيى بن معين ، عن يحيى بن عبد الله بن
بكيه ، عن الليث بن سعد قال : بلغني أن زيد بن حارثة استأجر من رجل بعلا من الطائف واشترط عليه
السكري أن ينزله حيث شاء ، قال به إلى خربة فإذا بها قتلى كثيرة ، فلما هم بقتله قال له زيد : دعنى حتى
أصل ركتعين . فقال : صل ركتعين ، فظالما صلى هؤلاء فلم تتفهم صلاتهم شيئاً !
قال : فصليت ثم جاء ليقتلني فقلت : يا أرحم الراحمين ، فإذا صارخ يقول : لا تقتله . فهاب وذهب ينظر
فلم ير شيئاً ، ثم جاء ليقتلني فقلت : يا أرحم الراحمين . فسمع أيضاً الصوت يقول لا تقتله . فذهب لينظر ثم
جاء ، فقلت يا أرحم الراحمين ، فإذا أنا بفارس على فرس في يده حربة في رأسها شعلة من نار فطعنه بها
حتى أنهنده فوق ميتا ، ثم قال : لما دعوت الله في المرة الأولى كنت في السماء السابعة ، ولما دعوته في المرة
الثانية كنت في السماء الدنيا ، ولما دعوته في الثالثة أتيتك .

قال السهيل : وقد صلاتها حجر بن عدى بن الأذر حين حمل إلى معاوية من العراق ومعه كتاب زياد
ابن أبيه وفيه : أنه خرج عليه وأراد خلمه ، وفي الكتاب شهادة جماعة من التابعين منهم الحسن وابن
سيرين ، فلما دخل على معاوية قال : السلام عليك يا أمير المؤمنين . قال : أو أنا أمير المؤمنين ؟ وأمر بقتله .
فصل ركتعين قبل قتله ثم قتل رحمة الله .

قال : وقد عاتبت عائشة معاوية في قتله فقال : إنما قتله من شهد عليه ، ثم قال : دعني وحجرأ فإن
سألها على الجادة يوم القيمة ! . قالت : فأين ذهب عنك حلم أبي سفيان ؟ قال : حين غاب مملوك من
قومي ، أه .

وذكر عروة وموسى بن عقبة أنهم لما رفعوا خيباً على الخشبة نادوه ينشدونه :
أتحب أن مهداً مكانك ؟

قال : لا والله العظيم ماحب أن يفديني بشوكة يُشاكلها في قدمه ! فضحكوا منه .

وهذا ذكره ابن إسحاق في قصة زيد بن الدّثنة . فالله أعلم .

قال موسى بن عقبة : زعموا أن عمرو بن أمية دفن خيباً .

قال ابن إسحاق : وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه عباد ، عن عقبة بن الحارث ، قال : سمعته يقول : والله ما أنا قلت خيباً ، لأنّا كفت أصغر من ذلك ، ولكنّ أبا ميسرة أخا بني عبد الدار أخذ الحرثة فعملها في يدي ، ثم أخذ بيدي وبالحرثة ثم طعنه بها حتى قتله .

قال ابن إسحاق : وحدثني بعض أصحابنا قال : كان عمر بن الخطاب استعمل سعيد ابن عامر بن حذيم الجمحي على بعض الشام ، فكانت تصيبه غشية وهو بين ظهري القوم ، فذُكر ذلك لعامر وقيل : إن الرجل مصاب ، فسأل الله عمر في قدمه قدّمهما عليه فقال : يا سعيد ما هذا الذي يصيبك ؟ فقال : والله يا أمير المؤمنين مابي من بأس ، ولكني كفت فيما حضر خبيب بن عدى حين قُتل ، وسمعت دعوته ، فوالله ما خطرت على قلبي وأنا في مجلس قط إلا غشى على ! فرادته عند عمر خيراً .

وقد قال الأموي : حديثي أبي قال : قال ابن إسحاق : وبلغنا أن عمر قال : من سره أن ينظر إلى رجل نسيج وحديه فلينظر إلى سعيد بن عامر .

قال ابن هشام : أقام خبيب في أيديهم حتى اسلخت الأشهر الحرم ثم قتلوا .

وقد روى البهق من طريق إبراهيم بن إسماعيل ، حديثي جعفر بن عمرو بن أمية ، عن أبيه ، عن جده عمرو بن أمية ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يبعثه عيناً وحده قال : جئت إلى خشبة خبيب فرقيت فيها وأنا أخنوف العيون ، فأطلقته فوق إلى الأرض

ثُمَّ اتَّحَمَتْ فَانْبَذَتْ قَلِيلًا ، ثُمَّ التَّفَتْ فَلَمْ أَرْ شَيْئًا ، فَكَانَمَا بَلْعَتْهُ الْأَرْضُ ، فَلَمْ تَذَكَّرْ خَبِيبٌ رِّمَّةً حَتَّى السَّاعَةِ .

ثُمَّ روَى ابْن إسْحَاقَ عَنْ مُحَمَّدٍ بْنِ أَبِي مُحَمَّدٍ ، عَنْ سَعِيدِ أَوْ عَكْرَمَةَ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ : لَمَّا قُتِلَ أَصْحَابُ الرَّجَبِ قَالَ نَاسٌ مِّنَ الْمَنَافِقِينَ : يَا وَيْحَ هُؤُلَاءِ الْمُفْتَوِنِ الَّذِينَ هَلَكُوا هَكَذَا ، لَا هُمْ أَقَامُوا فِي أَهْلِهِمْ وَلَا هُمْ أَدَّوْا رَسُولَهُ صَاحِبَهُمْ .

فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِمْ : « وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشَهِّدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُ الْخَلْصَامِ^(١) » وَمَا بَعْدَهَا .

وَأَنْزَلَ اللَّهُ فِي أَصْحَابِ السَّرِيَّةِ « وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاهُ اللَّهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ^(٢) » .

* * *

قال ابن إسحاق وكان مما قيل من الشعر في هذه الفزوة قولُ خبيب حين أجمعوا على قتلها . قال ابن هشام : ومن الناس من ينكرا له :

لَقَدْ جَمَعَ الْأَحْزَابُ حَوْلِي وَأَلْبَوا	قَبَائِلَهُمْ وَاسْتَجْمَعُوا كُلَّ تَجْمُعٍ
وَكُلُّهُمْ مُبْدِي الْمَعْدَاوَةِ جَاهَدُ	عَلَى لَائِنِي فِي وَثَاقٍ بَمَصْبَعٍ ^(٣)
وَقَدْ جَمَعُوا أَبْنَاءَهُمْ وَنِسَاءَهُمْ	وَقُرْبَتْ مِنْ جَذْعٍ طَوِيلٍ مُمْتَنَعٍ
إِلَى اللَّهِ أَشْكَوْ غُرْبَتِي ثُمَّ كَرْبَتِي	وَمَا أَرَصَدَ الْأَعْدَاءُ ^(٤) لِي عِنْدَ مَصْرَعِي
فَذَا الْعَرْشِ صَبَرَنِي عَلَى مَا يَرَادُ بِي	فَقَدْ بَصَّعَوْ لَحْيِي وَقَدْ يَاسَ مَطْمِعِي
وَذَلِكَ فِي ذَاتِ الإِلَهِ وَإِنْ يَشَأْ	يَبْارِكَ عَلَى أَوْصَالِ شِلْوَ مُمْزَعَ
وَقَدْ خَيَّرَنِي الْكُفَرَ وَالْمَوْتُ دُونَهُ	وَقَدْ هَمَلتْ عَيْنَائِي مِنْ غَيْرِ بَخْرَعَ
وَمَا بِي حَذَارُ الْمَوْتِ إِنَّ لَمِيتَ	وَلَكِنْ حَذَارِي جَحْمُ نَارِ مُلْفَعَ

(١) سورة البقرة ٢٠٤ . (٢) سورة البقرة ٢٠٧ . (٣) ابن هشام: بصيحة . (٤) ابن هشام: الأحزاب .

فواهله ما أرجو إذا مِتْ مُسْلِماً
على أَيِّ جنْبٍ كَانَ فِي اللَّهِ مُضْجِعِي
فَلَسْتُ بِمُبْدِ لِلْعَذَابِ دُونَهُ شَعْراً
وَلَا جَزَاعاً إِنِّي إِلَى اللَّهِ مَرْجِعِي
وقد تقدم في صحيح البخاري بيتان من هذه القصيدة وها قوله :

فَلَسْتُ أَبَالِ حِينَ أُقْتَلُ مُسْلِماً
عَلَى أَيِّ شِقٍّ كَانَ فِي اللَّهِ مَضْرِعِي
وَذَلِكَ فِي ذَاتِ الإِلَهِ وَإِنْ يَشأْ
يَبْارِكُ عَلَى أَوْصَالِ شِلْوَيْ مِزْعَرْ

* * *

وقال حسان بن ثابت يرثي خَبِيباً فيما ذكره ابن إسحاق :

ما بَالْ عَيْنِكَ لَا تَرْقَأَ مَدَامُهُ سَاحِعاً
عَلَى الصَّدْرِ مِثْلَ الْلَّؤْلُؤِ الْفَلْقِ^(١)
عَلَى خَبِيبٍ فَتَى الْفَتَيَانِ قَدْ عَلِمُوا
فَادْهَبْ خَبِيبٌ جَزَاكَ اللَّهُ طَيِّبَةً
مَاذَا تَقُولُونَ إِنْ قَالَ النَّبِيُّ لِكُمْ
فِيمَا قَتَلْتُمْ شَهِيدَ اللَّهِ فِي الرَّفَقِ^(٢)
قَالَ ابْنُ هَشَامَ : تَرَكَنَا بَعْضَهَا لَأَنَّهُ أَقْدَعَ فِيهَا .

وقال حسان يهجو الذين غدروا بأصحاب الرَّجِيع من بنى لَهْيَان ، فيما ذكره ابن إسحاق
والله أعلم والله الحمد والمنة والتوفيق والعصمة :

إِنْ سَرَكَ الْغَدْرُ صِرْفًا لَا مِزاجَ لَهُ
قَوْمٌ تَوَاصَوْا بِأَكْلِ الْجَارِ بِيَنْهُمْ
فَالْكَلْبُ وَالْقَرْدُ وَالْإِنْسَانُ مِثْلَانِ
لَوْ يَنْطَقَ التَّيْسُ يَوْمًا قَامَ يَخْطَبُهُمْ
فَأَتَ الرَّجِيعَ فَسَلَّ عن دَارِ لَهْيَانِ
وَكَانَ ذَا شَرْفٍ فِيهِمْ وَذَا شَانٍ
وَقَالَ حسان بن ثابت أيضاً ، يهجو هُذِيلًا وبنى لَهْيَانَ على غدرهم بأصحاب الرَّجِيع
لَرْضى الله تعالى عنهم أجمعين :

لَعْنَرِي لَقْدْ شَانَتْ هُذِيلَ بْنَ مُذْرِكٍ
أَحَادِيثُ كَانَتْ فِي خَبِيبٍ وَعَاصِمٍ

(١) الفَلْقُ : المترعرع المنساقط . والأصل : الفَلْقُ . وبأبيته عن ابن هشام .

(٢) الرَّفَقُ : جمع رفقة .

ولحيانٌ جَرَّامُون شَرَّ الْجَرَائِمِ
بِمِنْزَلَةِ الزَّمَانِ دُبُرُ الْقَوَادِمِ^(١)
أَمَانُهُمْ ذَا عَفَّةٍ وَمَكَارِمِ
هَذِيلٌ تَوْقَى مُنْكَرَاتِ الْخَارِمِ
بِقَتْلِ الَّذِي تَحْمِيهِ دُونَ الْحَرَائِمِ
حَتَّى لَحْمٌ شَهَادٌ عَظِيمٌ الْمَلَاحِمِ^(٢)
مَصَارِعَ قَتْلٍ أَوْ مَقَامًا لِأَئْمَامِ
يَوْافِي بِهَا الرَّكَبَانُ أَهْلَ الْمَوَاسِمِ
رَأَى رَأْيَى ذَى حَزْمٍ بِلِحَيَانِ عَالَمِ
وَإِنْ ظُلْمًا لَمْ يَدْفَعُوا كَفَّا ظَالِمٍ
بِمَجْرِي مَسِيلِ المَاءِ بَيْنَ الْخَارِمِ^(٣)
إِذَا نَاهَمُمْ أَمْرٌ كَرَأْيَى الْبَهَائِمِ

أَحَادِيثُ الْمَحَيَانِ صَلَوا بِقِبِّلِهَا
أَنَّاسٌ هُمْ مِنْ قَوْمِهِمْ فِي صَمِيمِهِمْ
هُمْ غَدَرُوا يَوْمَ الرَّجَيْعِ وَأَسْلَمُتْ
رَسُولَ رَسُولِ اللَّهِ غَدْرًا وَلَمْ تَكُنْ
فَسُوفَ يَرَوْنَ النَّصَارَى يَوْمًا عَلَيْهِمْ
أَبَابِيلُ دَبَرٌ شَهَادٌ دُونَ لَحْمٍ
لَعْلَهُ هَذِيلًا أَنْ يَرَوْا بِمَصَابِهِ
وَنُوقَعُ فِيهَا وَقْمَةً دَاتَ صَوْلَةَ
بِأَسْرِ رَسُولِ اللَّهِ إِنَّ رَسُولَهُ
قَبِيَّلَةً لَيْسَ الْوَفَاءُ بِهِمْ
إِذَا النَّاسُ حَلُوا بِالْفَضَاءِ رَأَيْهُمْ
مَحَاجِمُ دَارُ الْبَوَارِ وَرَأَيْهُمْ

* * *

وقال حسان رضي الله عنه أيضاً يمدح أصحاب الرَّجَيْعِ ويسمِّيهِم بـشـعره ، كما ذكره ابن إسحاق رحمه الله تعالى :

يَوْمَ الرَّجَيْعِ فَأَكْرَمُوا وَأَثْبَدُوا
وَابْنَ الْبُكَيْرِ إِمَامُهُمْ وَخَبِيبُ
وَافَاهُمْ حَامِهُ الْمَكْتُوبُ
كَسَبَ الْمَعْلَى إِنَّهُ لَكَسُوبٌ
حَتَّى يُحْكَمَ الدِّينُ إِنَّهُ لِنَجِيبٌ
صَلَى إِلَهُهُ عَلَى الَّذِينَ تَنَابَعُوا
رَأْسُ السَّرِيرَةِ مَرْثِدٌ وَأَمِيرُهُمْ
وَابْنُ اطْسَارِقَ وَابْنُ دَثْنَةَ مِنْهُمْ
وَالْعَاصِمُ الْمَقْتُولُ عَنْدَ رَجِيعِهِمْ
مَنْعَ الْمَقَادِيدَ أَنْ يَنَالُوا اظْهَرَهُ
قال ابن هشام : وأَكْثَرُ أَهْلِ الْعِلْمِ بِالشِّعْرِ يُنْكِرُهَا لِحَسَانِهِ .

(١) الزمعة : هنـة زائـدة وراء الـظـلـف أو شـبهـ أـطـفـارـ الغـنمـ فـالـرـسـغـ وأـرـادـ بالـقوـادـمـ : الأـيـدىـ .

(٢) الأبابيل : الجماعات . والدبر : ذكر التحل . والشمس : الخامية . والملام : المروب . وفي ابن

هشام : عظام الملائم .

سرية عمرو بن أمية الضمرى

على أثر مقتل خبيب

قال الواقدى : حدثنى إبراهيم بن جعفر ، عن أبيه ، وعبد الله بن أبي عبيدة ، عن جعفر بن [الفضل بن الحسن بن ^(١)] عمرو بن أمية الضمرى ، وعبد الله بن جعفر ، عن عبد الواحد بن أبي عوف ، وزاد بعضهم على بعض قالوا : كان أبو سفيان بن حرب قد قال لنفر من قريش بمكّة : ما أحد يقتل محمدًا فإنه يعيش في الأسواق فندرك ثأرنا ؟ فأنماه رجل من العرب فدخل عليه منزله وقال له : إن أنت وفيتني خرجت إليه حتى أغاثله ، فإني هاد بالطريق خرّيت ، معى خنجر مثل خافية النسر . قال : أنت صاحبنا . وأعطاه بعيراً ونفقة وقال : اطْوِ أمرَكَ فإني لا آمن أن يسمع هذا أحد فيئنمه إلى محمد . قال : قال العربي : لا يعلم أحد .

خرج ليلًا على راحلته فسار خمساً وسبعين ظهر الحى يوم سادسة ، ثم أقبل يسأل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أتى المصلى فقال له قائل : قد توجه إلى بنى عبد الأشهل .

خرج الأعرابي يقود راحلته حتى اتى بنى عبد الأشهل فعقل راحلته ثم أقبل يوم رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجده في جماعة من أصحابه يحدث في مسجده . فلما دخل ورآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه : إن هذا الرجل يريد غدرًا والله حائل بينه وبين ما يريد . فوقف وقال : أبكم ابن عبد المطلب ؟ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنا ابن عبد المطلب . فذهب ينحني على رسول الله صلى الله عليه

(١) هذه الزيادة وما بعدها من أمثلها منقولة عن الطبرى ٣٢ :

وسلم كأنه يُسأله فجَبَذَهُ أَسِيدُ بْنُ حُضَيْرٍ وَقَالَ : تَنَحَّ عنِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وجذب بداخل إزاره ، فإذا الخنجر ، فقال : يا رسول الله هذا غادر .

فَاسْقَطَ فِي يَدِ الْأَعْرَابِيِّ وَقَالَ : دَمِيْ دَمِيْ يَا مُحَمَّدَ . وَأَخْدَهُ أَسِيدُ بْنُ حُضَيْرٍ يَلْبِبُهُ قَالَ لِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : اصْدَقْنِي مَا أَنْتُ وَمَا أَقْدَمْتُ ، فَإِنْ صَدَقْتَنِي نَفْعُكَ الصَّدْقُ ، وَإِنْ كَذَبْتَنِي فَقَدْ اطْلَعْتُ عَلَى مَا هَمْتَ بِهِ . قَالَ الْعَرَبِيُّ : فَأَنَا آمِنٌ ؟ قَالَ : أَوْنَتْ آمِنٌ .

فَأَخْبَرَهُ بَخْرَأَبِي سَفِيَّانَ وَمَا جَعَلَ لَهُ . فَأَمْرَرَ بِهِ خَبْسَ عِنْدِ أَسِيدِ بْنِ حُضَيْرٍ ، ثُمَّ دَعَا بِهِ مِنَ الْفَدْ فَقَالَ : قَدْ أَمْتَنَّكَ فَادْهَبْ حَيْثُ شَاءْتَ ، أَوْ خَيْرٌ لَكَ مِنْ ذَلِكَ ؟ قَالَ : وَمَا هُوَ ؟

فَقَالَ : أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ . فَقَالَ : أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنِّي أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ ، وَاللَّهُ يَا مُحَمَّدَ مَا كَنْتَ أَفْرَقْ مِنَ الرِّجَالِ ، فَهُوَ إِلَّا أَنْ رَأَيْتَكَ فَذَهَبْ عَقْلِي وَضَعْفَتْ ثُمَّ اطْلَعْتَ عَلَى مَا هَمْتَ بِهِ ، فَإِسْبَقْتَ بِهِ الرَّكْبَانَ وَلَمْ يَطْلَعْ عَلَيْهِ أَحَدٌ ، فَعْرَفْتُ أَنَّكَ مَنْنَوْعٌ ، وَأَنَّكَ عَلَى حَقٍّ ، وَأَنْ حَزْبَ أَبِي سَفِيَّانَ حَزْبُ الشَّيْطَانِ .

فَجَعَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْبَسُ . وَأَقَامَ أَيَّامًا ثُمَّ اسْتَأْذَنَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَفْرَجَ مِنْ عَنْدِهِ وَلَمْ يُسْمَعْ لِهِ بَذَكْرٍ .

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِعُمَرَ بْنِ الْعَمَرَ وَلِسَلَّمَةَ بْنَ أَسْلَمَ بْنَ حَرَّيْسَ^(٢) : اخْرُجَا حَتَّى تَأْتِيَا أَبَا سَفِيَّانَ بْنَ حَرْبَ ، فَإِنْ أَصْبَحَا مِنْهُ غَرَّةً فَاقْتُلَاهُ .

قَالَ عُمَرُ : نَفْرَجْتُ أَنَا وَصَاحِبِي حَتَّى أَتَيْنَا بَطْنَ يَاجِجَ ، فَقَيَّدْنَا بِعِيرَنَا وَقَالَ لِي صَاحِبِي : يَا عُمَرُ وَهَلْ لَكَ فِي أَنْ نَأْتَى مَكَّةَ فَنَطْوُفُ بِالْمَيْتِ سَبْعًا وَنَصْلِي رَكْعَتَيْنَ فَقَلْتَ : [أَنَا أَعْلَمُ بِأَهْلِ مَكَّةَ مِنْكُمْ إِنَّهُمْ إِذَا أَظْلَمُوا رَشُوا أَفْتَهُمْ ثُمَّ جَلَسُوا بِهَا وَ^(١)] إِنِّي أَعْرَفَ

(١) من تاريخ الطبرى : ٣٢/٣ . (٢) الأصل : حرث . وهو تحريف وما أثبته عن شرح المواهب ١٧٨

بمكة من الفرس الأبلق . فأبى على "فانطلقنا فأتينا مكة فطغنا أسبوعاً^(١) وصلينا ركعتين ، فلما خرجت لقيني معاوية بن أبي سفيان فرقني وقال : عمرو بن أمية ، واحزناه . فنذر بنا أهل مكة ، فقالوا : ماجاء عمرو في خير . وكان عمرو فاتكا في الجاهلية . فخشَّد أهل مكة وتجمعوا ، وهرب عمرو وسلمه وخرجوا في طلبها واشتبوا في الجبل . قال عمرو : فدخلت في غار فتفجيت عنهم حتى أصبحت ، وباتوا يطلبوننا في الجبل وعُيِّنَ الله عليهم طريق المدينة أن يهتدوا له ، فلما كان ضحوة الفدأ قبل عثمان بن مالك بن عبيد الله الشيعي يختلي لفرسه حشيشاً فقلت لسلامة بن أسلم : إذا أبصرنا أشرَّ بنا أهل مكة وقد انقضوا علينا . فلم يزل يدنو من باب الغار حتى أشرف علينا ، قال : نخرجت إليه فطمته طعنة تحت الثدي بخنجري ، فسقط وصاح فاجتمع أهل مكة فأقبلوا بعد تفرقهم [ورجعت إلى مكانى فدخلت فيه] وقلت لصاحبى : لا تتحرك . فأقبلوا حتى أتوه وقالوا : من قتلك ؟ قال : عمرو بن أمية الصمرى . فقال أبو سفيان : قد علمنا أنه لم يأت خيراً . ولم يستطع أن يخبرهم بمكاننا ؛ فإنه كان بأخر رقم قات ، وشققاً عن طلبنا بصاحبهم خلوه ، فشكنا ليلتين في مكاننا حتى [سكن عنا الطلب ثم] خرجنَا [إلى التنعيم] فقال صاحبى : يا عمرو بن أمية ، هل لك في خبيب بن عدى تُنزله ؟ فقلت له : أين هو ؟ قال : هو ذاك مصاوب حوله الحرس . فقلت : أمهلني وتنح عنى فإن خشيت شيئاً فائضاً إلى بغيرك فاقعد عليه فأت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره الخبر ودعني فإني عالم بالمدينة . ثم استدرت عليه حتى وجدهته خملته على ظهرى فما مشيت به إلا عشرين ذراعاً حتى استيقظوا نخرجوا في أثرى فطرحت الخشبة فما أنسى وجيئها ، يعني صوتها ، ثم أهملت عليه التراب برجلي ، فأخذت طريق الصفراء فأعنيوا ورجعوا ، وكنت لا أدرى مع بقاء نفسي ، فانطلق صاحبى إلى البعير فركبه ، وأتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره ،

(١) أسبوعاً : سبعاً .

وأقبلت حتى أشرفت على الفيليل غليل ضجنان ، فدخلت في غارٍ معى قوسى وأسمى وختبرى ، فبينما أنا فيه إذ أقبل رجل من بنى الدّيل بن بكر أعور طوبيل يسوق غنماً ومعزى ، فدخل الفار وقال : من الرجل ؟ فقلت : رجل من بنى بكر . فقال : وأنا من بنى بكر . ثم اتسكأ ورفع عقيرته يتفنّى ويقول :

فاستُ بمسلم مادمت حيَا ولست أدين دين المسلمين

فقلت في نفسي : والله إنّي لأرجو أن أقتلك . فلما نام قمت إليه فقتلته شرّ قتلة قتلها أحد قط .

ثم خرجت حتى هبطت ، فلما أسللت في الطريق إذا رجلان بعثهما قريش يتجلسان الأخبار ، فقلت : استأسرا فأبى أحدُهَا فرميته فقتلته ، فلما رأى ذلك الآخر استأنسَر فشدّته وثأفا ، ثم أقبلت به إلى النبي صلى الله عليه وسلم .

فلما قدمت المدينة أتى صبيانُ الأنصار وهم يلعبون ، وسمعوا أشياعهم يقولون : هذا عمرو . فاشتد الصبيان إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبروه ، وأتيته بالرجل قد ربطت إبهامه بوتر قوسى ، فلقد رأيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو يضحك ! ثم دعا لي بخير .

وكان قدوم سلمة قبل قدوم عمرو بثلاثة أيام .

رواوه البهقي .

وقد تقدم أن عمرًا لما أهبط خميباً لم ير له رِمةً ولا جسدًا ، فلعله دفن مكان سقوطه ، والله أعلم .

وهذه السرية إنما استقدر كها ابن هشام على ابن إسحاق ، وساقها بنحو من سياق الواقعى لها ، لكن عنده أن رفيق عمرو بن أمية في هذه السرية جبار بن صخر ، فالله أعلم والله الحمد .

سَرِينَةُ بَئْرِ مَعْوَنَةِ

وقد كانت في صفر منها . وأغرب ما يحول رحمه الله حيث قال : إنها كانت بعد الخندق .

قال البخاري : حدثنا أبو معمر ، حدثنا عبد الوارث ، حدثنا عبد العزيز ، عن أنس بن مالك ، قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعين رجلاً ل حاجة يقال لهم القراء . فعرض لهم حيتان من بني سليم : رجل وذكوران ، عند بئر يقال لها بئر معونة ، فقال القوم : والله ما إياكم أرددنا وإنما نحن مجتازون في حاجة للنبي صلى الله عليه وسلم . قتلواهم .

فدعى النبي صلى الله عليه وسلم عليهم شهراً في صلاة الغداة ، وذاك بدء القنوت وما كنا نقتنط .

ورواه مسلم من حديث حماد بن سلمة ، عن ثابت ، عن أنس بن حمودة .

ثم قال البخاري : حدثنا عبد الأعلى بن حماد ، حدثنا يزيد بن زريع ، حدثنا سعيد ، عن قتادة ، عن أنس بن مالك ، أن رعلاً وذكوراً وعصيّة وبني حميان استمدوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم على عدو فأمدّهم سبعين من الأنصار ، كنا نسميهم القراء في زمانهم ، كانوا يختطبون بالنهار وبصلون بالليل ، حتى إذا كانوا بيئر معونة قتلواهم وغدروا بهم ، فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم ففنت شهراً يدعوه في الصبح على أحياه من العرب : على رعلاً وذكوراً وعصيّة وبني حميان ، قال أنس : فقرأنا فيهم قرآن ، ثم إن ذلك رفع « بَلَّغُوا عَنَا قَوْمًا أَنَا قَدْ أَقِيمَنَا رَبَّنَا فَرَضَيْنَا عَنَا وَأَرْضَانَا ».

ثم قال البخاري : حدثنا موسى بن إسماعيل ، حدثنا همام ، عن إسحاق بن عبد الله ابن أبي طلحة ، حدثني أنس بن مالك ، أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث حراماً ،

أَخَاً لِأَمْ سُلَيْمَ ، فِي سَبْعِينَ رَاكِبًا ، وَكَانَ رَئِيسُ الشَّرْكِينَ عَامِرُ بْنُ الطُّفَيْلِ خَيْرُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ ثَلَاثَ خَصَالٍ فَقَالَ : يَكُونُ لَكَ أَهْلُ السَّهْلِ وَلِي أَهْلُ الْمَدَرِ ، أَوْ كَوْنُ خَلِيفَتَكَ ، أَوْ أَغْزُوكَ بِأَهْلِ غَطَافَانَ بِالْفَوْلَ .

فَطَعْنَ عَامِرٌ فِي بَيْتِ أُمِّ فَلَانَ^(١) فَقَالَ : عُدَّةً كَعْدَةَ الْبَكْرِ فِي بَيْتِ امْرَأَ مِنْ آلِ فَلَانَ ، اثْنَوْنَى بَفْرَسِيٍّ . فَمَاتَ عَلَى ظَهَرِ فَرْسَهِ .

فَانْطَلَقَ حَرَامُ أَخْوَامُ سُلَيْمَ ، وَهُوَ رَجُلٌ أَعْرَجٌ ، وَرَجُلٌ مِنْ بَنِي فَلَانَ فَقَالَ : كُونَا قَرِيبًا حَتَّى أَتَيْهِمْ ، إِنَّ أَمَّنُونِي كُنْتُمْ قَرِيبًا وَإِنْ قَتَلْنَى أَتَيْتُمْ أَصْحَابَكُمْ . فَقَالَ : أَتَؤْمِنُونِي حَتَّى أَبْلُغَ رِسَالَةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . فَجَعَلَ يَحْدِثُهُمْ وَأَوْمَأُوا إِلَى رَجُلٍ فَأَتَاهُ مِنْهُ خَلَفُهُ فَطَعَنَهُ . قَالَ هَمَّامٌ : أَحْسَبَهُ حَتَّى أَنْفَذَهُ بِالرِّمَحِ . فَقَالَ : اللَّهُ أَكْبَرُ ! فَزَتْ وَرَبُّ الْكَعْبَةِ !

فَلَحِقَ الرَّجُلُ فَقْتَلُوا كُلَّهُمْ غَيْرَ الْأَعْرَجِ ، وَكَانَ فِي رَأْسِ جَبَلٍ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْنَا ثُمَّ كَانَ مِنَ الْمَنْسُوخِ : « إِنَا لَقَدْ أَقَيْنَا رَبَّنَا فَرِضَى عَنَّا وَأَرْضَانَا » . فَدَعَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَلَاثَيْنَ صَبَاحًا عَلَى رِغْلِ وَذَكَوْنَ وَبَنِي لَحِيَانَ وَعَصِيَّةَ الَّذِينَ عَصَوْا اللَّهَ وَرَسُولَهُ .

وَقَالَ الْبَخَارِيُّ : حَدَّثَنَا حِبَّانٌ ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ ، أَخْبَرَنِي مَعْمَرٌ ، حَدَّثَنِي مُحَمَّدًا ابْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنَ أَنْسٍ ، أَنَّهُ سَمِعَ أَسْسَنَ مَالِكَ يَقُولُ : لَمَّا طَعَنَ حَرَامَ بْنَ مَلْحَانَ - وَكَانَ خَالَهُ - يَوْمَ بَئْرِ مَعْوَنَةَ قَالَ بِالدِّمْ حَكَذَا ، فَنَضَحَهُ عَلَى وَجْهِهِ وَرَأْسِهِ ، وَقَالَ : فَزَتْ وَرَبُّ الْكَعْبَةِ .

وَرَوَى الْبَخَارِيُّ عَنْ عَبْدِ الدَّمْ بْنِ إِسْمَاعِيلَ ، عَنْ أَبِي أَسْمَاءَ ، عَنْ هَشَّامِ بْنِ عَرْوَةَ ، أَخْبَرَنِي أَبِي ، قَالَ : لَمَّا قُتِلَ الَّذِينَ بِبَئْرِ مَعْوَنَةَ وَأُسْرَ عُمَرَ بْنَ أُمَيَّةَ الصَّمَرِيِّ قَالَ لَهُ عَامِرُ بْنُ الطُّفَيْلِ : مَنْ هَذَا ؟ وَأَشَارَ إِلَى قَتِيلٍ ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ بْنُ أُمَيَّةَ : هَذَا عَلَمَرُ بْنُ فَهْرَدَةَ قَالَ :

(١) طَعَنْ : أَصَابَهُ الْمَاعُونَ . وَأُمِّ فَلَانَ : هِيَ سَلَولُ بَنْتِ شِيبَانَ ، امْرَأَةُ أَخِيهِ .

لقد رأيته بعد ما قُتِلَ رفع إلى السماء حتى أَنْ لَأَنْظُرَ إِلَى السَّمَاوَاتِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْأَرْضِ ثُمَّ وَضَعَ .
فَأَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَبْرَهُ فَعَاهَمَ فَقَالَ : إِنَّ أَحَادِيكُمْ قَدْ أَصَبَّوْا ، وَإِنَّهُمْ قَدْ سَأَلُوا رَبَّهُمْ فَقَالُوا : رَبُّنَا أَخْبَرَنَا إِخْرَانَنَا بِمَا رَضِيَّنَا عَنْكَ وَرَضِيَّتْنَا عَنْكَ . فَأَخْبَرَهُمْ عَنْهُمْ وَأَصَيبَ يَوْمَئِذٍ فِيهِمْ عُرُوْةُ بْنُ أَسْمَاءَ بْنُ الصَّلَتِ فَسَمِيَ عُرُوْةُ بِهِ ، وَمَنْذُرُ بْنُ عُمَرَ وَسَمِيَ بِهِ مَنْذُرَ .

هَكَذَا وَقَعَ فِي رِوَايَةِ الْبَخَارِيِّ مَرْسَلًا عَنْ عُرُوْةَ .

وَقَدْ رَوَاهُ الْبَيْهِقِيُّ مِنْ حَدِيثِ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ عَنْ أَبِي أَسْمَاءَ عَنْ هَشَامَ، عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَائِشَةَ ، فَسَاقَ مِنْ حَدِيثِ الْمُهْجَرَةِ ، وَأَدْرَجَ فِي آخِرِهِ مَا ذَكَرَهُ الْبَخَارِيُّ هَاهُنَا ، فَاللَّهُ أَعْلَمُ .
وَرَوَى الْوَاقِدِيُّ عَنْ مُصْعِبِ بْنِ ثَابَتٍ ، عَنْ أَبِي الْأَسْوَدِ وَعَنْ عُرُوْةَ ، فَذَكَرَ الْقَصَّةَ وَشَأْنَ عَامِرَ بْنِ فَهْرِدَةَ وَإِخْبَارَ عَامِرَ بْنِ الطَّفْلِيِّ أَنَّهُ رُفِعَ إِلَى السَّمَاوَاتِ ، وَذَكَرَ أَنَّ الَّذِي قُتِلَ جَبَّارَ بْنَ سَلَى الْكَلَابِيَّ .

قَالَ : وَلَا طَعْنَهُ بِالرَّمْحِ قَالَ : فَزُتْ وَرَبُّ الْكَعْبَةِ .

ثُمَّ سَأَلَ جَبَّارٌ بَعْدَ ذَلِكَ : مَا مَعْنِي قَوْلِهِ : فَزُتْ ؟ قَالُوا : يَعْنِي بِالْجَنَّةِ . قَالَ : صَدَقَ وَاللَّهُ . ثُمَّ أَسْلَمَ جَبَّارٌ بَعْدَ ذَلِكَ لِذَلِكَ !
وَفِي مَفَازِي مُوسَى بْنِ عَقْبَةَ ، عَنْ عُرُوْةَ ، أَنَّهُ قَالَ : لَمْ يُوجَدْ جَسْدًا عَامِرًا بْنِ فَهْرِدَةَ ، يَرَوْنَ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ وَارْتَهُ .

وَقَالَ يُونُسُ : عَنْ أَبِي إِسْحَاقِ : فَأَقْامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعْنِي بَعْدَ أَحَدٍ ، بِقِيَةً شَوَّالَ وَذَا الْقَعْدَةِ وَذَا الْحِجَّةِ وَالْمُحْرَمَ ، ثُمَّ بَعْثَ أَحَادِيكَ بِنَرْ مَعُونَةً فِي صَفَرٍ عَلَى رَأْسِ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ مِنْ أَحَدٍ .

خَدْنَتِي أَبِي إِسْحَاقِ بْنِ يَسَارَ ، عَنْ الْمَغْيِرَةِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ هَشَامَ ،

وعبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حَزْم ، وغيرهما من أهل العلم قالوا : قديم أبو بَرَاءَ عامر بن مالك بن جعفر مُلَاعِبُ الْأَسِنَةِ على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة ، فعرض عليه الإسلام ودعاه إليه فلم يُسلِّم ولم يُعْد وقال : يا محمد لو بعثت رجلاً من أصحابك إلى أهل نجد فدعوهم إلى أمرك رجوت أن يستجيبوا لك .

فقال صلى الله عليه وسلم : إني أخشي عليهم أهل نجد .

فقال أبو براء : أنا لهم جازٌ .

فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم المنذر بن عمرو وأخا بنى ساعدة ، المعنق ليهود ، في أربعين رجلاً من أصحابه من خيار المسلمين ، فيهم الحارث بن الصمة وحرام بن ملحان أخوه بنى عدى بن التجار ، وعروة بن أسماء بن الصلت السلمي ، ونافع بن بُدَيْلَ بن ورقاء الخزاعي ، وعامر بن فهبرة مولى أبي بكر ، في رجال من خيار المسلمين .

فساروا حتى نزلوا بئر معونة وهي بين أرض بنى عامر وحررة بنى سليم ، فلما نزلوا بعثوا حرام بن ملحان بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عامر بن الطفيلي ، فلما أتاه لم ينظر في الكتاب حتى عدا على الرجل فقتله ، ثم استصرخ عليهم بنى عامر فأبوا أن يحييوا إلى مادعاهم ، وقالوا : لن تُخْفِرْ أبا براء وقد عَقَدْ لَهُمْ عَقْدًا وجوارًا .

فاستصرخ عليهم قبائل من بنى سليم ، عصيَّة ورِعْلَا وذَ كُوان والقاراء ، فأجابوه إلى ذلك ، نفروه حتى غشوا القوم فأحاطوا بهم في رحالمهم ، فلما رأوه أخذوا أسيافهم ثم قاتلوا القوم حتى قتلوا عن آخرهم ، إلا كعب بن زيد أخا بنى دينار بن التجار ، فإنهم تركوه به رمق ، فارتَّ من بين القتلى فعاش حتى قُتِلَ يوم الخندق .

وكان في سَرَّاجِ القوم عمرو بن أمية الضَّمْرِي ورجل من الأنصار من بنى عمرو بن عوف فلم ينبعهما بمصابِ القوم إلا الطير تجوم حول المسْكَر فقلَّا : والله إن هذه الطير

اشأنَا ، فَأَقْبَلَ لِي نَظَرًا ، فَإِذَا الْقَوْمُ فِي دَمَاهُمْ ، وَإِذَا الْحَيْلُ الَّتِي أَصَابَهُمْ وَاقْفَةً ، فَقَالَ الْأَنْصَارِي لِعُمَرَ بْنِ أُمَيَّةَ : مَاذَا تَرَى ؟ فَقَالَ : أَرَى أَنَّ نَلْعَقَ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَخَبِيرَهُ الْخَيْرَ . قَالَ الْأَنْصَارِي : لَكُنِّي لَمْ أَكُنْ لِأُرْغِبَ بِنَفْسِي عَنْ مَوْطَنِي قُتْلُ فِيهِ الْمَنْذَرُ بْنُ عُمَرَ ، وَمَا كُنْتُ لَأُخْبِرَ عَنْهُ الرِّجَالَ . فَقَاتَلَ الْقَوْمَ حَتَّى قُتِلَ ، وَأَخْذَ عُمَرَ أَسِيرًا ، فَلَمَّا أَخْبَرَهُمْ أَنَّهُ مِنْ مُضَرِّ أَطْلَقَهُ عَامِرُ بْنُ الطَّفْلِيْلَ وَجَزَّ نَاصِيَتَهُ وَأَعْتَقَهُ عَنْ رَقْبَةِ كَانَتْ عَلَى أُمِّهِ فِيهَا زَعْمٌ !

قَالَ : وَخَرَجَ عُمَرُ بْنُ أُمَيَّةَ حَتَّى إِذَا كَانَ بِالْقَرْقَرَةِ مِنْ صَدْرِ قَنَةِ أَقْبَلَ رِجَالٌ مِنْ بَنِي عَامِرٍ حَتَّى نَزَلَ فِي ظَلَلٍ هُوَ فِيهِ ، وَكَانَ مَعَ الْأَعْمَرِيْنَ عَهْدَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجَوَارٌ لَمْ يَعْلَمْهُ عُمَرُ بْنُ أُمَيَّةَ ، وَقَدْ سَأَلَهُمْ حِينَ نَزَلُوا : مَنْ أَنْتُمْ ؟ قَالُوا : مَنْ بَنِي عَامِرٍ . فَأَنْهَلُوهُمَا حَتَّى إِذَا نَامَ عَدَا عَلَيْهِمَا وَقَتَلُوهُمَا وَهُوَ يَرَى أَنَّهُمْ أَصَابُوهُمَا ثَارَأً مِنْ بَنِي عَامِرٍ فِيهَا أَصَابُوهُمَا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

فَلَمَّا قَدِمَ عُمَرُ بْنُ أُمَيَّةَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخْبَرَهُ بِالْخَيْرِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَقَدْ قَتَلْتَ قَتِيلَيْنِ لِأَدِينَهُمَا » ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « هَذَا عَمَلُ أَبِي بَرَاءَ ، قَدْ كُنْتُ لَهُ ذَاكَارًا مَتْخُوسًا فَقَدْ

فَبَلَغَ ذَلِكَ أَبَا بَرَاءَ فَشَقَّ عَلَيْهِ إِخْفَارُ عَامِرٍ إِيَّاهُ ، وَمَا أَصَابَ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِسَبِيلِهِ وَجَوَارِهِ .

فَقَالَ حَسَانُ بْنُ ثَابَتَ فِي إِخْفَارِ عَامِرٍ أَبَا بَرَاءَ وَيَحْرِضُ بْنَ أَبِي بَرَاءَ عَلَى عَامِرٍ :

بَنِي أَمْ الْبَنِينَ أُمِّ يَرْغَمْكُ	وَأَنْتُمْ مِنْ ذَوَابِ أَهْلِ نَجْدٍ
تَهْكُمُ عَامِرٌ بْنَ أَبِي بَرَاءَ	لِيُخْفِرَهُ وَمَا خَطَأَ كَعْمَدٍ
أَلَا أَبْلُغُ رَبِيعَةَ ذَالْمَسَاعِيَ فَ	أَحْدَثَتَ فِي الْحَدَثَانِ بَعْدِي
أَبُوكَ أَبُو الْحَرْوبِ أَبُو بَرَاءَ	وَخَالَكَ مَاجِدُ حَكْمٍ بْنَ سَعْدٍ

قال ابن هشام : أم البنين أم أبي براء ، وهي بنت عمرو بن عامر بن ربيعة بن عامر بن صعصعة .

قال : خمل ربيعة بن عامر بن مالك على عامر بن الطفيلي فطعنه في خذه فأشوأه^(١) ووقع عن فرسه ، وقال : هذا عمل أبي براء ، إن أُمْتُ فدمى لعمى فلا يتبعن به ، وإن أعش فساريرأي .

وذكر موسى بن عقبة عن الزهرى نحو سياق محمد بن إسحاق ، قال موسى : وكان أمير القوم المنذر بن عمرو وقيل : مرثد بن أبي مرثد .
وقال حسان بن ثابت يبكي قتلى بئر معونة ، فيما ذكره ابن إسحاق رحمه الله ،
والله أعلم :

على قتلى معونة فاستهلَّ بدموع العينِ سَحَّاً غير نَزَرٍ
على خيل الرسول غداة لاقوا
ولا قتَّهم من أيامِه بقدْرٍ
أصابهمُ الفناه بعقدِ قومٍ
تحكون عقدَ حبلهم بقدرٍ
فيما هم في ملائكةٍ إذ تولَّ
وأعْنَقَ في ملائكةٍ بصبرٍ
وكان قد أصيبَ غداةَ ذاكِ
من أبيضِ ماجدٍ مِنْ سِرَّ عمرو

(١) أشوأه : لم يصب مقاتله .

غزوة بنى النضير

وهي التي أنزل الله تعالى فيها سورة الحشر

في صحيح البخاري عن ابن عباس أنه كان يسميها سورة بنى النضير .

وحكى البخاري عن الزهري ، عن عروة أنه قال : كانت بنو النضير بعد بدر بستة أشهر قبل أحد .

وقد أنسدَه ابن أبي حاتم في تفسيره عن أبيه ، عن عبد الله بن صالح ، عن الليث ،
عن عقيل ، عن الزهري به .

وهكذا روى حنبل بن إسحاق ، عن ملال بن العلاء ؛ عن عبد الله بن جعفر الرائق ،
عن مطرف بن مازن البشري ، عن معمر ، عن الزهري ، فذكر غزوة بدر في سبع عشر
رمضان سنة ثنتين .

قال : ثم غزا بنى النضير ، ثم غزا أحداً في شوال سنة ثلاثة ، ثم قاتل يوم الخندق في
شوال سنة أربع .

وقال البيهقي : وقد كان الزهري يقول : هي قبل أحد .

قال : وذهب آخرون إلى أنها بعدها ، وبعد بثرة معاونة أيضاً .

قلت : هكذا ذكر ابن إسحاق كما تقدم ، فإنه بعد ذكره بثرة معاونة ورجوع عمرو
ابن أمية وقتله ذينك الرجلين من بنى عامر ، ولم يشعر بهمها الذي معهمما من رسول الله
صلى الله عليه وسلم ولهذا قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لقد قتلتَ
رجلين لأدينهما » .

قال ابن إسحاق : ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بنى النضير يستعيذ بهم في
ديمة ذينك القتيلين من بنى عامر اللذين قاتلها عمرو بن أمية ، للعبد الذي كان صلى الله

عليه وسلم أطعها ، وكان بين بنى النضير وبين بنى عامر عهد وحاف ، فلما أتاهم صلى الله عليه وسلم قالوا : نعم يا أبا القاسم أعينك على ما أحبت .

نعم خلا بعضاً منهم بعض فقالوا : إنكم لن تجدوا الرجلَ على مثل حاله هذه . رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جنب جدار من بيوتهم قاعد . فمنْ رَجُلٌ يعلو على هذا البيت فيلقى عليه صخرة ويريحنا منه .

فانتدب لذلك عمرو بن جحاش بن كعب ، فقال : أنا لذلك . فصعد اليه صخرة كما قال ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم في نفر من أصحابه فيهم أبو بكر وعمر وعلى ، فأنزله الله الخبر من السماء بما أراد القائم ، فقام وخرج راجعاً إلى المدينة .

فلما استلمتَ النبيَّ صلى الله عليه وسلم صاحبَه قاموا في طلبه ، فلقوه رجلاً مقبلاً من المدينة ، فسألوه عنه فقال : رأيته داخلاً المدينة . فأقبل أصحابُ رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتهوا إليه ، فأخبرهم الخبر بما كانت يهود أرادت من الغدر به . قال الواقدي : فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم محمد بن مسلمة يأمرهم بالخروج من جواره وبنته ، فبعث إلينهم أهلُ النفاق يتبينونهم ويحرضونهم على المقام ويعذبونهم النصر ، فقويت عند ذلك نفوذهم ، وهي حي بن خطب ، وبعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنهم لا يخزجون ، ونابذوه بتفصيل العهود . فعند ذلك أمر الناس بالخروج إليهم .

قال الواقدي : خاصروهم خمس عشرة ليلة .

وقال ابن إسحاق : وأمر النبي صلى الله عليه وسلم بالتبؤ لحرفهم والمسير إليهم .

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم ، وذلك في شهر ربیع الأول .

قال ابن إسحاق : فسار حتى نزل بهم خاصروهم ست ليال ، ونزل تحريمُ المحر

حيلئذ ، وتحصنوا في الحصون ، فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقطع النخيل والتحرير فيها ، فنادوه : أن يا محمد قد كنتم تنهى عن الفساد وتعييب من صنعه ، فما بال قطع النخيل وتحريرها .

قال : وقد كان رهطٌ من بنى عوف بن الخزرج منهم عبد الله بن أبي ووديعة ومالك وسويد وداعس قد بعثوا إلى بنى النضير : أن اثبتوا وتفعّوا ، فإننا لن نسلمكم ، إن قوتلتم فاتلنا معكم وإن أخرجتم خرجنًا معكم . فترقصوا ذلك من نصرهم فلم يفعلوا ، وقدف الله في قلوبهم الرعب ، فسألوا رسول الله أن يجعلهم ويكتف عن دمائهم على أن لهم ما حملت الإبل من أموالهم إلا الحلقة .

وقال العوف : عن ابن عباس ، أعطى كلٍّ ثلاثة بعيراً يعقبونه [و] وسقاً^(١) .
رواه البهقى .

وروى من طريق يعقوب بن محمد ، عن الزهرى ، عن إبراهيم بن جعفر بن محمود بن محمد بن مسلمة ، عن أبيه ، عن جده ، عن محمد بن مسلمة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه إلى بنى النضير وأمره أن يؤجلهم في الجلاء ثلاثة ليال .

وروى البهقى وغيره أنه كانت لهم ديون مؤجلة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ضعُوا وتعجلوا .
وفي صحته نظر . والله أعلم .

قال ابن إسحاق : فاحتملوا من أموالهم ما استقلّت به الإبل ، فكان الرجل منهم يهدم بيته عن نجاف^(٢) بابه فيضنه على ظهر بعيره فينطلق به ، فرجعوا إلى خير ، ومهم من سار إلى الشام ، فكان من أشراف من ذهب منهم إلى خير : سلام بن أبي الحقيق وكفانا بن الريبع بن أبي الحقيق ، وخوي بن أخطب ، فلما نزلوها دان لهم أهلها .

(١) الوسق : حمل البعير . (٢) النجاف : أسكفة الباب .

فحدثني عبد الله بن أبي بكر أنه حدث أحش استقبلوا بالنساء والأبناء والأموال ، معهم الدفوف والمزامير والقيان يعزفون خلفهم بزهاء ونفر ، ما رؤى مثله حتى من الناس في زمانهم .

قال : وخلوا الأموال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، يعني التخييل والمزارع ، فكانت له خاصة بعضها حيث شاء ، فقسمها على المهاجرين الأولين دون الأنصار ، إلا أن سهل ابن حنيف وأبا دجانة ذكرها فقرأ فأعطاهما ، وأضاف بعضهم إليهما الحارث بن الصمة . حكاه السهيلي .

قال ابن إسحاق : ولم يسلم من بنى النضير إلا رجلان وهما يامين بن عمير بن كعب ابن عم عمرو بن جحاش وأبو سعد بن وهب ، فأحرزا أموالهما .

قال ابن إسحاق : وقد حدثني بعض آل يامين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال ليمين : ألم تر مالقيت من ابن عك وما هم به من شأنى ؟ فجعل يامين لرجل جعلاً على أن يقتل عمرو بن جحاش ، فقتله لعنه الله .

* * *

قال ابن إسحاق : فأنزل الله فيهم سورة الحشر بكلاتها ، يذكر فيها ما أصابهم به من نقمته وما سلط عليهم به رسوله وما عمل به فيهم .

ثم شرع ابن إسحاق يفسرها . وقد تكلمنا عليها بطولها مبسوطة في كتابنا التفسير والله الحمد .

قال الله تعالى : «سبّح لله ما في السموات وما في الأرض وهو العزيز الحكيم ، هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر ، ما ظنتم أن يخربوا وظنووا أنهم ما نعمتهم حصوّهم من الله ، فأناهم الله من حيث لم يحيطوا وقدف في قلوبهم الرعب ، يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين ، فاعتبروا يا أولى الأ بصار ، ولو لا أن كتب الله عليهم الجلاء لعذبهم في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب النار . ذلك

بأنهم شاقوا الله ورسوله، ومن يشاقَ الله فإنَّ الله شديدُ العِقَاب . ما قطعتم مِنْ لينةٍ أو تركتموها قائمةً على أصولها فبإذن الله وليخزى الفاسقين ». .

سبح سجحانه وتعالى نفسه السكريمة ، وأخبر أنه يسبح له جميع مخلوقاته العلوية والسفلى وأنه العزيز ، وهو منيع الجتاب فلا ترَأْم عظمته وكبر ياؤه ، وأنه الحكيم في جميع ما خلق وجميع ما قدر وشرع ، فمن ذلك تقديره وتدبيره وتسخيره لرسول الله صلى الله عليه وسلم وعباده المؤمنين في ظفرهم بأعدائهم اليهود الذين شاقوا الله ورسوله وجاءوْه رسوله وشَرَعَه ، وما كان من السبب المفْعُل لقتالهم كاتتقدُّم ، حتى حاصرهم المؤيد بالرُّعب والرُّهْب مسيرة شهر ، ومع هذا فأسرَّهم بالمحاصرة بجنوده ونفسه الشريفة ست ليال ، فذهب بهم الرُّعب كُلَّ مذهب حتى انعوا وصالحو على حقن دمائهم وأن يأخذوا من أموالهم ما استقلت به ركبُهم ، على أنهم لا يصيرون شيئاً من السلاح إهانةً لهم واحتقاراً ، فجعلوا يخْرُّبون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين ، فاعتبروا يا أولى الأ بصار .

ثم ذكر تعالى أنه لو لم يصيّرهم الجلاء وهو التسيير والنفي من جوار الرسول من المدينة لأصحابهم ما هو أشدُّ منه من العذاب الدنيوي وهو القتل ، مع ما آدَّهُ لهم في الآخرة من العذاب الأليم المقدر لهم .

ثم ذكر تعالى حكمةً ما وقع من تحريق نخلهم وترك ما بقي لهم ، وأن ذلك كلَّه سائغ فقال : «ما قطعتم مِنْ لينةٍ» وهو جيد التمر «أو تركتموها قائمةً على أصولها فبإذن الله» إن الجميع قد أذن فيه شرعاً وقدراً ، فلا حرج عليكم فيه ولنعم مرأواه من ذلك ، وليس هو بفساد كما قاله شرارُ العباد ، إنما هو إظهارٌ للقوة وإخزاءٌ للكفرة الوجرة .

وقد روى البخاري ومسلم جميعاً عن قتيبة ، عن الليث ، عن نافع ، عن ابن عمر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حرق نخلَّ بنى النمير وقطع ، وهي البويرة ، فأنزل

الله : «ما فطعتم من لِمَنْ أُوتُوكُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أَصْوَلِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ ». وعند البخاري من طريق جويرية بن أسماء ، عن نافع ، عن ابن عمر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حرق نخل بنى النضير وقطع ، وهى البويرة ، ولهما يقول حسان بن ثابت :

وهان على سراة بني اؤى حريق بالبويرة مستطير
فأجابه أبو سفيان بن الحارث يقول :

أدَمَ اللَّهُ ذَلِكَ مِنْ صَنْعِيْ وَحْرَقَ فِي نَوَاحِيْهَا السَّعِيدُ
سَقَلَمَ أَيْنَا مِنْهَا بَسْتَرٍ وَتَعْلَمَ أَيْ أَرْضِنَا نَصِيرٌ

* * *

قال ابن إسحاق : وقال كعب بن مالك يذكر إجلاء بنى النضير وقتل كعب بن

الأشرف فالله أعلم :

كذاك الدهر ذو صرف يدور
لقد خَرَيْتَ بعْدَ رَتْهَا الْجَبُورُ^(١)
عظيم أمره أمر كبير
وذلك أئمهم كفروا برب
وجاءهم من الله النذير
وقد أتوا معًا فهـما وعـما
نذير صادق أدى كتابا
وآيات مـيـنة تـيـر
فقالوا ما أتيـتـ بأـمـرـ صـدـقـ
وأنتـ بـمـنـكـرـ مـا جـدـيـرـ
فـقـالـ بـلـ أـقـدـ أـدـيـتـ حـقـا
يـصـدـقـقـيـ بـهـ الفـهـمـ الـخـيـرـ
فـنـ يـتـبعـهـ يـهـذـ لـكـلـ رـشـدـ
وـمـنـ يـغـرـ بـهـ يـحـ الـكـفـورـ
وـجـدـ هـنـ حـقـ الـنـفـوـنـ
وـدـنـ لـهـ يـحـكـ خـورـ
فـأـيـدـهـ وـسـلـطـهـ عـلـيـهـ

(١) الجبور : مجـدـ ، وـهـ عـلـمـاءـ الـيهـودـ .

فُوْدِرَ مِنْهُمْ كَعْبٌ صَرِيعاً
فَذَلَّتْ بَعْدَ مَصْرِعِهِ الْمُضِيرُ
عَلَى الْكَفَّيْنِ مَمَّ وَقَدْ عَلَّتْهُ
بِأَيْدِيهِنَّا مُشَهَّرَةً ذَكُورُ
إِلَى كَعْبٍ أَخَا كَعْبٍ يَسِيرُ
فَاكِرَةً فَانْزَلَهُ بِمَكَرٍ
فَتَلَكَ بْنُو النَّضِيرِ بَدَارَ سَوَءٍ
غَدَاءً أَتَاهُمْ فِي الرَّحْفَ رَهْوَا^(٤)
أَبَارَهُمْ بِمَا اجْتَرَمُوا الْمَبِيرُ^(١)
رَسُولُ اللَّهِ وَهُوَ بِهِمْ بَصِيرٌ
وَغَسَانُ الْحَمَّاةُ مُؤَازِرُوهُ
عَلَى الْأَعْدَاءِ وَهُوَ لَهُمْ وَزِيرٌ
فَقَالَ السَّلْمُ وَيَحْكُمُ فَصَدَّوْهُ
وَخَالَفُ أَمْرَهُمْ كَذَبٌ وَزَوْرٌ
فَذَاقُوا غَبَّ أَمْرُهُ وَبِالْأَ
لَكْلَلَ ثَلَاثَةٍ مِنْهُمْ بَعْيَرٌ
وَأَجْلُوا عَامِدِينَ لَقِينَقَاعٍ
وَغُودَرَ مِنْهُمْ نَخْلٌ وَدَوْرٌ
وَقَدْ ذَكَرَابْنِ إِسْحَاقَ جَوَابَهَا لِسَمَالِ الْيَهُودِيِّ ، فَتَرَكَنَا هَا قَصْدًا .

قال ابن إسحاق : وكان مما قيل في بنى النضير قول ابن قيم العبسى ، ويقال : قاله
قيس بن بحر بن طريف الأشعجى :

أَهْلِ فَدَاءِ لَامْرِيْ غَيْرِ هَالِكٍ
أَهْيَضَ عَوْدًا بِالْوَدِيِّ الْكَمْ^(٢)
يَقِيلُونَ فِي جَهْرِ الْعِضَاهِ وَبُدَّلُوا
تَرُوا خَيْلَهُ بَيْنَ الصَّلَادِ وَيَرَمِرَم^(٣)
فَإِنْ يَكْ ظَنِّيْ صَادِقًا بِمُحَمَّدٍ
عَدُوُّهُ بَهَا عَمْرُو بْنَ بُهْشَةَ إِنْهُمْ
يَوْمُ بَهَا عَمْرُو بْنَ بُهْشَةَ إِنْهُمْ
عَلَيْهِنَّ أَبْطَالٌ مَسَايِّرٌ فِي الْوَغْيِ

(١) أَبَارَهُمْ : أَهْلُكُهُمْ . (٢) رَهْوَا : سِيرَا سَهْلَا . (٣) الْخَسِيْ : مَا يَحْسِسُ مِنَ الْعَصَامِ وَالْمَزَامِ
الرَّجُلُ يَكُونُ فِي الْقَوْمِ لَيْسَ مِنْهُمْ . بِرِيدْ : أَحْلَاهُمْ بِأَرْضِ غَرْبَةٍ فِي غَيْرِ عَشَائِرِهِمْ . وَانْظُرْ الرَّوْضَ الْأَبْعَدَ
١٧٧ / ٢ . (٤) جَرْ : الْأَصْلُ خَرْ . وَمَا أَنْبَتَهُ مِنْ أَبْنَى هَشَامَ . وَالْعِضَاهُ : شَجَرٌ . وَأَهْيَضَ
مَكَانٌ مُرْتَفَعٌ . وَالْوَدِيُّ : صَفَارُ النَّخْلِ . وَالْكَمْ : الَّذِي خَرَجَ كَامِهُ . (٥) الصَّلَادُ : مَوْضِعٌ . وَبِرَمَهُ
جَبْلٌ . (٦) الْوَشِيجُ : شَجَرُ الرَّمَاحِ .

وكلَّ رقيق الشُّفْرَتِينَ مهَنَدِ
فَنَّ مُبْلِغٌ عَنِ قَرِيشًا رسَالَةً
بَأْنَ أَخَاهُمْ فَاعْلَمْ مُحَمَّدًا
فَدِيُّنُوا لَهُ بِالْحَقِّ تَجَسِّمُ أَمْوَالَكُمْ
نَبِيٌّ تَلَاقَتْهُ مِنَ اللَّهِ رَحْمَةً
فَقَدْ كَانَ فِي بَدْرٍ لَعَمْزَى عَبْرَةً
غَدَاءَ أَتَى فِي الْحَزَرِجِيَّةِ عَامِدًا
مَعَانِي بَرْوَحِ الْقَدْسِ بَنْكَى عَدَوَهُ
رَسُولًا مِنَ الرَّحْمَنِ يَقْلُو كِتَابَهُ
أَرَى أَمْرَهُ يَزِدَادُ فِي كُلِّ مُوْطَنٍ

تُوَوْرِثُنْ مِنْ أَزْمَانِ عَادٍ وَجُرْمٍ
فَهُلْ بَعْدَهُمْ فِي الْمَجْدِ مِنْ مُتَكَرِّمٍ
تَلِيدُ النَّدَى بَيْنَ الْجَحْوُنَ وَزَمْرَمْ
وَنَسْمُو مِنَ الدِّينِ إِلَى كُلِّ مُعْظَمِ
وَلَا تَسْأَلُوهُ أَمْرًا غَيْبِيَّ مَرْجَمِ
لَكُمْ يَا قَرِيشَ وَالْقَلِيبَ الْمَلَمَمِ
إِلَيْكُمْ مَطِيعًا لِلْعَظِيمِ الْمَكْرَمِ
رَسُولًا مِنَ الرَّحْمَنِ حَقًا بَعْلَمَ
فَلَمَّا أَنَارَ الْحَقَّ لَمْ يَتَلَعَّمُ
عَلَوًا لِأَمْرِهِ حَمَّ اللَّهُ حُكْمَهُ

* * *

قال ابن إسحاق : وقال علي بن أبي طالب ، وقال ابن هشام : قالها رجل من المسلمين ، ولم أر أحداً يعرفها العلي :

عَرَفْتُ وَمَنْ يَعْتَدُ يَعْرِفُ
عَنِ الْكَلِمِ الْحُكْمِ الْلَّاءِ مِنْ
رَسَائِلِ تَدْرِسَ فِي الْمُؤْمِنِينَ
فَأَصْبَحَ أَمْرُهُ فِي نَا عَزِيزًا
فِي أَيْهَا الْمُؤْعِدَوْهُ سَفَاهًا
أَسْمَى تَحَافُونَ أَدْنَى الْمَذَابِ
وَأَنْ تُصْرَعُوا تَحْتَ أَسْيَافِهِ
غَدَاءَ رَأَى اللَّهُ أَطْغِيَانَهُ
فَأَنْزَلَ جَبَرِيلَ فِي قَتْلَهُ

وَأَيْقَنْتُ حَقًا وَلَمْ أَصْدِفِ
لَهَى اللَّهُ ذَى الرَّأْفَةِ الْأَرَافِ
بِهِنْ اصْطَفَى أَمْرَهُ الْمُصْطَفِي
عَزِيزُ الْقَاماَةِ وَالْمَوْقِفِ
وَلَمْ يَأْتِ جَوْرًا وَلَمْ يَعْنِفِ
وَمَا آمَنَ اللَّهُ كَالْأَخْوَفِ
كَصْرَعَ كَعْبَ أَبِي الْأَشْرِيفِ
وَأَعْرَضَ كَالْجَلْلَ الْأَجْنَفِ
بُوْحِي إِلَى عَبْدِهِ مُلْطَفِ

فَدَسَ الرَّسُولُ رَسُولًا لَهُ بِأَيْضَنِ ذِي هِبَةٍ مَرْهُفٍ
فَبَاتَتْ عَيْنُهُ لَهُ مُعَوِّلَاتٌ
مَتَى يُنْعَنُ كَعْبًا لَهَا تَذَرُفٌ
وَقَلَنْ لَأْمَدَ ذَرْنَا قَلِيلًا
فَإِنَا مِنَ النَّوْحِ لَمْ نَشْتَفِ
نَخْلَاهُمْ نَمْ قَالَ اطْعَنُوا دُحُورًا عَلَى رَغْمِ الْأَنْفِ
وَأَجْلَ النَّصِيرَ إِلَى غَرْبِهِ
وَكَانُوا بَدَارِ ذُوي زُخْرُفٍ
إِلَى أَذْرِعَاتِ رِدَافَا وَهُمْ عَلَى كُلِّ ذِي دُبْرٍ أَعْجَبُ
وَتَرَكُنا جَوَابَهَا أَيْضًا مِنْ سَمَاءِ الْيَهُودِيِّ قَصْدًا.

* * *

ثُمَّ ذَكَرَ تَعَالَى حُكْمَ الْقِيَاءِ، وَأَنَّهُ حُكْمٌ بِأَمْوَالِ بَنِي النَّصِيرِ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
وَمَلَكُوكُهُ ، فَوَضَعَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِيثُ أَرَاهُ اللَّهُ تَعَالَى .
كَمَا ثَبَّتَ فِي الصَّحِيفَتَيْنِ ، عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ أَنَّهُ قَالَ : كَانَتْ أَمْوَالُ
بَنِي النَّصِيرِ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مَا لَمْ يَوْجِفْ الْمُسْلِمُونَ عَلَيْهِ بِخَيْلٍ وَلَا رَكَابًا ، فَكَانَتْ
لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَاصَّةً ، فَكَانَ يَعْزِلُ نَفَقَةَ أَهْلِهِ سَنَةً ثُمَّ يَجْعَلُ مَا بَقِيَ
فِي السَّكَرَاعِ وَالسَّلَاحِ عَدَّةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ .

ثُمَّ بَيَّنَ تَعَالَى حُكْمَ الْقِيَاءِ وَأَنَّهُ لِلْمَهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالْتَّابِعِينَ لَهُمْ يَأْسَانُ عَلَى مُنْوَاهِمْ
وَطَرِيقَتِهِمْ : « وَلَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ، كَمَا لَا يَكُونُ دُولَةً بَيْنَ
الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ ، وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَا كُمْ عَنْهُ فَاقْتَهُوا ، وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ
شَدِيدُ الْعِقَابِ » .

قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ : حَدَّثَنَا عَارِمٌ وَعَفَانٌ ، قَالاً : حَدَّثَنَا مَعْتَمِرٌ ، سَمِعَتْ أُبَيْ يَقُولُ : حَدَّثَنَا
أَنْسُ بْنُ مَالِكٍ ، عَنْ نَبِيِّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ الرَّجُلَ كَانَ يَجْعَلُ لَهُ مِنْ مَالِهِ النَّخَالَاتِ
أَوْ كَاشَةَ اللَّهِ ، حَتَّى فُتُّحَتْ عَلَيْهِ قَرِيبَةُ وَالنَّصِيرَ ، قَالَ : يَجْعَلُ بِرْدًا بَعْدَ ذَلِكَ .

قال : وإنَّ أهْلِي أُمْرُونِي أَنْ آتَى نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَسْأَلَهُ الَّذِي كَانَ أَهْلَهُ أَعْطَوْهُ أَوْ بَعْضَهُ ، وَكَانَ نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَعْطَاهُ أَمَّا أَيْمَنُ أَوْ كَاشَاءُ اللَّهِ .

قال : فَسَأَلَتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَعْطَانِيهِنَّ ، فَجَاءَتْ أَمَّا أَيْمَنُ فَجَعَلَتِ التَّوْبَ فِي عَنْقِي وَجَعَلَتِ تَقُولُ : كَلا وَاللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَا أَعْطَيْكُمْ وَقَدْ أَعْطَانِيهِنَّ أَوْ كَا

قَالَتْ . فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لَكَ كَذَا وَكَذَا . وَتَقُولُ : كَلَّا وَاللَّهُ .

قال : وَيَقُولُ لَكَ كَذَا وَكَذَا . وَتَقُولُ : كَلَّا وَاللَّهُ . قَالَ : وَيَقُولُ لَكَ كَذَا وَكَذَا حَتَّى أَعْطَاهَا حَسْبَتُ أَنَّهُ قَالَ عَشْرَةً أَمْثَالَهُ أَوْ قَالَ قَرِيبًا مِّنْ عَشْرَةِ أَمْثَالَهُ أَوْ كَما قَالَ .

أُخْرَاجَهُ بِنَحْوِهِ مِنْ طَرِيقِ عَنْ مُعَتَمِرٍ بِهِ .

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى : ذَامَ الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ مَالُوا إِلَى بَنِي النَّضِيرِ فِي الْبَاطِنِ كَمَا تَقْدِمُ ، وَوَعْدُهُمُ النَّصْرَ فَلَمْ يَكُنْ مِّنْ ذَلِكَ شَيْءٌ ، بَلْ خَذَلُوهُمْ أَحَوْجَ مَا كَانُوا إِلَيْهِمْ ، وَغَرُورُهُمْ مِّنْ أَنفُسِهِمْ فَقَالَ : « أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَأَقْفَوْا يَقُولُونَ لِإِخْرَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرَجْتُمُ لَنُخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطْبِعُ فِيمَكُمْ أَحَدًا أَبْدًا ، وَإِنْ قُوْتُلُمْ لَنُنْصَرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهِدُ أَنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ، لَئِنْ أُخْرَجْوَا لَا يُخْرِجُونَ مَعَهُمْ ، وَلَئِنْ قُوْتُلُوْا لَا يُنْصَرُوْهُمْ ، وَلَئِنْ نُصْرُوْهُمْ لِيَوْلَنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُوْنَ » .

ثُمَّ ذَمَّهُمْ تَعَالَى عَلَى جُبْنِهِمْ وَقَلْةِ عَالَمِهِمْ وَخَفْفَةِ عَقْلِهِمُ النَّافِعِ ، ثُمَّ ضَرَبَ لَهُمْ مَثَلًا قَبِيجًا شَنِيعًا بِالشَّيْطَانِ حِينَ « قَالَ لِلْإِنْسَانَ : أَكَفَرْ فَلَمَا كَفَرَ قَالَ : إِنِّي بَرِيٌّ مِّنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ، فَكَانَ عَاقِبَتِهِمَا أَنْهِمَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ » .

قصة عمرو بن سعدى القرطى

حين مرَّ على ديار بني النضير وقد صارت يبابا ليس بها داع ولا محيب ، وقد كانت بني النضير أشرف مني بني قريظة ، حتى حدث ذلك على الإسلام وأظهر صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم من التوراة .

قال الواقدى حدثنا ابراهيم بن جعفر ، عن أبيه ، قال : مَا خرجت بني النضير من المدينة أقبل عمرو بن سعدى فاطاف بمنازلهم ، فرأى خرابها وفكراً ، ثم رجع إلى بني قريظة فوجدهم في الكنيسة ، ففتح في بوقهم فاجتمعوا فقال الزبير بن باطا : يا أبا سعيد أين كفتك منذ اليوم لم تزل . وكان لا يفارق الكنيسة وكان يتألم في اليهودية . قال : رأيت اليوم عِبراً قد عبرنا بها ، رأيت منازل إخواننا خاليةً بعد ذلك العز والجلad والشرف الفاضل والعقل البارع ، قد تركوا أمواهم ومذكراً غيرهم وخرجوا خروجاً ذلّ ، ولا للتوراة ما سلط هذا على قومٍ قط لله بهم حاجة ، وقد أوقع قبل ذلك بابن الأشرف ذي عزهم ثم ينتهي بيته آمنا ، وأوقع بابن سُنية سيدهم ، وأوقع بيني قييقاع فأجلهم وهم أهل جد اليهود ، وكانوا أهل عدّة وسلاخ ونجدة ، فحصرهم فلم يخرج إنسان منهم رأسه حتى سباهم وكلم فيهم فتركهم على أن أجلاهم من يثرب ، يا قوم قد رأيتم ما رأيتم فاطيرون وتعالوا تتبع محمدًا ، والله إنكم لتعامون أنه نبي قد بشّرنا به وبأمراه ابن الميمّان أبو عميرة وابن حراس ، وهو أعلم به د جاءانا يتوكّل قدوة وأمرانا باتباعه ، جاءنا من بيت المقدس وأمرانا أن نقرئه منهما السلام ، ثم ماتا على دينهما ودفناها بحرثنا هذه .

فأشكت القوم فلم يتكلم منهم متكلماً .

ثم أعاد هذا الكلام ونحوه ، وخطّفهم بالحرب والسباء والجلاء . فقال الزبير بن باطا : قد للتوراة قرأت صفتها في كتاب باطا ، التوراة التي نزلت على موسى ، ليس في المتأني الذي أحدهما .

قال : فقال له كعب بن أسد : ما يعنك يا أبا عبد الرحمن من اتباعه ؟ قال أنت يا كعب . قال كعب : فلم ؟ والتوراة ماحلت بينك وبينه قط .
قال الزبير : بل أنت صاحب عهدهنا وعَقْدَنَا فإن اتبعته اتبعناه وإن أبَيْتَ أبَيْنَا .
فأقبل عمرو بن سعدى على كعب، فذَكَرَ ماتقاولا في ذلك، إلى أن قال عمرو : ماعندى
في أمره إلا مآقلات : ماططيب نفسى أن أصير تابعاً !
رواه البهقى .

غزوة بني لِحْيَان

التي صلّى فيها صلاة الخوف بعسفان

ذَكَرَها البهقى في الدلائل ، وإنما ذَكَرَها ابن إسحاق فيما رأيته من طريق هشام عن زيد عنه في جمادى الأولى من سنة ثنتين من الهجرة بعد الخندق وبنى قريظة وهو أشبه
 بما ذَكَرَه البهقى والله أعلم .

وقال الخافض البهقى : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، حَدَثَنَا أَبُو العَبَّاسِ الْأَصْمَمُ ،
حدَثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْجَبَارِ وَغَيْرُهُ ، قَالُوا : مَا أَصَبَ خَبِيبٌ وَأَحَادِيبٌ بَعْدَ خَرْجِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طَالِبًا بِدَمَائِهِمْ لِيُصَبِّ مِنْ بَنِي لِحْيَانَ غَرَّةً ، فَسَلَكَ طَرِيقَ الشَّامِ لِيُرِيَ أَنَّهُ
لَا يَرِيدُ بَنِي لِحْيَانَ حَتَّى نَزُلَ بِأَرْضِهِمْ فَوَجَدُوهُمْ قَدْ حَذَرُوا وَتَنَعَّمُوا فِي رِوْسِ الْجَبَالِ ، فَقَالَ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَوْ أَنَا هَبَطْنَا عَسْفَانًا لِرَأْتُ قَرِيبَشَ أَنَا قَدْ جَثَنَا مَكَّةَ » .
خَرَجَ فِي مَائِتَى رَاكِبٍ حَتَّى نَزَلَ عَسْفَانًا ، ثُمَّ بَعْثَرَ فَارَسِينَ حَتَّى جَاءَ كَرْأَعَ
الْغَمَمِ^(١) ثُمَّ انْصَرَفَ .

فذَكَرَ أَبُو عِيَاشَ الزُّرْقَى أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَّى بعسفان
صلاة الخوف .

(١) الغمام : وَدَ أَمْمَ عَسْفَانَ بِإِيمَانِ أَمْيَالٍ . بِضَافٍ إِلَى كَرْأَعَ ، جَلْ أَسْوَدَ بِطَرْفِ الْحَرَةِ مَمْتَدًا إِلَيْهِ .

وقد قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا الثوري ، عن منصور ، عن مجاهد ، عن ابن عيّاش ، قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعسفان فاستقبلنا المشركون عليهم خالد بن الوليد وهو بيننا وبين القبلة ، فصلّى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الظهر فقالوا : قد كانوا على حالٍ لو أصبنَا غرَّتهم . ثم قالوا : تأثّر الآن عليهم صلاةٌ هي أحبُّ إليهم من أبنائهم وأفسوسهم .

قال : فنزل جبريل بهذه الآيات بين الظهر والعصر : « وإذا كفْتَ فِيهِمْ فَأَنْتَ لَهُمْ الصَّلَاةُ » .

قال : خضرتْ ، فأنزلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذوا السلاحَ ، فصفقنا خلفه صفين ، ثم ركب فركعوا جميعاً ، ثم رفع فرفعنا جميعاً ، ثم سجد بالصف الذي يليه الآخرون قيام يحرسونهم ، فلما سجدوا وقاموا جلس الآخرون فسجدوا في مكانتهم ، ثم تقدم هؤلاء إلى مصافٍ هؤلاء ، وجاء هؤلاء إلى مصافٍ هؤلاء . قال : ثم ركب فركعوا جميعاً ثم رفع فرفعوا جميعاً ، ثم سجد الصفة الذي يليه الآخرون قياماً يحرسونهم ، فلما جلسوا جلس الآخرون فسجدوا ، ثم سلم عليهم . ثم انصرف .

قال : فصلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم مرتين ، مرّة بأرض عسفان ، ومرة بأرض بنى سليم .

ثم رواه أحد عن غندر ، عن شعبة ، عن منصور به ، نحوه .

وقد رواه أبو داود عن سعيد بن منصور ، عن جرير بن عبد الحميد ، والنمسائي عن الفلاس ، عن عبد العزيز بن عبد الصمد ، عن محمد بن المشني ، وبندر ، عن غندر ، عن شعبة ، ثلاثتهم عن منصور به .

وهذا إسناد على شرط الصحيحين ، ولم يخرج به واحد منها .

لكن روى مسلم من طريق أبي خيثمة زهير بن معاوية ، عن أبي الزبير ، عن جابر

قال: غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قوماً من جهينة، فقاتلوا قتالاً شديداً، فلما
أن صلى الظهر قال المشركون: لو مِنْنَا عَلَيْهِمْ مَيْلَةً لَا تَقْطُعُنَا هُمْ.

فأخبر جبريل رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِذَلِكَ ، وَذَكَرَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « وَقَالُوا : إِنَّهُ سَتَأْتِيهِمْ صَلَاتَةً هِيَ أَحَبُّ إِلَيْهِم مِّنَ الْأَوْلَادِ » فَذَكَرَ كُلُّهُ وَسَمِعَ كُلُّهُ .

وقال أبو داود الطيالسى : حدثنا هشام ، عن أبي الزبير ، عن جابر بن عبد الله قال : « صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بأصحابه الظهر بتخلٍ ، فهم به المشركون ثم قالوا : دعوهم فإن لهم صلاةً بعد هذه الصلاة هي أحب إليهم من أبنائهم .

قال : فنزل جبريل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره ، فصلّى بأصحابه صلاة العصر ، فصفّهم صفين بين أيديهم رسول الله والعدو بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكثُر وَكَبَرُوا جمِيعاً وركعوا جميعاً ، ثم سجد الذين يلونهم الآخرون قياماً ، فلما رفعوا رءوسهم سجد الآخرون ، ثم تقدم هؤلاء وتأخر هؤلاء ، فكبروا جميعاً وركعوا جميعاً ، ثم سجد الذين يلونه الآخرون قياماً ، فلما رفعوا رءوسهم سجد الآخرون .

وقد استشهد البخاري في صحيحه برواية هشام هذه عن أبي الزبير ، عن جابر .
وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الصمد ، حدثنا سعيد بن عبيد الهماني ^(١) ، حدثنا
عبد الله بن شقيق ، حدثنا أبو هريرة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل بين ضجتان
وعُسفان ، فقال المشركون : إن لهؤلاء صلاة هي أحب إليهم من أبنائهم وأبكارهم وهي
النصر ، فاجتمعوا أمركم فثيروا عليهم ميلة واحدة .

وإن جبريل أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمره أن يقيم أصحابه شطرين فيصلّ

(١) المهائي : نسخة إلى هناءة بن مالك بن فهيم بن غنم بن دوس ، بطن من الأزد . الباب ٣ / ٢٩٤ .

بعضهم ويقدم الطائفة الأخرى وراءهم ، ولنأخذوا حِذْرَهُم وأسلحتهم ، ثم تأتي الأخرى فيصلُّون معه ، ويأخذ هؤلاء حِذْرَهُم وأسلحتهم ، ليكون لهم ركعة ركعة مع رسول الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ولرسول الله رَكْعَتَانِ .

ورواه الترمذى والنمسائى من حديث عبد الصمد به ، وقال الترمذى : حسن صحيح .
قلت : إنَّ كَانَ أَبُو هُرَيْرَةَ شَهَدَ هَذَا فَهُوَ بَعْدَ خَيْرٍ ، وَإِلَّا فَهُوَ مِنْ مُرْسَلَاتِ الصَّحَابَى ، وَلَا يَضُرُّ ذَلِكَ عِنْدَ الْجَمَهُورِ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

ولم يذكر في سياق حديث جابر عند مسلم ولا عند أبي داود الطیالسى أمر عُسفان ولا خالد بن الوليد ، لكن الظاهر أنها واحدة .

* * *

بِقِ الشَّأْنِ فَأَنَّ غَزْوَةَ عَسْفَانَ قَبْلَ الْخِنْدَقِ أَوْ بَعْدَهَا ؟ فَإِنَّ مِنَ الْعَالَمَاءِ ، مِنْهُمْ الشَّافِعِيُّ ، مَنْ يَزْعُمُ أَنَّ صَلَاتَ الْخُوفِ إِنَّمَا شُرِّعَتْ بَعْدَ يَوْمِ الْخِنْدَقِ ، فَإِنَّهُمْ أَخْرَجُوا الصَّلَاةَ يَوْمَئِذٍ عَنْ مِيقَاتِهَا لِعَذْرِ الْقَتَالِ ، وَلَوْ كَانَتْ صَلَاتَ الْخُوفِ مَشْرُوعَةً إِذْ ذَاكَ لَفْعَلُوهَا وَلَمْ يُؤْخِرُوهَا ، وَهَذَا قَالَ بَعْضُ أَهْلِ الْمَغَازِيِّ : إِنَّ غَزْوَةَ بْنِ حِيَّانَ الَّتِي صلَّى فِيهَا صَلَاةَ الْخُوفِ بِعَسْفَانَ كَانَتْ بَعْدَ بَنِي قَرِيْظَةَ .

وَقَدْ ذَكَرَ الْوَاقِدِيُّ بِإِسْنَادِهِ عَنْ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ قَالَ : لَمَّا خَرَجَ رَسُولُ اللهِ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْخَدْيِيْةِ لِقِيَتُهُ بِعَسْفَانَ فَوَقَّتْتُ بِإِيَّاهُ وَتَعَرَّضْتُ لَهُ ، فَصَلَّى بِأَصْحَابِهِ الظَّاهِرِ أَمَامًا ، فَهُمْ مَنْ أَنْفَعُهُمْ لِمَ يَعْزِمُ لَنَا ، فَأَطْلَعَهُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي أَنفُسِنَا مِنَ الْهَمِّ بِهِ ، فَصَلَّى بِأَصْحَابِهِ صَلَاةَ الْعَصْرِ صَلَاةَ الْخُوفِ .

قلت : وَعُمْرَةُ الْخَدْيِيْةِ كَانَتْ فِي ذِي الْقَعْدَةِ سَنَةَ سَتَّ بَعْدَ الْخِنْدَقِ وَبَنِي قَرِيْظَةَ كَمَا سَيَّأْتَ .

. وَفِي سِيَاقِ حَدِيثِ أَبِي عِيَّاشَ الزَّرْقَ مَا يَقْتَضِيُ أَنَّ آيَةَ صَلَاةِ الْخُوفِ نَزَّلتْ فِي هَذِهِ

الغزوة يوم عُسفان ، فاقتضى ذلك أنها أول صلاة خوف صلاتها . والله أعلم .
و سنذكر إن شاء الله تعالى كيفية صلاة الخوف واختلاف الروايات فيها في كتاب
« الأحكام الكبير » إن شاء الله وبه الثقة وعليه التكلال .

غزوة ذات الرقاع

قال ابن إسحاق : ثم أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة بعد غزوة بنى النضير
شهرى ربيع وبعض جمادى ، ثم غزا نجداً يريد بنى محارب وبنى ثعلبة من غطفان
واستعمل على المدينة أبا ذر .

قال ابن هشام : ويقال : عثمان بن عفان .

قال ابن إسحاق : فسار حتى نزل نخلاً وهي غزوة ذات الرقاع .

قال ابن هشام : لأنهم رفعوا فيها راياتهم ، ويقال لشجرة هناك اسمها
ذات الرقاع .

وقال الواقدي : بجبل فيه بقع حمر وسود وبيلض .

وفي حديث أبي موسى : إنما سميت بذلك لما كانوا يربطون على أرجلهم من
النحرق من شدة الحر .

قال ابن إسحاق : فلقي بهـا جمـعاً من غطفـان ، فتقـارـبـ الناسـ ولمـ يـكـنـ يـهـمـ
حـربـ ، وـقـدـ خـافـ النـاسـ بـعـضـهـمـ بـعـضـاًـ ، حـتـىـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ بـالـنـاسـ
صلـاةـ الخـوفـ .

وقد أسنـدـ ابنـ هـشـامـ حـدـيـثـ صـلـاةـ الخـوفـ هـاـهـاـ عنـ عبدـ الـوارـثـ بنـ سـعـيدـ التـنـورـيـ ،
عنـ يـونـسـ بنـ عـبـيدـ ، عنـ الحـسـنـ ، عنـ جـاـبـرـ بنـ عـبـدـ اللهـ ، وـعـنـ عبدـ الـوارـثـ ، عنـ
أـيـوبـ ، عنـ أـبـيـ الزـبـيرـ ، عنـ جـاـبـرـ ، وـعـنـ عبدـ الـوارـثـ ، عنـ أـيـوبـ ، عنـ نـافـعـ ،

عن ابن عمر ، ولكن لم يذكر في هذه الطرق غزوة نجد ولا ذات الرقاع ، ولم يتعرض
لزمانٍ ولا مكان .

وفي كون غزوة ذات الرقاع التي كانت بنجد لقتال بني محارب وبني ثعلبة بن غطفان
قبل الخندق نظر .

وقد ذهب البخاري إلى أن ذلك كان بعد خمير ، واستدل على ذلك بأن أباً موسى
الأشعري شهدتها ، كاسياتي ، وقدومه إنما كان لياليَ خمير صحبةَ جعفر وأصحابه ،
وكذلك أبو هريرة ، وقد قال : صلَّيت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة
نجد صلاةَ الخوف .

وما يدل على أنها بعدَ الخندق أن ابن عمر إنما أجازه رسول الله صلى الله عليه وسلم
في القتال أولَ ما أجازه يوم الخندق . وقد ثبت عنه في الصحيح أنه قال : غزوتُ مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل نجد فذكِّر صلاةَ الخوف .

وقولُ الواقدي : إنَّه عليه السلام خرج إلى ذات الرقاع في أربعينَةٍ ويقال سبعينَةٍ من
أصحابه ليلة السبت لعشرينَ خلونَ من المحرم سنة خمسٍ . فيه نظر .

ثم لا يحصل به نجاةٌ من أن صلاةَ الخوف إنما شُرعت بعدَ الخندق ، لأنَّ الخندق
كان في شوال سنة خمسٍ على المشهور ، وقيل في شوال سنة أربعٍ ، فتحصل على هذا
القولُ مُحْلَّصٌ من حديث ابن عمر ، فاما حديث أبي موسى وأبي هريرة فلا .

قصة غورث بن الحارث

قال ابن إسحاق في هذه الغزوة : حدثني عمرو بن عبد الله ، عن الحسن ، عن جابر
ابن عبد الله ، أن رجلاً من بني محارب يقال له غورث قال لقومه من غطفان ومحارب :

ألا أقتل لكم مُحَمَّداً؟ قالوا: بلى، وكيف تقتله؟ قال: أفقاك به.

قال: فأقبل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس، وسيفُ رسول الله صلی الله علیه وسلم فی حجره. فقال: يا محمد، أنظر إلى سيفك هذا؟ قال: نعم. فأخذته ثم جعل يهزه ويهم، فكتبته الله. ثم قال: يا محمد، أما تخافني؟ قال: لا، ما أخاف منك؟ قال: أما تخافني وفي يدي السيف؟ قال: لا، يمْنعني الله منك. ثم عمد إلى سيف النبي صلی الله علیه وسلم فرده عليه.

فأنزل الله عز وجل: «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذْ كُرِّبُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيهِمْ فَكَفَّ أَيْدِيهِمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلَيَتَوَكَّلَ الْمُؤْمِنُونَ^(١)».»

قال ابن إسحاق: وحدثني يزيد بن رومان، أنها إنما أنزلت في عمرو بن جحاش أخي بني النضير وما هم به.

* * *

هكذا ذكر ابن إسحاق قصة غورث هذا عن عمرو بن عبيد القداري رئيس الفرقا الضالة، وهو وإن كان لا يتهم بتعمد الكذب في الحديث إلا أنه من لا ينبغي أن يُرُوى عنه لبدعته ودعائه إليها.

وهذا الحديث ثابت في الصحيحين من غير هذا الوجه والله الحمد.

فقد أورد الحافظ البهقي هنا طرفاً لهذا الحديث من عدة أمراً كن، وهي ثابتة في الصحيحين من حديث الزهرى عن سنان بن، أبي سنان وأبى سلمة عن جابر، أنه غزا مع رسول الله صلی الله علیه وسلم غزوة نجد، فلما قفل رسول الله صلی الله علیه وسلم أدركته القائلة في وادٍ كثیر العِصَابَه^(٢)، فتفرق الناس يستظلون بالشجر، وكان رسول الله صلی الله علیه وسلم تحت ظل شجرة فعلق بها سيفه.

(١) سورة المائدة. : (٢) العصابة: شجر عظيم له شوك.

قال جابر : فِنْمَانُومَةً فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْعُونَا فَأَجْبَنَاهُ ، وَإِذَا عَنْهُ أَعْرَابِيْ جَالَسَ ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنَّ هَذَا اخْتِرَطَ سَيْفِيْ وَأَنَا نَائِمٌ فَاسْتِيْقَطْتُ وَهُوَ فِي يَدِهِ صَلَّتَا^(١) قَالَ : مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّيْ ؟ قَالَ : اللَّهُ . فَشَامَ السَّيْفَ وَجَالَسَ . وَلَمْ يَعْاقِبْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ فَعَلَ ذَلِكَ .

وَقَدْ رَوَاهُ مُسْلِمٌ أَيْضًا ، عَنْ أَبِي بَكْرٍ بْنِ أَبِي شِبَّيْةَ ، عَنْ عَفَانَ ، عَنْ أَبَانَ ، عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ ، عَنْ أَبِي سَلْمَةَ ، عَنْ جَابِرٍ قَالَ : أَقْبَلْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى إِذَا كَنَا بِذَاتِ الرَّقَاعِ ، وَكَنَا إِذَا أَتَيْنَا عَلَى شَجَرَةَ ظَلِيلَةٍ تَرَكْنَاهَا لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَجَاءَهُ رَجُلٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ، وَسَيْفٌ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعْلَقٌ بِشَجَرَةِ ، فَأَخْذَ سَيْفَ رَسُولِ اللَّهِ فَأَخْتَرَطَهُ وَقَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : تَخَافُنِي ؟ قَالَ : لَا . قَالَ : فَمَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّيْ ؟ قَالَ : اللَّهُ يَمْنَعُنِي مِنْكَ . قَالَ : فَهَذِهِ أَحَادِيثُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأَغْمَدَ السَّيْفَ وَعَلَقَهُ .

قَالَ : وَنُودِيَ بِالصَّلَاةِ ، فَصَلَّى بِطَائِفَةِ رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ تَأَخَّرُوا ، وَصَلَّى بِالطَّائِفَةِ الْأُخْرَى رَكْعَتَيْنِ . قَالَ : فَكَانَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرْبَعُ رَكْعَاتٍ وَلِقَوْمٍ رَكْعَتَانِ . وَقَدْ عَلَقَهُ الْبَخَارِيُّ بِصِيَغَةِ الْجَزْمِ عَنْ أَبَانِ بِهِ .

قَالَ الْبَخَارِيُّ : وَقَالَ : مُسْدَدٌ عَنْ أَبِي عَوَانَةِ عَنْ أَبِي بَشَّرٍ ، إِنَّ اسْمَ الرَّجُلِ غَوْرَثَ بْنِ الْحَارِثِ . وَأَسْنَدَ الْبَيْهَقِيُّ مِنْ طَرِيقِ أَبِي عَوَانَةَ ، عَنْ أَبِي بَشَّرٍ ، عَنْ سَلِيمَانَ بْنِ قَيْسٍ ، عَنْ جَابِرٍ قَالَ : قَاتَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُحَارِبَ وَغَطَّافَانَ بِنَخْلٍ ، فَرَأَوَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ غَرَّةً ، فَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْهُمْ يَقَالُ لَهُ : غَوْرَثُ بْنُ الْحَارِثَ حَتَّى قَامَ عَلَى رَأْسِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالسَّيْفِ وَقَالَ : مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّيْ ؟ قَالَ : اللَّهُ . فَسَقَطَ السَّيْفُ مِنْ يَدِهِ . فَأَخْذَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ السَّيْفَ وَقَالَ : مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّيْ ؟ قَالَ : كُنْ خَيْرًا

(١) صَلَّتَا : بِمَرْدَأِ مِنْ عَمَدَهُ ، بِعَنْ مَصْلَتِهِ .

آخِذَ قَالَ : تَشْهِدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ؟ قَالَ : لَا ، وَلَكِنْ أَعاهِدُكَ عَلَى أَلَا أَفَاتَّلُكَ وَلَا أَكُونْ مِمْ قَوْمٍ يَقْاتِلُونَكَ .

نَفْلِي سَبِيلَهُ، فَأَتَى أَصْحَابَهُ وَقَالَ: جِئْتُكُم مِّنْ عِنْدِ خَيْرِ النَّاسِ.

ثم ذكر صلاة الحنف ، وأنه صلى أربع ركعات ، بكل طائفة ركعتين .

وقد أورد البيهقي هنا طرق صلاة الخوف: بذات الرقاع ، عن صالح بن خوات بن جبير ،
عن سهل بن أبي حمزة ، وحديث الزهرى ، عن سالم عن أبيه ، في صلاة الخوف بنجد .
وموضع ذلك كتاب الأحكام . والله أعلم .

قصة الذي أصيّدَتْ امرأته في هذه الغزوة

قال محمد بن إسحاق: حدثني عمى صدقة بن يسار ، عن عقيل بن جابر ، عن جابر بن عبد الله قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة ذات الرقاع من نخل فأصاب رجل امرأةَ رجل من المشركين ، فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم قالا ، أتى زوجها وكان غائباً ، فلما أخبر الخبر حلف لا ينتهي حتى يهرب في أصحابه .

خرج يتبع أثر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم منزلة
فقال : من رجل يكثُرنا ليتتنا ؟ فانقلب رجل من المهاجرين ورجل من الأنصار . فقال :
نَحْنُ يَارَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ : فَكُوْنُونَا بِمِنْشَبِ الْمُهَاجِرِيْنَ . وَمَا عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ وَعَبَّادُ بْنُ
بِشَرٍ ، فَلَمَّا خَرَجَا إِلَى فِيمَ الشَّعْبِ قَالَ الْأَنْصَارِيُّ لِلْمُهَاجِرِيِّ : أَئْ الْلَيْلُ تَحْبُّ أَنْ
كَفِيكَهُ أَوْلَهُ أَمْ آخِرَهُ ؟ قَالَ : بَلْ أَكْفَنِي أَوْلَهُ . فَاضْطَجَعَ الْمُهَاجِرِيُّ فَنَامَ وَقَامَ
الْأَنْصَارِيُّ بِصَلِيْلٍ .

قال : وَأَتَى الرَّجُلُ فَلَمَّا رَأَى شَخْصًا أَرْجَلَ عَرَفَ أَنَّهُ رَبِّيَّةَ الْقَوْمِ ، فَرَمَى بِسَهْمٍ

فوضعه فيه ، فانزعه ووضعه وثبت قائماً . قال : ثم رمى بسهم آخر فوضعه فيه فانزعه فوضعه وثبت قائماً . قال : ثم عاد له بالثالث فوضعه فيه فانزعه فوضعه ، ثم ركع وسجد ، ثم أحب صاحبه فقال : اجلس فقد أثبّتْ .

قال : فوثب الرجل فلما رأها عرف أنه قد نذر لها ، فهرب .

قال : ولما رأى المهاجر ما بالأنصارى من الدماء قال : سبحان الله أفلأ أحببتني
أول مارماك ؟!

قال : كفت في سورة أقرؤها ، فلم أحب أن أقطعها حتى أفقدها ، فلما تابع على الرمي
ركعت فآذنتك ، وأيم الله لو لا أن أضيع ثغراً أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفظه
لقطع نفسي قبل أن أقطعها أو أفقدها !

هكذا ذكره ابن إسحاق في المغازى . وقد رواه أبو داود عن أبي توبة ، عن عبد الله
بن المبارك ، عن ابن إسحاق به .

وقد ذكر الواقدي عن عبد الله العمري ، عن أخيه عبيد الله ، عن القاسم بن محمد ،
عن صالح بن خوات ، عن أبيه ، حديث صلاة الخوف بطوله . قال : وكان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قد أصاب في محالهم نسوة ، وكان في السُّبْيَ جارية وضيضة ، وكان زوجها
يحبها ، فخلف ليطلبنَّ مُحَمَّداً ولا يرجع حتى يصيب دمًا أو يخلص صاحبته ، ثم ذكر من
السياق نحو ما أورده محمد بن إسحاق .

قال الواقدي : وكان جابر بن عبد الله يقول : بينما أنا مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم إذ جاء رجل من أصحابه بفرخ طائر ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر إليه ، فاقتبل
إليه أبواء أو أحداً منها حتى طرح نفسه في يدي الذي أخذ فرخه ، فرأيت أن الناس عجبوا من
ذلك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أَعْجَبُونَ مِنْ هَذَا الطَّائِرَ أَخْذَتُمْ فَرَخَهُ فَطَرَحَهُ
نَفْسَهُ رَحْمَةً لَفَرَخِهِ ؟ فَوَاللَّهِ لِرَبِّكُمْ أَرْحَمُ بِكُمْ مِنْ هَذَا الطَّائِرِ بِفَرَخِهِ !!

قصة جمل جابر في هذه الغزوة

قال محمد بن إسحاق : حدثني وهب بن كيسان ، عن جابر بن عبد الله ، قال : خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى غزوة ذات الرقاع من نخل على جمل لي ضعيف ، فلما قفل رسول الله صلى الله عليه وسلم جعلت الرفاق تمضي وجعلت أخلف ، حتى أدركني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : مالك يا جابر ؟ قلت : يا رسول الله أبطأ بي جمل هذا . قال : أنجحه . قال : فأنجحه وأنanax رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال : أعطني هذه العصا من يدك أو اقطع عصا من شجرة . ففعلت فأخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم فنحشه بها نحسات ثم قال : اركب . فركبت ، تخرج والذى بعثه بالحق يواهق ناقته مواهقة^(١) .

قال : وتحدثت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أتبيني جملك هذا يا جابر ؟ قال : قلت : بل أهبه لك . قال : لا ولكن يعنيه ، قال : قلت : فسمّنيه ، قال : قد أخذته بدرهم ، قال : قلت : لا إذاً تغبني يا رسول الله ! قال : فبدرهميين ، قال : قلت : لا . قال : فلم يزل يرفع لى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ الأوقية ، قال : فقلت : أفقد رضيتك ؟ قال : نعم ، قلت : فهو لك ، قال : قد أخذته .

ثم قال : يا جابر هل تزوجت بعد ؟ قال : قلت : نعم يا رسول الله ، قال : أثيبياً أم بكرأ؟ قال : قلت : بل ثيباً . قال : أفلأ جارية تلاعها وتلاعبك !

قال : قلت يا رسول الله إن أبي أصيب يوم أحد وترك بنات له سبعاً ، فنكحت امرأة جامعه تجمع رءوسهن فتقوم عليهن . قال : أصبت إن شاء الله ، أما إنما لو جئنا صراراً^(٢) أمرنا بحضور فنحرت فأقينا عليها يومنا ذلك وسمعت بنا ففمضت نمارقها . قال : قلت : والله يا رسول الله مالنا نمارق . قال : إنها ستكون فإذا أنت قدِمت فاعمل علاً كيساً .

(٢) صرار : موضع على ثلاثة أميال من المدينة .

(١) المواهقة : المبارزة .

قال : فلما جئنا صراراً أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بمحزور فنحرت وأقنا عليها ذلك اليوم ، فلما أمسى رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل ودخلنا . قال : فحدثت المرأة الحديث وما قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالت : فدونك فسمع وطاعة .

فلا أصبحت أخذت برأس الجمل فأقبلت به حتى أنفتحت على باب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمجلست في المسجد قريباً منه ، قال : وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأى الجمل فقال : ما هذا ؟ قالوا : يا رسول الله هذا جمل جاء به جابر ، قال : فأين جابر ، فدعى له ، قال : فقال : يا ابن أخي خذ برأس جملك فهو لك . قال : ودعا بلا ف قال : اذهب بجابر فأعطيه أوقية . قال : فذهبت معه فأعطاني أوقية وزادني شيئاً يسيراً .

قال : فوالله ما زال ينمى عندي ويرى مكانه من بيننا حتى أصيبح أمس فيما أصيبح لنا . يعني يوم الحشرة .

وقد أخرجه صاحب الصحيح من حديث عبيد الله بن عمر العمري ، عن وهب بن كيسان ، عن جابر بنحوه .

قال السهيلي : في هذا الحديث إشارة إلى ما كان أخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم جابر بن عبد الله أن الله أحيا والده وكلمه فقال له : تمن على . وذلك أنه شهيد وقد قال الله تعالى : « إن الله اشتري من المؤمنين أنفسهم وأموالهم » وزادهم على ذلك في قوله : « للذين أحسنوا الحسنة وزيادة » ثم جمع لهم بين العوض والمعوض فرد عليهم أرواحهم التي اشتراها منهم فقال : « ولا تحسن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياهم عند ربهم يرزقون » والروح للإنسان بمنزلة المطية كما قال ذلك عمر بن عبد العزيز . قال :

فـذلـك اشـتـرـى رـسـوـل الله صـلـى الله عـلـيـه وـسـلـمـ من جـاـبـر جـمـلـه ، وـهـو مـطـيـتـه ، فـأـعـطـاه نـفـه ثـمـ
رـدـه عـلـيـه وـزـادـه بـعـد ذـلـك .

قـالـ : فـقـيـه تـحـقـيقـ لـما كـانـ أـخـبـرـه بـه عـنـ أـيـه .

وـهـذا الذـى سـلـكـه السـهـيلـيـ هـاـهـنـا إـشـارـة غـرـيـبـة وـتـحـيـلـ بـدـيـعـ . وـالـلـه سـبـحـانـه
وـتـعـالـى أـعـلـمـ .

وـقـد تـرـجـمـ الـحـاـفـظـ الـبـيـهـقـيـ فـكـتـابـه « دـلـائـلـ النـبـوـةـ » عـلـى هـذـا الـحـدـيـثـ فـهـذـا الـغـزوـةـ
فـقـالـ : بـابـ ما كـانـ ظـهـورـ فـغـزـاتـهـ هـذـهـ مـنـ بـرـكـاتـهـ وـآيـاتـهـ فـجـمـلـ جـاـبـرـ بنـ عـبـدـ اللهـ
رـضـىـ اللـهـ عـنـهـ .

وـهـذـا الـحـدـيـثـ لـه طـرـقـ عـنـ جـاـبـرـ وـأـلـفـاظـ كـثـيرـةـ ، وـفـيـهـ اـخـتـلـافـ كـثـيرـ فـكـيـةـ نـمـنـ
الـجـمـلـ وـكـيـفـيـةـ مـاـشـرـطـ فـالـبـيـعـ . وـتـحـرـيرـ ذـلـكـ وـاسـتـقـصـاؤـهـ لـأـئـقـ بـكـتـابـ الـبـيـعـ مـنـ الـأـحـكـامـ
وـالـلـهـ أـعـلـمـ . وـقـدـ جـاءـ تـقـيـيـدـهـ بـهـذـهـ الـغـزوـةـ ، وـجـاءـ تـقـيـيـدـهـ بـغـيـرـهـ ، كـمـ سـيـأـتـىـ . وـمـُسـتـبـعـدـ تـعـدـادـ
ذـلـكـ وـالـلـهـ أـعـلـمـ .

غزوة بدر الآخرة

وهي بدر الموعد التي تواعدوا إليها من أحد كما تقدم .

قال ابن إسحاق : ولما راجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة من غزوة ذات الرقاع أقام بها بقية جمادى الأولى وjamadi al-âkhera ورجاً ، ثم خرج في شعبان إلى بدر لمعاد أبي سفيان .

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة عبد الله بن عبد الله بن أبي بن سلول .

قال ابن إسحاق : فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بدرًا وأقام عليه ثمانين ينتظر أبا سفيان .

وخرج أبو سفيان في أهل مكة حتى نزل بجنة من ناحية الظهران . وبعض الناس يقول : قد بلغ عسفان ثم بدا له في الرجوع فقال : يامعشر قريش إنه لا يصلحكم إلا عام خصيب ترعن فيه الشجر وتشربون فيه اللبن ، فإن عامكم هذا عام جدب وإنى راجع فارجموا .

فرجع الناس فسماهم أهل مكة جيش السويق يقولون : إنما خرجتم تشربون السويق .

قال : وأتني تَحْشِيُّ بن عمرو الصمرى وقد كان وادع النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة وَدَان على بني ضمرة فقال : يا محمد أجيئت للقاء قريش على هذا الماء ؟ قال : نعم يا أبا بني ضمرة ، وإن شئت ردَّنَا إليك ما كان بيننا وبينك وجالدناك حتى يحكم الله بيننا وبينك .
قال : لا والله يا محمد مالنا بذلك من حاجة .

ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ولم يلق كيداً .

قال ابن إسحاق : وقد قال عبد الله بن رواحة يعني في انتظارهم أبا سفيان ورجوعه بقريش عامه ذلك . قال ابن هشام : وقد أنشدناها أبو زيد لكتعب بن مالك :

لِيَعَادُه صِدْقًا وَمَا كَانَ وَافِيَا
لَا بُنْتَ ذَمِيَا وَأَفْقَدَتَ الْمَوَالِيَا
وَعَمِرَا أَبَا جَهْلٍ تَرَكَاهُ ثَاوِيَا
وَأَمْرَكَ السَّيِّدَ الَّذِي كَانَ غَاوِيَا
فَدَى لِرَسُولِ اللَّهِ أَهْلِي وَمَالِيَا
شَهَابَاً لَنَافِي ظَلَمَةَ اللَّيلِ هَادِيَا

وَعَدْنَا أَبَا سَفِيَّانَ بَدْرَا فَلَمْ يَجِدْ
فَأَقْسِمْ لَوْ لَاقِتَنَا فَلَقِيتَنَا
تَرَكَنَا بِهِ أَوْصَالَ عُتْبَةَ وَابْنَهِ
عَصِيمَ رَسُولَ اللَّهِ أَفْلَدِ دِينِكُمْ
فَإِنِّي وَإِنِّي عَنْ قَتْمَوْنِي لَقَائِلُ
أَطْعَنَاهُ لَمْ نَمْدِلْهُ فِينَا بِغَيْرِهِ

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت في ذلك :

جِلَادُ كَأْفَوَاهِ الْخَاضِ الْأَوَارِكِ ^(١)

وَأَنْصَارِهِ حَقَّاً وَأَيْدِيَ الْمَلَائِكِ

فَقُولَا لَهَا لِيُسَ الطَّرِيقُ هَنَالِكِ

بَأْرَعَنْ جَرَارَ عَرِيضِ الْمَبَارِكِ ^(٢)

وَقُبَّ طَوَالِ مُشَرَّفَاتِ الْحَوَارِكِ ^(٣)

مَنَاسِمُ أَخْفَافِ الْمَطَىِ الرَّوَاتِكِ ^(٤)

فَرَاتَ بْنَ حَيَّانِ يَكْنِرَهْنَ هَالِكِ

يَزِدُ فِي سَوَادِ لَوْنَهِ لَوْنُ حَالِكِ

فَإِنَّكِ مِنْ غُرُّ الرِّجَالِ الصَّعَالِكِ

قال : فأجابه أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ، وقد أسلم فيها بعد ذلك :

وَجَدْكِ نَقْتَالِ الْخَرُوقَ كَذَلِكِ ^(٥)

دَعُوا فَلَجَاجَاتِ الشَّامِ قَدْ حَالَ دُونَهَا

بَأَيْدِيِ رِجَالٍ هَاجَرُوا نَحْوَ رَبِّهِمْ

إِذَا سَلَكْتَ لِلْفَوْرَ مِنْ بَطْنِ عَالِجِ

أَقْنَا عَلَى الرَّسِّ التَّرَزُوعَ هَمَانِيَا

بِكُلِّ كَمِيتِ جَوْزِهِ نَصْفُ خَلْقِهِ

تَرَى الْعَرْفَجَ الْعَامِيَّ تَدَرِّي أَصْبُولِهِ

فَإِنَّ تَلَقَّ قَيْسَ بْنَ اَمْرِيِّ الْقَيْسِ بَعْدِهِ

وَإِنْ تَلَقَّ قَيْسَ بْنَ اَمْرِيِّ الْقَيْسِ بَعْدِهِ

فَأَبْلُغْ أَبَا سَفِيَّانَ عَنِ رِسَالَةِ

أَحْسَانِ إِنَا يَا بْنَ آكْلَةِ الْفَقاَ

(١) الفلجاجات : جمع فلنج ، وهو التهر الصغير . والأوارك : الإبل التي رعت الأراك .

(٢) الرس : البر . والتزويع : القرية القعر . والأرعن : الجيش ذو الغضول .

(٣) الكبيت : الفرس . والجوز : الوسط . والقب : جمع أقب ، وهو الفرس الضامر البطن والحوارك : جمع حارك وهو أعلى الكامل .

(٤) العرج : شجر سهل . والعامي : الذي أتى عليه العام . والرواتك : المسربعة

(٥) الفقا : شيء كالبنين . والخروق : القفار . ونقتال : نقطع .

ولو وألتْ منا بشدَّةِ مُداركِ^(١)
مُدمِّنَ أهْلَ الموسِّمِ التَّعَارِكِ^(٢)
وتَرَكَنا فِي النَّخْلِ عَنْ الدَّارِكِ
فَأَوْطَثَتْ أَصْقَنَهُ بِالَّذِي كَادَكِ^(٣)
بُجُودِ الْجِيَادِ وَالْمَطْلِي الرَّوَاتِكِ^(٤)
كَمَا خَذَكُمْ بِالْعَيْنِ أَرْطَالَ آنِكِ^(٥)
عَلَى نُحْوِ قولِ الْمُعْضِمِ الْمُتَمَاسِكِ
فَوَارَسُ مِنْ أَبْنَاءِ فَهْرِ بْنِ مَالِكِ
فَإِنَّكَ لَا فِي هَجْرَةٍ إِنْ ذَكَرْتَهَا
وَلَا حِرْمَاتٍ دِينَهَا أَنْتَ نَاسِكِ^(٦)

قال ابن هشام : تركنا منها أبياتاً لاختلاف قوافيهما .

وقد ذكر موسى بن عقبة عن الزهرى وابن لمييعة ، عن أئمَّةِ الأسود ، عن عروة بن الزبير ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استغفر الناس لموعد أبي سفيان ، وانبعث المافقون في الناس يُذْبَطُونَهُمْ ، فسلمَ الله أولاً ياءه ، وخرج المسلمون سجدة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بدر ، وأخذوا معهم بضائع وقالوا : إن وجدنا أبا سفيان وإلا اشترينا من بضائع موسم بدر .

(١) الْيَعَافِيرُ : جمع يعفور وهو ولد الظبيبة . وَوَأْلَتْ : احتمت . وَالشَّدُّ : الجرى .

(٢) الْمَدْمَنُ : الموضع به آثار الناس والدواب .

(٣) الدَّكَادِكُ : جمع دكـدـك ، مـا تـكـبـسـ وـاسـتـوىـ مـنـ الرـمـلـ ، أو أـرـضـ فـيـهاـ غـاظـ .

(٤) الرَّوَاتِكُ : التي تقارب في خطوها .

(٥) ابن هشام : عند قباهـمـ . ورواها ابن سلام في طبقات الشـعـراءـ : حول بـيوـتـكـ .

(٦) العـيـنـ : المـالـ ، والـذهبـ ، والـديـنـ . وـالـآنـكـ : الرـاصـمـ الأـيـضـ . وقد ذـكـرـ السـهـيلـيـ عنـ ابنـ سـلاـ آنـ أـبـاـ سـفـيـانـ بـنـ حـرـبـ قالـ لـأـبـيـ سـفـيـانـ بـنـ الـحـارـثـ : يـابـنـ أـخـيـ لـمـ جـعـلـهـ آـنـكـ ، إـنـ كـانـ الـفـضـةـ بـيـضـاءـ جـيـدةـ !

(٧) وـتـرـوـيـ : وـلـاـ حـرـمـاتـ الـدـيـنـ آـنـ بـنـ نـاسـكـ .

ثم ذُكر نحو سياق ابن إسحاق في خروج أبي سفيان إلى محبّنة ، ورجوعه ، وفي مقاولة الصَّمْرَى ، وعرض النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والمنابذة فأبى ذلك .
قال الواقدي : خرج رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهَا فِي أَلْفِ وَخَمْسَانَةِ مِنْ أَصْحَابِهِ ، وَاسْتَخَلَفَ عَلَى الْمَدِينَةِ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ رَوَاحَةَ . وَكَانَ خَرْوَجَهُ إِلَيْهَا فِي مَسْتَهْلِ ذِي القعدة ، يعني سنة أربع .

وَالصَّحِيحُ قَوْلُ ابْنِ إِسْحَاقَ ، أَنَّ ذَلِكَ فِي شَعْبَانَ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ الرَّابِعَةِ ، وَوَافَقَ قَوْلَ مُوسَى بْنَ عَقْبَةَ أَنَّهَا فِي شَعْبَانَ ، لَكِنَّ قَالَ : فِي سَنَةِ ثَلَاثَةِ وَهَذَا وَهُمْ ، فَإِنْ هَذِهِ تَوْعِدُوا إِلَيْهَا مِنْ أَحَدٍ وَكَانَتْ أَحَدٌ فِي شَوَّالِ سَنَةِ ثَلَاثَةِ كَاتِبِهِ تَقْدِيمًا . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .
قَالَ الْوَاقِدِيُّ : فَأَفَاقُوا بِبَدْرِ مَدَةِ الْمَوْسِمِ الَّذِي كَانَ يَعْقِدُ فِيهَا ثَمَانِيَّةَ أَيَّامٍ ، فَرَجَمُوا وَقَدْ رَبَحُوا مِنَ الدَّرَرِ هَيْنَانٍ . وَقَالَ غَيْرُهُ : فَانْقَلَبُوا كَمَا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : « فَانْقَلَبُوا بِنَعْمَةِ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلِ لِمَ يَمْسِسُهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رَضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ^(١) » .

فصل

في جملة من الحوادث الواقعية سنة أربع من الهجرة

قَالَ ابْنُ جَرِيرَ : وَفِي جَمَادِيِّ الْأُولَى مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ ماتَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمَّانَ بْنُ عَفَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، يَعْنِي مِنْ رَقِيَّةَ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَهُوَ ابْنُ سَتِّ سَنِينَ ، فَصَلَّى اللهُ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنَزَلَ فِي حَفْرَتِهِ وَالدِّهْ عَمَّانَ بْنُ عَفَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

قَلْتَ : وَفِيهِ تَوْفِيَ أَبُو سَلَمَةَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنَ هَلَالَ بْنَ عَمْرُونَ بْنَ مَخْزُومِ الْقَرْشَى الْخَزَوْمِيِّ ، وَأُمَّهُ بَرَّةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمَطَلَّبِ عَمَّةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَكَانَ رَضِيعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ارْتَضَعَ مِنْ ثُوَبَيْةَ مَوْلَةَ أَبِي هُبَّ .

وكان إسلام أبي سلمة وأبي عبيدة وعمان بن عفان والأرقم بن أبي الأرقم قد ينافي
يوم واحد.

وقد هاجر هو وزوجته أم سلمة إلى أرض الحبشة ، ثم عاد إلى مكة وقد ولد لها
بالحبشة أولاد ، ثم هاجر من مكة إلى المدينة ، وتبعته أم سلمة إلى المدينة كما تقدم .
وشهد بدرًا وأحداً ، ومات من آثار جرح جرّحه بأحد . رضى الله عنه وأرضاه .
له حديث واحد في الاسترجاع عند المصيبة ، سيأتي في سياق تزويع رسول الله صلى
الله عليه وسلم باسم سلمة قريباً .

* * *

قال ابن جرير : وفي ليل خلوة من شعبان منها ولد الحسين بن علي من فاطمة بنت
رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنهم .

قال : وفي شهر رمضان من هذه السنة تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب
بنت خزيمة بن الحارث بن عبد الله بن عمرو بن عبد مناف بن هلال بن عامر بن
صعصعنة ، الهمالية .

وقد حكى أبو عمر بن عبد البر ، عن علي بن عبد العزيز الجرجاني أنه قال : كانت
أخت ميمونة بنت الحارث . ثم استقر به وقال : لم أره لغيره . وهي التي يقال لها أم
المساكين لكثرة صدقاتها عليهم وبرها لهم وإحسانها إليهم . وأصدقها ثنتي عشرة أوقية
ونسأة^(١) ودخل بها في رمضان ، وكانت قبله عند الطفيلي بن الحارث فطلقتها .

قال أبو عمر بن عبد البر ، عن علي بن عبد العزيز الجرجاني : ثم خلف عليها أخوه
عبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف .

قال ابن الأثير في الغابة : وقيل كانت تحت عبد الله بن جحش فقتل عنها يوم أحد .

(١) النس . نصف أوقية ، وهو عشرون درهماً .

قال أبو عمر : ولا خلاف أنها ماتت في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقيل : لم تلبث عنده إلا شهرين أو ثلاثة حتى توفيت رضي الله عنها .
وقال الواقدي : في شوال من هذه السنة تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم أم سلمة بنت أبي أمية .

* * *

قلت : وكانت قبله عند زوجها أبي أولادها أبي سلمة بن عبد الأسد ، وقد كان شهد أحداً كاً تقدم ، وجرح يوم أحد فداوى جرحه شهراً حتى برئ ، ثم خرج في سرية ففُرم منها نعماً وفيناً جيداً ، ثم أقام بذلك سبعة عشر يوماً ثم انتقض عليه جرحه ثلاتة أيام من جمادي الأولى من هذه السنة .

ف لما حلَّت في شوال خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى نفسها بنفسه الكريمة وبعث إليها عمر بن الخطاب في ذلك مراراً ، فتذمَّرَتْ كِرْنَاهُ امرأة غيري ، أى شديدة الغيرة وأنها مُصَبِّبة ، أى لها صبيان يشغلونها عنه ويحتاجون إلى مؤنة تحتاج معها أن تعمل لهم في قوتهم ، فقال : أما المصيبة فإلى الله وإلى رسوله . أى نفقتهم ليس إليك ، وأما الفيرة فأدعوا الله فيذهبها .

فاذدلت في ذلك وقالت لعمر آخر ما قال له : قم فزوِّج النبيَّ صلى الله عليه وسلم . تعنى قد رضيت وأذنت .

فتوجه بعض العلماء أنها تقول لأنها عمر بن أبي سلمة ، وقد كان إذ ذاك صغيراً لا يلي مثله العقد ، وقد جمعت في ذلك جزءاً مفرداً يبيَّنُ فيه الصواب في ذلك . والله الحمد والمنة . وأن الذي ولَى عقدها عليه ابنها سلمة بن أبي سلمة ، وهو أكبر ولدها .

وساغ هذا لأن آباء ابن عمها ، فلابن ولاية أمه إذا كان سبباً لها من غير جهة البنوة بالإجماع . وكذا إذا كان معتقاً أو حاكماً .

فَإِنَّمَا تَحْضُرُ الْبُنُوَّةَ فَلَا يَلِي بَهَا عَقْدُ النَّكَاحِ عَنْدَ الشَّافِعِيِّ وَحْدَهُ ، وَخَالِفُهُ الْثَّلَاثَةُ :
أَبُو حَنِيفَةَ وَمَالِكَ وَأَحْمَدَ رَحْمَةَ اللَّهِ . وَلِبَسْطِ هَذَا مَوْضِعٍ آخَرَ يَذْكُرُ فِيهِ ، وَهُوَ كِتَابُ
النَّكَاحِ مِنَ الْأَحْكَامِ الْكَبِيرِ . إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

* * *

قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ : حَدَّثَنَا يَوْنِسُ ، حَدَّثَنَا لَيْثٌ ، يَعْنِي ابْنَ سَعْدٍ ، عَنْ يَزِيدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ
بْنِ أَسْمَاءَ بْنِ الْهَادِ ، عَنْ عُمَرِ بْنِ أَبِي عُمَرٍ ، عَنِ الْمَطَّالِبِ ، عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ قَالَتْ : أَتَانِي
أَبُو سَلَمَةَ يَوْمًا مِّنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : لَقَدْ سَمِعْتَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَوْلًا سُرِّتْ بِهِ ، قَالَ : « لَا يَصِيبُ أَحَدًا مِّنَ الْمُسْلِمِينَ مَصِيبَةً فَيَسْتَرْجِعُ عِنْدَ
مَصِيبَتِهِ ثُمَّ يَقُولُ : اللَّهُمَّ آجِرْنِي فِي مَصِيبَتِي وَاخْلُفْ لِي خَيْرًا مِّنْهَا إِلَّا فَعَلَ بِهِ » . قَالَتْ
أُمِّ سَلَمَةَ : حَفِظْتَ ذَلِكَ مِنْهُ .

فَلَمَّا تَوَفَّ أَبُو سَلَمَةَ اسْتَرْجَعَتْ وَقَالَتْ : اللَّهُمَّ آجِرْنِي فِي مَصِيبَتِي وَاخْلُفْ لِي خَيْرًا مِّنْهَا
ثُمَّ رَجَعَتْ إِلَى نَفْسِي قَوْلَتْ : مَنْ أَيْنَ لِخَيْرٍ مِّنْ أَبِي سَلَمَةَ ؟
فَلَمَّا انْفَضَّتْ عَدَّتِي اسْتَأْذَنْتُ عَلَيْهِ رَسُولَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَا أَدْبَغُ إِهَا بَالِي ، فَفَسَّلَتْ
يَدِي مِنَ الْقَرْظِ وَأَذْنَتْ لَهُ ، فَوَضَعْتَ لَهُ وَسَادَةً أَدَمَ حَشْوَهَا لِيْفَ ، فَقَعَدَ عَلَيْهَا حَفْطَبَنِي إِلَى
نَفْسِي ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ مَقَالَتِهِ قَوْلَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ مَبِّيْ أَنْ لَا تَكُونَ بِكَ الرَّغْبَةُ ، وَلَكِنِّي
أَسْرَأَهُ بِيْ غَيْرَةً شَدِيدَةً ، فَأَخَافُ أَنْ تَرَى مِنِّي شَيْئًا يُعَذِّبُنِي اللَّهُ بِهِ ، وَأَنَا امْرَأَةٌ قَدْ دَخَلْتُ
فِي السُّنْنِ وَأَنَا ذَاتُ عِيَالٍ .

فَقَالَ : أَمَّا مَا ذَكَرْتِ مِنَ الْفَيْرَةِ فَسَيَذْهَبُهَا اللَّهُ عَنْكِ ، وَأَمَّا مَا ذَكَرْتِ مِنَ السُّنْنِ فَقَدْ
أَصَابَنِي مِثْلُ الَّذِي أَصَابَكِ ، وَأَمَّا مَا ذَكَرْتِ مِنْ عِيَالٍ فَإِنَّمَا عِيَالُكِ عِيَالٍ . قَوْلَتْ : فَقَدْ
سَلَّمَتُ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . قَوْلَتْ أُمِّ سَلَمَةَ : فَقَدْ أَبْدَلَنِي اللَّهُ بِأَبِي سَلَمَةَ خَيْرًا
مِنْهُ ، رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وقد رواه الترمذى والنسائى من حديث حماد بن سلامة ، عن ثابت ، عن عمر بن أبي سلامة ، عن أم سلامة عن أبي سلامة به . وقال الترمذى حسن غريب . وفى رواية للنسائى عن ثابت عن ابن عمر بن أبي سلامة عن أبييه . ورواه ابن ماجه عن أبي بكر بن أبي شيبة عن يزيد بن هارون ، عن عبد الملك بن قدامة الجعفى عن أبييه ، عن عمر بن أبي سلامة به .

* * *

وقال ابن إسحاق : ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم - يعنى من بدر الموعد - راجعاً إلى المدينة فأقام بها حتى مضى ذو الحجة وولى تلك الحجة المشركون وهى سنة أربع .

وقال الواقدى : وفي هذه السنة يعنى سنة أربع أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم

زيد بن ثابت أن يتعلم كتاب اليهود .

قلت : فثبتت عنه فى الصحيح أنه قال : تعلمه فى خمسة عشر يوماً . والله أعلم .

سنة خمس من الهجرة النبوية

غزوة دومة الجندي في ربيع الأول منها

قال ابن إسحاق : ثم غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم دومة الجندي ^(١) .

قال ابن هشام : في ربيع الأول - يعني من سنة خمس - واستعمل على المدينة سباع بن عرقطة الغفارى .

قال ابن إسحاق : ثم رجع إلى المدينة قبل أن يصل إليهم ولم يلق كيداً ، فأقام بالمدينة بقية سننته .

هكذا قال ابن إسحاق .

وقد قال محمد بن عمر الواقدى بإسناده عن شيوخه عن جماعة من السلف قالوا : أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يذهب إلى أدانى الشام ، وقيل له : إن ذلك مما يفزع قصر ، وذكر له أن بدومة الجندي جمماً كبيراً وأنهم يظلمون من مرأتهم ، وكان لها سوق عظيم ، وهم يريدون أن يذهبوا من المدينة .

فندب رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس ، نخرج في ألف من المسلمين ، فكان يسير اليميل ويستكمل النهار ، ومهـ دليل له من بنى عذرة يقال له مذكور ، هاد خريـت ^(٢) .

فلم يدأ من دومة الجندي أخبره دليلاً بسواء من بنى قيم ، فسار حتى هجم على ماشيتهـ ورعايـهم ، فأصابـ من أصـابـ وهـربـ من هـربـ في كل وجـهـ ، وجـاءـ الخبرـ أهـلـ دومـةـ الجنـديـ فـتـفـرـقوـاـ

(١) دومة : بضم الدال عند أهل اللغة ، وأصحاب الحديث يفتحونها . كذا في الصحاح . قال البكري : سميت بدومى بن إسماعيل ، وكان نزلاً . (شرح الواهب ٩٥ / ٢) .

(٢) الخريـت : الماهر بالهدـىـةـ .

فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بساحتهم فلم يتجد فيها أحداً ، فقام بها أياماً ، وبثَ السّرايا ، ثم رجموا وأخذ محمد بن سلامة رجلاً منهم فتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسألَه عن أصحابه فقال : هربوا أمس . فعرض عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم الإسلام فأسلم ، ورجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة .

قال الواقدي : وكان خروجه عليه السلام إلى دومة الجندي في ربيع الآخر^(١)

سنة خمس .

قال : وفيه توفيت أم سعد بن عبادة ، وابنها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الغزوة .

وقد قال أبو عيسى الترمذى في جامعه : حدثنا محمد بن بشار ، حدثنا يحيى بن سعيد ، عن سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة ، عن سعيد بن المسيب ، أن أم سعد ماتت والنبي صلى الله عليه وسلم غائب ، فلما قدم صلى عليها وقد مضى لذلك شهر . وهذا مرسل جيد ، وهو يقتضى أنه عليه السلام غاب في هذه الغزوة شهراً مما فوقه على ما ذكره الواقدى رحمة الله .

غزوة المئدق وهي غزوة الأحزاب

وقد أنزل الله تعالى فيها صدرَ سورة الأحزاب . فقال تعالى : « يأيها الذين آمنوا اذْكُرُوا نعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودًا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا ، وَجَنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا * إِذْ جَاءَكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ ، وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْخَنَاجِرَ وَتَظَاهَرُوا بِالظُّنُونِ ، هُنَالِكَ ابْتُلَىَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزَلُوا زُلْزَالًا »

(١) عند ابن جرير عن الواقدي : في ربيع الأول . وكذلك في تصرح الواهب : « وكان في شهر ربيع الأول على رأس تسعه وأربعين شهراً من الهجرة » وكانت رجوعه إلى المدينة في العشرين من ربيع الآخر .

شديداً * وإن يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرضٌ ما وعدنا الله ورسوله إلا غروراً * وإن قالت طائفةٌ منهم يا أهل يثرب لا مُقام لكم فارجعوا، ويستأذن فريق منهم النبيَّ يقولون إنَّ بيتوتنا عورَةً . وما هي بعورَةٍ إنْ يريدون إلا فراراً * ولو دُخلت عليهم منْ أقطارها ثم سُلُوا الفتنة لأتُوهَا وما تابُوا بها إلا يسيراً * ولقد كانوا عاهدوا الله منْ قبْلٍ لا يولُون الأدبارَ وكان عهدهم الله مسؤولاً * قل لن ينفعكم الفرارُ إن فررتُم من الموت أو القتل وإنَّا لا نُمتعنون إلا قليلاً * قل من ذا الذي يعصِّكم مِنَ الله إن أراد بكم سُوءاً أو أراد بكم رحمةً ولا يجدرُون لهم من دون الله ولِيَّا ولا نصيراً * قد يعلم الله المعوّقين منكم والقاتلتين لإخوانهم هلمَّ إلينا ولا يأتون بالأسِّ إلا قليلاً * أشِحَّةً عليكم فإذا جاء الخوفُ رأيَهم ينظرون إليك تدورُ أعينُهم كالذى يعشى عليه من الموت فإذا ذهب الخوفُ سَلَقوكم بالسُّنةِ حدادِ أشِحَّةً على الخير ، أولئك لم يؤمِّنوا فاحبطَ الله أعمالَهم وكان ذلك على الله يسيراً * يحسبون الأحزابَ لم يذهبوا وإنْ يأتِ الأحزابُ يودُوا له أهنَم بادون في الأعراب يَسْأَلُون عن أنباءِكم ولو كانوا فيكم ما قاتلوا إلا قليلاً * لقد كان لكم في رسول الله أسوةٌ حسنةٌ لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذَكْرُ الله كثيراً * ولما رأى المؤمنون الأحزابَ قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله ، وصدقَ الله ورسوله وما زادهم إلا إيماناً وتسليماً * من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فلهُم من قضى تحبهُ وهم منْ يَنْتَظِرُ وما بَدَّلُوا تبديلاً * ليجزِي الله الصادقين بصدقِهم ويعذِّب المنافقين إن شاء أو يتوبَ عليهم إن الله كان غفوراً رحيمًا * وردَّ الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً وكفى الله المؤمنين القتالَ وكان الله قويًا عزيزاً * وأنزلَ الذين ظاهروهم من أهل الكتاب مِنْ صياصِهم وقدَّفَ في قلوبهم الرعبَ ، فريقاً تقتلون وتأسِّرون فريقاً ، وأورثُوكم أرضَهم وديارهم وأموالهم وأرضاً لم تطأوها وكان الله على كل شيء قادرًا .

وقد تكلمنا على كل من هذه الآيات الكريمة في التفسير والله الحمد والمنة .

ولنذكر هاهنا ما يتعلّق بالقصة إن شاء الله وبه الثقة وعليه التكالّان .

* * *

وقد كانت غزوة الخندق في شوال سنة خمس من الهجرة نص على ذلك ابن إسحاق وعروة بن الزبير وقتادة والبيهقي وغير واحد من العلامة سلفاً وخلفاً . وقد روى موسى بن عقبة عن الزهرى أنه قال : ثم كانت وقعة الأحزاب في شوال سنة أربع .

وكذلك قال الإمام مالك بن أنس ، فيما رواه أحمد بن حنبل عن موسى بن داود عنه .

قال البيهقي : ولا اختلاف بينهم في الحقيقة ، لأن مرادهم أن ذلك بعد مضي أربع سنين وقبل استكمال خمس .

ولا شك أن المشركيين لما انصرفوا عن أحد واعدوا المسلمين إلى بدر العام القابل ، فذهب النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه كما تقدم في شعبان سنة أربع ورجع أبو سفيان بقرיש لجذب ذلك العام ، فلم يكونوا ليأتوا إلى المدينة بعد شهرين ، فتعيّن أن الخندق في شوال من سنة خمس . والله أعلم .

وقد صرّح الزهرى بأن الخندق كانت بعد أحد بستين . ولا خلاف أن أحداً في شوال سنة ثلاث ، إلا على قول من ذهب إلى أن أول التاريخ من محرم السنة الثانية لسنة الهجرة ، ولم يدّعوا الشهور الباقية من سنة الهجرة من ربيع الأول إلى آخرها ، كما حكاه البيهقي . وبه قال يعقوب بن سفيان الفسوئي ، وقد صرّح بأن بدرأً في الأولى ، وأحداً في سنة ثنتين ، وبدر الموعد في شعبان سنة ثلاث ، والخندق في شوال سنة أربع . وهذا خالف لقول الجمهور ، فإن المشهور أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب جعل أول

التاريخ من محرم سنة الهجرة ، وعن مالك من ربيع الأول سنة الهجرة ، فصارت الأقوال ثلاثة والله أعلم .

والصحيح قول الجمهور : أن أحداً في شوال سنة ثلاط ، وأن الخندق في شوال سنة خمس من الهجرة والله أعلم .

فاما الحديث المتفق عليه في الصحيحين من طريق عبيد الله عن نافع ، عن ابن عمر أنه قال : عرضت على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد وأنا ابن أربع عشرة سنة فلم يجزني ، وعرضت عليه يوم الخندق وأنا ابن خمس عشرة فأجازني . فقد أجاب عنها جماعة من العلماء منهم البهقي بأنه عرض يوم أحد في أول الرابعة عشرة ، ويوم الأحزاب في أواخر الخامسة عشرة .

قلت : ويحتمل أنه أراد أنه لما عرض عليه في يوم الأحزاب كان قد استكملا خمس عشرة سنة التي يجاز لشلها الغلامان ، فلا يبقى على هذا زيادة عليهما .

ولهذا لما بلغ نافع عمر بن عبد العزيز هذا الحديث قال : إن هذا الفرق بين الصغير والكبير . ثم كتب به إلى الآفاق واعتمد على ذلك جمهور العلماء . والله أعلم .

* * *

وهذا سياق القصة مما ذكره ابن إسحاق وغيره .

قال ابن إسحاق : ثم كانت غزوة الخندق في شوال سنة خمس .

خذثني يزيد بن رومان ، عن عروة ومن لأئتهم ، عن عبيد^(١) الله بن كعب بن مالك ومحمد بن كعب القرظى والزهرى ، وعاصم بن عمر بن قتادة ، وعبد الله بن أبي بكر وغيرهم من علمائنا . وبعضهم يحدث مالا يحدث بعض . قالوا :

إنه كان من حديث الخندق : أن نفراً من اليهود منهم سلام بن أبي الحقيق النضرى ، وحيى بن أخطب النضرى ، وكنانة بن الربع بن أبي الحقيق ، وهوذة بن قيس

(١) ابن هشام : عبد الله بن كعب .

الوائل ، وأبو عمار الوائل ، في نفر من بنى النضير ونفر من بنى وائل ، وهم الذين حزّبوا الأحزاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، خرجوا حتى قدموا على قريش بمكة فدعوهم إلى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا : إنا سنكون معكم عليه حتى نستأصله .
فقالت لهم قريش : يامعشر يهود إنكم أهل الكتاب الأول والعلم بما أصبحنا مختلف فيه نحن و محمد ، أفادينا خيراً أم دينه ؟

قالوا : بل دينكم خير من دينه ، وأنتم أولى بالحق منه .

فهم الذين أنزل الله فيهم : « ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمّنون بالجحّة والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهداي من مِن الذين آمنوا سبيلاً . أولئك الذين لعنهم الله ، ومن يأْلِعْنَ الله فلن تجده له نصيراً^(١) » الآيات .

فَلَمَا قَالُوا ذَلِكَ لِقَرِيشٍ سَرَّهُمْ وَنَسْطَوْا لِمَا دَعَوْهُمْ إِلَيْهِ مِنْ حَرْبٍ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فاجتمعوا بذلك واتّعدوا له .

ثُمَّ خَرَجَ أُولَئِكَ النَّفَرُ مِنْ يَهُودَةِ حَتَّى جَاءُوا غَطْفَانَ مِنْ قِيسِ عَيْلَانَ ، فَدَعَوْهُمْ إِلَى حَرْبِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم وَأَخْبَرُوهُمْ أَنَّهُمْ يَكُونُونَ^(٢) مَعْهُمْ عَلَيْهِ ، وَأَنْ قَرِيشًا قد تابَعُوهُمْ عَلَى ذَلِكَ وَاجْتَمَعُوا مَعْهُمْ فِيهِ .

خَرَجَتْ قَرِيشٌ وَقَائِدَهَا أَبُو سَفِيَّانٌ ، وَخَرَجَتْ غَطْفَانٌ وَقَائِدَهَا عَيْمَةُ بْنُ حِصْنٍ بْنُ حَذِيفَةَ بْنَ بَدْرٍ فِي بَنِي فَزَارَةِ وَالْحَارِثَ بْنَ عَوْفٍ بْنَ أَبِي حَارَثَ الْمُرْغَى فِي بَنِي مَرَّةَ ، وَمِسْعَرَ بْنَ رُخَيْلَةَ بْنَ نُوَيْرَةَ بْنَ طَرِيفَ بْنَ سُحْمَةَ بْنَ عَبْدِ اللهِ بْنِ هَلَالَ بْنِ خَلَوَةَ بْنِ أَشْجَعَ بْنِ رَبِيعَ بْنِ غَطْفَانَ فِيمَنْ تَابَعَهُ مِنْ قَوْمِهِ مِنْ أَشْجَعَ .

فَلَمَّا سَمِعْ بِهِمْ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم وَمَا أَجْعَوْهُمْ مِنْ الْأَمْرِ ضَرَبَ الْخَنْدَقَ عَلَى الْمَدِينَةِ .

(٢) ابن هشام : سيكرونون .

(١) سورة النساء .

قال ابن هشام : يقال إن الذى أشار به سلمان .

قال الطبرى والسمهلى : أول من حفر الخنادق : منوشهر بن أيرج بن أفریدون .
وكان فى زمان موسى عليه السلام .

قال ابن إسحاق : فعمل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ترغيباً لل المسلمين في الأجر ،
و عمل معه المسلمين ، و تختلف طائفة من المذاقين يعتقدون بالضعف ^(١) ، ومنهم من ي Gonzel
خفية غير إذنه ولا علمه عليه الصلاة والسلام .

و قد أنزل الله تعالى في ذلك قوله تعالى « إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله و رسوله ،
و إذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه ، إن الدين يستأذنونك أولئك
الذين يؤمنون بالله و رسوله ، فإذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لهم شئت منهم واستغفر
لهم الله إن الله غفور رحيم * لا تجعلوا دعاء الرسول بغيركم كدعاء بعضكم ببعض قد يعلم
الله الذين يتسللون منكم لواذا ، فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيّبهم فتنـة
أو يصيّبهم عذاب أليم ، إلا إن الله ما في السماوات والأرض قد يعلم ما أنت عليه ، ويوم
يُرجمون إليه فبيّن لهم بما عملوا والله بكل شيء عالم ^(٢) » .

قال ابن إسحاق : فعمل المسلمون فيه حتى أحکموه ، وارتजروا فيه برجل من المسلمين
يقال له جعيل سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عمراً ، فقالوا فيها يقولون :
سماه من بعد جعيل عمراً وكان للبائس يوماً ظهراً ^(٣)
و كانوا إذا قالوا : عمراً . قال معهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : عمراً . وإذا قالوا
ظهراً قال لهم : ظهراً .

* * *

(١) ابن هشام : وجعلوا يورون بالضعف من العمل . (٢) سورة النور .

(٣) ظهر : قوة و معونة .

وقد قال البخاري : حدثنا عبد الله بن محمد ، حدثنا معاوية بن عمرو ، حدثنا أبو إسحاق ، عن حميد ، سمعت أنساً قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الخندق ، فإذا المهاجرون والأنصار يحفرون في غداة باردة ولم يكن لهم عبيد يعملون ذلك لهم ، فلما رأى مابهم من النصب والجوع قال : « اللهم إن العيش عيش الآخرة ، فاغفر للأنصار والمهاجره » فقالوا مجيبين له :

نَحْنُ الَّذِينَ بَايَعُوا مُحَمَّدًا عَلَى الْجَهَادِ مَا بَقِيَنَا أَبْدًا

وفي الصحيحين من حديث شعبة ، عن معاوية بن قرعة عن أنس . نحوه .

وقد رواه مسلم من حديث حماد بن سلمة عن ثابت وحميد عن أنس ، بنحوه .

وقال البخاري : حدثنا أبو معمر ، حدثنا عبد الوارث ، عن عبد العزيز ، عن أنس

قال : جعل المهاجرون والأنصار يحفرون الخندق حول المدينة وينقلون التراب على
مُتُونْهِمْ وَيَقُولُونَ :

نَحْنُ الَّذِينَ بَايَعُوا مُحَمَّدًا عَلَى الْإِسْلَامِ مَا بَقِيَنَا أَبْدًا

قال : يقول النبي صلى الله عليه وسلم مجبياً لهم : « اللهم إنه لا خير إلا خير الآخرة ،

فبارك في الأنصار والمهاجره » .

قال : يُؤثرون بعلمه كفى من الشعير فيصنع لهم بآهلاة سنخة^(١) توضع بين يدي

القوم والقوم جياع ، وهي بشعة في الخلق ولها ريح منتن !

وقال البخاري : حدثنا قتيبة بن سعيد ، حدثنا عبد العزيز بن^(٢) أبي حازم ، عن

سهل بن سعد ، قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخندق وهم يحفرون ،

ونحن ننقل التراب على أكتادنا^(٣) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(١) الآهله : الودكة . والسنخة : النفقة الربيع الفاسدة الطعم .

(٢) البخاري : عن أبي حازم . وهو أبو عبد العزيز .

(٣) الأكتاد : جمع كتاد ، وهو ما بين الكامل إلى الظاهر .

« اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة ، فاغفر لله مساجرين والأنصار » .

ورواه مسلم عن القعبي ، عن عبد العزيز به .

وقال البخاري : حدثنا مسلم بن إبراهيم ، حدثنا شعبة ، عن أبي إسحاق ، عن البراء ابن عازب ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينقل التراب يوم الخندق حتى أغمراً بطنه ، أو أغبراً بطنه يقول :

وَاللَّهِ لَوْلَا اللَّهُ مَا اهتَدَنَا وَلَا تَصَدَّقَنَا وَلَا صَلَيْنَا
 فَأَنْزَلْنَا سَكِينَةً عَلَيْنَا وَثَبَّتْ الْأَقْدَامَ إِنْ لَاقَنَا
 إِنَّ الْأَلْى قَدْ بَغَوْا عَلَيْنَا إِذَا أَرَادُوا فِتْنَةً أَبَيْنَا

ورفع بها صوته : أبینا ، أبینا .

ورواه مسلم من حديث شعبة به .

ثم قال البخاري : حدثنا أحمد بن عثمان ، حدثنا شريح بن مسلمة ، حدثني إبراهيم ابن يوسف ، حدثني أبي ، عن أبي إسحاق ، عن البراء يحدث قال : لما كان يوم الأحزاب وخندق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، رأيته ينقل من تراب الخندق حتى وارى عن التراب جلدته بطنه ، وكان كثير الشعر ، فسمعته يرتجز بكلمات عبد الله بن رواحة وهو ينقل من التراب يقول :

اللَّهُمَّ لَوْلَا أَنْتَ مَا اهتَدَنَا وَلَا تَصَدَّقَنَا وَلَا صَلَيْنَا
 فَأَنْزَلْنَا سَكِينَةً عَلَيْنَا وَثَبَّتْ الْأَقْدَامَ إِنْ لَاقَنَا
 إِنَّ الْأَلْى قَدْ بَغَوْا عَلَيْنَا وَإِنْ أَرَادُوا فِتْنَةً أَبَيْنَا

ثم يمد صوته بأخرها .

وقال البيهقي في الدلائل : أخبرنا علي بن أحمد بن عبدان ، أخبرنا أحمد بن عبيد الصفار ، حدثنا إسماعيل بن الفضل البجلي ، حدثنا إبراهيم بن يوسف البلكخي ، حدثنا

السيّب بن شريك ، عن زياد بن أبي زياد ، عن أبي عمان ، عن سهان ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب في الخندق وقال :

بِاسْمِ اللَّهِ وَبِهِ هُدِينَا وَلَوْ عَبَدْنَا غَيْرَهُ شَقِيقِنَا
يَاحْبَذَا رَبِّا وَحْبَ دِينَا

وهذا حديث غريب من هذا الوجه .

وقال الإمام أحمد : حدثنا سليمان ، حدثنا شعبة ، عن معاوية بن قرفة ، عن أنس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهم يحفرون الخندق : « اللهم لا خير إلا خير الآخرة ، فأصلح الأنصار والهاجره ». وأخر جاه في الصحيحين من حديث غندر ، عن شعبة .

* * *

قال ابن إسحاق : وقد كان في حفر الخندق أحاديث بلغتني ، من الله فيها عبرة في تصديق رسول الله صلى الله عليه وسلم وتحقيق نبوته ، عاين ذلك المسلمون . فن ذلك : أن جابر بن عبد الله كان يحدث أنه اشتتد عليهم في بعض الخندق كذبة ^(١) ، فشكوها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعى بإثناء من ماء فقتل فيه ثم دعا بما شاء الله أن يدعو به ، ثم نضح الماء على تلك الكذبة ، فيقول من حضرها : هو الذي به شه بالحق لأنها لاتحيط حتى عادت كالكتيب ماترداً فأساً ولا مسحة . هكذا ذكره ابن إسحاق منقطعًا عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه .

وقد قال البخاري رحمه الله : حدثنا خالد بن يحيى ، حدثنا عبد الواحد بن أيمن ، عن أبيه ، قال : أتيت جابرًا فقال : إنا يوم الخندق نحفر فعرضت كذبة شديدة فجاوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا : هذه كذبة عرضت في الخندق ، فقال : أنا نازل .

(١) الــكذبة : القطعة الصلبة من الأرض لا يحمل فيها المول .

ثم قام وبطنه معصوب بحجر ، ولبئنا ثلاثة أيام لا نذوق ذوقاً^(١) ، فأخذ النبي صلى الله عليه وسلم المِعْول فضرب فعاد كثيباً أهيل أو أهيم^(٢) .

فقلت : يا رسول الله ائذن لي إلى البيت . فقلت لامرأة : رأيت بالنبي صلى الله عليه وسلم شيئاً ما كان في ذلك صابر ، فمضى لك شيء؟ قالت : عندى شعير وعنق^(٣) ، فذبحت العنق وطحنت الشعير حتى جعلنا اللحم في البرمة^(٤) ، ثم جئت النبي صلى الله عليه وسلم والمعجین قد انكسرت البرمة بين الأثافي^(٥) قد كادت أن تنضج ، فقلت : طعيم لي^(٦) فقم أنت يا رسول الله ورجل أو رجلان . قال : كم هو؟ فذكرت له ، فقال : كثير طيب ، قل لها لا تَنْزَعُ البرمة ولا الخبز من التفور حتى آتني . فقال : قوموا . حقام المهاجرون والأنصار .

فلا دخل على أمرأته قال : ويحك! جاء النبي صلى الله عليه وسلم بالمهاجرين والأنصار ومن معهم . قالت : هل سألكت؟ قلت : نعم . فقال : ادخلوا ولا تضاغطوا ، فجعل يكسر الخبز ويجعل عليه اللحم ويختمر^(٧) البرمة والتفور إذا أخذ منه ، ويقرب إلى أصحابه ، ثم ينزع . فلم يزل يكسر الخبز ويعرف حتى شبعوا وبقي بقية . قال : كل هذا وأهدي ، خبان الناس أصابتهم مجاعة .

تفرد به البخاري .

* * *

وقد رواه الإمام أحمد ، عن وكيع ، عن عبد الواحد بن أبيه ، عن أبيه

(١) ذوقاً : شيئاً من ما كُول أو مشروب . (٢) الأهيل أو الأهيم : السائل .

(٣) العنق : الأنف من ولد الماعز .

(٤)

البرمة

: القدر .

(٥)

الأثافي

: حجارة

ثلاثة

توضع

عليها

القدر .

(٦) طعيم : تصغير طعام : لتقليله .

(٧) يختمر : يغطى .

أَيْمَنُ الْجَبَشِيُّ مَوْلَى بَنِي مَخْزُومٍ ، عَنْ جَابِرٍ بِقَصْةِ السَّكْدُونِيَّةِ وَرَبَطَ الْحَجَرَ عَلَى
بَطْنِهِ الْكَرِيمِ .

وَرَوَاهُ الْبَيْهِيقِيُّ فِي الدَّلَائِلِ ، عَنِ الْحَاكَمِ ، عَنِ الْأَصْمَمِ ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ الْجَبَارِ ،
عَنْ يُونُسَ بْنِ بُكَيْرٍ ، عَنْ عَبْدِ الْوَاحِدِ بْنِ أَيْمَنٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ جَابِرٍ ، بِقَصْةِ السَّكْدُونِيَّةِ
وَالطَّعَامِ . وَطُولُهُ أَتْمَّ مِنْ رِوَايَةِ الْبَخَارِيِّ قَالَ فِيهِ : لَمَّا عَلِمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَدَارِ
الطَّعَامِ قَالَ لِلْمُسْلِمِينَ جِيَّمًا : قَوْمُوا إِلَى جَابِرٍ . فَقَامُوا ، قَالَ : فَلَقِيتُ مِنَ الْحَيَاةِ مَا لَا يَعْلَمُهُ
إِلَّا اللَّهُ ، وَقَلَتْ : جَاءَنَا بِخَلْقٍ عَلَى صَاعٍ مِنْ شَعِيرٍ وَعَنَاقٍ . وَدَخَلَتْ عَلَى امْرَأَتِي أَقُولُ :
أَفَضَحْتِ ، جَاءَكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَنْتِدِقَ أَجْمَعِينَ ، فَقَالَتْ : هَلْ كَانَ
سَأْلَكَ كَمْ طَعَامَكَ ؟ قَلَتْ : نَعَمْ . فَقَالَتْ : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمْ .

قَالَ : فَكَشَفَتْ عَنِي غَيْرًا شَدِيدًا ، قَالَ : فَدَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ :
خَدْمًا وَدَعْيَنِي مِنَ الْلَّحْمِ . وَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُثْرِدُ وَيَغْرِفُ الْلَّحْمَ
وَيَخْمَرُ هَذَا وَيَخْمَرُ هَذَا ، فَازَالَ يَقْرَبُ إِلَى النَّاسِ حَتَّى شَبَعُوا أَجْمَعِينَ وَيَعُودُ التَّنَوُّرُ
وَالْقِدْرُ أَمْلَأُ مَا كَانَا !

ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : كُلُّ وَأَهْدِي . فَلَمْ تَزُلْ تَأْكُلْ وَتَهْدِي يَوْمَها .
وَقَدْ رَوَاهُ كَذَلِكَ أَبُو بَكْرَ بْنَ أَبِي شِبَّةَ ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْخَارِبِيِّ ، عَنْ
عَبْدِ الْوَاحِدِ بْنِ أَيْمَنٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ جَابِرٍ بْنِ أَبِي زَبَّاطٍ أَيْضًا ، وَقَالَ فِي آخِرِهِ : وَأَخْبَرَنِي
أَنَّهُمْ كَانُوا ثَمَانَمِائَةً أَوْ قَالَ : ثَلَاثَمِائَةً .

وَقَالَ يُونُسَ بْنَ بُكَيْرٍ ، عَنْ هَشَامِ بْنِ سَعْدٍ ، عَنْ أَبِي الزِّيَّرِ ، عَنْ جَابِرٍ . فَذَكَرَ
الْقَصْةَ بِطُولِهِ فِي الطَّعَامِ فَقَطَ وَقَالَ : وَكَانُوا ثَلَاثَمِائَةً .

* * *

ثُمَّ قَالَ الْبَخَارِيُّ : حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ عَلِيٍّ ، حَدَّثَنَا أَبُو عَاصِمٍ ، حَدَّثَنَا حَنْظَلَةُ بْنُ أَبِي

سفيان ، عن أبي الزبير ، حدثنا ابن ميناء ، سمعت جابر بن عبد الله قال : لما حفر الخندق رأيت من النبي صلي الله عليه وسلم خصاً^(١) ، فانكفت إلى امرأة قلت : هل عندك شيء ، فإني رأيت برسول الله صلي الله عليه وسلم خصاً شديداً ؟ فاخرجت لي جريراً فيه صاع من شعير ولنا بهيمة داجن^(٢) ، فذبحتها ، فطحنت ، ففرغت إلى فراغي ، وقطعتها في برمتها ، ثم وليت إلى رسول الله صلي الله عليه وسلم ، فقالت : لا تفضحني برسول الله صلي الله عليه وسلم وبين معه ، فجئت فسأرته فقالت : يا رسول الله ذبحت بهيمة لنا ، وطحنت صاعاً من شعير كان عندنا ، فتعال أنت ونفر معاك . فصاح رسول الله صلي الله عليه وسلم فقال : يا أهل الخندق إن جابر قد صنع سؤراً^(٣) فيهم لا بكم . فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم : لا تنزلُنْ^(٤) برمتكم ولا تخربن عجينكم حتى أجيء .

فجئت وجاء رسول الله صلي الله عليه وسلم يقدّم الناس ، حتى جئت امرأة فقالت : بك وبك . قلت : قد فعلت الذي قلت . فاخرجت لنا عجيناً فبسق فيه وبارك ، ثم عمد إلى برمتنا فبسق وبارك ، ثم قال : ادع خبازة فلتخبز معك ، واقدحى^(٥) من برمتك ولا تنزلوها .

وهم ألف ، فأقسم بالله لاكلوا حتى تركوه وانحرروا ، وإن برمتنا لتنغط^(٦) كما هي وإن عجيناً كما هو .

ورواه مسلم عن حجاج بن الشاعر ، عن أبي عاصم به نحوه .

* * *

(١) الخمس : ضمور البطن من الجموع . (٢) البهيمة : بضم الباء تصغير بهمة وهي الصغير ومن أولاد الفنم . والداجن : ما يربى في البيوت من الفنم ولا تخرج إلى المراعي .

(٣) سؤراً : يروى بالهمزة ، وفي اليونانية يتركتها : وهو الطعام الذي يدعى إليه ، وهي لفظة فارسية ، وهذا دليل على تكلم الرسول بالفارسية . والسؤور بالهمز : البقية .

(٤) اقدحى : اغرف .

(٥) تنغط : نفور بحيث يسمع لها غطيط .

وقد روی محمد بن إسحاق هذا الحديث وفي سياقه غرابة من بعض الوجوه فقال : حدثني سعيد بن ميناء ، عن جابر بن عبد الله ، قال : عملنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخندق ، وكانت عندي شويهة غير جد سمينة ، قال : فقلت : والله لو صنعتها لرسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : وأمرت امرأتي فطحنت لنا شيئاً من شعير فصنعت لنا منه خبزاً وذبحت تلك الشاة فشويناها لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

فلما أمسينا وأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم الانصراف عن الخندق ، قال : وكنا نعمل فيه نهاراً فإذا أمسينا رجعنا إلى أهالينا ، فقلت : يا رسول الله إنني قد صنعت لك شويهة كانت عندي وصنعتها منها شيئاً من خبز هذا الشعير ، فأنا أحب أن تصرف معي إلى منزلني . قال : وإنما أريد أن ينصرف معي رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده . قال : فلما أُنْ قلت ذلك قال : نعم . ثم أمر صارخاً فصرخ : أن انصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيت جابر بن عبد الله . قال : قلت : إن الله وإنما إليه راجعون !

قال : فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقبل الناس معه ، فجلس وأخرجنها إليه ، قال : فبرأك وسمّي الله تعالى ، ثم أكل ، وتواردها الناس كلما فرغ قوم قاموا وجاء ناس ، حتى صدر أهل الخندق عنها .

والعجب أن الإمام أحمد إنما رواه من طريق سعيد بن ميناء ، عن يعقوب بن إبراهيم بن سعد ، عن أبيه ، عن ابن إسحاق عنه ، عن جابر مثله سواء .

قال محمد بن إسحاق : وحدثني سعيد بن ميناء ، أنه قد حدث أن ابنة بشير بن سعد أخت النعسان بن بشير قالت : دعنتي أمي عمرة بنت رواحة ، فأعطيتني حفنة من تمر في ثوبى ، ثم قالت : أئ بذنية اذهبى إلى أبيك وحالك عبد الله بن رواحة بعدهما . قالت : فأخذتها وانطلقت بها .

فرزت برسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أنفس أبي وحالي ، فقال : تعالى يا بنية
ما هذا معك ؟ قالت : قلت : يارسول الله هذا تم بعنتني به أمي إلى أبي بشير بن سعد وحالى
عبد الله بن رواحة يتغديانه . فقال : هاتيه . قالت : فصبيته في كف رسول الله صلى الله
عليه وسلم فما ملأتهما .

نعم أمر بثوب فبسط له ، ثم دحا بالتمر عليه فتبدد فوق الثوب ، ثم قال لإنسان عنده :
اخرج في أهل الخندق أن هلم إلى الغداء .

فاجتمع أهل الخندق عليه ، فعملوا يأكلون منه وجعل يزيد ، حتى صدر أهل الخندق
عنه وإنه ليسقط من أطراف الثوب .

هكذا رواه ابن إسحاق وفيه اتفاق ، وهكذا رواه الحافظ البهقي من طريقه
وإنما يزيد .

* * *

قال ابن إسحاق : وحُدثت عن سلمان الفارسي أنه قال : ضربت في ناحية من
الخندق فغلظت على صخرة ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم قريب مني ، فلما رأني
اضرب ورأى شدة المكان على نزل فأخذ للمعول من يدي فضرب به ضربة لمعت تحت
المعول برقة ، ثم ضرب به ضربة أخرى فلمعت تحته برقة أخرى ، قال : ثم ضرب به
الثالثة فلمعت برقة أخرى ، قال : قلت : بأبي أنت وأمي يارسول الله ! ما هذا الذي رأيت
لمع تحت المعول وأنت تضرب ؟ قال : أو قد رأيت ذلك ياسدان ؟ قال : قلت : نعم . قال :
أما الأولى فإن الله فتح على باب اليمن ، وأما الثانية فإن الله فتح على باب الشام والمغرب ،
وأما الثالثة فإن الله فتح على بها المشرق .

قال البهقي : وهذا الذي ذكره ابن إسحاق قد ذكره موسى بن عقبة في مغازيه ،
وذكره أبو الأسود عن عروة .

ثم روی البیهقی من طریق محمد بن یونس الکدیی وفی حدیثه نظر . لکن رواه
ابن جریر فی تاریخه عن محمد بن بشار وبندار ، کلاماً عن محمد بن خالد بن عثمة ، عن
کثیر بن عبد الله بن عمرو بن عوف المزنی ، عن أبيه عن جده ، فذ کر حدیثنا فیه أَن
رسول الله صلی الله علیه وسلم خط الخندق بین كل عشرة أربعین ذراعًا قال : واحتفق
المهاجرون والأنصار فی سلمان ، فقال رسول الله صلی الله علیه وسلم : سلمان معا
أهل البيت .

قال عمرو بن عوف : فكفت أنا وسلمان وحديفة والمعان بن مقرن وستة من الأنصار في أربعين ذراعاً ، ففربنا حتى إذا بلغنا الندى ظهرت لنا صخرة بيضاء مَرْوَة ، فكسرتْ حديداً وشققت علينا ، فذهب سلمان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في قبة تركية ، فأخبره عنها ، فجاء فأخذ المعلول من سلمان فضرب الصخرة ضربةً صدعاً لها، وبرقت منها برقية أضاءت ما بين لا بَيْنَهَا - يعني المدينة - حتى كأنها مصباح في جوف ليل مظلم ، فكبَرَ رسول الله صلى الله عليه وسلم تكبيرَ فتح وكبار المسلمين ، ثم ضربها الثانية فكذلك ، ثم الثالثة فكذلك . وذكر ذلك سلمان والمسلمون لرسول الله صلى الله عليه وسلم وسأله عن ذلك النور ، فقال : لقد أضاء لي من الأولى قصورُ الحيرة ومدائن كسرى كأنها أنبياء الكلاب ، فأخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة عليها ، ومن الثانية أضاءت القصور الحمر من أرض الروم كأنها أنبياء الكلاب ، وأخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة عليها . ومن الثالثة أضاءت قصور صناعات كأنها أنبياء الكلاب ، وأخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة عليها فأبشروا ، واستبشر المسلمون وقالوا : الحمد لله موعد صادق . قال : ولما طلعت الأحزاب قال المؤمنون : هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيماناً وتسليماً . وقال المنافقون : يخبركم أنه يبصر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى وأنها تفتح لكم ، وأنتم تحفرون الخندق لا تستطرون أن تبزرو !

نزل فيهم « وَإِذْ يَقُولُ الْمَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرْضٌ مَا وَعَدْنَا اللَّهُ وَرَسُولَهُ إِلَّا غَرْوَرًا ». .

وهذا حديث غريب .

* * *

وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني : حدثنا هارون بن ملول ، حدثنا أبو عبد الرحمن ، حدثنا عبد الرحمن بن زياد ، عن عبد الله بن يزيد ، عن عبد الله بن عمرو ، قال : لما أسر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخندق فخندق على المدينة قالوا : يا رسول الله إنا وجدنا صفة لا نستطيع حفرها . فقام النبي صلى الله عليه وسلم وقتنا معه ، فلما أتتها أخذ المغول ضرب به ضربة وكبّر ، فسمعت هدة لم أسمع مثلها قط فقال : فتحت فارس . ثم ضرب أخرى فكبّر فسمعت هدة لم أسمع مثلها قط ، فقال : جاء الله بحمير أعواً وأنصارا . وهذا أيضاً غريب من هذا الوجه . وعبد الرحمن بن زياد بن أنعم الإفريقي فيه ضعف قال الله أعلم .

وقال الطبراني أيضاً : حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل ، حدثني سعيد بن محمد الجرمي حدثنا أبو نمیله ، حدثنا نعيم بن سعيد الغري ، أن عكرمة حدث عن ابن عباس قال : احتقر رسول الله صلى الله عليه وسلم الخندق ، وأصحابه قد شدوا الحجارة على بطونهم من الجوع ، فلما رأى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : هل دللتكم على رجل يطعمنا أكلة ؟ قال رجل : نعم . قال : أما لا فقدم فدلنا عليه . فانطلقوا إلى [بيت] الرجل ، فإذا هو في الخندق يعالج نصبه منه ، فأرسلت امرأته أن جيء ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أتانا . فجاء الرجل يسعى وقال : بأبي وأمي ، وله معزة

ومعها جذبها فوثب إليها فقال النبي صلى الله عليه وسلم : الجدي من ورائها فذبح الجدي ، وعمدت المرأة إلى طحينة لها فعجبتها وخبرت فأدركت القدر فثرت قصعتها فقربتها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم أصبعه فيها وقال : بسم الله اللهم بارك فيها اطعموا . فأكلوا منها حتى صدوا ولم يأكلوا منها إلا ثلثها وبقي ثلثاها . فسرح أولئك العشرة الذين كانوا معه أن اذهبوا وسرّحوا إليها بعد تكيم . فذهبوا فجاء أولئك العشرة فأكلوا منها حتى شبعوا ، ثم قام ودعا لرب البيت وسمّت^(١) عليها وعلى أهل بيتهما ، ثم مشوا إلى الخندق فقال : اذهبوا بنا إلى سلمان ، وإذا صخرة بين يديه قد ضعف عنها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : دعوني فأكون أول من ضربها . فقال : بسم الله . فضررها فوقعت فلقة ثلثها فقال : الله أكبر قصور الشام ورب الكعبة ، ثم ضرب أخرى فوقعت فلقة فقال : الله أكبر قصور فارس ورب الكعبة .

فقال عندها المتألقون : نحن نخندق على أنفسنا وهو يَعْدُنَا قصور فارس والروم .

ثم قال الحافظ البهقي : أخبرنا علي بن أحمد بن عبدان ، أخبرنا أبو محمد بن عبيدة الصفار ، حدثنا محمد بن غالب بن حرب ، حدثنا هودة ، حدثنا عوف ، عن ميمون بن أستاذ الزهرى ، حدثني البراء بن عازب الأنصارى ، قال : إما كان حين أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بمحفر الخندق عرض لنا في بعض الخندق صخرة عظيمة شديدة لا تأخذ فيها المعاول ، فشكوا ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رأها أخذ المعاول وقال : بسم الله وضرب ضربة فكسر ثلثها وقال : الله أكبر أعطيت مفاتيح الشام والله إنى لأبصر قصورها أحمر إن شاء الله ، ثم ضرب الثانية فقطع ثلثا آخر فقال : الله أكبر أعطيت مفاتيح فارس والله إنى لأبصر قصر المداشر الأبيض ، ثم ضرب الثالثة فقال : بسم الله فقطع بقية الحجر فقال : الله أكبر أعطيت مفاتيح اليمن . والله إنى لأبصر أبواب صنعاء من مكانى الساعة .

(١) سمت : ذكر الله .

وهذا حديث غريب أيضاً تفرد به ميمون بن أستاذ هذا ، وهو بصرى روى عن البراء وعبد الله بن عمرو ، وعن حميد الطويل والجبريرى وعوف الأعرابى . قال أبو حاتم عن إسحاق بن منصور عن ابن معين : كان ثقة . وقال على بن المدينى : كان يحيى بن سعيد القطان لا يحده ث عنه .

وقال النسائى : حدثنا عيسى بن يونس ، حدثنا ضمرة ، عن أبي زرعة السَّيْبَانِى ، عن أبي سكينة رجل من البحرين ، عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال : لما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بمحفر الخندق عرضت لهم صخرة حالت بينهم وبين الخفر ، فقام النبي صلى الله عليه وسلم وأخذ المِعْوَلَ ووضع رداءه ناحية الخندق وقال : « وتمت كَلَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلَمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ » فندر ثلاث الحجر ، وسلمان الفارسى قاوم ينظر فبرق مع ضربة رسول الله صلى الله عليه وسلم برقه ، ثم ضرب الثانية وقال : « وتمت كَلَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلَمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ». فندر الثالث الآخر وبرقت برقه فرأها سلمان ، ثم ضرب الثالثة وقال : « وتمت كَلَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلَمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ». فندر الثالث الباقي .

وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذ رداءه وجلس . فقال سلمان : يا رسول الله رأيتك حين ضربت لا تضرب ضربة إلا كانت معها برققة . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا سلمان رأيت ذلك ؟ قال : إى والذى بعثك بالحق يا رسول الله .

قال : فإني حين ضربت الضربة الأولى رفعت لي مدائن كسرى وما حولها ومدائن كثيرة ، حتى رأيتها بعينى . فقال له من حضره من أصحابه : يا رسول الله ادع [الله] أن يفتحها علينا ويفتحنا ذراراً بهم ونخرب بأيدينا بلا دهم . فدعاه بذلك . قال : ثم ضربت الضربة الثانية ، فرفعت لي مدائن قيسر وما حولها حتى رأيتها

بعيني . قالوا : يارسول الله ادع الله أن يفتحها علينا ويعنمنا ذرارتهم ونخرب بأيديينا بلادهم . فدعا .

نعم قال : ثم ضربت الضربة الثالثة فرفعت لى مدائن الحبشة وما حولها من القرى حتى رأيتها بعيني . نعم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « دعوا الحبشة ما وَدَعْوكُمْ واتركوا الترك ماتر كومك » .

هكذا رواه النسائي مطولاً ، وإنما روی منه أبو داود : « دَعُوا الحبشة مَا وَدَعْوكُمْ واتركوا الترك ماتر كومك » عن عيسى بن محمد الرملي ، عن ضمرة بن ربيعة ، عن أبي زُزْعَةِ يحيى بن أبي عمرو السَّيْبَانِي^(١) به .

نعم قال ابن إسحاق : وحدثني من لا أتهم ، عن أبي هريرة أنه كان يقول حين فتحت هذه الأمساك في زمان عمر وزمان عثمان وما بعده : افتحوا ما بدا لكم ، فوالذي نفس أبي هريرة بيده ما افتحتم من مدينة ولا تفتحونها إلى يوم القيمة إلا وقد أعطي الله مُحَمَّداً صلى الله عليه وسلم مفاتيحها قبل ذلك .

وهذا من هذا الوجه منقطع أيضاً ، وقد وصل من غير وجه والله الحمد .

فقال الإمام أحمد : حدثنا حجاج ، حدثنا ليث ، حدثني عقيل بن خالد ، عن ابن شهاب ، عن سعيد بن المسيب ، أن أبو هريرة قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « بُشِّرْتَ بِجَوَامِعِ الْكَلَمِ وَنُصُرَتْ بِالرَّاعِبِ ، وَبِئْنَا أَنَا نَائِمٌ أُتَيْتُ بِمَفَاتِيحِ خَزَائِنِ الْأَرْضِ فوَضَعْتُ فِي يَدِي » .

وقد رواه البخاري منفرداً به ، عن يحيى بن بُكَيْر ، وسعد بن غفار ، كلها عن الليث به . وعنده قال أبو هريرة : فذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأتم تنشلونها .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يزيد ، حدثنا محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة ، عن أبي

(١) نسبة إلى سيبان ، بطنه من حمير ، توفي أبو زرعة سنة ١٤٨ ، وكان ثقة . المباب ١ / ٥٨٥ .

هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نُصرت بالرُّعب ، وأوتيت جوامع الْكَلِم وَجُمِلت لِي الْأَرْض مسجداً وطهوراً ، وَبَيْنَا أَنَا نَائِم أُتِيت بِفَاتِح خزائن الْأَرْض فَتَلَّتْ فِي يَدِي ». .

وهذا إسناد جيد قوى على شرط مسلم ولم يخرج عنه . وفي الصحيحين : « إذا هلك قيسير فلا ينصر بعده ، وإذا هلك كسرى فلا ينصر بعده ، والذى نفسى بيده لتنفقن كنوزها في سبيل الله ». .

وفي الحديث الصحيح : « إِنَّ اللَّهَ رَوَى لِي الْأَرْضَ مَشَارقَهَا وَمَغَاربَهَا ، وَسَيَلِغُ مُلْكُ أُمَّتِي مَازِوَى لِي مِنْهَا ». .

فصل

قال ابن إسحاق : ولما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من الخندق أقبلت قريش حتى نزلت بمحتمع الأسمايل من رؤمة بين الجرف وزغابة في عشرة آلاف من أحبابهم ومن تبعهم من بنى كنانة وأهل تهامة ، وأقبلت غطفان ومن تبعهم من أهل نجد حتى نزلوا بذنب تقمي ^(١) إلى جانب أحد .

وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون حتى جعلوا ظهورهم إلى سلع ^(٢) في ثلاثة آلاف من المسلمين ، فضرب هنالك عسكره ، والخندق بينه وبين القوم ، وأمر بالذراري والنساء فجعلوا فوق الآطم ^(٣) .

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم .

قلت : وهذا معنى قوله تعالى : « إِذْ جَاءُوكُم مِّنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْهَنَاجِرَ وَتَظَاهَرُونَ بِاللَّهِ الظَّنُونَا ». ^(٤) » .

(١) موضع من أغراض المدينة . (٢) سلع : جبل بالمدينة . (٣) الآطم : الحصن .

(٤) سورة الأحزاب ١٠ .

قال البخاري : حدثنا عثمان بن أبي شيبة ، حدثنا عبيد ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة : « إِذْ جَاءُوكُم مِّنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلِكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ ». قالت : ذلك يوم الخندق .

* * *

قال موسى بن عقبة : ولما نزل الأحزاب حول المدينة أغلق بنو قريظة حِصْنَهُمْ دونهم .
قال ابن إسحاق : وخرج حُبي بن أخطب النَّصْرَى حتى أتى كعبَ بن أسد القرطلي
صاحب عَقدِهِمْ وعهدهُمْ .

فلا سمع به كعب أغلق باب حصنه دون حُبي ، فاستأذن عليه فأبى أن يفتح له ،
فناداه : ويحيك يا كعب افتح لي . قال : ويحيك يا حُبي ، إنك أمرؤ مشئوم ، وإنى قد
عاهدتُ مُحَمَّداً فلستُ بناقيض ما يبني ويبنيه ، ولم أر منه إلا وفاء وصدقًا .

قال : ويحيك افتح لي أكلك . قال : ما أنا بفاعل . قال : والله إنْ أَغْلَقْتَ دُونِي إِلَّا
خوْفًا على جشيشتك ^(١) أَنْ آكُلَّ مَعَكَ مِنْهَا فَاحْفَظِ الرَّجُلَ فَفَتَحَ لَهُ ، فقال : ويحيك
يا كعب ! جشيتك بعزم الدهر وبحر طامٍ .

قال : وما ذاك ؟ قال : جشيتك بقريش على قادتها وسادتها ، حتى أَنْزَلْتُهُم بمحقق
الأسيال مِنْ رُومَة ، وبقطفان على قادتها وسادتها حتى أَنْزَلْتُهُم بذنب نَقْمَى إلى جانب
أَحد ، قد عاهدوني وعاقدوني على ألا يبرحوا حتى نستأصل مُحَمَّداً ومن معه .

فقال كعب : جشيتي والله بذل الدهر وبتجهّام ^(٢) قد هرّاق مأوى يَرْعَدُ و يُبْرِقُ وليس
فيه شيء ، ويحيك يا حُبي فدَعْنِي وما أَنَا عَلَيْهِ ، فإِنِّي لَمْ أَرَ مِنْ مُحَمَّداً إِلَّا وفاء وصدقًا .

(١) ابن هشام : إِلَّا عن جشيشتك . والجشيطة : طعام يصنع من البر الذي طحن غليظاً .

(٢) الجهّام : السحاب الذي لاماء فيه .

وقد تكلم عمرو بن سعد القرطبي ، فاحسنَ فيما ذكره موسى بن عقبة ، ذكرهم
ميثاقَ رسول الله صلى الله عليه وسلم وعهده ومعاشرتهم إياه على نصره ، وقال : إذا لم
تنصروه فاتركوه وعدوه .

قال ابن إسحاق : فلم يزل حي بكمب يقتله في الذروة والغارب حتى سمع له ، يعني
في نقض عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي محاربته مع الأحزاب ، على أن أعطاه
حي عهداً الله وميثاقه لئن رجعت قريش وغطفان ولم يصيروا محمدًا أن أدخل معك في
حصنك حتى يصيبني ما أصابك .

فنقض كعب بن أسد العهد وبرئ مما كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قال موسى بن عقبة : وأمر كعب بن أسد و بنو قريطة حبيباً بن أخطب أن يأخذ لهم من قريش وغطفان رهائن تكون عندهم لثلا ينالهم ضيم إإن هم رجعوا ولم ينابزوا محدماً ، قالوا : وتسكون الرهائن تسعين رجلاً من أشرافهم . فنازلهم حبيبي على ذلك . فعند ذلك نقضوا العهد ومزقووا الصحيفة التي كان فيها العقد إلا بني سعنة ، أسد وأسید وثعلبة ، فإذا هم خرجوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن إسحاق : فلما انتهى الخبر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى المسلمين
بعث سعد بن معاذ ، وهو يومئذ سيد الأوس ، وسعد بن عبادة وهو يومئذ سيد الخزرج ،
ومعهمما عبد الله بن رواحة وخوات بن جبير قال : انطلقوا حتى تأتوا هؤلاء القوم
فقطنروا أحق ما بلغنا عنهم ، فإن كان حقا فالحقوا على لحناً أعرفه ولا تفتقوا في أعضاد
الإسلامين وإن كانوا على الوفاء فاجهروا به للناس . قال : نخرجوا حتى أتومهم .

قال موسى بن عقبة ، فدخلوا معهم حصنهم فدعوهم إلى المواجهة وتجدد الحلف
فقلوا : الآن وقد كسر جناحنا وأخر جheim ، يريدون بني النضير . ونالوا من رسول الله
صلى الله عايده وسلم ، فجعل سعد بن عبادة يشتمهم فأغضبوه فقال له سعد بن معاذ : إنما
والله ما حثنا لهذا ، ولما بذلتنا أكيراً من المشاتمة :

ثم ناداهم سعد بن معاذ فقال : إنكم قد علمتم الذي بيننا وبينكم يا بني قريظة ، وأنا خائف عليكم مثل يوم بنى النضير أو أَمْرَّ منه . فقالوا : أكلت أيرأيك . فقال : غير هذا من القول كان أَجْلَّ بكم وأحسن .

وقال ابن إسحاق : نالوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم و قالوا : من رسول الله ؟
لأعهد بيننا وبين محمد . فشاتهم سعد بن معاذ و شاتموه ، وكان رجلاً في حدة ، فقال له سعد
ابن عبادة : دع عنك مشاتهم ، لماً بيننا وبينهم أربى من المشاتمة .
ثم أقبل السعدان ومن معهما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلموا عليه ثم قالوا :
غضل والقارأة . أى كغدرهم بأصحاب الرجيع خبيث وأصحابه .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الله أكابر أبشروا يامعشر المسلمين .

قال موسى بن عقبة : ثم تقنع رسول الله صلى الله عليه وسلم بشوبه حين جاءه الخبر عن بني قريظة ، فاضطجع ومكث طويلا ، فاشتد على الناس البلاء والخوف حين رأوه اضطجع ، وعرفوا أنه لم يأتهم عن بني قريظة خير . ثم إنه رفع رأسه وقال : أبشروا بفتح الله ونصره .

فَلِمَا أَصْبَحَوْا دُنْيَا الْقَوْمُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ وَكَانُوا يَنْهَا مَرْفِي بالثَّنَبِلِ وَالْحَجَارَةِ .

قال سعيد بن المسيب : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم إني أسألك عهداك
ووعدك ، اللهم إِنْ تَشَاءْ لَا تَعْبُدْ .

قال ابن إسحاق وعَظَمْ عند ذلك البلاء واشتد الخوف ، وأتاهم عدوهم من فوقهم ومن أسفل منهم ، حتى ظن المؤمنون كلَّ ظن ، ونجم الفراق ، حتى قال معتب بن قشيد أخو بني عمرو بن عوف : كان محمد يَعِدُنا أن نَّا كلَّ كنوزَ كسرى وقيصر ، وأحدُنَا لا يَأْمُن على نفسه أن يذهب إلى الغائب !

وحتى قال أَوْسَ بن قَيْظَى : يا رسول الله إن بيَوتَنا عورَةٌ من العدو ، وذلِكَ عن ملأٍ من رجال قومه ، فَاذْنُ لِنَا أَن نرجع إلى دارنا فإنَّها خارج من المدينة .

قلت : هؤلاء وأمثالهم المرادون بقوله تعالى : « وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرْضٌ : مَا وَعَدْنَا اللَّهُ وَرَسُولَهُ إِلَّا غَرُورًا * وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرَبَ لِامْقَامِ لَكُمْ فَارْجِعُوهُمْ ، وَيَسْتَأْذِنُ فِرْيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بَيَوْتَنَا عورَةٌ وَمَا هِيَ بِعورَةٍ إِن يَرِيدُونَ إِلَّا فَرَارًا » .

قال ابن إسحاق : فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم مرابطًا ، وأقام الشركون يحاصرونه بضعةً وعشرين ليلة قريباً من شهر ، ولم يكن بينهم حرب إلا الرّمي بالنبيل . فلما اشتد على الناس البلاء بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما حدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، ومن لا أتهم ، عن الزهرى ، إلى عيينة بن حصن والحارث بن عوف المزى ، وهو قائد غطfan وأعطاهما ثلث ثمار المدينة ، على أن يرجعا بين معهمما عنه وعن أصحابه ، فجرى بينه وبينهم الصلح ، حتى كتبوا الكتاب ولم تقع الشهادة ولا عزيمة الصلح ، إلا للراوضة .

فلمَّا أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يفعل ذلك بعث إلى السَّعَديْنَ فذكر لها ذلك ، واستشارها فيه .

فقالا : يا رسول الله أَمْرَأً تَحْبَهُ فَتَصْنَعُهُ ، أَمْ شَيْئاً أَمْرَكَ اللَّهُ بِهِ لَابْدَ لَنَا مِنَ الْعَمَلِ بِهِ ، أَمْ شَيْئاً تَصْنَعُهُ لَنَا ؟

قال : بل شيء أصنعه لكم ، والله ما أصنع ذلك إلا لأنني رأيت العربَ رمتكم عن تقوسٍ واحدة و كانوا من كلِّ جانب ، فأردت أن أكسر عنكم من شوكتم إالي أمر ما .

فقال له سعد بن معاذ : يا رسول الله قد كنا و هو لا يهتم على الشرك بالله و عبادة الأوثان ،
لأن عبد الله ولا نعرفه ، وهم لا يطمئنون أن يأكلوا منها ثمرة واحدة إلا قرئ أو يبعاً ،
أغفينا أكثرا من الله بالإسلام و هدانا له وأعزنا بك وبه ، نعطيهم أمورنا ؟ مالنا بهذا
من حاجة ، والله لا نعطيهم إلا السيف ، حتى يخنكم الله يبتنا وينهم !

قال النبي صلى الله عليه وسلم : أنت وذاك . فتناول سعد بن معاذ الصحيفة فحاج ما فيها من الكتاب ، ثم قال : لَيَجْهَدُوا عَلَيْنَا .

* * *

قال : فأقام النبي ﷺ صلى الله عليه وسلم وأصحابه محاصرِين ، ولم يكن بينهم وبين عدوهم
قتال إلا أن فوارس من قريش ، منهم عمرو بن عبد ود بن أبي قيس ، أحد بنى عامر بن
لؤي ، وعكرمة بن أبي جهل ، وهبيرة بن أبي وهب المخزوميَّان ، وضرار بن الخطاب
ابن مِرْدَاس أحد بنى محارب بن فهر ، تلبَّسوا للقتال ثم خرجوا على خيلهم حتى صروا
بنماذل بني كنانة فقالوا : همأوا يا بني كنانة للحرب ، فستعلمون من الفرسان اليوم .
ثم أقبلوا تُعْنِقُ بهم خيلهم حتى وقفوا على الخندق فلما رأوه قالوا : والله إن هذه
المكيدة ما كانت العرب تُكيدُها . ثم تيممموا مكاناً من الخندق ضيقاً ، فضرروا خيلهم
فافتتحمت منه ، فغالت بهم في السُّبَّحة بين الخندق وسلام ، وخرج على بن أبي طالب
في نفر معه من المسلمين حتى أخذوا عليه الثغرة التي أقحموا منها خيلهم وأقبلت الفرسان
تُعْنِقُ نحوهم .

وكان عمرو بن عبد ود قد قاتل يوم بدر حتى أثبته الجراحه فلم يشهد يوم أحد ،

فَلَمَا كَانَ يَوْمُ الْخِنْدِقِ خَرَجَ مُعْلِمًا لِّيُرَى مَكَانُهُ، فَلَمَّا خَرَجَ هُوَ وَخَيْلُهُ قَالَ: مَنْ يَبَارِزُ؟
فَبَرَزَ لَهُ عَلَىٰ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقَالَ لَهُ: يَا عُمَرَ وَإِنِّي كَنْتُ عَاهَدْتُ اللَّهَ
لَا يَدْعُوكَ رَجُلٌ مِّنْ قَرِيشٍ إِلَّا أَخْذَنَاهُ مِنْهُ . قَالَ: أَجَلْ . قَالَ لَهُ عَلَىٰ:
فَإِنِّي أَدْعُوكَ إِلَى اللَّهِ وَإِلَى رَسُولِهِ وَإِلَى الإِسْلَامِ . قَالَ: لَا حَاجَةٌ لِي بِذَلِكَ . قَالَ: فَإِنِّي
أَدْعُوكَ إِلَى النَّزَالِ . قَالَ لَهُ: لَمْ يَأْتِ أخْرَى، فَوَاللَّهِ مَا أَحْبَبْتُ أَنْ أُقْتَلَكَ! قَالَ لَهُ عَلَىٰ:
لَكَنِّي وَاللَّهِ أَحْبَبْتُ أَنْ أُقْتَلَكَ . فَغَمِيَ عُمَرُ عَنْ ذَلِكَ، فَاقْتَحَمَ عَنْ فَرْسِهِ فَعَفَرَهُ وَضَرَبَ
وَجْهَهُ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى عَلَىٰ فَنِتَازِ لَا وَتَجَاوِلَ فَقَتَلَهُ عَلَىٰ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

وَخَرَجَتْ خَيْلُهُمْ مَهْزُومَةً حَتَّى افْتَحَمَتْ مِنَ الْخِنْدِقِ هَارِبَةً .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ وَقَالَ عَلَىٰ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فِي ذَلِكَ:

نَصَرَ الْحِجَارَةَ مِنْ سَفَاهَةِ رَأْيِهِ وَنَصَرَتْ رَبَّهُ مُحَمَّدٌ بِصَوَابِ
فَصَدَرَتْ حِينَ تَرَكَتُهُ مَتَجَدِّلًا كَلْجُوزَ بَيْنَ دَكَادِكَ^(١) وَرَوَابِي
وَعَفَفَتْ عَنْ أَثْوَابِهِ وَلَوْ أَنِّي كَنْتُ الْمَقْطَرَ بَرَّنِي أَثْوَابِي
لَا تَحْسِبُنَّ اللَّهَ خَادِلًا دِينِهِ وَنَبِيَّهُ يَا مَعْشِرَ الْأَحْزَابِ

قَالَ ابْنُ هَشَامَ: وَأَكْثَرُ أَهْلِ الْعِلْمِ بِالشِّعْرِ يَشَكُّ فِيهَا عَلَىٰ .

قَالَ ابْنُ هَشَامَ: وَأَقْتَلَ عَكْرَمَةَ رَحْمَهُ يَوْمَئِذٍ وَهُوَ مَهْزُومٌ عَنْ عُمَرٍ، فَقَالَ فِي ذَلِكَ
حَسَانُ بْنُ ثَابَتُ:

فَرَأَىَ وَأَلْقَى لَنَا رَحْمَهُ لِعَلَّكَمْ لِعِكْرُمْ لَمْ تَفْعَلِ
وَوَلَيْتَ تَمْدُو كَعْدَوَ الظَّلَمِيِّ مِمَّا إِنْ يَحْوُرُ عَنِ الْمَعْدُلِ
وَلَمْ تَلُوْ ظَهَرَكَ مَسْتَانِسًا كَأَنْ قَفَاكَ قَفَا فُرْعَلِ

قَالَ ابْنُ هَشَامَ: الْفَرَاعِلُ: صَفَارُ الصَّبَاعِ .

(١) الدَّكَادِكُ: جَمْعُ دَكَادِكٍ، وَهُوَ الرَّمْلُ الْبَيْنُ .

وذكر الحافظ البهقي في دلائل النبوة عن ابن إسحاق في موضع آخر من السيرة قال : خرج عمرو بن عبد ودّ وهو مقنع بالحديد فنادى : من يبارز ؟ فقام على بن أبي طالب فقال : أنا لها يا نبي الله . فقال : إنه عمرو ، اجلس . ثم نادى عمرو : ألا رجل يبز ؟ فجعل يؤذن لهم ويقول : أين جئتمكم التي تزعمون أنه من قتل منكم دخلها ؟ أفلا تُبَرِّزُونَ إلَيَّ رجلاً ؟ فقام على فقال : أنا يا رسول الله ؟ فقال : اجلس . ثم نادى الثالثة فقال :

وَلَقَدْ بُحِثْتَ مِنَ النَّدَا ءَلْجَمِعِمْ : هَلْ مِنْ مُبَارِزٍ
وَوَقَتْ إِذْ جَهَنْ الشَّجَاعَمْ مَوْقَفَ الْقِرْنِ الْمَاجِزْ
وَلَذَكَ إِنِّي لَمْ أَرَلْ مَتَسِرْعًا قَبْلَ الْهَزَاهِزْ^(١)
إِنَّ الشَّجَاعَةَ فِي الْفَتِي وَالْجَوَدَ مِنْ خَيْرِ الْغَرَائِزْ

قال : فقام على رضي الله عنه فقال : يا رسول الله أنا . فقال : إنه عمرو ، فقال : وإن كان عمراً ! فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فشي إليه حتى أتى وهو يقول :

لَا تَعْجَلَنَّ فَقَدْ أَنَا كَمُجِيبٍ صَوْتِكَ غَيْرَ عَاجِزٌ
فِي نِيَّةٍ وَبَصِيرَةٍ وَالصَّدْقُ مُنْجِي كُلَّ فَائِزٍ
إِنِّي لَا أَرْجُو أَنْ أُقْيَى مَعَلَيْكَ نَائِحَةَ الْجَنَائِزْ
مِنْ ضَرَبَةٍ تَخْلَاءَ يَبْتَقِي ذِكْرَهَا عَنْدَ الْهَزَاهِزْ

فقال له عمرو : من أنت ؟ قال : أنا على ، قال : ابن عبد مناف ؟ قال : أنا على بن أبي طالب . فقال : يابن أخي مِنْ أَعْمَامِكَ مَنْ هُوَ أَسَنُّ مِنْكَ فَإِنِّي أَكْرَهُ أَنْ أَهْرِيقَ دَمِكَ ؟ فقال له على : لَكُنِي وَاللَّهِ لَا أَكْرَهُ أَنْ أَهْرِيقَ دَمِكَ ! ففضب فنزل وسَلَ سيفه كأنه

(١) الهزاهز : الدواهي والشدائد .

شعلة نار ، ثم أقبل نحو على مغصباً واستقبله على بدر قته ، فضر به عمرو في درقته ففُقدَّها وأثبتت فيها السيف وأصاب رأسه فشجه ، وضر به على على حبل عاتقه فسقط ، وثار العجاج ، وسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم التكبير فعرفنا أن علياً قد قتل . فـ^{فـ} يقول على :

أعلى تقتحم الفوارس هكذا عنى وعهم أخروا أحبابي
اليوم يخعني الفرار حفيظتي ومصمم في الرأس ليس بشابي
إلى أن قال :

عبد الحجارة من سفاهة رأيه وعبد رب محمد بصواب
إلى آخرها .

قال : ثم أقبل على نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم ووجهه يتهمل ، فقال له عمر بن الخطاب : هل استتبته درعه ، فإنه ليس للعرب درع خير منها ؟ فقال : ضربته فاتقاني بسوأته ، فاستحبثت ابن عمى أن أسلبه . قال : وخرجت خيوله منزهة حتى اقتحمت من الخندق .

* * *

وذكر ابن إسحاق فيما حكاه عن البهقي ، أن علياً طعنه في ترقوته حتى أخر جها من مراقة ، فمات في الخندق ؛ وبعث المشركون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يشترون جيفته بعشرة آلاف ، فقال : هو لكم لا نأكل ثمن الموتى .

وقال الإمام أحمد : حدثنا نصر بن باب ، حدثنا حجاج ، عن الحكم ، عن موسى ، عن ابن عباس ، أنه قال : قتلت المسلمون يوم الخندق رجلاً من المشركين فأعطوا بجيفته مالاً ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ادفعوا إليهم جيفته ، فإنه خبيث الجيفة خبيث الديمة » فلم يقبل منهم شيئاً .

وقد رواه البهقى من حديث حماد بن سلمة ، عن حجاج ، وهو ابن أرطاة ، عن الحكيم ، عن مِقْسَمَ ، عن ابن عباس : أن رجلاً من المشركين قُتل يوم الأحزاب فبعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أبعث إلينا جسده ونعطيهم اثنتي عشر ألفاً . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا خير في جسده ولا في ثمنه » .

وقد رواه الترمذى من حديث سفيان الثورى ، عن ابن أبي ليلى ، عن الحكيم ، عن مِقْسَمَ ، عن ابن عباس ، وقال : غريب .

وقد ذكر موسى بن عقبة أن المشركين إنما بعثوا يطلبون جسدَ نوفل بن عبد الله المخزومى حين قُتل وعرضوا عليه الديمة فقال : « إنه خييثٌ خييثٌ الديمة ، فلعنه الله ولعن ديته . فلا أَرَبْ لِنَا فِي دِيَتِهِ ، وَلِسَنَا نَمْنَعُكُمْ أَنْ تَدْفُنُوهُ » .

وذكر يونس بن بُكَيْر عن ابن إسحاق قال : وخرج نوفل بن عبد الله بن المغيرة المخزومى فسأل المبارزة ، نفرج إليه الزبير بن العوام فضر به فشقه باثنين ، حتى فلَّ في سيفه فلأوا وانصرف وهو يقول :

إني امرؤٌ أحى وأحتمى عن النبي المصطفى الأمى

وقد ذكر ابن جرير أن نوفل لما تورط في الخندق رماه الناس بالحجارة فجعل يقول : قتلةً أحسن من هذه يامعشر العرب . فنزل إليه على فقتله ، وطلب المشركون رِمَّته من رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمنى فأبى عليهم أن يأخذ منهم شيئاً ومكثهم من أخذه إليهم .

وهذا غريب من وجهين .

وقد روى البهقى من طريق حماد بن يزيد ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عبد الله بن الزبير ، قال : جعلت يوم الخندق مع النساء والصبيان في الأطم ومعى عمر بن أبي سلمة ، فعمل بطاطىٰ لي فأقصد على ظهره فأنظر قال : فنظرت إلى أبي وهو يحمل

مَرَّةً هاهنَا ومرة هاهنَا ، فما يرتفع له شيء إلا أنتاه ، فلما أسمى جاءنا إلى الأطم ، قلت : يا أبا رأيتك اليوم وما تصنع . قال : ورأيتني يا بني ؟ قلت : نعم . قال : فدَّ لك أبي وأمِّي !

* * *

قال ابن إسحاق : وحدثني أبو ليل ، عبد الله بن سهل بن عبد الرحمن بن سهل الأنصاري أخو بنى حارثة ، أن عائشة أم المؤمنين كانت في حصن بنى حارثة يوم الخندق ، وكان من أحرز حصون المدينة . قال : وكانت أم سعد بن معاذ معها في الحصن . قالت عائشة . وذلك قبل أن يُضرب علينا الحجابة . قالت : فرَّ سعد وعليه درع مُقاومة قد خرجت منها ذراعه كلها ، وفي يده حربته يَرْفَلُ بها ويقول :

لَبِّثْ قَلِيلًا يَشَهِدُ الْهَيْبَجَا حَمَلٌ^(١) لا بَأْسَ بِالْمَوْتِ إِذَا حَانَ الْأَجَلُ!

فقالت له أمه : الحقُّ بْنِيَّ فَقَدْ وَاللهِ أَخْرَتْ . قالت عائشة : فقلت لها : يا أم سعد والله لو دِدْتَ أَنْ درع سعد كانت أسبوعاً مَا هي . قالت : وخفتُ عليه حيث أصاب السهم منه . فرمى سعد بن معاذ سهم فقطع منه الأَكْحلَ .

قال ابن إسحاق : حدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، قال : رماه حَبَّان بن قيس بن العَرِقة أحد بنى عاص ، فلما أصابه قال : خذها مني وأنا ابن العَرِقة . فقال له سعد : عرَّقَ الله وجهك في النار ، اللهم إن كنْتَ أبقيتَ من حرب قريش شيئاً فابقني لها ، فإنه لا قوم أحبُّ إلى أن أجاهد من قوم آذوا رسولك وكذبوه وأخرجوه . اللهم وإنْ كنْتَ وضعْتَ الحرب بيننا وبينهم فاجعلها لي شهادة ولا ثمنْتني حتى تُقرَّ عيني من بني قريطة .

(١) الأصل : حمل وهو تحرير . وقد مر هذا الشطر في صفحة ٨٢ من هذا الجزء . وانظر فيها تحريرجه . قال في تاج العروس ٢٩٠ / ٧ : وقد تعمَّل به سعد بن معاذ يوم الخندق .

قال ابن إسحاق : وحدثني من لا أتهم ، عن عبد الله بن كعب بن مالك ، أنه كان يقول : ما أصاب سعداً يومئذ إلا أبوأسامة الجشمي حليف بني مخزوم ، وقد قال أبوأسامة في ذلك شرعاً قاله لعكرمة بن أبي جهل :

أَعِكْرَمْ هَلَّا لَتُنْتَفِي إِذْ تَقُولُ لِي فَدَاكْ بَاطِمَ الْمَدِينَةِ خَالِدُ
 هَا بَيْنَ أَثْنَاءِ الْمَرَاقِ عَانِدُ
 أَلْسَتُ الَّذِي أَزْرَمْتَ سَعْدَ أَمْرِي شَهَةُ
 قَضَى تَحْبِبَهُ مِنْهَا سَعِيدُ فَأَعْوَلَتْ
 وَأَنْتَ الَّذِي دَافَعْتَ عَنْهُ وَقَدْ دَعَا
 عَبِيدَةُ جَمِيعاً مِنْهُمْ إِذْ يَكَابِدُ
 عَلَى حِينِ مَاهِمْ جَائِرُهُ عَنْ طَرِيقِهِ وَآخِرُ مَرْعُوبَهُ عَنِ الْقَصْدِ قَاصِدُ

قال ابن إسحاق : والله أعلم أئذ ذلك كان .

قال ابن هشام : ويقال إن الذي رمى سعداً خفاجةُ بن عاصم بن حبَّان .

قلت : وقد استجاب الله دعوة ولية سعد بن معاذ في بني قريظة ، أقرَ الله عينه بحكم فيهم بقدرته ويسيره ، وجعلهم هم الذين يطلبون ذلك . كما سيأتي بيانه . فحكم بقتل مقاتلتهم وسيَّ بذارتهم ، حتى قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد حكمت فيهم بحكم الله فوق سبع أرجفه ^(٢) .

* * *

قال ابن إسحاق : وحدثني يحيى بن عبَّاد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه عَبَّاد قال : كانت صفية بنت عبد المطلب في فارِع ، حصن حسان بن ثابت . قالت : وكان حسان معنا فيه مع النساء والصبيان ، فرَّ بنا رجل من يهود فجعل يطيف بالحصن ، وقد حاربت بنو قريظة وقطعت ما بينها وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وليس بيننا

(١) عند العرق : سال فلم يرقأ .

(٢) الأرقعة : الساوات ، جمع رقيع . ورواية الصحيح :

سبم سماوات .

وينهم أحد يدفع عنا ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم وال المسلمين في نحور عدوهم لا يستطيعون أن ينصرفوا عنهم إلينا ، إذ أثنا آتٍ فقلت : ياحسان إن هذا اليهودي كما ترى يُطيف بالحصن ، وإلى والله ما آمنه أن يدلّ على عورتنا من وراءنا من يهود ، وقد شُغل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، فائزز إليه فاقته . قال : يغفر الله لك يا بنت عبد المطلب ! والله لقد عرفت ما أنا بصاحب هذا .

قالت : فلما قال لي ذلك ولم أر عنده شيئاً ، احتجزتُ ثم أخذت عموداً ثم نزلت من الحصن إليه فضربته بالعمود حتى قتلتة فلما فرغت منه رجمت إلى الحصن فقلت : ياحسان انزل فاستليله فإنه لم ينفعني من سلبه إلا أنه رجل . قال : مالي بسلبه حابة يا بنته عبد المطلب ^(١) !

* * *

قال موسى بن عقبة : وأحاط المشركون بال المسلمين حتى جعلوهم في مثل الحصن من كنائسهم ، خاصروهم قريباً من عشرين ليلة ، وأخذوا بكل ناحية ، حتى لا يذرى أم ^(٢) أم لا .

قال : ووجهوا نحو منزل رسول الله صلى الله عليه وسلم كتيبةً غليظةً فقاتلواهم يوماً إلى الليل ، فلما حانت صلاة العصر دنَتْ الكتيبة فلم يقدر النبي صلى الله عليه وسلم ولا أحد من أصحابه الذين كانوا معه أن يصلوا الصلاة على نحو ما أرادوا ، فانكفت الكتيبة مع الليل ، فزعوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « شغلونا عن صلاة العصر ملا الله بطونهم وقلوبهم ، وفي رواية : وقبورهم ، ناراً » .

(١) ذكر السهيلي أن بعض العلماء دفع هذا وأنكروه وذلك أنه حديث منقطع الإسناد . وقال : لو صح هذا لجبن به حسان ، فإنه كان يهاجن الشعراء وكانوا ينافضونه ويردون عليه ، فإذا عيره أحد منهم بجين ولا وسمه به . فدل هذا على ضعف حديث ابن مسحاق . الروض ١٩٤ / ٢ .

(٢) كذا بالأصل .

فَلَمَا اشْتَدَ الْبَلَاءُ نَافَقَ نَاسٌ كَثِيرٌ وَتَكَامَوا بِكَلَامٍ قَبِيْحٍ .

فَلَمَّا رَأَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا بَالنَّاسِ مِنَ الْبَلَاءِ وَالْكَرْبَ جَعَلَ يَبْشِّرُهُمْ
وَيَقُولُ : « وَالَّذِي نَفْسِي بِيدهِ لَيْفَرِجُنَّ عَنْكُمْ مَا تَرَوْنَ مِنَ الشَّدَّةِ ، وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ
أُطْوِفَ بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ آمِنًا ، وَأَنْ يَدْفَعَ اللَّهُ إِلَيْهِ مَفَاتِيحَ الْكَعْبَةِ ، وَلَيُهْلِكَنَّ اللَّهُ كَسْرِي
وَقِصْرِي وَلَتُنْفَقُنَّ كَنْوَزَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ! » .

وَقَدْ قَالَ الْبَخَارِيُّ : حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ ، حَدَّثَنَا رَوْحُ ، حَدَّثَنَا هَشَّامُ ، عَنْ مُحَمَّدٍ ، عَنْ
عَبِيدَةَ (١) ، عَنْ عَلَيٍّ ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ يَوْمَ الْخَنْدَقِ : « مَلَأَ اللَّهُ
عَلَيْهِمْ يَوْمَهُمْ نَارًا ، كَمَا شَغَلُونَا عَنِ الصَّلَاةِ الْوَسْطَى حَتَّىٰ غَابَتِ الشَّمْسُ » .

وَهَذَا رَوَاهُ بَقِيَّةِ الْجَمَاعَةِ إِلَّا إِبْرَاهِيمَ مَاجِهَ مِنْ طَرِيقِ هَشَّامِ بْنِ حَسَانٍ ، عَنْ مُحَمَّدٍ
ابْنِ سِيرِينَ ، عَنْ عَبِيدَةَ ، عَنْ عَلَيٍّ بْنِ بَهْرَمٍ . وَرَوَاهُ مُسْلِمٌ وَالْتَّرمِذِيُّ مِنْ طَرِيقِ سَعِيدِ بْنِ أَبِي
عَرْوَةَ ، عَنْ قَتَادَةَ ، عَنْ أَبِي حَسَانِ الْأَعْرَجِ ، عَنْ عَبِيدَةَ ، عَنْ عَلَيٍّ بْنِ بَهْرَمٍ . وَقَالَ التَّرمِذِيُّ :

حَسَنٌ صَحِيحٌ .

ثُمَّ قَالَ الْبَخَارِيُّ : حَدَّثَنَا الْمَكْئُونُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ، حَدَّثَنَا هَشَّامُ ، عَنْ يَحِيَّيَ ، عَنْ أَبِي
سَلَامَةَ ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، أَنَّ عُمَرَ بْنَ الخطَّابَ جَاءَ يَوْمَ الْخَنْدَقِ بَعْدَ مَاغْرِبِ الشَّمْسِ
فَجَعَلَ يَسْبُّ كُفَّارَ قَرْيَشَ وَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا كَدَتْ أَنْ أَصْلِي حَتَّىٰ كَادَتِ الشَّمْسُ أَنْ
تَغْرِبَ . قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « وَاللَّهِ مَا صَلَّيَتْهُمْ » فَنَزَلَنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بُطْحَانَ (٢) فَتَوَضَّأَ لِلصَّلَاةِ وَتَوَضَّأْنَا لَهُ ، فَصَلَّى الْعَصْرَ بَعْدَ مَاغْرِبِ الشَّمْسِ ،
ثُمَّ صَلَّى بَعْدَهَا الْمَغْرِبَ .

وَقَدْ رَوَاهُ الْبَخَارِيُّ أَيْضًا وَمُسْلِمٌ وَالْتَّرمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ مِنْ طَرِيقِ هَشَّامِ بْنِ يَحِيَّيَ

كَثِيرٌ ، عَنْ أَبِي سَلَامَةَ بْنِ بَهْرَمٍ .

(١) عَبِيدَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ وَكَسْرِ الْمُوْحَدَةِ ، أَبْنَاءُ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ الْكَوْفَةِ ، كَمَا ضَبَطَهُ الْقَسْطَلَانِيُّ . إِرْشَادُ

(٢) بُطْحَانٌ : وَادٌ بِالْمَدِينَةِ .

وقال الإمام أَحْمَد : حَدَّثَنَا عَبْدُ الصَّمْد ، حَدَّثَنَا ثَابِت ، حَدَّثَنَا هَلَال ، عَنْ عَكْرَمَةَ ، عَنْ أَبْنَ عَبَّاسٍ ، قَالَ : قاتل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَدُوًّا فَلَمْ يَفْرَغْ مِنْهُمْ حَتَّى أَخْرَى الْعَصْرِ عَنْ وَقْتِهِ ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ قَالَ : « إِلَاهُمْ مَنْ حَبَسْنَا عَنِ الصَّلَاةِ الْوَسْطَى فَامْلأُ بَيْوْتَهُمْ نَارًا ، وَامْلأُ قُبُورَهُمْ نَارًا ». .

ونحو ذلك تفرد به أَحْمَد ، وهو من روایة هلال بن خَبَّاب العَبْدِي الْكَوْفِي ، وهو ثقة يصحح له الترمذى وغيره .

* * *

وقد استدل طائفة من العلماء بهذه الأحاديث على كون الصلاة الوسطى هي صلاة العصر ، كما هو منصوص عليه في هذه الأحاديث ، وألزم القاضى المأوردى مذهب الشافعى بهذا لصحة الحديث .

وقد حررنا ذلك نقاًلاً واستدلاًلاً عند قوله تعالى : « حافظُوا عَلَى الصَّلَواتِ وَالصَّلَاةِ الْوَسْطَى وَقَوْمُوا اللَّهَ قَانِتِينَ ^(١) ». .

وقد استدل طائفة بهذا الصنف على جواز تأخير الصلاة لعذر القتال ، كما هو مذهب مكحول والأوزاعى .

وقد بوَّب البخارى ذلك واستدل بهذا الحديث وبقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ أَمْرَهُمْ بِالذَّهَابِ إِلَى بَنِي قَرِيبَةٍ - كَمَا يَسِّيَّتِي - : « لَا يَصِلُّونَ أَحَدًا مِنْ عَصْرِ إِلَّا فِي بَنِي قَرِيبَةٍ » وكان من الناس من صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الطريق ، ومنهم من لم يصل إِلَّا في بَنِي قَرِيبَةٍ بعد الغروب ، ولم يعنِّف واحداً من الفريقين ، واستدل بما ذكره عن الصحابة ومن معهم في حصار تسع سنَّة عشرين في زَمْنِ عَمَرٍ ، حيث صَلَّوا الصَّبْرَى بعد طلوع الشَّمْسِ لعذر القتال واقتراض فتح الحصن .

(١) سورة البقرة آية ٢٣٨ .

وقال آخرون من العلماء وهم الجمورو، منهم الشافعى : هذا الصنيع يوم الخندق
منسوخ بشرعية صلاة الخوف بعد ذلك ، فإنها لم تكن مشروعة إذ ذاك فلهذا أخروها
يومئذ . وهو مشكل .

قال ابن إسحاق : وجاء ذهبوا إلى أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى صلاة الخوف
بعسفان ، وقد ذكرها ابن إسحاق وهو إمام في المعازى قبل الخندق ، وكذلك ذات
الرفاع ذكرها قبل الخندق . فالله أعلم .

وأما الذين قالوا : إن تأخير الصلاة يوم الخندق وقع نسياناً ، كما حكاه شراح مسلم
عن بعض الناس ، فهو مشكل ، إذ يبعد أن يقع هذا من جمع كبير مع شدة حرصهم
على حفظ الصلاة ، كيف وقد روى أنهم تركوا يومئذ الظهر والعصر والمغرب حتى
صلوا الجميع في وقت العشاء ، من روایة أبي هريرة وأبي سعيد .

قال الإمام [أحمد] : حدثنا يزيد بوجاج ، قال : حدثنا ابن أبي ذئب ، عن القبرى ، عن
عبد الرحمن بن أبي سعيد الخدري ، عن أبيه . قال : حبسنا يوم الخندق حتى ذهب
هؤى من الليل حتى كفينا . وذلك قوله : « وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقَتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا
عَزِيزًا » قال : فدع رسول الله صلى الله عليه وسلم بلا فامرها فأقام فصلى الظهر كما كان
يصليها في وقتها ، ثم أقام العصر فصلاها كذلك ، ثم أقام المغرب فصلاها كذلك ، ثم
أقام العشاء فصلاها كذلك وذلك قبل أن ينزل . قال حاج : في صلاة الخوف « فإن
خفتم فرجلاً أو ركباناً » .

وقد رواه النسائي عن الفلاس ، عن يحيى القطان ، عن ابن أبي ذئب به . قال :
شغلنا المشركون يوم الخندق عن صلاة الظهر حتى غربت الشمس . فذكره .

وقال أحمد : حدثنا هشيم ، حدثنا أبو الزيد ، عن نافع بن جبير ، عن أبي عبيدة بن
عبد الله بن مسعود ، عن أبيه أن المشركين شغلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم

الخندق عن أربع صلوات حتى ذهب من الليل ماشاء الله . قال : فأمر بلا لا فاذن ثم أقام
فصلى الظاهر ، ثم أقام فصلى العصر ، ثم أقام فصلى المغرب ، ثم أقام فصلى العشاء .

وقال الحافظ أبو بكر البزار : حدثنا محمد بن معمر ، حدثنا مؤمل يعني ابن إسماعيل ،
حدثنا حماد ، يعني ابن سلمة ، عن عبد الكريم ، يعني ابن أبي المخارق ، عن مجاهد ، عن
جابر بن عبد الله ، أن النبي صلى الله عليه وسلم شغل يوم الخندق عن صلاة الظهر والعصر
والمغرب والعشاء ، فأمر بلا لا فاذن وأقام فصلى الظاهر ، ثم أمره فاذن وأقام فصلى العصر ،
ثم أمره فاذن وأقام فصلى المغرب ، ثم أمره فاذن وأقام فصلى العشاء . ثم قال : « ما على
وجه الأرض قوم يذكرون الله في هذه الساعة غيركم » .

تفرد به البزار ، وقال : لا نعرف إلا من هذا الوجه . وقد رواه بعضهم عن عبد
الكريم عن مجاهد عن أبي عبيدة عن عبد الله .

فصل

في دعائه عليه السلام على الأحزاب

وَكَيْفَ سَرَّفُوهُمُ اللَّهُ بِحُولِهِ وَقُوَّتِهِ ، اسْتَحْبَابًا لِرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَصِيَانَةً لِحُوزَتِهِ
الشَّرِيفَةِ ، فَزَلَّ زَلْزَلُ قُلُوبِهِمْ ، ثُمَّ أَرْسَلَ عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الشَّدِيدَةَ فَزَلَّ زَلْزَلُ أَبْدَانِهِمْ .
قال الإمام أحمد : حدثنا أبو عامر ، حدثنا الزبير - يعني ابن عبد الله - حدثنا بريح
بن أبي سعيد الخدري ، عن أبيه ، قال : قلنا يوم الخندق : يا رسول الله هل من شيء نقول له ؟
فقد بلغت القلوبُ الحناجرَ ! قال : « نعم : اللهم استر عوراتنا وآمنْ رَوْعَاتنا » . قال :
ف Crescere الله وجوه أعدائه بالريح .

وقد رواه ابن أبي حاتم في تفسيره عن أبيه ، عن أبي عامر - وهو العقدي^(١) - عن

(١) هو أبو عامر عبد الملك بن عمرو العقدي . يروى عن شعبة . الباب ١٤٤/٢ .

الزبير بن عبد الله مولى عثمان بن عفان ، عن ربيح بن عبد الرحمن بن أبي سعيد ، عن أبيه ، عن أبي سعيد ، فذكره وهذا هو الصواب .

وقال الإمام أحمد : حدثنا حسين ، عن ابن أبي ذئب ، عن رجل من بني سلمة ، عن جابر بن عبد الله ، أن النبي صلى الله عليه وسلم أتى مسجد الأحزاب فوضع رداءه وقام ورفع يديه مذاماً يدعوا عليهم ولم يصل . قال : ثم جاء ودعا عليهم وصلّى . وثبت في الصحيحين من حديث إسماعيل بن أبي خالد ، عن عبد الله بن أبي أوفى قال : دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الأحزاب فقال : « اللهم مُنْزَلَ الْكِتَابِ سريرَ الْحِسَابِ اهْزِمْ الْأَحْزَابَ ، اللَّهُمَّ اهْزِمْهُمْ وَرَزِّلْهُمْ » وفي رواية : اللهم اهزهم وانصرنا عليهم .

وروى البخاري عن قتيبة ، عن الليث ، عن سعيد المقبرى عن أبيه ، عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : « لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ ، أَعْزَّ جُنْدَهُ وَنَصَرَ عَبْدَهُ وَغَلَبَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ ، فَلَا شَيْءٌ بَعْدَهُ » .

* * *

وقال ابن إسحاق : وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فيما وصف الله من الخوف والشدة لِتَظَاهِرُ عدوهم وإتِيَّانُهُمْ إِيَّاهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ أَسْفَلِهِمْ . قال : ثم إن نعيم بن مسعود بن عامر بن أنيف بن ثعلبة بن قففذن بن هلال بن خلاوة ابن أشجع بن ربيث بن عطfan ، أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله إني قد أسلمت وإن قومي لم يعلموا بإسلامي ، فرنى بما شئت . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنَّمَا أَنْتَ فِيهَا رَجُلًا وَاحِدًا ، فَخَذِّلْ عَنَّا إِنْ أَسْتَطِعْتَ ، فَإِنَّ الْحَرْبَ خُدْعَةً » .

خرج نعيم بن مسعود حتى أتى قريظة ، وكان لهم نديماً في الجاهلية ، فقال : يا بنى قريظة قد عرفتم ودّي إياكم وخاصة ما يبنى ويبنىكم . قالوا : صدقتكَ لست عندنا بمفترض .

قال لهم : إن قريشاً وغطفان ليسوا كائناً ، البـلـدُ بـلـدُكـم فـيـهـ أـمـوـالـكـمـ وـأـبـنـاؤـكـمـ وـنـسـاـؤـكـمـ لـاـقـدـرـوـنـ عـلـىـ أـنـ تـحـجـوـلـوـاـ مـنـهـ إـلـىـ غـيرـهـ ، وـإـنـ قـرـيـشـاـ وـغـطـفـانـ قـدـ جـاءـوـ الـحـرـبـ مـحـمـدـ وـأـصـحـابـهـ ، وـقـدـ ظـاهـرـتـوـهـ عـلـيـهـ ، وـبـلـدـهـ وـنـسـاـؤـهـ وـأـمـوـالـهـ بـغـيرـهـ ، فـلـيـسـوـ كـائـنـاـمـ إـنـ رـأـواـ نـزـهـةـ أـصـابـوـهـاـ ، وـإـنـ كـانـ غـيرـ ذـلـكـ لـحـقـواـ بـيـلـادـهـ وـخـلـوـاـ بـيـنـكـمـ وـبـيـنـ الرـجـلـ بـلـدـكـمـ ، وـلـاـ طـافـةـ لـكـمـ بـهـ إـنـ خـلـاـ بـكـمـ ، فـلـاـ تـقـاتـلـوـاـ مـعـ الـقـوـمـ حـتـىـ تـاخـذـوـاـ مـنـهـ رـهـنـاـ مـنـ أـشـرـافـهـمـ يـكـونـونـ بـأـيـدـيـكـمـ ثـقـةـ لـكـمـ عـلـىـ أـنـ تـقـاتـلـوـاـ مـعـهـمـ مـحـمـداـ حـتـىـ تـنـاجـزـوـهـ . قـالـوـاـ : لـقـدـ أـشـرـتـ بـالـرأـيـ .

نُمْ خَرْجٌ حَتَّى قَرِيشًا، فَقَالَ لَأْبِي سَفِيَّانَ بْنَ حَرْبٍ وَمَنْ مَعَهُ مِنْ رِجَالِ قَرِيشٍ: قَدْ عَرَفْتُمْ وَدَدِي لَكُمْ وَفَرَاقَ مُحَمَّدًا، وَإِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي أَمْرُّ قَدْ رَأَيْتُ عَلَىٰ حَقًّا أَنْ أُبَلْغُكُمْ كُوْهْ نَصْحًا لَكُمْ فَاكْتَمُوا عَنِّي . قَالُوا: نَفْعُلْ .

قال : تعلّموا أن عشر يهود قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم وبين محمد ، وقد أرسلا إلينا إيه : إننا قد ندمنا على ما فعلنا ، فهل يرضيك أن نأخذ لك من القبيلتين من قريش وغطفان رجالاً من أشرافهم فنعطيكم فتضرب أعناقهم ، ثم تكون معك على من بقي منهم حتى تستأصلهم . فأرسل إليهم : أن نعم . فإن بعثت إليكم يهود يلتمسون منكم رهناً من رجالكم فلا تدفعوا إليهم منكم رجالاً واحداً .

ثم خرج حتى غطفان فقال : يامعشر غطفان إنكم أصلى وعشيرتى وأحب الناس إلى ولا أراكم تتهمنى . قالوا : صدقتَ ما أنت عندنا بهم . قال : فاكتموا عنى .
قالوا : نفعل . ثم قال لهم مثل ماقال لقريش وحدّرهم ماحذرهم .

فَلِمَا كَانَتْ لِيَلَةُ السَّبْتِ مِنْ شَوَّالٍ سَنَةُ خَمْسٍ، وَكَانَ مِنْ صَنْعِ اللَّهِ تَعَالَى لِرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ أَرْسَلَ أَبُو سَفِيَّانَ بْنَ حَرْبَ وَرَءُوسًا غَطْفَانَ إِلَى بَنِي قَرِيظَةَ عَكْرَمَةَ بْنَ أَبِي جَهْلٍ فِي نَفْرٍ مِنْ قَرِيشٍ وَغَطْفَانٍ، فَقَالَ لَهُمْ : إِنَّا لَسْنَا بِدَارِ مَقَامٍ ، هَلْكَ الْخَفَّ وَالْحَافِرَ ،

فأعدوا للقتال حتى نناجز محمدًا ونفرغ مما بيننا وبينه . فأرسلوا إليهم : إن اليوم يوم السبت ، وهو يوم لانعمل فيه شيئاً ، وقد كان أحدث فيه بعضاً حدثاً فأصابهم مالم يخف عليكم ، ولسنا مع ذلك بالذين يقاتل معكم محمدًا حتى تطعونا رهنا من رجالكم يكونون بأيدينا ثقة لنا حتى نناجز محمدًا ، فإننا نخشى إن ضرستكم الحرب واشتد عليكم القتال أن تنشروا إلى بلادكم وتتركونا والرجل في بلادنا ولا طاقة لنا بذلك منه .

فلما رجعت إليهم الرسل بما قالت بنو قريظة قالت قريش وغطفان : والله إن الذي حدثكم نعيم بن مسعود لحق . فأرسلوا إلى بنى قريظة : إننا والله لا ندفع إليكم رجالاً واحداً من رجالنا ، فإن كنتم ت يريدون القتال فاخروا فقاتلوا . فقالت بنو قريظة حين انتهت إليهم الرسل بهذا : إن الذي ذكر لكم نعيم بن مسعود لحق ، ما يريد القوم إلا أن تقاتلوا فإن رأوا فرصة انتهزوها وإن كان غير ذلك انشروا إلى بلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل في بلادكم . فأرسلوا إلى قريش وغطفان : إننا والله ما نقاتل معكم حتى نعطيكم رهنا .

فأبوا عليهم وخذل الله بهم وبعث الله الريح في ليلة^(١) شديدة البرد ، فجعلت تكثراً قدورهم وتطرح آنيتهم .

* * *

وهذا الذي ذكره ابن إسحاق من قصة نعيم بن مسعود أحسن مما ذكره

موسى بن عقبة .

وقد أورده عنه البهقى في الدلائل ، فإنه ذكر ما حاصله : أن نعيم بن مسعود كان يذيع ما يسمعه من الحديث ، فاتفق أنه مر برسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم

(١) ابن هشام : ليال .

عشاء ، فأشار إليه أن تعال . فباء فقال : ما وراءك ؟ فقال : إنه قد بعثت قريش وغطفان إلى بني قريظة يطلبون منهم أن يخرجوا إليهم فيما جزوك ، فقالت قريظة : نعم فأرسلوا إلينا بالرهن . وقد ذكر فيما تقدم : أنهم إنما نقضوا العهد على يدي حبي بن أخطب بشرط أن يأتيهم برهائن تكون عندهم توبقة .

قال : فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن مسرث إليك شيئاً فلا تذكره . قال : إنهم قد أرسلوا إلى يدعوني إلى الصلح وأرد بي النصير إلى دورهم وأموالهم . فخرج نعيم بن مسعود عامداً إلى غطفان . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الحرب خدعة وعسى أن يصنع الله لنا » .

فأدى نعيم غطفان وقريشاً فأعْلَمُهم ، فبادر القوم وأرسلوا إلى بني قريظة عكرمة وجماعة معه ، واتفق ذلك ليلة السبت ، يطلبون منهم أن يخرجوا للقتال معهم فاعتقدوا اليهود بالسبت ، ثم أيضاً طلبوا الرهن توثيقاً فوقع الله بينهم واختلفوا .

قلت : وقد يحتمل أن تكون قريظة لما يئسوا من انتظام أمرهم مع قريش وغطفان بعنوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يريدون منه الصاح على أن يردد بني النصير إلى المدينة . والله أعلم .

* * *

قال ابن إسحاق : فلما انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اختلف من أمرهم وما فرق الله من جمهم ، دعا حذيفة بن المیان فبعثه إليهم لينظر ما فعل القوم ليلاً .

قال ابن إسحاق : خذلتني يزيد بن زياد عن محمد بن كعب القرظى قال : قال رجل من أهل الكوفة لحذيفة بن المیان : يا أبا عبد الله أرأيتم رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته ؟ قال : نعم يا بن أخي . قال : فكيف كنتم تصنعون ؟ قال : والله لقد كنا نختم . قال : والله لو أدركناه ما ترکناه يمشي على الأرض ولحماناه على أعنافنا !

قال : فقال حذيفة : يا بن أخي والله لقد رأيْتُنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخندق ، وصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم هَوِيًّا من الليل ثم التفت إلينا فقال : مَنْ رَجُلٌ يَقُولُ يَقُولُ فَيُنَظِّرُ لَنَا مَا فَعَلَ الْقَوْمُ ثُمَّ يَرْجِعُ ؟ فَشَرَطَ لَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الرَّجُلَ أَنْ يَكُونَ رَفِيقَ فِي الْجَنَّةِ . فَهَا قَامَ رَجُلٌ مِّنْ شَدَّةِ الْخُوفِ وَشَدَّةِ الْجُوعِ وَالْبَرْدِ ، فَلَمْ يَقُمْ أَحَدٌ دُعَانِي ، فَلَمْ يَكُنْ لِي بَدِئْشَ مِنْ الْقِيَامِ حِينَ دُعَانِي ، فقال : يا حذيفة اذهب فادخل في القوم فانظر ماذا يفعلون ولا تُخْدِنْ شَيْئًا حتى تأتينا .

قال : فذهبت فدخلت في القوم والريح وجندولله تفعل بهم ما تفعل ، لا تُقْرَأْ لهم قدرًا ولا نارًا ولا بنااء ، فقام أبو سفيان فقال : يا معاشر قريش لينظر أمرؤ من جليسه . قال حذيفة : فأخذت بيد الرجل الذي كان إلى جنبي فقلت : من أنت ؟ قال فلان بن فلان ؟ ثم قال : يا معاشر قريش إنكم والله ما أصبحتم بدار مقام ، لقد هلك الْكُرَاعُ وأخلفنا بني قريظة وبلغنا عنهم الذي نَكَرُوه ، ولقيانا من شدة الريح ما ترون ، ما تطمئن لنا قِدْرٌ ولا تقوم لنا نار ولا يستمسك لنا ببناء ، فارتحلوا فإني مرتحل . ثم قام إلى جمله وهو معقول بجلس عليه ثم ضربه فوثب به على ثلاثة ، فما أطْلَقَ عِقالَه إلا وهو قائم . ولو لا عَهْدُ رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى : لا تُخْدِنْ شَيْئًا حتى تأتيني .

لقتلته بسهم .

قال حذيفة : فرجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قائم يصلى في مِرْط لبعض نساءه مُرْحَل ، فلما رأيَتني أدخلتني إلى رجليه وطرح على طرف المطر ، ثم رکع وسجد وإلى لقيه ؛ فما سلم أخبرته الخبر . وسمعت غطفان بما فعلت قريش فانشروا راجعين إلى بلادهم .

وهذا منقطع من هذا الوجه .

وقد روی هذا الحديث مسلم بن الحجاج في صحيحه ، من حديث الأعمش عن إبراهيم

ابن يزيد التّميمي عن أبيه ، قال : كنا نعذل حذيفة فقال له رجل : لو أدركتُ رسولَ الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قاتلتُ معه وأبليتُ . فقال له حذيفة : أنتَ كفْتَ تفعلُ ذلك ؟ لقد رأيْدُنَا مع رسولَ الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليلةَ الأحزاب في ليلة ذات ريح شديدة وَقَرَّ ، فقال رسولَ الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ألا رجلٌ يأتيني بخبرِ القومِ يكونُ معي يومَ القيمة ؟ فلم يجبهه مِنَا أحدٌ ، ثم الثانية ثم الثالثة مثله . ثم قال : يا حذيفة قم فأتنا بخبرِ القومِ ، فلم أجده بدأً إذ دعاني باسمِي أن أقوم ، فقال : ائته بخبرِ القومِ ولا تذعرُهم علىَّ . قال : فضيَتْ كأنماً أمشي في حمَّامٍ حتى أتيتهم ، فإذا أبو سفيان يُصلِّي ظهره بالنمار ، فوضعت سهْمًا في كبسِدِ قوسي وأردت أن أرميه ثم ذكرت قولَ رسولَ الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لا تذعرُهم علىَّ . ولو رميته لأصبهته ، فرجعت كأنماً أمشي في حمَّامٍ ، فأتيت رسولَ الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فاصابني البرد حين رجمت وقررت ، فأخبرت رسولَ الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وألبستني من فضل عباءة كانت عليه يصلِّي فيها ، فلم أُبرح نائماً حتى الصبح ، فلما أُصبحت قال رسولَ الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : قم يا نومان !

* * *

وقد روى الحاكم والحافظ البهقي في الدلائل هذا الحديث مبسوطاً من حديث عكرمة بن عمّار ، عن محمد بن عبد الله الدؤلي ، عن عبد العزيز بن أخي حذيفة قال : ذكر حذيفة مشاهدَهُم مع رسولَ الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال جلساؤه : أما والله لو كنا شهدنا ذلك لَكنا فعلنا وفملنا . فقال حذيفة : لا تمنوا ذلك ، لقد رأيْنَا ليلةَ الأحزاب ونحن صافُون قعود ، وأبوسفيان ومن معه فوقينا ، وقريبة اليهود أسفلَ مِنَا نحافهم على ذرارينا وما أتَتْ علينا ليلةَ قط أشد ظلمةً ولا أشد ريحًا منها في أصوات ريحها أمثال الصواعق ، وهي ظلمة ما يرى أحدنا إصبعه .

فعُل المنافقون يستذلون النبي صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويقولون : إن بيتو تماعورة وما هي

بعورة . فما يستأذنا أحد منهم إلا أذن له ، ويأذن لهم وينتسلون ، ونحن ثلاثة أو نحو ذلك ، إذ استقبلنا رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً رجلاً حتى أتي على وما على جنة من العدو ولا من البرد إلا مِرْط لامرأتى ما يتجاوز ركبى ، قال : فأنتى وأنا جاث على ركبى ق قال : من هذا ؟ فقلت : حذيفة . فقال : حذيفة ! فتقاصرت للأرض فقلت : بلى يا رسول الله . كراهيَةُ أَنْ أَقُوم . فقمت فقال : إِنَّهُ كائِنَ فِي الْقَوْمِ خَيْرٌ فَأَنَا بِخَيْرٍ الْقَوْمُ . قال : وَأَنَا مِنْ أَشَدِ النَّاسِ فَزَعًا وَأَشَدُهُمْ قُرًا .

قال : نخرجت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اللهم احفظه ونَبِّئْهُ بَيْنَ يَدِيهِ وَمِنْ خَلْفِهِ ، وَعَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شَمَائِلِهِ ، وَمِنْ فَوْقِهِ وَمِنْ تَحْتِهِ » قال : فَوَاللهِ مَا خَلَقَ اللهُ فَرِعَا وَلَا قُرَا فِي جَوْفِ إِلَّا خَرَجَ مِنْ جَوْفِهِ شَيْئًا ! قال : فَلَمَّا وَلَيْتَ قَالَ : يَا حَذِيفَةَ لَا تَحْدُثْنَ فِي الْقَوْمِ شَيْئًا حَتَّى تَأْتِيَنِي .

قال : نخرجت حتى إذا دنوت من عسكر القوم نظرت ضوء نار لهم توقد ، وإذا رجل أدهم ضخم يقول بيديه على الفمار ويمسح خاصرته ويقول : الرحيل الرحيل . ولم أكن أعرف أبا سفيان قبل ذلك ، فانتزعت سهامي من كنانتي أبيض الرئيس فأضعه في كبد قوسى لأرميه به في ضوء الفمار ، فذكرت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تُحْدِثْنَ فِي الْقَوْمِ شَيْئًا حَتَّى تَأْتِيَنِي . فَامْسَكْتُ وَرَدَدْتُ سهامي إلى كنانتي ، ثم إن شجاعت نفسي حتى دخات العسكرية ، فإذا أدنى الناس مني بنو عامر يقولون : يا آل عامر الرحيل الرحيل لا مُقَامَ لَكُمْ . وإذا الريح في عسكركم ما تجاوز عسكركم شيئاً ، فَوَاللهِ إِنِّي لَا أَسْمعُ صوتَ الحجارة في رحابكم وفرشتم ، الريح تُنْزَبُ بِهَا ، ثم إن خرجت نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما انتصقت بي الطريق أو نحو من ذلك فإذا أنا بنحو من عشرين فارساً أو نحو ذلك معتمين فقالوا : أخبر صاحبك أن الله قد كفاه .

قال : فرجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مشتمل في شملة يصلى ، فَوَاللهِ

ماعداً أن رجعت راجعى القراءة وجعلت أقرءه ، فأواماً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده وهو يصلى ، فذنوت منه فأسبل على شملته ؛ وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا حزبه أمر صلٰى . فأخبرته خبرَ القوم ، أخبرته أن ترکتهم يرثُلُون . قال : وأنزل الله تعالى : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذْ كُرِّبُوا نَعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جِنُودًا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِحْمًا وَجِنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا » يعني الآيات كلها إلى قوله : « وَرَدَ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقَتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا » أى صرف الله عنهم عدوهم بالرياح التي أرسلها عليهم والجنود من الملائكة وغيرهم التي بعثها الله إليهم « وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقَتَالَ » أى لم يحتاجوا إلى منازلتهم ومبارزتهم بل صرفُهم القوى العزيز بمحوله وقوته .

لهذا ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ ، صَدَقَ وَعْدَهُ وَنَصَرَ عَبْدَهُ ، وَأَعْزَّ جَنَدَهُ ، وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ ، فَلَا شَيْءٌ بَعْدَهُ » .

* * *

وفي قوله : « وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقَتَالَ » إشارة إلى وضع الحرب بينهم وبينهم . وهكذا وقع ، ولم ترجع قريش بعدها إلى حرب المسلمين ، كما قال محمد بن إسحاق رحمه الله : فلما انسרכ أهل الخندق عن الخندق قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغنا : « لَنْ تَغْزُوكُمْ قَرِيشٌ بَعْدَ عَامِكُمْ وَلَكُنْكُمْ تَغْزُونَهُمْ » .

قال : فلم تَغْزُ قريش بعد ذلك ، وكان يغزوهم بعد ذلك حتى فتح الله عليه مكة . وهذا بلاغ من ابن إسحاق .

وقد قال الإمام أحمد : حدثنا يحيى عن سفيان ، حدثني أبو إسحاق ، سمعت سليمان بن صرد رضي الله عنه يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الآن نغزوهم ولا يغزووننا .

وهكذا رواه البخاري من حديث إسرائيل وسفيان الثوري كلها عن أبي إسحاق السعدي، عن سليمان بن صرد به.

قال ابن إسحاق : واستشهد من المسلمين يوم الخندق ثلاثة من بني عبد الأشهل ، وهم سعد بن معاذ - وستاتي وفاته مبسوطة - وأنس بن أواس بن عقيك بن عمرو ، وعبد الله بن سهل ، والطفيل بن الدعان ، وثعلبة بن غنمجة الجاشميان الشلميان ، وكعب بن زيد النجاري ، أصحابه سهم غرب فقتله .

قال : وقتل من المشركون ثلاثة وهم : منبه بن عثمان بن عبيد بن السباق بن عبد الدار ، أصحابه سهم ثات منه بكة ، ونوفل بن عبد الله بن المغيرة اتتحم الخندق بفرسه فتورط فيه فقتل هناك وطلبو جسده بشمن كبير . كما تقدم . وعمرو بن عبد ود العامري ، قتله على بن أبي طالب .

قال ابن هشام : وحدّثني الثقة أنه حدث عن الزهرى أنه قال : قُتِلَ عَلَى يَوْمِئذِ عَمَرُ وَبْنُ عَبْدِ وَدَ وَابْنِهِ حَسْلَ بْنَ عَمَرٍ . قال ابن هشام : ويقال عمرو بن عبد ود . ويقال عمرو بن عبد .

فصل

في غزوة بنى قريطة

وما أحلَ الله تعالى بهم من البأس الشديد مع ما أعدَ الله لهم في الآخرة من العذاب الأليم .

وذلك لـكفرهم ونقضهم العهود التي كانت بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ونـعـمالـتهمـ الأحزـابـ عـلـيـهـ ، فـاـجـدـىـ ذـلـكـ عـنـهـمـ شـيـئـاـ ، وـبـاهـواـ بـغـضـبـ مـنـ اللـهـ وـرـسـولـهـ والـصـفـقـةـ الـخـاسـرـةـ فـيـ الدـنـيـاـ وـالـآخـرـةـ .

وقد قال الله تعالى : « وردَ اللهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِنِيظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا ، وَكَفَ اللهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقَتَالَ وَكَانَ اللهُ قَوِيًّا عَزِيزًا * وَأَنْزَلَ اللهُ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَّابِهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعبَ فَرِيقًا تَقْتَلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا . وَأَوْرَثْتُكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَأُوهَا ، وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ^(١) » .

قال البخاري : حدثنا محمد بن مقاتل ، حدثنا عبد الله ، حدثنا موسى بن عقبة ، عن سالم ونافع ، عن عبد الله ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا قُتل من الغزو والحج والعمرة يبدأ في كبر ثم يقول : « لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قادر ، آتـيوـنـ تـائـبـونـ عـابـدـونـ سـاجـدـونـ لـرـبـنـاـ حـامـدـونـ ، صـدقـ اللهـ وـعـدـهـ وـنـصـرـ عـبـدـهـ وـهـزـمـ الأـحزـابـ وـحـدـهـ » .

قال محمد بن إسحاق رحمه الله : ولما أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم انصرف عن الخندق راجحاً إلى المدينة والملعون ووضعوا السلاح .

فَلَمَّا كَانَ الظَّهَرُ أتَى جَبْرِيلَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، كَمَا حَدَثَنِي الزَّهْرَى ، مُعْتَجِرًا بِعِمَامَةٍ مِنْ اسْتِبْرَقٍ عَلَى بَغْلَةٍ عَلَيْهَا رِحَالَةٌ عَلَيْهَا قُطْلِيفَةٌ مِنْ دِيَمَاجَ ، فَقَالَ : أَوْقَدْ وَضَعَتِ السَّلَاحَ يَارَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : نَعَمْ . فَقَالَ جَبْرِيلُ : مَا وَضَعْتِ الْمَلَائِكَةُ السَّلَاحَ بَعْدَ وَمَا رَجَعْتُ إِلَّا مِنْ طَلَبِ الْقَوْمِ ، إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ يَأْمُرُكَ بِالْمَسِيرِ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ ، فَإِنَّمَا حَمَدَ إِلَيْهِمْ فَزْلُولَهُمْ .

فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَؤْذِنًا فَأَذَنَ فِي النَّاسِ : مَنْ كَانَ سَامِعًا مَطِيعًا فَلَا يَصْلِيْنَ الْعَصْرَ إِلَّا فِي بَنِي قُرَيْظَةَ . قَالَ ابْنُ هَشَامَ : وَاسْتَعْمَلَ عَلَى الْمَدِيْفَةِ ابْنَ أَمْ مَكْتَمُونَ .

وَقَالَ الْبَخَارِيُّ : حَدَثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ ، حَدَثَنَا ابْنُ مُبِيرٍ ، عَنْ هَشَامٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ : لَمَّا رَجَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْخَنْدَقِ وَوَضَعَ السَّلَاحَ وَأَغْتَسَلَ أَنَاهَ جَبْرِيلُ فَقَالَ : قَدْ وَضَعْتِ السَّلَاحَ ! وَاللَّهِ مَا وَضَعْنَاهُ ! فَأَخْرَجَ إِلَيْهِمْ ، قَالَ : فَإِلَى أَيْنَ ؟ قَالَ : هَاهُنَا . وَأَشَارَ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ خَرْجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وَقَالَ أَحْمَدُ : وَحَدَثَنَا حَسْنٌ ، حَدَثَنَا حَمَادُ بْنُ سَلَمَةَ ، عَنْ هَشَامِ بْنِ عَرْوَةَ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا فَرَغَ مِنَ الْأَحْزَابِ دَخَلَ الْمَغْتَسِلَ لِيَغْتَسِلَ ، وَجَاءَ جَبْرِيلُ فَرَأَيْتَهُ مِنْ خَلْلِ الْبَيْتِ قَدْ عَصَبَ رَأْسَهُ الْغَبَارُ ، فَقَالَ : يَا مُحَمَّدَ أَوْضَعْنَا أَسْاحَتَكَمْ ؟ فَقَالَ : وَضَعْنَا أَسْاحَتَنَا ، فَقَالَ : إِنَّا لَمْ نَضَعْ أَسْلَحَنَا بَعْدَ ، ائْهَدْنَا إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ .

ثُمَّ قَالَ الْبَخَارِيُّ : حَدَثَنَا مُوسَى ، حَدَثَنَا جَرِيرُ بْنُ حَازِمَ ، عَنْ حَمِيدِ بْنِ هَلَالٍ ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ : كَأَنِّي أَنْظَرَ إِلَى الْغَبَارِ سَاطِعًا فِي زَفَاقِ بَنِي غَنْمٍ مَوْكِبَ جَبْرِيلٍ ، حِينَ سَارَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ .

ثُمَّ قَالَ الْبَخَارِيُّ : حَدَثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ أَسْمَاءَ ، حَدَثَنَا جُوبَرِيَّةُ بْنُ أَسْمَاءَ ، عَنْ

نافع ، عن ابن عمر ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الأحزاب : « لا يصلح أحد العصر إلا في قريظة » فأدرك بعضهم العصر في الطريق ، فقال بعضهم : لأنصل العصر حتى نأتيها ، وقال بعضهم : بل نصل لم يرُد منا ذلك . فذَكِر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فلم يعنِف واحداً منهم .

و هكذا رواه مسلم عن عبد الله بن محمد بن أسماء به . . .
وقال الحافظ البهقي : حدثنا أبو عبد الله الحافظ وأبو بكر أحمد بن الحسن القاضي قالا : حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ، حدثنا محمد بن خالد بن علي ، حدثنا بشير بن حرب ، عن أبيه ، حدثنا الزهرى ، أخبرنى عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك ، أن عمه عبيد الله أخبره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رجع من طلب الأحزاب وضع عنه اللامة واغسل واستحم ، فتبدى له جبريل عليه السلام فقال : عذيرك من محارب إلأراك قد وضعت اللامة وما وضعنها بعد !

قال : فوثب النبي صلى الله عليه وسلم فزعماً فعنما على الناس إلأ يصلوا صلاة العصر إلا في قريظة .

قال : فلبس الناس السلاح فلم يأتوا بني قريظة حتى غربت الشمس ، فاختصم الناس عند غروب الشمس ، فقال بعضهم : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم عزم علينا إلأ نصل حتى نأتي بني قريظة ، فإما نحن في عزيمة رسول الله صلى الله عليه وسلم فليس علينا إثم . وصلى طائفة من الناس احتساباً ، وتركت طائفة منهم الصلاة حتى غربت الشمس فصلوها حين جاءوا بني قريظة احتساباً . فلم يعنِف رسول الله صلى الله عليه وسلم واحداً من الفريقين .

تم روی البهقی من طريق عبد الله العمّاری ، عن أخيه عبید الله ، عن القاسم بن محمد ، عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عندها فسماً علينا رجل ونحن في
(١٥ - السیرة ٣)

لبيت ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فزعاً وقت في أثره فإذا بدخنة الكلبي ، قال : هذا جبريل أمرني أن أذهب إلى بنى قريظة وقال : قد وضعتم السلاح لكنكم ضئع ، طلبنا المشركين حتى بلغنا حمراء الأسد . و ذلك حين رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الخندق ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فزعاً وقال لأصحابه : عزمت عليكم ألا تصلوا صلاة العصر حتى تأتوا بنى قريظة ، ففربت الشمس قبل أن يأتوكم ، قالت طائفة من المسلمين : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يرداً أن تدعوا الصلاة بصلوا . وقالت طائفة : والله إنا لفينا عزيمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وما علينا من أثم . حملت طائفة إيماناً واحتساباً وتركت طائفة إيماناً واحتساباً ، ولم يعنف رسول الله صلى الله عليه وسلم واحداً من الفريقين . وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فمر بمجالس بناته وبين بنى قريظة فقال : هل مر بكم أحد ؟ فقالوا : مر علينا دحية الكلبي على بنلة نهباء تحته قطيفة دجاج . فقال : ذلك جبريل أرسل إلى بنى قريظة ليزلّهم ويقذف في لهم الرعب .

خاًصِرُهم النبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَمْرُ أَحْبَابِهِ أَنْ يَسْتَرُوهُ بِالْحِجَفِ^(١) حَتَّى يَسْمَعُ كُلَّاً مِّنْهُمْ ، فَنَادَاهُمْ : يَا إِخْرَوَةَ الْقَرْدَةِ وَالْخَنَازِيرِ . فَقَالُوا : يَا أَبَا الْقَاسِمِ لَمْ تَكُنْ خَافِشاً . خاًصِرُهم حَتَّى نَزَلُوا عَلَى حُكْمِ سَعْدِ بْنِ مَعَاذٍ وَكَانُوا حَلْفَاءَهُ ، فَخَفِّكَ فِيهِمْ أَنْ تُقْتَلُ نَفَاتِهِمْ وَتُسْبَى دَارَاهُمْ وَنَسَاؤُهُمْ .

وَهَذَا الْحَدِيثُ طَرْقٌ جَيْدَةٌ عَنْ عَائِشَةَ وَغَيْرِهَا .

* * *

وَقَدْ اخْتَلَفَ الْعَالَمُونَ فِي الْمَصِيبِ مِنَ الصَّاحِبَةِ بِوْمِئْذِ مَنْ هُوَ ؟ بَلْ الإِجْمَاعُ عَلَى أَنَّ كُلَّاً مِّنَ الْفَرِيقَيْنِ مَأْجُورٌ وَمَعْذُورٌ غَيْرُ مَعْنَفٍ .

(١) الحِجَفُ : حِجَفَةٌ . وَهِيَ التَّرْسُ مِنْ جَلْدِ بَلَاغِ خَشْبٍ وَلَا عَقْنَبٍ .

فقالت طائفة من العلماء : الذين أخرّوا الصلاة يومئذ عن وقتها القدر لها حتى صلواها في بني قريظة هم المصيّبون ، لأنّ أمرهم يومئذ بتأخير الصلاة خاصٌّ ، فيقدّم على عموم الأمر بها في وقتها القدر لها شرعاً .

قال أبو محمد بن حزم الظاهري في كتاب السيرة : وعلم الله أننا لو كنا هناك لم نصل العصر إلا في بني قريظة ولو بعد أيام !

وهذا القول منه ماشٍ على قاعدته الأصلية في الأخذ بالظاهر .

وقالت طائفة أخرى من العلماء : بل الذين صلوا الصلاة في وقتها لما أدرّ كثيرون وهم في مسيرهم هم المصيّبون ، لأنّهم فهُمُوا أن المراد إنما هو تعجّيل السير إلى بني قريظة لتأخير الصلاة ، فعملوا بمقتضى الأدلة الدالة على أفضلية الصلاة في أول وقتها ، مع فهمهم عن الشارع مالزاد ، وهذا لم يعنفهم ولم يأمرهم بإعادة الصلاة في وقتها التي حُولت إليه يومئذ كما يدعىء أولئك ، وأما أولئك الذين أخرّوا فُدُرُوا بحسب ما فهُمُوا ، وأكثر ما كانوا يؤمنون بالقضاء وقد فعلوه .

وأما على قول من يحوز تأخير الصلاة لعذر القتال ، كما فهمه البخاري حيث احتاج على ذلك بحديث ابن عمر المتقدم في هذا ، فلا إشكال على من أخرّ ولا على من قدّم أيضاً . والله أعلم .

ثم قال ابن إسحاق : وقدّم رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبي طالب وممه رأيته وابتدرها الناس .

وقال موسى بن عقبة في مغازييه عن الزهرى : فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم في مُقتله كا يزعون قد رجل أحدَ شقيقَه أتاه جبريل على فرس عليه لأمته حتى وقف بباب المسجد عند موضع الجنائز ، فخرج إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له جبريل :

غفر الله لك أو قد وضعت السلاح ؟ ! قال : نعم فقال جبريل : لـكـنـاـ لمـ نـضـعـهـ مـنـذـ نـزـلـ بـكـ العـدـوـ وـماـ زـلـتـ فـ طـبـهـمـ حـتـىـ هـزـمـهـمـ اللهـ - وـيـقـولـونـ : إـنـ عـلـىـ وـجـهـ جـبـرـيـلـ لـأـثـرـ الـبـارـ - فـقـالـ لـهـ جـبـرـيـلـ : إـنـ اللهـ قـدـ أـمـرـكـ بـقـتـالـ بـنـىـ قـرـيـظـةـ فـأـنـاـ عـامـدـ إـلـيـهـ بـنـىـ مـعـىـ مـنـ الـمـلـائـكـةـ نـزـلـ بـهـمـ الـحـصـونـ ، فـأـخـرـجـ بـالـنـاسـ .

نـفـرـجـ رـسـوـلـ اللهـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ فـنـفـرـ عـلـىـ مـجـلـسـ بـنـىـ غـنـمـ وـهـ يـنـتـظـرـوـنـ رـسـوـلـ اللهـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ فـسـأـلـهـمـ فـقـالـ : مـرـأـ عـلـيـكـمـ فـارـسـ آـنـفـاـ ؟ فـقـالـواـ : مـرـأـ عـلـيـنـاـ دـحـيـةـ الـكـلـبـيـ عـلـىـ فـرـسـ أـبـيـضـ تـحـتـهـ بـمـطـ أـوـ قـطـيـفـةـ دـبـاجـ عـلـيـهـ الـلـاءـ . فـذـكـرـوـاـ أـنـ رـسـوـلـ اللهـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ قـالـ : ذـاكـ جـبـرـيـلـ ، وـكـانـ رـسـوـلـ اللهـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ يـشـبـهـ دـحـيـةـ الـكـلـبـيـ بـجـبـرـيـلـ ، فـقـالـ : الـحـقـوـقـ بـنـىـ قـرـيـظـةـ فـصـلـوـاـ فـيـهـمـ الـعـصـرـ .

فـقـامـوـاـ وـمـاـ شـاءـ اللهـ مـنـ الـمـسـاـمـيـنـ فـاـنـطـلـقـوـاـ إـلـىـ بـنـىـ قـرـيـظـةـ ، خـافـتـ صـلـاـةـ الـعـصـرـ وـهـمـ بـالـطـرـيقـ فـذـكـرـوـاـ الـصـلـاـةـ فـقـالـ بـعـضـهـمـ لـبـعـضـ : أـلـمـ تـعـامـوـاـ أـنـ رـسـوـلـ اللهـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ أـمـرـكـمـ أـنـ تـصـلـوـاـ الـعـصـرـ فـيـ بـنـىـ قـرـيـظـةـ . وـقـالـ آـخـرـهـمـ : هـىـ الـصـلـاـةـ . فـصـلـىـ مـنـهـمـ قـوـمـ وـأـخـرـتـ طـائـفـةـ الـصـلـاـةـ حـتـىـ صـلـوـهـاـ فـيـ بـنـىـ قـرـيـظـةـ بـعـدـ أـنـ غـابـتـ الشـمـسـ ، فـذـكـرـوـاـ رـسـوـلـ اللهـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ مـنـ عـجـلـ مـنـهـمـ الـصـلـاـةـ وـمـنـ أـخـرـهـاـ ، فـذـكـرـوـاـ أـنـ رـسـوـلـ اللهـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ لـمـ يـعـنـفـ وـاحـدـاـ مـنـ الـفـرـيقـيـنـ .

قـالـ : فـلـمـ رـأـيـ عـلـىـ بـنـ أـبـيـ طـالـبـ رـسـوـلـ اللهـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ مـقـبـلاـ تـلـقـاهـ وـقـالـ : اـرـجـعـ يـارـسـوـلـ اللهـ إـنـ اللهـ كـافـيـكـ يـهـودـ . وـكـانـ عـلـىـ قـدـ سـمـعـ مـنـهـمـ قـوـلـاـ سـيـئـاـ لـرـسـوـلـ اللهـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ وـأـزـوـاجـهـ رـضـيـ اللهـ عـنـهـنـ ، فـكـرـهـ أـنـ يـسـمـعـ ذـلـكـ رـسـوـلـ اللهـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ ، فـقـالـ رـسـوـلـ اللهـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ : لـمـ تـأـمـنـيـ بـالـرـجـوـعـ ؟ فـكـتـمـهـ مـاـ سـمـعـ مـنـهـمـ فـقـالـ : أـظـنـكـ سـمـعـتـ فـيـ مـنـهـمـ أـدـيـ ، فـامـضـ إـنـ أـعـدـاءـ اللهـ لـوـ رـأـوـنـيـ لـمـ يـقـولـوـاـ شـيـئـاـ مـاـ سـمـعـتـ . فـلـمـ نـزـلـ رـسـوـلـ اللهـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ بـحـصـنـهـمـ ، وـكـانـوـاـ فـيـ أـعـلـاهـ ، نـادـيـ بـأـعـلـىـ

صوتَه نفراً من أشرافهم حتى أسمعَهم فقال : أجيروا يامعشر يهود ياإخوة القراءة ، قد نزل بكم خزى الله عز وجل .

خاصلُهم رسول الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بكتائب المسلمين بعض عشرة ليلة ، وردَ اللهُ حُبُّي بن أَخْطَبَ حتى دخل حصنَ بني قريظة ، وقدفَ اللهُ في قلوبهم الرعب ، واشتدَّ عليهم الحصار ، فصرخوا بأبي لبابة بن عبد المنذر - وكانوا حلفاء الأنصار - فقال أبو لبابة : لا آتُهم حتى يأذن لي رسول الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . فقال له رسول الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : قد أذنت لك .

فأناهم أبو لبابة فبكوا عليه وقالوا : يا أبو لبابة ماذا ترى وماذا تأمرنا ؟ فإنه لاتقاء لنا بالقتال .

فأشار أبو لبابة بيده إلى حلقته وأمرَّ عليه أصابعه ، يريهم أنها يراد بهم القتل .

فلا اصرف أبو لبابة سقط في يده ، ورأى أنه قد أصابته فتنَّةً عظيمة ، فقال : والله لا أنظر في وجه رسول الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى أحذِّثَ اللهَ توبَةً نصوحاً يعماها الله من نفسي .

فرجع إلى المدينة فربط يديه إلى جذع من جذوع المسجد . وزعموا أنه ارتبط قريباً من عشرين ليلة .

قال رسول الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين غاب عليه أبو لبابة : أما فرغ أبو لبابة من حلفائه ؟ فذُكر له ما فعل ، فقال : لقد أصابته بعدى فتنَّةً ولو جاءنى لاستغفرت له ، وإن قد فعل هذا فلن أحرّكه من مكانه حتى يقضى الله فيه ما يشاء .

وهكذا رواه ابن هبَّيعة ، عن أبي الأسود ، عن عروة . وكذا ذكره محمد بن إسحاق في مغازيه في مثل سياق موسى بن عقبة عن الزهرى ، ومثل رواية أبي الأسود عن عروة .

قال ابن إسحاق : ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم على بئر من آبار بنى قريطة من ناحية أمواهم يقال لها بئر أَنَّى ، فخاصرهم خمساً وعشرين ليلة حتى جَهَدُوهُمُ الْحَصَارُ وقدف في قلوبهم الرعب .

وقد كان حيئ بن أَخْذَاب دخل معهم حصنهم حين رجمت عليهم قريش وغطفان وفأة لكمب بن أَسد بما كان عاشه عليه ، فلما أيقنوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم غير منصرف عنهم حتى يُنَاجِزُهُم قال كعب بن أَسد : يا مشر يهود قد نزل بكم من الأمر ماترون ، وإنى عارض عليكم خِلَالًا . ثلاثة يخذلوا بما شتم منها . قالوا : وما هن ؟ قال : تتابع هذا الرجل ونصلفه ، فواهه لقد تَبَيَّنَ لَكُمْ أَنَّهُ لَنَّبِيُّ مُرْسَلٌ وَأَنَّهُ لَذَّى تَبَدُونَهُ فِي كِتَابِكُمْ ، فَتَأْمُنُونَ بِهِ عَلَى دِمَائِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ وَأَبْنَائِكُمْ وَنَسَائِكُمْ . قالوا : لَا نَفَارِقُ حُكْمَ التُورَاةِ أَبَدًا وَلَا نَسْتَبِدُ بِهِ غَيْرَهُ .

قال : إِذَا أَيْتُمْ عَلَى هَذِهِ فِيهِمْ فَلَنْقُلْتُ أَبْنَاءَنَا وَنِسَاءَنَا ، ثُمَّ نَخْرُجُ إِلَى مُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ رِجَالًا مُصْلِتِينَ بِالسِيُوفِ ^(١) ، لِمَ نَرْكِ وَرَاهَنَا ثَقَلًا حَتَّى يُحْكِمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مُحَمَّدًا ، فَإِنْ نَهَلَكْ نَهَلَكْ وَلَمْ نَرْكِ وَرَاهَنَا نَسَلًا نَخْشِيُّ عَلَيْهِ ، وَإِنْ نَظَهَرْ فَلَعْمَرِي لَنْجَدُ النِّسَاءَ وَالْأَبْنَاءَ .

قالوا : أَنْتُلْ هُؤُلَاءِ الْمَسَاكِينِ ؟ فَإِنْ خَيْرُ الْعِيشِ بَعْدُهُمْ !

قال : فَإِنْ أَيْتُمْ عَلَى هَذِهِ ، فَاللَّيْلَةُ لِيَلَةُ السَّبْتِ ، وَإِنَّهُ عَسَى أَنْ يَكُونَ مُحَمَّدًا وَأَصْحَابِهِ قد أَمِنُونَا فِيهَا ، فَأَنْزَلُوا عَلَنَا نَصِيبَ مِنْ مُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ غَرَّةً .

قالوا : أَنْسَدْ سَبْتَنَا وَنُخَذِّلُ فِيهِ مَالَ يُخَدِّثُ فِيهِ مَنْ كَانَ قَبْلَنَا إِلَّا مَنْ قَدْ عَلِمَ فَأَصْحَابِهِ مَالَ يُخَفِّ عنك من المسخ .

قال : مَابَاتْ رَجُلٌ مِنْكُمْ مِنْذُ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ لِيَلَةً مِنَ الدَّهْرِ حَازِمًا .

(١) ابن هشام : مصلتين السيف .

نُمْ إِنْهُمْ بَعْثَنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ أَبْعَثَ إِلَيْنَا أَبَا لِبَابَةَ بْنَ عَبْدِ النَّذْرِ
أَخَا بْنِ عُرْوَةَ عَوْفَ، وَكَانُوا حَلْفَاءَ الْأَوْسَ، نَسْتَشِيرُهُ فِي أَمْرِنَا.

فَأَرْسَلَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا رَأَوْهُ قَامَ إِلَيْهِ الرَّجُلُ وَجَهَشَ إِلَيْهِ النَّاسُ
وَالصَّبِيَّانُ يَسْكُونُ فِي وُجُوهِهِ، فَرَقَّ لَمْ وَقَالُوا: يَا أَبَا لِبَابَةَ أَتَرِيَ أَنْ نَزَّلَ عَلَى حَكْمِ مُحَمَّدٍ؟
قَالَ: نَعَمْ. وَأَشَارَ يَدَهُ إِلَى حَلْقَةِ أَنَّهُ الذِّي جَعَلَ.

قَالَ أَبُو لِبَابَةَ: فَوَاللهِ مَا زَالَتْ قَدْمَاهُ مِنْ مَكَانِهِمَا حَتَّى عَرَفْتُ أَنِّي قَدْ خَنْثَتُ
اللهُ وَرَسُولَهُ.

ثُمَّ انْطَلَقَ أَبُو لِبَابَةَ عَلَى وَجْهِهِ، وَلَمْ يَأْتِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حَتَّى
ارْتَبَطَ فِي الْمَسْجِدِ إِلَى عُمُودِ مِنْ عُمُدِهِ، وَقَالَ: لَا أَبْرُحُ مَكَانِي حَتَّى يَتُوبَ اللَّهُ عَلَيَّ مَا
صَنَعْتُ. وَأَعَاهُدُ اللَّهَ أَلَا أَطْأَلُ بَنِي قَرِيبَةَ أَبَدًا وَلَا أَرْجِي فِي بَلْدَةِ خَنْثَتُ اللَّهُ وَرَسُولَهُ
فِيهِ أَبَدًا.

قَالَ ابْنُ هَشَامَ: وَأَنْزَلَ اللَّهُ، فِيمَا قَالَ سَفيَّانُ بْنُ عَيْنَةَ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبِي خَالِدٍ،
عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي قَتَادَةَ: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَتَخُونُوا أَمَانَاتَكُمْ
وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ»^(١).

قَالَ ابْنُ هَشَامَ: أَقَامَ مُرْتَبَطًا سَتَّ لَيَالٍ، تَأْتِيهِ امْرَأَتُهُ فِي وَقْتِ كُلِّ صَلَاةٍ فَتَأْخُلُهُ
حَتَّى يَتَوَضَّأْ وَيَصْلِي، ثُمَّ يَرْتَبِطُ، حَتَّى نَزَّلَتْ تَوْبَتُهُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: «وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا
بِذَنْبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلاً صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ
رَّحِيمٌ»^(١).

وَقَوْلُ مُوسَى بْنِ عُقْبَةَ أَنَّهُ مَكَثَ عَشْرِينَ لَيَالِي مُرْتَبَطًا بِهِ . وَاللهُ أَعْلَمُ .
وَذَكْرُ ابْنِ إِسْحَاقَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ تَوْبَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ آخِرِ الْلَّيْلِ وَهُوَ فِي بَيْتِ أَمِّ

سلمة ، فجعل يقتسم فسألته أم سلمة فأخبرها بتوبة الله على أبي لبابة ، فاستأذنته أن تبشره فاذن لها ، فخرجت فبشرَّته ، فثار الناسُ إِلَيْهِ يبشرونَه ، وأرادوا أن يخلُوه مِنْ رباطه فقال : والله لا يخلُّنِي منه إِلَّا رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . فلما خرج رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى صلاةِ الفجر حلَّهُ مِنْ رباطه رضي الله عنه وأرضاه .

* * *

قال ابن إسحاق : ثم إن معلبة بن سعفية وأسيد بن سعفية وأسد بن عبيد ، وهم نفر من بني هذل ليسوا من بني قريظة ولا النضير ، نسبُهم فوق ذلك هم بنو عم القوم ، أسلموا في تلك الليلة التي نزلت فيها قريظة على حكم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

ونخرج في تلك الليلة عمرو بن سعدى القرظى فمرَّ بحرس رسول رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعليهم محمد بن مسلمة تلك الليلة ، فلما رأه قال : من هذا ؟ قال : أنا عمرو بن سعدى . وكان عمرو قد أبى أن يدخل مع بني قريظة في غدرهم برسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقال : لا أغدر بِمحمد أبداً . فقال محمد بن مسلمة حين عرفه : اللهم لا تحرمني إقلاقه عثرات السَّكَرَامَ . ثم خلى سبيله فخرج على وجهه حتى بات في مسجد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالمدينة تلك الليلة ، ثم ذهب لم يدر أين توجه من الأرض إلى يومه هذا فذَكر شأنه لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال : ذاك رجل نجحَّاه الله بوفائه .

قال : وبعض الناس يزعم أنه كان أوثق برُّمة فيمن أوثق من بني قريظة ، فأصبحت رُّمة ملقاءً ولم يذرَّ أين ذهب ، فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيه تلك المقالة . والله أعلم أى ذلك كان .

قال ابن إسحاق : فلما أصبحوا نزلوا على حكم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . فتوابيت الأوسُ فقالوا : يارسول الله إنهم كانوا موالينا دون الخزرج ، وقد فعلتَ في موالٍ إخواننا بالأمس ما قد علمتَ ، يعنيون عفوه عن بني قينقاع حين سأله فيهم عبد الله ابن أبي . كما تقدم .

قال ابن إسحاق : فلما كلمته الأوس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يامعشر الأوس ألا ترضون أن يَحْكُم فيهم رجل منكم ؟ قالوا : بلى . قال : فذلك إلى سعد بن معاذ . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جعل سعد بن معاذ في خيمة لامرأة من أسلم يقال لها رفيدة في مسجده وكانت تداوى الجرحى ، فلما حَكَمَه في بنى قريظة أتاه قومه فحملوه على حمار قد وَطَّأَوا له بوسادة من أَدَمَ ، وكان رجلاً جسيماً جميلاً ، ثم أقبلوا معه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يقولون : يا أبا عمرو أَحْسِنَ فِي مَوَالِيك ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما ولَّاك ذلك اتَّحَسَنَ فِيهِمْ . فلما أَكْثَرُوا عَلَيْهِ قَالَ : قَدْ آتَيْتُكُمْ أَلَا تَأْخُذُنِي فِي اللَّهِ لَوْمَةً لَا يَمْلِأُنِي !

فرجع بعضُ من كان معه من قومه إلى دار بنى عبد الأشهل فنفي لهم رجال بنى قريظة قبل أن يصل إليهم سعد عن كلمته التي سمع منه .

فلما انتهى سعد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وال المسلمين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قوموا إلى سيدكم . فأما المهاجرون من قريش فيقولون : إنما أراد الأنصار ، وأما الأنصار فيقولون : قد عَمِّ رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين . فقاموا إليه . فقالوا : يا أبا عمرو إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ولَّاك أمرَ مَوَالِيك لَتَحْكُمَ فِيهِمْ . فقال سعد : عليكم بذلك عهْدُ الله وميناقةه أنَّ الْحُكْمَ فِيهِمْ لَمَّا حَكَمْتُ ؟ قالوا : نعم . قال : وعلى من هاهنا . في الناحية التي فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو معرض عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إجلالاً له . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم . قال سعد : فإني أَحْكُمُ فِيهِمْ أَنْ يُقْتَلَ الرِّجَالُ وَتُقْسَمَ الْأَمْوَالُ وَتُسَبَّى الدَّرَارِيُّ وَالنِّسَاءُ . قال ابن إسحاق : فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، عن عبد الرحمن بن عمر بن سعد ابن معاذ ، عن علقة بن وقارن الليثي ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لسعد : لقد حكمت فيهم بِحُكْمِ اللَّهِ مِنْ فَوْقِ سَبْعَةِ أَرْقَعَةٍ .

وقال ابن هشام : حدثني من أثق به من أهل العلم أن على بن أبي طالب صاحب وهم محاصرة ببني قريظة : يا كتبة الإيمان . وتقدم هو والزبير بن العوام وقال : والله لأذوقن ماذاق حزنة أو أقتحم حضنهم . فقالوا : يا محمد ننزل على حكم سعد بن معاذ .

* * *

وقد قال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، عن سعد بن إبراهيم ، سمعت أبا أمامة بن سهل ، سمعت أبا سعيد الخدري ، قال : نزل أهل قريظة على حكم سعد بن معاذ . قال : فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى سعد فاتأه على حمار ، فلما دنا قريباً من المسجد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قوموا سيدكم أو خيركم . ثم قال : إن هؤلاء نزلوا على حكمك . قال : تقتل مقاتلتهم ونُسبي ذريتهم . قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قضيت بحكم الله . وربما قال : قضيت بحكم الملك . وفي رواية الملك .

آخر جاه في الصحيحين من طرق عن شعبة .

وقال الإمام أحمد : حدثنا مجین ويونس ، قالا : حدثنا الليث بن سعد ، عن أبي الزبير ، عن جابر بن عبد الله أنه قال : رُمِيَ يوم الأحزاب سعدُ بن معاذ فقطعوا أَكْحَلَه ، فحسمه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنار فافتتحت يده فترفه ، فلما رأى ذلك قال : اللهم لا تخرج نفسى حتى تُقرئني من بني قريظة . فاستمسك عرقه فما قطر قطرة حتى نزلوا على حكم سعد ، فأرسل إليه فحكم أن تقتل رجالهم وتُسجى نسائهم وذارياتهم يستعين بهم المسلمون . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أصبت حُكْمَ الله فيهم . وكانوا أربعائة . فلما فرغ من قتلهم اتفق عرقه فمات .

وقد رواه الترمذى والنمسائى جيئاً عن قتيبة ، عن الليث به . وقال الترمذى :

وقال الإمام أحمد : حدثنا ابن نمير ، عن هشام ، أخبرني أبي ، عن عائشة قالت : لما راجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الخندق ووضع السلاح واغتسل فأتاه جبريل وعلى رأسه الغبار فقال : قد وضعت السلاح فوالله ما وضعتها أخرج إليهم . قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم : فأين ؟ قال : هاهنا . وأشار إلى بنى قريظة . خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم . قال هشام : فأخبرني أبي أنهم نزلوا على حكم النبي صلى الله عليه وسلم فرد الحكم فيهم إلى سعد . قال : فإني أحكم أن تقتل المقاتلة وتسبي النساء والذرية وتقسم أمواهم .

قال هشام : قال أبي : فأخبرت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لقد حكمت فيهم بحكم الله ثم

وقال البخاري : حدثنا زكريا بن يحيى ، حدثنا عبد الله بن نمير ، حدثنا هشام عن أبيه ، عن عائشة قالت : أصيب سعد يوم الخندق ، رماه رجل من قريش يقال له حيّان ابن العريقة ، رماه في الأكحل ، فضرب النبي صلى الله عليه وسلم خيمةً في المسجد ليعوده من قريب ، فلما راجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الخندق وضع السلاح واغتسل ، فأتاه جبريل وهو يفضض رأسه من الغبار فقال : قد وضعت السلاح ؟ والله ما وضعته أخرج إليهم . قال النبي صلى الله عليه وسلم : فأين ؟ وأشار إلى بنى قريظة . فأناهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلوا على حكمه ، فرد الحكم إلى سعد . قال : فإني أحكم فيهم أن تُقتل المقاتلة وأن تسبي النساء والذرية وأن تقسم أمواهم . قال هشام : فأخبرني أبي عن عائشة أن سعداً قال : اللهم إنك تعلم أنه ليس أحد أحب إلىك أن أجاهدهم فيك من قومٍ كذبوا رسولك وأخرجوا ، اللهم فإني أظن أنك قد وضعت الحرب بيننا وبينهم ، فإن كان بقي من حرب قريش شيء فإبني له حتى أجاهدهم فيك ، وإن كنت وضعت الحرب فاقْبِرْها واجعل موتها فيها . فانفجرت من لبقة فلم يرُغمُهم وفي

المسجد خيمة من بني غفار إلا الدم يسمى إليهم ، فقالوا : يا أهل الخيمة ما هذا الذي يأتينا من قبركم ؟ فإذا سعد يغدو جرحة دما فات منها .

وهذا رواه مسلم من حديث عبد الله بن ثمير به .

قلت : كان دعا أولاً بهذا الدعاء قبل أن يحكم في بني قريظة ، ولهذا قال فيه : ولا تُعْنِي حتى تُقرَّ عيني من بني قريظة . فاستيأجاب الله له ، فلما حكم فيهم وأفر الله عينه أى قرار دعا ثانيةً بهذا الدعاء فعمله الله له شهادة حرضي الله عنه وأرضاه . وسيأتي ذكر وفاته قريباً إن شاء الله .

* * *

وقد رواه الإمام أحمد من وجه آخر عن عائشة مطولاً كجداً وفيه حذف ماء فقال : حدثنا يزيد ، أئبنا محمد بن عمرو ، عن أبيه ، عن جده عقبة بن وقاص ، قال : أخبرتني عائشة قالت : خرجت يوم الحندق أقوف الناس فسميت وئيد الأرض ورأى ، فإذا أنا بسعد بن معاذ ومعه ابن أخيه الحارث بن أوس يحمل مجنه . قالت : فجئت إلى الأرض فر سعد وعليه درع من حديد قد خرجت منها أطراقه ، فأنا أتحوّف على أطرااف سعد ، قالت : وكان سعد من أعظم الناس وأطواهم ، فرّ وهو يتجز ويقول :

لَبِّثْ قَلِيلًا يُذْرِكَ الْهَيْجَاجَ حَمَلْ مَا حَسِنَ الْمَوْتَ إِذَا حَانَ الْأَجَلْ

قالت : فقمت فاقتحمت حديقة فإذا نفر من المسلمين ، فإذا فيها عمر بن الخطاب وفيهم رجل عليه سبعة له ، تعنى المفتر ، فقال عمر : ماجاء بك والله إنك لجريئة وما يؤمنك أن يكون بلاه أو يكون تحواز . فازال يلومني حتى تمنيت أن الأرض فتحت ساعتها فدخلت فيها فرفع الرجل السبعة عن وجهه فإذا هو طلحة بن عبيد الله فقال : يا عمر وبحك إنك قد كثرت منذ اليوم وأين التحواز أو الفرار إلا إلى الله عز وجل .

قالت : ويرمى سعداً رجل من قريش يقال له ابن العرقه وقال : خذها وأنا ابن العرقه .

فأصاب أكحله فقطعه ، فدعا الله سعد فقال : اللهم لا تُمْنِي حتى تقر عيني من بني قريظة .
قالت : وكانوا حلفاء ومواليه في الجاهلية . قالت فرقاً كلامه وبعث الله الريح على
المشركين وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قوياً عزيزاً . فلتحق أبو سفيان ومن معه
بتهامة ، ولتحق عبيدة بن بدر ومن معه بتجدد .

ورجعت بنو قريظة فتحصنتوا في صياصيم ، ورجع رسول الله صلى الله عليه وسلم
إلى المدينة وأمر بقبة من أدم ، فضررت على سعد في المسجد . قالت : فجاء جبريل وإن
على ثناياه لنفع العبار فقال : أقد وضعت السلاح ! لا والله ما وضعت الملائكة السلاح
بعد ، اخرج إلى بني قريظة فقاتلتهم .

قالت : فلبس رسول الله صلى الله عليه وسلم لأمهه وأذن في الناس بالرحيل أن
يخرجوا ، فر على بني عمّ ، وهم جيران المسجد حوله فقال : من مرّ بكم ؟ قالوا : مرّ بنا
دحية الكلابي ، وكان دحية الكلابي تشبه لحيته وستنه وجهه جبريل عليه السلام .
فأناهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فخاصرهم خمساً وعشرين ليلة ، فلما اشتد حضورهم
واشتد البلاء قيل لهم : انزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم . فاستشاروا أبا لبابا
ابن عبد المنذر فأشار إليهم أنه الذبح قالوا : ننزل على حكم سعد بن معاذ . فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم : انزلوا على حكم سعد بن معاذ . فأتي به على حمار عليه إكاف من
ليف قد حمل عليه وحش با قومه ، فقالوا : يا أبا عمرو حلفاؤك ومواليك وأهل النكارة ،
ومن قد عَلِمت . قالت : ولا يرجع إليهم شيئاً ولا يلتقط إليهم ، حتى إذا دنا من دورهم
النفت إلى قومه فقيل : قد آن لى ألا أبالي في الله لومة لائم !

قالت : قال أبو سعيد : فلما طلع قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قوموا إلى
سيديكم فأنزلوه . قال عمر : سيدينا الله . قال : أنزلوه . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
احسكم فيهم فقال سعد : فإن أحكم فيهم أن تقتل مقاتلتهم وتُسبى ذرازيم وتقسم

أموالم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد حكمتَ فيهم بحكم الله وحكم رسوله .
ثم دعا سعداً فقال : اللهم إِن كُنْتَ أَبْقَيْتَ عَلَى نَبِيِّكَ مِنْ حَرْبِ قُرْبَشِ شَيْئاً فَاقْبِنِي
لَهَا ، وَإِنْ كُنْتَ قَطَعْتَ الْحَرْبَ يَدَنِهِ وَيَنْهِمْ فَاقْبِضْنِي إِلَيْكَ . قَالَتْ : فَانْجُرْ كَلْمَهُ وَكَانَ
قَدْ بَرِئَ حَتَّى لَا يَرَى مِنْهُ إِلَّا مِثْلَ الْخُرْصِ^(١) ، وَرَجَعَ إِلَى قَبْتَهِ الَّتِي ضَرَبَ عَلَيْهِ رَسُولُ
الله صلى الله عليه وسلم .

قَالَتْ عَائِشَةُ : فَخَضَرَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرَ ، قَالَتْ : فَوَالذِّي
نَفَسَ مُحَمَّدَ بِيَدِهِ إِنِّي لَا عُرِفُ بِكَاهٍ عَزَّزَ مِنْ بَكَاهٍ أَبِي بَكْرٍ وَأَنَافِ حَجْرَنِي ، وَكَانُوا كَمَا قَالَ
إِلَهُ : « رَجَاهُ بَيْنَهُمْ »^(٢) .

قَالَ عَلْقَمَةُ : قَلْتُ : يَا أَمَّهُ فَكَيْفَ كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَصْنَعُ ؟ قَالَتْ :
كَانَتْ عَيْنَهُ لَا تَدْمِعُ عَلَى أَحَدٍ . وَلَكِنَّهُ كَانَ إِذَا وَجَدَ فَإِمَّا هُوَ آخَذٌ بِلَحْيَتِهِ .
وَهَذَا الْحَدِيثُ إِسْنَادُهُ جَيْدٌ وَلَهُ شَوَاهِدٌ مِنْ وُجُوهٍ كَثِيرَةٍ ، وَفِيهِ التَّصْرِيفُ بِعِبْدِ عَاصِمٍ
مَرْتَيْنِ ، مَرَّةً قَبْلَ حَكْمِهِ فِي بَنِي قَرْبَاطَةِ وَمَرَّةً بَعْدَ ذَلِكَ ، كَمَا قَلَّمَهُ أَوْلًا وَاللَّهُ أَكْبَرُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ .
وَسَنَذَكِرُ كَيْفِيَةَ وَفَاتَهُ وَدُفْنَهُ وَفَضْلَهُ فِي ذَلِكَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ بِمَدْ فَرَاغَنَا
مِنَ الْقَصَّةِ .

* * *

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : ثُمَّ اسْتَبَرُلُوا ، فَبِسَمِهِ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْمَدِينَةِ فِي دَارِ
بَنْتِ الْحَارِثِ امْرَأَةَ مِنْ بَنِي النَّجَارِ . قَلَّتْ : هِيَ نَسِيْبَةُ ابْنِي الْحَارِثِ بْنِ كَرْزَ بْنِ حَمِيدِ
بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ ، وَكَانَتْ تَحْتَ مَسِيلَةِ الْكَذَابِ ، ثُمَّ خَلَفَ عَلَيْهَا عَبْدُ اللهِ بْنُ عَامِرٍ
ابْنُ كَرْزَ .

(١) الْخُرْصُ : الْحَلْقَةُ الصَّغِيرَةُ مِنْ الْمَلِلِ . (٢) سُورَةُ الْفُتْحِ الْآيَةُ ٢٩ .

ثم خرج صلى الله عليه وسلم إلى سوق المدينة فخندق بها خنادق، ثم بعث إليهم فضرب أعناقهم في تلك الخنادق، فخرج بهم إليه أرسلا، وفيهم عدو الله حيى بن أخطب وكعب بن أسد رأس القوم وهم سبعة أو سبعة عشرة. والملائكة يقولون: كانوا ما بين المئنانة والتسعين.

قلت: وقد تقدم فيما رواه الليث عن أبي الزبير عن جابر أنهم كانوا أربعاً . فالله أعلم .

قال ابن إسحاق: وقد قالوا لـ كعب بن أسد وهم يذهب بهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسلا: يا كعب ما تراه يصنع بنا؟ قال: أفي كل موطن لا تُعقلون! ألا ترون الداعي لا ينزع ومن ذهب به منكم لا يرجع، هو والله القتل!

فلم يزل ذلك الدأب حتى فرغ منهم، وأتى بجي بن أخطب وعليه حلة له فـ قـاتـحة^(١) قد شقها عليه من كل ناحية قدر أذلة ثلاثة لثلا يسلّبها، مجموعة يداه إلى عنقه بحبال. فلما نظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: أـمـاـوـالـلـهـ مـالـتـ نـفـسـيـ فـ عـدـاـتـكـ، وـلـكـنـهـ مـنـ يـخـذـلـ اللـهـ يـخـذـلـ!

ثم أقبل على الناس فقال: أيها الناس، إنه لا بأس بأمر الله، كتاب وقدر وملائكة كتبها الله على بني إسرائيل! ثم جاس فضررت عنقه.

فقال جبل بن جوال الشعبي:

لـعـنـكـ مـالـمـ اـبـنـ أـخـطـبـ نـفـسـهـ وـلـكـنـهـ مـنـ يـخـذـلـ اللـهـ يـخـذـلـ
لـجـاهـدـ حـتـىـ أـبـلـغـ النـفـسـ عـذـرـهـ وـقـلـقـلـ يـبـغـيـ العـزـ كـلـ مـعـلـقـلـ^(٢)

* * *

(١) الفلاح: الزهر إذا انفتحت أكتنه. والمراد أنها كانت تضرب إلى الحمرة. قال ابن هشام: فقاية ضرب من الوشي.

(٢) قلقل: سعي وتحرك.

وذكر ابن إسحاق قصة الزبير بن باطا ، وكان شيخاً كبيراً قد عمى ، وكان قد من يوم بعث على ثابت بن قيس بن شماس وجز ناصيته ، فلما كان هذا اليوم أراد أن يكافئه فجاءه فقال : هل تعرفني يا أبا عبد الرحمن ؟ قال : وهل يجهل مثل مثلك . فقال له ثابت : أريد أن أكافئك . فقال : إن **الْكَرِيمَ يُحِبُّ الْكَرِيمَ** .

فذهب ثابت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستطلقه فأطلقه له ، ثم جاءه فأخبره فقال : شيخ كبير لا أهل [له]^(١) ولا ولد ، فما يصنع بالحياة ! فذهب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستطلق له امرأته وولده ، فأطلقهم له . ثم جاءه فقال : أهل بيتي بالحجاز لامال لهم ، فما بقاوهم على ذلك ؟ فأتى ثابت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستطلق مال الزبير بن باطا ، فأطلقه له .

ثم جاءه فأخبره فقال له : يثبت ما فعل الذي كان وجهه مرآة صينية تراءى فيها عذاري حتى^(٢) ، كعب بن أسد ؟ قال : قُتل .

قال : فما فعل سيد الحاضر والبادي حبي بن أخطب ؟ قال : قُتل .

قال : فما فعل مقدمتنا إذا شدنا وحاميتنا إذا فررتنا : عزال بن شموال^(٣) ؟ قال : قُتل .

قال : فما فعل الجلسان ؟ يعنيبني كعب بن قريظة وبني عمرو بن قريظة . قال : ذهبوا فقتلوا .

قال : فإن أسألك يا ثابت بيدى عندك إلا الحقنى بالقوم ، فوالله ما في العيش بعد هؤلاء من خير ، فما أنا بصابر لله فيلة^(٤) دلو ناضح حتى ألقى الأحبة .

(١) من ابن هشام . (٢) ابن هشام : عذاري الحى .

(٣) ابن هشام : شموال بالسين .

(٤) المذكور في ابن هشام والروض الأنف للسهراني : فتلة بالباء . وعلمه تحريف فيما ، ما دام ابن كثير قد ضبطه بالحروف .

فقدَّمه ثابت فُضْرَبَتْ عَنْقَهِ .

فَلَمَّا بَلَغَ أَبَا بَكْرَ الصَّدِيقَ قَوْلَهُ : « أَلْقِ الْأَحْبَةَ » قَالَ : يَلْقَاهُمْ وَاللَّهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا مُخْلَدًا !

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : « كَيْلَةٌ » بِالْفَاءِ وَالْيَاءِ الْمُثَنَّةِ مِنْ أَسْفَلِ . وَقَالَ ابْنُ هَشَامَ ، بِالْفَاءِ وَالْيَاءِ الْمُوَحدَةِ . وَقَالَ ابْنُ هَشَامَ : النَّاضِحُ : الْبَعِيرُ الَّذِي يُسْتَقِي عَلَيْهِ الْمَاءُ لِسُقْيِ النَّخْلِ . وَقَالَ أَبُو عَبِيدَةَ : مَعْنَاهُ إِفْرَاغَةُ دَلْوٍ .

* * *

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ أَمْرَ بِقتْلِ كُلِّ مَنْ أَنْبَتَ مِنْهُمْ . فَخَدْثَنِي شَعْبَةُ بْنُ الْحَجَاجَ ، عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عُمَيْرٍ ، عَنْ عَطِيَّةِ الْقَرْظَى ، قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ أَمْرَ بِقتْلِ كُلِّ مَنْ أَنْبَتَ مِنْهُمْ ، وَكُنْتُ غَلَامًا ، فَوُجِدْنِي لَمْ أَنْبَتْ خَلْوَةً سَبِيلِي .

وَرَوَاهُ أَهْلُ السَّنَنِ الْأَرْبَعَةُ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عُمَيْرٍ ، عَنْ عَطِيَّةِ الْقَرْظَى نَحْوَهُ .

وَقَدْ اسْتَدَلَّ بِهِ مِنْ ذَهَبِ الْعُلَمَاءِ إِلَى أَنَّ إِنْبَاتَ الشَّعْرِ الْخَشنِ حَوْلَ الْفَرْجِ دَلِيلٌ عَلَى الْبَلوَغِ ، بَلْ هُوَ بَلَغٌ فِي أَصْحَاحِ قَوْلِ الشَّافِعِيِّ .

وَمِنْ الْعُلَمَاءِ مَنْ يَفْرَقُ بَيْنَ صَبِيَّانَ أَهْلِ الذَّمَةِ ، فَيُكَوِّنُ بَلَغًا فِي حَقِّهِمْ دُونَ غَيْرِهِمْ ، لِأَنَّ الْمُسْلِمَ قَدْ يَتَأْذَى بِذَلِكَ لِمَقْصِدِهِ .

وَقَدْ رُوِيَ إِسْحَاقُ عَنْ أَبْيَوبَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، أَنَّ سَلْمَى بَنْتَ قَيْسٍ أُمَّ الْمَنْذَرِ اسْتَطَلَقَتْ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَفَاعَةَ بْنَ شَمْوَالَ ، وَكَانَ قَدْ بَلَغَ فَلَادَ بِهَا ، وَكَانَ يَعْرَفُهُمْ قَبْلَ ذَلِكَ فَأَطْلَقَهُمْ لَهَا ، وَكَانَتْ قَاتِلَةً : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ رَفَاعَةَ يَزْعُمُ أَنَّهُ سَيَصْلَى وَيَا كُلَّ لَمَّا الْجَلْ . فَأَجَابَهَا إِلَى ذَلِكَ فَأَطْلَقَهُ .

قال ابن إسحاق : وحدثني محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة ، عن عائشة قالت : لم يقتل من نسائهم إلا امرأة واحدة ، قالت : والله إنها لعندي تحدّث معي تضحك ظهراً وبطناً ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقتل رجالها في السوق إذ هتف هاتف باسمها أمن فلانة ؟ قالت : أنا والله . قالت : قات لها : ويلك مالك ؟ قات : أُقتل ! قلت : ولم ؟

قالت : لحدث أحد شته . قالت : فانطلق بها فاضر بت عنقها .

وَكَانَتْ عَائِشَةُ تَقُولُ : فَوَاللَّهِ مَا أَنْسَى عَجِيْبًا مِنْهَا طَيْبٌ نَفْسَهَا وَكَثْرَةُ ضَحْكِهَا وَقُدْ

عَرَفْتُ أَنَّهَا تُقْتَلُ !

وهكذا رواه الإمام أحمد ، عن يعقوب بن إبراهيم، عن أبيه ، عن محمد بن إسحاق به .

قال ابن إسحاق : هي التي طرحت الرّأحا على خلاد بن سُويد فقتلته . يعني فقتلها

رسول الله صلى الله عليه وسلم به .

قال ابن إسحاق في موضع آخر : وسمها نباتة امرأة الحكم الفرطى .

* * *

قال ابن إسحاق : ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قسم أموال بنى قريظة ونساءهم وأبناءهم على المسلمين بعد ما أخرج المنس ، وقسم للفارس ثلاثة أسمهم ، سهرين للفرس وسهما راكبه ، وسهما راجل ، وكانت الخيل يومئذ ستاً وثلاثين . قال : وكان أول فيء وقعت فيه السهمان ومحنّس .

قال ابن إسحاق : وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سعيدَ بن زيدَ بسبايا من
بني قريظة إلى نجد فابتاع بها خيلاً وسلاماً . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد
اصطفى من نسائهم ريحانة بنت عمرو بن خنافة إحدى نساء بني عمرو بن قريظة ، وكان
عليها حتى تُوفى عندهما وهي في ملائكة ، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عرض
عليها الإسلام فامتنعت ثم أسلمت بعد ذلك فسرّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بإسلامها

وقد عرض عليها أن يعتقها ويتزوجها فاختارت أن تستمر على الرق ليكون أسهل عليها فلم تزل عنده حتى توفى عليه الصلوة والسلام .

ثم تكلم ابن إسحاق على ماتزل من الآيات في قصة الخندق من أول سورة الأحزاب، وقد ذكرنا ذلك مستقصى في تفسيرها والله الحمد والمنة .

وقد قال ابن إسحاق : واستشهد من المسلمين يوم بني قريظة خلاد بن سويد بن ثعلبة بن عمرو الخزرجي طرحت عليه رحًا فشدّته شدّهًا شديداً ، فزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن له لأجر شهيدين » .

قلت : كان الذي ألقى عليه الرحى تلك المرأة التي لم يقتل من بني قريظة امرأة غيرها كما تقدم . والله أعلم .

قال ابن إسحاق : ومات أبو سنان بن محسن بن حزان من بنى أسد بن خزيمة ورسول الله صلى الله عليه وسلم محاصر بني قريظة فدفن في مقبرتهم اليوم .

وفاة سعد بن معاذ رضى الله عنه

قد تقدم أن حبيان بن العرقة لعنه الله رماه بهم فأصابه كحلاً ، فسمه رسول الله صلى الله عليه وسلم كياً بالنار فاستمسك الجرح ، وكان سعد قد دعا الله ألا يعيقه حتى يُقر عينه من بني قريظة ، وذلك حين نقضوا ما كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم من العهد والمواثيق والذمام وما لوا عليه مع الأحزاب ، فلما ذهب الأحزاب وانفشو عن المدينة وباءت بنو قريظة بسواد الوجه والصفقة الخاسرة في الدنيا والآخرة ، وساد إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ليحاصرهم كما تقدم ، فلما ضيق عليهم وأخذهم من كل جانب أنابوا أن ينزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيحكم فيهم بما أراده الله ، فرد الحكم فيهم إلى رئيس الأوس وكانوا حلفاء هنف الجاهليه ،

وهو سعد بن معاذ ، فرضوا بذلك . ويقال : بل نزلوا ابتداءً على حكم سعد لما يرجون من حنونه عليهم وإحسانه وميله إليهم ، ولم يعلموا بأنهم أبغض إليه من أعدادهم من القردة والخنازير لشدة إيمانه وصدقته رضي الله عنه وأرضاه .

بعث إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان في خيمة في المسجد النبوى ، فجاء به على حمار تخته إكاف قد وطى تحته لمرضه ، ولما قارب خيمة الرسول صلى الله عليه وسلم أمر عليه السلام من هناك بالقيام له . قيل : ليُنزل من شدة مرضه ، وقيل توقيراً له بحضوره الحكم عليهم ليكون أبلغ في نفوذ حكمه . والله أعلم .

فلا حكم فيهم بالقتل والسبّ وأفرأ الله عينه وشفى صدره منهم وعاد إلى خيمته من المسجد النبوى صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا الله عز وجل أن تكون له شهادة ، واختار الله له ما عنده فانفجر جرحه من الليل ، فلم يزل يخرج منه الدم حتى مات رضي الله عنه .

* * *

قال ابن إسحاق : فلما انقضى شأنُ بني قريظة انفجر سعد بن معاذ جرحة فمات منه شهيداً .

حدثني معاذ بن رفاعة الزُّرقى قال : حدثنى من شئت من رجال قومى : أن جبريل أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قُبض سعد بن معاذ من جوف الليل معتجراً بعامة من استبرق ، فقال : يا محمد من هذا الميت الذى فُتحت له أبواب السماء واهتز له العرش ؟ قال : فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم سريراً يجر ثوبه إلى سعد فوجده قد مات رضي الله عنه .

هكذا ذكره ابن إسحاق رحمه الله .

وقد قال الحافظ البهقى في الدلائل : حدثنا أبو عبد الله الحافظ ، حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ، حدثنا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ، حدثنا أبي وشعيـب بن اليمـث ، قالا : حدثنا الـيمـث بن سـعـد ، عن يـزـيد بن المـاد ، عن مـعاـذ بن رـفـاعة ، عن جـابر بن عبد الله قال : جاء جـبـرـيل إلى رـسـول الله صـلـى الله عـلـيـه وـسـلـمـ فـقـال : من هـذـا العـبـد الصـالـح الـذـى مـات فـتـحـت لـه أـبـوـاب السـمـاء وـتـحـركـلـه العـرـش ؟

قال : نـخـرـج رـسـول الله صـلـى الله عـلـيـه وـسـلـمـ فـإـذـا سـعـد بن مـعاـذ ، قـال : فـلـئـس رـسـول الله صـلـى الله عـلـيـه وـسـلـمـ عـلـى قـبـرـه وـهـو يـدـفـن ، فـبـيـنـما هـو جـالـس إـذـقـال : « سـبـحـان الله » مـرـتـين ، فـسـبـحـ القـوـم ، ثـمـ قـال : « الله أـكـبـر الله أـكـبـر » فـكـبـرـ القـوـم ، ثـمـ قـال رـسـول الله صـلـى الله عـلـيـه وـسـلـمـ : « عـجـبـت لـهـذـا العـبـد الصـالـح شـدـدـ عـلـيـه فـقـبـرـه حـتـى كـانـ هـذـا حـيـن فـرـجـلـه ». .

وروى الإمام أحمد والنسائي من طريق يزيد بن عبد الله بن أسامه بن الماد ، ويحيى بن سعيد عن معاذ بن رفاعة عن جابر ، قال : قال رسول الله صلـى الله عـلـيـه وـسـلـمـ لـسـعـد يـومـ مـات وـهـو يـدـفـن : « سـبـحـان الله لـهـذـا الصـالـح الـذـى تـحـرـكـلـه عـرـشـ الرـحـمـن وـفـتـحـت لـه أـبـوـاب السـمـاء ، شـدـدـ عـلـيـه ثـمـ فـرـجـ الله عـنـه ». .

وقال محمد بن إسحاق : حدثني معاذ بن رفاعة ، عن محمود بن عبد الرحمن بن عمرو ابن الجروح ، عن جابر بن عبد الله قال : لما دفن سعد ونحن مع رسول الله صـلـى الله عـلـيـه وـسـلـمـ سـبـحـ رسول الله صـلـى الله عـلـيـه وـسـلـمـ فـسـبـحـ النـاسـ مـعـه ، ثـمـ كـبـرـ فـكـبـرـ النـاسـ مـعـه فـقـالـوا : يـارـسـول الله مـمـ سـبـحـت ؟ قـالـ : « لـقـد تـضـايـقـ عـلـى هـذـا العـبـد الصـالـح قـبـرـه حـتـى فـرـجـ الله عـنـه ». .

وهـكـذا روـاه الإمام أـحـمـد ، عن يـعقوـبـ بن إـبرـاهـيمـ بن سـعـد ، عن أـبيـه ، عن ابن إـسـحـاقـ بـهـ .

قال ابن هشام : ومجاز هذا الحديث قول عائشة : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إن للقبر ضمة لو كان أحد منها ناجيا لكان سعد بن معاذ ». .

قلت : وهذا الحديث قد رواه الإمام أحمد : حدثنا يحيى ، عن شعبة ، عن سعد بن إبراهيم ، عن نافع ، عن عائشة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «إن للقبر ضفة ، ولو كان أحد ناجيا منها لنجا سعد بن معاذ ». .

وهذا الحديث سنده على شرط الصحيحين ، إلا أن الإمام أحمد رواه عن غدر ، عن شعبة ، عن سعد بن إبراهيم ، عن إنسان ، عن عائشة به .

ورواه الحافظ البزار عن نافع ، عن ابن عمر ، قال : حدثنا عبد الأعلى بن حماد ، حدثنا داود ، عن عبد الرحمن ، حدثنا عبيد الله بن عمر ، عن نافع ، عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد هبط يوم مات سعد بن معاذ سبعون ألف ملك إلى الأرض لم يهبطوا قبل ذلك ، ولقد ضم القبر ضمة . ثم بكى نافع !

وهذا إسناد جيد ، لكن قال البزار : رواه غيره عن عبيد الله عن نافع مرسلا .

ثم رواه البزار ، عن سليمان بن سيف ، عن أبي عتاب ، عن سكين بن عبد الله بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب ، عن نافع ، عن ابن عمر ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «لقد نزل لموت سعد بن معاذ سبعون ألف ملك ما وطئوا الأرض قبلها» وقال حين دفن : «سبحان الله لو انفلت أحد من ضفحة القبر لانفلت منها سعد ». .

وقال البزار : حدثنا إسماعيل بن حفص ، عن محمد بن فضيل ، حدثنا عطاء بن السائب ، عن مجاهد ، عن ابن عمر قال : اهتز العرش لحب لقاء الله سعد بن معاذ . فقيل : إنما يعني السرير «ورفع أبويه على العرش» قال : تفتحت أبوابه . قال : ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم قبره فاحتبس فلما خرج قيل له : يا رسول الله ما حبستك ؟ قال : ضم سعد في القبر ضمة فدعوت الله فكشف عنه .

قال البزار : تفرد به عطاء بن السائب . قلت : وهو متكلّم فيه .

وقد ذكر البيهقي رحمة الله بعد روايته ضمّة سعد رضي الله عنه في القبر أثراً غريباً
فقال : حدثنا أبو عبد الله الحافظ ، حدثنا أبو العباس ، حدثنا أحمد بن عبد الجبار ،
حدثنا يونس ، عن ابن إسحاق ، حدثني أمية بن عبد الله ، أنه سُأله بعض أهل سعد :
ما بلغكم من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا ؟ فقالوا : ذُكر لنا أن رسول
الله صلى الله عليه وسلم سُئل عن ذلك فقال : كان يقصّر في بعض الظهور من البول .

وقال البخاري : حدثنا محمد بن المثنى ، حدثنا الفضل بن مسّاور ، حدثنا أبو معاوية ،
عن الأعمش ، عن أبي سفيان ، عن جابر قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول :
اهتزَّ العرشُ لموت سعد بن معاذ .

وعن الأعمش ، حدثنا أبو صالح ، عن جابر ، عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله . فقال
رجل لجابر ؟ فإن البراء بن عازب يقول : اهتز السرير ؟ [فقال] إنه كان بين هذين الحيين
ضفائن سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : اهتز عرش الرحمن لموت سعد بن معاذ .
ورواه مسلم ، عن عمرو الناقد ، عن عبد الله بن إدريس وابن ماجه ، عن علي بن محمد ،
عن أبي معاوية ، كلها عن الأعمش به . وليس عندها زيادة قوله الأعمش عن أبي صالح
عن جابر .

وقال أَحْمَد : حدثنا عبد الرزاق ، عن ابن جرَيْح ، أخبرني أبو الزبير ، أنه سمع جابر
ابن عبد الله يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وجنارة سعد بن معاذ بين
أيديهم : اهتز لها عرشُ الرحمن .

ورواه مسلم عن عبد بن حميد ، والترمذى عن محمود بن غيسان كلها
عن عبد الرزاق به .

قال الإمام أَحْمَد : حدثنا يحيى بن سعيد ، حدثنا عوف ، حدثنا أبو نصرة ، سمعت

أبا سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم : اهتزَ العرشُ لموت سعد بن معاذ .
ورواه النسائي عن يعقوب بن إبراهيم ، عن يحيى به .

وقال أَحْمَدُ : حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَهَابِ ، عَنْ سَعِيدٍ ، قَالَ قَتَادَةُ : حَدَّثَنَا أَنْسُ بْنُ مَالِكَ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ وَجْنَازَتِهِ مَوْضِعَةٌ : اهْتَزَ لَهَا عَرْشُ الرَّحْمَنِ . وَرَوَاهُ مُسْلِمٌ عَنْ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْأَزْدِيِّ ، عَنْ عَبْدِ الْوَهَابِ بْنِهِ .

وقد روی البهقى من حديث المعتمر بن سليمان ، عن أبيه ، عن الحسن البصري ،
قال : اهتز عرش الرحمن فرحاً بروحه .

وقال الحافظ البزار : حَدَّثَنَا زَهْيرٌ بْنُ مُحَمَّدٍ ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَاقِ ، حَدَّثَنَا مَعْمَرٌ ، عَنْ قَتَادَةَ ، عَنْ أَنْسٍ قَالَ : لَمَّا هُجِّلَتْ جَنَازَةُ سَعْدٍ قَالَ الْمُنَافِقُونَ : مَا أَخْفَى جَنَازَتَهُ ! وَذَلِكَ لِكُنْكُنَهُ فِي بَنِي قَرِيظَةَ . فَسُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : لَا وَلَكُنْكُنَهُ كَمَّةٌ تَحْمِلُهُ .

إسناد جيد .

وقال البخارى : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ ، حَدَّثَنَا غُنْدُرٌ ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقِ ، سَمِعَتِ الْبَرَاءَ بْنَ عَازِبٍ يَقُولُ : أُهَدِيتُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حُلَّةً حَرِيرًا ، فَبَعْلَ أَحْصَابِهِ يَمْسُؤُهَا وَيَعْجِبُونَ مِنْ لِيْهَا ، فَقَالَ : « أَتَعْجِبُونَ مِنْ لِيْنَ هَذِهِ ؟ لَنَادَيْلُ سَعْدِ بْنِ مَعَاذَ خَيْرٌ هَا أَوْ أَلَيْنِ » .

ثم قال : رواه قتادة والزهري ، سمعنا أناسا عن النبي صلى الله عليه وسلم .

وقال أَحْمَدُ : حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَهَابِ ، عَنْ سَعِيدٍ ، هُوَ بْنُ أَبِي عَرْوَةَ ، عَنْ قَتَادَةَ ، عَنْ أَنْسُ بْنِ مَالِكَ ، أَنَّ أَكِنْدَرَ دُوْمَةَ أَهْدَى إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَبَّةً وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يُهْنَى عَنِ الْحَرِيرِ ، فَلَبِسَهَا فَمَجَّبَ النَّاسُ مِنْهَا فَقَالَ : « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَنَادَيْلُ سَعْدٌ فِي الْجَنَّةِ أَحْسَنُ مِنْ هَذِهِ » .

وهذا إسناد على شرط الشيغرين ولم يخرجوا ، وإنما ذكره البخاري تعليقاً .

وقال أَحْمَدُ : حَدَّثَنَا يَزِيدُ ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ ، حَدَّثَنِي وَقَدْ بْنُ عُمَرَ وَبْنُ سَعْدٍ بْنِ مَعَاذَ ، قَالَ مُحَمَّدٌ : وَكَانَ وَقَدْ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ وَأَعْظَمِهِمْ وَأَطْوَلُهُمْ ، قَالَ : دَخَلَتْ عَلَى أَنْسِ بْنِ مَالِكٍ فَقَالَ لَهُ : مَنْ أَنْتَ ؟ قَالَ : أَنَا وَقَدْ بْنُ عُمَرَ وَبْنُ سَعْدٍ بْنِ مَعَاذَ . فَقَالَ : إِنَّكَ بِسَعْدٍ لَشَبِيهِ . ثُمَّ بَكَى وَأَكْثَرَ الْبَكَاءَ ، وَقَالَ : رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَى سَعْدٍ ! كَانَ مِنْ أَعْظَمِ النَّاسِ وَأَطْوَلُهُمْ . ثُمَّ قَالَ : بَعْثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جِيشًا إِلَى أَكْيَدْ دُوْمَةَ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِحَبَّةِ مِنْ دِيَمَاجَ مَنْسُوجٍ فِيهَا الْذَّهَبَ ، فَلَبِسَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَامَ عَلَى الْمِنْبَرِ وَجَلَسَ فَلَمْ يَتَكَلَّمْ ثُمَّ نَزَلَ ، فَجَعَلَ النَّاسَ يَأْمُسُونَ الْجَبَّةَ وَيَنْظَرُونَ إِلَيْهَا ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَتَعْجَبُونَ مِنْهَا ؟ لَمَنَادِيلْ سَعْدَ بْنَ مَعَاذَ فِي الْجَنَّةِ أَحْسَنُ مَا تَرَوْنَ » .

وَهَكُذا رَوَاهُ التَّرمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ مِنْ حَدِيثِ مُحَمَّدِ بْنِ عُمَرَ بْنِهِ . وَقَالَ التَّرمِذِيُّ :

حَسْنٌ صَحِيحٌ .

* * *

قال ابن إسحاق بعد ذكر اهتزاز العرش لموت سعد ابن معاذ : وفي ذلك يقول
رجل من الأنصار :

وَمَا اهْتَزَّ عَرْشُ اللَّهِ مِنْ مَوْتِ هَالِكٍ سَمِعْنَا بِهِ إِلَّا سَعْدٌ أَبِي عُمَرِ

قال : وقالت أمه ، يعني كبيشة بنت رافع بن معاوية بن عبيد بن ثعلبة الخدرية
الخزرية حين احتمل سعد على نعشها تندبه :

وَيَلَ أَمْ سَعْدٍ سَعْدًا صَرَامَةً وَحَدَّا
وَسُؤَدَّاً وَجَدَّاً وَفَارِسًا مَعَدَّاً
سَدَّاً بِهِ مَسَدَّاً يَقْدَهَا مَاقَدَّا

قال : يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كل ناحية تكذب إلا ناحية سعد بن معاذ ! »

قلت : كانت وفاته بعد انصراف الأحزاب ب نحو من خمس وعشرين ليلة ، إذ كان قدوم الأحزاب في شوال سنة خمس كما تقدم فأقاموا قريباً من شهر ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم للحصار بني قريظة ، فأقام عليهم خمساً وعشرين ليلة ، ثم نزلوا على حكم سعد فمات بعد حكمه عليهم بقليل ، فيكون ذلك في أوآخر ذى القعدة أو أوائل ذى الحجة من سنة خمس والله أعلم .

وهكذا قال محمد بن إسحاق : إن فتح بني قريظة كان في ذى القعدة وصدر ذى الحجة . قال : وولى تلك الحجة المشركون .

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت برئي سعد بن معاذ رضى

الله عنه :

لقد سجّمتْ من دمع عينَ عَبْرَةُ
وحقَّ لعينِي أنْ تفيضَ على سعدٍ^(١)
عيونُ ذوارِي الدمع دائمَةَ الوجَدِ^(٢)
قتيلُ ثوى في معرِكَةِ فُجُوتَ به
على مِلةَ الرَّحْمَنِ وارثُ جَنَّةٍ
فإنْ تكُ قد وعدْتَنا وتركتَنا
فأنتَ الَّذِي ياسعدُ أبْنَتْ بِمَشْهِدِ
بِحَكْمِكَ في حَيَّنِ قريظةَ بالَّذِي
فوافقَ حَكْمُ اللهِ حَكْمَكَ فِيهِمُ
فإِنْ كَانَ رِبُّ الْدُّهْرِ أَمْضَاكَ فِي الْأَلَىِ
فَنَعَمْ مَصِيرُ الصَّادِقِينَ إِذَا دُعُوا

(٢) ذوارِي الدمع : غير رته .

(١) سجّلتْ : فاضتْ .

فصل

فيما قيل من الأشعار في الخندق وبني قريظة

قال البخاري : حدثنا حجاج بن مسحال ، حدثنا شعبة ، حدثنا عدى بن ثابت ، أنه سمع البراء بن عازب قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم لحسان : أهجمم أو هاجهم وجربيل معك . قال البخاري : وزاد إبراهيم بن طهمان ، عن الشيباني ، عن عدى بن ثابت ، عن البراء بن عازب قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم يوم قريظة لحسان بن ثابت : أهيجُ المشركين فإن جبريل معك .

وقد رواه البخاري أيضاً ومسلم والنسائي من طرق عن شعبة بدون الزيادة التي ذكرها البخاري يوم بنى قريظة .

قال ابن إسحاق رحمه الله : وقال ضرار بن الخطاب بن مرداس أخو بنى محارب ابن فهر في يوم الخندق . قلت : وذلك قبل إسلامه :

وَمُشْفِقَةٌ تَظْنَى بَنَا الظُّفُونَا	وَقَدْ قُدْنَا عَرَنَدَسَةَ طَحُونَا ^(١)
كَلْنَ زُهَاءَهَا أُحْدِي إِذَا مَا	بَدَتْ أَرْكَانُهَا لِنَاظِرِينَا
تَرَى الْأَبْدَانَ فِيهَا مُسْبَغَاتٍ	عَلَى الْأَبْطَالِ وَالْيَلَبِ الْحَصِينَا ^(٢)
وَجُرْدَأَا كَالْقِدَاحِ مَسَوَّمَاتٍ	نَوْمٌ بِهَا الْفَوَاءَ الْخَاطِئِينَا ^(٣)
كَأْنَهُمْ إِذَا صَالُوا وَصُلُّنَا	بِبَابِ الْخَنْدِقِينَ مُصَاخِفُونَا
أَنَّاسٌ لَا نَرَى فِيهِمْ رَشِيدًا	وَقَدْ قَالُوا أَلْسُنَا رَاشِدِينَا
فَأَخْجَرَنَاهُمْ شَهْرًا كَرِيَّتَا	وَكَنَا فَوْقُهُمْ كَافِرِينَا ^(٤)

(١) العرنس : القوى . والطعون : المهاكة . يزيد الكتبية .

(٢) الأبدان : جمع بدن وهي الدرع القصيرة . واليلب . محركة : الترس أو الدروع من الجلد .

(٣) الجرد : جمع أجرد وهو من الخيل : السباق . والمسومات : العلامات أو الرسلات .

(٤) أحجر ناهم : حصر ناهم . والكريت : النام .

نُراوحُهُمْ وَنَفْدُو كُلَّ يَوْمٍ
عَلَيْهِمْ فِي السَّلَاحِ مُدَجَّجِينَا
بِأَيْدِينَا صُوَارُمْ مُرْهَفَاتٍ
نَقْدُ بِهَا الْمَفَارَقَ وَالشُّئُونَا^(١)

كَانَ وَمِيقَهُنَّ مُعَرَّبَاتٍ
إِذَا لَاحَتْ بِأَيْدِي مُصْلِتِينَا
وَمِيقَهُ عَقِيقَةٌ لَمَعْتُ بِلَيْلٍ
تَرَى فِيهَا الْعَقَائِقَ مُسْتَبِينَا^(٢)

فَلَوْلَا خَنْدَقٌ كَانُوا لَدِيهِ
لَدَمَرَنَا عَلَيْهِمْ أَجْعِينَا
وَلَكِنْ حَالَ دُونَهُمْ وَكَانُوا
لَدَى أَبِيَاتِكُمْ سَعْدًا رَهِينَا

فَإِنْ نَرَحْلَ فَإِنَا قَدْ تَرَكْنَا
إِذَا جَنَّ الظَّلَامُ سَمِعْتَ نَوْحًا
وَسُوفَ نَزُورُكُمْ عَمَّا قَرِيبٌ
عَلَى سَعْدٍ يَرْجِعُنَّ الْحَيَّنَا

كَأَسْدَ الْغَابِ إِذْ حَمَتِ الْعَرَيْنَا
بِجَمْعٍ مِنْ كَنَانَةٍ غَيْرَ عُزْلٍ

قال : فأجابه كعب بن مالك أخوه بني سلمة رضي الله عنه فقال :

وَسَائِلُهُ تُسَائِلُ مَا لَقِيْنَا
صَبَرْنَا لَا نَرِيْدُ اللَّهَ عَذَلًا
عَلَى مَا نَابَنَا مَتَوَكِّلِينَا
وَكَانَ لَنَا النَّبِيُّ وَزِيرَ صِدْقٍ

وَكَانُوا بِالْعَدَاوَةِ مُرْصِدِينَا
نَقَاتِلُ مَعْشَرًا ظَلَمُوا وَعَقُوْنَا

نَعْلَجُهُمْ إِذَا نَهْضُوا إِلَيْنَا
تَرَانَا فِي فَضَّلِّافَضٍ سَابِغَاتٍ

بِضَرْبٍ يُعْجِلُ الْمُتَسَرِّعِينَا
كَفُدْرَانَ الْمَلَأَ مُتَسَرِّبِينَا^(٣)

وَفِي أَيَّانَنَا بَيْضُ خِفَافٍ
بِهَا نَشْفِي سَرَاجَ الشَّاغِبِينَا

(١) الشُّؤُونُ : جمع شأن : جمع العظام في الرأس .

(٢) العقيقة : من البرق ما يبق في السحاب من شعاعه .

(٣) الفضاض : جمع فضفاضة وهي الدرع الواسعة . والغدران : جمع غدير . والملا : الصحراء .

باب الخندقين كأن أسدًا
فوارستا إذا بكرروا وراحوا
لننصر أسدًا والله حتى
ويملأ أهل مكة حين ساروا
بان الله ليس له شريك
فإما تقتلوها سعداً سفاها
سيدخله جناناً طيباتٍ
كما قد ردكم فلا شريداً
خزايا لم تناولوا ثم خيراً
بريع عاصف هبّت عليك
فنكتم تحتها متكميـنا (٢)

قال ابن إسحاق : وقال عبد الله بن الزبير السهمي في يوم الخندق . قلت : وذلك قبل أن يسلم :

حَىَ الدِيَارِ مُحَا مَعْرِفَ رَسْمَهَا
فَكَانَتَا كَقْبَ اليَهُودُ رَسْمَهَا
قَفْرَا كَانَكَ لَمْ تَكُنْ تَلْهُو بِهَا
فَاتَرَكَ تَذَكُّرَ مَا مَضِيَ مِنْ عِيشَةٍ
وَادْكَرْ بِلَاءَ مَعَاشِيرِ وَاشْكُرْهُمْ
طَولُ الْبَلَى وَتَرَاوِحُ الْأَحْقَابِ
إِلَى الْكَنِيفِ وَمَقْدَ الْأَطْنَابِ^(٣)
فِي نَعْمَةٍ بِأَوَانِسِ أَزْرَابِ
وَمَحِيلَةٌ خَلَقَ الْمَقَامِ يَبَابِ
سَارُوا بِأَجْمِعِهِمْ مِنَ الْأَنْصَابِ^(٤)

(١) متكمهينا : عميا لا تبصرون .

(٢) الشوس : جمع أشوس وهو الذي ينظر بعُوْزِر عينه كبيرة . والمعلم : الذي جعل لنفسه علامة في الحرب يعرف بها .

(٣) **الكتيف** : المظيرة . والأطناب : جمع طنب وهو الجبل الذى تشد به الخيمة ونحوها .

(٤) الانصاب هنا: المجرة التي يعلم بها الحرم.

قال : فأجابه حسان بن ثابت رضي الله عنه فقال :
فِي ذِي غَيَّا طَلَّ جَبَّاجَبٌ (١)
فِي كُلِّ نَشْرٍ ظَاهِرٌ وَشَعَابٌ (٢)
قُبُّ الْبَطُونِ لَوْا حَقُّ الْأَقْرَابِ (٣)
كَالسَّيْدِ بَادَرَ غَفَلَةً الرَّئَابِ (٤)
فِي هِ وَصَخْرٍ قَائِدُ الْأَحْزَابِ
غَيْثُ الْفَقِيرِ وَمَقْلُ الْهُرَابِ
لِلْهُوتِ كُلَّ مُجْرِبٍ قَضَابِ
وَصَاحِبُهُ فِي الْحَرْبِ خَيْرُ صَحَابِ
كِذْنَا نَكُونُ بِهَا مَعَ الْخَيَابِ
قُتْلَى لَطَيْرٍ سُقْبَ وَذَنَابِ
أَنْصَابِ مَكَةَ عَامِدِينَ لِيُثْرِبِ
يَدْعُ الْحُزُونَ مَنَاجِهَا مَعْلُومَةَ
فِيهَا الْجَيَادُ شَوازِبُ مَجْنُوبَةُ
مِنْ كُلِّ سَلْهَبَةٍ وَأَجْرَدَ سَلْهَبَ
جَيْشُهُ عَيْنَةَ قَاصِدٌ بِلَوَانِهِ
قَرْمَانُ كَالْبَدْرِينَ أَصْبَحَ فِيهِما
حَتَّى إِذَا وَرَدُوا الْمَدِينَةَ وَارْتَدُوا
شَهْرًا وَعَشْرًا فَاهْرِينَ مُحَمَّدًا
نَادَوَا بِرْحَاتِهِمْ صَبِحَةَ قَلْمَ
نُولًا انْتَنَادِقُ غَادُوا مِنْ جَهَنَّمِ

قال : فأجابه حسان بن ثابت رضي الله عنه فقال :

هل رسم دارسة المقام يباب
قفر عفا رهم السحاب رسومه
ولقد رأيت بها الحلول يزفهم
فدع الديار وذكر كل خريدة
واشتك المهموم إلى الإله وما ترى
ساروا بأجمعهم إلينه والبوا

(١) الفياطل: الأصوات المختلطة . يزيد كثرة الجيش والمحفل : الجيش الكثير . والمجحاب : الكثير .

(٢) المزون : جمع حزف وهو ما ارتفع من الأرض . والنشز كذلك . والمناهج : جمع منهج وهو الطريق الواضح .

(٤) الشواذ : الضواهر . والمحبوبة : التي تقـاد . والقب : جمـ أقب وهو الضامر من الحيل .

(٤) السليمة: الطولية . (٥) الرهم: جم رهمة ، وهو المطر الضعيف الدائم . والمریاب: الدائمة .

جيش عيّنة وابن حرب فيهم متخطّون بمحنة الأحزاب^(١)
 حتى إذا وردو المدينة وارتجوا قتل الرسول ومُقْتَمَ الأسلاّب
 وغدوا علينا قادرٍ بأيديهم رُدُوا بنيظهم على الأعقاب^(٢)
 بهبوب مُعْصِفَةٍ تفرق جمعهم فكفى الإله المؤمنين قتالهم
 من بعد ما قطعوا فرقاً جمعهم وأنهم في الأجر خير ثواب
 تنزيل نصر مليكتنا الوعاب^(٣)
 وأذل كل مكذب مرتاب
 في الكفر ليس بطاهر الأنوار
 في الكفر آخر هذه الأعقاب عَاقِ الشقاء بقلبه فقواده

قال : وأجابه كعب بن مالك رضي الله عنه أيضاً فقال :

أبقى لنا حَدَثُ الحروب بقيةَ من خير نحّلة ربنا الوهاب
 حُمَّ المذوع غزيرة الأحلاب^(٤)
 كاللوب يُبَذل جُها وَحَفِيلُها
 وزانعاً مثل السراج نَهَى بها
 عرَى الشَّوَّى منها وأردَفَ نحصها

(١) متخطّون : مختلطون .

(٢) العاملن : قال السهيل : يعني منابت النغل عند الماء شبهها بمعانٍ الإبل وهي مباركة عند الماء .
 قوله : حُمَّ المذوع : وصفها بالحمة وهي السود لأنها تضرب إلى السود من الحمرة والنتمة ، وشبه ما يحيّن منها بالحلب فقال : غزيرة الأحلاب . الروض ٢٠٤ / ٢ .

(٣) اللوب : جم لوبي وهى الحرة ، وهى أرض ذات حجازة سود . واللوب أيضاً : التعل ، ويجوز أن يكون شبهها بالتعل في كثراها . وجهها وحيفتها : أراد الكثير منها . والمنتاب : الزائر الملم .

(٤) الزانع : الحيل التي تجلب إلى غير بلادها ، يريد أنهم استلبوها من الأعداء . والنقضاب : مزرعة الملم . كما قال السهيل ، وجزتها : ما يجز منها الحيل .

(٥) الشوى : القوائم . والتحض : اللحم . والآراب : المفاصل واحدتها إرب .

فُلَّ الضراء تُرَاخ لِكَلَابٍ^(١)
 تُرْدِي العَدَى وَتُوَبُ بِالْأَسْلَابِ
 عُبَّسَ اللِقَاء مُبَيْنَةً الْإِنْجَابِ^(٢)
 دُخْسَ الْبَصِيرَ حَقِيقَةً الْأَقْصَابِ^(٣)
 وَبِمُتَرَصَّاتِ فِي التَّقَافِ صِيَابِ^(٤)
 وَبِكُلِّ أَرْوَعِ مَاجِدِ الْأَنْسَابِ^(٥)
 وَكُلَّتْ وَقِيعَتْهُ إِلَى خَبَابِ^(٦)
 فِي طُخْيَةِ الظُّلَماء ضَوْءُ شَهَابِ^(٧)
 وَتَرَدَّ حَدَّ قَوَاحِزِ النَّشَابِ^(٨)
 فِي كُلِّ مَجْمَعَةٍ صَرِيمَةُ غَابِ^(٩)
 فِي صَمْدَةِ الْخَطْلِي فِي عَقَابِ^(١٠)
 وَأَبَتْ بِسَالَتْهَا عَلَى الْأَعْرَابِ^(١١)
 بِلَسَانِ أَزْهَرَ طَيْبُ الْأَنْوَابِ

قُودَأَ تُرَاحٌ إِلَى الصَّيَاحِ إِذَا غَدَتْ
 وَتَحْوَطُ سَائِمَةً الدِّيَارِ وَتَارَةً
 حَوشُ الْوَحْشِ مُطَارَةً عِنْدَ الْوَغْيِ
 مُلْفَتٌ عَلَى دَعَةٍ فَصَارَتْ بَدَنَّا
 يَكْدُونَ بِالْأَرْغَفِ لِلْمَضَاعَفِ شَكَّهُ
 وَصَوَارِمِ نَرَعِ الصَّيَاقِلُ عَلَبَهَا
 يَصِلُّ الْيَمِينَ بِمَارَنِ مِتَارَبِ
 وَأَغْرِيَ أَزْرَقَ فِي النَّشَأَةِ كَانَهُ
 وَكَتِيبةٌ يَنْفِي الْقَرَانَ قَتِيرَهَا
 جَاؤِي مُلْهَلَّةً كَانَ رَمَاهُمَا
 تَأْوِي إِلَى ظَلَلِ الْأَلَوَاءِ كَانَهُ
 أَعْيَتْ أَبَا كَرْبَ وأَعْيَتْ تَبَعَّاً
 وَمَوَاعِظُّ مِنْ رَبَّنَا هُنْدِي بِهَا

(١) القود : الطوال الأعناق . والضراء : الكلاب الضارية . والكلاب : جم كلاب وهو صاحب الكلاب الذي يصيد بها .

(٢) الحوش : الوحشية ؟ وأصله من الإبل الحوشية وهي التي يزعمون أن خول نعم الجن قد ضربت فيها ويسمونها الحوش . قال رؤبة : * جرت رحانا من بلاد الحوش *

والطارة : المستحبقة . والعبس : جم عبوب .

(٣) البصيغ : اللحم المستطيل . والدخين من اللحم : الكلثير . والأقصاب : جم قصب وهو المعى .

(٤) الزعف : الدروع الواسعة . والشك : الملقن والنمس . والترصات : المحكمة ، يعني الرماح المتفقة .

والصياب : المصيبة . (٥) عليها : خشوتها وتلتها . (٦) المارن : الدين . ووقيعته : صقله .

وخباب : اسم صيقل . (٧) أغر أزرق : يريد الرمح . وطخية الظلماء : شادتها .

(٨) القرآن : اقتران النبل واجتماعه . والتغير : رهوس مساميد الدرع . القواخر : فجز السهم إذا

رماه فوق بين يديه . (٩) الجاؤي : التي يخالط غبرتها حرمة . والمملامة : الجبنة .

(١٠) الصعدة : الفتنة المستوية . والخطى : الرماح المنسوبة إلى الخط ، موضع كانت تتابع فيه .

والنَّعَ : الظل . (١١) أبو كرب وتبع : من ملوك الين قبل الإسلام .

عُرِضَتْ عَلَيْنَا فَأَشْهَدْنَا ذِكْرَهَا
مِنْ بَعْدِ مَا عُرِضَتْ عَلَى الْأَحْزَابِ
حِكَا يَوْمًا الْجَرْمُونَ بِرَمْمِهِ حَرْجًا وَيَفْهَمُهَا ذُوو الْأَلْبَابِ
جَاءَتْ سَخِينَةً كَيْ تُفَالِبْ رَبَّهَا فَلِيُغْلِبْ مُغَالِبُ الْفَلَّابِ !

قَالَ ابْنُ هَشَامَ : حَدَّثَنِي مِنْ أَثْقَبِهِ ، حَدَّثَنِي عَبْدُ الْمَلِكَ بْنُ يَحْيَى بْنُ عَبَادَ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ
ابْنِ الزَّيْدِ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَهُ لَا سَمِعَ مِنْهُ هَذَا الْبَيْتَ : « لَقَدْ
شَكَرَكَ اللَّهُ يَا كَعْبَ عَلَى قَوْلِكَ هَذَا ». .

قَلْتَ : وَصَادَهْ سَخِينَةُ قَرِيشٍ ، وَإِنَّمَا كَانَتِ الْعَرَبُ تَسْمِيهِمْ بِذَلِكَ السَّكَرَةَ أَكْلَهُمْ
الطَّعَامَ السَّخْنَ الَّذِي لَا يَتَهِيَا لِغَيْرِهِمْ غَالِبًا مِنْ أَهْلِ الْبَوَادِي . فَاللَّهُ أَعْلَمْ .

* * *

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَقَالَ كَعْبَ بْنُ مَالِكَ أَيْضًا :

مَنْ سَرَّهُ ضَرَبَ يُمْعِنُ بَعْضُهُ
بَعْضًا كَعْمَعَةَ الْأَبَاءِ الْمَرْقَقِ (١)
فَلِيَأْتِ مَأْسَدَةَ تُسَنَّ سِيوفُهَا
دَرِبُوا بِضَرْبِ الْمَلَمِينَ وَأَسْلَمُوا
فِي عَصْبَةِ نَصَرَ الْإِلَهُ نَبِيَّهُ
فِي كُلِّ سَابِقَةِ تَخْطُّلِ فَضْوُلُهَا
بِيَضَاءِ مُحْكَمَةَ كَانَ قَتِيرُهَا
جَدَلَاءِ يَحْفَزُهَا بِجَادَ مُهَنَّدَ (٢)
بَيْضَاءِ مُحْكَمَةَ كَانَ قَتِيرُهَا
جَدَلَاءِ يَحْفَزُهَا بِجَادَ مُهَنَّدَ (٣)
بَيْضَاءِ مُحْكَمَةَ كَانَ قَتِيرُهَا
جَدَلَاءِ يَحْفَزُهَا بِجَادَ مُهَنَّدَ (٤)
بَيْضَاءِ مُحْكَمَةَ كَانَ قَتِيرُهَا
جَدَلَاءِ يَحْفَزُهَا بِجَادَ مُهَنَّدَ (٥)

(١) الْعَمَّةُ : صَوْتُ النَّارِ فِيمَا عَظَمَ وَكَثُرَتْ مِنَ الْفَصَبَاءِ . وَالْأَبَاءُ : الْقَصْبُ وَاحْدَتْهَا إِيَادَةُ . وَفِي الْأَصْلِ :

الْإِيَادَةُ . وَمَا أَنْتَهُ عَنْ ابْنِ هَشَامَ . (٢) الْمَنَادُ : مَوْضِعُ الْمَدِينَةِ حِيثُ حَفِرَ الْخَنْدَقُ .

(٣) السَّابِقَةُ : الدَّرَعُ الرَّافِيَةُ . وَفَضْوُلُهَا : أَطْرَافُهَا . وَالنَّهَىُ : الْغَدِيرُ . وَالْمَرْقَقُ : صِفَةُ النَّهَىِ .

(٤) الْقَتِيرُ : رَعْوسُ مَسَامِيرِ الدَّرَعِ . وَالْجَنَادِبُ : الْمَبَرَادُ . وَالشَّادُ : النَّسْجُ .

(٥) الْجَدَلَاءُ : الدَّرَعُ الْقَوِيَّةُ الْفَتْلُ . وَيَحْفَزُهَا : يَرْفُهُمَا ، وَذَلِكَ أَنَّ الدَّرَعَ إِذَا طَالَتْ فَضْوُلُهَا رَبِطُوهُمَا بِنَجَادَ السِيفِ . وَالنَّجَادُ : حَمَالُ السِيفِ .

تَلْكُمْ مَعَ التَّقْوَى تَكُونُ لِبَاسَنَا
 نَصِيلُ السَّيُوفَ إِذَا قَصَرْنَ بَخْطُونَا
 فَتَرَى الْجَاهِمَ ضَاحِيًّا هَامَتْهَا
 تَلْقَى الدُّوَّا بِفَخْمَةٍ مَلْوَمَةٍ
 وَنُعَدُّ لِلأَعْدَاءِ كُلَّ مَقْلَصٍ
 تَرَدِي بَفْرَسَانَ كَانُوكَمَاتَهُمْ
 صُدُقٌ يَعْطَوْنَ الْكَاهَةَ حَوْفَهُمْ
 أَمْرُ إِلَهٍ بِرَبْطَهَا لَمْدَوَهُ
 لَتَكُونَ غَيْظًا لِلْمَسْدُو وَصَيْغَهُ
 وَيُعِينَنَا اللَّهُ الْمَرِيزُ بِقُوَّةٍ
 وَنُطْعِمُ أَمْرَ نَبِيَّنَا وَنُجَيِّبُهُ
 وَمَتَى يُنَادِي لِلشَّدَادِ تَأْمِنَهَا
 مَنْ يَتَبَعُ تَوْلَى النَّبِيِّ فَإِنَّهُ
 فِي ذَلِكَ يَنْصُرُنَا وَيُظْهِرُ عَزَّنَا
 إِنَّ الَّذِينَ يَكْذِبُونَ مُحَمَّدًا كَفَرُوا وَضَلُّوا عَنْ سَبِيلِ التَّقِيٍّ

قال ابن إسحاق : وقال كعب بن مالك أيضاً :

لَقَدْ عَلِمَ الْأَحْزَابُ حِينَ تَأَلَّبُوا
 أَضَامِيمٍ مِنْ قَيْسَ بْنَ عَيْلَانَ أَصْنَفَتْ
 عَلَيْهَا وَرَأَمُوا دِينَنَا مَا نَوَادِعُ
 وَخَنْدَفُ لَمْ يَذْرُوا بِهَا هُوَ وَاقِعٌ^(٤)

(١) المثلث : الفرس الخيف.

(٢) تردى : تسرع . والطل : المطر الصيف . واللتق : ما يكون عن الطل من زلق وطين ، والأسد أجواع ما تكون وأجرأ في ذلك الحين .

(٣) العالية : ظلمة الغبار . والوشیع : الرماح . والمزهق : القاتل .

(٤) الأضاميم : واحدتها أضمامه ، وهو كل شيء مجتمع . وأصنفت : اجتمعت .

يَذْوَدُونَا عَنِ الدِّينِ وَنَذْوَدُهُمْ
عَنِ الْكُفَرِ وَالرَّحْنِ رَاءٌ وَسَاعِ
إِذَا غَابَطُونَا فِي مَقَامِ أَعْانَا
عَلَى غَيْظِهِمْ نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَاسِعٌ
وَذَلِكَ حَفْظُ اللَّهِ فِينَا وَفَضْلُهُ
عَلَيْنَا وَمَنْ لَمْ يَحْفَظْ اللَّهُ ضَائِعٌ
هَذَا لِدِينِ الْحَقِّ وَاخْتَارَهُ لَنَا وَلَهُ فَوْقَ الصَّانِعِينَ صَانِعٌ^(١)
قال ابن هشام : وهذه الأبيات في قصيدة له - يعني طوبية -

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت في مقتل بنى قريطة :

أَلَّدْ لَقِيتُ قُرَيْطَةً مَا سَاءَهَا وَمَا وَجَدْتُ لَذَلِكَ مِنْ نَصِيرٍ
أَصَابُهُمْ بَلَاءٌ كَانَ فِيهِ
سِوَى مَا قَدْ أَصَابَ بَنِي النَّصِيرِ
غَدَاءَ أَتَاهُمْ يَهْنَوْيُ إِلَيْهِمْ
رَسُولُ اللَّهِ كَالْقُرْبَى التَّبَرِ
لَهُ خَيْلٌ مُجْنَبَةٌ تَعَادَى
بَفْرَسَانُ عَلَيْهَا كَالصَّقُورِ
تَرَكُنَاهُمْ وَمَا ظَفَرُوا بِشَيءٍ
دَمَاؤُهُمْ عَلَيْهَا كَالْعَبَيرِ
فَهُمْ صَرَعَى تَحْوُمُ الطَّيْرُ فِيهِمْ
كَذَاكَ يُدَانُ ذُو الْعَنْدِ الْفَجُورِ
فَأَنْذِرْ مِثْلَهَا نُصْحَّا قُرِيشًا
مِنَ الرَّحْنِ إِنَّ قَبْلَتِ نَذِيرِي

قال : وقال حسان بن ثابت أيضاً في بنى قريطة :

تَعَاقدَ مُعْشَرُ نَصِيرٍ نَصِيرًا وَلَيْسَ لَهُمْ بِيَدِهِمْ نَصِيرًا
هُمُّ أَوْتَوا السَّكَنَابَ فَضَيَّعُوهُ
وَهُمْ عُمَىٰ مِنَ التَّوْرَةِ بُؤْرُ
كَفَرْتُمْ بِالْقُرْآنِ وَقَدْ أُتَيْتُمْ
بِتَصْدِيقِ الذِّي قَالَ النَّذِيرُ
فَهَانَ عَلَى سَرَّا بَنِي لُوَّيٍّ
حَرِيقٌ بِالْبُوَيْرَةِ مُسْتَطِيرٌ
فَأَجَابَهُ أَبُو سَفِيَانَ بْنَ الْخَارِثَ بْنَ عَبْدِ الْمَطَلِّبِ فَقَالَ :

أَدَمَ اللَّهُ ذَلِكَ مِنْ صَنَاعِ
وَحْرَقَ فِي طَوَافِهَا السَّعِيرِ

(١) الأصل : صانع . وما أتبته عن ابن هشام .

سَتَعْلَمُ أَيُّنَا مِنْهَا بِرْزَهٌ وَتَعْلَمُ أَيِّ أَرْضَيْنَا تَضَيِّرُ^(١)
 فَلَوْ كَانَ التَّحْجِيلُ بِهَا رَكَابًا لَقَالُوا الْمَقْامُ لَكُمْ فَسِيرُوا
 قلت : وهذا قاله أبو سفيان بن الحارث قبل أن يسلم ، وقد تقدم في صحيح البخارى
 بعض هذه الآيات .

وذكر ابن إسحاق جواب حسان في ذلك بحسب بن جوآل الشعبي تركناه قصداً .

* * *

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت أيضاً يكى سعداً وجماعة من استشهد
 يوم بني قريطة :

ألا يَأْلَقُونِي هَلْ لَمْ حُمَّ دَافَعْ
 تذكَرْتُ عَصْرًا قَدْ مَضِيَ فَتَهَافَتْ
 صَبَابَةُ وَجْدٍ ذَكَرْتَنِي إِخْوَةَ
 وَسَعْدٌ فَأَضْحَوْا فِي الْجَنَانِ وَأَوْحَشْتَ
 وَفَوْا يَوْمَ بَدِيرٍ لِلرَّسُولِ وَفَوْقَهُمْ
 دُعَا فَأَجَابُوهُ بِحَقِّي وَكُلُّهُمْ
 فَانْكَلَوْا حَتَّى تَوَالَوْا جَمَاعَةً
 لِأَنَّهُمْ يَرْجُونَ مِنْهُ شَفَاءً
 فَذَلِكَ يَا خَيْرَ الْعِبَادِ بِلَا وَنَا
 لَنَا الْقَدَمُ الْأُولَى إِلَيْكَ وَخَلَفَنَا
 وَنَعْلَمُ أَنَّ الْمُلْكَ اللَّهُ وَحْدَهُ وَاقِعٌ

وَلَأَوْلَانَا فِي مَلَةِ اللَّهِ تَابِعٌ
 إِجَابَتْنَا اللَّهُ وَالْمَوْتُ نَاقِعٌ
 مَطْيِعٌ لَهُ فِي كُلِّ أَمْرٍ وَسَامِعٌ
 مُنَازِلُهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْهُمْ بَلَاقِعٌ
 بَنَاتُ الْحَشَّا وَانْهَلَّ مِنِّي الدَّامِعُ
 وَقُتِلَ مَضِيَ فِيهَا طَفِيلٌ وَرَافِعٌ
 وَهُلْ مَامِضَى مِنْ صَالِحِ الْعِيشِ رَاجِعٌ

(١) النَّرْهُ : الْعَبْدُ . وَتَضَيِّرُ : تَضَيِّرُ . (٢) الْبَلَاقِعُ : الْمَفَرَّةُ .

مقتل أبي رافع سَلَامَ بنَ أَبِي الْحَقِيقِ الْيَهُودِيِّ لِعْنَةِ اللَّهِ
فِي قَصْرٍ لَهُ فِي أَرْضِ خَيْرٍ، وَكَانَ تَاجِرًا مَشْهُورًا بِأَرْضِ الْمَجَازِ

قال ابن إسحاق : ولما انقضى شأن الخندق وأمر بني قريظة ، وكان سَلَامَ بنَ أَبِي الْحَقِيقِ ، وهو أبو رافع ، فيمن حَزَبَ الْأَحْزَابَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَكَانَتِ الْأُوسُ قَبْلَ أَحْدِي قَدْ قُتِلَتْ كَعْبَ بْنَ الْأَشْرَفَ فَاسْتَأْذَنَ الْخَزْرَجَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي قَتْلِ سَلَامَ بْنَ أَبِي الْحَقِيقِ وَهُوَ بِخَيْرٍ فَأَذْنَ لَهُمْ .

قال ابن إسحاق : خَدْثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمٍ الزَّهْرَى ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ كَعْبٍ بْنِ مَالِكٍ ، قَالَ : وَكَانَ مَا صَنَعَ اللَّهُ لِرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ هَذِينَ الْحَيَّينَ مِنَ الْأَنْصَارِ : الْأُوسُ وَالْخَزْرَجُ ، كَانَا يَتَصَافَّلَانَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَصَافُلَ الْفَاحِلِينَ ، لَا تَصْنَعُ الْأُوسُ شَيْئًا فِيهِ غَنَاءً عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا وَقَالَتِ الْخَزْرَجُ : وَاللَّهِ لَا يَذْهَبُونَ بِهِنَّهُ فَضْلًا عَلَيْنَا عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . فَلَا يَنْهَوْنَ حَتَّى يَوْقِعوا مِثْلَهَا . وَإِذَا فَعَلْتِ الْخَزْرَجَ شَيْئًا قَالَتِ الْأُوسُ مِثْلَ ذَلِكَ .

قال : وَلِمَا أَصَابَتِ الْأُوسُ كَعْبَ بْنَ الْأَشْرَفَ فِي عَدَوَتِهِ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَتِ الْخَزْرَجُ : وَاللَّهِ لَا يَذْهَبُونَ بِهَا فَضْلًا عَلَيْنَا أَبْدًا .

قال : فَتَذَكَّرُوا مَنْ رَجَلٌ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الدِّيَوَةِ كَابِنِ الْأَشْرَفِ ؟ فَذَكَرُوا ابْنَ أَبِي الْحَقِيقِ وَهُوَ بِخَيْرٍ ، فَاسْتَأْذَنُوا الرَّسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي قَتْلِهِ فَأَذْنَ لَهُمْ .

نَخْرُجُ مِنَ الْخَزْرَجَ مِنْ بَنِي سَلَمَةَ خَمْسَةَ نَفَرٍ : عَبْدُ اللَّهِ بْنَ عَقِيْكَ ، وَمَسْعُودَ بْنَ سِنَانَ ،

وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَنَيْسٍ، وَأَبُو قَتَادَةَ الْخَارِثُ بْنُ رَبْعَى، وَخُزَاعِى بْنُ أَسْوَدَ حَلِيفٌ لَمْ مِنْ أَسْلَمْ، نَفَرُجُوا وَأَمْرَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَتَيْكَ، وَنَهَامُ أَنْ يَقْتَلُوا وَلِيَدًا أَوْ امْرَأَةً.

نَفَرُجُوا حَتَّى إِذَا قَدِمُوا خَيْرَ أَنْوَا دَارَ ابْنِ أَبِي الْحَقِيقِ لِيَلَّا ، فَلَمْ يَدْعُوهَا بَيْتَهَا فِي الدَّارِ حَتَّى أَغْلَقُوهُ عَلَى أَهْلِهِ . قَالَ : وَكَانَ فِي عِلْيَةِ لَهُ إِلَيْهَا عِجْلَةً^(١) قَالَ : فَأَسْنَدُوهَا إِلَيْهَا حَتَّى قَامُوا عَلَى بَابِهِ فَاسْتَأْذَنُوا ، نَفَرَجَتْ إِلَيْهِمْ امْرَأَتُهُ ، قَوْلَتْ : مَنْ أَنْتُمْ؟ قَالُوا : أَنَاسٌ مِنْ الْعَرَبِ نَلْتَمِسُ الْمِيرَةَ . قَالَتْ : ذَاكُمْ صَاحِبُكُمْ فَادْخُلُوهُمْ . فَلَمَّا دَخَلُوكُمْ أَغْلَقْنَا عَلَيْنَا وَعَلَيْهِ الْحَجْرَةَ تَخْوِفَأَا أَنْ يَكُونَ دُونَهُ مُجَاهَةٌ تَحُولُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ . قَالَ : فَصَاحَتْ امْرَأَتُهُ فَنَوَّهَتْ بِنَاهُ ، فَابْتَدَرَنَاهُ وَهُوَ عَلَى فَرَاشِهِ بِأَسْيَافِنَا ، فَوَاللَّهِ مَا يَدْلُلُنَا عَلَيْهِ فِي سُوَادِ اللَّيلِ إِلَّا بِيَاضِهِ كَأَنَّهُ قُبْطِيَّةً^(٢) مُلْقَاهُ . قَالَ : فَلَمَّا صَاحَتْ بِنَاهُ امْرَأَتُهُ جَعَلَ الرَّجُلُ^(٣) مَنَا يَرْفَعُ عَلَيْهَا سَيْفَهُ ثُمَّ يَذْكُرُ نَهْنَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَكْفُّ يَدَهُ ، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَفَرَغْنَا مِنْهَا بَلِيلٍ . قَالَ : فَلَمَّا ضَرَبَنَاهُ بِأَسْيَافِنَا تَحَمَّلَ عَلَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَنَيْسٍ بِسَيْفِهِ فِي بَطْنِهِ حَتَّى أَنْفَذَهُ وَهُوَ يَقُولُ : قَطْنِي قَطْنِي . أَى حَسْبِي حَسْبِي .

قَالَ : وَخَرَجْنَا وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَتَيْكَ سِيِّدُ الْبَصَرِ ، قَالَ : فَوْقَعَ مِنَ الْدَرْجَةِ فَوَثَّبَتْ يَدُهُ وَثَثَّبَ شَدِيدًا^(٤) ، وَحَمَلْنَاهُ حَتَّى نَأَى بِهِ مَهْرًا مِنْ عَيُونِهِمْ فَنَدَخَلُ فِيهِ . فَأَوْقَدُوا النَّيْرَانَ وَاشْتَدَّوا فِي كُلِّ وَجْهٍ يَطْلُبُونَا ، حَتَّى إِذَا يَئْسَوْا رَجَعُوا إِلَيْهِ فَأَكْتَنَفُوهُ وَهُوَ يَقْضِي .

قَالَ : قَلَنَا : كَيْفَ لَنَا بَأْنَ نَعْلَمُ بَأْنَ عَدُوَ اللَّهِ قَدَّمَاتِ؟ قَالَ : فَقَالَ رَجُلٌ مِنْهَا : أَنَا أَذْهَبُ فَأَنْظُرُ لَكُمْ . فَانْطَلَقَ حَتَّى دَخَلَ فِي النَّاسِ قَالَ : فَوْجَدْتُهَا - يَعْنِي امْرَأَتَهُ -

(١) الْعِلْيَةُ : الْغَرْفَةُ : وَالْعِجْلَةُ : الْدَرْجُ مِنَ النَّخْلِ .

(٢) الْقُبْطِيَّةُ : ثِيَابٌ بِيَضِّ كَانَتْ تُصْنَعُ بِعَصْرٍ .

(٣) وَثَثَّ : فَكَتْ ، أَوْ أَصَابَهَا وَجْعٌ بِلَامِكُسْرٍ . وَفِي الْأَصْلِ : وَثَثَتْ . وَمَا أَنْتَهُ عَنْ ابْنِ هَشَامٍ .

و رجال يهود حوله وفي يدها المصباح تنظر في وجهه وتحدق بهم وتقول : أَمَا وَاللهِ
قد سمعتُ صوت ابن عَتِيكَ ثُمَّ أَكَذَّبْتُ نفسي وقلت : أَنِّي ابنُ عَتِيكَ بهذهِ الْبَلَادِ !
ثُمَّ أَقْبَلَتْ عَلَيْهِ تَنْظُرَ فِي وَجْهِهِ فَقَالَتْ : فَاظْ (١) وَاللهِ يَهُودُ . فَاسْمَعْتُ كَلَةً كَانَتْ أَذْ
عَلَى نَفْسِي مِنْهَا .

قال : ثُمَّ جاءَنَا فَأَخْبَرْنَا فَاحْتَمَلْنَا صَاحِبَنَا وَقَدْ مَنَّا عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
فَأَخْبَرْنَاهُ بِقُتْلَ عَدُوِّ اللهِ ، وَاحْتَلَفْنَا عَنْهُ فِي قُتْلَهِ كُلُّنَا يَدْعُوهُ . قَالَ : فَقَالَ : هَاتُوا
أَسِيفَكُمْ . فَجَئْنَا بِهَا فَنَظَرْ إِلَيْهَا ، فَقَالَ لَسِيفُ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَنَيْسٍ : هَذَا قُتْلَهُ ، أَرَى
فِيهِ أَثْرَ الطَّعْنَامِ .

قال ابن إسحاق : فقال حسان بن ثابت في ذلك :

الله دَرُّ عَصَابَةٍ لَاقِيَّهُمْ يَا بْنَ الْحَقِيقِ وَأَنْتَ يَا بْنَ الْأَشْرَفِ
بَسْرُونَ بِالْبَيْضِ اِنْلَفَافِ إِلَيْكُمْ مَرَحًا كَاسِدِ فِي عَرَيْنِ مُغْرِفِ (٢)
حَتَّى أَتُوكُمْ فِي مَحَلِّ بَلَادِكُمْ فَسَقَوْكُمْ حَتَّفًا بَيْضِ دُفَّ
مُسْتَبْصِرِينَ لِنَصْرِ دِينِ نَبِيِّهِمْ مُسْتَصْفِرِينَ لِكُلِّ أَمْرٍ بُخْفِ
هَكَذَا أَوْرَدَ هَذِهِ الْقَصَّةَ الْإِمَامُ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ رَحْمَهُ اللهُ .

* * *

و قد قال الإمام أبو عبد الله البخاري : حدثنا إسحاق بن نصر ، حدثنا يحيى بن
آدم ، حدثنا ابن أبي زائدة ، عن أبيه ، عن أبي إسحاق ، عن البراء بن عازب قال :
بعث النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رهطاً إلى أبي رافع فدخل عليه عبد الله بن عَتِيكَ يبيته
ليلاً وهو نائم فقتله .

قال البخاري : حدثنا يوسف بن موسى ، حدثنا عبد الله بن موسى ، عن

(١) فَاظْ : مات . (٢) مُغْرِفٌ : ذو شجر كثير ملتف .

إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن البراء قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أبي رافع اليهودي رجالاً من الأنصار وأمر عليهم عبد الله بن عتيك ، وكان أبو رافع يؤذى رسولاً الله صلى الله عليه وسلم ويعين عليه ، وكان في حصن له بأرض الحجاز ، فلما دنوا منه وقد غربت الشمس وراح الناس بسرّ حهم قال عبد الله : اجلسوا مكانكم فإني منطلق متلطّل للبُوَاب لعلّي أن أدخل . فأقبل حتى دنا من الباب ثم تفجّع بشو به كأنه يقى حاجته وقد دخل الناس ، فهتف به البواب : يا عبد الله إن كفت تربى أن تدخل فادخل فإني أريد أن أغلق الباب . فدخلت فكمنت ، فلما دخل الناس أغلق الباب ثم علق الأغاليق على وَدَ^(١) قال : قمت إلى الأفاليد وأخذتها وفتحت الباب ، وكان أبو رافع يَسْمِر عنده وكان في علَى له ، فلما ذهب عنه أهل سِمِّره صعدت إليه ، فجعلت كلياً فتحت باباً أغلقت على من داخل ، فقلت : إنِّي أَقْرَبُ الْقَوْمَ نَذِرُوا بِي^(٢) لم يخلصوا إلىَّ حتى أُقْتَلَه . فانتهيت إليه فإذا هو في بيت مظلم وسط عياله لا أدرى أين هو من البيت قلت : أبا رافع . قال : من هذا؟ . فأهْوَيْت نحوَ الصوت فأضرر به بالسيف ضربة وأنا دَهِش ، فما أغنَيْتُ شيئاً ، وصاح نخرجتُ من البيت فامكث غير بعيد ، ثم دخلت إليه فقلت : ما هذا الصوت يا أبا رافع؟ فقال : لِأَمْكِ الْوَيْلُ إِنَّ رَجُلًا فِي الْبَيْت [ضربني]^(٤) قبل بالسيف . قال : فأضرر به ضربةً أُخْنَقْتُه ولم أُقتلَه ، ثم وضعت صَبِيبَ^(٣) السييف في طنه حتى أخذ في ظهره ، فعرفت أنني قتله ، فجعلت أفتح الأبواب باباً باباً حتى انتهيت إلى درجة له فوضعت رجلي وأنا أرى أنني قد انتهيت ، فوَقَعْتُ في ليلة مقمرة فانكسرت ساق فعصبتها بعامة حتى انطلقت حتى جلست على الباب قلت : لا أخرج الليلة حتى أعلم أقتلته . فلما صاح الديك قام الناعي على السور فقال : أنْتَ أبا رافع ناصر أهل

(١) الود : الوتد ، أَدْغَمَ النَّاءَ بَعْدَ قَلْبِهَا دَالًا .

(٢) نذروا : علّوا . وفي الأصل : سدوا لي . وما أنتهيه عن صحيح البخاري ٢١٤ / ٢ .

(٣) الصَّبِيبُ : طرف السييف . (٤) من صحيح البخاري ٢١٥ / ٢ .

الحجاج . فانطلقتُ إلى أصحابي فقلت : النجاء فقد قتل الله أبا رافع . فانتهيت إلى النبي صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خدثته فقال : ابسط رِجْلَكَ . فبسطت رجلَي فسحها فكانما لم أشتكيها قط .

قال البخاري : حدثنا أحمد بن عمان بن حكيم الأوزدي ، حدثنا شريح ، حدثنا إبراهيم بن يوسف ، عن أبيه ، عن أبي إسحاق سمعت البراء ، قال : بعث رسول الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى أبي رافع عبد الله بن عتيبة وعبد الله بن عتبة في ناس معهم ، فانطلقوا حتى دنوا من الحصن ، فقال لهم عبد الله بن عتيبة : امكثوا أنتم حتى انطلق أنا فأناظر . قال : فلتفتفت حتى أدخل الحصن ، ففقدوا حمارا لهم فخرجوا بقبس يطلبونه . قال : تخشيت أن أعرف قال : ففطيت رأسي وجلست كأنني أقضى حاجة قال^(١) : من أراد أن يدخل فليدخل قبل أن أغلقه . فدخلت ثم اختبأت في مَرْبَط حمار عند باب الحصن ، فتشعوا عند أبي رافع وتحذثوا حتى ذهب ساعة من الليل ، ثم رجعوا إلى بيوتهم .

فلمَّا هدأت الأصوات ولا أسمع حركة خرجت . قال : ورأيت صاحب الباب حيث وضع مفتاح الحصن في كوة ، فأخذته . ففتحت به باب الحصن قال : قلت : إن نذير بي القوم انطلقت على مهل . ثم عدت إلى أبواب بيوتهم فقلقحتها عليهم من ظاهر .

ثم صعدت إلى أبي رافع في سُلْمٍ فإذا البيت مظلم قد طفى مراجنه ، فلم أذر أين الرجل ، فقلت : يا أبي رافع . قال : من هذا ؟ فعمدت نحو الصوت فأضربه ، وصاح فلم تُفْنِ شيئاً . قال : ثم جثته كأنني أغثته فقلت : مالك يا أبي رافع . وغيرت صوتي قال : لا أُعْجِبُك^(٢) لآمك الويل ! دخل على رجل فضربني بالسيف . قال : فعمدت إليه

(١) البخاري : فنادي صاحب الباب .

(٢) البخاري : ألا أُعْجِبُك .

أيضاً فأضر به أخرى فلم تفن شيئاً ، فصالح وقام أهله . ثم جئت وغيرت صوتي كهيئة المغيث فإذا هو مستلق على ظهره فأضاع السيف في بطنه ثم أنكفي عليه حتى سمعت صوت العَظِيم ، ثم خرجت دَهْشًا حتى أتيت السلم أريد أن أنزل فأسقط منه ، فاخامت رجل فعصبتها ، ثم أتيت أصحابي أحْجُول . قلت : انطلقوا فبُشِّروا رسول الله صلى الله عليه وسلم فإلى لا أُبرح حتى أسمع الناعية . فلما كان في وجه الصبح صعد الناعية فقال : أني أبا رافع . قال : فقمت أمشي ما بي قلبَة^(١) فأدركت أصحابي قبل أن يأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فبشرته .

تفرد به البخاري بهذه السياقات من بين أصحاب الكتب الستة : ثم قال : قال الزهرى : قال أبي بن كعب : فقدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر فقال : أفلحت الوجه . قالوا : أفلح وجهك يا رسول الله . قال : أفقـكتـمـوه ؟ قالوا : نعم . قال : ناولنى السيف . فسله فقال : أجل هذا طعامه في ذباب السيف .

قالت : يحتمل أن عبد الله بن عتيبة لما سقط من تلك الدرجة انفكـتـ قدمـه وانكسرـتـ ساقـه ووثـتـ^(٢) رجلـه ، فلما عصـبـها استـكـنـ ما به لـماـ هوـ فيهـ منـ الأمرـ الـبـاهـرـ ، ولـماـ أرادـ المـشـىـ أـعـينـ علىـ ذـلـكـ لـماـ هوـ فـيـهـ مـنـ الجـهـادـ النـافـعـ ، ثمـ لـماـ وـصـلـ إـلـىـ رسـولـ اللهـ صـلـيـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـ وـاسـتـقـرـتـ نفسـهـ ثـاـورـهـ الـوـجـعـ فـرـجـلـهـ ، فـلـماـ بـسـطـ رـجـلـهـ وـمـسـحـ رسـولـ اللهـ صـلـيـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـ ذـهـبـ ماـ كـانـ بـهـ مـنـ بـأـسـ فـيـ المـاضـيـ وـلـمـ يـقـ بـهـ وـجـعـ يـتـوقـ حـصـولـهـ فـيـ الـمـسـتـقـبـلـ ، جـمـعـاـ بـيـنـ هـذـهـ الرـوـاـيـةـ وـالـتـيـ تـقـدـمـتـ . وـالـلـهـ أـعـلـمـ .

هـذـاـ ، وـقـدـ ذـكـرـ مـوـسـىـ بـنـ عـقـبـةـ فـيـ مـعـازـيـهـ مـثـلـ سـيـاقـ مـحـمـدـ بـنـ إـسـحـاقـ ، وـسـيـىـ الجـمـاعـةـ الـذـيـنـ ذـهـبـوـاـ إـلـيـهـ كـاـذـكـرـهـ اـبـنـ إـسـحـاقـ وـإـبـراهـيمـ وـأـبـوـ عـبـيدـ .

(١) القلبـةـ : العـلـةـ وـالـدـاءـ . (٢) الأـصـلـ : وـبـيـتـ . وـهـوـ تـحـرـيـفـ .

مقتل خالد بن سفيان بن نبيح المذلي

ذكره الحافظ البهقي في الدلائل تلو مقتل أبي رافع.

قال الإمام أحمد : حدثنا يعقوب ، حدثنا أبي ، عن ابن إسحاق ، حدثني محمد بن جعفر بن الزبير ، عن ابن عبد الله بن أنيس ، عن أبيه قال : دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : إنه قد بُنِيَتْ أَنْتَ لِي مُؤْمِنًا وَأَنَّكَ لِي مُغْرِبًا وَهُوَ عَرَفَةٌ فَإِنَّهُ قاتلُكَ . قال : قلت : يا رسول الله أنتَ لى حتى أعرفه . قال : إذا رأيتكَ وجدتَ له قُشْعُرِيرَةً .

قال : نفرجتْ متوشحةً سيفي حتى وقفت عليه وهو بعرَفة مع ظعنٍ يرتاد لهن منزلًا وحين كان وقت المصير ، فرأيتها وجدت ما وصفَ لي رسول الله صلى الله عليه وسلم من القُشْعُرِيرَة ، فأقبلت نحوه وخشيته أن يكون بيني وبينه مُجاولةً تشغلي عن الصلاة ، فصلحت وأنا أمشي نحوه ، أو مُؤْمِنٌ برأسِي للركوع والسجود ، فلما انتهيت إليه قال : من الرجل؟ قلت : رجل من العرب سمع بك وبحمدك لهذا الرجل فجاءكَ ذلك . قال : أجل أنا في ذلك . قال : فشيئت معه شيئاً حتى إذا أمسكتني حملت عليه السيف حتى قتلتني ، ثم خرجت وتركت ظعاشه مُسْكَبَاتٍ عليه .

فلما قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فرآتني قال : أفلح الوجه . قال : قلت : قتلتني يا رسول الله . قال : صدقت . قال : ثم قام معه رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل في بيته فأعطاني عصا فقال : أمسك هذه عندك يا عبد الله بن أنيس . قال : نفرجت بها على الناس فقالوا : ما هذه العصا؟ قال : قلت : أعطانيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمرني أن أمسكها . قالوا : أو لا ترجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فتسأله عن ذلك . قال : فرجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : يا رسول الله لم أعطيتني

هذه العصا؟ قال : آيةٌ يبني وينت يوم القيمة إن أقل الناس المتخررون^(١) يومئذ .
قال : فقرّها عبد الله بسيفه ، فلم تزل معه حتى إذا مات أمر بها فضّلت في كفنه
ثم دفنا جميعاً .

ثم رواه الإمام أحمد عن يحيى بن آدم ، عن عبد الله بن إدريس ، عن محمد بن إسحاق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير ، عن بعض ولد عبد الله بن أنيس ، أو قال : عن عبد الله بن عبد الله بن أنيس ، عن عبد الله بن أنيس فذكر نحوه .

وهكذا رواه أبو داود ، عن أبي مَعْمَر ، عن عبد الوارث ، عن محمد بن إسحاق ، عن محمد بن جعفر ، عن عبد الله بن أنيس ، عن أبيه . فذكر نحوه . ورواهم الحافظ البيهقي من طريق محمد بن سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عبد الله ابن عبد الله بن أنيس ، عن أبيه . فذكره .

وقد ذكر قصته عروةُ بن الزبير وموسى بن عقبة في مغازيهم مرسلاً . فالله أعلم .

قال ابن هشام : وقال عبد الله بن أنيس في قتله خالد بن سفيان :

تركتُ ابن ثورِ كأحواله وحوله نواحي تفري كلَّ جيبٍ مُقدَّدٍ^(٢)
تناولتهُ والظعن خلفه وخلفه بأبيض من ماء الحديد المهندي
عجمُونِ لَهَامِ الداريَنِ كأنه شهابٌ غصَّى من ملئيٍ مُتوقدٍ^(٣)
أقول لهُ والسيف يمْجُمُ رأسه أنا ابن أنيس فارسٌ غير قُعْدُدٍ
أنا ابن الذي لم يُنزل الدهر قدره رَحِيبٌ فِناء الدار غير مزدَّ^(٤)
وقلت لهُ خذها بضربي ماجدٍ خفيفٌ على دين النبي محمدٍ
وكنت إذا همَّ النبي بـكافر سبقت إليه بالسان وباليدِ

(١) المتخررون : المتكئون على المخاصل ، جم مختصرة ، وهي ما يمسكه الإنسان بيده من عصا ونحوها .

(٢) الموار : ولد الناقة إلى أن يفصل عن أمها . وتفري : نقطع .

(٣) عجمون : مخبر . والقعد : الجبان . (٤) المزند : البخيل الضيق .

قالت : عبد الله بن أنيس بن حرام أبو يحيى الجعفري صحابي مشهور كبير التقدّر ،
كان فيمن شهد العقبة ، وشهد أحداً والخندق وما بعد ذلك ، وتأخر موته بالشام إلى
سنة مئتين على المشهور . وقيل توفي سنة أربع وخمسين . والله أعلم .

وقد فرق على بن الزبير وخليفة بن خياط بيته وبين عبد الله بن أنيس أبي عيسى
الأنصاري ، الذي روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه دعا يوم أحد بإداوة فيها ماء
فلؤها وشرب منها ، رواه أبو داود والترمذى من طريق عبد الله العمرى ، عن
عيسى بن عبد الله بن أنيس عن أبيه . ثم قال الترمذى : وليس إسناده ب صحيح ، وعبد الله
العمرى ^(١) ضعيف من قبل حفظه .

(١) هو عبد الله بن عمر بن حفص بن عامر بن الخطاب ، العمرى . وهو ضعيف غالب عليه
الصلاح فلم يحفظ وكثير الخطأ في روایته . الباب ٢ / ١٥٣ .

قصة عمرو بن العاص مع النجاشي بعد وقعة الخندق

وإسلامه

قال محمد بن إسحاق بعد مقتل أبي رافع.

وحدثني يزيد بن أبي حبيب ، عن راشد مولى حبيب بن أوس التقي ، عن حبيب ابن أوس ، حدثني عمرو بن العاص من فيه قال : لما انصرفنا يوم الأحزاب عن الخندق جمعت رجالاً من قريش كانوا يرون رأي ويسعون مني ، فقلت لهم : تعلمون والله أنى أرى أمر محمد يعلو الأمور علوًّا منكراً ، وإنى لقدر أرأت أمراً فما ترون فيه ؟ قالوا : وما رأيت ؟

قال : رأيت أن نلحق بالنجاشي فنكون عنده ، فإن ظهر محمد على قومنا كنا عند النجاشي ، فإنما إن نكن تحت يديه أحب إلينا من أن نكون تحت يدي محمد ، وإن ظهر قومنا فنحن من قد عرفوا فلن يأتينا منهم إلا خير .

قالوا : إن هذا الرأي . قلت : فاجتمعوا لنا ما نهدى له . فكان^(١) أحب ما يهدى إليه من أرضنا للأدم^(٢) ، فجمعنا له أدمًا كثيراً .

ثم خرجنا حتى قدمنا عليه . فوالله إنما لمنه إذ جاءه عمرو بن أمية الضرمي وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بعثه إليه في شأن جعفر وأصحابه .

قال : فدخل عليه ثم خرج من عنده . قال : فقلت لأصحابي : هذا عمرو بن أمية ،

(٢) الأدم : الجلد أو أحمره ، أو المصبوغ منه .

(١) ابن هشام : وكان .

لو قد دخلتُ على النجاشي فسألته إيه فأعطانيه فضربتُ عنقه ، فإذا فعلتُ رأة قريش
أني قد أجزأتُ عنها حين قلتُ رسولَ محمدَ .

قال : فدخلت عليه فسبحت له كما كنت أصنع . فقال : مرحباً بصديقِ ، هل
أهديتَ لي من بلادك شيئاً ؟ قال : قلت : نعم أيها الملك ، قد أهديت لك أدماماً كثيراً .
قال : ثم قربته إليه فأعجبه وأشبهاه . ثم قلت له : أيها الملك إنني قد رأيت رجلاً خرج من
عندك ، وهو رسول رجل عدو لنا ، فأعطيته لأقتله ، فإنه قد أصاب من
أشرافنا وخياننا .

قال : فغضب ثم مدّ يده فضرب بها أنفه ضربةً ظننت أنه قد كسره ، فلو انشقت
الأرض لدخلتُ فيها فرقاً !

ثم قلت : أيها الملك والله لو ظننت أنك تكره هذا مسألةً كـه .

قال : أتسألني أن أعطيك رسولَ رجل يأتيه الناموسُ الأكبر الذي كان يأتي
موسى فقتلته ؟

قال : قلت : أيها الملك أ كذلك هو ؟ قال : ويحيى يا عمر واطعني واتبعه ، فإنه
والله أعلم الحق ، وليظهرن على من خالقه كما ظهر موسى بن عمران على فرعون وجندوه .
قال : قلت : أفتبايعنى له على الإسلام ؟ قال : نعم . فبسط يده فبما يعتقـه
على الإسلام .

ثم خرجت على أصحابي وقد حال رأيي عما كان عليه ، وكتمت أصحابي إسلامي ،
ثم خرجت حامداً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لأسلم ، فلقيت خالداً بن الوليد وذلك
قبيل الفتح ، وهو مقبل من مكة فقلت : أين أبا سليمان ؟ فقال : والله لقد استقام الميسـمـ^(١)

(١) الميسـمـ : المـكـوـةـ . وهو أثر الحسن أيضاً . ورواية أبي ذر : في شرح السيرة : المـسـمـ بالـنـونـ .
قال : « ومعناه : تبيـنـ الطـرـيقـ ووضـحـ » .

وإن الرجل لنبيٌّ ، أذهبُ والله أسلم فتى متى ! قال : قلت : والله ماجست إلا لأسلم .

قال : فقدمنا المدينة على النبي صلى الله عليه وسلم فتقدم خالد بن الوليد فأسلم وبايع ، ثم دنوت فقلت : يا رسول الله إني أبايعك على أن تغفر لي ما تقدّم من ذنبي ، ولا ذكر ماتأخر .

قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا عمرو بايع فإن الإسلام يحب ما كان قبله ، وإن المجرة تحب ما كان قبلها .

قال : فبايعته ثم انصرفت .

قال ابن إسحاق : وقد حدثني من لا أتهم أن عمان بن طلحة بن أبي طلحة كان معهما ، أسلم حين أسلما ، فقال عبد الله بن أبي الزبير السهري :

أَنْشَدَ عُمَانَ بْنَ طَلْحَةَ خَلْفَنَا وَمُلْقِي نَعَالِ الْقَوْمِ عِنْدَ الْمَقْبَلِ^(١)

وَمَا عَقَدَ الْأَبَاءُ مِنْ كُلِّ حِلْفَةٍ وَمَا خَالَدٌ مِنْ مِثْلِهِ بِمَحْلِلٍ

أَمْفَاتِحَ بَيْتٍ غَيْرِ بَيْتِكَ تَبْقَى وَمَا تَبْقَى مِنْ بَيْتٍ مَجْدٌ مُؤْثِلٌ^(٢)

فَلَا تَأْمُنَ خَالِدًا بَعْدَ هَذِهِ وَعُمَانَ جَاءَ بِالدَّهِيمِ الْمَعْضِلِ^(٣)

قلت : كان إسلامهم بعد الحديبية ، وذلك أن خالد بن الوليد كان يومئذ في خيل المشركين كما سيأتي بيانه ، فكان ذكر هذا الفصل في إسلامهم بعد ذلك أنسٌ ، ولكن ذكرنا ذلك تبعاً للإمام محمد بن إسحاق رحمه الله تعالى ، لأن أول ذهاب عمرو ابن العاص إلى النجاشي كان بعد وقعة الخندق ، [و] الظاهر أنه ذهب بقية سنة خمس . والله أعلم .

(١) خلفنا : كذا بالأصل ، وأهلها : خلفنا .

(٢) ابن هشام : من مجد بيت مؤثث .

(٣) الدheim : الداهية .

فصل

فِي تزويج النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَأْمَ حَبِيبَةَ بَنْتَ أَبِي سَفِيَّانَ

ذَكَرَ الْبَيْهِقِيُّ بَعْدَ وَقْعَةِ الْخَنْدَقِ مِنْ طَرِيقِ السَّكَلَيِّ عَنْ أَبِي صَالِحٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي
قَوْلِهِ تَعَالَى : « عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوْدَةً » قَالَ : هُوَ
تَزْوِيجُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَأْمَ حَبِيبَةَ بَنْتَ أَبِي سَفِيَّانَ ، فَصَارَتْ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ وَصَارَ
مَعاوِيَةُ خَالِيَّ الْمُؤْمِنِينَ .

ثُمَّ قَالَ الْبَيْهِقِيُّ : أَبْنَانَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحَافِظُ ، حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ تَجْهِيدَةَ ، حَدَّثَنَا يَحْيَى
ابْنُ عَبْدِ الْحَمِيدِ ، أَبْنَانَا ابْنُ الْمَبَارِكَ ، عَنْ مَعْمَرٍ ، عَنِ الرَّهْبَرِيِّ ، عَنْ عَرْوَةَ ، عَنْ أُمِّ حَبِيبَةِ
أَنْهَا كَانَتْ عِنْدَ عَبِيدِ اللَّهِ بْنِ جَحْشٍ ، وَكَانَ رَحَّلَ إِلَى النَّجَاشِيِّ فَاتَّ ، وَإِنَّ رَسُولَ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَزَوَّجَ بَأْمَ حَبِيبَةَ وَهِيَ بِأَرْضِ الْجَبَشِ وَزَوَّجَهَا إِبْرَاهِيمَ النَّجَاشِيَّ
وَمَهْرَهَا أَرْبَعَةُ آلَافٍ دَرَهمٍ ، وَبَعْثَ بَهَا مَعَ شُرَحْبِيلَ بْنَ حَسَنَةَ وَجَهْزَهَا مِنْ عَنْدِهِ
وَمَا بَعْثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِشَيْءٍ . قَالَ : وَكَانَ مَهْرُ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرْبَعَائِةً .

قَالَتْ : وَالصَّحِيحُ أَنَّ مَهْرَ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَتْ ثَنَتِي عَشْرَةً أَوْ قَيْةً
وَنَشَّاً ، وَالْوُقْيَةُ أَرْبَعُونَ دَرَهْمًا ، وَالنَّشْ النَّصْفُ . وَذَلِكَ يَعْدُلُ خَمْسَائِةَ دَرَهْمٍ .

ثُمَّ روَى الْبَيْهِقِيُّ مِنْ طَرِيقِ ابْنِ لَهِيَّةَ عَنْ أَبِي الْأَسْوَدِ ، عَنْ عَرْوَةَ أَنَّ عَبِيدَ اللَّهِ بْنَ
جَحْشَ مَاتَ بِالْجَبَشَةِ نَصْرَانِيَا ، نَخْلَفَ عَلَى زَوْجَهِ أُمَّ حَبِيبَةَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،
زَوَّجَهَا مِنْهُ عَمَانَ بْنَ عَفَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

قَلْتَ : أَمَا تَنْصُرُ عَبِيدَ اللَّهِ بْنَ جَحْشَ فَقَدْ تَقْدَمَ بِيَانِهِ ، وَذَلِكَ عَلَى أَثْرِ مَا هَاجَرَ مَعَ

ال المسلمين إلى أرض الحبشة استزله الشيطان فزين له دين النصارى فصار إليه حتى مات ، عليه لعنة الله . وكان يعيّر المسلمين فيقول لهم : أَبْصَرْنَا وَصَاصَاتُمْ . وقد تقدم شرح ذلك في هجرة الحبشة ^(١) .

وأما قول عروة : إن عمان زوجها منه . فغريب ، لأن عمان كان قد رجع إلى مكة قبل ذلك ، ثم هاجر إلى المدينة وصحابته زوجته رقية كما تقدم . والله أعلم .

والصحيح ما ذكره يونس ، عن محمد بن إسحاق قال : بلغني أن الذي ولَى نكاحها ابن عمها خالد بن سعيد بن العاص .

قلت : وكان وكيل رسول الله صلى الله عليه وسلم في قبول العقد أَصْحَمَهُ النجاشي ملك الحبشة ، كما قال يونس عن محمد بن إسحاق ، حدثني أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين ، قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن أمية الصَّمْرِي إلى النجاشي فزوَّجه أم حبيبة بنت أبي سفيان وساق عنه أربعونة دينار .

* * *

وقال الزبير بن بَكَّار : حدثني محمد بن الحسن ، عن أبيه ، عن عبد الله بن عمرو بن زهير ، عن إسماعيل بن عمرو ، أن أم حبيبة بنت أبي سفيان قالت : ماشرعت وأنا بأرض الحبشة إلا برسول النجاشي ، جارية يقال لها أَبْرَهَة كانت تقوم على ثيابه ودهنه فاستأذنتُ على فأذنت لها ، فقالت : إن الملك يقول لك : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب إلى أن أو زجك . فقلت : بشرك الله بالخمير . وقالت : يقول لك الملك : وكلى من يزوجك .

قالت : فأرسلت إلى خالد بن سعيد بن العاص فوَكَلْته ، وأعطيت أَبْرَهَة سوارين

(١) تقدم ذلك في الجزء الثاني .

من فضة وخدّمتين ^(١) من فضة كاتسا علىٰ وخواتيم من فضة في كل أصابع رجلي، سروراً بما بشرتني به.

فلا أن كان من الشئ أمر النجاشي جعفر بن أبي طالب ومن كان هناك من المسلمين أن يحضرها، وخطب النجاشي وقال : الحمد لله الملك القدس المؤمن العزيز الجبار، وأشهد أن لا إله إلا الله محمد عبد الله رسوله وأنه الذي بشر به عيسى بن مريم . أما بعد فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم طلب أن أزوّجه أم حبيبة بنت أبي سفيان فأجبت إلى مادعا إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد أصدقها أربعين دينار . ثم سكَ الدنانير بين يدي القوم .

فتكلم خالد بن سعيد فقال : الحمد لله أحمده واستغفره ، وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون . أما بعد ، فقد أجبت إلى مادعا إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وزوجته أم حبيبة بنت أبي سفيان ، فبارك الله لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

ودفع النجاشي الدنانير إلى خالد بن سعيد فقبضها ، ثم أرادوا أن يقوموا فقال : اجلسوا فإن من سنة الأنبياء إذا تزوجوا أن يؤكل طعام على التزويج . فدعوا بطعام فأكلوا ثم تفرقوا .

قلت : فعلل عمرو بن العاص لما رأى عمرو بن أمية خارجاً من عند النجاشي بعد الخندق إنما كان في قضية أم حبيبة . فالله أعلم .

لكن قال الحافظ البهقي : ذكر أبو عبد الله بن مندَه أن تزوّجه عليه السلام بأم حبيبة كان في سنة ست ، وأن تزوّجه بأم سلمة كان في سنة أربع .

(١) الخدمة في الأصل : سنة للأبل .

قلت : وكذا قال خليفة وأبو عبيد الله مَعْمُر بن المثنى وابن البرق ، وأن تزويج أم حبيبة كان في سنة ست . وقال بعض الناس : سنة سبع . قال البهقي : هو أشبه .
قلت : قد تقدم تزويجه عليه السلام بأم سلمة في أواخر سنة أربع ، وأما أم حبيبة فيحتمل أن يكون قبل ذلك ، ويحتمل أن يكون بعده ، وكونه بعد الخندق أشبه ، لما تقدم من ذكر عمرو بن العاص أنه رأى عمرو بن أمية عند النجاشي ، فهو في قضيتها والله أعلم .

وقد حكى الحافظ ابن الأثير في الغابة عن قتادة ، أن أم حبيبة لما هاجرت من الحبشة إلى المدينة خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم وتزوجها .
وحكى عن بعضهم أنه تزوجها بعد إسلام أبيها بعد الفتح ، واحتج هذا القائل بما رواه مسلم من طريق عكرمة بن عمارة اليهاني عن أبي زميل سماك بن الوليد ، عن ابن عباس أن أبو سفيان قال : يارسول الله ثلاث أعطنيهن . قال : نعم . قال : تؤمرني على أن أقاتل الكفار كما كنت أقاتل المسلمين . قال : نعم . قال : ومعاوية تحمله كتاباً بين يديك . قال : نعم . قال : وعندي أحسن العرب وأجمله أم حبيبة بنت أبي سفيان أزوّجكها . الحديث بهماه .

قال ابن الأثير : وهذا الحديث مما أنكر على مسلم ، لأن أبو سفيان لما جاء يجدد العقد قبل الفتح دخل على ابنته أم حبيبة فثبتت عنه فراش النبي صلى الله عليه وسلم فقال : والله ما أدرى أرغبت بي عنه أو به عنى ؟ قالت : بل هذا فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنت رجل مشرك . فقال : والله لقد أصبك بعدي يابنية شر . وقال ابن حزم : هذا الحديث وضعه عكرمة بن عمّار ، وهذا القول منه لا يتابع عليه .
وقال آخرون : أراد أن يجدد العقد لما فيه بغير إذنه من الفضاضة عليه . وقال بعضهم : لأنه اعتقاد انسان كلام ابنته بإسلامه .

وَهَذِهِ كُلُّهَا ضَعْفَةٌ ، وَالْأَحْسَنُ فِي هـذَا أَنْ يَرِدَ أَنْ يَزُوْجَهُ ابْنَتَهُ الْأُخْرَى عَمْرَةً لِمَا رَأَى فِي ذَلِكَ مِنَ الْشَّرْفِ لَهُ وَاسْتِعْانَ بِأَخْتِهَا أُمَّ حَبِيبَةَ كَمَا فِي الصَّحِيفَتِينَ . وَإِنَّا وَهُمْ الرَّاوِيَ فِي تَسْمِيَتِهِ أُمَّ حَبِيبَةَ وَقَدْ أُورِدَنَا لِذَلِكَ خَبْرًا مُفْرَدًا .

قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْقَاسِمُ بْنُ سَلَامٍ : تَوْفِيتُ أُمَّ حَبِيبَةَ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَأَرْبَعِينَ . وَقَالَ أَبُو بَكْرِ بْنِ أَبِي خَيْثَمَةَ : تَوْفِيتُ قَبْلَ مَعاُوِيَّةَ بَسْنَةَ . وَكَانَتْ وَفَاتُهُ مَعاُوِيَّةً فِي رَجَبِ سَنَةِ سَتِينَ .

تَزْوِيجُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بْنُ يَنْبُوبَتْ جَحْشٍ

ابْنُ رَئَابَ بْنِ يَعْمَرَ بْنِ صَبْرَةَ بْنِ مُرَأَةَ بْنِ كَبِيرَ بْنِ غَمْرَةَ بْنِ دُودَانَ بْنِ أَسْدَ بْنِ خَزِيرَةِ الْأَسْدِيَّةِ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ . وَهِيَ بُنْتُ أُمِّيَّةَ بُنْتِ عَبْدِ الْمَطْلُبِ عَمَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَكَانَتْ قَبْلَهُ عِنْدَ مَوْلَاهُ زَيْدَ بْنِ حَارِثَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

قَالَ قَاتِدٌ وَالْوَاقِدِيُّ وَبَعْضُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ : تَزْوِيجُهَا عَلَيْهِ السَّلَامُ سَنَةُ خَمْسٍ ، زَادَ بَعْضُهُمْ فِي ذِي الْقَعْدَةِ . قَالَ الْحَافِظُ البَيْهِقِيُّ : تَزْوِيجُهَا بَعْدَ بْنِ قَرِيْبَةَ . وَقَالَ خَلِيفَةُ بْنِ خَيَّاطٍ وَأَبُو عَبِيدَةَ مَعْمَرَ بْنِ الشَّنَفِيِّ وَابْنِ مَنْدَهُ : تَزْوِيجُهَا سَنَةُ ثَلَاثٍ . وَالْأَوَّلُ أَشْهَرٌ وَهُوَ الَّذِي سَلَكَهُ ابْنُ جَرِيرٍ وَغَيْرُهُ وَاحِدٌ مِنْ أَهْلِ التَّارِيخِ .

وَقَدْ ذُكِرَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ وَالْفَقِيهِينَ وَأَهْلِ التَّارِيخِ فِي سَبِيلِ تَزْوِيجِهِ إِيَّاهَا عَلَيْهِ السَّلَامُ حَدِيثًا ذُكِرَهُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ فِي مَسْنَدِهِ تَرَكَنَا إِيمَادُهُ قَصْدًا لِئَلَّا يَضُعُهُ مَنْ لَا يَفْهَمُ عَلَى غَيْرِ مَوْضِعِهِ .

وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ : « وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْتُمْ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكٌ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتْقِ اللَّهَ وَتُخْنِقِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتُخْنِشِي النَّاسَ وَاللَّهُ أَحْقَ أَنْ تُخْنَشَ ، فَلَمَا قُضِيَ زَيْدٌ مِنْهُ وَطَرَأَ زَوْجُنَا كَهْرَبًا لَكِيلًا يَكُونُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرْجٌ فِي أَزْوَاجِ أَذْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرَأَ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولاً . مَا كَانَ عَلَى

النبي مِنْ حَرْجٍ فِيهَا فَرِضَ اللَّهُ لَهُ، سَنَةً اللَّهِ فِي الدِّينِ خَلَوْا مِنْ قَبْلٍ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدْرًا
مَقْدُورًا» (١).

وقد تكلمنا على ذلك في التفسير بما فيه كفاية.

فالمراد بالذى أنعم الله عليه ها هنا زيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
أنعم الله عليه بالإسلام ، وأنعم عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعتق وزوجه بابنة
عمه زينب بنت جحش .

قال مقاتل بن حبان : وكان صداقه لها عشرة دنانير وستين درهماً وخمراً وملحفة
ودرعاً وخمسين مدرعاً وعشرة أ Madda من تمر ، فكشت عنده قريباً من سنة أو فوتها ، ثم
وقع بينهما فجاء زوجها يشكوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان صلى الله عليه وسلم
يقول له : اتق الله وأمسك عليك زوجك .

قال الله : « وتخفي في نفسك ما املاك الله مبديه » قال علي بن الحسين زين العابدين والسدى :
كان [رسول] الله قد علم أنها ستكون من أزواجها ، فهو الذي كان في نفسه عليه السلام .
وقد تكلم كثير من السلف هنا بآثار غريبة ، وبعضها فيه نظر تركناها .

* * *

وفي رواية من طريق عيسى بن طهمان عن أنس ، قال : كانت زينب تفخر على

نساء النبي صلى الله عليه وسلم وتقول : أَنْكَحْنِي اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ . وَفِيهَا أُنْزِلَتْ آيَةُ الْحِجَابِ
« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بَيْتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ
نَاطِرِينَ إِنَّهُ » الآية .

وروى البيهقي من حديث حماد، بن زيد عن ثابت، عن أنس، قال : جاء زيد بشكوى
زيدب ، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : اتق الله وأمسك عليك زوجك .
قال أنس : فلو كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كاتباً شيئاً لكم هذه ، فكانت
تفخر على أزواج النبي صلى الله عليه وسلم تقول : زوجكن أهلاً يكن وزوجني الله من
فوق سبع سماوات . ثم قال : رواه البخاري عن أحاديث ، عن محمد بن أبي بكر المقدسي ،
عن حماد بن زيد .

نعم روى البيهقي من طريق عفان ، عن حماد بن زيد ، عن ثابت عن أنس ، قال : جاء
زيد بشكوى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من زينب بنت جحش ، فقال النبي صلى الله
عليه وسلم : أمسك عليك أهلك . فزارت : « وتخفي في نفسك ما الله مبديه » .

ثم قال : [رواه] البخاري : عن محمد بن عبد الرحيم ، عن معلى بن منصور ، عن محمد
ختصراً . وقال ابن جرير : حدثنا ابن حميد ، حدثنا جرير عن مغيرة ، عن الشعبي قال :
كانت زينب تقول للنبي صلى الله عليه وسلم : إني لآدل عليك بثلاث ، ما من نسائك امرأة
تُدلُّ بهن ، أن جدي وجدك واحد ، تعنى عبد المطلب ، فإنه أبو النبي صلى الله عليه
 وسلم وأبو أمها أميمة بنت عبد المطلب ، وأنى أَنْكَحْنِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنَ السَّمَاءِ ، وأن
السفير جرير عليه السلام .

وقال الإمام أحمد : حدثنا هاشم - يعني ابن القاسم - حدثنا النضر ، حدثنا سليمان
ابن المغيرة ، عن ثابت ، عن أنس قال : لما انقضت عدة زينب قال النبي صلى الله عليه
 وسلم لزيد : اذهب فاذكرها على . فانطلق حتى أتتها وهي تخمر مجدها ، قال : فلما رأيتها .

عَطِمْتُ فِي صَدْرِي حَتَّىٰ مَا أُسْتَطِعُ أَنْ أَنْظُرَ إِلَيْهَا ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَكَرَهَا ، فَوَلََّهَا ظَهْرِيْ وَنَكَصْتُ عَلَى عَقْبِيْ . وَقَالَتْ : يَا زَيْنَبْ أَبْشِرِيْ ، أَرْسَلْنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَذْكُرُكَ . قَالَتْ : مَا أَنَا بِصَانِعَةِ شَيْئًا حَتَّىٰ أَوْمَرَ رَبِّيْ عَزَّ وَجَلَّ . ثُمَّ قَامَتْ إِلَى مَسْجِدِهَا وَنَزَّلَ الْقُرْآنَ ، وَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَدَخَلَ عَلَيْهَا بَفِيرِ إِذْنِ . قَالَ أَنْسٌ : وَلَقَدْ رَأَيْنَا حِينَ دَخَلَ عَلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَطْعَمَنَا عَلَيْهَا الْخَبْزَ وَاللَّحْمَ ، نَخْرَجُ النَّاسَ وَبَقِيَ رِجَالٌ يَتَحَدَّثُونَ فِي الْبَيْتِ بَعْدَ الطَّعَامِ ، نَخْرَجُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاتَّبَعْتُهُ فَجَعَلَ يَتَبَعَ حُجَّرَ نَسَاءِهِ يَسْلُمُ عَلَيْهِنَّ وَيَقُلُّنَّ : يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ وَجَدْتَ أَهْلَكَ ؟ فَمَا أَدْرِي أَنَا أَخْبِرْتُهُ وَالْقَوْمُ قَدْ خَرَجُوا أَوْ أَخْبَرُ . قَالَ : فَانْطَلَقَ حَتَّىٰ دَخَلَ الْبَيْتَ فَذَهَبَتْ أَدْخُلَ مَعَهُ ، فَأَلْقَى السُّتُّرَ بَيْنِيْ وَبَيْنَهُ ، وَنَزَّلَ الْحِجَابَ وَوِعَظَ الْقَوْمَ بِمَا وَعَظُوا بِهِ : « لَا تَدْخُلُوا بَيْوَتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ » الْآيَةُ . وَكَذَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَالنَّسَائِيُّ مِنْ طَرِيقِ سَلِيمَانَ بْنَ الْمُغَيْرَةِ .

ذَكْرُ نَزْوَلِ الْحِجَابِ صَبِيحةً عَرَسَهَا

الَّذِي وَلَى اللَّهُ عَقْدَ نَكَاحِهِ

فَنَاسِبُ نَزْوَلِ الْحِجَابِ فِي هَذَا الْعِرْسِ صَبِيحةً لَهَا وَلَا خَوَاتِهَا مِنْ أَمْهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَذَلِكَ وَقْقَرِ الرَّأْيِ الْعُمَرِيِّ .

قَالَ الْبَخَارِيُّ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الرَّقَاشَ ، حَدَّثَنَا مَعْتَمِرُ بْنُ سَلِيمَانَ ، سَمِعَتْ أَبِي حَدَّثَنَا أَبُو بِحْرَانَ ، عَنْ أَنْسِ بْنِ مَالِكٍ ، قَالَ : لَمَّا تَزَوَّجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زَيْنَبَ بَنْتَ جِبْرِيلَ ، فَعَلَّمَهَا الْقَوْمُ فَطَعَمُوهَا وَجَلَسُوهَا يَتَحَدَّثُونَ ، فَإِذَا هُوَ يَتَهَيَّأُ لِلْقِيَامِ فَلَمْ يَقُومُوا ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ قَامَ ، فَلَمَّا قَامَ قَامَ مِنْ قَامَ وَقَعَدَ ثَلَاثَةَ نَفَرَ ، وَجَاءَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيَدْخُلَ إِذْنَهُمْ جَلوْسًا ثُمَّ إِذْنَهُمْ قَامُوا فَانْطَلَقُوا ، فَخَيَّثَتْ فَأَخْبَرَتِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُمْ

قد انطلقو ، فجاء حتى دخل فذهبت أدخل فأقلي الحجابَ بيني وبينه ، فأنزل الله تعالى
« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوْ بَيْوَتَ النَّبِيِّ » الآية .

وقد رواه البخاري في مواضع آخر ومسلم والنسائي من طرق عن معمتر . ثم رواه
البخاري منفردا به من حديث أبو بوب عن أبي قلابة عن أنس نحوه .

وقال البخاري : حدثنا أبو معمر ، حدثنا عبد الوارث ، حدثنا عبد العزيز بن صهيب ،
عن أنس بن مالك قال : بُنُى على النبي صلى الله عليه وسلم بزینب بنت جحش بمخز وخم ،
فأرسلت على الطعام داعيًّا ، فيجيء قوم فیأكلون ويخرجون ثم يجيء قوم فیأكلون
ويخرجون ، فدعوت حتى مأجد أحداً أدعوه ، قلت : يابي الله مأجد أحداً أدعوه .
قال : ارفعوا طعامكم ، وبقي ثلاثة رهط يتهدرون في البيت ، نخرج النبي صلى الله عليه
وسلم فانطلق إلى حجرة عائشة فقال : السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته . قالت:
وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته ، كيف وجدت أهلك بارك الله لك ! فتفقرَ حجر
نسائه كلهن ويقول لهن كذا يقول لعائشة ويقلن له كذا قالت عائشة ، ثم رجع النبي صلى الله
عليه وسلم فإذا رهط ثلاثة في البيت يتهدرون ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم شديد
الحياة ، نخرج منطلقاً نحو حجرة عائشة فما أدرى أخبرته أم أخبر أن القوم خرجوا ، نخرج
حتى إذا وضع رجله في أُسْكُفَةِ الباب وأخرى خارجه أرخي الستر بيني وبينه ، وأنزلت
آية الحجاب .

تفرد به البخاري من هذا الوجه . ثم رواه منفرداً به أيضاً عن إسحاق ، هو ابن
نصر ، عن عبد الله بن بُكَيْر السهْمِي ، عن مُحَمَّدِ بْنِ أَنَسٍ بِنْ حُوَذَّلَكَ ، وقال : « رجالان »
بدل ثلاثة . فالله أعلم .

قال البخاري : وقال إبراهيم بن طهمان ، عن الجعْد أبي عثمان ، عن أنس
فذكر نحوه .

وقد قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو المظفر ، حدثنا جعفر بن سليمان ، عن الجعد أبي عثمان اليشكري ، عن أنس بن مالك ، قال : أعرس رسول الله صلى الله عليه وسلم ببعض نسائه ، فصنعت أم سليم حيساً ثم حطته في تور فقالت : اذهب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبره أن هذا منا له قليل . قال أنس : والناس يومئذ في جهد ، فجئت به قلت : يارسول الله بعثت بهذا أم سليم إليك وهى تقرئك السلام وتقول : إن هذا منا له قليل فنظر إليه ثم قال : ضعف في ناحية البيت . ثم قال : اذهب فادع لي فلاناً وفلاناً فسمى رجالاً كثيراً قال : ومن لقيت من المسلمين . فدعوت من قال لي ومن لقيت من المسلمين . فجئت والبيت والصفة والحجرة ملأة من الناس . قلت : يا أبا عثمان كم كانوا ؟ قال : كانوا زهاء ثلاثة .

قال أنس : فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : جي . فجئت به إليه فوضع يده عليه ودعا وقال ماشاء الله . ثم قال : ليتحقق عشرة عشرة ويسموا ، ولهم كل إنسان مما يليه . فجعلوا يسمون ويأكلون حتى أكلوا كلهم ، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : ارفعه . قال : فجئت فأخذت التور فنظرت فيه ، فلا أدرى فهو حين وضعه أكثر أم حين رفعته !

قال : وتخلف رجال يتحدثون في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم التي دخل بها معهم مولية وجهها إلى الحائط ، فأطالوا الحديث فشققا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان أشد الناس حياء ، ولو علموا كان ذلك عليهم عزيزاً . فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم على حجره وعلى نسائه ، فلما رأوه قد جاء ظنوا أنهم قد ثقلوا عليه ابتدروا الباب بفرجوا ، وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أرخى الستر ودخل البيت وأنا في الحجرة ، فشك رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيته يسيرا وأنزل الله القرآن ، نخرج وهو يقرأ هذه الآية : « يا أيها الذين آمنوا

لَا تَدْخُلُوا بيوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَن يُؤْذَنَ لَكُم إِلَى طَعَامٍ غَيْرِ نَاظِرِينَ إِنَّهُ ، وَلَكُن إِذَا دُعْيْتُمْ
فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعَمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ حَدِيثٌ ، إِنَّ ذَلِكَمْ كَانَ يُؤْذِنِي النَّبِيُّ فَيَسْتَحِي
مِنْكُمْ وَاللهُ لَا يَسْتَحِي مِنَ الْحَقِّ ، وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَقَاعِداً فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ
أَطْهَرُ لِقَوْبِكُمْ وَقَوْبِهِنَّ ، وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تَؤْذُوا رَسُولَ اللهِ وَلَا أَنْ تَسْكُحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ
بَعْدِهِ أَبْدَأْ إِنَّ ذَلِكَمْ كَانَ عِنْدَ اللهِ عَظِيمًا . إِنْ تُبْدِلُوا شَيْئًا أَوْ تَخْفُوهُ فَإِنَّ اللهَ كَانَ بِكُلِّ
شَيْءٍ عَلَيْهَا^(١) .

قال أنس : فقرأهن على قبـل الناس وأنا أحـدث الناس بهـن عـهـداـ.

وقد روـاه مـسلم والـترـمـذـي والـنـسـائـي جـمـيعـاً عـنـ قـتـيبةـ ، عـنـ جـعـفـرـ بـنـ سـاـيـمانـ ، عـنـ الجـعـدـ
أـبـيـ عـمـانـ بـهـ . وـقـالـ التـرـمـذـيـ : حـسـنـ صـحـيـحـ . وـرـوـاهـ مـسـلمـ أـيـضـاـ عـنـ مـحـمـدـ بـنـ رـافـعـ ، عـنـ
عـبـدـ الرـزـاقـ ، عـنـ مـعـمـرـ ، عـنـ الجـعـدـ أـبـيـ عـمـانـ بـهـ .

وقد روـى هـذـاـ الحـدـيـثـ الـبـخـارـيـ وـالـترـمـذـيـ وـالـنـسـائـيـ مـنـ طـرـقـ ، عـنـ أـبـيـ بـشـرـ
الـأـئـمـسـيـ الـكـوـفـيـ ، عـنـ أـنـسـ بـنـ حـوـهـ . وـرـوـاهـ اـبـنـ أـبـيـ حـاتـمـ مـنـ حـدـيـثـ أـبـيـ كـنـزـةـ الـعـبـدـيـ
عـنـ أـنـسـ بـنـ حـوـهـ ، وـلـمـ يـخـرـجـوـهـ . وـرـوـاهـ اـبـنـ جـرـيرـ مـنـ حـدـيـثـ عـمـرـ وـبـنـ سـعـيدـ وـمـنـ حـدـيـثـ
الـزـهـرـيـ عـنـ أـنـسـ نـحـوـ ذـلـكـ .

* * *

قلـتـ : كـانـتـ زـينـبـ بـنـتـ جـبـشـ رـضـيـ اللهـ عـنـهـاـ مـنـ الـهـاجـرـاتـ الـأـوـلـ ، وـكـانـتـ
كـثـيـرـةـ الـخـيـرـ وـالـصـدـقـةـ ، وـكـانـ اـسـمـهـاـ أـوـلـةـ رـَأـةـ فـسـمـاـهـاـ النـبـيـ صـلـيـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ زـينـبـ ،
وـكـانـتـ تـكـنـىـ بـأـمـ الـحـكـمـ .

قـالـتـ عـائـشـةـ رـضـيـ اللهـ عـنـهـاـ : مـا رـأـيـتـ اـمـرـأـ قـطـ خـيـرـاـ فـيـ الدـيـنـ مـنـ زـينـبـ وـأـنـقـ اللهـ
وـأـصـدـقـ حـدـيـثـاـ وـأـوـصـلـ لـلـرـحـمـ وـأـعـظـمـ أـمـانـةـ وـصـدـقـةـ .

و ثبت في الصحيحين كا سياقى في حديث الإفك عن عائشة أنها قالت : و سأله
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن زينب بنت جحش وهى التي كانت تُسامي من نساء
النبي صلى الله عليه وسلم ، فعصمها الله بالورع فقالت : يا رسول الله أحنى سمعي وبصرى ،
ما علمت إلا خيرا .

وقال مسلم بن الحجاج في صحيحه : حدثنا محمود بن عيسى لان ، حدثنا الفضل بن
موسى الشيباني ، حدثنا طلحة بن يحيى بن طلحة ، عن عائشة أم المؤمنين قالت : قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم : أسرعken لحوقاً بي أطولken يداً . قالت : فكنا ننطاطول
أينا أطول يداً . قالت : فكانت زينب أطولنا يدا ، لأنها كانت تعمل بيدها وتتصدق .
انفرد به مسلم .

قال الواقدى وغيره من أهل السير والمغازي والتوارىخ : توفيت سنة عشرين من
المجرة ، وصلى عليهما أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، ودفنت بالبقع
وهي أول امرأة صُنْع لها النعش .

سنة ست من الهجرة النبوية

قال البيهقي : كان يقال : في الحرم منها سرية محمد بن مسلمة قبل نجد ، وأسروا فيها ثعامة بن أنسال الميامي .

قلت : نكن في سياق ابن إسحاق عن سعيد المقبري عن أبي هريرة ، أنه شهد ذلك . وهو إنما هاجر بعد خيبر فيؤخر إلى ما بعدها . والله أعلم .
وهي السنة التي كان في أولئها غزوة بنى حيyan على الصحيح .

قال ابن إسحاق : وكان فتح بنى قريظة في ذى القعدة وصدر من ذى الحجة ، وولى تلك الحجة المشركون ، يعني في سنة خمس . كما تقدم .

قال : ثم أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة ذا الحجة والحرم وصفراً وشهري ربيع ، وخرج في جمادى الأولى على رأس ستة أشهر من فتح بنى قريظة إلى بنى حيyan يطاب بأصحاب الرأجيع خبيب وأصحابه ، وأظهر أنه يريد الشام ليصيب من القوم غررةً . قال ابن هشام : واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم .

والمقصود أنه عليه السلام لما اتهى إلى منازلهم هربوا من بين يديه ، ففتحصنا في رؤوس الجبال قال إلى عسفان فلتقي بها جماعاً من المشركين وصلى بها صلاة الخوف .
وقد تقدم ذكر هذه الغزوة في سنة أربع وهناك ذكرها البيهقي .

والأشبه ما ذكره ابن إسحاق أنها كانت بعد الخندق . وقد ثبت أنه صلى بعسفان يوم بنى حيyan ، فلتكتب هاهنا وتحول من هناك ، اتباعاً لإمام أصحاب المغازي في زمانه وبعده ، كما قال الشافعى رحمه الله : من أراد المغازي فهو عيال على محمد بن إسحاق .
وقد قال كعب بن مالك في غزوة بنى حيyan :

لَوْ أَنْ بْنَ لُحِيَانَ كَانُوا تَنَاظَرُوا
لَقَوَا عُصَبَّاً فِي دَارِهِمْ ذَاتَ مَصْدَقَ
لَقَوَا سَرَعَانًا يَمْلأُ السَّرْبَ رَوْعَهُ
أَمَامَ طَحُونَ كَالْجَرَّةَ فَيَلْقَى^(١)
وَلَكُنْهُمْ كَانُوا وَبِارًا تَنَبَّعُتْ
شِعَابَ حَجَازٍ غَيْرَ ذِي مُتَفَقِّ^(٢)

غزوة ذي قَرَد

قال ابن إسحاق : ثم قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فلم يقم بها إلا ليالي قلائل حتى أغار عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزارى في خيل من غطفان على إقاح النبي صلى الله عليه وسلم بالغابة ، وفيها رجل من بني غفار ومعه امرأته ، فقتلوا الرجل واحتلوا المرأة في إقاح .

قال ابن إسحاق : خدثى عاصم بن عمر بن قنادة وعبد الله بن أبي بكر ومن لأئتهم ، عن عبد الله بن كعب بن مالك - كل قد حدث في غزوة ذي قرداً بعض الحديث - أنه كان أول من تذر بهم سلمة بن عمرو بن الأكوع الأسلمي ، غداً يربى الغابة متوضحاً قوسه ونبلاه ومه غلام لطاحة بن عبيد الله معه فرس له يقوده ، حتى إذا علا ثنية الوداع نظر إلى بعض خيولهم فأشرف في ناحية سلم ثم صرخ : واصباحاه ثم خرج يستند في آثار القوم وكان مثل السبع ، حتى لحق بالقوم فجعل يرددُهم بالنبل ويقول :

خُذُّهَا وَأَنَا ابْنُ الْأَكَوْعَ الْيَوْمُ يَوْمُ الرُّضْعَ

إذا وجئت الخيل نحوه انطلق هارباً ثم عارضهم فإذا أمكنه الرمي رمى ثم قال :

خُذُّهَا وَأَنَا ابْنُ الْأَكَوْعَ الْيَوْمُ يَوْمُ الرُّضْعَ

قال : فيقول قائلهم : أَوْيُكُعُنا^(٣) هو أول النهار .

(١) السرعان : أوائل الخيل . والسرب : القلب . والطحون : الكتبية العظيمة . والجرة : باب السماء . والفيلق : الكتبية .

(٢) البار : جم وبر وهى دوية كالسنور . والشعاب : جم شعب . والمتتفق : المخرج .

(٣) يكعنا : يخوفنا ، أو يصرفنا عن غايتنا .

قال : وبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم صياغ ابن الأكوع فصرخ بالمدينة : الفزع الفزع . فترامت الخيل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكان أول من أتى به إليه من الفرسان القداد بن الأسود ، ثم عباد بن بشر وسعد بن زيد وأسيد بن ظهير - يُشك فيهم - وعُكاشة بن محسن ، ومحرز بن نضلة أخو بنى أسد بن خزيمة وأبو قتادة الحارث بن ربي أخو بنى سلمة ، وأبو عياش عبيد بن زيد بن صامت أخو بنى زريق قال : فلما اجتمعوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر عليهم سعد بن زيد ثم قال : أخرج في طلب القوم حتى ألحق في الناس . وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لأبي عياش فيما بلغنى عن رجال من بنى زريق : يا أبو عياش لو أعطيت هذا الفرس رجالا هو أفرس منك فلتحق بالقوم . قال أبو عياش : فقلت يا رسول الله أنا أفرس الناس . ثم ضربت الفرس فوالله ما جرى بي خمسين ذراعاً حتى طرحتني فعجبت من ذلك ، فزعم رجال من زريق أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطى فرس أبي عياش معاذ بن ماعص أو عائذ بن ماعص بن قيس بن خلدة ، وكان ثامناً . قال : وبعض الناس يدعى سلمة بن الأكوع ثامناً ويطرح أسيد بن ظهير . فالله أعلم أى ذلك كان . قال : ولم يكن سلمة بن الأكوع يومئذ فارسا ، قد كان أول من لحق بال القوم على رجليه .

قال : فخرج الفرسان حتى تلاحقوا ، فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة أن أول فارس لحق بال القوم محرز بن نضلة وكان يقال له الأخرم ويقال له قمير ، وكانت الفرس التي تخته محمود بن مسلمة ، وكان يقال للفرس ذو الامة فلما أتى به إلى أندور قال لهم : قِفوا معاشر بنى الله الكبيعة حتى يتحقق بكم من وراءكم من أدباركم من المهاجرين والأنصار . قال : فحمل عليه رجل منهم فقتله وجال الفرس فلم يقدر عليه حتى وقف على آريه من بنى عبد الأشهل ، أى رجع إلى مربطه الذي كان فيه بالمدينة .

قال ابن إسحاق : ولم يقتل يومئذ من المسلمين غيره . قال ابن هشام :

وقد ذكر غير واحد من أهل العلم أنه قد قُتل معه أيضاً وقاص بن محبُّز المذْلُجِي.

قال ابن إسحاق : وحدثني بعض من لا أتهم عن عبد الله بن كعب بن مالك أن محزاً كان على فرس له كاشة بن محسن يقال لها الجناح ، فقتل محزاً واستتب جناح . فالله أعلم .

قال : ولما تلاحت الخيل . قُتل أبو قتادة حبيب بن عيينة وغشاه برد ه ثم لحق بالناس ، وأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسلمين . قال ابن هشام : واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم . فإذا حبيب مسجى بيرد أبي قتادة فاسترجع الناس وقالوا : قُتل أبو قتادة . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ليس بأبي قتادة ولكن قتيل لأبي قتادة . ووضع عليه برد لتعرفوا أنه صاحبه .

قال : وأدرك عكاشة بن محسن أو بارا وابنه عمرو بن أو بار وهو على بيرد واحد فاتظمهما بالمرج فقتلهما جميعاً واستنقذوا بعض اللقاـح . قال : وسار رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل بالجبل من ذي قرداً ، وتلاحق به الناس فأقام عليه يوماً وليلة ، وقال له سلامة بن الأكوع : يا رسول الله لو سررتني في مائة رجل لاستنقذت بقية السرحة وأخذت بأعناق القوم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغنى : إنهم الآن ليُغبَّقُون في غطfan . فقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم في أصحابه في كل مائة رجل جـزـوراً وأقاموا عليها ، ثم رجع فافلا حتى قدم المدينة .

قال : وأقبلت امرأة الغفارى على ناقة من إبل النبي صلى الله عليه وسلم حتى قدمت عليه المدينة فأخبرته الخبر ، فلما فرغت قالت : يا رسول الله إني قد ندرت الله أن أخرها إن نجاني الله عليها . قال : فتقبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال : « بـسـما جـزـيرـها »

أَنْ حَمَّلَ اللَّهُ عَلَيْهَا وَنَجَّاكَ بِهَا ثُمَّ تَنْعَرِينَهَا ، إِنَّهُ لَا نَذَرَ فِي مُعْصِيَةِ اللَّهِ وَلَا فِيهَا لَا تَمْكِينٌ ، إِنَّمَا هِيَ نَاقَةٌ مِنْ أَبْلِي ، فَارْجُعُ إِلَى أَهْلِكَ عَلَى بُرْكَةِ اللَّهِ » .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَالْحَدِيثُ فِي ذَلِكَ عَنْ أَبِي الزَّيْدِ الْمَكِيِّ عَنْ الْخَيْرِ الْبَصْرِيِّ .

* * *

هَكَذَا أَوْرَدَ ابْنُ إِسْحَاقَ هَذِهِ الْقَصَّةَ بِمَا ذَكَرَ مِنَ الْإِسْنَادِ وَالسِّيَاقِ .

وَقَدْ قَالَ الْبَخَارِيُّ رَحْمَةُ اللَّهِ بَعْدَ قَصْدَةِ الْحَدِيثِيَّةِ وَقَبْلَ خَيْرٍ : غَزْوَةُ ذِي قَرْدَ ، وَهِيَ الْغَزْوَةُ الَّتِي أَغَارُوا عَلَى لِقَاحِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْلَ خَيْرٍ بِثَلَاثَ ..

حَدَّثَنَا قَتِيبَةُ بْنُ سَعِيدٍ ، حَدَّثَنَا حَاتِمٌ ، عَنْ يَزِيدِ بْنِ أَبِي عَبِيدٍ ، سَمِعَتْ سَلَمَةَ بْنَ الْأَكْوَعَ يَقُولُ : خَرَجَتْ قَبْلَ أَنْ يَؤْذَنَ بِالْأُولَى^(١) ، وَكَانَتْ لِقَاحَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَرْعَى بَذِي قَرْدَ قَالَ : فَلَقِينِي غَلَامٌ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ فَقَالَ : أَخْذَتْ لِقَاحَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . فَقَلَتْ : مَنْ أَخْذَهَا ؟ قَالَ : غَطْفَانٌ . قَالَ : فَصَرَخَتْ ثَلَاثَ صَرَخَاتٍ : وَاصْبَاحَاهُ ! قَالَ : فَأَسْمَعْتَ مَا بَيْنَ لَابَتِي الْمَدِينَةِ . ثُمَّ اندفَعْتَ عَلَى وَجْهِي حَتَّى أَدْرَكْتَهُمْ وَقَدْ أَخْذُوهُنَّ يَسْتَقِونَ مِنَ الْمَاءِ فَجَعَلْتَ أَرْمِيهِمْ بَنْبَلِي ، وَكَفَتْ رَامِيًّا ، وَأَقُولُ : أَنَا بْنُ الْأَكْوَعَ يَوْمَ الرُّضُّعِ^(٢) . وَأَرْتَجَزْ . حَتَّى اسْتَنْقَذْتُ الْلِقَاحَ مِنْهُمْ وَاسْتَلْبَتْ مِنْهُمْ ثَلَاثَيْنِ بُرْدَةً .

قَالَ : وَجَاءَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالنَّاسُ فَقَلَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ حَمِيتُ الْقَوْمَ الْمَاءَ وَهُمْ عَطَاشٌ فَابْعَثْ إِلَيْهِمْ السَّاعَةَ . فَقَالَ : « يَا بْنَ الْأَكْوَعَ ، مَلَكْتَ فَأَسْجِنْ^(٣) » ثُمَّ رَجَعْنَا وَبِرْدَفِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى نَاقَتِهِ حَتَّى قَدَمَنَا الْمَدِينَةَ . وَهَكَذَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ عَنْ قَتِيبَةِ بْنِهِ ، وَرَوَاهُ الْبَخَارِيُّ عَنْ أَبِي عَاصِمِ السَّهْلِيِّ ، عَنْ يَزِيدِ بْنِ أَبِي عَبِيدَةَ ، عَنْ مُولَاهِ سَلَمَةَ بْنِ حَوْهَ .

* * *

(١) الْأُولَى : صَلَةُ الصَّبَحِ . (٢) يَوْمُ الرُّضُّعِ : يَوْمُ هَلَكَ الْمَائِمَ . (٣) أَسْجِنْ : اعْفَ . (٤) السِّيَرَةُ .

وقال الإمام أحمد: حدثنا هاشم بن القاسم، حدثنا عكرمة بن عمار، حدثني إياس بن سلمة بن الأكوع، عن أبيه، قال: قدمنا المدينةَ زمان الحديبية مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فخرجت أنا ورباح غلام النبي صلى الله عليه وسلم بظاهر رسول الله صلى الله عليه وسلم، وخرجت بفرس لطلحة بن عبيد الله أريد أن أنديه مع الإبل، فلما كان بغليس أغار عبد الرحمن بن عيينة على إبل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقتل راعيها وخرج بطردها هو وأناس معه في خيل، قلت: يارباج اقعد على هذا الفرس فألْحِقْه بطلحة وأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قد أُغْيِرَ على سرّحه.

قال . وقت على تل فجعلت وجهي من قبل المدينة ، ثم ناديت ثلاثة مرات : يا صباحاه أقال : ثم اتبعت القومَ معى سيف ونبلي ، فجعلت أرميهم وأعقر بهم ، وذلك حين يكثُر الشجر ، فإذا رجع إلى فارس جلست له في أصل شجرة ثم رميت ، فلا يقبل إلى فارس إلا عَقْرَتْ به ، فجعلت أرميهم وأنا أقول :

أنا ابن الأكوع واليوم يوم الرُّضْعُ

قال : فألْحِقْ بِرَجُلِهِمْ فَأَرْمِيهِ وَهُوَ عَلَى رَاحِلَتِهِ فَيَقْعُدُ سَهْمِيَ فِي الرَّجُلِ حَتَّى انتَظِمْ

كتنه قلت :

خذها وأنا ابن الأكوع واليوم يوم الرُّضْعُ

، فإذا كنت في الشجر أحرقهم بالنَّبْل ، فإذا تصايعَت الشيايا علوت الجبل فرَدَّ بهم بالحجارة ، فما زال ذاك شائى وشأنهم أتبعهم وأرتبحز حتى ماخلق الله شيئاً من ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا خلفته وراء ظهرى فاستنقذته من أيديهم ، ثم لم أزل أرميهم حتى ألقوا أكثر من ثلاثين رحمة وأكثر من ثلاثين بردة يستخفون منها ولا يلقون من ذلك شيئاً إلا جمات عليه حجارة وجمعته على طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى إذا امتد الضحى أتاهم عيينة بن بدر الفزارى مددأ لهم وهم في ثنية ضيقة ، ثم علوت

الجبل فأنما فوقهم ، فقال عيينة : ما هذا الذي أرى ؟ قالوا : لقينا من هذا البرح ، ما فارقا
بسحر حتى الآن وأخذ كل شيء بآيدينا وجعله وراء ظهره . فقال عيينة : لو لا أن هذا
يرى أن وراءه طلباً لقد ترككم ، ليقم إليه نفر منكم . ققام إلى نفر منهم أربعة فصعدوا
في الجبل ، فلما سمعتهم الصوت قلت : أتعرفونني ؟ قالوا : ومن أنت ؟ قلت : أنا ابن
الأكوع ، والذى كرم وجه محمد لا يطلبني رجل منكم فيدركتني ولا أطلبه فيفوتنى .
قال رجل منهم : إن أظن . قال : فما برأحت مقعدي ذلك حتى نظرت إلى خوارس
رسول الله صلى الله عليه وسلم يخلون الشجر وإذا أولم الأخرم الأسدى ، وعلى أثره أبو
قتادة فارس رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعلى أثره المقداد بن الأسود الكندى ، فولى
المشركون مدربين ، وأنزل من الجبل فأخذ عنان فرسه ، فقلت : يا أخرم ائذن القوم
— يعني أحذركم — فإني لا آمن أن يقتطعوك فاتئد حتى يتحقق رسول الله صلى الله عليه
 وسلم وأصحابه . قال : يا سلمة إن كنت تؤمن بالله واليوم الآخر وتعلم أن الجنة حق
 والنار حق فلا تخل ببني وبين الشهادة !

قال : نفليت عنان فرسه ، فيتحقق بعد الرحمن بن عيينة ويغطف عليه عبد الرحمن ،
فاختلغا طعنتين ، فعقر الأخرم عبد الرحمن وطعنه عبد الرحمن فقتله . فتحول عبد
الرحمن على فرس الأخرم ، فيتحقق أبو قتادة بعد الرحمن فاختلغا طعنتين فعقر بأبي قتادة
وقتله أبو قتادة ، وتحول أبو قتادة على فرس الأخرم .

ثم إن خرجت أعدو في أثر القوم حتى ما أرى من غبار صحابة النبي صلى الله عليه
 وسلم شيئاً ، ويعزضون قبل غيبة الشمس إلى شعب فيه ماء يقال له ذو قرد ، فأرادوا أن
 يشربوا منه فأبصرونى أعدو وراءهم فعطقوه عنه وأسندوا في الثانية ثنية ذى بث وغرت
 الشمس ، وألحق رجلاً فأرميه فقلت : خذها وأنا ابن الأكوع واليوم يوم الرضم . قال :
 فقال : يا شكل أم أكوع بكرة . قلت : نعم أى عدو نفسه . وكان الذى رميته بكرة^(١) .

(١) صحيح مسلم : « قال : يائكته أمه أكوع بكرة . قال . قلت : ياعدو نفسه أكوعك بكرة » .

وأتبعته سهما آخر فلقي به سهام ، ويخلفون فرسين فجئت بهما أسوقها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على الماء الذي أجلتهم عنده ، ذو قرد ، وإذا ببني الله صلى الله عليه وسلم في خسمائة ، وإذا بلال قد نحر جزوراً مما خلفتُ فهو يشوى لرسول الله صلى الله عليه وسلم من كبدتها وسنامها .

فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : يا رسول الله خلني فأنتخب من أصحابك مائة فأخذها على الكفار بالعشوة فلا يبقى منهم مخبر إلا قتلته . فقال : أكنت فاعلاً ذلك يا سلمة ؟ قال : قلت : نعم والذى أكرمك . فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى رأيت نواجمه في ضوء النار ، ثم قال : إنهم يُقْرَنُ الآن بأرض غطfan . فجاء رجل من غطfan فقال : مرئوا على فلان الغطfan فنحر لهم جزوراً ، فلما أخذوا يكشطون جلدتها رأوا غبرة فتركتوها وخرجوها هرابة .

فما أصبحنا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : خير فرساننا أبو قتادة ، وخير رجالتنا سلمة . فأعطاني رسول الله صلى الله عليه وسلم سهم الفارس والراجل جميعاً ، ثم أرددني وراءه على العصباء راجعين إلى المدينة .

فلما كان يدينا وبينها قريب من ضخوة ، وفي القوم رجل من الأنصار كان لا يسبق جعل ينادي : هل من سابق ، لا رجل يسبق إلى المدينة ؟ فأعاد ذلك مراراً وأنا وراء رسول الله صلى الله عليه وسلم مُزدِيف ، فقلت له : أما تُكْرِمَ كريماً ولا تهاب شريفاً ؟ قال : لا ، إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : قلت : يا رسول الله بأبي أنت وأمي خلني فلأسابق الرجل . قال : إن شئت . قلت : أذهب إليك . فطافر عن راحلته وثنية رجل فطافر عن الناقة ، ثم إن ربطت عليه شرفاً أو شرفين ، يعني استبقيت من نفسى ، ثم إنني عدونت حتى أخلفه فأصلك بين كتفيه بيدي قلت : سبقتك والله . أو كلة نحوها . قال : فضحك وقال : إن أظن . حتى قدمنا المدينة .

وهكذا رواه مسلم من طرق عن عكرمة بن عمارة بنحوه ، وعنده : فسبقته إلى المدينة ، فلم نلبي إلا ثلاثة حتى خرجنا إلى خيبر . ولأحمد هذا السياق . ذكر البخارى والبيهقي هذه الغزوة بعد الحديبية وقبل خيبر ، وهوأشبه مما ذكره ابن إسحاق والله أعلم . فينبغي تأخيرها إلى أوائل سنة سبع من الهجرة ، فإن خيبر كانت في صفر منها .

وأما قصة المرأة التي نجت على ناقة النبي صلى الله عليه وسلم وندرت نحرها لنجاتها عليها فقد أوردها ابن إسحاق بروايته عن أبي الزبير ، عن الحسن البصري مرسلا . وقد جاء متصلة من وجوه آخر .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عفان ، حدثنا حماد بن زيد ، حدثنا أبوب عن أبي قلابة ، عن أبي للهيب ، عن عمران بن حصين ، قال : كانت العضباء لرجل من بني عتيل وكانت من سوابق الحاج فأخذت العضباء معه . قال : فرّ به رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في وناق ورسول الله صلى الله عليه وسلم على حمار عاية قطيفة ، فقال : يا محمد علام تأخذون وتأخذون سابقة الحاج ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نأخذك بمحربة حلفائك ثقيف . قال : وكانت ثقيف قد أسرروا رجلاين من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم . وقال فيما قال [إني] مسلم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لو قُلتَها وأنت تملك أمرك أفلحت كل الفلاح . قال : ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا محمد إني جائع فأطعمني وإني ظآن فاسقني . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هذه حاجتك . ثم فُدِي بالرجلين وحبس رسول الله صلى الله عليه وسلم العضباء لرحله .

قال : ثم إن الشركين أغروا على سرّح المدينة فذهبوا به ، وكانت العضباء فيه ، وأسرروا امرأة من المسلمين . قال : وكانوا إذا نزلوا أراحو إبله بأفيتهم . قال : فقامت المرأة ذات ليلة بعد ما نوّموا فجعلت كلاماً أتت على بعير رغماً حتى أتت على العضباء ، فافتت

على ناقة ذلول مجرّسة^(١) فركبها ثم وجهتها قبل المدينة. قال : ونذرت إن الله أنجها عليها لتنحرنها ، فلما قدمت المدينة عُرفت الناقة فقيل : ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : وأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بنذرها أو أنته فأخبرته ، فقال : بئس ما جزيتها أو بئس ما جزتها إن أنجها الله عليها لتنحرنها .

قال : ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا وفاء لنذر في معصية الله ولا فيما لا يملك ابن آدم ». .

ورواه مسلم عن أبي الربيع الزهراني ، عن حاد بن زيد .

* * *

قال ابن إسحاق : وكان مما قيل من الأشعار في غزوة ذي قردا قول حسان بن ثابت رضى الله عنه :

لولا الذي لاقت ومس نسورها
للقينكم يحملن كل مُداجج
حامى الحقيقة ماجد الأجداد
ولسر أولاد القبيطة أنا
سلم غداة فوارس للقاداد
كنا نمانية وكانوا جحفلاء
لجيأا فشكوا بالرماح بداد^(٢)
كنا من القوم الذين يلوهم
ويقدمون عنان كل جواد
كلأ ورب الراقصات إلى متنى
يقطعن عرض تخاريم الأطواود^(٣)
حتى نبيل الخيل في عرصاتكم
وتزوب بالملكات والأولاد^(٤)

(١) المجرسة : المدربة في الركوب والسير .

(٢) لاقت : يزيد الخيل . ونسورها : النسر كالنواة في بطنه الحافر ، وفي الفرس عشرون عضوا كل عضو منها باسم طائر . وساية : موضع .

(٣) المجعل : الجيش الكثير . واللجب : ذو الجلبة والصياغ . وبداد : متفرقين .

(٤) التخaram : الطرق . والأطواود : الجبال .

(٥) نبيل : نجعلها نبول . والعرصات : جمع عرصه وهي البقعة الواسعة بين الدور . والملكات : النساء .

رَفِوْا بِكُلِّ مُقْلَصٍ وَطِمْرَةٍ
فِي كُلِّ مَعْتَكِ عَطْفَنٍ وَوَادِ^(١)
أَفْتَى دُوايْرَهَا وَلَاحَ مَتَوَنَّهَا
بِيَوْمٍ تَقْتَادُ بِهِ وَبِيَوْمٍ طِرَادِ
فَكَذَاكَ إِنْ جِيَادَنَا مَلْبُونَهُ^(٢)
وَسِيَوْفَنَا يَيْضُ الْحَدَانَه تَجْتَنِي
جَنَّ الْحَدِيدِ وَهَامَةَ الْمَرْتَادِ
أَخْذَ الْإِلَهُ عَلَيْهِمْ لَحْرَامَه
وَلَعْزَه الرَّحْنُ بِالْأَسْدَادِ
كَانُوا بَدَارِ نَاعِينَ فَبَدَلُوا أَيَامَ ذِي قَرْد وَجْهَهُ عَنَادِ

قال ابن إسحاق : ففضب سعد بن زيد أمير سرية الفوارس المتقدمين أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم على حسان وحلف لا يكلمه أبداً ، وقال : انطلق إلى خيل وفوارسي فعملها للقاداد . فاعتذر إليه حسان بأنه وافق الروى اسم المقاداد ثم قال أياها يمدح بها سعد بن زيد :

إِذَا أَرْدَتُمُ الْأَشْدَاءَ الْجَلَدَأَا أَوْ ذَا غَنَاءَ فَعَلِمْكُمْ سَعْدَا
سَعْدُ بْنُ زَيْدٍ لَا يَهْدُ هَدَا

قال : فلم تقع منه بمحنة .
وقال حسان بن ثابت في يوم ذي قرد :

أَظَنَّ عَيْنِيَّةً إِذْ زَارَهَا
بَأْنَ سُوفَ يَهْدِمُ فِيهَا قُصُورًا
فَأَكْذَبَتَ مَا كَنْتَ صَدَقَتَه
وَقَاتَمَ سَنْفَمُ أَمْرًا كَبِيرًا
فِيَقْتَلَتَ الْمَدِينَةَ إِذْ زَرَتَهَا
وَأَنْشَتَ لِلْأَسْدَ فِيهَا زَيْرَا
وَوَلَوْا سَرَاعًا كَشَدَ النَّعَامَ^(٣)
أَمِيرٌ عَلَيْنَا رَسُولُ الْمَلِيكِ أَحَبِّ بِذَاكَ إِلَيْنَا أَمِيرًا

(١) رهوا : سريعا . والمقclus : الشمر . والطمرة : الفرس السريع .

(٢) ملبونة : تسقى الأبن .

(٣) المله : الناقة ، من قوله : ألطت الناقة بذنبها إذا دخلته بين رجلها . والحسير ما يكتفى به حول الإبل من عيدان الحظيرة .

رسُولٌ يَصْدِقُ ماجاهه ويتلو كتاباً مضيئاً منيراً
وقال كعب بن مالك في يوم ذى قرداً مدح الفرسان يومئذ من المسلمين :
أيمسِبُ أولاً اللقيطة أنتا
على الخيل لسنا مثلهم في الفوارسِ
ولا تُنْثَنِي عند الرماح المداعسِ^(١)
ونضرب رأسَ الْأَبْلَجِ المتشاوسِ^(٢)
بضربِ يسلٰي نخوةَ المتقاусِ^(٣)
كريمٌ كسرَ حان العضاه مخالفٍ^(٤)
يبنيضِ تقدُّمَ الْهَامَ تحتَ القوانسِ^(٥)
بما فعل الإخوانُ يوم التارسِ^(٦)
ولا تكتموا أخبارَ كم في الحجالسِ^(٧)
به وحرٌ في الصدرِ مالم يُمارسِ^(٨)
وقلوا زَلَّنا عن مخالبِ خادرٍ

(١) المداعس : الرماح التي لا تنثنى . (٢) القمع : جمع قمة وهي أعلى سُنام المعرى . والأبلج : المشرق . والمتشاوس : المتكبر . وفي ابن هشام : الأبلغ . (٣) الْكَمَةُ : الفوارس . والمتقاус : الذي لا يلين . (٤) السرحان : الذئب . والعضاه : شجر ضخم . (٥) القوانس : أعلى بيسن الحديد . (٦) التارس : المحالدة في الحرب . (٧) الخادر : الأسد الذي يلزم أجته . والوحر : المقد

غزوة بنى المصطلق من خزاعة

قال البخارى : وهى غزوة المريسيع . قال محمد بن إسحاق : وذلك فى سنة ست . وقال موسى بن عقبة سنة أربع . وقال النعمان بن راشد عن الزهرى : كان حديث الإفك فى غزوة المريسيع . هـ كذا رواه البخارى عن معاذى موسى بن عقبة أنها كانت فى سنة أربع . والذى حكاه عنه وعن عروة أنها كانت فى شعبان سنة خمس . وقال الواقدى : كانت لليلتين من شعبان سنة خمس فى سبعاً من أصحابه .

وقال محمد بن إسحاق بن يسار ، بعد ما أورد قصة ذى قرد : فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة بعض جمادى الآخرة ورجب ، ثم غزا بنى المصطلق من خزاعة فى شعبان سنة ست . قال ابن هشام : واستعمل على المدينة أبا ذر الغفارى ويقال نعيلة بن عبد الله الابنى .

قال ابن إسحاق : حدثنى عاصم بن عمر بن قتادة وعبد الله بن أبي بكر ومحمد بن يحيى ابن حبان ، كل قد حدثنى بعض حديث بنى المصطلق قالوا : بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن بنى المصطلق يجتمعون له وقادهم الحارث بن أبي ضرار ، أبو جويرية بنت الحارث التي تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذا ، فلما سمع بهم خرج إليهم حتى لقيهم على ماء من مياههم يقال له المريسيع من ناحية قديد إلى الساحل ، فتزاحم الناس واقتتلوا ، فهزم الله بنى المصطلق وقتل من قتل منهم ، ونقل رسول الله صلى الله عليه وسلم أبناءهم ونسائهم فأفاء لهم عليه . وقال الواقدى : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لليلتين مضتها من شعبان سنة خمس من الهجرة فى سبعاً من أصحابه إلى بنى المصطلق ، وكانوا حلفاء بنى مذلح ، فلما انتهى إليهم دفع راية المهاجرين إلى أبي بكر الصديق ، ويقال إلى عماد بن ياسر ، وراية الأنصار إلى سعد بن عبادة ، ثم أمر عمر بن

الخطاب فنادى في الناس أن قولوا : لا إله إلا الله . تمنعوا بها أنفسكم وأموالكم . فأبوا افتراها بالليل ، ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين تحملوا حلة رجل واحد ، لئلا أفلت منهم رجل واحد ، وقتل منهم عشرة وأسر سايرهم ولم يقتل من المسلمين إلا رجل واحد .

وثبت في الصحيحين من حديث عبد الله بن عون قال : كتبت إلى نافع أسأله عن الدعاء قبل القتال فقال : قد أغار رسول الله صلى الله عليه وسلم على بني المصطلق ومغارون في أنعامهم تُسقي على الماء ، فقتل مقاتلتهم وسيسيبهم فأصاب يومئذ - أحبيه لقال - جويرية بنت الحارث . وأخبرني عبد الله بن عمر بذلك ، وكان بذلك الجيش .

قال ابن إسحاق : وقد أصيب رجل من المسلمين يقال له هشام بن صبابا ، أصابه رجل من الأنصار وهو يرى أنه من العدو فقتله خطأ .

* * *

وذكر ابن إسحاق أن أخيه مقيس بن صبابا قدم من مكة مظهراً للإسلام فطلب زوجة أخيه هشام من رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنَّه قُتل خطأ ، فأعطاه ديته ، ثم مكث بسيراً ثم عدَّا على قاتل أخيه فقتله ، ورجع مرتدًا إلى مكة وقال في ذلك :

شف النفسَ أنْ قد بات بالقاعِ مُسندًا يضرّج ثوبَه دماءَ الأخْيادِ^(١)
 وكانت هيومُ النفسِ من قبْلِ قتْلِه تُلمُ فتحَمِيني وِطَاءَ الصَّاجِعِ
 حللتُ به وَتُرِى وأدركتُ ثُورَتِي وكنتُ إلى الأوثانِ أولَ راجِعٍ
 ثَأرْتُ بِه فَهِرَا وَحَلَّتُ عَقْلَه سراةَ بَنِي النَّجَارِ أَرْبَابَ فَارِعَ^(٢)
 قلتُ : ولهذا كان مقيس هذا من الأربعة الذين أهدر رسول الله صلى الله عليه وسلم
 يومَ الفتحِ دماءَه وإنْ وَجِدوا معلقينَ بأسوارِ الكعبةِ .

(١) الأخِدَّ : جمع أَخْدَعَ ، وهو عرق في المحجتين ، وهو شعبة من الوريد .

(٢) فارع : حصن بالمدينة .

قال ابن إسحاق : فيبئنا الناس على ذلك الماء ورددت واردة الناس ، ومع عمر بن الخطاب أجيئ له من بني غفار يقال له جهْجَاه بن مسعود يقود فرسه ، فازدم جهْجَاه وسِنَان بن وَبر الجهنمي حليف بني عوف بن الجزرخ على الماء فاقتلا ، فصرخ الجهنمي : يامعشر الأنصار . وصرخ جهْجَاه : يا معاشر المهاجرين . فغضب عبد الله بن أبي " بن سلول وعنه رهطٌ من قومه منهم زيد بن أرقم غلامٌ حدث فقال : أ وقد فعلوها ؟ قد نافرُونا وكاثرُونا في بلادنا ! والله ما أعدنا وجلابيبَ قريشٍ هذه إلا كا قال الأول : « سِنَن كلبك يا كلك ! » أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل . ثم أقبل على من حضره من قومه فقال : هذا ما فعلتم بأنفسكم ، أحالتموهم بلادكم وقادتموهم أموالكم ، أما والله لو أمسكم عنهم ما بأيديكم لتحولوا إلى غير داركم .

فسمع ذلك زيد بن أرقم فشي به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره الخبر ، وعنه عمر بن الخطاب فقال : مُرْ به عيَّاد بن بشر فليقتله . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف يا عمر إذا تحدث الناس أن مُحَمَّداً يقتل أصحابه ، لا ولكن أذن بالرحيل . وذلك في ساعة لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يرتحل فيها . فارتحل الناس .

وقد مشى عبد الله بن أبي بن سلول إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بلغه أن زيد بن أرقم بلغه ما سمع منه ، خلف بالله ما قلت ما قال ولا تكلمت به . وكان في قومه شريفاً عظيماً ، فقال من حضر رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأنصار من أصحابه : يا رسول الله غسى أن يكون الفلام أوفم في حديثه ولم يحفظ ما قال الرجل . حَدَّاً على ابن أبي ودفعاً عنه .

فما استقل رسول الله صلى الله عليه وسلم وسار لقيه أسيد بن حُضير فحياة بتحية النبوة وسلم عليه وقال : يا رسول الله والله لقد رحت في ساعة مُنْكَرَة ما كنت تروج

فَمِثْلُهَا ؟ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَوْ مَا بِلْفَكَ مَا قَالَ صَاحِبُكُمْ ؟ قَالَ : أَئِ صَاحِبُ يَارَسُولِ اللَّهِ ؟ قَالَ : عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي ئَيْمَانٍ . قَالَ : وَمَا قَالَ ؟ قَالَ : زَعَمَ أَنَّهُ إِنْ رَجَعَ إِلَى الْمَدِينَةِ أَخْرَجَ الْأَعْزَمَ مِنْهَا الْأَذْلَمَ . قَالَ : فَأَنْتَ وَاللَّهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ تَخْرُجُهُ إِنْ شِئْتَ ، هُوَ وَاللَّهُ الظَّلِيلُ وَأَنْتَ الْعَزِيزُ . ثُمَّ قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ارْفُقْ ، فَوَاللَّهِ لَقَدْ جَاءَنَا اللَّهُ بِكَ وَإِنَّ قَوْمَهُ لَيَنْظَمُونَ لَهُ الْخَرْزَ لِيَتَوَجُّوهُ ، فَإِنَّهُ لِيَرَى أَنْكَ قَدْ اسْتَبَقْتَهُ مُؤْكِداً .

ثُمَّ مَشَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالنَّاسِ يَوْمَهُمْ ذَلِكَ حَتَّى أَمْسَى وَلَيْلَتَهُمْ حَتَّى أَصْبَحَ ، وَصَدَرْ يَوْمَهُمْ ذَلِكَ حَتَّى آذَنَهُمُ الشَّمْسُ ، ثُمَّ نَزَلَ بِالنَّاسِ فَلَمْ يَلْبِسُوا أَنْ وَجَدُوا مِنْ أَرْضِ فَوْقَنَا نَيَاماً . وَإِنَّمَا فَعَلَ ذَلِكَ لِيُشْغِلَ النَّاسَ عَنِ الْحَدِيثِ الَّذِي كَانَ بِالْأَمْسِ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي ، ثُمَّ رَاحَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالنَّاسِ وَسَلَكَ الْحِجَازَ حَتَّى نَزَلَ عَلَى مَاءِ الْحِجَازِ فُوقَ النَّقْعِيْمِ يَقَالُ لَهُ بَقْعَاهُ . فَلَمَّا رَاحَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَبَتْ عَلَى النَّاسِ رِيحٌ شَدِيدَةٌ فَآذَنَهُمْ وَتَخَوَّفُوهَا ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لَا تَخَوَّفُوهَا إِنَّمَا هَبَّتْ لَمَوْتُ عَظِيمٍ مِّنْ عَظَمَاءِ الْكُفَّارِ . فَلَمَّا قَدَمُوا الْمَدِينَةَ وَجَدُوا رَفَاعَةَ بْنَ زَيْدَ بْنَ التَّابُوتَ أَحَدَ بْنِ قَيْنَقَاعَ ، وَكَانَ عَظِيمًا مِّنْ عَظَمَاءِ الْيَهُودِ وَكَهْنَمًا لِلنَّافِقِينَ ، مَاتَ ذَلِكَ الْيَوْمُ .

وَهَكَذَا ذَكَرَ مُوسَى بْنُ عَقبَةَ وَالْوَاقِدِيَّ .

وَرَوَى مُسْلِمٌ مِّنْ طَرِيقِ الْأَعْمَشِ ، عَنْ أَبِي سَفِيَّانَ ، عَنْ جَابِرٍ نَحْوَهُ هَذِهِ الْقَصَّةِ ، إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَسْمُّ الَّذِي مَاتَ مِنْ الْمَنَافِقِينَ . قَالَ : هَبَتْ رِيحٌ شَدِيدَةٌ وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ فَقَالَ : هَذِهِ لَمَوْتُ مَنَافِقَ . فَلَمَّا قَدَمْنَا الْمَدِينَةَ إِذَا هُوَ قَدْ مَاتَ عَظِيمٌ مِّنْ عَظَمَاءِ الْمَنَافِقِينَ .

قَالَ أَبْنُ إِسْحَاقَ : وَنَزَّلَتِ السُّورَةُ الَّتِي ذَكَرَ اللَّهُ فِيهَا الْمَنَافِقِينَ فِي أَبْنِ أَبِي وَمَنْ كَانَ عَلَى مِثْلِ أَمْرِهِ ، فَأَخْذَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَذْنِ زَيْدَ بْنِ أَرْقَمَ وَقَالَ :

هذا الذي أوفى الله بأذنه . قلت : وقد تسللنا على تفسير ما يحتملها في كتابنا الفتن
بما فيه كفاية عن إعادته هاهنا ، وسردنا طرق هذا الحديث عن زيد بن أرقم والله
الحمد والمنة ، فمن أراد الوقوف عليه أو أحب أن يكتبه هنا فليطلب به من هناك .
وبالله التوفيق .

* * *

قال ابن إسحاق : حدثني عاصم بن عمر بن قحادة ، أن عبد الله بن عبد الله بن أبي بن
سَلْول أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله إلهي بالغنى أملك تزيد قتلَ
عبد الله بن أبي فيما بلغك عنه ، فإن كنت فاعلاً فزلي به فانا أحمل إليك رأسه ، فوالله
لقد علمت الخزرجُ ما كان بها من رجل أبرأ بوالده مني ، وإنى أخشى أن تأمر به غيري
فيقتله فلا تدعني نفسي أن أنظر إلى قاتل عبد الله بن أبي يمشي في الناس فأقتلها ، فاقتيل
مؤمناً بكافر فأدخل النار .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بل تترفق به وتحسن صحبه ما بقي معنا . وجعل
بعد ذلك إذا أحدث الحديث كان قومه هم الذين يعاتبونه ويأخذونه ويعنفونه ، فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب حين بلغه ذلك من شأنهم : كيف
ترى يا عمر ؟ أما والله لو قتلت يوم قلت لي لأرجعت له آنفه لو أمرتها اليوم بقتله
لقتلته . فقال عمر : قد والله علمت لا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أعظم بركة
من أمرى .

وقد ذكر عكرمة وابن زيد وغيرهما أن ابنه عبد الله رضي الله عنه وقف لأبيه
عبد الله بن أبي بن سَلْول عند مضيق المدينة فقال : قف فوالله لا تدخلها حتى يأذن
رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك . فلما جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم استأذنه في
ذلك فأذن له فأرسله حتى دخل المدينة .

قال ابن إسحاق : وأصيَب يومئذ من بني المصطلق ناسٌ ، وقتل على بن أبي طالب منهم رجلين : مالكا وابنه .

قال ابن هشام : وكان شعار المسلمين : يامنصر أمت أمت .

قال ابن إسحاق : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أصاب منهم سبِّيَاً كثيراً قسمهم في المسلمين .

وقال البخاري : حدثنا قبية بن سعيد ، أخبرني إسماعيل بن جعفر ، عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن ، عن محمد بن يحيى بن حبان ، عن ابن محيريز ، أنه قال : دخلت المسجد فرأيت أبا سعيد الخدري فلست إليه فسألته عن العَزْل ، فقال أبو سعيد : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة بني المصطلق فأصبنا سبِّيَاً من سبي العرب فأشهينا النساء واشتهدت علينا العزوبة ، وأحببنا العزل وقلنا نعزل ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرنا قبل أن نسألها ، فسألناه عن ذلك فقال : « ما عليكم ألا تفعلوا ، ما من نسمة كائنة إلى يوم القيمة إلا كائنة » وهكذا رواه [مسلم] .

* * *

قال ابن إسحاق : وكان فيمن أصيَب يومئذ من السبايا جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار ، فحدثني محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة عن عائشة قالت : لما قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم سبايا بني المصطلق وقعت جويرية بنت الحارث في السهم ثابت ابن قيس بن شماس ، أو لابن عم له ، فكتبتنه على نفسها وكانت امرأة حلوة ملائحة لا يراها أحد إلا أخذت بنفسه ، فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم لتشعيشه في كتابتها . قالت : فو الله ما هو إلا أن رأيتها على باب حجرتى فذكرتها وعرفت أنه سيرى منها مارأيت . فدخلت عليه فقالت : يا رسول الله أنا جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار سيد قومه ، وقد أصابني من البلاء ما لم يخف عليك ، فوقعني في السهم ثابت بن قيس بن شماس

أو لابن عم له فكتابته على نفسي فبذلك أستعينك على كتابتي .

قال : فهل لك في خير من ذلك ؟ قالت : وما هو يا رسول الله ؟ قال : أقضى عنك كتابك وأتزوجك . قالت : نعم يا رسول الله قد فعلت .

قالت : وخرج الخبر إلى الناس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تزوج جويرية بنت الحارث ، فقال الناس : أصها رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم . فأرسلوا ما يأذن لهم .

قالت : فلقد أعتق بي زوجي إياها مائة أهل بيت من بنى المصطافى ، فما أعلم امرأة أعظم بركة على قومها منها .

ثم ذكر ابن إسحاق قصة الإفك بتلمسها في هذه الفزوة ، وكذلك البخارى وغير واحد من أهل العلم ، وقد حررت طرق ذلك كلها في تفسير سورة النور ، فليتحقق بكم الله إلى هاهنا وبالله المستعان .

وقال الواقدى : جدتنا حرام ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه قال : قالت جويرية بنت الحارث : رأيت قبل قدوم النبي صلى الله عليه وسلم بثلاث ليالٍ كأن القمر يسير من يثرب حتى وقع في حجرى ، فكرحت أن أخبر به أحداً من الناس حتى قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما سمعنا رجوت الرؤيا ، قالت : فأعتقنى رسول الله صلى الله عليه وسلم وتزوجني ، والله ماكلمته في قومي حتى كان المسلمون هم الذين أرسلهم وما شعرت إلا بجادلة من بنات عمى تخبرنى الخبر ، فحمدت الله تعالى .

قال الواقدى : ويقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم جمل صداقها أعتق أربعين من بنى المصطافى .

وذكر موسى بن عقبة عن بنى المصطافى أن أباها طلبها واقتداها ، ثم خطبها منه رسول الله صلى الله عليه وسلم فزوجه إياها .

قصة الإفك

وهذا سياق محمد بن إسحاق حديث الإفك :

قال ابن إسحاق : حدثني الزهرى ، عن علقة بن وقار وسعيد بن المسيب ^(١) .
وعروة بن الزبير وعبد الله بن عبد الله ^(٢) بن عتبة ، قال الزهرى : وكل ^ث قد
حدثنى بهذا الحديث ، وبعض القوم كان أوعى له من بعض ، وقد جمعت كل الذى ^(٣)
حدثنى القوم .

قال ابن إسحاق : وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه عن
عائشة ، وعبد الله بن أبي بكر ، عن عمّرة بنت عبد الرحمن ، عن عائشة عن نفسها حين
قال فيها أهل الإفك ما قالوا ، فكل ^ث قد دخل في حدتها عن هؤلاء جميعاً
يحدث بعضهم مالم يحدث صاحبه ، وكل كان عنها ثقة ، فكلهم حدث عنها بما
سمع قالت :

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد سفراً أفرع بين نسائه فأيتها خرج
سهيما خرج بها معه ، فلما كان غزوته بني المصطلق أفرع بين نسائه ، كما كان يصنع ،
خرج سهيما عليهم معه ، فخرج بي رسول الله صلى الله عليه وسلم . قالت : وكان النساء
إذ ذلك يأكلن العلق ^(٤) لم يهجنن اللحم فيشقلن ، وكنت إذا رحلت لبعيرى جلست
في هودجي ، ثم يأتي القوم الذين كانوا يرثلون لي فيحملونني ويأخذون بأسفل
المودج فيرفعونه فيضعونه على ظهر البعير فيشدونه بحباله ، ثم يأخذون برأس
البعير فينطلقون به .

(١) ابن هشام : سعيد بن جبير . (٢) الأصل : عبد الله بن عبد الله . وما أثبته عن ابن هشام .

(٣) ابن هشام : لك الذى . (٤) العلق : جم علقة ، وهي كل ما يتبلع به من العيش .

قالت : فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفره ذلك وجه قافلاً حتى إذا كان قريباً من المدينة نزل منزله فبات به بعض الليل ، ثم أذن مؤذن في الناس بالرحيل ، فارتحل الناس ، وخرجت لبعض حاجتها وفي عنق عقد لفيه جزع ظفار^(١) فلما فرغت انسلاً من عنق ولا أدري ، فلما رجعت إلى الرحل ذهبت ألتمسه في عنق فلم أجده ، وقد أخذ الناس في الرحيل ، فرجعت إلى مكانى الذى ذهبت إليه فالتسته حتى وجده ، وجاء القوم خلقي الدين كانوا يرثلون لي البعير وقد كانوا فرغوا من رحلته ، فأخذوا المودج^{وهم يظنون أن فيه كاً كنت أصنع} ، فاحتملوه فشدُّوه على البعير ولم بشكوا أنَّى فيه ، ثم أخذوا برأس البعير فانطلقوا به .

فرجعت إلى العسكر وما فيه داع ولا مجيب ، قد انطلق الناس . قالت : فتافتت^{بحلبى} ثم اضطجعت في مكانى ، وعرفت أنَّ لو افتقدت لرجع الناس إلى .

قالت : فوالله إنى لم ضطجعمة إذ مرَّ بي صفوان بن المعطل السُّلْمَى وكان قد تخلف عن العسكر لبعض حاجاته فلم يبيت مع الناس ، فرأى سوادى فأقبل حتى وقف على وقد كان يرانى قبل أن يُضرب علينا الحجاب ، فلما رأى قال : إنا لله وإنا إليه راجعون ! ظعينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ وأنا مقلقة في ثيابي . قال : ما خلفك يرجوك الله ؟ قالت : فاكملت . ثم قرب إلى البعير فقال : اركبى . واستآخر عنى .

قالت : فركبت وأخذ برأس البعير فانطلق سريعاً يطلب الناس ، فوالله ما أدركتنا الناس وما افتقدت حتى أصبحت ، ونزل الناس فلما اطمأنوا طام الرجل يقود بي ، فقال أهل الإفك ما قالوا ، وارتج^{العسكر} والله ما أعلم بشيء من ذلك .

ثم قدمنا المدينة فلم أثبت أنَّ اشتكيت بشكوى شديدة لا يبلغني من ذلك شيء .

(١) المزع : المرز . وظفار : مدينة باليمين .

وقد انتهى الحديث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى أبيه ، لا يذكرون لي منه
قليلاً ولا كثيراً ، إلا أنني قد أنكرت من رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض لطفه بي ،
كفت إذا اشتكيت رحمي ولطف بي ، فلم يفعل ذلك بي في شكواي ذلك ،
فأنكرت ذلك منه ، كان إذا دخل على عندي أبي تمرضاً قال : كيف تيمك ؟
لا يزيد على ذلك .

قالت : حتى وجدت في نفسي قلت : يا رسول الله ، حين رأيت ما رأيت من
جفانه لي : لو أذنت لي فانتقلت إلى أبي فمرضاً . قال : لا عليك . قالت : فانقلبت
إلى أبي ولا علم لي بشيء مما كان ، حتى نفدت من وجيء بعد بضم وعشرين ليلة ،
وكان قوماً عرباً لا تتخذ في بيوتنا هذه السكفة التي تتتخذها الأعاجم نعاها ونذكرها ،
إنما كنا نخرج في فسح المدينة وإنما كانت النساء يخرجن في كل ليلة في حوانجهن ،
خرجت ليلة لبعض حاجتي وهي أم مسطح ابنة أبي رهم بن المطلب ، قالت : فوالله إنها
لتمشي معى إذ عثرت في ميرطها فقالت : تعس مسطح . ومسطح لقب واسمه عوف .
قالت : قلت : بئس لعمرو والله ما قلت لرجل من المهاجرين ، وقد شهد بدرأ . قالت :
أو ما بلتفتك الخبر يا بنت أبي بكر ؟ قالت : قلت : وما الخبر ؟ فأخبرتني بالذى كان من
قول أهل الإفك . قلت : أو قد كان هذا ؟ قالت : نعم . والله لقد كان . قالت : فوالله
ما قدرت على أن أقضى حاجتي ، ورجعت ، فوالله ما زلت أبكي حتى ظننت أن البكاء
سيصدع كبدى . قالت : وقلت لأمى : يغفر الله لك تحدث الناس بما تحدثوا به
ولا تذكرين لي من ذلك شيئاً ! قالت : أى بنية خففي ^(١) عليك الشأن
فوالله لقل ما كانت امرأة حسناء عند رجل يحبها لها ضرائر إلا كثُر وكثُر
الناس عليها .

قالت : وقد قام رسول الله صلى الله عليه وسلم بخطبهم ، ولا أعلم بذلك ، فحمد الله وأثني عليه ثم قال : أيها الناس مبابلُ رجالٌ يؤذونني في أهلي ويقولون عليهم غير الحق ، والله ما عاملتُ عليهم إلا خيراً ، ويقولون ذلك لرجل والله ما عاملتُ منه إلا خيراً ، ولا يدخل بيته من بيته إلا وهو معى .

قالت : وكان كَبِيرًا ذلك عند عبد الله بن أبي زيد سهل في رجال من الخزرج مع الذي قال مسنه وَحْمَنة بنت جحش ، وذلك أن أختها زينب بنت جحش كانت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم تكن امرأة من نسائه تناصي في المنزلة عنده غيرها . فأما زينب فعصمها الله بدينها فلم تقل إلا خيراً ، وأما حمنة فأشارت من ذلك ما أشارت تضليل لأختها فشققت بذلك .

فلا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك المقالة قال أسيد بن حضير : يا رسول الله إن يكونوا من الأوس نكفيكم وإن يكونوا من إخواننا من الخزرج فرقنا أمرك ، فوالله لهم لأهل أن تضرب عناقهم .

قالت : فقام سعد بن عبادة ، وكان قبل ذلك يُرى رجلاً صالحًا فقال : كذبتَ لعمر الله ما تُضرب عناقهم ، أما والله ما قلت هذه المقالة إلا أنك قد عرفت أهله من الخزرج ولو كانوا من قومك ما قلت هذا . فقال أسيد بن حضير : كذبتَ لعمر الله ، ولكنك منافق تجادل عن المنافقين .

قالت : وتساور الناس حتى كاد يكون بين هذين الحيين من الأوس والخزرج شر .

ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل على فدعا على بن أبي طالب وأسامة ابن زيد فاستشاراهما ، فأما أسامة فأشنن خيراً وقاله ، ثم قال : يا رسول الله أهلك وما نعلم منهم إلا خيراً ، وهذا الكذبُ والباطل . وأما على فإنه قال : يا رسول الله إن النساء

لَكِنْ وَإِنَّكَ لَقَدْرَ عَلَى أَنْ تَسْتَخْلِفَ ، وَسَلَ الجَارِيَةَ فَإِنَّهَا سَتُصْدِقُكَ . فَدَعَا
رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بُرَيْةَ يَسِّهَا . قَالَتْ : فَقَامَ إِلَيْهَا عَلَىٰ فَضَرَبَهَا ضَرَّاً شَدِيدًا
وَيَقُولُ : أَصْدِقُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . قَالَتْ : فَتَقُولُ : وَاللَّهِ مَا أَعْلَمُ إِلَّا خَيْرًا
وَمَا كُنْتُ أَعْيَبُ عَلَىٰ عَائِشَةَ شَيْئًا إِلَّا أَنِّي كُنْتُ أَعْجَنْ عَجِينِي فَأَمَرْهَا أَنْ تَحْفَظَهُ فَتَقَامُ عَنْهُ
فَتَأْتِي الشَّاةَ فَتَأْكِلُهُ !

قَالَتْ : ثُمَّ دَخَلَ عَلَىٰ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعِنْدِهِ أَبُوايْ وَعِنْدِي امرَأَةٌ
مِنَ الْأَنْصَارِ وَأَنَا أَبْكِي وَهِيَ تَبْكِي ، فَلَمَسْ خَمْدَ اللَّهِ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ : يَا عَائِشَةَ إِنَّهُ
قَدْ كَانَ مَا بَلَغْتُكَ مِنْ قَوْلِ النَّاسِ ، فَاتَّقِ اللَّهَ ، وَإِنْ كُنْتَ قَدْ قَارَفْتَ سُوءًا مَا يَقُولُ النَّاسُ
فَتَوَبِّي إِلَى اللَّهِ ، فَإِنَّ اللَّهَ يَقْبِلُ التَّوْبَةَ عَنِ الْعَبَادِهِ . قَالَتْ : فَوَاللَّهِ إِنْ هُوَ إِلَّا أَنْ قَالَ لِي ذَلِكَ
فَقَلَصَ^(١) دَمْعِي حَتَّىٰ مَا أَحْسَنْ مِنْهُ شَيْئًا ، وَانْتَظَرْتُ أَبُويَّ أَنْ يَحْبِيَاهُ عَنِ الرَّسُولِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمْ يَتَكَلَّمَا .

قَالَتْ : وَإِنَّمَا اللَّهُ لَأَنَا كُنْتُ أَحْقَرَ فِي نَفْسِي وَأَصْفَرَ شَأْنًا مِنْ أَنْ يُنْزَلَ اللَّهُ فِيَّ
قُرْآنًا يَقْرَأُ بِهِ وَيُصْلِّي بِهِ ، وَلَكِنِّي كُنْتُ أَرْجُو أَنْ يَرِيَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي نُومِهِ
شَيْئًا يَكْذِبُ اللَّهَ بِهِ عَنِّي لَمَّا يَقْلُمُ مِنْ بَرَاءَتِي يُحِبِّنِي خَيْرًا ، وَأَمَا قُرْآنًا يُنْزَلُ فِيَّ فَوَاللَّهِ
لَنْفَسِي كَانَتْ أَحْقَرُ عِنْدِي مِنْ ذَلِكَ . قَالَتْ : فَلَمَّا لَمْ أَرْ أَبُويَّ يَتَكَلَّمَ قَلَّتْ لَهَا : أَلَا تَحْبِيَاهُ
رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ فَقَالَ : وَاللَّهِ مَا نَهَرْتِ بِهَا تَحْبِيَاهُ . قَالَتْ : وَوَاللَّهِ مَا أَعْلَمُ
أَهْلَ بَيْتِ دَخْلِهِمْ مَادَخَلَ عَلَىٰ آلَ أَبِي بَكْرِ فِي تِلْكَ الْأَيَّامِ . قَالَتْ : فَلَمَّا اسْتَمْجَاهَا عَلَىٰ
اسْتَعْبَرَتْ فَبَكَيْتُ ثُمَّ قَلَّتْ : وَاللَّهِ لَا أَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَا ذَكَرْتَ أَبَدًا ، وَاللَّهِ إِنِّي لَا أَعْلَمُ لِئَنِّي
أَفَرَتْ بِهَا يَقُولُ النَّاسُ وَاللَّهِ يَعْلَمُ أَنِّي مِنْهُ بَرِيَّةٌ لِأَقْوَانِ مَالِمِ يَكْنِ ، وَلَئِنْ أَنْكَرْتُ

(١) قَلَصَ : ارْتَفعَ .

ما يقولون لا تصدقونى . قالت : ثم التست اسم يعقوب فما ذكره فقلت : ولكن سأقول كما قال أبو يوسف : « فصبر جميل والله المستعان على ما تصيرون » قالت : فوالله ما برح رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلسه حتى تغشاها من الله ما كان يتغشاها ، فسجّى بشوبه ووضعه وسادة من أدم تحت رأسه ، فأما أنا حين رأيت من ذلك مارأيت فوالله ما فزعت وما باليت ، قد عرفت أنى بريئة وأن الله غير ظالم ، وأما أبواي فوالذي نفس عائشة بيده ما سرّى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ظننت لتخبرجن أنفسهم ما فرقاً من أن يأتى من الله تحقيق ما قال الناس .

قالت : ثم سرّى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلس وإنه ليتحدر من وجهه مثل الجمآن في يوم شاتٍ ، فجعل يمسح العرقَ عن وجهه ويقول : أبشرى يا عائشة ، قد أنزل الله عز وجل براءتك . قالت : قلت : الحمد لله .

ثم خرج إلى الناس نفطتهم وتلا عليهم ما أنزل الله عز وجل من القرآن في ذلك ، ثم أمر بمسطح بن أثناة وحسان بن ثابت ومحنة بنت جحش ، وكانوا من أفعى بالفاحشة فضربوا حدّم .

وهذا الحديث مخرج في الصحيحين عن الزهري ، وهذا السياق فيه فوائد جمة .
وذكر حد القذف لحسان ومن معه ، رواه أبو داود في سننه .

قال ابن إسحاق : وقال قائل من المسلمين في ضرب حسان وأصحابه :

لقد ذاق حسانُ الذي كان أهلهَ وَحْمَنَةَ إِذْ قَالُوا هَجِيرًا وَمِسْطَحًا^(١)
تَعَاطَطُوا بِرْجُمَ الغَيْبِ زَوْجَ نَبِيِّهِمْ وَسَخْطَةَ ذِي الْعَرْشِ الْكَرِيمِ فَأَثْرَحُوا^(٢)
خَازِيَ تَبَقَّى عُمُومَهَا وَفَضَّحُوا
وَأَذْوَى رَسُولَ اللهِ فِيهَا خَلَلُوا

(٢) أثروا : أحزنوا ، من الفرح .

(١) المجير : الفاحش من القول .

وَصُبْتَ عَلَيْهِمْ مُحْصَدَاتْ كَأْنَهَا شَآيِّبُ قَطْرٍ فِي ذُرَّا الْمُزْنَ تَسْقَحُ^(١)

وقد ذكر ابن إسحاق أن حسان بن ثابت قال شعراً يهجو فيه صفوان بن المظيل وجاءة من قريش من تخاصم على الماء^(٢) من أصحاب جهجهة كما تقدم أوله هي : أسمى الجلايلب قد عز وأ قد كثروا وابن الفريضة أمسى بيضة البلد^(٣) قد شكلت أمّه من كنت صاحبها ما لقيلى الذي أغدو فأخذته فيقطليل^(٤) ويرى العمير بالزبد^(٥) يوماً بأغلب مئي حين تُبصرني أما قريش فإني لا أسلمها حتى يُنبوا من الغياث الرشاد^(٦) ويترکوا اللات والعزي بمعزلة ويسجدوا كلهم للواحد الصمد^(٧) ويشهدوا أن ماقال الرسول لهم حق فيوفوا بحق الله والوگد^(٨) قال : فاعتربه صفوان بن المظيل فضربه بالسيف وهو يقول :

تلق ذباب السيف عن إقانتي غلام إذا هوجيت لست بشاعر^(٩)
وذكر أن ثابت بن قيس بن شناس أخذ صفوان حين ضرب حسان فشهده وثاقاً^(١٠)
فلقيه عبد الله بن رواحة فقال : ما هذا ؟ قال : ضرب حسان بالسيف . فقال عبد الله :
هل علم رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيء من ذلك ؟ قال : لا . فأطلقه ثم أتوا كلهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابن المظيل : يارسول الله آذاني وهجاني فاحتمني

(١) المتصدات : السياط الشديدة القتل . والشآيب : جمع شؤوب وهي الدفة من المطر . والمزن : السحاب .

(٢) ابن هشام : يعرض بابن المظيل فيه ، ويعن أسلم من العرب من مصر .

(٣) الجلايلب : الفرباء . (٤) يقطليل : يركب بعضه ببعض . والعبر : جانب البحر .

(٥) أفرى : أقطم . والعارض : السحاب .

(٦) الوگد : العہود والموانیق .

الغضبُ فضرّبته . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ياحسان أتشوّهْتَ على قومي
إذ هدأتم الله . ثم قال : أحسن ياحسان فيما أصابتك . فقال : هي لك يارسول الله .
فموضعه منها بير حاو^(١) التي تصدق بها أبو طالحة وجارية قبطية يقال لها سيرين جاءه
منها ابنة عبد الرحمن .

قال : وكانت عائشة تقول : سُئل عن ابن المعطل فوجد رجلاً حَصُوراً ما يأتى
النساء . ثم قتل بعد ذلك شهيداً رضي الله عنه .

* * *

قال ابن إسحاق : ثم قال حسان بن ثابت يعتذر من الذي كان قال في شأن عائشة:

حسان رَزَانَ مَا تُرْزَنُ بِرِبْيَةٍ
وتصبح غَرْثَى من لحوم الغوافِ^(٢)
عقيلةٌ حَتَّىٰ من لَوْيَ بن غالب
كرام المساعي مجدهم غير زائلٍ
وإن الذي قد قيل ليس بلا ناطٍ
بك الدهر بل قيل اسرى بن ماحل^(٣)
فإن كنت قد قلت الذي قد ذعنتُمْ
فكيف وودي ما حببْتُ ونصرتني
لآل رسول الله زَيْنُ الْخَالِقِينَ
وإن لهم عزّاً ترى الناس دونه
قصاراً وطال العز كلّ التطاول

ولتكتب هاهنا الآيات من سورة النور ، وهي من قوله : « إن الدين جاءوا بالآفاف
عُصبةٌ منكم لا تخسبوه شرّاً لكم بل هو خير لكم ، لكلّ امرئٍ منهم ما أكتسبَ
من الإنم » إلى : « مغفرة ورزق كريم » وما أوردناه هنا لثالث من الأحاديث والطرق
والآثار عن السلف والخلف . وبالله التوفيق .

(١) حاو : اسم رجل أضيفت إليه الباء . وفي ابن هشام : وهي قصر بي جديلة اليوم بالمدينة .

(٢) ترن : تهم . والفرن : الجائعة .

(٣) لافت : لاصق . والماحل : الواشى .

غزوَةُ الْحَدِيْبِيَّة

وقد كانت في ذى القعدة سنة ست بلا خلاف . ومن نص على ذلك الزهرى ، ونافع مولى ابن عمر ، وقَتَادَة ، وموسى بن عقبة ، ومحمد بن إسحاق بن يسار وغيرهم . وهو الذى رواه ابن همَيْعَة عن أبي الأسود عن عروة ، أنها كانت في ذى القعدة سنة ست .

وقال يعقوب بن سفيان : حدثنا إسماعيل بن الخليل ، عن علي بن مُسْتَهْر ، أخبرني هشام بن عروة ، عن أبيه : قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الْحَدِيْبِيَّةِ في رمضان ، وكانت الْحَدِيْبِيَّةِ في شوال :

وهذا غريب جداً عن عروة .

وقد روى البخارى ومسلم جمِيعاً عن هُذْبَة ، عن هَمَّام ، عن قَتَادَة ، أن أنس بن مالك أخبره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتَمَرَ أربعَ عُمَرَ فِي ذِي القعْدَةِ إِلَى الْعُمْرَةِ الَّتِي مع حجته ، عمرة من الْحَدِيْبِيَّةِ فِي ذِي القعْدَةِ ، وعمرة من العام المُقْبِلِ فِي ذِي القعْدَةِ ، ومن الجُمْرَانِ فِي ذِي القعْدَةِ حيث قسم غنائم حُنَين ، وعمرة مع حجته . وهذا لفظ البخارى .

* * *

وقال ابن إسحاق : ثم أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة رمضان وشوالاً وخرج في ذى القعدة معتَمِراً لا يريده حرباً . قال ابن هشام : واستعمل على المدينة بِمِيَّةَ ابن عبد الله الليثي .

قال ابن إسحاق : واستنفر العربَ وَمَنْ حَوْلَهُ مِنْ أَهْلِ الْبَوَادِيِّ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُخْرِجُوا

معه ، وهو يخشى من قريش أن يمْرِضوا له بحربٍ أو يصدوه عن البيت ، فأبطأ عليهم كثيراً من الأعراب .

وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم معه من المهاجرين والأنصار ومن لحق به من العرب ، وساق معه الهدى وأحرام بالعمره ليأمن الناس من حربه ، ويلعلم الناس أنه إنما خرج زائراً لهذا البيت ومعظمه له .

قال ابن إسحاق : وحدثني محمد بن مسلم بن شهاب الزهرى ، عن عروة بن الزبير ، عن المسور بن تخرمة وموان بن الحكم أنهما حدثاه قالا : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية يريد زيارة البيت لا يريد قتالا ، وساق معه الهدى سبعين بدنة ، وكان الناس سبعمائة رجل ، وكانت كل بدنة عن عشرة نفر ، وكان جابر بن عبد الله فيما بلغنى يقول : كنا أصحابَ الحديبية أربع عشرة مائة .

* * *

قال الزهرى : وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى إذا كان بمسقطان لقيه بشر^(١) بن سفيان السكري ، فقال : يا رسول الله هذه قريش قد سمعتْ بمسيرك خرجوا معهم العوذ المطافيل^(٢) ، قد لبسوا جلود النمور وقد نزلوا بذى طوى ، يعاهدون الله لا تدخلها عليهم أبدا ، وهذا خالد بن الوليد في خيالهم قد قدموا إلى كراع الغيم .

قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا ويح قريش ! قد أكلتهم الحرب ، ماذا عليهم لو خلوا بيدي وبن سائر العرب ، فإنهم أصابونى كان ذلك الذى أرادوا ، وإن أظهرنى الله عليهم دخلوا في الإسلام وافرين ، وإن لم يفعلوا فاتلوا وبهم قوة ، فما تظن قريش ؟ فوالله لا أزال أجاهد على هذا الذى بعثنى الله به حتى يُظهره الله أو تنفرد هذه السالفة . ^(٣) ثم

(١) ويقال له : بسر . كما قال ابن هشام .

(٢) العوذ المطافيل : التوق ذوات اللbn معها أولادها . وهي كنایة عن النساء معها الأطفال .

(٣) السالفة : صفة العنق . وأراد بذلك الموت .

قال : مَنْ رَجَلٌ يُخْرِجُ بَنَاهُ عَلَى طَرِيقٍ غَيْرَ طَرِيقِهِمُ الَّتِي هُمْ بِهَا ؟ .

قال ابن إسحاق : فَعَدَنِي أَبُو بَكْرٍ أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَسْلَمَ قَالَ : أَنَا يَارَسُولُ اللهِ . فَسَلَكَ بَهِمْ طَرِيقًا وَغَرَأً جَرَلَ^(١) بَيْنَ شَعَابَ ، فَلَمَّا خَرَجُوا مِنْهُ وَقَدْ شَقَّ ذَلِكَ عَلَى الْمُسَلَّمِينَ فَأَفْضَوْا إِلَى أَرْضِ سَهْلَةِ عَنْدَ مَنْقَطَعِ الْوَادِيِّ ، قَالَ رَسُولُ اللهِ : قُولُوا : نَسْقُفُرُ اللهَ وَنَتُوبُ إِلَيْهِ . فَقَالُوا ذَلِكَ . قَالَ : وَاللهِ إِنَّهَا لَلَّاحِظَةُ الَّتِي عُرِضَتْ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فَلَمْ يَقُولُوهَا .

قال ابن شهاب : فَأَمَرَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النَّاسَ فَقَالُوا : اسْكُوا ذَاتَ الْيَمِينِ بَيْنَ ظَهْرِيِّ الْحَمْضِ . فِي طَرِيقٍ يُخْرِجُهُ عَلَى ثَنَيَّةِ الْمُرَارِ تَهْبِطُ الْحَدِيبَيْةُ مِنْ أَسْفَلِ مَكَّةَ .

قال : فَسَلَكَ الْجَيْشُ ذَلِكَ الطَّرِيقَ ، فَلَمَّا رَأَتْ خَيْلُ قَرِيشَ فَتْرَةَ الْجَيْشِ قَدْ خَالَفُوا عَنْ طَرِيقِهِمْ رَكَضُوا رَاجِعِينَ إِلَى قَرِيشِ .

وَخَرَجَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى إِذَا سَلَكَ فِي ثَنَيَّةِ الْمُرَارِ بَرَكَتْ نَافِقَتْهُ فَقَالَ النَّاسُ : خَلَاتُ^(٢) . قَالَ : مَا خَلَاتُ وَمَا هُوَ بِخَلُقٍ ، وَلَكِنْ حَبَسَهَا حَابِسُ الْفَيْلِ عَنْ مَكَّةَ ، لَا تَدْعُونِي قَرِيشُ الْيَوْمَ إِلَى خَطْهَةِ يَسْأَلُونِي فِيهَا صَلَّةُ الرَّحْمِ إِلَّا أُعْطِيَتُهُمْ إِيَاهَا .

* * *

ثُمَّ قَالَ لِلنَّاسِ : ازْلُوا . قِيلَ لَهُ : يَارَسُولُ اللهِ مَا بِالوَادِي مَاءٌ يُنْزَلُ عَلَيْهِ . فَأَخْرَجَ سَهْمًا مِنْ كَنَاثِتِهِ فَأَعْطَاهُ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِهِ فَنَزَلَ بِهِ فِي قَلْيَبٍ مِنْ تِلْكَ الْقُلُبِ ، فَغَرَزَهُ فِي جَوْفِهِ فَخَاْشَ بِالرَّوَاءِ حَتَّى ضَرَبَ النَّاسَ^(٣) عَنْهُ بِعَطَنَ .

(١) الأَجْرَلُ : السَّكَبُرُ الْحَجَارَةُ .

(٢) خَلَاتُ : حَرَنَتْ وَبَرَكَتْ مِنْ غَيْرِ عَلَةٍ . (٣) ضَرَبَ النَّاسَ بِعَطَنَ : أَنَّا خَوَّا حَوْلَ المَاءِ بَعْدَ الدَّقَقَ .

قال ابن إسحاق : خدثني بعض أهل العلم عن رجال من أسلم أن الذى نزل في القليب بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ناجية بن جندب^(١) ، سائق بدن رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال ابن إسحاق : وقد زعم بعض أهل العلم أن البراء بن عازب كان يقول : أنا الذى نزات بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فالله أعلم أى ذلك كان . ثم استدل ابن إسحاق للأول أن جارية من الأنصار جاءت البئر وناجية أسف لها يَبِعْ^(٢) فقالت :

يَا لَهَا السَّاحِنَ دَلْوَى دُونَكَا إِنِّي رَأَيْتَ النَّاسَ يَخْمَدُونَكَا
يُنْثَنُونَ خَيْرًا وَيُعْجَدُونَكَا

فأجابها فقال :

قَدْ عَلِمْتُ جَارِيَةً يَمَانِيَّهُ أَنِّي أَنَا السَّاحِنُ وَاسْمِي نَاجِيَّهُ
وَطَعْنَةُ ذَاتِ رَشَاشِ وَاهِيَّهُ طَعْنَهَا عَنْدَ صَدْورِ الْمَادِيَّهُ

* * *

قال الزهرى فى حديثه : فلما اطمأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنَّه بُدَيْلَ بن وَرْقَاءَ فِي رَجَالِ مِنْ خَرَاعَةَ ، فَكَلَمُوهُ وَسَأَلُوهُ مَا الَّذِي جَاءَ بِهِ ؟ فَأَخْبَرُوهُمْ أَنَّه لَمْ يَأْتِ يَرِيدُ حَرَبًا إِنَّمَا جَاءَ زَائِرًا لِلْبَيْتِ وَمَعْظَمًا لِحَرْمَتِهِ . ثُمَّ قَالُوهُمْ نَحْنُ مَا قَالَ لِبِشْرِ بْنُ سَفِيَّانَ ، فَرَجَعُوا إِلَى قُرَيْشٍ فَقَالُوا : يَا مُعْشَرَ قُرَيْشٍ إِنَّكُم تَعْجَلُونَ عَلَى مُحَمَّدٍ ، وَإِنَّ مُحَمَّدًا لَمْ يَأْتِ لِقَتَالٍ إِنَّمَا جَاءَ زَائِرًا لِهَذَا الْبَيْتِ . فَأَتَهُمُوهُمْ وَجَهَوْهُمْ وَقَالُوا : وَإِنْ جَاءَ وَلَا يَرِيدُ قَتَالًا ، فَوَاللَّهِ لَا يَدْخُلُهَا عَلَيْنَا عَنْوَةٌ وَلَا تَحْدُثُ بِذَلِكَ عَنَا الْعَرَبُ .

قال الزهرى : وَكَانَتْ خَرَاعَةَ عَيْبَيَّةَ^(٣) أَنْصَحَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم مَسْلِمَهَا وَمُشْرِكَهَا لَا يُخْفِقُونَ عَنْهُ شَيْئًا كَانَ بِمَكَّةَ .

(١) ذكر ابن هشام بقية نسبه .

(٢) العيّة : موضع السر والخاصة .

قال : ثم بعثوا إليه مِكْرَزُ بن حفصِ بن الأَخْيَفِ أخَا بْنِ عَامِرَ بْنِ لَوْيَ ، فَلَمَّا رَأَهُ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُقْبِلاً قَالَ : هَذَا رَجُلٌ غَادِرٌ . فَلَمَّا اتَّهَى إِلَى رَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَلَمَهُ قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَحْوَا مَا قَالَ لِبَدْبَلِ
وَأَصْحَابِهِ ، فَرَجَعَ إِلَى قَرِيشٍ فَأَخْبَرُوهُمْ بِمَا قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . ثُمَّ بَعْثَوْا
بِحَلَيْسَ بْنَ عَلْقَمَةَ أَوْ أَبْنَ زَبَانَ وَكَانَ يَوْمَئِذٍ سِيدُ الْأَحَادِيْشِ ، وَهُوَ أَحَدُ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ
عَبْدِ مَنَّا بْنِ كَنَانَةَ ، فَلَمَّا رَأَاهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : إِنَّ هَذَا مِنْ قَوْمٍ
يَتَالِهُونَ فَابْعَثُو إِلَيْهِمْ مَمْدُودًا فِي وَجْهِهِ حَتَّى يَرَاهُ . فَلَمَّا رَأَى الْمَدْدُودَ يَسِيلُ عَلَيْهِ مِنْ عُرْضِ الْوَادِيِّ
فِي قَلَائِدِهِ قَدْ أَكَلَ أَوْبَارَهُ مِنْ طَوْلِ الْحَبْسِ عَنْ مَحَلِّهِ رَجَعَ إِلَى قَرِيشٍ وَلَمْ يَصِلْ إِلَيْهِ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِعْظَاماً لِمَا رَأَى ، فَقَالَ لَهُمْ ذَلِكَ . قَالُوا : فَقَالُوا لَهُ : اجْلِسْ
فَإِنَّا أَنْتَ أَعْرَابِيٌّ لَا عِلْمَ لَكَ .

قَالَ أَبْنُ إِسْحَاقَ : خَدَثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ أَنَّ الْحَلَيْسَ غَضِبَ عَنْ ذَلِكَ وَقَالَ :
يَا مُعْشَرَ قَرِيشٍ وَاللَّهُ مَا عَلِيَ هَذَا حَالَفَنَا كُمْ وَلَا عَلَى هَذَا عَاهَدَنَا كُمْ ، أَيْصَدُ عَنْ بَيْتِ اللَّهِ
مِنْ جَاءَهُ مَعْظِلًا لَهُ ؟ وَالَّذِي نَفَسَ الْحَلَيْسَ بِيَدِهِ لَتُخَلَّنَ بَيْنَ مُحَمَّدٍ وَبَيْنَ مَاجِهِ لَهُ أَوْ
لَا يُفَرِّنَ بِالْأَحَادِيْشِ نَفْرَةً رَجُلًا وَاحِدًا . قَالُوا : مَهْ كَفَ عَنَا حَتَّى نَأْخُذَ لِأَنفُسِنَا
مَا نَرْضَى بِهِ .

* * *

قَالَ الزَّهْرِيُّ فِي حَدِيثِهِ : ثُمَّ بَعْثَوْا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عُرُوْةَ بْنَ مُسَعُودَ
الْتَّقِيِّ فَقَالَ : يَا مُعْشَرَ قَرِيشٍ إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ مَا يَلْقَى مِنْكُمْ مِنْ بَعْثَمَوْهُ إِلَى مُحَمَّدٍ إِذْ جَاءَكُمْ
مِنَ التَّعْنِيفِ وَسُوءِ اللفْظِ ، وَقَدْ عَرَفْتُمُ أَنَّكُمْ وَالَّذِي وَلَدُ ، وَكَانَ عُرُوْةُ لِسْبِيْعَةُ بَنْتِ
عَبْدِ شَمْسٍ ، وَقَدْ سَمِعْتَ بِالَّذِي نَابَكُمْ فَجَمِعْتُ مِنْ أَطْاعَنِي مِنْ قَوْمِي ثُمَّ جَتَّكُمْ حَتَّى
آسَيْتُكُمْ بِنَفْسِي . قَالُوا : صَدَقْتَ مَا أَنْتَ عَنْدَنَا بِهِمْ .

نَفَرَجَ حَتَّى أَنْيَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَجَلَسَ بَيْنَ يَدِيهِ ثُمَّ قَالَ : يَا مُحَمَّدُ أَجْمَعَتِ
أَوْشَابَ النَّاسِ ثُمَّ جَثَّتْ بَعْدَهُ إِلَى بَيْنِ ضَيْقَتِكَ لِتَفْضُّلَهَا بَعْدَهُمْ ! إِنَّهَا قَرِيشٌ قَدْ خَرَجَتْ مَعَهَا
الْعُوذُ الْمَطَافِيلُ قَدْ لَبَسُوا جَلَودَ النُّورِ ، يَعاهِدُونَ اللَّهَ لَا تَدْخُلُهُمْ عَنْوَةً أَبَدًا ، وَأَيْمَنَ اللَّهِ
لَكَانِي بِهِؤُلَاءِ قَدْ اسْكَنْتُهُمْ عَنْكَ غَدًا .

قَالَ : وَأَبُو بَكْرُ الصَّدِيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خَلَفَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ :
أَمْصُصْنَ بَظَرَ الْلَّاتِ ! أَنْحَنَ نَكْشَفَ عَنْهُ ؟ قَالَ : مَنْ هَذَا يَأْمُدُ ؟ قَالَ : هَذَا ابْنُ أَبِي
قَحَافَةَ . قَالَ : أَمَا وَاللَّهِ لَوْلَا يَدْعُ كَانَتْ لَكَ عِنْدَكَ لِكَافِتَكَ بِهَا ، وَلَكِنْ هَذِهِ بِهِذِهِ .
قَالَ : ثُمَّ جَعَلَ يَتَنَاهُولُ لِحَيَّةَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَكْلِمُهُ ، وَالْمُغِيرَةُ
ابْنُ شَعْبَةَ وَاقِفٌ عَلَى رَأْسِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْحَدِيدِ ، قَالَ : فَجَعَلَ
يَقْرَعُ يَدَهُ إِذَا يَتَنَاهُولُ لِحَيَّةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَيَقُولُ : أَكْفُفُ يَدَكَ عَنْ
وَجْهِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْلَ أَلَا تَصْلِي إِلَيْكَ . قَالَ : فَيَقُولُ عَرْوَةُ : وَيَحْكُ
مَا أَفْظَلُكَ وَأَغْلَظُكَ !

قَالَ : فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ لَهُ عَرْوَةُ : مَنْ هَذَا يَأْمُدُ ؟ قَالَ :
هَذَا ابْنُ أَخِيكَ الْمُغِيرَةَ بْنَ شَعْبَةَ . قَالَ : أَىْ غَدَرٍ وَهُلْ غَسْلَتَ سَوَاتِكَ إِلَّا بِالْأَمْسِ !

قَالَ الزَّهْرِيُّ : فَكَلَمَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِنَحْوِ مَا كَلَمَ بِهِ أَصْحَابَهُ ،
وَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ لَمْ يَأْتِ يَرِيدُ حِرَبًا ، فَقَامَ مِنْ عَنْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ رَأَى
مَا يَصْنَعُ بِهِ أَصْحَابَهُ ، لَا يَتَوَضَّأُ إِلَّا ابْتَدَرُوا وَضُوَّهُ وَلَا يَصْقُ بَصَاقًا إِلَّا ابْتَدَرُوهُ
وَلَا يَسْقُطُ مِنْ شَعْرِهِ شَيْءٌ إِلَّا أَخْذُوهُ ، فَرَجَعَ إِلَى قَرِيشٍ فَقَالَ : يَا مَعْشَرَ قَرِيشٍ إِنِّي
قَدْ جَثَّتْ كَسْرَى فِي مَلَكِهِ وَقَيْصِرُ فِي مَلَكِهِ وَالْجَاشِيَّ فِي مَلَكِهِ ، وَإِنِّي وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ
مَلِكًا فِي قَوْمٍ قَطْ مِثْلُ مُحَمَّدٍ فِي أَصْحَابِهِ ! وَلَقَدْ رَأَيْتُ قَوْمًا لَا يُسْلِمُونَهُ لِشَيْءٍ أَبَدًا ،
فَرَوَّا رَأْبِكَ .

قال ابن إسحاق : وحدثني بعض أهل العلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا خرّاش بن أمية الخزاعي فبعثه إلى قريش بمكة وحمله على بعير له يقال له التعلب ، ليبلغ أشرافهم عنه ما جاء له ، فعقرروا به جمل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأرادوا قتله ، فبعثه الأحابيش فخلوّوا سبيله حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن إسحاق : وحدثني بعض من لا تهم عن عكرمة عن ابن عباس ، أن قريشاً كانوا بعنوا الأربعين رجلاً منهم أو خمسين ، أمرتهم أن يطيفوا بعسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصيبوا لهم من أصحابه أحداً فأخذوا ، فأتى بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ففدا عليهم وخلّ سبيهم ، وقد كانوا رمّوا في عسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحجارة والتبَل .

ثم دعا عمر بن الخطاب ليعنته إلى مكة فيبلغ عنه أشراف قريش ما جاء له ، فقال : يا رسول الله إني أخاف قريشاً على نفسي وليس بمكة منبني عدى أحد ينفعني ، وقد عرفت قريش عداوتكم إليها وغلظاتكم عليها ولكنني أذلك على رجل أعزّ بهما مني ، عثمان بن عفان .

فدعى رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمانَ بن عفانَ فبعثه إلى أبي سفيان وأشرافِ قريش يخبرهم أنه لم يأتُ لحرب ، وإنما جاء زائراً لهذا البيت معظماً لحرمه .

خرج عثمان إلى مكة فلقيه أباً بن سعيد بن العاص حين دخل مكة أو قبل أن يدخلها ، فحمله بين يديه ثم أجاره حتى بلغ رسالته رسول الله صلى الله عليه وسلم فانطلق عثمان حتى أتى أبي سفيان وعظاء قريش فبلغهم عن زرسول الله صلى الله عليه وسلم ما أرسله به ، فقالوا لعثمان حين بلغ رسالته رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن شئت أن تطوف بالبيت فطف . قال : ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله صلى الله عليه وسلم . واحتبسه قريش عندها ، فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين أن عثمان قد

قتل . قال ابن إسحاق : خدثني عبد الله بن أبي بكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حين بلغه أن عثمان قد قتل : لأنبرح حتى نُناجزَ القومَ .

ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى البيعة ، وكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة وكان الناس يقولون : بايدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على الموت . وكان جابر بن عبد الله يقول : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يبايعنا على الموت ، ولكن بايدها على آلا نفر .

فباع رسول الله صلى الله عليه وسلم الناسَ ولم يختلف عنه أحد من المسلمين حضرها إلا الجعد بن قيس أخو بني سلمة ، وكان جابر بن عبد الله يقول : والله لـكـانـىـ أـنـظـرـ إـلـيـهـ لـأـصـقـاـ بـإـبـاطـ نـاقـتـهـ قـدـ ضـبـاـ^(١) إـلـيـهـ يـسـتـرـ مـنـ النـاسـ .

ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الذي ذُكر من أمر عثمان باطل .

قال ابن هشام : وذكر وكيع عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن الشعبي ، أن أول من بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم بيعة الرضوان أبو سنان الأسدى .

قال ابن هشام : وحدثني من أثق به عن حدثه بإسناد له عن ابن أبي ململكة ، عن ابن عمر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بايع لعثمان فضرب بإحدى يديه الأخرى .

وهذا الحديث الذي ذكره ابن هشام بهذا الإسناد ضعيف ، لكنه ثابت في الصحيحين .

قال ابن إسحاق : قال الزهرى : ثم بعثت قريش مهيلَ بن عمرو أخا بنى عامر بن لوى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا : أنتِ محمدًا وصالحه ، ولا يسكن في صالحه

(١) ضباً : لصق .

إلا أن يرجع عنا عامه هذا ، فوالله لا تحدث العربُ أنه دخلها عنوةً أبداً .
فأتاه سهيل بن عمرو فلما رأاه رسول الله صلى الله عليه وسلم مقبلاً قال : قد أراد
ال القومُ الصلحَ حين بعثوا هذا الرجل .
فلما انتهى سهيل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تكلم فأطّال الكلام ، وتراجعا
ثم جرى بينهما الصلح .

فلما التأم الأمرُ ولم يبق إلا الكتاب وثبت عمر فتى أبي بكر فقال : يا أبا بكر أليس
برسول الله ؟ قال : بلى . قال : أو لسنا بال المسلمين ؟ قال : بلى . قال : أو ليسوا بالمرجعيين ؟
قال : بلى . قال : فعلام نعطي الدّينية في ديننا ؟ قال : أبو بكر : يا عمر الزم غرزة^(١)
فإنّيأشهد أنّه رسول الله . قال عمر : وأناأشهد أنّه رسول الله .
ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله أستأذن برسول الله ؟ قال :
بلى . قال : أو لسنا بال المسلمين ؟ قال : بلى . قال : أو ليسوا بالمرجعيين ؟ قال : بلى . قال :
علام نعطي الدّينية في ديننا ؟ قال : أنا عبد الله ورسوله لن أخالف أمره ولن يضيعني .
وكان عمر رضي الله عنه يقول : مازلت أصوم وأتصدق وأصلّي وأعتق من الذي
صنعت يومئذ ، مخافة كلامي الذي تكلّمته يومئذ ، حتى رجوت أن يكون خيراً .

* * *

قال : ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبي طالب رضي الله عنه فقال :
اكتتب : بسم الله الرحمن الرحيم قال : فقال سهيل : لا أعرف هذا ، ولكن اكتب :
باسمك اللهم . قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اكتب باسمك اللهم . فكتبتها .
ثم قال : اكتب : « هذا ما صلح عليه محمد رسول الله سهيل بن عمرو ». قال :
فقال سهيل : لو شهدت أنك رسول الله لم أقاتلك ، ولكن اكتب اسمك واسم أبيك .

(١) الغرز : ركب من جلد توضع فيه الرجل . والمراد : اتبع أمره ولا تخالفه .

قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أكتب : « هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو ، اصطلحا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين يأْمن فيهن الناس ويكفُّ بعضهم عن بعض ، على أنه من أتى محمداً من قريش بغير إذن وليه رده عليهم ، ومن جاء قريشاً من مع محمد لم يردوه عليه ، وأن يبننا عيَّبة^(١) مَكْفُوفة ، وأنه لا إِسْلَال^(٢) ولا إِغْلَال ، وأنه من أحبَّ أن يدخل في عَقدِ محمد وعَهْدِه دخل فيه ، ومن أحبَّ أن يدخل في عَقدِ قريش وعَهْدِه دخل فيه ». .

فتواتحت خزاعة فقالوا : نحن في عَقدِ محمد وعَهْدِه . وتواثبتْ بنو بكر فقالوا : نحن في عَقدِ قريش وعَهْدِه .

وإنك ترجع عامك هذا فلا تدخل علينا مكة ، وإنه إذا كان عام قابل خرجنا عنك فدخلتها بأصحابك فأقمت بها ثلاثة ، معك سلاح الرأب : السيف في القرب لا تَدْخُلها بغيرها .

قال : فيينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يكتب الكتاب هو سهيل بن عمرو إذ جاء أبو جندل بن سهيل بن عمرو يَرْسُف في الحديد قد انفلت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقد كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد خرجوا وهم لا يشكُّون في الفتح لرؤيا رأها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما رأوا مارأوا من الصلح والرجوع وما تحمل عليه رسول الله صلى عليه وسلم في نفسه دخل على الناس من ذلك أمر عظيم حتى كادوا يهلكون .

فلم رأى سهيل أبا جندل قام إليه فضرَّ وجده وأخذ بتثبيبه وقال : يا محمد قد تَجَّلت القضية يبني وبنتك قبل أن يأتيك هذا . قال : صدقت . فجعل يَنْتَهه بتثبيبه ويحرره

(١) العيَّبة : موضع السر ومَكْفُوفة : مطوية . (٢) الإِسْلَال : السرقة الخفية . والإِغْلَال : الغيانة .

يعنى يرده^(١) إلى قريش ، وجعل أبو جندل يصرخ بأعلى صوته : يا معاشر المسلمين أرد
إلى المشركين يفتونى في ديني .
فزاد ذلك الناس إلى ما بهم .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا أبا جندل اصبر واحتبس ، فإن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجاً وخرجاً . إنما قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحًا وأعطيتكم على ذلك وأعطونا عبد الله ، وإننا لا نقدر بهم » .

قال : فوثب عمر بن الخطاب مع أبي جندل يمشي إلى جنبه ويقول : اصبر أبا جندل ، فإنها هم المشركون وإنما دم أحدهم دم كلب . قال : ويدنى قائم السيف منه .
قال : يقول عمر : رجوت أن يأخذ السيف فيضرب أباه ! قال : فضنَّ الرجل
بأبيه ، ونفذت القضية .

فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكتاب أشهدَ على الصلح رجالاً من المسلمين ورجالاً من المشركين : أبو بكر الصديق ، وعمر بن الخطاب ، وعبد الرحمن بن عوف ، وعبد الله بن سهيل بن عمرو ، وسعد بن أبي وقاص ، ومحمد بن مسلمة ومكيز بن حفص ، وهو يومئذ مشرك ، وعلى بن أبي طالب ، وكتب ، وكان هو كاتب الصحيفة .

* * *

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم مضطرباً في الحِل^(٢) ، وكان يصلّي في الحرم ،
فلما فرغ من الصلح قام إلى هدبه فتحرّه ، ثم جلس خلق رأسه ، وكان الذي حلّه في ذلك
اليوم خراش بن أمية بن الفضل الخزاعي ، فلما رأى الناسُ أن رسول الله وسلم قد تحرّك
وخلق توابوا ينحررون ويخلقون .

(٢) مضطرباً : كانت خيامه مقامة في الحِل .

(١) ابن هشام : ليرده .

قال ابن إسحاق : وحدّثني عبد الله بن أبي تحيّج ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، قال : حَاقَ رَجُلٌ يَوْمَ الْخَدْيِيَّةِ وَقَصَرَ آخَرُونَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « يَرْحَمُ اللَّهُ الْمُحْلَقِينَ » . قَالُوا : وَالْمَقْصُرِينَ يَارَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : « يَرْحَمُ اللَّهُ الْمُحْلَقِينَ » قَالُوا : وَالْمَقْصُرِينَ يَارَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : « يَرْحَمُ اللَّهُ الْمُحْلَقِينَ » قَالُوا : وَالْمَقْصُرِينَ يَارَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : « يَرْحَمُ اللَّهُ الْمُحْلَقِينَ » .

قَالُوا : يَارَسُولَ اللَّهِ فَلِمَ ظَاهِرٌ الرَّحْمَةُ لِلْمُحْلَقِينَ دُونَ الْمَقْصُرِينَ ؟ قَالَ : لَمْ يَشْكُوا .

وقال عبد الله بن أبي تحيّج : حدّثني مجاهد ، عن ابن عباس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أهدى عامَ الخديبية في هداياه جملًا لأبي جهل في رأسه بُرَّةً من فضة ليغيط بذلك المشرّكين .

هذا سياق محمد بن إسحاق رحمه الله لهذه القصة ، وفي سياق البخاري كما سيأتي مخالفة في بعض الأماكن لهذا السياق كما سترتها إن شاء الله وبه الثقة . ولنوردها بماها ، ونذكر في الأحاديث الصحيح والحسان ما فيه [غناء] . إن شاء الله تعالى وعليه التكلال وهو المستعان .

* * *

قال البخاري : حدّثنا خالد بن تَخْلَدَ ، حدّثنا سليمان بن بلال ، حدّثنا صالح بن كيسان ، عن عبيد الله بن عبد الله ، عن زيد بن خالد ، قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عامَ الخديبية فأصابنا مطر ذات ليلة ، فصلّى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الصبح ، ثم أقبل علينا بوجهه فقال : « أتدرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ » ؟ فقلنا : الله ورسوله أعلم . فقال : قال الله تعالى : « أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنًا بِكَ وَكَافِرًا بِكَ ، فَأَمَا مَنْ

قال: مُطْرَنَا بِرَحْمَةِ اللَّهِ وَبِفَضْلِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ بِكَافِرٍ بِالْكَوْكَبِ ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطْرَنَا بِنَجْمٍ كَذَا فَهُوَ مُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ كَافِرٌ بِي » .

وَهَكُذا رَوَاهُ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ مِنْ حَسْبِيْهِ ، وَمُسْلِمٌ مِنْ طَرْقٍ عَنِ الزَّهْرَى ، وَقَدْ رَوَى
عَنِ الزَّهْرَى عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ أَبِيهِ هَرِيرَةَ .

وَقَالَ الْبَخَارِى: حَدَّثَنَا عَبْدِ اللَّهِ بْنُ مُوسَى ، عَنْ إِسْرَائِيلَ ، عَنْ أَبِيهِ إِسْحَاقَ ، عَنْ
الْبَرَاءِ قَالَ: تَعْدُونَ فَتْحَ مَكَّةَ ، وَقَدْ كَانَ فَتْحُ مَكَّةَ فَتْحًا ، وَنَحْنُ نَعْدُ فَتْحَ بَيْعَةَ
الرَّضْوَانِ يَوْمَ الْحَدِيبِيَّةِ ، كَمَا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرْبَعَ عَشْرَةَ مَائَةَ وَالْحَدِيبِيَّةَ بَثَرَ
فَزَحْنَاهَا فَلَمْ يَتَرَكْ فِيهَا قَطْرَةً فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاتَّاهَا فِي جَلْسٍ عَلَى
شَفِيرِهَا ثُمَّ دَعَا بِإِنَاءِ مِنْ مَاءِ فَتْوَاضُّ ثُمَّ مَضْمِضَ وَدَعَا ثُمَّ صَبَّهُ فِيهَا فَتَرَكَنَا مَا غَيْرَ بَعِيدٍ
ثُمَّ إِلَيْهَا أَصْدَرَنَا مَا شَئْنَا نَحْنُ وَرِكَابُنَا .

انفرد به الْبَخَارِى .

وَقَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: « فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا » : صُلْحُ
الْحَدِيبِيَّةِ . قَالَ الزَّهْرَى: فَمَا فَتْحُ الْإِسْلَامِ فَتْحٌ قَبْلَهُ كَانَ أَعْظَمُ مِنْهُ ، إِنَّمَا كَانَ القَتَالُ
حِيثُ التَّقَى النَّاسُ ، فَلَمَّا كَانَ الْمُهَذْنَةُ وَوُضِعَتُ الْحَرْبُ أَوْزَارُهَا وَأَمِنَ النَّاسُ كُلُّهُمْ بَعْضُهُمْ
بعْضًا وَالتَّقَوُا فَتَقَوَّضُوا فِي الْحَدِيثِ وَالْمَنَازِعَةِ ، فَلَمْ يَكُلُّ أَحَدٌ فِي الْإِسْلَامِ يَعْقِلَ شَيْئًا إِلَّا
دَخَلَ فِيهِ ، وَلَقَدْ دَخَلَ فِي تَيْنِيكَ السَّنَتَيْنِ مِثْلَ مَنْ كَانَ دَخَلَ فِي الْإِسْلَامَ قَبْلَ ذَلِكَ أَوْ أَكْثَرَ .

قَالَ ابْنُ هَشَامَ: وَالدَّلِيلُ عَلَى مَا قَالَهُ الزَّهْرَى أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
خَرَجَ إِلَى الْحَدِيبِيَّةِ فِي أَلْفٍ وَأَرْبَعِ مَائَةٍ رَجُلٍ فِي قَوْلِ جَابِرٍ ، ثُمَّ خَرَجَ عَامَ فَتْحِ مَكَّةَ بَعْدَ
ذَلِكَ بِسَنَتَيْنِ فِي عَشْرَةِ آلَافٍ .

وَقَالَ الْبَخَارِى: حَدَّثَنَا يُوسُفُ بْنُ عَيْسَى ، حَدَّثَنَا ابْنُ فُضَيْلٍ ، حَدَّثَنَا حُصَيْنٌ ،
عَنْ سَالِمٍ ، عَنْ جَابِرٍ قَالَ: عَطَشَ النَّاسُ يَوْمَ الْحَدِيبِيَّةِ وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ

يديه رَكْوة فتوضاً منها ، ثم أقبل الناسُ نحوه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
مالكم ؟ قالوا : يارسول الله ليس عندنا ما تتوضا به ولا ما شرب إلا ماف رَكْوتك .
فوضع النبي صلى الله عليه وسلم يده في الرَّكْوة ف يجعل الماء يغور من بين أصابعه كأمثال العيون . قال : فشربنا وتوضاً . فقلنا لجابر : كم كنتم يومئذ ؟ قال : لو كنا مائة ألف لكفانا ، كنا خمس عشرة مائة .

وقد رواه البخاري أيضاً ومسلم من طرقه، عن حصين، عن سالم بن أبي الجند
عن جابر به.

وقال البخاري : حدثنا الصّلت بن محمد ، حدثنا يزيد بن زرّيم ، عن سعيد ، عن قتادة قلت لسعيد بن المسيب : بلغني أن جابر بن عبد الله كان يقول : كانوا أربع عشرة مائة . فقال لي سعيد : حدثني جابر : كانوا خمس عشرة مائة الذين بايعوا النبي صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية .

تابعه أبو داود، حدثنا قرۃ عن قتادة . تفرد به البخاري .

ثم قال البخاري : حدثنا علي بن عبد الله ، حدثنا سفيان ، قال عمرو : سمعت جابرأ قال : قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية : «أنتم خير أهل الأرض» وكنا ألفاً وأربعمائة ولو كفنت أبصار اليوم لأرى قمكم مكان الشجرة .

وقد روی البخاري أيضاً ومسلم من طرقه ، عن سفيان بن عيينة به . وهكذا رواه
الليث بن سعد ، عن أبي الزبير ، عن جابر قال : إن عبداً حاطب جاء يشكوه فقال :
يا رسول الله أيدخلن حاطب النار . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كذبتَ
لайдخلها ، شهد بدرأ الحديبية » .

رواه مسلم.

و عند مسلم أيضا من طرق [عن] ابن جریح ، أخبرني أبو الزبير ، أنه سمع جابرأ

يقول : أخبرتني أم ميسرة أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عند حفصة : « لا يدخل أحد النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة الذين بايعوا تحتها » فقالت حفصة : بل يارسول الله ، فانتهروا ، فقالت حفصة : « وإن منكم إلا واردُها » فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قد قال تعالى : « ثم نجّي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جنّيا ». قال البخاري : وقال عبيد الله بن معاذ : حدثنا أبي ، حدثنا شعبة ، عن عمرو بن مرّة ، حدثني عبد الله بن أبي أوفى قال : كان أصحاب الشجرة ألفاً وثلاثمائة وكانت أسمَّ مُنْ المهاجرين .

تابعه محمد بن بشار ، حدثنا أبو داود ، حدثنا شعبة .

هكذا رواه البخاري معلقاً عن عبد الله . وقد رواه مسلم عن عبيد الله بن معاذ ، عن أبيه عن شعبة به . وعن محمد بن المثنى ، عن أبي داود ، عن إسحاق بن إبراهيم ، عن النضر ابن شمّيل كلّاها عن شعبة به .

ثم قال البخاري : حدثنا علي بن عبد الله ، حدثنا سفيان ، عن الزهرى ، عن عروة ، عن مروان والمسور بن حمرمة ، قالا : خرج النبي صلى الله عليه وسلم عام الحديبية في بعض عشرة مائة من أصحابه ، فلما كان بذى الحليفة قلل المدّى وأشعر وأحرّ منها .

تفرد به البخاري وسيأتي هذا السياق بعده .

* * *

والقصد أن هذه الروايات كلّها مخالفة لما ذهب إليه ابن إسحاق من أن أصحاب الحديبية كانوا سبع مائة .

وهو والله أعلم إنما قال ذلك تفهّماً من تلقاء نفسه من حيث إن البدن كن سبعين بدنه ، وكل منها عن عشرة على اختياره ، فيكون المهاون سبعمائة .
ولا يلزم أن يهزم كلهم ولا أن يحرّم كلهم أيضاً ، فقد ثبت أن رسول الله صلى الله

عليه وسلم بعث طائفةً منهم فيهم أبو قتادة ولم يُحِرِّمْ أبو قتادة حتى قُتل ذلك الحمار الوحشى فـأَكُل منه هو وأصحابه، وحملوا منه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في أثناء الطريق فقال : هل منكم أحد أمره أن يَحْمِلْ عَلَيْهَا أو أَشَارَ إِلَيْهَا ؟ قالوا : لا . قال : فـكُلُوا ما بَقِيَ من الحمار .

وقد قال البخارى : حدثنا شعبة بن الربيع ، حدثنا على بن المبارك ، عن يحيى عن عبد الله بن أبي قتادة أن أباه حدثه قال : انطلقنا مع النبي صلى الله عليه وسلم عام الحديبية فأحرام أصحابي ولم أحزم .

* * *

وقال البخارى : حدثنا محمد بن رافع ، حدثنا شَبَابَةُ بْنِ سِوارِ الْفَزَارِيِّ ، حدثنا شعبة ، عن قتادة ، عن سعيد بن المسيب ، عن أبيه قال : لقد رأيت الشجرة ثم أتيتها بعد فلم أعرفها . حدثنا موسى ، حدثنا أبو عوانة ، حدثنا طارق ، عن سعيد بن المسيب ، عن أبيه أنه كان فيمن بايع تحت الشجرة فرجعنا إليها العام المُقْبَل فعميت علينا . وقال البخارى أيضاً : حدثنا محمود ، حدثنا عبيد الله ، عن إسرائيل ، عن طارق بن عبد الرحمن ، قال : انطلقت حاجاً فمررت بقوم يصلون ، فقلت : ما هذا المسجد ؟ قالوا : هذه الشجرة حيث بايع النبي صلى الله عليه وسلم بيعة الرضوان . فأتت سعيد بن المسيب فأخبرته فقال سعيد : حدثني أبي أنه كان فيمن بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة ، قال : فلما كان من العام المُقْبَل نسيناها فلم تقدر عليها .

ثم قال سعيد : إن أصحاب محمد لم يَعْلَمُوهَا ، وعَلَمْتُمُوهَا أَنْتُم ! فَإِنْتُمْ أَعْلَم ؟
ورواه البخارى ومسلم من حديث الثورى وأبي عوانة وشَبَابَةُ عن طارق .

وقال البخارى : حدثنا سعيد ، حدثني أخي ، عن سليمان ، عن عمرو بن يحيى ، عن عَبَيْدَةَ بْنَ تَمِيمٍ قال : لما كان يوم الحرة والناس يبايعون لعبد الله بن حنظلة ، فقال ابن

زيد : على ما يباع ابن حنظلة الناس ؟ قيل له : على الموت . فقال : لا أباع على ذلك أحداً بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ وكان شهد معه الحديبية .

وقد رواه البخاري أيضاً ومسلم من طرق عن عمرو بن يحيى به .

وقال البخاري : حدثنا قتيبة بن سعيد ، حدثنا حاتم ، عن يزيد بن أبي عبيد قلت لسلمة بن الأكوع : على أي شيء بایتم رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية ؟ قال : على الموت .

ورواه مسلم من حديث يزيد بن أبي عبيد .

وفي صحيح مسلم عن سلمة أنه بایع ثلث مرات في أوائل الناس ووسطهم وأوآخرهم . وفي الصحيح عن مَعْقُل بن يسَار أنه كان آخذاً بأغصان الشجرة عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يباع الناس ، وكان أول من بایع رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ أبو سنان ، وهو وهب بن مخصن أخوه عُكَاشة بن مخصن ، وقيل سِنَانَ ابن أبي سنان .

وقال البخاري : حدثني شجاع بن الوليد ، سمع النضر بن محمد ، حدثنا صخر بن الربيع ، عن نافع قال : إن الناس يتحدثون أن ابن عمر أسلم قبل عمر ، وليس كذلك ، ولكن عمر يوم الحديبية أرسل عبد الله إلى فرس له عند رجل من الأنصار أن يأتي به ليقاتل عليه ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يبایع عند الشجرة ، وعمر لا يدرى بذلك ، فبایعه عبد الله ، فانطلق فذهب معه حتى بایع ر . ولـ الله صلى الله عليه وسلم ، وهي التي تحدث الناس أن ابن عمر أسلم قبل عمر .

وقال هشام بن عمار : حدثنا الوليد بن مسلم ، حدثنا عمر بن محمد العَمَري ، أخبرني نافع ، عن ابن عمر أن الناس كانوا مع النبي صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية تفرقوا في ظلال الشجرة ، فإذا الناس مُحِدِّقون بالنبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا عبد الله انظر

ما شأن الناس قد أخذوا برسول الله صلى الله عليه وسلم فوجدهم يبايعون ، فبایع ثم رجع
إلى عمر نخرج فبایع .

تفرد به البخاري من هذين الوجهين .

ذكرى سياق البخاري لعمرة الحديبية

قال في كتاب المغازى : حدثنا عبد الله بن محمد ، حدثنا سفيان ، سمعت الزهرى حين
حدث هذا الحديث حفظت بعضه وبلغنى معمراً ، عن عروة بن الزبير ، عن المسور بن مخرمة
ومروان بن الحكم يزيد أحدهما على صاحبه ، قالا : خرج النبي صلى الله عليه وسلم عام
الحديبية في بعض عشرة مائة من أصحابه ، فلما أتى ذا الحليفة قلل المدى وأشعره ^(١) وأحرم
منها بعمره وبعث علينا له من خزاعة .

وسائل النبي صلى الله عليه وسلم حتى إذا كان بغدير الأشطاط أتاه عينه قال : إن قريشاً
جمعوا لك جموعاً ، وقد جمعوا لك الأحابيش وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت ومانعوك .
فقال : أشيروا أيها الناس على ، أترتون أن أميل إلى عيالهم وذراري هؤلاء الذين يريدون
أن يصدونا عن البيت ، فإن يأتونا كان الله قد قطع علينا من المشركين وإلا تركناهم
محروبين . قال أبو بكر : يا رسول الله خرجت عامداً لهذا البيت لا تزيد قتل أحد
ولا حرب أحد ، فتوجّه له فمن صدّنا عنه قاتلناه . قال : امضوا على اسم الله .
هكذا رواه هاهنا ووقف ولم يزد شيئاً على هذا .

وقال في كتاب الشهادات ^(٢) : حدثني عبد الله بن محمد ، حدثنا عبد الرزاق ، أبا نانا
معمراً ، أخبرني الزهرى ، أخبرنى عروة بن الزبير ، عن المسور بن مخرمة ومروان بن
الحكم ، يصدق كل واحد منهما حديث صاحبه ، قالا : خرج رسول الله صلى الله عليه

(١) أشعره : ألبسه الشعار تميزاً له . (٢) هو في كتاب الشروط صحيح البخاري ٢ / ١٠

وسلم زمن الحديبية حتى إذا كانوا ببعض الطريق قال النبي صلى الله عليه وسلم : إن خالد بن الوليد بالغفيم في خيل لقريش طليعة ، يخذلوا ذات المين . فوالله ما شعر بهم خالد حتى إذا هم بقتة الجيش ، فانطلق يركض نذيرًا لقريش .

وسار النبي صلى الله عليه وسلم حتى إذا كان بالثانية التي يهبط عليهم منها برَّكت به راحته ، فقال الناس : حل حل^(١) ، فأحلت ، فقالوا : خلات القصواه خلات القصواه . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ماحلات القصواه وما ذاك لها بخلاق ، ولكن حبسها حابس الفيل . ثم قال : والذى نسى بيده لا يسألونى خطأ يعظمون فيها حرمات الله إلا أعطياهم إياها . ثم زجرها فوثبت .

[فعدل عنهم حتى نزل بأقصى الحديبية على نمد قليل الماء يتبرّضه^(٢)] [الناس^(٣)] تبرّضاً فلم يلبّنه الناس حتى نزحوه ، وشكى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم العطش ، فانتزع سهماً من كناته ثم أمرهم أن يجعلوه فيه ، فوالله ما زال يجيش لهم بالرّى حتى صدرّوا عنه .

فيئما هم كذلك إذا جاء بديل بن ورقاء الخزاعي في نفر من قومه من خزاعة - وكانوا عيبة نصح رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل تهامة - فقال : إنني تركت كعب بن لؤي وعامر بن لؤي نزلوا أعداد مياه الحديبية معهم العوذ المطافيل ، وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت .

قال النبي صلى الله عليه وسلم : إنما لم ينجي لقتال أحد ، ولكن جئنا مُعتمرین ، وإن قريشا قد نهكتم الحرب وأضررت بهم ، فإن شاءوا مادتهم مدة ودخلوا يبني وبين الناس ، فإن أظهر فإنه شاءوا أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس فعلوا ، وإن فقد جهوا ،

(٢) يتبرّضه : يأخذونه قليلاً قليلاً .

(١) حل : كلمة تقال للناقة إذا برَّكت .

(٣) من صحيح البخاري ١٠ / ٢

وَإِنْ هُمْ أَبْوَا فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيدهِ لَأَفْتَلُهُمْ عَلَى أَمْرِي هَذَا حَتَّى تَنْفَرَدَ سَالِفَتِي، وَلَيَنْفَذْنَ أَمْرَ اللَّهِ .

قَالَ بُدْبِيلٌ : سَأُبَلِّغُهُمْ مَا تَقُولُ . فَانْطَاقَ حَتَّى أَتَ قَرِيشًا فَقَالَ : إِنَا قَدْ جَنَّا كَمْ مِنْ عِنْدِ هَذَا الرَّجُلِ وَسَمِعْنَاهُ يَقُولُ قَوْلًا ، فَإِنْ شَئْنَا أَنْ نَعْرُضَهُ عَلَيْكُمْ فَعَلَّمَا . فَقَالَ سَفَهَاؤُهُمْ : لَا حَاجَةُ لَنَا أَنْ تَخْبُرَنَا عَنْهُ بِشَيْءٍ . وَقَالَ ذُوو الرَّأْيِ مِنْهُمْ : هَاتِ مَا سَمِعْتَهُ يَقُولُ . قَالَ : سَمِعْتَهُ يَقُولُ كَذَا وَكَذَا . خَدَنْهُمْ بِمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

فَقَامَ عُرُوْةُ بْنُ مُسْعُودَ فَقَالَ : أَيُّ قَوْمٍ ، أَسْتَبَّ بِالْوَالِدِ ؟ قَالُوا : بَلِي . قَالَ : أَوْ لَسْتَ بِالْوَالِدِ ؟ قَالُوا بَلِي . قَالَ : فَهَلْ تَهْمُونِي ؟ قَالُوا : لَا . قَالَ : أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنِّي اسْتَفَرْتُ أَهْلَ عَكَاظَ فَلَمَّا بَلَّحُوا ^(١) عَلَى جَنَاحِكُمْ بِأَهْلِي وَوَلَدِي وَمَنْ أَطَاعَنِي ؟ قَالُوا : بَلِي . قَالَ :

فَإِنَّ هَذَا قَدْ عَرَضَ لَكُمْ خَطَّةً رُشِدَّاً اقْبَلُوهَا وَدَعْوَنِي آتِيهِ ، فَقَالُوا : أَتَهُ .

فَأَتَاهُ ، فَجَعَلَ يَكْلِمُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَحْوًا مِنْ قَوْلِهِ الْبُدَّبِيلُ قَالَ عُرُوْةُ عِنْدَ ذَلِكَ : أَيُّ مُحَمَّدٌ ، أَرَأَيْتَ إِنْ اسْتَأْصَلَتْ أَمْرَ قَوْمِكَ هَلْ سَمِعْتَ بِأَحَدٍ مِنَ الْعَرَبِ اجْتَاهَ أَهْلَهُ قَبْلَكَ ؟ وَإِنْ تَكُنَّ الْأُخْرَى إِنَّمَا وَاللَّهُ لَا أَرَى وَجْهَهَا وَإِنِّي لَأَرَى أَشْوَابًا مِنَ النَّاسِ خَلِيقًا أَنْ يَفْرُّوا وَيَدْعُوكَ .

فَقَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ : أَمَصَّصْ بَظَرَ الْلَّاتِ ! أَنْحَنْ نَفْرَعَهُ وَنَدَعَهُ ! قَالَ : مَنْ ذَا ؟ قَالُوا : أَبُو بَكْرٍ . قَالَ : أَمَا وَاللَّذِي نَفْسِي بِيدهِ لَوْلَا يَدْ كَانَتْ لَكَ عِنْدِي لَمْ أَجْزِكَ بِهَا لِأَجْبِتُكَ .

قَالَ : وَجَعَلَ يَكْلِمُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَكَلَّا تَكْلِمُ أَخْذَ بِالْحِيَّةِ ، وَالْمَغِيرَةِ بْنَ شَعْبَةِ قَائِمًا عَلَى رَأْسِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَعَهُ السِّيفُ وَعَلَيْهِ الْمَغْفِرَ ، فَكَلَّا أَهْوَى عُرُوْةُ بِيدهِ إِلَى لَحْيَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضَرَبَ يَدَهُ بِنَعْلِ السِّيفِ وَقَالَ لَهُ : أَخْرِ

(١) بِلَحْوِهِ : أَبْطَأْوَا .

يذكر عن خاتمة رسول الله صلى الله عليه وسلم . فرفع عروة رأسه فقال . من هذا ؟ قالوا : المغيرة بن شعبة . فقال : أى غدر أستُ أسعى في غدرتك !

وكان المغيرة بن شعبة صَحِّبَ قوماً في الجاهلية فقتلهم وأخذ أمورهم ، ثم جاء فأسلم ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أما الإسلام فأقبل ، وأما المال فلست منه في شيء . ثم إن عروة جعل يرمي أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بعينيه ، قال : فوالله ما ت Nxم رسول الله صلى الله عليه وسلم نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم بذلك بها وجهه وجده ، وإذا أمرهم ابتدروا أمره ، وإذا توضاً كانوا يقتلون علىوضوئه ، وإذا تكلم خضوا أصواتهم عنده وما يحدُون إليه النظر تعظيمها .

فرجع عروة إلى أصحابه فقال : أى قوم ، والله لقد وفدت على الملوك ، وفدت على قيسر وكرسي والنجاشي ، والله إن رأيت ملكاً قط يعظّم أصحابه ما يعظّم أصحابه محمدًّا ؛ والله إن ت Nxم نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم بذلك بها وجهه وجده ^(١) ، وإذا أمرهم ابتدروا أمره وإذا توضاً كانوا يقتلون علىوضوئه وإذا تكلم خضوا أصواتهم عنده وما يحدُون النظر إليه تعظيمها له ، وإنه قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها .

* * *

قال رجل من بني كنانة : دعوني آتيء . فقالوا : أنته . فلما أشرف على النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هذا فلان وهو من قوم يعظّمون البدن فاعثروا له . فبعثت له واستقبله الناس يلبيون . فلما رأى ذلك قال : سبحان الله ما ينبغي لهؤلاء أن يصدّوا عن البيت . فلما رجع إلى أصحابه قال : رأيت البدن قد قُدّمت وأشرعت ، فما أرى أن يصدّوا عن البيت .

(١) لعل هذا الوصف مبالغة في الحب والتعظيم ، كان فيه مخالفة لمبادئ الإسلام التي تدعوا إلى النظافة وتحث على التطهير ، ولعل هذا لا يتناسب مع ما كان عليه المسلمون من وضوء وطهارة . ونحن لا نشك الرواية ولاكتنا نحملها على المبالغة والتتجوز .

فقام رجل منهم يقال له مِكْرَزُ بْنُ حَفْصٍ فَقَالَ : دُعُونِي آتِيهِ . قَالُوا : أَئْتَهُ . فَلَا أَشْرَفَ عَلَيْهِمْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : هَذَا مِكْرَزٌ وَهُوَ رَجُلٌ فَاجِرٌ . فَجَعَلَ يَكْلُمُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَبَيْنَمَا هُوَ يَكْلُمُهُ إِذْ جَاءَ سَهْيَلَ بْنَ عُمَرَ .

قَالَ مَعْنَى : فَأَخْبَرَنِي أَيُّوبُ ، عَنْ عَكْرَمَةَ ، أَنَّهُ لَمَّا جَاءَ سَهْيَلَ بْنَ عُمَرَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَقَدْ سُهْلَلْتُ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُ » .

قَالَ مَعْمَرٌ : قَالَ الزَّهْرِيُّ فِي حَدِيثِهِ : فَجَاءَ سَهْيَلَ فَقَالَ : هَاتِ فَاكْتُبْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ كِتَابًا . فَدَعَا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْكَاتِبَ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : اكْتُبْ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . فَقَالَ سَهْيَلٌ : أَمَا الرَّحْمَنُ فَوَاللَّهِ مَا أَدْرِي مَا هُوَ ، وَلَكِنْ اكْتُبْ بِاسْمِ اللَّهِ الْأَمِينِ كَمَا كَفَتْ تَكْتُبْ . فَقَالَ الْمُسْلِمُونَ : وَاللَّهِ لَا نَكْتُبُهَا إِلَّا بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : اكْتُبْ بِاسْمِ اللَّهِ الْأَمِينِ .

ثُمَّ قَالَ : هَذَا مَا قَاضَى عَلَيْهِ مُحَمَّدُ رَسُولُ اللَّهِ . فَقَالَ سَهْيَلٌ : وَاللَّهِ لَوْ كَنَا نَعْلَمُ أَنَّكَ رَسُولَ اللَّهِ مَا صَدَدْنَاكَ عَنِ الْبَيْتِ وَلَا قَاتَلْنَاكَ ، وَلَكِنْ اكْتُبْ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : وَاللَّهِ إِنِّي لَرَسُولُ اللَّهِ وَإِنِّي كَذَبْتُ مَوْنِي ، اكْتُبْ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ .

قَالَ الزَّهْرِيُّ : وَذَلِكَ لِقَوْلِهِ : لَا يَسْأَلُونِي خُطْةً يَعْظُمُونَ فِيهَا حِرْمَاتِ اللَّهِ ، إِلَّا أَعْطِيَتُهُمْ إِيَاهَا .

فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : عَلَى أَنْ تُخْلُنُوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْبَيْتِ فَنَطْوُفُ بِهِ .

قَالَ سَهْيَلٌ : وَاللَّهِ لَا تَحْدُثُ الْأَرْبَابَ أَنَا أَخْذُنَا ضُغْطَةً وَلَكِنْ ذَلِكَ مِنَ الْعَامِ الْمُقْبِلِ . فَكَتَبَ . فَقَالَ سَهْيَلٌ : وَعَلَى أَنَّهُ لَا يَأْتِيكَ مَنَا رَجُلٌ وَإِنْ كَانَ عَلَى دِينِكَ إِلَّا رَدَدْتَهُ إِلَيْهَا .

قَالَ الْمُسْلِمُونَ : سَبْحَانَ اللَّهِ كَيْفَ يُرْدُ إِلَى الْمُشْرِكِينَ وَقَدْ جَاءَ مُسْلِمًا .

فَيَنِمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ جَاءُهُ بْنُ جَنْدُلَ بْنُ سَهْيلَ بْنُ عُمَرَ وَيَرْسَفَ فِي قِيَوَهُ وَقَدْ خَرَجَ
مِنْ أَسْفَلِ مَكَّةَ حَتَّى رَأَى بِنْفَسِهِ بَيْنَ أَظْهَرِ الْمُسْلِمِينَ ، فَقَالَ سَهْيلٌ : هَذَا يَامِحْمَدُ أَوْلُ مَنْ
أَفْاضَيْكَ عَلَيْهِ أَنْ تَرْدَهُ إِلَيْهِ . فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنَّا لَمْ نَقْضِ الْكِتَابَ بَعْدَ .
قَالَ : فَوَاللَّهِ إِذَاً لَمْ أَصْلَحْكَ عَلَى شَيْءٍ أَبْدَأْ . قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : فَأَجِزْهُ لِي .
قَالَ مَا أَنَا بِمُجِيزٍ لَكَ . قَالَ : بَلِي فَافْعُلْ . قَالَ : مَا أَنَا بِفَاعِلٍ . قَالَ مِكْرَزٌ : بَلِي
قَدْ أَجْزَنَاهُ لَكَ .

قَالَ أَبُو جَنْدُلَ : أَيْ مُعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ أَرَدُوا إِلَى الْمُشْرِكِينَ وَقَدْ جَهَّتْ مُسْلِمًا ، أَلَا تَرَوْنَ
مَا قَدْ لَقِيْتُ ؟ وَكَانَ قَدْ عَذَّبَ عَذَابًا شَدِيدًا فِي اللَّهِ . فَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : فَأَتَيْتَ
رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَلَّتْ : أَلَسْتَ نَبِيًّا اللَّهَ حَقًّا ؟ قَالَ : بَلِي . قَلَّتْ : أَلْسِنَا
عَلَى الْحَقِّ وَعَدْوَنَا عَلَى الْبَاطِلِ ؟ قَالَ : بَلِي . قَلَّتْ : فَلِمْ نُعْطِيَ الدَّنِيَّةَ فِي دِيْنِنَا إِذْنًا ؟ .
قَالَ : إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ وَلَسْتَ أَعْصِيهِ وَهُوَ نَاصِرِي .

قَلَّتْ : أَوْ لَسْتَ كَفُوتَ تَحْمِلُنَا أَنَا سَنَانِي الْبَيْتَ فَنَطَوْفُ بِهِ ؟ قَالَ : « بَلِي ، فَأَخْبُرْتُكَ
أَنَا نَاتِيَهُ الْعَامَ » ؟ قَالَ : قَلَّتْ : لَا . قَالَ : « فَإِنَّكَ آتَيْتَهُ وَمُطَوْفَ بِهِ » .
قَالَ : فَأَتَيْتَ أَبَا بَكْرَ فَقَلَّتْ : يَا أَبَا بَكْرَ أَلَيْسَ هَذَا نَبِيُّ اللَّهِ حَقًّا . قَالَ : بَلِي . قَلَّتْ :
أَلْسِنَا عَلَى الْحَقِّ وَعَدْوَنَا عَلَى الْبَاطِلِ . قَالَ : بَلِي . قَلَّتْ : فَلِمْ نُعْطِيَ الدَّنِيَّةَ فِي دِيْنِنَا
إِذْنًا . قَالَ : أَيْهَا الرَّجُلُ إِنَّهُ لِرَسُولِ اللَّهِ وَلَيْسَ يَعْصِي رَبَّهُ وَهُوَ نَاصِرُهُ ، فَاسْتِمْسِكْ بِغَرْزِهِ
إِذْنًا . قَالَ الرَّجُلُ : إِنَّهُ عَلَى الْحَقِّ .

قَلَّتْ : أَلَيْسَ كَانَ يَحْدِثُنَا أَنَا سَنَانِي الْبَيْتَ وَنَطَوْفُ بِهِ ؟ قَالَ : بَلِي ، فَأَخْبُرْكَ أَنَّكَ
نَاتِيَهُ الْعَامَ . فَقَلَّتْ : لَا . قَالَ : فَإِنَّكَ آتَيْتَهُ وَمُطَوْفَ بِهِ .

قَالَ الزَّهْرِيُّ : قَالَ عُمَرُ : فَعَمِلْتُ لَذَلِكَ أَعْمَالًا .

قَالَ : فَلَمَا فَرَغَ مِنْ قَضِيَّةِ الْكِتَابِ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَصْحَابِهِ :
قَوْمٌ مَا فَلَحُوا ثُمَّ احْلَقُوا .

قال : فوالله ما قام منهم رجل ، حتى قال ذلك ثلث مرات ، فلما لم يقم منهم أحد دخل على أم سلمة فذكر لها مالقي من الناس ؟ فقالت أم سلمة : يابني الله أتحب ذلك ؟ اخرج ثم لا تكلم أحداً منهم كلة حتى تتحرر بذنك وتدعوا حالتك فيحلقك .

خرج فلم يكلم أحداً منهم حتى فعل ذلك : نحر بذنه ودعا حالقه خلقه ، فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا ، وجعل بعضهم يحلق بعضاً حتى كاد بعضهم يقتل بعضاً غمماً .

ثم جاءه نسوة مؤمنات فأنزل الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات هاجراتٍ فامتحنوهن » حتى بلغ « بعض الكوافر » فطلق عمر يومئذ أمرأتين كانتا له في الشرك . فتزوج إحداهما معاوية بن أبي سفيان والأخرى صفوان بن أمية .

ثم رجع النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، جاءه أبو بصير ، رجل من قريش ، وهو مسلم فأرسلوا في طلبه رجلين فقالوا : العهد الذي جعلت لنا . فدفعه إلى الرجلين ، فخرجوا به حتى بلغا ذا الخليفة ، فنزلوا يأكلون من تمر لهم ، فقال أبو بصير لأحد الرجلين : والله إني لأرى سيفك هذا يافلان جيداً . فاستله الآخر فقال : أجل والله إنه لجيد لقد جربت به ثم جربت . فقال أبو بصير : أرنى أنظر إليك . فأنكنته منه فضر به حتى برد وفرّ الآخر حتى أتى المدينة فدخل المسجد يمدو ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رآه : « لقد رأى هذا ذُوراً ». .

فلما انتهى إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال : قُتل والله صاحبي وإنى لم قتول . جاء أبو بصير فقال : يابني الله قد والله أوفى الله ذمتك ، قد رددتني إليهم ثم أنجاني الله منهم . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « وَيْلٌ أَمْهَا مَسْعَرَ حَرَبٍ لَوْ كَانَ لَهُ أَحَدٌ ! فلما سمع ذلك عرف أنه سيرده إليهم ، فخرج حتى أتي سيف البحر .

قال : وينقلت منهم أبو جندل بن سهيل بن عمرو فلتحق بأبي بصير ، فعل لا يخرج من قريش رجل قد أسلم إلا لحق بأبي بصير حتى اجتمعت منهم عصابة ، فوالله ما يسمعون

بعير خرجت لقريش إلى الشام إلا اعترضوا لها فقتلوهم وأخذوا أموالهم .

فأرسلت قريش إلى النبي صلى الله عليه وسلم تناشدته بالله والرحم لما أرسل إليهم فمن آناءه فهو آمن ، فأرسل النبي صلى الله عليه وسلم إليهم فأنزل الله تعالى : « وهو الذي كفَّ أيديهم عنكم وأيديكم عنهم يبطئ مكة من بعد أن أطْفَرْتُم عليهم » حتى بلغ : « المية حينة الجاهلية » .

وكانت حَيَّتِهِمْ أَنْهُمْ لَمْ يَقْرُءُوا أَنْهُ نَبِيُّ اللَّهِ ، وَلَمْ يَقْرُؤُوا بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ،
وَحَالُوا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْبَيْتِ .

فهذا سياق فيه زيادات وفوائد حسنة ليست في رواية ابن إسحاق عن الزهرى ، فقد رواه عن الزهرى عن جماعة منهم سفيان بن عيينة ومَعْمَرْ وَمُحَمَّدْ بن إسحاق ، كلهم عن الزهرى عن عروة عن مروان ومسور ، فذكر القصة .

* * *

وقد رواه البخارى في أول كتاب الشروط عن يحيى بن بُكْرِي ، عن الليث بن سعد ،
عن عُقَيْلَ عن الزهرى عن عروة عن مروان بن الحكم والمسور بن مخرمة ، عن
أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر القصة .

وهذا هو الأشبيه ، فإن مروان ومسوراً كانوا صغيرين يوم الحديبية ، والظاهر أنهما
أخذاه عن الصحابة رضي الله عنهم أجمعين .

وقال البخارى : حدثنا الحسن بن إسحاق ، حدثنا محمد بن سابق ، حدثنا مالك
بن مِغْوَل ، سمعت أبي حُصين قال : قال أبو وائل : لما قدم سُهيل بن حُنْيَفَ من صَفَّيْنَ
أتيناه نستخبره فقال : أتَهُمَا الرَّأْيَ ، فلقد رأَيْتُنِي يوم أبي جَنْدَلَ ولو أَسْتَطَعْتُ أَنْ أَرَدَّ
على رسول الله صلى الله عليه وسلم أَمْرَهُ لَرَدَدْتُ ، وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ، وَمَا وَضَعْنَا أَسِيَافَنَا

عن عوائقنا لأمر يُفْظِلُنَا إِلَّا أَسْهَلَنَا إِلَى أَمْرٍ نُرْفَهُ ، قبل هذا الأمر مانسُدٌ منها خُصْمًا
إِلَّا انفجر علينا خصم^(١) ما ندرى كيف نأْتَى له .

وقال البخارى : حدثنا عبد الله بن يوسف ، أخينا مالك ، عن زيد بن أسلم ، عن
أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسير في بعض أسفاره وكان عمر بن الخطاب
يسير معه ليلاً ، فسألته عمر بن الخطاب عن شيء فلم يجده رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم
سألته فلم يجده ، ثم سأله فلم يجده ، فقال عمر بن الخطاب : تكللت أمة يا عمر ، نَزَرتُ^(٢)
رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلث مرات كل ذلك لا يجيئك .

قال عمر : فحركت بعيرى ثم تقدمت أمام المسلمين ، وخشيت أن ينزل في قرآن ،
فما نَشِبْتُ أن سمعت صارخًا يصرخ بي ، قال : فقلت : لقد خشيت أن يكون نزل في قرآن ،
فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلمت عليه فقال : « لقد أنزلت على الديلة
سورة لمي أحَبْ إِلَى مما طلعت عليه الشمس » ثم قرأ : « إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مِبِينًا ».
قلت : وقد تكلمنا على سورة الفتح بكلماتها في كتابنا التفسير بما فيه كفاية والله الحمد
والمنة ، ومن أحب أن يكتب ذلك هنا فايقمل .

(١) الخصم : الجائب . ويريد بهذا الأمر : الفتنة التي حدثت بين علي ومعاوية .

(٢) نَزَرتُ : ألمححت عليه .

فصل في ذكر السرايا والبعوث

التي كانت في سنة ست من الهجرة

وتلخيص ذلك ما أورده الحافظ البهقي عن الواقدي :

في ربيع الأول منها أو الآخر بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عَكَاشَةَ بْنَ نُخْصَنَ فِي أَرْبَعينَ رَجُلًا إِلَى [غَرْوَ مَرْزُوقَ] ^(١) فَهَرَبُوا مِنْهُ وَنَزَلُوا عَلَى مِيَاهِهِمْ وَبَعْثَ فِي آنَارِهِمْ وَأَخْذَ مِنْهُمْ مَائِتَى بَعْدَ فَاسْتَاقُهَا إِلَى الْمَدِينَةِ .

وَفِيهَا كَانَ بَعْثَ أَبِي عَبِيدَةَ بْنَ الْجَرَاحَ إِلَى ذِي الْقَصَّةِ بِأَرْبَعينَ رَجُلًا أَيْضًا ، فَسَارُوا إِلَيْهِمْ مَشَاةً حَتَّى أَتَوْهَا فِي عِمَاءِ الصُّبْحِ ، فَهَرَبُوا مِنْهُ فِي رِءُوسِ الْجَبَالِ ، فَأَسْرَهُمْ مِنْهُمْ رَجُلًا فَقَدِمَ بِهِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبَعْثَهُ مُحَمَّدَ بْنَ مَسْلَمَةَ فِي عَشْرَةِ نَفَرٍ وَكَمْنَ الْقَوْمِ لَهُمْ حَتَّى بَاتُوا [فُقِتَلَ] ^(٢) [أَصْحَابُ مُحَمَّدَ بْنِ مَسْلَمَةَ كُلُّهُمْ وَأَفْلَتْ هُوَ جَرِيحاً .

وَفِيهَا كَانَ بَعْثَ زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ بَالْجَمُومَ ^(٣) فَأَصَابَ امْرَأَةً مِنْ مَزِينَةَ يُقَالُ لَهَا حَلِيمَةَ ، فَدَلَّتْهُمْ عَلَى مَحَلَّةِ مِنْ كَحَالَ بْنِ سَلِيمَ فَأَصَابُوهَا مِنْهَا نَعْمَاً وَشَاءَ وَأَسْرَوْهَا [جَمَاعَةُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ] ^(٤) وَكَانَ فِيهِمْ زَوْجُ حَلِيمَةَ هـذِهِ فَوَهَبَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَزَوْجِهِ وَأَطْلَقَهُمَا .

وَفِيهَا كَانَ بَعْثَ زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ أَيْضًا فِي جَمَادِيِّ الْأُولَى إِلَى بَنِي ثَعْلَبَةَ فِي خَمْسَةِ عَشَرِ رَجُلًا ، فَهَرَبَتْ مِنْهُ الْأَعْرَابُ ، فَأَصَابَ مِنْ نَعْمَهُمْ عَشْرَيْنَ بَعْدَ أَنْ رَجَعَ بَعْدَ أَرْبَعِ لَيَالٍ .

(١) سقطت من الأصل وأنبتها من المواهب . (٢) سقطت من الأصل .

(٣) الأصل : الجموم . وما أنبتها من المواهب . (٤) سقطت من الأصل وأنبتها من المواهب .

وفيها خرج زيدُ بن حارثة في جمادى الأولى إلى العيّص .

قال : وفيها أخذت الأموال التي كانت مع أبي العاص بن الربيع ، فاستجبار بزینب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأجارته .

وقد ذكر ابن إسحاق قصته حين أخذت العير التي كانت معه وقتل أصحابه وفرَّ هو من بينهم حتى قدم المدينة ، وكانت امرأته زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم قد هاجرت بعدَ بدر ، فلما جاء المدينة استجبار بها فأجارته بعد صلاة الصبح ، فأجاره لها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر الناس برد ما أخذوا من عيره ، فرددوا كلَّ شيء كانوا أخذوه منه حتى لم يفقد منه شيئاً ، فلما رجع بها إلى مكة وأدى إلى أهلها ما كان لهم معه من الودائع أسلم ، وخرج من مكة راجعاً إلى المدينة ، فردَّ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم زوجته بالنكاح الأول ولم يحدُث نكاحاً ولا عقداً كما تقدم بيان ذلك .
وكان بين إسلامه وهجرتها ستُّ سنين ، ويروى سنتين .

وقد يُبَيَّنَ أنَّه لا منافاة بين الروايتين ، وأنَّ إسلامه تأخر عن وقت تحريم المؤمنات على الكفار بستين ، وكان إسلامه في سنة ثمان في سنة الفتح لا كا تقدم في كلام الواقدي من أنه سنة ست . فالله أعلم .

وذكر الواقدي في هذه السنة أن دِحْيَة بن خالفة الْكَلْبِي أقبلَ من عند قيسِر ، قد أجازه بأموال وخلع ، فلما كان بمحشمي لقيه ناس من جذام فقطعوا عليه الطريق فلم يترکوا معه شيئاً ، فبعث إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم زيدَ بن حارثة أيضاً رضي الله عنه .

قال الواقدي : حدثني عبد الله بن جعفر ، عن يعقوب بن عتبة ، قال : خرج على رضي الله عنه في مائة رجل إلى أن نزل إلى حمى من بنى أسد بن بكر ، وذلك أنه بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لهم جماعاً يريدون أن يمددوا اليهود خيبر ، فسار إليهم بالليل

وَكَمْ بِالنَّهَارِ وَأَصَابَ عَيْنَاهُمْ ، فَأَقْرَءَ لَهُ أَنَّهُ بُعْثَتْ إِلَى خَيْرٍ يُعْرَضُ عَلَيْهِمْ عَلَى أَنْ يَجْعَلُوا
لَهُمْ تَمَرٌ خَيْرٌ .

قال الواقدي رحمه الله تعالى : وفي سنة ست في شعبان كانت سرية عبد الرحمن بن عوف إلى دومة الجندل وقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن هم أطاعوا فتزوج بنت ملكهم ، فأسلم القوم وتزوج عبد الرحمن بنت ملكهم تماضر بنت الإصبع الكلبية ، وهي أم أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف .

* * *

قال الواقدي : في شوال سنة ست كانت سرية كُرزَ بن جابر الفهري إلى العرنين
الذين قتلوا راعي رسول الله صلى الله عليه وسلم واستاقوا اللَّامَ ، فبعث رسول الله صلى الله
عليه وسلم في آثارهم كرزَ بن جابر في عشرين فارساً فردوهم .

وكان من أمرهم ما أخرجه البخاري ومسلم ، من طريق سعيد بن أبي عروبة ، عن
قتادة ، عن أنس بن مالك ، أن رهطاً من عكل وعرينة - وفي رواية : من عكل أو
عرينة - أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : يا رسول الله إنا ناسٌ أهل ضرع ،
ولم نسكن أهل ريف فاستوَخْنَا المدينة . فأمر لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بدَودَ^(١)
وراعٍ ، وأمرهم أن يخرجوا فيه فنشربوا من ألبانها وأبواها ، فانطلقوا حتى إذا
 كانوا بناحية الحرثة قتلوا راعي رسول الله صلى الله عليه وسلم واستاقوا الذَّوْدَ
وكفروا بعد إسلامهم ، فبعث النبي صلى الله عليه وسلم في طلبهم ، فأمر بهم قطع
أيديهم وأرجلهم وسمَّ^(٢) أعينهم وتركتهم في الحرثة حتى ماتوا وهم كذلك .

قال قتادة : فبلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا خطب بعد ذلك حضَّ

على الصدقة ونهى عن المثلثة .

(١) النَّدُودُ : القطبيع من الإبل بين الثلث إلى العشر . (٢) سُمَّ : فَقَا .

وهذا الحديث قد رواه جماعة عن قتادة ورواه جماعة عن أنس بن مالك .
وفي رواية مسلم عن معاوية بن قرعة عن أنس ، أن نفراً من عربة أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلموا وبايعوه ، وقد وقع في المدينة الموم – وهو البرسأم ^(١) – فقالوا :
هذا الموم قد وقع يارسول ، لو أذنت لنا فرجعنا إلى الإبل . قال : نعم فاخروا فكونوا فيها . نخرجوا فقتلوا الراعيin وذهبوا بالإبل .

وعنده : سار من الأنصار قريباً عشرين فأرسلهم إليهم وبعث معهم قائماً يقتصر
أثربهم ، فأتى بهم قطع أيديهم وأرجلهم وسرعانهم .

وفي صحيح البخاري من طريق أبوب ، عن أبي قلابة ، عن أنس ، أنه قال :
قدم رهط من عكل فأسلموا واجتووا المدينة ، فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فذروا ذلك له فقال : الحقوا بالإبل واشربوا من أبوابها وألبانها . فذهبوا و كانوا فيها
ماشاء الله ، فقتلوا الراعي واستأتوا بالإبل بباء الصريح إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
فلم ترتفع الشمس حتى آتى بهم فامر بمسامير فأحیت فسكواهم بها وقطع أيديهم وأرجلهم ،
وألقاهم في الحرارة يستسقون فلا يُسقون حتى ماتوا ولم يَجْنِهم .

وفي رواية عن أنس قال : فلقد رأيت أحدهم يَكْدُم الأرضَ بفيه من العطش .
قال أبو قلابة : فهؤلاء قتلوا وسرقوا وكفروا بعد إيمانهم وحاربوا الله ورسوله
صلى الله عليه وسلم .

وقد روی البیهقی من طريق عمان بن أبي شيبة ، عن عبد الرحمن بن سليمان ، عن
محمد بن عبید الله ، عن أبي الزییر ، عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بعث
في آثارهم قال : اللهم عمّ عليهم الطريق ، واجعلها عليهم أضيق من مَنَك جل ،
قال : فعمّ الله عليهم السبيل ، فأدركوا فاتني بهم ، قطع أيديهم وأرجلهم وسلم أعينهم .
وفي صحيح مسلم : إنما سلمهم لأنهم سملوا أعين الرعاء .

(١) البرسأم : ذات الجنب . وهو التهاب في الفشاء المحيط بالرئة .

فصل فيما وقع من الحوادث في هذه السنة

أعني سنة ست من المجرة .

فيها نزل فرض الحج ، كا قرره الشافعى رحمه الله زمن الحدبىة فى قوله تعالى
« وأنتموا الحجّ والعمرّة لله ». .

ولهذا ذهب إلى أن الحج على التراخي لا على الفور ، لأنه صلى الله عليه وسلم لم يحج
إلا في سنة عشر .

وخلاله الثلاثاء مالك وأبو حنيفة وأحمد ، فعندهم أن الحج يجب على كل من استطاعه
على الفور ، وמנعوا أن يكون الوجوب مستفاداً من قوله تعالى : « وأنتموا الحجّ
والعمرّة لله » وإنما في هذه الآية الأمر بالإلتام بعد الشروع فقط ، واستدلوا بأدلة قد
أوردننا كثيراً منها عند تفسير هذه الآية من كتابنا التفسير والله الحمد والمنة بما
فيه كفاية .

وفي هذه السنة حرمت المسالات على المشركين ، تخصيصاً لعموم ما وقع به الصلح
عام الحدبىة على أنه لا يأتيك من أحد وإن كان على دينك إلا ردّته علينا ، فنزل
قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله أعلم
بما يعانيهن ، فإن علمنتهن مؤمنات فلا ترجموهن إلى الكفار ، لاهن حل لهم ولا م
يخلون لهن » الآية .

وفي هذه السنة كانت غزوة المرئسيع التي كان فيها قصة الإفك ونزول براءة
أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها كما تقدم .

وفيها كانت عمرة الحدبىة ، وما كان من صد المشركين رسول الله صلى الله عليه
 وسلم ، وكيف وقع الصلح بينهم على وضع الحرب بينهم عشر سنين ، فأمين الناس فيهن

بعضهم بعضاً ، وعلى أنه لا إغلال ولا إسلام . وقد تقدم كل ذلك مبسوطاً في أماكنه
ولله الحمد واللهم . وولي الحجّ في هذه السنة المشركون .

قال الواقدي : وفيها في ذى الحجة منها بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ستة
نفر مصطحبين حاطب بن أبي بلقة إلى الموقس صاحب الإسكندرية . وشجاع بن وهب
ابن أسد بن جذيمة شهد بدرًا إلى الحارث بن أبي شمر الغساني يعني ملك عرب النصارى ،
ودحية بن خليفة الكلبي إلى قيصر ، وهو هرقل ملك الروم ، وعبد الله بن حذافة
السمعي إلى كسرى ملك الفرس ، وسلط بن عمرو العامري إلى هوندة بن على الحنفي ،
وعرو بن أمية الضمرى إلى النجاشى ملك النصارى بالحبشة وهو أحمة بن المحرّ .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سنة سبع من الهجرة

غزوة خير في أولها

قال شعبة عن الحكم ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلٍ في قوله : « وأنا بهم فتحاً قريباً » قال : خير .

وقال موسى بن عقبة : لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحديبية مكتـ عشرـين يومـاً أو قريـباً من ذلك ثم خـرج إـلـى خـيرـ، وـهـيـ التـيـ وـعـدـهـ اللهـ إـيـاهـاـ . وـحـكـيـ مـوـسـىـ عـنـ الزـهـرـيـ أـنـ اـفـتـاحـ خـيرـ فـيـ سـنـةـ سـتـ وـالـصـحـيـحـ أـنـ ذـلـكـ فـيـ أـوـلـ سـنـةـ سـبـعـ كـاـفـدـنـاـ .

قال ابن إسحاق : ثـمـ أـفـاقـ رسولـ اللهـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ بـالـمـدـيـنـةـ حـينـ رـجـعـ مـنـ الحـدـيـبـيـةـ ذـاـ الـحـجـةـ وـبـعـضـ الـحـرـمـ ، ثـمـ خـرـجـ فـيـ بـقـيـةـ الـحـرـمـ إـلـىـ خـيرـ .

وقال يونس بن بـُكـيرـ عنـ مـوـهـبـ عنـ مـوـهـبـ بنـ إـسـحـاقـ عنـ الزـهـرـيـ ، عنـ عـرـوـةـ عـنـ مـرـوـانـ وـالـشـورـ قـالـاـ : اـنـصـرـ فـرـسـنـ رـسـوـلـ اللهـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ عـامـ الـحـدـيـبـيـةـ فـزـلـتـ عـلـيـهـ سـوـرـةـ الـفـتـحـ بـيـنـ مـكـةـ وـالـمـدـيـنـةـ ، فـقـدـمـ الـمـدـيـنـةـ فـيـ ذـيـ الـحـجـةـ فـأـقـامـ بـهـاـ حـتـىـ سـارـ إـلـىـ خـيرـ فـزـلـ بـالـرـجـيمـ : وـادـ بـيـنـ [خـيرـ وـ] غـطـفـانـ فـتـخـوـفـ أـنـ تـنـدـمـ غـطـفـانـ ، حـتـىـ أـصـبـحـ فـدـاـ عـلـيـهـمـ .

قال البهـقـ : وـبـعـنـاءـ روـاهـ الـوـاقـدـيـ عـنـ شـيـوخـهـ فـيـ خـروـجـهـ أـوـلـ سـنـةـ سـبـعـ مـنـ الـهـجـرـةـ .

وقال عبد الله بن إدريس : عن إسحاق ، حَدَّثَنِي عبد الله بن أبي بكر ، قال : لما كان افتتاح خير في عقب المحرم ، وقدم النبي صلى الله عليه وسلم في آخر صفر .
قال ابن هشام : واستعمل على المدينة نُمَيْلَةً بن عبد الله اليماني .

وقد قال الإمام أحمد : حَدَّثَنَا عَفَانُ ، حَدَّثَنَا وَهِيبٌ ، حَدَّثَنَا خُثْبَيْمٌ يعني ابن عراك ، عن أبيه أن أبا هريرة قدم المدينة في رهط من قومه والنبي صلى الله عليه وسلم في خير وقد استخلف سباع بن عرفة يعني الغطفانى على المدينة . قال : فأنهيت إليه وهو يقرأ في صلاة الصبح في الركعة الأولى كم يغضض وفي الثانية ويل للمطففين ، فقلت في نفسي : ويل لفلان إذا اكتال [اكتال] بالواو فإذا كال كال بالناقص .

قال : فلما صلى رددنا شيئاً حتى أتيتنا خير وقد افتتح النبي صلى الله عليه وسلم خير ، قال : فكلم المسلمين فأشركونا في سهامهم .

وقد رواه البهقى من حديث سليمان بن حرب ، عن وهيب ، عن خثيم بن عراك ، عن أبيه عن نفر من بني غفار قال : إن أبا هريرة قدم المدينة فذكره .

* * *

قال ابن إسحاق : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين خرج من المدينة إلى خير سلك على عصر وبني له فيها مسجداً ثم على الصهباء ، ثم أقبل بجيشه حتى نزل به بواد يقال له الرجيع ، فنزل بينهم وبين غطفان ، ليحول بينهم وبين أن يُمْدُوا أهل خير ، كانوا لهم مظاهرين على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبلغنى أن غطفان لما سمعوا بذلك جعوا ثم خرجو ليظاهروا اليهود عليه ، حتى إذا ساروا منقلة سمعوا خلفهم في أمواهم وأهليهم حسماً ، ظنوا أن القوم قد خالفوا إليهم فرجعوا على أعقابهم فأقاموا في أمواهم وأهليهم وخلوا بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين خير .

وقال البخارى : حَدَّثَنَا عبد الله بن مَسْلَمَةَ ، عن مالك ، عن يحيى بن سعيد ، عن

بشير أن سويد بن النعسان أخبره أنه خرج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عام خيبر حتى إذا كانوا بالصهباء - وهي من أدنى خيبر - صلى العصر ثم دعا بالأزواد فلم يؤت إلا بالسوق فأمر به فتري فـأـكـلـوـاـ فـأـكـلـنـاـ : ثم قام إلى المغرب فمضمض ثم صلى ولم يقوضا .

* * *

وقال البخاري : حدثنا عبد الله بن مسلمة ، حدثنا حاتم بن إسماعيل ، عن يزيد بن أبي عبيد ، عن سلمة بن الأكوع قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى خيبر فسرنا ليلا فقال رجل من القوم لعاص : يا عاص لا تسمعنا من هنئياتك ؟ وكان عاص رجلا شاعراً . فنزل يحدو بالقوم يقول :

لـاـهـمـ لـوـلـاـ أـنـتـ مـاـ اـهـتـدـيـنـاـ وـلـاـ تـصـدـقـنـاـ وـلـاـ صـلـيـنـاـ

فـاغـفـرـ فـدـاءـ لـكـ مـاـ بـقـيـنـاـ وـلـقـيـنـ سـكـيـنـةـ عـاـيـنـاـ

وـثـبـتـ الـأـقـدـامـ إـنـ لـاقـيـنـاـ إـنـاـ إـذـاـ صـبـحـ بـنـاـ أـبـيـنـاـ

وـبـالـصـيـاحـ عـوـلـاـ عـلـيـنـاـ

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من هذا السائق ؟ قالوا : عامر بن الأكوع قال : يرحمه الله ! قال رجل من القوم : وجبت يابني الله لولا أمتعمقنا به !

فأتينا خيبر فناصرناه حتى أصابتنا نحصة شديدة . ثم إن الله فتحها عليهم فلما أمسى الناس مساء اليوم الذي فتحت عليهم أودعوا نيرانا كثيرة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما هذه النيران على أي شيء توقدون ؟ قالوا : على حم . قال : على أي حم ؟ قالوا : على الحمر الإنسية . قال النبي صلى الله عليه وسلم : أهريقوها وأكسروها . فقال رجل : يا رسول الله أو نهرقها ونغلصلها ؟ فقال : أو ذاك . فلما تصف الناس كان سيف عامر قصيراً فتناول به ساق يهودي ليضربه فيرجع ذباب سيفه فأصاب عين ركبة عامر فمات منه ، فلما قفلوا قال سلمة : رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو آخر بيدي قال : مالك ؟ قلت : فدك أبي وأمي

زعموا أن عامراً حبط عمله . قال النبي صلى الله عليه وسلم : كذب من قاله ، إن له لأجرين
وجمع بين إصبعيه - إنه لجاهد مجاهد قل عرى مشى بها مثله .

ورواه مسلم من حديث حاتم بن إسماعيل وغيره عن يزيد بن أبي عبيد مثله . ويكون
[مثله] منصوباً على الحالية من نكارة ، وهو سائق إذا دلت على تصحيف معنى ، كما جاء في
الحديث « فصلى وراءه رجال قياما » .

* * *

وقد روى ابن إسحاق قصة عامر بن الأكوع من وجه آخر فقال : حدثني محمد بن
إبراهيم بن الحارث التميمي ، عن أبي الهيثم بن نصر بن دهر الأسلمي ، أن أباه حدثه أنه
سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في مسيره إلى خيبر امام بن الأكوع ؛ وهو عم
سلمة بن عمرو بن الأكوع : « انزل يابن الأكوع نفذ لنا من هناتك ». قال : فنزل يرتجز
لرسول الله صلى الله عليه وسلم :

وَاللَّهُ لَوْلَا اللَّهُ مَا اهْتَدِينَا وَلَا تَصَدَّقْنَا وَلَا صَلَّيْنَا
إِنَّا إِذَا قَوْمٌ بَغَوا عَلَيْنَا وَإِنْ أَرَادُوا فَتْنَةً أَبْيَنَا
فَأَنْزَلْنَاهُ سَكِينَةً عَلَيْنَا وَثَبَّتَ الْأَقْدَامَ إِنْ لَاقَنَا

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يرحمك ربك . فقال عمر بن الخطاب :
وجبت يارسول الله لرأمة قتانا به . فقتل يوم خيبر شهيداً . ثم ذكر صفة قتله كنحو
ما ذكره البخاري .

قال ابن إسحاق : وحدثني من لأتهم عن عطاء بن أبي مروان الأسلمي ، عن أبيه
عن أبي معقب بن عمرو ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أشرفَ على خيبر قال لأصحابه
وأنا فيهم : قفو ، ثم قال : « اللهم رب السموات وما أظلَّانَ ورب الأرضين وما أفلَانَ ،
ورب الشياطين وما أضلَّانَ ، ورب الرياح وما أذرَانَ ، فإننا نسألك خير هذه القرية

وخير أهلها وخير مافيها ، وننحوذ بك من شرها وشر أهلها وشر مافيها ، أقدموا
بسم الله » .

وهذا حديث غريب جداً من هذا الوجه .

وقد رواه الحافظ البهقى ، عن الحكم ، عن الأصم ، عن العطاردى ، عن بونس
ابن بَكَير ، عن إبراهيم بن إسماعيل بن جمع ، عن صالح بن كيسان ، عن أبي مروان
الأسنمى ، عن أبيه عن جده قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى خيبر حتى
إذا كنا قريباً وأشرفنا عليها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس : قفوا . فوقف الناس
فقال : « اللهم رب السموات السبع وما أظللن ، ورب الأرضين السبع وما أفللن ، ورب
الشياطين وما أضللن ، فإنما نسألك خيراً هذه القرية وخير أهلها وخير مافيها وننحوذ بك من
شر هذه القرية وشر أهلها وشر مافيها ، أقدموا بسم الله الرحمن الرحيم » .

* * *

قال ابن إسحاق : وحدثني من لأتهم ، عن أنس بن مالك قال : كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم إذا غزا قوماً لم يغز عليهم حتى يصبح ، فإن سمع أذاناً أمسك وإن لم
يسمع أذاناً أغار ، فنزلنا خيراً ليلاً فبات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أصبح لم
يسمع أذاناً ، فركب وركبنا معه وركبت خلف أبي طلحة وإن قدmi لتمس قدم رسول
الله صلى الله عليه وسلم ، واستقبلنا عمالاً خيراً غادين قد خرجوا بمساحتهم ومكتانهم ،
فلم رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم والجيش قالوا : محمد والجيش معه ! فأذربوا هرآباً ،
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الله أكب خربت خيراً ، إنما إذا نزلنا بساحة قوم
فساء صباح المندرين .

قال ابن إسحاق : حدثنا هرون عن حميد عن أنس بنثله .

وقال البخارى : حدثنا عبد الله بن يوسف ، حدثنا مالك ، عن حميد الطويل ، عن

أنس بن مالك أن رسول الله أتى خيبر ليلاً وكان إذا أتى قوماً بليل لم يغُرْ بهم حتى يصبح ، فلما أصبح خرجت اليهود بمساهماتهم ومكتالمهم ، فلما رأوه قالوا : محمد والله ، محمد والخليص ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : خربت خيبر ، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين .

تفرد به دون مسلم .

وقال البخاري : حدثنا صدقة بن الفضل ، حدثنا أبو عينية ، حدثنا أيوب ، عن محمد بن سيرين ، عن أنس بن مالك ، قال : صبحنا خيبر بكرةً فخرج أهلها بالمساجي ، فلما بصروا بالنبي صلى الله عليه وسلم قالوا : محمد والله ، محمد والخليص ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الله أكبر خربت خيبر ، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين . قال : فأصبينا من لحوم الحمر فنادى النبي صلى الله عليه وسلم : إن الله ورسوله ينهيانكم عن لحوم الحمر فإنها رجس .

تفرد به البخاري دون مسلم .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا معمر ، عن قتادة ، عن أنس ، قال : لما أتى النبي صلى الله عليه وسلم خيبر فوجدهم حين خرجوا إلى زرعهم ومساهمتهم ، فلما رأوه ومعه الجيش نكصوا فرجعوا إلى حصونهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم : الله أكبر خربت خيبر ، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين .

تفرد به أحمد وهو على شرط الصحيحين .

وقال البخاري : حدثنا سليمان بن حرب ، حدثنا حماد بن زيد ، عن ثابت ، عن أنس بن مالك قال صلى رسول الله عليه وسلم الصبحَ قريباً من خيبر بفالس ، ثم قال : الله أكبر خربت خيبر إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين .

خرجوا يسعون بالسلك فقتل النبي صلى الله عليه وسلم المقاتلة وسيَّ الذرية

وكان في النبي صفة ، فصارت إلى دحية الكلبي ، ثم صارت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فجعل عتقها صداقها .

قال عبد العزيز بن صهيب ثابت : يا أبا محمد ، أأنت قلت لأنس : ما أصدقها ؟
ففرأك ثابت رأسه تصديقاً له . تفرد به دون مسلم . وقد أورد البخاري ومسلم النهي عن
لهم الحرم الأهلية من طرق تذكرة في كتاب الأحكام .

* * *

وقال الحافظ البهقى : أَنْبَأَنَا أَبُو طَاهِرَ الْفَقِيهِ ، أَنْبَأَنَا خَطَابَ بْنَ أَحْمَدَ الطُّوسِيِّ ،
حدَثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ حَمِيدَ الْأَبْيُورِدِيِّ ، حدَثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْفَضْلِ ، عنْ مُسْلِمٍ الْأَعْوَرِ الْمَلَائِيِّ ، عنْ
أَنْسٍ بْنِ مَالِكٍ ، قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعُودُ الْمَرِيضَ وَيَتَبعُ الْجَنَائِزَ
وَيَحِبُّ دُعَوةَ الْمَلُوكِ وَيَرْكِبُ الْحَمَارَ ، وَكَانَ يَوْمَ بْنِ قَرِيظَةَ وَالنَّصِيرِ عَلَى حَمَارٍ ، وَيَوْمَ خَيْرِ
عَلَى حَمَارٍ مَخْطُومٍ بِرَسَنٍ لَيفٍ وَتَحْتَهُ إِكَافٌ مِنْ لَيفٍ .

وقد روی هذا الحديث بقامة الترمذى ، عن علی بن حجر ، عن علی بن مُسْهَر ،
وابن ماجة ، عن محمد بن الصباح ، عن سفيان ، وعن عمر بن رافع عن جریر ، كلهم عن
مسلم ، وهو ابن كيسان الملائي الأعور الـکوفى ، عن أنس به . وقال الترمذى : لا نعرف
إلا من حديثه وهو يضعف

قلت : والذى ثبت في الصحيح عند البخارى عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أجرى في رفاق خير حتى انكسر الإزار عن نفذه ، فالظاهر أنه كان يومئذ على فرس لا على حمار .

ولعل هذا الحديث إن كان صحيحًا محمول على أنه ركبه في بعض الأيام وهو محاصرها . والله أعلم .

وقال الإخاري : حدثنا محمد بن سعيد المخزاعي ، حدثنا زياد بن الريبع ، عن

أبي عمران الجوني ، قال : نظر أنس إلى الناس يوم الجمعة فرأى طيالسة فقال : كأنهم الساعة يهود خيبر .

وقال البخاري : حدثنا عبد الله بن مسلمة ، حدثنا حاتم ، عن يزيد بن أبي عبيد ، عن سلمة بن الأكوع قال : كان على بن أبي طالب مختلفاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في خيبر وكان رمداً ، فقال : أنا مختلف عن النبي صلى الله عليه وسلم ؟ فلحق به .

فَلَمَّا بَيْتُنَا الْلَّيْلَةَ الَّتِي فُتُحَتْ خَيْبَرَ قَالَ : لَا تُعْطِينَ الرَايَةَ غَدَّاً ، أَوْ لَيَأْخُذُنَّ الرَايَةَ غَدَّاً ، رَجُلٌ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُفْتَحُ عَلَيْهِ . فَنَحْنُ تَرْجُوهَا ، فَقَبِيلٌ : هَذَا عَلَيْهِ . فَأَعْطَاهُ فُتُحَتْ خَيْبَرَ عَلَيْهِ .

وروى البخاري أيضاً ومسلم عن قتيبة عن حاتم به .

ثم قال البخاري : حدثنا قتيبة ، حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن ، عن أبي حازم قال : أخبرني سهل بن سعد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم خيبر : لاعطين هذه الرایة غداً رجلاً يفتح الله على يديه يحب الله ورسوله ويحب الله ورسوله . قال : فبات الناس يدوكون^(١) ليتهم أية يعطاهما ، فلما أصبح الناس غدووا على النبي صلى الله عليه وسلم كلهم يرجو أن يعطاهما ، فقال : أين على بن أبي طالب ؟ فقالوا : هو يا رسول الله يشتكى عينيه . قال : فأرسل إليه فأتى ، فقص رسول الله صلى الله عليه وسلم في عينيه ودعاه ، فبرا حتى كان لم يكن به وجع ، فأعطاه الرایة ، فقال على : يا رسول الله أقاتهم حتى يكونوا مثلنا ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : أ Ferd على رسليك حتى تنزل بساحتهم ، ثم ادعهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يحب عليهم من حق الله تعالى فيه ، فوالله لأن يهدى الله بك رجالاً واحداً خيراً لك من أن يكون لك حمر النعم .

(١) يدوكون : يختلفون ويسألون .

وقد رواه مسلم والنسائي جميعاً عن قتيبة به .

وفي صحيح مسلم والبيهقي من حديث سُهيل بن أبي صالح، عن أبيه، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لاعطين الرأبة غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يفتح الله عليه ». .

قال عمر : فما أحببت الإمارة إلا يومئذ !

فدعى علياً فبعشه ثم قال : « اذهب فقاتل حتى يفتح الله عليك ولا تلتفت » قال على : على ما أقاتل الناس ؟ قال : قاتلهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، فإذا فعلوا ذلك فقد منعوا منها دماءهم وأموالهم إلا بحقها ، وحسابهم على الله ». .

لفظ البخاري .

* * *

وقال الإمام أحمد : حدثنا مصعب بن المقدام وجحش بن المنفي ، قالا : حدثنا إسرايل ، حدثنا عبد الله بن عصمة العجلي ، سمعت أبا سعيد الخدري رضي الله عنه يقول : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ الرأبة فهزّها ثم قال : من يأخذها بحقها ؟ فجاء فلان فقال : أنا . قال : امض . ثم جاء رجل آخر فقال : امض . ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم : « والذى كرم وجه محمد لاعطينها رجلاً لا يفر » فقال : هاك يا على .

فانطلق حتى فتح الله عليه خير وفدى و جاء بعجوبتها وقد يدها .

تفرد به أحمد وإسناده لا بأس به ، وفيه غرابة .

وعبد الله بن عصمة ، ويقال ابن أعصم ، وهكذا يكتفى بأبي علوان العجلي ، وأصله من اليمامة سكن السکوفة ، وقد وثقه ابن معين ، وقال أبو زرعة : لا بأس به ، وقال

أبو حاتم : شيخ . وذكره ابن حبّان في النقوص ، وقال : ينطوي كثيراً . وذكره في الضعفاء ، وقال : يحدث عن الأئمّات ما لا يُشبهه حديث النقوص حتى يسبق إلى القلب أنها موهومة أو موضوعة .

وقال يونس بن بُكير عن محمد بن إسحاق : حدثني بُريدة بن سفيان بن فروة الأسلمي ، عن أبيه ، عن سلمة بن عمرو بن الأكوع رضي الله عنه قال : بعث النبي صلى الله عليه وسلم أبا بكر رضي الله عنه إلى بعض حصون خيبر ، فقاتل ثم رجع ولم يكن فتح وقد جهد .

ثم بعث عمر رضي الله عنه فقاتل ثم رجع ولم يكن فتح . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لاعطين الراية غداً رجلاً يحبه الله ورسوله ويحب الله ورسوله ، يفتح الله على يديه ، وليس بغيره .

قال سلمة : فدعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبي طالب رضي الله عنه ، وهو يومئذ أرمد ، فتغل في عينيه ثم قال : « خذ الراية وامض بها حتى يفتح الله عليك » .

خرج بها والله يأنفع^(١) يهرول هرولة ، وإنما خلفه تتبع أثره ، حتى رکز رايته في رضم^(٢) من حجارة تحت الحصن ، فاطلع يهودي من رأس الحصن فقال : من أنت ؟ قال : أنا على بن أبي طالب . فقال اليهودي : غلبتكم وما أنزل على موسى . فارجع حتى فتح الله على يديه .

وقال البهقي : أَبْنَا نَالْحَمِكَ، أَبْنَا الْأَصْمَ، أَبْنَا الْعَطَارِدَيَّ، عن يونس بن بُكير ، عن الحسين بن واقد ، عن عبد الله بن بُريدة ، أخبرني أبي ، قال : لما كان يوم خيبر أخذ اللواء

(١) يأنفع : من لأنجح وهو علو النفس من شدة العدو . وتروى : يصلو .

(٢) الرضم : حجارة بعضها فوق بعض ، من غير بناء .

أبو بكر ، فرج و لم يفتح له ، و قُتل محمود بن مسلمة و رجع الناس .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لأدفعن لوائى غداً إلى رجل يحب الله و رسوله ويحبه الله و رسوله ، لن يرجع حتى يفتح الله له » ^(١) فبئنا طيّمة نفو سناً الفتح غداً ، فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الغدرا ، ثم دعا باللواء وقام قائماً ، فما من رجل له منزلة من رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا وهو يرجو أن يكون ذلك الرجل ، حتى تطاولت أنا لها ورفعت رأسى لمنزلة كانت لي منه ، فدعى على بن أبي طالب وهو يشتكى عينيه . قال : فسحها ثم دفع إليه اللواء ففتح له ، فسمعت عبد الله بن بُريدة يقول : حدثني أبي أنه كان صاحب مرحباً .

قال يونس : قال ابن إسحاق : كان أول حصون خير فتحاً حصن ناعم ، وعندئ قُتل محمود بن مسلمة ألقيت عليه رحى منه فقتلته .

* * *

ثم روى البيهقي ، عن يonus بن بكير ، عن المسيب بن مسلمة الأزدي ، حدثنا عبد الله بن بُريدة ، عن أبيه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ربما أخذته الشَّقِيقَة ^(٢) فلبيث اليوم واليومين لا يخرج ، فلما نزل خير أخذته الشَّقِيقَة فلم يخرج إلى الناس ، وإن أبي بكر أخذ رأيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم هرث فقاتل قتالاً شديداً ثم رجع فأخذها عمر فقاتل قتالاً شديداً هو أشد من القتال الأول ثم رجع ، فأخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « لأعطيها غداً [رجالاً] يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يأخذها عنوة » وليس ثم فقال : « لأعطيها غداً [رجالاً] يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يأخذها عنوة » وليس ثم على ^٣ فتطاولت لها قريش ، ورجا كلُّ رجل منهم أن يكون صاحب ذلك ، فأصبح وجاء على بن أبي طالب على بغير له حتى أناخ قريباً وهو أرمد قد عصب عينيه بشقة بُرْد

(١) الشَّقِيقَة : وجع يأخذ نصف الرأس والوجه .

قطري ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مالك ؟ قال : رمذ بعده . قال : ادنْ مني . فتقل في عينه فما وجمعها حتى مضى لسيله .

نُمْ أَعْطَاهُ الرَايَةَ فَهَبَّ بِهَا وَعَلَيْهِ جَبَّةُ أَرْجُوْنِ حَرَاءَ قَدْ أَخْرَجَ خَلْمَهَا ، فَأَتَى مَدِينَةَ خَيْرٍ وَخَرَجَ مَرَحَّبَ صَاحِبَ الْحَصْنِ وَعَلَيْهِ مِغْفَرٌ يَمَانِي وَحَجَرٌ قَدْ ثَقَبَهُ مَثْلَ الْبَيْضَةِ عَلَى رَأْسِهِ وَهُوَ يَرْجِزُ وَيَقُولُ :

قَدْ عَلِمْتُ خَيْرًا أَنِّي مَرَحَّبٌ شَاكِّ سَلاَحِي بَطَلُّ مَجَرَّبٍ
إِذَا الْلَّيْوَثُ أَقْبَلَتْ تَلَهَبَتْ وَأَحْجَمَتْ عَنْ صَوْلَةِ الْمَلَبَّ
فَقَالَ عَلَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

أَنَا الَّذِي سَمَّنَى أَئِي حَيْدَرَهُ كَلِيَّثُ غَابَاتٍ شَدِيدَ الْقَسْوَرَهُ
أَكِيلَكُمْ بِالصَّاعِ كَيْلَ السَّنَدَرَهُ^(١)

قال : فاختلفا ضربتين ، فبدره على بصرة فقد الحجر والمفتر ورأسه ، ووقع في الأرضاس ، وأخذ المدينة .

* * *

وقد روی الحافظ البزار عن عباد بن يعقوب ، عن عبد الله بن بكر ، عن حکيم ابن جعیر ، عن سعید بن جعیر ، عن ابن عباس قصة بعث أبي بكر ثم عمر يوم خير ثم بعث على فكان الفتح على يديه . وفي سياقه غرابة ونكارة وفي إسناده من هو متهم بالتشيع . والله أعلم .

وقد روی مسلم والبيهقي واللفظ له ، من طريق عكرمة بن عمارة ، عن إيس بن سلامة ابن الأكوع عن أبيه ، فذكر حدیثاً طويلاً وذكر فيه رجوعهم عن غزوة بنی فزاره . قال : فلم يمكث إلا ثلاثة حتى خرجنا إلى خير . قال : وخرج عامر بخل يقول :

(١) السندرة : ضرب من الكيل غراف جراف .

وَاللَّهُ لَوْلَا أَنْتَ مَا اهتَدَيْنَا وَلَا تَصْدِقُنَا وَلَا صَلَّيْنَا
وَنَحْنُ مِنْ فَضْلِكَ مَا اسْتَفْنَيْنَا فَأَنْزَلْنَا سَكِينَةً عَلَيْنَا
وَثَبَّتَ الْأَقْدَامَ إِنْ لَاقَنَا

قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من هذا القائل ؟ فقالوا : عامر . فقال :
غفر لك ربك . قال : وما خص رسول الله صلى الله عليه وسلم فقط أحدا به إلا استشهد .
قال عمر وهو على جمل : لو لا متعتنا بعامر !

قال : فقدمنا خيبر نخرج مرحبا وهو يخترط بسيفه ويقول :
قد علمت خيبرأني مرحبا شاكى السلاح بطل مجرّب
إذا الحروب أقبلت تائب

قال : فبرز له عامر رضي الله عنه وهو يقول :
قد علمت خيبراً أنى عامراً شاكى السلاح بطل مغامر
قال : فاختلافا ضربتين ، فوقع سيف مرحبا في قدم عامر فذهب يَسْعَلْه^(١) ، فرجع
على نفسه فقطع أكماله فكانت فيها نفسه .

قال سلمة : نخرجت فإذا نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون : بطل
عمل عامر قتل نفسه !

قال : فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أبكى فقال : مالك ؟ فقلت :
قالوا : إن عامراً بطل عمله . فقال : من قال ذلك ؟ فقلت : نفر من أصحابك . فقال :
كذب أولئك ، بل له الأجر مررتين .

قال : وأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى على رضي الله عنه يدعوه وهو
أزمد وقال : لأعطيين الرایة اليوم رجلا يحب الله ورسوله . قال : فجئت به أقوده . قال :
فبصق رسول الله صلى الله عليه وسلم في عينيه فبرا ، فأعطاه الرایة ، فبرز مرحبا وهو يقول :

(١) يَسْعَل : ينشط .

قد علمتْ خَيْرُ أَنِي مَرْحَبُ
شاكِي السلاح بطلٌ مَجْرَبُ
إذا الحروب أقبلت تلهبُ

قال : فبرز له على وهو يقول :

أَنَا الَّذِي سَمَّنَتِي أُمِّي حَمَدْرَه كَلِيلُ غَابَاتِ
أَوْفِيهِمْ بِالصَّاعِ كَلِيلُ السَّنَدَرَه

قال : فضرب مرحبا ففلق رأسه فقتله . وكان الفتح .

هكذا وقع في هذا السياق أن علياً هو الذي قتل مرحبا اليهودي لعنده الله .

وقال أَحْمَدُ : حَدَّثَنَا حَسِينُ بْنُ حَسْنِ الْأَشْفَرِ ، حَدَّثَنَا قَابُوسُ بْنُ أَبِي ظَبِيَانَ ، عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِهِ عَنْ عَلَى قَالَ : لَمَا قُتِلَ مَرْحَبًا جَتَتْ بِرَأْسِهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وقد روى موسى بن عقبة عن الزهرى ، أن الذى قتل مرحبا هو محمد بن مسلمة .

وكذلك قال محمد بن إسحاق : حدثني عبد الله بن سهل أَحَدُ بْنِ حَارِثَةَ ، عَنْ

جاَبِرَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، قَالَ : خَرَجَ مَرْحَبُ الْيَهُودِيُّ مِنْ حَصْنِ خَيْرٍ وَهُوَ يَرْتَجِزُ وَيَقُولُ :

قد علمتْ خَيْرُ أَنِي مَرْحَبُ
شاكِي السلاح بطلٌ مَجْرَبُ
أَطْعَنَ أَحْيَانًا وَحِينًا أَضْرَبُ
إذا الْيُوَثُ أَقْبَلَتْ تلهبُ
إِنِّي حَمَى لِلْحِمَى لَا يُقْرَبُ

قال : فأجابه كعب بن مالك :

قد علمتْ خَيْرُ أَنِي كَعْبُ
مَفْرَّجُ الْفَاءِ جَرْنَى صَلَبُ
إِذْ شَبَّتِ الْحَرَبُ وَثَارَ^(١) الْحَرَبُ
مَعِي حُسَامٌ كَالْعَقِيقِ عَنْبُ
يَطَّا كُمْ حَتَّى يَذْلِلَ الصَّعْبُ
بَكْفٌ ماضٌ لِيَسْ فِيهِ عِيبٌ

قال : وجعل مَرْحَب يرتجز ويقول : هل من مبارز ؟ فقال رسول الله صلى الله

(١) ابن هشام : ثلثا الحرب

عليه وسلم : من لهذا ؟ فقال محمد بن مسلمة : أنا له يارسول الله ، أنا والله المотор والثائر ، قتلا أخي بالأمس . فقال : قم إليه اللهم أعنه عليه .

قال : فلما دنا أحداً من أصحابه دخلت بينهما شجرة عمرية ^(١) من شجر العشر ^(٢) المسد ^(٣) ، فجعل كل واحد منها يلوذ من أصحابه بها ، كلما لاذ بها أحداً اقتطع بسيفه مادونه ، حتى برب كل واحد منها لاصحابه وصارت بينهما كالرجل القائم ما فيها فتن ، ثم حمل على محمد بن مسلمة فضر به فاتقه بالدرقة فوقع سيفه فيها فعضت [به] ، فاستله وضر به محمد بن مسلمة حتى قتله .

وقد رواه الإمام أحمد ، عن يعقوب بن إبراهيم ، عن أبيه عن ابن إسحاق بنحوه .

قال ابن إسحاق : وزعم بعض الناس أن محمداً ارتجح حين ضربه وقال :

قد علمت خيراً أني ماضٍ حلواً إذا شئتْ وسمِّ قاضٍ
وهكذا رواه الواقدي عن جابر وغيره من السلف ، أن محمد بن مسلمة هو
الذى قتل مرحباً .

ثم ذكر الواقدى أن محمداً قطع رجل مَرْحَب فقال له : أجهز على ^٤ . فقال : لا ، ذُق الموتَ كاذقه محمود بن مسلمة . فرَأَى به على ^٥ وقطع رأسه ، فاختصما في سلبه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم محمد بن مسلمة سيفه ورمحه ومفره وبسيطته . قال : وكان مكتوباً على سيفه :

هذا سيف مَرْحَبٌ من يذقه يَعْطَبُ

(١) العمريه : القديعة .

(٢) العشر : شجر فيه حراق لم يقتدح الناس في أجود منه .

(٣) المسد : الشديد القتل . ولم ترد هذه الكلمة في ابن هشام .

ثم ذكر ابن إسحاق أن أخا مرحبا وهو ياسر خرج بعده وهو يقول : هل من مبارز؟

فزعهم هشام بن عمروة أن الزبير خرج له ، فقالت أم صفية بنت عبد المطلب : يقتل ابني يا رسول الله . فقال : بل ابنته يقتله إن شاء الله . فاليقينا فقتله الزبير .
قال : فـ كان الزبير إذا قيل له : والله إنْ كـان سيفك يومئذ صار ما يقول : والله ما كان بصارم ولـكـني أـكـرـهـتهـ .

وقال يونس عن ابن إسحاق ، عن بعض أهله عن أبي رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : خرجنا مع على إلى خير ، بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم برأيته ، فلما دنا من الحصن خرج إليه أهله فقاتلهم فضر به رجل منهم من يهود فطرح ترسه من يده ، فتناول على بباب الحصن فترس به عن نفسه ، فلم يزل في يده وهو يقاتل حتى فتح الله عليه ثم القاه من يده ، فلقد رأيتنـى في نـفـرـ مـعـيـ سـبـعـةـ آـنـاـ ثـامـنـهـ تـجـهـدـ عـلـىـ أـنـ تـقـلـبـ ذـلـكـ الـبـابـ فـاـ استـطـعـنـاـ أـنـ تـقـلـيـهـ .

وفي هذا الخبر جهالة وانقطاع ظاهر.

ولـكنـ روـيـ الحـافـظـ البـيـهـقـيـ وـالـحاـكـمـ منـ طـرـيقـ مـطـلـبـ بنـ زـيـادـ ، عنـ لـيـثـ بنـ أـبـيـ سـلـيـمـ ، عنـ أـبـيـ جـعـفـرـ الـبـاقـرـ ، عنـ جـابـرـ ، أـنـ عـلـيـاـ حـمـلـ الـبـابـ يـوـمـ خـيـرـ حـتـىـ صـعـدـ الـمـسـلـمـونـ عـلـيـهـ فـاقـتـحـوـهـاـ ، وـإـنـهـ جـرـبـ بـعـدـ ذـلـكـ فـلـمـ يـحـمـلـ أـرـبـعـوـنـ رـجـلاـ !ـ وـفـيهـ ضـعـفـ أـيـضـاـ .ـ وـفـيـ روـاـيـةـ ضـعـيـفـةـ عـنـ جـابـرـ :ـ ثـمـ اجـتـمـعـ عـلـيـهـ سـبـعـوـنـ رـجـلاـ وـكـانـ جـهـدـهـمـ أـنـ أـعـادـوـ الـبـابـ .ـ

وقال البخاري : حدثنا مكي بن إبراهيم ، حدثنا يزيد بن أبي عبيد ، قال :رأيت أثر ضربة في ساق سلمة ، فقلت : يا أبو مسلم ما هذه الضربة؟ قال : هذه ضربة أصابتني

يُوم خِيَرٍ فَقَالَ النَّاسُ : أَصِيبُ سَلَمًا . فَأَتَيْتَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَنَفَثَ فِيهِ ثَلَاثَ نَفَثَاتٍ ، فَاشْتَكَيْتَهَا حَتَّى السَّاعَةِ .

* * *

ثُمَّ قَالَ الْبَخَارِيُّ : حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْلَمَةَ ، حَدَّثَنَا أَبْنُ أَبِي حَازِمٍ ، عَنْ أَبِيهِ عَنْ سَهْلٍ ، قَالَ : التَّقِيُّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالشَّرْكُونُ فِي بَعْضِ مَغَازِيهِ فَاقْتُلُوا ، فَقَالَ كُلُّ قَوْمٍ إِلَى عَسْكَرِهِمْ ، وَفِي الْمُسْلِمِينَ رَجُلٌ لَا يَدْعُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ شَذَّةً وَلَا فَادَةً إِلَّا اتَّبَعَهَا فَضَرِبَهَا بِسَيْفِهِ ، فَقَيْلٌ : يَارَسُولَ اللَّهِ مَا أَجْزَأَنَا أَحَدٌ مَا أَجْزَأْنَا فَلَانَ . قَالَ : إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ . قَالُوا : أَيُّنَا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ إِنْ كَانَ هَذَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ ؟ ! فَقَالَ رَجُلٌ مِّنَ الْقَوْمِ لِأَتَبْعَمْنَهُ فَإِذَا أَسْرَعَ وَأَبْطَأَ كَنْتَ مَعَهُ ، حَتَّى جُرْحَ فَاسْقَمَ جَلَّ الْمَوْتَ فَوُضِعَ نَصَابَ سَيْفِهِ بِالْأَرْضِ وَذُبِّابٌ بَيْنَ ثَدِيهِ ، ثُمَّ تَحَامَلَ عَلَيْهِ فَقُتِلَ نَفْسَهُ .

فَجَاءَ الرَّجُلُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : أَشْهِدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ . قَالَ : وَمَا ذَاكُ ؟ فَأَخْبَرَهُ فَقَالَ : « إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَا بَيْدُو لِلنَّاسِ إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ ، وَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَا بَيْدُو لِلنَّاسِ إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ . »

رَوَاهُ أَيْضًا عَنْ قَتِيبَةَ عَنْ يَعْقُوبَ ، عَنْ أَبِي حَازِمٍ ، عَنْ سَهْلٍ . فَذَكَرَهُ مَثْلَهُ أَوْ نَحْوَهُ .

ثُمَّ قَالَ الْبَخَارِيُّ : حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانَ ، حَدَّثَنَا شُعَيْبٌ ، عَنْ الزَّهْرَى ، أَخْبَرَنِي عَيْدَ ابْنِ لَسْلَيْبٍ أَنَّ أَبَا هَرِيرَةَ قَالَ : شَهَدْنَا خِيَرَةَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِرَجُلٍ مِّنْ مَعْهُ يَدْعُ إِلَيْهِ إِلَيْهِمْ : هَذَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ . فَلَمَّا حَضَرَ الْقَتَالَ قَاتَلَ الرَّجُلُ أَشَدَّ الْقَتَالِ حَتَّى كَثُرَتْ بِهِ الْجَرَاحَةُ ، حَتَّى كَادَ بَعْضُ النَّاسِ يَرْتَابُ . فَوُجِدَ الرَّجُلُ أَمْ جَرَاحَهُ فَأَهْوَى بِيَدِهِ إِلَى كِفَانِتِهِ فَاسْتَخْرَجَ مِنْهَا أَمْهَاً فَنَحَرَ بِهَا نَفْسَهُ ، فَاشْتَدَّ رَجُلٌ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ فَقَالُوا : يَارَسُولَ اللَّهِ صَدَّقَ اللَّهُ حَدِيثَكَ ، اتَّسْحَرَ فَلَانَ قَتْلَ نَفْسَهُ . قَالَ : قَمْ يَا فَلَانَ فَأَذْنُ : إِنَّهُ لَا يَدْخُلُ

الجنة إلا مؤمن ، وإن الله يؤيد الدين بالرجل الفاجر ! » .

* * *

وقد روی موسى بن عقبة عن الزهرى قصة العبد الأسود الذى رزقه الله الإيمان والشهادة في ساعة واحدة . وكذلك رواها ابن همیعة عن أبي الأسود ، عن عروة قالا : وجاء عبد جبشى أسود من أهل خيبر كان في غنم لسيده ، فلما رأى أهل خيبر قد أخذوا السلاح سألهم قال : ما تريدون ؟ قالوا : نقاتل هذا الرجل الذى يزعم أنه نبى .

فوقع في نفسه ذكر النبي فأقبل بعنه حتى عمد لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : إلى ما تدعوه ؟ قال : أدعوك إلى الإسلام ، إلى أن تشهد أن لا إله إلا الله وأنّى رسول الله وألا تعبد إلا الله . قال : فقال العبد : فإذا يكون لي إن شهدت بذلك وآمنت بالله ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الجنة إن مت على ذلك .

فأسلم العبد فقال : يابن الله إن هذه الغنم عندي أمانة . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أخر جها من عسكراً وارمها بالحصا ، فإن الله سيؤدي عنك أمانتك . ففعل فترجمت الغنم إلى سيدها ، فعرف اليهودي أن غلامه قد أسلم .

قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فوعظ الناس فذكر الحديث في إعطائه الراية عليها ودنوّه من حصن اليهود وقتله مرحبا ، وقتل مع على " ذلك العبد الأسود ، فاحتمله المسلمون إلى عسكرهم فأدخل في الفسطاط ، فزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اطلع في الفسطاط ثم اطلع على أصحابه فقال : « لقد أكرم الله هذا العبد وساقه إلى خير ، قد كان الإسلام في قلبه حقاً ، وقد رأيت عند رأسه اثنتين من الحور العين ! » .

وقد روی الحافظ البهقي من طريق ابن وهب ، عن حمزة بن شريح عن ابن الماد ، عن شرحبيل بن سعد ، عن جابر بن عبد الله ، قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم

فِي غَزْوَةِ خَيْرٍ، خَرَجَتْ سَرِيرَةً فَأَخْذَوَا إِنْسَانًا مَعَهُ غُمَّ يَرْعَاهَا فَذَكَرَ نَحْوَ قَصَّةِ هَذَا الْعَبْدِ
الْأَسْوَدِ وَقَالَ فِيهِ: قُتِلَ شَهِيدًا وَمَا سَجَدَ لِلَّهِ سَجْدَةً!

ثُمَّ قَالَ الْبَيْهِقِيُّ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنَ الْفَقِيهِ، حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ الْقَطَانَ، حَدَّثَنَا
أَبُو الْأَزْهَرَ، حَدَّثَنَا مُوسَى بْنَ إِسْمَاعِيلَ، حَدَّثَنَا حَمَادٌ، حَدَّثَنَا ثَابِتٌ، عَنْ أَنْسٍ أَنَّ رَجُلًا
أَتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي رَجُلٌ أَسْوَدُ الْلَّوْنِ قَبِيحُ الْوِجْهِ
لَا مَالَ لِي، فَإِنْ قَاتَلْتُهُ ثُمَّ أُتَقْتَلُ أَدْخُلْ جَنَّةً؟ قَالَ: نَعَمْ.

فَتَقْدِمُ فَقَاتِلُهُ حَتَّىٰ قُتَلَ، فَأَتَىٰ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ مَقْتُولٌ فَقَالَ:
لَقَدْ حَسَنَ اللَّهُ وَجْهَكَ وَطَيَّبَ رَيْحَكَ وَكَثُرَ مَالَكَ وَقَالَ: «لَقَدْ رَأَيْتَ زَوْجَتِي مِنْ
الْحُورِ الْعَيْنِ يَتَنَازَعَانِ جَبَتِهِ عَلَيْهِ، يَدْخُلَانِ فِيهَا بَيْنَ جَلْدِهِ وَجَبَتِهِ».

ثُمَّ رُوِيَ الْبَيْهِقِيُّ مِنْ طَرِيقِ ابْنِ جُرْيَحَ، أَخْبَرَنِي عَكْرَمَةُ بْنُ خَالِدٍ، عَنْ ابْنِ أَبِي
عَمَارٍ، عَنْ شَدَّادِ بْنِ الْمَادِ، أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْأَعْرَابِ جَاءَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
فَأَمَّا مَنْ بِهِ وَاتَّبَعَهُ فَقَالَ: أَهَا جَرَ مَعَكَ . فَأَوْصَىٰ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِعَضَّ
أَصْحَابِهِ، فَلَمَّا كَانَتْ غَزْوَةُ خَيْرٍ غَمَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقِسِّمَهُ وَقَسِّمَ لَهُ
فَأَعْطَىٰ أَصْحَابَهُ مَا قِسِّمَ لَهُ وَكَانَ يَرْعِي ظَهَرَهُمْ، فَلَمَّا جَاءَ دَفْعَوْهُ إِلَيْهِ فَقَالَ: مَا هَذَا؟ قَالُوا: «
قِسْمٌ قِسِّمَهُ لَكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» فَقَالَ: مَا عَلَىٰ هَذَا اتَّبَعْتَكُوهُ وَلَكِنِّي اتَّبَعْتُكُوكُمْ
عَلَىٰ أَنْ أَرْمَىٰ هَاهُنَا، وَأَشَارَ إِلَىٰ حَلْقَهِ بِسَبِّهِمْ، فَأَمْوَاتُهُمْ فَادْخُلُوا جَنَّةً . فَقَالَ: «إِنَّ تَصْدِيقَ
اللَّهِ يَصْدِيقُكَ».

ثُمَّ نَهَضُوا إِلَى قِتَالِ الْعَدُوِّ، فَأَتَىٰ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحْمَلُ وَقَدْ أَصَابَهُ
سَهْمٌ حِيثُ أَشَارَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هُوَ هُو؟ قَالُوا: نَعَمْ . قَالَ: «صَدَقَ
اللَّهُ فَصَدَّقَهُ».

وَكَفَنَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي جَبَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ قَدَّمَهُ فَصَلَّى

عليه و كان مما ظهر من صلاته : « اللهم هذا عبدك خرج مهاجرًا في سبيلك قُتل شهيداً وأنا عليه شهيد ». .

و قد رواه النسائي عن سعيد بن نصر ، عن عبد الله بن المبارك عن ابن جريج به نحوه .

فصل

قال ابن إسحاق : و تدَنَّى رسول الله صلى الله عليه وسلم الأموالَ بأخذها مala ما لا يفتقها حصناً ، وكان أول مخصوصهم فتح حصن ناعم ، وعنه قُتل محمود بن مسلمة ، أُلقيت عليه رحى منه قفتله . ثم القُمْوص حصن بن أبي الحقيق .

و أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم سبايا ، منهم صفية بنت حبي بن أخطب ، وكانت عند كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق وبنى عم لها ، فاصطفى رسول الله صلى الله عليه وسلم صفية لنفسه ، وكان دحية بن خليفة قد سأله رسول الله صلى الله عليه وسلم صفية ، فلما اصطفاها لنفسه أعطاه ابنتي عمها .

قال : و فَشَتَ السَّبَايا مِنْ خِيَرِ الْمُسْلِمِينَ ، وَأَكَلَ النَّاسَ لَحْومَ الْحَمَرِ فَذَكَرَ هَنَّ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِيَّاهُمْ عَنْ أَكْلِهَا .

و قد اعنى البخارى بهذا الفصل ، فأورد النهى عنها من طرق جيدة .

و تحرى بها مذهب جمهور العلماء سلفاً و خلفاً وهو مذهب الأئمة الأربع .

و قد ذهب بعض السلف ، منهم ابن عباس إلى إباحتها ، وتنوعت أوجههم عن الأحاديث الواردة في النهى عنها .

فقيل : لأنها كانت ظهراً يستعينون بها في الملوءة . وقيل : لأنها لم تكن محظوظة .

بعد . وقيل : لأنها كانت تأكل العذرية ، يعني جلالة .

والصحيح أنه نهى عنها لذاتها ، فإن في الأثر الصحيح أنه نادى منادى رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله ورسوله ينهى منكم عن لحوم الحمر ، فإنها رجس . فاكتفوا بها والقدور تفرب بها ..

وموضع تقرير ذلك في كتاب الأحكام .

قال ابن إسحاق : حدثني سلام بن كركبة ، عن عمرو بن دينار ، عن جابر بن عبد الله ، ولم يشهد جابر خير ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين نهى الناس عن أكل لحوم الحمر أذن لهم في لحوم الخيل .

وهذا الحديث أصله ثابت في الصحيحين ، من حديث حماد بن زيد ، عن عمرو بن دينار ، عن محمد بن علي ، عن جابر رضي الله عنه قال : نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم خير عن لحوم الحمر ورخص في الخيل .
لفظ البخاري .

قال ابن إسحاق : وحدثنا عبد الله بن أبي تجبيح ، عن مكحول ، أن النبي صلى الله عليه وسلم نهَاهم يومئذ عن أربع : عن إيتان الحبالى من النساء ، وعن أكل الحمار الأهلى ، وعن أكل كل ذى ناب من السباع ، وعن بيع المفاصم حتى تُقسم .
وهذا مرسل .

* * *

وقال ابن إسحاق : وحدثني يزيد بن أبي حبيب ، عن أبي مرزوق مولى تجبيح ، عن حنش الصنعاني ، قال : غزونا مع رؤوف بن ثابت الأنصارى المغارب ، فافتتح قرية من قرى المغارب يقال لها حربة ، فقام علينا خطيباً فقال : أيها الناس إني لا أقول فيكم إلا ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فيما يوم خير ، قام علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : لا يحل لأمرى يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسوق ماءه زرع

غیره ، يعني اتیان الحبالی من السبی ، ولا يحل لامریٰ يؤمن بالله والیوم الآخر أن يصیب امرأة من السبی حتى يستبرها ، ولا يحل لامریٰ يؤمن بالله والیوم الآخر أن يبيع مثناها حتى يُقسم ، ولا يحل لامریٰ يؤمن بالله والیوم الآخر أن يركب دابة من قَوْه المسلمین حتى إذا أبغضها رَدَّها فيه ، ولا يحل لامریٰ يؤمن بالله والیوم الآخر أن يلبس يوماً مِنْ قَوْه المسلمين حتى إذا أخلقه رَدَّه فيه .

وهكذا روى هذا الحديث أبو داود من طريق محمد بن إسحاق . ورواه الترمذی عن حفص بن عرو الشیبانی ، عن ابن وهب ، عن يحيی بن أیوب ، عن ربيعة بن سلیم ، عن بشر بن عبید الله ، عن رویفع بن ثابت مختصرًا . وقال : حسن .

وفي صحيح البخاری عن نافع ، عن ابن عمر ، أن رسول الله صلی الله علیه وسلم نهى يوم خیر عن لحوم الحمر الأهلية وعن أكل الثوم .

وقد حکى ابن حزم عن علي وشريك بن الحنبل أنهمما ذهبا إلى تحريم البصل والثوم ^{الآن} . والذی نقله الترمذی عنهمما الكراهة . فالله أعلم .

* * *

وقد تکلم الناس في الحديث الوارد في الصحيحین من طريق الزهری ، عن عبد الله والحسن ابی محمد بن الحنفیة ، عن أبیهما ، عن أبیه على بن أبي طالب رضی الله عنه ، أن رسول الله صلی الله علیه وسلم نهى عن نکاح اللئمة يوم خیر وعن لحوم الحمر الأهلية .

هذا لفظ الصحيحین من طريق مالک وغيره ، عن الزهری وهو يقتضی تقیید تحريم نکاح اللئمة يوم خیر .

وهو مشکل من وجین : أحد ما أن يوم خیر لم يكن ثم نساء يقمن بهن ، إذ قد حصل لهم الاستغناء بالسباء عن نکاح اللئمة .

الثاني : أنه قد ثبت في صحيح مسلم عن الربيع بن سبرة ، عن مَعْبُدٍ عن أبيه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أذن لهم في المتعة زمن الفتح ، ثم لم يخرج من مكة حتى نهى عنها وقال : إن الله قد حرمتها إلى يوم القيمة .
فعلى هذا يكون قد نهى عنها ثم أذن فيها ثم حُرمت ، فيلزم النسخ مرتين وهو بعيد .

ومع هذا فقد نصَّ الشافعى على أنه لا يعلم شيئاً أبىح ثم حُرم ، ثم أبىح ثم حرم ، غير نكاح المتعة . وما حداه على هذا رحمة الله إلا اعتماده على هذين الحديثين كما قدمناه ^(١) .

وقد حكى السهيلي وغيره عن بعضهم أنه أدعى أنها أبىحت ثلاثة مرات ، وحرمت ثلاثة مرات . وقال آخرون : أربع مرات . وهذا بعيد جداً . والله أعلم .
واختلفوا أى وقت أول ما حُرمت ، فقيل : في خيبر . وقيل : في عمرة القضاء .
وقيل : في عام الفتح . وهذا يظهر . وقيل : في أوطاس . وهو قريب من الذي قبله . وقيل : في تبوك . وقيل : في حجة الوداع .
رواه أبو داود .

وقد حاول بعض العلماء أن يحيمب عن حديث على رضى الله عنه بأنه وقع فيه
تقديم وتأخير .

وابن المحفوظ فيه ما رواه الإمام أحمد : حدثنا سفيان ، عن الزهرى ، عن الحسن
وعبد الله بني محمد عن أبيهما ، وكان حَسْنٌ أَرْضَاهَا فِي أَنْفُسِهِمَا ، أَنْ عَلِيًّا قَالَ لَابْنِ
عَبَّاسٍ : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَىٰ عَنِ نَكَاحِ الْمَتْعَةِ وَعَنِ الْحُلُومِ الْأَهْلِيَّةِ
زَمْنَ خَيْرٍ .

(١) بالأصل بياس بقدر سطر .

قالوا : فاعتقد الرواى أن قوله خير ظرف للنهى عنهم ، وليس كذلك إنما هو ظرف النهى عن لحوم الحمر ، فاما نكاح المتعة فلم يذكر له ظرفا ، وإنما جمعه معه لأن علياً رضي الله عنه بلغه أن ابن عباس أباح نكاح المتعة ولحوم الحمر الأهلية كما هو المشهور عنه ، فقال له أمير المؤمنين على : إنك أمرت تناه ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن نكاح المتعة ولحوم الحمر الأهلية يوم خير .

جُمِعَ لِهِ النَّهْيُ لِيُرْجَعَ عَمَّا كَانَ يَعْتَقِدُهُ فِي ذَلِكَ مِنِ الْإِبَاحةِ .

وَإِلَى هَذَا التَّقْرِيرِ كَانَ مَيْلُ شِيخِنَا الْحَافِظِ أَبِي الْحَجَاجِ لِزَرْيَ تَفَمِدَهُ اللَّهُ بِرَحْمَتِهِ آمِينَ .

وَمَعَ هَذَا مَا رَجَعَ أَبْنَ عَبَّاسٍ عَمَّا كَانَ يَذْهَبُ [إِلَيْهِ] مِنْ [إِبَاحةِ] الْحَمْرِ وَالْمَتَعَةِ .

أَمَا النَّهْيُ عَنِ الْحَمْرِ فَتَأْوِلَهُ بِأَنَّهَا كَانَتْ حَوْلَتِهِمْ ، وَأَمَا الْمَتَعَةُ فَإِنَّمَا كَانَ يَبِيِّحُهَا عِنْدَ الْفَرُورَةِ فِي الْأَسْفَارِ ، وَجَلَ النَّهْيُ عَلَى ذَلِكَ فِي حَالِ الرِّفَاهِيَّةِ وَالْوِجْدَانِ ، وَقَدْ تَبَعَهُ عَلَى ذَلِكَ طَائِفَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ وَأَتَبَاعِهِمْ ، وَلَمْ يَزُلْ ذَلِكَ مَشْهُورًا عَنْ عَلَمَاءِ الْمَجَازِ إِلَى زَمْنِ أَبْنِ جُرْجِيجِ وَبَعْدِهِ .

وَقَدْ حُكِيَّ عَنِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ رِوَايَةً كَمْذَهِبِ أَبْنِ عَبَّاسٍ ، وَهِيَ ضَعِيفَةٌ .

وَحاوَلَ بَعْضُ مَنْ صَنَّفَ فِي الْحَلَالِ نَقْلَ رِوَايَةً عَنِ الْإِمَامِ بِمِثْلِ ذَلِكَ . وَلَا يَصْحُ أَيْضًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ . وَمَوْضِعُ تَحْرِيرِ ذَلِكَ فِي كِتَابِ الْأَحْكَامِ . وَبِاللَّهِ الْمُسْتَعْنَانِ .

* * *

قال ابن إسحاق : ثم جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقدّنَ الحصونَ والأموالَ .
خدي عبده الله بن أبي بكر ، أنه حدثه بعض من أسلم (١) أن بني سهم من أسلم أو توار رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : يارسول الله لقد جهدنا وما بأيدينا شيء فلم يجدوا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً يعطيهم إياه ، فقال : « اللهم إنك قد عرفت حالم وآنْ ليست لهم قوة وأن ليس بيدي شيء أعطيهم إياه ، فاقتصر عليهم أعظم حصونها غباءً (٢) »

(١) ابن هشام : بعض أسلم

(٢) الأصل : غنى . وما أثبته من ابن هشام .

وَأَكْثُرُهَا طَعَامًا وَوَدَّ كَا». فَنَذَا النَّاسُ فَفَتَحَ عَلَيْهِمْ حَصْنَ الصَّبَبِ بْنَ مَعَاذَ، وَمَا بَخِيرٌ
حَصْنٌ كَانَ أَكْثُرُ طَعَامًا وَوَدَّ كَا مِنْهُ.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَلَمَّا افْتَحَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ حَصْنِهِمْ مَا افْتَحَ
وَحَازَ مِنَ الْأُمُوَالِ مَا حَازَ انْتَهُوا إِلَى حَصْنِهِمُ الْوَطِيقُ وَالسَّلَامُ، وَكَانَ آخَرُ حَصْنِهِمْ خَيْرٌ
افْتَاحَهُ، فَخَاصَّرُهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْضَ عَشْرَةِ لَيْلَةٍ .

قَالَ ابْنُ هَشَامَ : وَكَانَ شَعَارُهُمْ يَوْمُ خَيْرٍ : يَا مُنْصُورَ أُمِّتِ أُمِّتٍ .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَحَدَّثَنِي بُرَيْدَةُ بْنُ سَفِيَّانَ الْأَسْدِيَ الْأَسْلَمِيَّ، عَنْ بَعْضِ رِجَالِ بَنِي
سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي الْيَسَرِ كَعْبَ بْنِ عَمْرَو، قَالَ : إِنِّي لَمَّا تَرَكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَخِيرَ
ذَاتِ عَشَيَّةٍ إِذَا أَقْبَلَتِ غَنْمٌ لِرَجُلٍ مِنْ يَهُودٍ تَرِيدُهُمْ وَنَحْنُ مُحَاصِرُوهُمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَنْ رَجُلٌ يَطْعَمُنَا مِنْ هَذِهِ الْفَنَمِ؟ قَالَ أَبُو الْيَسَرِ : قُلْتَ : أَنَا
يَا رَسُولُ اللَّهِ . قَالَ : فَافْعُلْ .

قَالَ : نَخْرَجْتُ أَشْتَدَّ مِثْلَ الظَّلَمِيْمِ، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُولَيَاً
قَالَ : اللَّهُمَّ أَمْتِعْنَا بِهِ . قَالَ : فَأَدْرَكْتُ الْفَنَمَ وَقَدْ دَخَلْتُ أَوْلَاهَا الْحَصْنَ، فَأَخْذَتُ
شَاتِينَ مِنْ أَخْرَاهَا فَاحْتَضَنْتُهُمَا تَحْتَ يَدِي، ثُمَّ جَهَتْ بِهِمَا أَشْتَدَّ كَانُهُ لَيْسَ مَعِيْ شَيْءًا،
حَتَّى أَفْقِيَهُمَا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَبَحُوهُمَا فَأَكَلُوهُمَا .

فَكَانَ أَبُو الْيَسَرِ مِنْ آخَرِ أَحَادِيبِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُوتَّاً . وَكَانَ إِذَا
حَدَّثَ هَذِهِ الْحَدِيثَ بَكَى ثُمَّ قَالَ : أَمْتِعْنَا بِلَعْمَرِي! حَتَّى كَنْتُ مِنْ آخْرِهِمْ .

وَقَالَ الْحَافِظُ البَيْهَقِيُّ فِي الدَّلَائِلِ : أَخْبَرَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يَوسُفَ الْأَصْبَهَانِيَّ،
حَدَّثَنَا أَبُو سَعِيدٍ بْنَ الْأَعْرَابِيِّ، حَدَّثَنَا سَعْدَانَ بْنَ نَصْرَ، حَدَّثَنَا أَبُو مَعَاوِيَةَ، عَنْ عَاصِمِ
الْأَحْوَلِ، عَنْ أَبِي عَمَانَ النَّهَدِيِّ، أَوْ عَنْ أَبِي قَلَّابَةَ، قَالَ : لَمَّا قَدِمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
خَيْرَ قَدِيمٍ وَالثَّرَةَ خَيْرَةً، قَالَ : فَأَسْرَعَ النَّاسُ إِلَيْهَا فَجَمِيعُهُمْ وَفَشَّلُوكُوا ذَلِكَ إِلَيْهِ، فَأَمْرَمُهُمْ

أَن يَقْرَّسُوا الْمَاءَ فِي الشَّنَانِ^(١) ثُمَّ يُجْرُونَهُ عَلَيْهِمْ إِذَا أُفِيَ الْفَجْرُ وَيَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ،
فَعَلُوا ذَلِكَ فَكَانُوا نَشِطُوا مِنْ عَقْلٍ .

* * *

قال البهق : ورويـهـ عن عبد الرحمن بن رافع موصولا ، وعنـهـ : بين صلـاقـ
النـرـبـ والعـشـاءـ .

وقـالـ الإمامـ أـحـمدـ : حـدـثـنـاـ يـحـيـيـ وـبـهـزـ ، قـالـ : حـدـثـنـاـ سـلـيـمانـ بـنـ الـغـيـرـةـ ، حـدـثـنـاـ حـمـيدـ بـنـ
هـلـلـ ، حـدـثـنـاـ عـبـدـ اللـهـ بـنـ مـغـفـلـ ، قـالـ : دـلـىـ جـرـابـ مـنـ شـحـمـ يـوـمـ خـيـرـ فـالـتـرـمـةـ فـقـلـتـ :
لـأـعـطـىـ أـحـدـ مـنـهـ شـيـئـاـ . قـالـ : فـالـتـفـتـ فـإـذـاـ رـسـوـلـ اللـهـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ يـقـبـسـ .

وقـالـ أـحـمدـ : حـدـثـنـاـ عـفـانـ ، حـدـثـنـاـ شـعـبـةـ ، عـنـ حـمـيدـ بـنـ هـلـلـ ، عـنـ عـبـدـ اللـهـ بـنـ مـغـفـلـ ،
قـالـ : كـنـاـ نـحـاـصـرـ قـصـرـ خـيـرـ ، فـأـلـقـيـ إـلـيـنـاـ جـرـابـ فـيـهـ شـحـمـ ، فـذـهـبـتـ فـأـخـذـتـهـ فـرـأـيـتـ
الـنـبـيـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ فـاسـتـحـيـتـ .

وقد أخرـجـهـ صـاحـبـ الصـحـيـحـ مـنـ حـدـيـثـ شـعـبـةـ . وـرـوـاهـ مـسـلـمـ أـيـضـاـ عـنـ شـيـمـانـ بـنـ
فـروـخـ ، عـنـ عـمـانـ بـنـ الـغـيـرـةـ .

وقـالـ اـبـنـ إـسـحـاقـ : وـحـدـثـنـيـ مـنـ لـأـهـلـهـ عـنـ عـبـدـ اللـهـ بـنـ مـغـفـلـ الـمـزـنـيـ قـالـ : أـصـبـتـ مـنـ
فـهـ خـيـرـ جـرـابـ شـحـمـ ، قـالـ : فـاحـتـمـلـتـهـ عـلـىـ عـنـقـ إـلـىـ رـحـلـ وـأـصـحـابـيـ . قـالـ : فـلـقـيـ
صـاحـبـ الـفـاسـمـ الـذـيـ جـعـلـ عـلـيـهـاـ ، فـأـخـذـ بـنـاحـيـتـهـ وـقـالـ : هـلـ حـتـىـ تـقـسـمـهـ بـيـنـ الـمـسـلـمـينـ .
قـالـ : وـقـاتـ : لـأـوـلـهـ لـأـعـطـيـكـهـ . قـالـ : وـجـعـلـ يـمـاـذـبـنـيـ الـجـرـابـ ، قـالـ : فـرـآـنـاـ رـسـوـلـ اللـهـ
صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ وـنـحـنـ نـصـنـعـ ذـلـكـ فـتـبـسـ ضـاحـكـاـ ، ثـمـ قـالـ لـصـاحـبـ الـفـاسـمـ : خـلـ يـهـ وـيـنـهـ .
قـالـ : فـأـرـسـلـهـ فـأـنـطـلـقـتـ بـهـ إـلـىـ رـحـلـ وـأـصـحـابـيـ فـأـكـلـنـاهـ .

(١) بـهـرـسـواـ : يـبـرـدـواـ . وـالـشـنـانـ : الـقـربـ .

وقد استدل الجمهور بهذا الحديث على الإمام مالك في تحريره شحومَ ذبائح اليهود وما كان غلتهم عليه غيرهم من المسلمين ، لأن الله تعالى قال : « وطعامُ الذين أتوا الكتاب حِلٌّ لكم » قال : « لكم » قال : وليس هذا من طعامهم . فاستدلوا عليه بهذا الحديث وفيه نظر . وقد يكون هذا الشحم مما كان حلالا لهم والله أعلم .

وقد استدلوا بهذا الحديث على أن الطعام لا يُنْهَى ، ويُعَصَّد ذلك ما رواه الإمام أبو داود : حدثنا محمد بن العلاء ، حدثنا أبو معاوية ، حدثنا إسحاق الشيباني ، عن محمد بن أبي مجالد ، عن عبد الله بن أبي أوفى قال : قلت : كنتم تُنْهَى سبعون الطعام في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : أصبنا طعاماً يوم خيبر ، وكان الرجل يجيء فیأخذ منه قدر ما يكفيه ثم ينصرف .

تفرد به أبو داود وهو حسن .

ذكر قصة صفية بنت حُيَيْ بن أَخْطَب النَّضْرِيَّةِ رضي الله عنها

كان من شأنها أنه لما أُجْلَى رسول الله صلى الله عليه وسلم يهودَ بني النضير من المدينة
كما تقدم ، فذهب عامتهم إلى خير وفهم حُيَيْ بن أَخْطَب وبنو أبي الحَقِيق ، وكانوا
ذوي أموال وشرف في قومهم ، وكانت صفية إذ ذلك طفلة دون البلوغ ، ثم لما تأهلت
للتزويج تزوجها بعض بني عمها ، فلما زفَّت إِلَيْهِ وَأَدْخَلَتْ إِلَيْهِ بُنْيَهَا وَمَضَى عَلَى ذَلِكَ
لِيَسَالُ ، رأَتْ فِي مَنَامِهَا كَأْنَ قَرْ السَّمَاءَ قد سقط في حِجْرِهَا ، فَقَصَّتْ رُؤْيَاها عَلَى ابْنِ
عَمِّهَا فَلَطَمَ وَجْهَهَا وَقَالَ : أَتَقْمَنِينَ مَلِكَ يَثْرَبَ أَنْ يَصِيرَ بَعْلَكَ !

فَإِنَّا كَانَ إِلَّا مُجْحِيٌّ رَسُولُ اللهِ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَحْصَارَهُ إِبْرَاهِيمَ ، فَكَانَتْ صفِيَّةُ فِي
جَمَلَةِ السَّبَّيِّ ، وَكَانَ زَوْجُهَا فِي جَمَلَةِ الْقَتْلِيِّ .

وَلَمَّا اصْطَفَاهَا رَسُولُ اللهِ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَصَارَتْ فِي حَوْزَهِ وَمَلَكِهِ كَمَا سِيَّاتِيَّ ،
وَبَنِي بَهْرَ بَعْدَ اسْتِبْرَائِهَا وَحِلْمَهَا وَجَدَ أَثْرَ تَلْكَ الْلَّاطِمَةِ فِي خَدِّهَا ، فَسَأَلَهَا مَا شَأْنَهَا فَذَكَرَتْ لَهُ
مَا كَانَتْ رَأَتْ مِنْ تَلْكَ الرُّؤْيَا الصَّالِحةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَأَرْضَاهَا .

* * *

قال البخاري : حدثنا سليمان بن حرب ، حدثنا حماد بن زيد ، عن ثابت ، عن
أنس بن مالك ، قال : صلى النبي صلى الله عليه وسلم الصبحَ قريباً من خير بغلس ثم
قال : « اللَّهُ أَكْبَرُ خَرَبَتْ خِيرٌ ، إِنَّا إِذَا نَزَلْنَا بِسَاحَةِ قَوْمٍ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ ».
خرجوا يسعون في السلك ، فقتل النبي صلى الله عليه وسلم المقاتلة وسي التالية ،
وكان في السبي صفية فصارت إلى دخنة الكابي ، ثم صارت إلى النبي صلى الله عليه وسلم
فجعلت عتقها صداقتها .

ورواه مسلم أيضاً من حديث حماد بن زيد ، وله طرق عن أنس .
وقال البخاري : حدثنا آدم ، عن شعبة ، عن عبد العزيز بن صُهَيْب قال : سمعت
أنسَ بن مالك يقول : سَيِّدُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَفِيَّةَ فَأَعْتَقَهَا وَتَزَوَّجَهَا . قال ثابت
لأنس : مَا أَصْدَقَهَا ؟ قال : أَصْدَقَهَا نَفْسَهَا فَأَعْتَقَهَا .
تفرد به البخاري من هذا الوجه .

قال البخاري : حدثنا عبد الففار بن داود ، حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن .
وحدثنا أحد بن عيسى ، حدثنا وهب ، أخبرني يعقوب بن عبد الرحمن الزهرى ، عن
عمرو مولى الطَّلب ، عن أنس بن مالك قال : قَدِمْنَا خَيْرًا فَلَمَّا فَتَحَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
الْحَصَنَ ذُكِرَ لَهُ جَمَالٌ صَفِيَّةُ بَنْتُ حُبَيْرَ بْنِ أَخْطَبَ ، وَقُدِّمَتْ زَوْجَهَا وَكَانَتْ عَرْوَسًا ،
فَأَصْطَفَاهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِنَفْسِهِ ، نَفَرَجَ بَهَا حَتَّى يَلْعَبَ بَهَا سُدُّ الصَّهَيْبَاءِ^(١) حَلَّتْ
فِي بَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثُمَّ صَنَعَ حَيْنَسًا فِي نِطْعَ^(٢) صَغِيرًا ثُمَّ قَالَ لِي :
آذِنْ مَنْ حَوْلَكَ . فَكَانَتْ تَلَكَ وَلِيَتِهِ عَلَى صَفِيَّةِ . ثُمَّ خَرَجَنَا إِلَى الْمَدِينَةِ فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَحْمُوُي لَهَا وَرَاءَهُ بِعِبَادَةِ ثُمَّ يَحْلِسُ عَنْدَ بَعِيرِهِ ، فَيَضْعِفُ رَكْبَتَهُ وَتَضَعُ صَفِيَّةُ
رَجْلَهَا عَلَى رَكْبَتِهِ حَتَّى تُرَكِ .
تفرد به دون مسلم .

وقال البخاري : حدثنا سعيد بن أبي مريم ، حدثنا محمد بن جعفر بن أبي كثير ،
أخبرني حميد ، أنه سمع أنساً يقول : أقام رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ خَيْرٍ وَالْمَدِينَةِ
لَيْلَ يَبْنَى عَلَيْهِ بَصَفِيَّةَ ، فَدَعَوْتُ الْمُسْلِمِينَ إِلَى وَلِيَتِهِ وَمَا كَانَ فِيهَا مِنْ خَبَرٍ وَلَحْمٍ ،
وَمَا كَانَ فِيهَا إِلَّا أَنْ أَتَرَ بِلَالًا بِالْأَنْطَاعِ فَبُسْطَتْ فَأَلْقَى عَلَيْهَا التَّرَ وَالْأَقْطَ وَالسَّمْنَ ، فَقَالَ
الْمُسْلِمُونَ : إِذْنِي أَمْهَلَتِ الْمُؤْمِنِينَ أَوْ مَامْلَكْتِ يَمِينَهِ ؟ قَالُوا : إِنْ حَجَبَهَا فَهِيَ إِحدَى

(١) الصَّهَيْبَاءُ : مَوْضِعُ بَيْنِهِ وَبَيْنِ خَيْرٍ مَرْحَلَةٌ . وَالسَّدُّ : الْحَاجِزُ .

(٢) النِّطْعَ : بَسَاطٌ مِنَ الْأَدِيمِ .

أمهات المؤمنين ، وإن لم يجدها فهى مما ملكت يمينه . فلما أرتمل **وَمَا لَمْ**
خلفه **وَمَدَّ** **المحاجَبَ** ،
انفرد به **البخاري** .

وقال أبو داود : حدثنا مُسَدَّد ، حدثنا حماد بن زيد ، عن عبد العزيز بن صهيب ،
عن أنس بن مالك ، قال : صارت صفية لدِحْيَة الكلبي ، ثم صارت لرسول الله صلى
الله عليه وسلم .

وقال أبو داود : حدثنا يعقوب بن إبراهيم ، قال : حدثنا ابن علية ، عن عبا
العزيز بن صهيب ، عن أنس قال : جُمع السبى - يعني بخمير - فجاء دحية فقال : يا رسول
الله أعطني جارية من السبى قال : اذهب خذ جارية . فأخذ صفية بنت حيى ، فجاء رجل
إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يابن الله أعطيت دحية . قال يعقوب : صفية
بنت حيى سيدة قريظة والنضير ، ماتصلح إلا لك . قال : ادعوا بها . فلما نظر إليها النبي
صلى الله عليه وسلم قال : خذ جارية من السبى غيرها . وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم
اعتَقَها وتزوجها .

وآخر جاء من حديث ابن علية .

وقال أبو داود : حدثنا محمد بن خلَّاد الباهلي ، حدثنا بهز بن أسد ، حدثنا حماد بن
سلمة ، حدثنا ثابت عن أنس ، قال : وقع في سهم دحية جارية جليلة ، فاشترأها رسول
الله صلى الله عليه وسلم بسبعة أرؤس ، ثم دفعها إلى أم سلمة قصّتها وتهيئتها . قال حماد :
وأحسبه قال : وتعتقد في ييتها ، صفية بنت حيى .

انفرد به أبو داود .

* * *

قال ابن إسحاق : فلما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم القَمُوص حصن بنى أى

الْحَقِيقُ أُتِيَ بِصَفْيَةِ بَنْتِ حَبِيْبِيْنَ حَبِيْبِيْنَ وَأَخْطَبَهُمَا بِلَالٍ - وَهُوَ الَّذِي جَاءَ
بِهِمَا - عَلَى قَتْلِيْ مِنْ قَاتِلِيْ يَهُودَ ، فَلَمَّا رَأَتْهُمَا التَّىْ مَعَ صَفْيَةِ صَاحِتْ وَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَحَتَّى
الْتَّرَابَ عَلَى رَأْسَهَا ، فَلَمَّا رَأَاهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : أَعْزِبُوَا^(١) عَنِ هَذِهِ
الشَّيْطَانَةِ . وَأَمَرَ بِصَفْيَةِ خَيْرَتْ خَلْفَهُ وَأَلْقَى عَلَيْهَا رِدَاءَهُ ، فَعَرَفَ الْمُسْلِمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ اصْطَفَاهَا لِنَفْسِهِ .

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِبَلَالٍ ، فِيمَا بَلَغَنِي ، حِينَ رَأَى بِتَلْكَ اليَهُودِيَّةَ مَارَأَى :
أَنْزَعْتُ مِنْكَ الرَّحْمَةَ يَا بَلَالٍ حَتَّى تَمَرَّ بِأَمْرَتِينَ عَلَى قَاتِلِيْ رَجَالِهَا ! .

وَكَانَتْ صَفْيَةُ قَدْ رَأَتْ فِي النَّاسِ وَهِيَ عَرْوَسَ بَكَنَانَةَ بْنَ الرَّبِيعِ بْنَ أَبِي الْحَقِيقِ
أَنْ قَرَا وَقَعَ فِي حِجْرَهَا ، فَعَرَضَتْ رُؤْيَاها عَلَى زَوْجِهَا فَقَالَ : مَا هَذَا إِلَّا أَنَّكَ تَهْنَئِينَ مَلِكَ
الْحِجَازَ مُحَمَّداً . فَلَطَمَ وَجْهَهَا لَطْمَةً خَسَرَ عَيْنَاهَا مِنْهَا . فَأَنَّى بِهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ وَبِهَا أَثْرٌ مِنْهُ ، فَسَأَلَهَا مَا هَذَا ، فَأَخْبَرَتْهُ الْخَبْرَ .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ بَكَنَانَةَ بْنَ الرَّبِيعِ ، وَكَانَ عَنْهُ كَنْزٌ بْنِ النَّصِيرِ ،
فَسَأَلَهُ عَنِهِ فَجَحَدَ أَنْ يَكُونَ يَعْلَمَ مَكَانَهُ . فَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلٌ
مِنَ الْيَهُودِ فَقَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنِّي رَأَيْتَ كَنَانَةَ يَطِيفُ بِهِذِهِ الْخَرِبَةِ
كُلَّ غَدَاءً . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِكَنَانَةَ : أَرَأَيْتَ إِنْ وَجَدْنَاهُ عَنْدَكَ
أَفْتَلَكَ ؟ قَالَ : نَعَمْ . فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالنَّخْرِبَةِ خَفْرَتْ فَأَخْرَجَ مِنْهَا
بَعْضَ كَنْزِهِمْ ، ثُمَّ سَأَلَهُ عَمَّا بَقِيَ فَأَبَى أَنْ يُؤْدِيَهُ فَأَمَرَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
الزَّبِيرَ بْنَ الْعَوَامِ فَقَالَ : عَذَّبَهُ حَتَّى تَسْتَأْصِلَ مَا عَنْهُ . وَكَانَ الزَّبِيرَ يَقْدِحُ بَزَنَدَهُ^(٢) فِي
صَدْرِهِ حَتَّى أَشْرَفَ عَلَى نَفْسِهِ ، ثُمَّ دَفَعَهُ رَسُولُ اللَّهِ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ مَسْلَمَةَ فَصَرَبَ عَنْهُ بِأَخِيهِ
مُحَمَّدِ بْنِ مَسْلَمَةَ .

(٢) ابْنُ هَشَامَ : زَنَدَ .

(١) أَعْزِبُوا : أَبْدُوا .

فصل

قال ابن إسحاق : وحاصر رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل خيبر في حصنتهم الوطیح والسلام ، حتى إذا أيقنوا بالهلاك سأله أن يسیرهم وأن يحقن دماءهم . ففعل ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد حاز الأموال كلها الشق والنطة والكتيبة وجميع حصونهم ، إلا ما كان من ذينك الحصنين ، فلما سمع [بهم] أهل فدك قد صنعوا ما صنعوا بعنوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يسیرهم ويحقن دماءهم ويخلوا له الأموال ففعل . وكان من مشي بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبينهم في ذلك محیصہ بن مسعود آخر بنى حرثة .

ف لما نزل أهل خيبر على ذلك سأله رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعماهم في الأموال على النصف ، وقالوا : نحن أعلم بها منكم وأغتر بها . فصالحهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على النصف على أننا إذا شئنا أن نخرجكم أخر جناك . وعامل أهل فدك بمثل ذلك .

فصل في فتح حصونها وقسمة أرضها

قال الواقدي : لما تحوّلت اليهود من حصن ناعم وحصن الصعب بن معاذ إلى قلعة الزبير حاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام ، فجاء رجل من اليهود يقال له عزال فقال : يا أبا القاسم تؤمنني على أن أدخلك على ماتستريح به من أهل النطة وتخرج إلى أهل الشق ، فإن أهل الشق قد هلكوا أربعاءً منك ؟

قال : فأمنته رسول الله على أهله وما له فقال له اليهودي : إنك لو أقت شهراً تحاصرهم ما بالآوا بلك ، إن لهم تحت الأرض دبولاً^(١) يخرجون بالليل فيشربون منها ثم يرجعون إلى قلعتهم .

(١) الدبول : الجداول .

فأسر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقطع دُبُولم ، نخرجوا فقاتلوا أشد القتال ، وقتل من المسلمين يومئذ نفر وأصيب من اليهود عشرة ، وافتتحه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان آخر حصون النطأة . وتحول إلى الشق ، وكان به حصون ذات عد ، فكان أول حصن بدأ بها حصن أبي ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم على قلعة يقال لها سوان فقاتل عليها أشد القتال ، شرّج منهم رجل يقال له عزول فدعى إلى البراز فبرز إليه الحباب بن المنذر ، فقطع يده اليمنى من نصف ذراعه ووقع السيف من يده ، وفر اليهودي راجحاً فاتبعه الحباب فقطع عرقه . وبرز منهم آخر فقام إليه رجل من المسلمين فقتله اليهودي ، فنهض إليه أبو دجابة فقتله وأخذ سبَّابَه ، وأحجموا عن البراز فكَبِيرُ المسلمين ، ثم تحاملا على الحصن فدخلوه وأمامهم أبو دجابة ، فوجدوا فيه أثاثاً ومتاعاً وغماً وطعاماً، وهرب من كان فيه من المقاتلة وتقحموا الجزر كأنهم الضباب حتى حسروا إلى حصن البرزة بالشق ، وتمنعوا أشد الامتناع ، فزحف إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فقاموا وردي معهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده الكريمة ، حتى أصاب نَبْلَهُم بقانه عليه الصلاة والسلام فأخذ عليه السلام كفاماً من الحصافري حصنه بها فرجف بهم حتى ساخ في الأرض وأخذهم المسلمون أخذناً باليد .

قال الواقدي : ثم تحول رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهل الأخيبة والوطيع والسلام ، حصني أبي الحقيق ، وتحصنو أشد التحصن وجاء إليهم كل من كان انهزماً من النطأة إلى الشق ، فتحصنو معهم في القموض وفي الكتبية ، وكان حصناً منيعاً وفي الوطيع والسلام وجعلوا لا يطأمون من حصونهم ، حتى هم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينصب المنجنيق عليهم .

فلم يقنوا بالملائكة وقد حصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعة عشر يوماً نزل إليه ابن أبي الحقيق فصالحه على ثمن دمائهم ويسيرهم ويخلون بين رسول الله صلى الله عليه وسلم

وَبَيْنَ مَا كَانَ لَهُ مِنَ الْأَرْضِ وَالْأَمْوَالِ وَالصَّفَرَاءِ وَالْبَيْضَاءِ وَالسَّكَرَاعِ وَالْحَلْقَةِ وَعِلْمِ الْبَزْرَةِ،
إِلَّا مَا كَانَ عَلَى ظُهُورِ إِنْسَانٍ، يَعْنِي لِبَاسِهِمْ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَبِرْتُمْ
مِنْكُمْ ذَمَّةً اللَّهِ وَذَمَّةً رَسُولِهِ إِنْ كَتَمْتُمْ شَيْئًا . فَصَالَحُوهُ عَلَى ذَلِكَ .

قَلْتَ: وَلِهَذَا مَا كَتَمْتُوا وَكَذَّبُوا وَأَخْفَرُوا ذَلِكَ الْمُسْكَ الَّذِي كَانَ فِيهِ أَمْوَالٌ جَزِيلَةٌ،
تَبَيَّنَ أَنَّهُ لَا عَهْدَ لَهُمْ ، فَقُتِلَ ابْنُ أَبِي الْحَقِيقِ وَطَائِفَةً مِنْ أَهْلِهِ ، بِسَبِّبِ نَفْضِ الْمَهْوُدِ
مِنْهُمْ وَالْمَوْاينِ .

* * *

وَقَالَ الْحَافِظُ البَيْهِقِيُّ: حَدَّثَنَا أَبُو الْحَسْنِ عَلَى بْنُ مُحَمَّدِ الْقَرْيَ الأَسْفَراَيْنِيُّ ، حَدَّثَنَا
الْحَسْنُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ ، حَدَّثَنَا يُوسُفُ بْنُ يَعْقُوبَ ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنُ غَيَاثٍ ،
حَدَّثَنَا حَادِدُ بْنُ سَلَمَةَ، حَدَّثَنَا عَبْدِ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍ ، فِيهَا يُحْسَبُ أَبُو سَلَمَةَ ، عَنْ نَافِعٍ عَنْ أَبِي عَمْرٍ ،
أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قاتَلَ أَهْلَ خَيْرٍ حَتَّى أَجْلَاهُمْ إِلَى قَصْرِهِمْ ، فَفَلَبَ عَلَى الْأَرْضِ
وَالْزَّرْعِ وَالنَّخْلِ ، فَصَالَحُوهُ عَلَى أَنْ يَجْنُلُوا مِنْهَا وَلَمْ يَمْلِتْ رَكَابَهُمْ وَلَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ الصَّفَرَاءِ وَالْبَيْضَاءِ ، وَيَخْرُجُونَ مِنْهَا ، وَاشْتَرَطُ عَلَيْهِمْ أَلَا يَكْتُمُوا وَلَا يُغَيِّبُوا شَيْئًا ،
فَإِنْ فَعَلُوا فَلَا ذَمَّةَ لَهُمْ وَلَا عَهْدٌ .

فَغَيَّبُوا مَسْكَةً^(١) فِيهِ مَالٌ وَحُلُّ لَحَيَّ بْنَ أَخْطَبَ ، وَكَانَ احْتَمَلَهُ مَعَهُ إِلَى خَيْرٍ حِينَ
أَجْلَيْتَ النَّضِيرَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَئِذٍ: مَا فَعَلْتُ مَسْكَةً حَيَّ الذِّي جَاءَ
بِهِ مِنَ النَّضِيرِ؟ فَقَالَ: أَذْهَبْتُهُ النَّفَقَاتَ وَالْحَرَوبَ . فَقَالَ: الْعَهْدُ قَرِيبٌ وَاللَّالُ أَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ
فَدِفَعَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الزَّبِيرِ فَسَهَّلَ بَعْذَابَهُ ، وَقَدْ كَانَ حَيَّ قَبْلَ ذَلِكَ
دَخَلَ خَرْبَةً ، فَقَالَ: قَدْ رَأَيْتُ حُبِيَّاً يَطُوفُ فِي خَرْبَةِ هَا هَنَا . فَذَهَبُوا فَطَافُوا فَوَجَدُوا
الْمُسْكَ فِي الْخَرْبَةِ .

فَقُتِلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ابْنُ أَبِي الْحَقِيقِ ، وَأَحْدَهَا زَوْجُ صَفِيفَةِ بَنْتِ

(١) الْمُسْكَ: الْجَلَدُ .

حي بن أخطب ، وسَيِّدُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَسَاءُهُمْ وَذَرَارِيهِمْ وَقَسْمُ أَمْوَالِهِمْ
بِالنَّكْتَنَّ الَّذِي نَكَثُوا .

وَأَرَادُ إِجْلَاءِهِمْ مِنْهَا ، فَقَالُوا : يَا مُحَمَّدَ دَعْنَا نَكُونُ فِي هَذِهِ الْأَرْضِ نَصْلَحُهَا وَنَقْوِمُ
عَلَيْهَا . وَلَمْ يَكُنْ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَا لِأَخْبَابِهِ غَلَالٌ يَقْوِمُونَ عَلَيْهَا ، وَكَانُوا
لَا يَفْرَغُونَ أَنْ يَقْوِمُوا عَلَيْهَا ، فَأَعْطَاهُمْ خَيْرٌ عَلَى أَنْ لَمْ الشَّطَرْ مِنْ كُلِّ زَرْعٍ وَنَخْيَلٍ وَشَوْعَى ،
مَا بَدَا الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ يَأْتِيهِمْ كُلَّ عَامٍ فَيُخَرِّجُهُمْ عَلَيْهِمْ ، ثُمَّ يُضْنِهِمُ الشَّطَرُ ،
فَشَكَوُا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَدَّةَ حَرَّصَهُ ، وَأَرَادُوا أَنْ يَرْشُوهُ فَقَالَ : يَا أَعْدَاءَ
اللَّهِ تَطْمِعُونِي السُّجْنَ ! وَاللَّهُ لَقَدْ جَنِّتُكُمْ مِنْ عِنْدِ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ ، وَلَا تُنْتَمْ أَبْغَضُ إِلَيَّ مِنْ
عَدُّكُمْ مِنْ الْقَرْدَةِ وَالخَنَازِيرِ ، وَلَا يَحْمَلُنِي بَغْضَى إِلَيْكُمْ وَحْبِي إِيَّاهُ عَلَى أَنْ
لَا أُعْدَلَ عَلَيْكُمْ .

فَقَالُوا : بِهَذَا قَاتَمَ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ !

قَالَ : فَرَأَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْنَانَ صَفْيَةَ خُضْرَةَ ، فَقَالَ : يَا صَفْيَةَ مَا هَذِهِ
الْخُضْرَةُ ؟ فَقَالَتْ : كَانَ رَأْسِي فِي حَجَرٍ أَبْنَى الْحَقَّاقَ وَأَنَا نَائِمَةٌ ، فَرَأَيْتُ كَأنَّ قَمَراً وَقَعَ
فِي حَجَرِي ، فَأَخْبَرْتُهُ بِذَلِكَ فَلَطَمَنِي وَقَالَ : تَعْمَلُنِي مَلِكٌ يَثْرَبُ .

قَالَتْ : وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ أَبْغَضِ النَّاسِ إِلَيَّ ، قَتَلَ زَوْجِي
وَأَبِي ، فَما زَالَ يَعْتَذِرُ إِلَيَّ وَيَقُولُ : إِنَّ أَبَكَ أَلَّبَ عَلَىَ الْعَرَبَ وَفَعَلَ ، حَتَّىٰ ذَهَبَ
ذَلِكَ مِنْ نَفْسِي .

وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعْطِي كُلَّ امرَأَةٍ مِنْ نَسَائِهِ ثَمَانِينَ وَسَقَانَّا مِنْ
تَمَرَ كُلَّ عَامٍ وَعَشْرِينَ وَسَقَانَّا مِنْ شَعِيرٍ ، فَلَمَّا كَانَ فِي زَمَانٍ عَمَرَ غَشْوَالِ الْمُسْلِمِينَ وَأَلْقَوْا أَبْنَ

عمر من فوق بيت فَدَعُوا^(١) يديه ، فقال عمر : من كان له سهمٌ بخبير فليحضر حتى نقسمها . فقسمها . يبنهم . فقال رئيسهم : لا تخرجنادعنا نكون فيها كما أفرَّنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر . فقال عمر : أتراني سقطَ على قولِ رسول الله صلى الله عليه وسلم : «كيف بك إذا وَقَصْتَ^(٢) بكرا حلْنُك نحوَ الشام يوماً ثم يوماً ثم يوماً». وقسمها عمر بين من كان شهد خبير من أهل الخديبية . وقد رواه أبو داود مختصرًا من حديث حماد بن سلمة .

قال البيهقي : وعلقه البخاري في كتابه فقال : ورواه حماد بن سلمة . قلت : ولم أره في الأطراف فالله أعلم .

* * *

وقال أبو داود : حدثنا سليمان بن داود المهرى ، حدثنا ابن وهب ، أخبرنى أسماءً ابن زيد الليثى ، عن نافع ، عن عبد الله بن عمر ، قال : لما فتحت خير سألت يهود رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يُقرَّهم على أن يعملا على النصف مما خرج منها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أُفْرِّشُكم فيها على ذلك ما شئنا .

فكانوا على ذلك ، وكان الترْيَقْسُ على السُّهْمان من نصف خير ويأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الخمس ، وكان أطعم كل امرأة من أزواجه من الخمس مائةً وسبعين من ترْيَقْسٍ وعشرين وسقاً من شعير .

فلما أراد عمر إخراج اليهود أرسل إلى أزواج النبي صلى الله عليه وسلم فقال لهن : من أحب مثلك أن أقسم لها مائة وسقاً فيكون لها أصلها وأرضها وموتها ، ومن الزرع مَرْزَعَةً عشرة عشرين وسقاً من شعير فعلنا ، ومن أحب أن نعزل الذي لها في الخمس كا هو فعلنا .

(١) الفدع : اعوجاج الرسن من اليد أو الرجل . (٢) وَقَصْتَ : أسرعت .

وقد روی أبو داود من حديث محمد بن إسحاق حدثني نافع ، عن عبد الله بن عمر ، أن عمر قال : أيها الناس إن رسول الله صلى الله عليه وسلم عامل يهود خير على أن يخرجهم إذا شاء ، فمن كان له مال فليلعن به ، فإني أخرج يهود . فأخرجهم .

وقال البخاري : حدثنا يحيى بن بُكَيْر ، حدثنا الليث ، عن يونس ، عن ابن شهاب ، عن سعيد بن المسيب ، أن جبير بن مطعم أخبره قال : مشيت أنا وعثمان بن عفان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلنا : أعطيتَ بني المطلب من خمس خير وتركتنا ، ونحن وهم بمنزلة واحدة منك . فقال : « إنما بنو هاشم وبنو المطلب شيء واحد ». قال جبير بن مطعم : ولم يقسم النبي صلى الله عليه وسلم لبني عبد شمس وبني نوفل شيئاً .

تفرد به دون مسلم .

وفي لفظ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن بني هاشم وبني عبد المطلب شيء واحد ، إنهم لم يفارقونا في جاهلية ولا إسلام » .

قال الشافعى : دخلوا معهم فى الشّعب وناصروهم فى إسلامهم وجاهلوهم .

قلت : وقد ذم أبو طالب بنى عبد شمس ونوفلا حيث يقول :

جزى الله عن عبد شمس ونوفلا عقوبة شر عاجلاً غير آجل

وقال البخاري : حدثنا الحسن بن إسحاق ، حدثنا محمد بن ثابت ، حدثنا زائدة ،

عن عبيد الله بن عمر ، عن نافع ، عن ابن عمر قال : قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم خير الفرس سهرين وللراجل سهماً .

قال : فسره نافع فقال : إذا كان مع الرجل فرس فله ثلاثة أسمهم ، وإن لم يكن

معه فرس فله سهماً .

وقال البخاري : حدثنا سعيد بن أبي مريم ، حدثنا محمد بن جعفر ، أخبرني زيد ،

عن أبيه ، أنه سمع عمر بن الخطاب يقول : أما والذى نفسى بيده لولا أن أترك آخر الناس بيتاناً^(١) ليس لم شئ ما فتحت على قربة إلا قسمتها كأقسام النبي صلى الله عليه وسلم خير ، ولتكن أتركها خزانة لهم يقتسمونها .

وقد رواه البخارى أيضاً من حديث مالك ، وأبو داود عن أحمد بن حنبل ، عن ابن مهدي ، عن مالك ، عن زيد بن أسلم ، عن أبيه عن عمر به .

وهذا السياق يقتضى أن خير بكمالها قسمت بين الفانيين .

وقد قال أبو داود : حدثنا ابن السرح ، أنبأنا ابن وهب ، أخبرني يونس ، عن ابن شهاب قال : بلغنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم افتح خير عنوة بعد القتال وترك من ترك من أهلها بعد القتال .

وبهذا قال الزهرى : خمس رسول الله صلى الله عليه وسلم خير ثم قسم سائرها على من شهدوا .

وفيما قاله الزهرى نظر ، فإن الصحيح أن خير جميعها لم تقسم ، وإنما قسم نصفها بين الناس كما سيأتي بيانه .

وقد احتاج بهذا مالك ومن تابعه على أن الإمام مخيزن في الأراضي المفرومة ، إن شاء قسمها وإن شاء أرصلها لمصالح المسلمين ، وإن شاء قسم بعضها وأرسل بعضها لمن ينوبه في الحاجات والمصالح^(٢) .

قال أبو داود : حدثنا الربيع بن سليمان المؤذن ، حدثنا أسد بن موسى ، حدثنا يحيى ابن ذكرياء ، حدثني سفيان ، عن يحيى بن سعيد ، عن بشير بن يسار ، عن سهل بن أبي حشمة قال : قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم خير نصفين ؛ نصفاً لنوائبه ، ونصفاً بين المسلمين : قسمها ينفهم على ثمانية عشر سهماً .

(١) بياناً : أي على طريقة واحدة ، وهي كلة غير عربية .

(٢) ت : « إن شاء قسمها ، وإن شاء قسم بعضها ، كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم في خير ، فإنه خمسها ثم قسم نصفها في الفانيين ، وأرسل نصفها لما ينوبه في الحاجات والمصالح » .

تفرد به أبو داود . ثم رواه أبو داود من حديث بشير بن يسار مرسلا ، فعَيْنَ نصف النوائب الْطَّبِيعِ وَالْكَتْبَةِ وَالسَّلَامِ وَمَا حَيَزَ مَعَهَا ، وَنَصْفُ الْمُسْلِمِينَ الشَّقِّ وَالنَّطَاطَةِ وَمَا حَيَزَ مَعَهَا ، وَسَهْمَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا حَيَزَ مَعَهَا .

وقال أيضًا : حدثنا حسين بن علي ، حدثنا محمد بن فضيل ، عن يحيى بن سعيد ، عن بشير بن يسار مولى الأنصار ، عن رجال من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما ظهر على خير فقسمها على ستة وثلاثين سهمًا ، جمع كل سهم مائة سهم ، فكان لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللمسلمين النصف من ذلك ، وعزل النصف الثاني لمن نزل به من الوفود والأمور ونوائب الناس .

تفرد به أبو داود .

قال أبو داود : حدثنا محمد بن عيسى ، حدثنا مجع بن يعقوب بن مجع بن يزيد الأنصاري ، سمعت أبي يعقوب بن مجع يقول عن عميه عبد الرحمن بن يزيد الأنصاري ، عن عميه مجع بن حارثة الأنصاري - وكان أحد القراء الذين قرأوا القرآن - قال : قسمت خير على أهل الحديبية ، فقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم على ثمانية عشر سهما ، وكان الجيش ألفا وخمسمائة فيهم ثلاثة فارس ، فأعطي الفارس ، سهرين وأعطي الراجل سهما .

تفرد به أبو داود .

وقال مالك عن الزهرى ، أن سعيد بن المسيب أخبره أن النبي صلى الله عليه وسلم افتح بعض خير عنوة .

ورواه أبو داود . ثم قال أبو داود : قرئ على الحارث بن مسکین وأنا شاهد ، أخبركم ابن وهب ، حدثني مالك بن أنس ، عن ابن شهاب أن خير بعضها كان عنوة وبعضها صلح ، والكتيبة أكثراها عنوة وفيها صلح ، قلت مالك : وما الكتبية ؟

قال : أرض خيبر ، وهى أربعون ألف عَذْق . قال أبو داود : والعَذْق : النخلة .
والعَذْق : العرجون .

ولهذا قال البخارى : حدثنا محمد بن بشار ، حدثنا حرَمَى ، حدثنا شعبة ، حدثنا عمارة ،
عن عكرمة ، عن عائشة قالت : لما فتحت خيبر قلنا : الآن نشبع من التمر .

حدثنا الحسن ، حدثنا قرَّةَ بن حبيب ، حدثنا عبد الرحمن بن عبدالله بن دينار ، عن
أبيه ، عن ابن عمر قال : ما شبعنا - يعني من التمر - حتى فَتَحْنَا خيبر .

وقال محمد بن إسحاق : كانت الشق والنطة في سهمان المسلمين ، الشق : ثلاثة عشر
سهماً ونطة خمسة أسمهم ، قسم الجميع على ألف وثمانمائة سهم ، ودفع ذلك إلى من شهد
الحادية من حضر خيبر ومن غاب عنها ، ولم يغب عن خيبر من شهد الحادية إلا جابر
ابن عبد الله فضرب له بسهمه .

قال : وكان أهل الحادية ألفاً وأربعمائة ، وكان معهم مائتا فرس لـ كل فرس
سهمان ، فصرف إلى كل مائة رجل سهم من ثمانية عشر سهماً ، وزيad المسائلاً فارس
أربعمائة سهم نحو لهم .

وهكذا رواه البهقى من طريق سفيان بن عيينة ، عن يحيى بن سعيد ، عن صالح بن
كيسان أنهم كانوا ألفاً وأربعمائة معهم مائتا فرس .

قلت : وضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم معهم بسهم و كان أول سهـ من سهمان
الشق مع عاصم بن عدى .

قال ابن إسحاق : وكانت الكتبية ^{خُمساً} لله تعالى ^(١) ، وبسهم النبي صلى الله عليه وسلم ،
وبسهم ذوى القربي واليتامى والمساكين وابن السبيل ، وطعنة أزواج النبي صلى الله عليه
 وسلم ، وطعنة أقوام مشواف صلاح أهل فدك ، منهم محىصة بن مسعود أقطعه رسول الله

(١) ابن هشام : خمس الله .

صلى الله عليه وسلم ثلاثين وسقا من تمر وثلاثين وسقا من شعير . قال : وكان وادياها اللذان قسمت عليه يقال لها وادي السرير ووادي خاص .

ثم ذكر ابن إسحاق تفاصيل الإقطاعات منها ، فأجاد وأفاد رحمه الله .
قال : وكان الذي ولى قسمتها وحسابها جبار بن صخر بن أمية بن خسأء أخوبني سلمة وزيد بن ثابت رضي الله عنهما .

قلت : وكان الأمير على خَرَص نخيل خير عبد الله بن رواحة بخرصها سنتين ، ثم لما قتل رضي الله عنه في يوم مُؤْتَه ولِي بعده جبار بن صخر رضي الله عنه .

وقد قال البخاري : حدثنا إسماعيل ، حدثني مالك ، عن عبد الجيد بن سهيل ، عن سعيد بن المسيب عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استعمل رجلا على خير فجاء بتقرير جنديب ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أَكُلَّ تمر خير هكذا ؟ » قال : لا والله يا رسول الله ، إنا لَا نَأْخُذ الصاع من هذَا بالصاعين ، والصاعين بالثلاثة ، فقال : « لَا تَفْعَل بِعَجْمَ بِالدرَّاهِم ، ثُمَّ ابْتَعَ بِالدرَّاهِم جَنِيداً » .

قال البخاري : وقال الدراروذى ، عن عبد الجيد ، عن سعيد بن المسيب ، أن أبي سعيد وأبا هريرة حدثان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث أخا بنى عدى من الأنصار إلى خير وأمره عليهما . وعن عبد الجيد عن أبي صالح السجاف ، عن أبي سعيد وأبي هريرة مثله .

* * *

قلت : كان سهيم النبي صلى الله عليه وسلم الذي أصاب مع المسلمين مما قسم بخمير وفَدَك بكالمها ، وهي طائفة كبيرة من أرض خير ، نزلوا من شدة رعبهم منه صلوات الله وسلامه عليه فصالحوه ، وأموال بنى النضير المتقدم ذكرها مما لم يوجد المسلمين عليه بخمير ولا ركاب .

فـكـانـتـ هـذـهـ الـأـمـوـالـ لـرـسـوـلـ اللـهـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ خـاصـةـ ، وـكـانـ يـعـزـلـ مـنـهـ نـفـقـةـ
أـهـلـهـ لـسـنـةـ ، نـمـ يـجـعـلـ مـاـ بـقـىـ مـالـ اللـهـ يـصـرـفـ فـيـ السـكـرـاعـ وـالـسـلاـحـ وـمـصـالـحـ الـمـاسـمـينـ .
فـلـمـ مـاتـ صـلـوـاتـ اللـهـ وـسـلـامـهـ عـلـيـهـ اـعـتـقـدـتـ فـاطـمـةـ وـأـزـوـاجـ النـبـيـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ
ـ أـوـ كـثـرـهـ ـ أـنـ هـذـهـ الـأـرـاضـىـ تـكـوـنـ مـوـرـوـثـةـ عـنـهـ ، وـلـمـ يـتـلـغـهـنـ مـاـ ثـبـتـ عـنـهـ مـنـ
قـوـلـهـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ : «ـ نـحـنـ مـعـشـرـ الـأـبـيـاءـ لـأـنـورـثـ ، مـاـ تـرـكـنـاهـ فـهـوـ صـدـقـةـ »ـ .

وـلـمـ طـلـبـتـ فـاطـمـةـ وـأـزـوـاجـ النـبـيـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ وـالـعـبـاسـ نـصـيـبـهـمـ مـنـ ذـلـكـ وـسـأـلـواـ
الـصـدـيقـ أـنـ يـسـلـمـ إـلـيـهـمـ ؛ ذـكـرـ لـهـ قـوـلـ رـسـوـلـ اللـهـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ «ـ لـأـنـورـثـ
مـاـ تـرـكـنـاهـ صـدـقـةـ »ـ وـقـالـ : «ـ أـنـأـأـعـوـلـ مـنـ كـانـ يـعـولـ رـسـوـلـ اللـهـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ ، وـالـلـهـ
لـقـرـابـةـ رـسـوـلـ اللـهـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ أـحـبـ إـلـىـ أـصـلـ مـنـ قـرـابـتـيـ .

وـصـدـقـ رـضـىـ اللـهـ عـنـهـ وـأـرـضـاهـ ، فـإـنـهـ الـبـارـثـ الرـاشـدـ فـذـلـكـ التـابـعـ لـلـحـقـ .

وـطـلـبـ الـعـبـاسـ وـعـلـىـ عـلـيـ لـسـانـ فـاطـمـةـ ، إـذـ قـدـ فـاتـهـمـ الـمـيرـاثـ ، أـنـ يـنـظـرـاـ فـيـ هـذـهـ الصـدـقـةـ
وـأـنـ يـصـرـفـ ذـلـكـ فـيـ الـصـارـافـ الـتـىـ كـانـ النـبـيـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ يـصـرـفـهـاـ فـيـهـاـ ، فـأـبـيـ عـلـيـهـمـ
الـصـدـيقـ ذـلـكـ ، وـرـأـىـ أـنـ حـقـاـ عـلـيـهـ أـنـ يـقـومـ فـيـمـاـ كـانـ يـقـومـ فـيـهـ رـسـوـلـ اللـهـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ
وـسـلـمـ وـأـلـاـ يـخـرـجـ مـنـ مـسـلـكـهـ وـلـاـ عـنـ سـنـهـ .

فـقـعـضـتـ فـاطـمـةـ رـضـىـ اللـهـ عـنـهـاـ عـلـيـهـ فـذـلـكـ وـوـجـدـتـ فـيـ نـفـسـهـاـ بـعـضـ الـمـوـحـدـةـ .

وـلـمـ يـكـنـ لـهـ ذـلـكـ ، وـالـصـدـيقـ مـنـ قـدـ عـرـفـتـ هـيـ وـالـمـسـلـمـونـ مـحـلـهـ وـمـنـزـلـتـهـ مـنـ رـسـوـلـ
الـلـهـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ وـقـيـامـهـ فـيـ نـصـرـةـ النـبـيـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ فـيـ حـيـاتـهـ وـبـعـدـ وـفـاتـهـ ،
فـجزـاءـ اللـهـ عـنـ نـبـيـهـ وـعـنـ إـلـاسـلـامـ وـأـهـلـهـ خـيـرـاـ .

وـتـوـفـيـتـ فـاطـمـةـ رـضـىـ اللـهـ عـنـهـاـ بـعـدـ سـتـةـ أـشـهـرـ ثـمـ جـدـدـ عـلـىـ الـبـيـعـةـ بـعـدـ ذـلـكـ ، فـلـمـ
كـانـ أـيـامـ عـمـرـ بـنـ الـخـطـابـ سـأـلـوهـ أـنـ يـفـوـضـ أـمـرـ هـذـهـ الصـدـقـةـ إـلـىـ عـلـيـ وـالـعـبـاسـ ، وـتـقـلـوـاـ

عليه بجماعة من سادات الصحابة ، ففعل عمر رضي الله عنه ذلك ، وذلك لكثره أشغاله
واسع عملكته وامتداد رعيته .

فتفلب على عمه العباس فيها ، ثم تساوأقيحة صمان إلى عمر ، وقد مابين أيديهما
جامعة من الصحابة وسألها منه أن يقسمها بينهما فينظر كل منهما فيما لا ينظر فيه الآخر .
فامتنع عمر من ذلك أشد الامتناع وخشي أن تكون هذه القسمة تشبه قسمة المواريث
وقال : انظرا فيها وأنتما جميع ، فإن عجزتما عنها فادفعها إلى ، والذى تقوم السماء والأرض
بأمره لا أفضى فيها قضاء غير هذا .

فاستمر فيها ومن بعدها إلى أيام بنى العباس ، تصرف في المصارف التي
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصرفها فيها ؛ أموال بنى النمير وفدى وسهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم من خير .

فصل

وأما من شهد خيراً من العبيد والنساء فرضخ ^(١) لم رسول الله صلى الله عليه وسلم
 شيئاً من الغنيمة ولم يُسمِّ لهم .

قال أبو داود : حدثنا أحمد بن حنبل ، حدثنا بشر بن المفضل ، عن محمد بن زيد ،
حدثني عمير مولى أبي الأحمر قال : شهدت خيراً مع سادتي ، فكلموا في رسول الله صلى
الله عليه وسلم فأنسر بي فقلدت سيفا ، فإذا أنا أجره ، فأخبر أني ملوك ، فأمر لي بشيء
من طريق المتع .

ورواه الترمذى والنسائى جيئا ، عن قتيبة ، عن بشر بن المفضل به . وقال الترمذى :

(١) الرضخ : عطاء من الغنيمة غير محدد .

حسن صحيح . ورواه ابن ماجه عن علي بن محمد عن وكيع عن هشام بن سعد عن محمد بن زيد بن المهاجر ، عن منقذ عن خير به .

وقال محمد بن إسحاق : وشهد خير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نساء فرضخ لهن [من الف] ^(١) ولم يضرب لهن بسهم .

حدثني سليمان بن سعيم ، عن أمية بنت أبي الصلت ، عن امرأة من بني غفار قد سماها إلى ، قالت : أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في نسوة من بني غفار ، فقلنا : يا رسول الله قد أردنا أن نخرج معك إلى وجهك هذا - وهو يسير إلى خير - فداوى الجرحى ونعيين المسلمين بما استطعنا فقال : « على بركة الله » .

قالت : نخرجنا معه ، قالت : وكفت جارية حديثة السن ، فأردفني رسول الله صلى الله عليه وسلم على حقيقة رحله ، قالت : [فوا الله ترزا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الصبح ونزلت عن حقيقة رحله] ^(١) قالت : وإذا بها دم مني وكانت أول حيضة حضتها ، قالت : فتفقّبست إلى الناقة واستتحييت . فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما في ورأى الدم قال : « مالك ؟ لعلك نفست » قالت : قلت : نعم ، قال : « فأصلحي من نفسك ثم خذى إنا من ماء فاطرحي فيه ملحا ثم اغسلى ما أصاب الحقيقة من الدم ، ثم عودي لمركبك » .

قالت : فلما فتح الله خير رضخ لنا من الف ، وأخذ هذه القلادة التي ترين في عنق فأعطانيها وعلقها بيده في عنق ، فوا الله لاتفاقني أبداً . وكانت في عنقها حتى ماتت ، ثم أوصت أن تدفن معها .

قالت : وكانت لا تظهر من حيضها إلا جملت في طورها ملحا ، وأوصت به أن يجعل في غسلها حين ماتت .

وهكذا رواه الإمام أحمد وأبو داود من حديث محمد بن إسحاق به .

(١) من ابن هشام .

قال شيخنا أبو الحجاج المزّى في أطرافه : ورواه الواقدي ، عن أبي بكر بن أبي سبرة ، عن سليمان بن سحيم ، عن أم علي بنت أبي الحكم ، عن أمية بنت أبي الصلت عن النبي صلى الله عليه وسلم به .

وقال الإمام أحمد : حدثنا حسن بن موسى ، حدثنا رافع بن سلمة الأشجعى ، حدثني حشرج بن زياد ، عن جدته أم أبيه ، قالت : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة خيبر وأنا سادسة ست نسوة ، قالت : فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم أن معه نساء ، قالت : فأرسل إلينا فدعانا ، قالت : فرأينا في وجهه الغضب فقال : « ما أخرجكن وأمّركن من خرجتن ؟ » قلنا : خرجنا نتساول السهام ونسقي السوقي ، ومعنا دواء للجرحى وننزل الشّعر فتعين به في سبيل الله . قال : فمرن فانصرفن .
قالت : فلما فتح الله عليه خيبر أخرج لمنا سهاماً كسهام الرجال ، فقلت لها : يا جدة وما الذي أخرج لـكـن ؟ قالت : تـمـراً .

قلت : إنـماـ أعـطاـهـنـ منـ الـحاـصـلـ ، فـأـمـاـ أـسـهـمـ هـنـ فـالـأـرـضـ كـسـهـامـ الرـجـالـ فلا ! والله أعلم .

وقال الحافظ البهقى : وفي كتابى عن أبي عبد الله الحافظ ، أن عبد الله الأصبهرى أخبره ، حدثنا الحسين بن الجheim ، حدثنا الحسين بن الفرج ، حدثنا الواقدى ، حدثنى عبد السلام بن موسى بن جبير ، عن أبيه عن جده ، عن عبد الله بن أنيس قال : خرحت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى خيبر ومعي زوجتى وهى حبلى فنفست فى الطريق ، فأخبرت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لي : « انفع لها تـمـراً فإذا انغمـرـ فـأـمـرـ بـهـ لـتـشـرـبـهـ » ففعلت فـأـرـأـتـ شيئاً تـكـرـهـ ، فـلـمـ فـتـحـنـاـ خـيـرـ أـجـدـىـ (١)ـ النـسـاءـ وـلـمـ يـسـهـمـ هـنـ ، فـأـجـدـىـ زـوـجـتـىـ وـلـدـىـ الذـىـ ولـدـ . قال عبد السلام : لست أدرى

غلام أو جارية .

(١) أجدى : أعطى .

ذكر قدوم جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه ومن كان يقى بالخبيثة
ممن هاجر إليها من المسلمين ، ومن انضم إليهم من أهل اليمين
على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو خديج خمير

قال البخاري : حدثنا محمد بن العلاء ، حدثنا أبوأسامة ، حدثنا بُرَيْدَةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَرَدَةَ ، عَنْ أَبِي مُوسَىٰ قَالَ : بَلَغَنَا مُخْرَجُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنَحْنُ بِالْيَمِينِ ، نَخْرَجْنَا مَهَاجِرِينَ إِلَيْهِ أَنَا وَأَخْوَانِي لِأَنَا أَصْفَرُهُمْ ، أَحَدُهُمْ أَبُوبُرَدَةَ وَالآخَرُ أَبُورُهُمْ ، إِنَّمَا قَالَ : فِي بَعْضٍ ، وَإِنَّمَا قَالَ : فِي ثَلَاثَةٍ وَّخَمْسِينَ أَوْ اثْنَيْنِ وَّخَمْسِينَ رِجْلًا مِّنْ قَوْمِيِّ .
فَرَكِبْنَا سَفِينَةً فَأَفْتَقَنَا سَفِينَتَنَا إِلَى النَّجْاشِيِّ بِالْخَبْشَةِ ، فَوَاقَنَا جَعْفَرَ بْنَ أَبِي طَالِبٍ ، فَأَفْتَقَنَا مَعَهُ حَتَّىْ قَدَمْنَا جَمِيعًا ، فَوَاقَنَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ افْتَقَحَ خِيَرَ ، فَكَانَ أَنَاسٌ مِّنَ النَّاسِ يَقُولُونَ لَنَا - بَعْنَى لِأَهْلِ السَّفِينَةِ - : سَبَقْنَاكُمْ بِالْهِجْرَةِ .

وَدَخَلَتْ أَسْمَاءُ بُنْتُ عُمَيْسٍ - وَهِيَ مَنْ قَدَمَ مَعَنَا - عَلَى حَفْصَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زَاوِرَةً ، وَقَدْ كَانَتْ هَاجَرَتْ إِلَى النَّجْاشِيِّ فِي مِنْ هَذِهِ ؟ قَالَتْ : أَسْمَاءُ ابْنَةُ عُمَيْسٍ . قَالَ عَمْرٌ : أَلْخَبِيشِيَّهُ هَذِهِ ؟
الْبَحْرِيَّةُ هَذِهِ ؟ قَالَتْ أَسْمَاءُ : نَعَمْ . قَالَ : سَبَقْنَاكُمْ بِالْهِجْرَةِ ، فَنَحْنُ أَحَقُّ بِرِسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْكُمْ . فَفَضَبَتْ وَقَالَتْ : كَلَّا وَاللَّهُ كَفِيرُكُمْ مَعَ رِسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَطْعَمُ جَائِعَكُمْ ، وَيَعْظِزُ جَاهِلَكُمْ ، وَكَنَا فِي دَارٍ - أَوْ فِي أَرْضٍ - الْبَعْدَاءُ وَالْبَغْضَاءُ بِالْخَبْشَةِ ، وَذَلِكَ فِي اللَّهِ وَفِي رِسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَإِيمَانِ اللَّهِ لَا أَطْعُمُ طَعَامًا وَلَا أَشْرُبُ شَرَابًا حَتَّىْ أَذْكُرَ مَا قَاتَ لِنَبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَسَأَهُ ، وَوَاللَّهِ لَا أَكَذِّبُ وَلَا أَزْيَّنُ وَلَا أَزِيدُ عَلَيْهِ .
فَلَمَّا جَاءَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَتْ : يَا أَبَيَ اللَّهِ إِنَّ عَمَرَ قَالَ كَذَّا وَكَذَّا . قَالَتْ : قَالَ :

« فا قلت له ؟ » قالت : قلت كذا وكذا . قال : « ليس بأحق بي منكم ، وله ولأصحابه جهزة واحدة ، ولكم أنتم أهل السفينة هيرتان » .

قالت : فلقد رأيت أبا موسى وأهل السفينة يأتوني أرسلاً يسألونى عن هذا الحديث ، ما من الدنيا شيء به أَفْرَحُ ولا أَعْظَمُ في أنفسهم مما قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم .

قال أبو بُرْدَة : قالت أسماء : فلقد رأيت أبا موسى وإنه ليستعيد هذا الحديث مني . وقال أبو بُرْدَة عن أبي موسى : قال النبي صلى الله عليه وسلم « إِنَّ لِأَعْرَفِ أَصْوَاتِ رِفْقَةِ الْأَشْعَرِيْنَ بِالْقُرْآنِ حِينَ يَدْخُلُونَ بِاللَّيلِ ، وَأَعْرَفُ مَنَازِلَهُمْ مِنْ أَصْوَاتِهِمْ بِالْقُرْآنِ بِاللَّيلِ ، وَإِنْ كُنْتَ لَمْ أَرَ مَنَازِلَهُمْ حِينَ نَزَلُوا بِالنَّهَارِ ، وَمِنْهُمْ حَكِيمُ بْنُ حَزَامٍ إِذَا لَقِيَ الْعُدُوَّ أَوْ قَالَ الْخَلِيلَ - قَالَ لَهُمْ : إِنَّ أَصْحَابَيِّ يَأْمُرُونَكُمْ أَنْ تَنْظُرُوهُمْ » .

وهكذا رواه مسلم عن أبي كُرَيْبٍ وعبد الله بن بُرَيْدٍ عن أبي أُسَمَّةَ به .

ثم قال البخاري : حدثنا إسحاق بن إبراهيم ، حدثنا حفص بن غياث ، حدثنا بُرَيْدٌ [ابن عبد الله^(١)] عن أبي بُرْدَة ، عن أبي موسى ، قال : قدمنا على النبي صلى الله عليه وسلم بعد أن افتتح خيبر ، فقسم لنا ولم يقسم لأحد لم يشهد الفتح غيرنا .

تفرد به البخاري دون مسلم ورواه أبو داود والترمذى وصححه من حديث بُرَيْدٍ به .

وقد ذكر محمد بن إسحاق أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث عمرو بن أمية الضمرى إلى النجاشى يطلب منه من يقى من أصحابه بالحبشة ، فقدموا صحبة جعفر وقد فتح النبي صلى الله عليه وسلم خيبر .

قال : وقد ذكر سفيان بن عيينة عن الأجاج عن الشعبي ، أن جعفر بن أبي طالب قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح خيبر ، فقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم بين عينيه والتزمه وقال : « ما أدرى بأيِّهما أنا أَسْرَى بفتح خيبر أم بقدوم جعفر » .

(١) من صحيح البخاري .

وهكذا رواه سفيان الثورى عن الأجلح ، عن الشعبي مرسلا .

وأسنـد البـيـهـقـى من طـرـيق حـسـنـ بنـ حـسـينـ العـرـزـمـىـ ، عنـ الأـجـلـحـ ، عنـ الشـعـبـىـ عنـ جـاـبـرـ قـالـ : لـاـ قـدـمـ رـسـوـلـ اللـهـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ مـنـ خـيـرـ قـدـمـ جـعـفـرـ مـنـ الـبـشـةـ ، خـتـلـقـاهـ وـقـبـلـ جـهـتـهـ وـقـالـ : « وـالـلـهـ مـاـ أـدـرـىـ بـأـيـهـاـ أـفـرـحـ ، بـفـتـحـ خـيـرـ أـمـ بـقـدـومـ جـعـفـرـ ». ثـمـ قـالـ الـبـيـهـقـىـ ، حـدـثـنـاـ أـبـوـ عـبـدـالـلـهـ الـحـافـظـ ، حـدـثـنـاـ الـحـسـينـ بنـ أـبـيـ إـسـمـاعـيلـ الـعـلـوـىـ ، حـدـثـنـاـ أـحـمـدـ بنـ مـحـمـدـ الـبـيـرـوـتـىـ ، حـدـثـنـاـ مـحـمـدـ بنـ أـحـمـدـ بنـ أـبـيـ طـيـبـ ، حـدـثـنـىـ مـكـىـ بنـ إـبـرـاهـيمـ الـرـئـيـسـىـ ، حـدـثـنـاـ سـفـيـانـ الـثـوـرـىـ ، عـنـ أـبـىـ الزـيـدـ ، عـنـ جـاـبـرـ قـالـ : لـاـ قـدـمـ جـعـفـرـ بنـ أـبـىـ طـالـبـ مـنـ أـرـضـ الـبـشـةـ تـلـقـاهـ رـسـوـلـ اللـهـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ ، فـلـمـ نـظـرـ جـعـفـرـ إـلـيـهـ حـجـلـ - قـالـ مـكـىـ : يـعـنـىـ مـشـىـ عـلـىـ رـجـلـ وـاـحـدـةـ - إـعـظـامـاـ لـرـسـوـلـ اللـهـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ ، فـقـبـلـ رـسـوـلـ اللـهـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ بـيـنـ عـيـنـيـهـ .

ثـمـ قـالـ الـبـيـهـقـىـ : فـإـسـنـادـهـ مـنـ لـاـ يـعـرـفـ إـلـىـ الـثـوـرـىـ .

* * *

قال ابن إسحاق : وكان الذين تأخروا مع جعفر من أهل مكة إلى أن قدموا معه خيبر ستة عشر رجلا . وسرد أسماءهم وأسماء نسائهم وهم : جعفر بن أبي طالب الماشمي ، وامرأته أسماء بنت عيسى ، وابنه عبد الله ولد بالحبشة ، وخالد بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس ، وامرأته أمينة بنت خلف بن أسد ، وولدها سعيد ، وأمة بنت خالد ولدا بأرض الحبشة ، وأخوه عمرو بن سعيد بن العاص ، ومعيقيب بن أبي فاطمة ، وكان إلى آل سعيد بن العاص .

قال : وأبو موسى الأشعري عبد الله بن قيس حليف آل عتبة بن ربيعة ، وأسود ابن نوفل بن خويلد بن أسد الأسدى ، وجهم بن قيس بن عبد شرحبيل العبدادى ، وقد ماتت امرأته أم حزم لة بنت عبد الأسود بأرض الحبشة ، وابنه عمرو ، وابنته خزيمة ماتا بها رجمهم الله ، وعامر بن أبي وقاص الزهرى ، وعتبة بن مسعود حليف لهم من

هذيل ، والحارث بن خالد بن صخر التميمي ، وقد هلكت بها امرأته ربيطة بنت الحارث رحمة الله ، وعمان بن ربيعة بن أهبان الجمحى ، ومحمية بن جزء الزبيدي حليف بني سهم ، ومعمور بن عبد الله بن نصلة العددوى ، وأبو حاطب بن عمرو بن عبد شمس ، ومالك ابن ربيعة بن قيس بن عبد شمس العامريان ، ومع مالك هذا امرأته عمرة بنت السعدي ، والحارث بن عبد شمس بن لقيط الفهرى .

قلت : ولم يذكر ابن إسحاق أسماء الأشعريين الذين كانوا مع أبي موسى الأشعري وأخويه أبا بُردة وأبا رُهْم وعمه أبا عامر ، بل لم يذكر من الأشعريين غير أبي موسى ولم يتعرض لذكر أخويه وما أحسن منه كما تقدم في صحيح البخارى .

وكان ابن إسحاق رحمه الله لم يطلع على حديث أبي موسى في ذلك . والله أعلم .
قال : وقد كان معهم في السفينتين نساء من نساء من هلك من المسلمين هنالك وقد حرر هاهنا شيئاً كثيراً حسناً .

* * *

قال البخارى : حدثنا على بن عبد الله ، حدثنا سفيان ، سمعت الزهرى ، وسأله إسماعيل بن أمية قال : أخبرنى عن عتبة بن سعيد ، أن أبا هريرة آتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسأله - يعني أن يقسم له - فقال بعض بنى سعيد بن العاص : لاتفعطه . فقال أبو هريرة : هذا قاتل ابن قوقل . فقال : واعجبًا لوازيرٍ تدلّى من قدوم الصان^(١) .
تفرد به دون مسلم .

قال البخارى : ويدرك عن الزبيدي عن الزهرى ، أخبرنى عن عتبة بن سعيد ، أنه

(١) الوازير : فراء دوية تشبه السنور ، وتسمى غنم بني إسرائيل . وتدلّى : انحدر . وقدوم الصان : جبل بأرض دوس قوم أبي هريرة . أراد بذلك تحقيبه . ورواية صحيح البخارى : قدوم الصان باللام . وما هنا رواية الأصل وأبى ذر .

سمع أبو هريرة يخبر سعيد بن العاص قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أباًنا على سرية من المدينة قبل نجد .

قال أبو هريرة : فقدم أباًنا وأصحابه على النبي صلى الله عليه وسلم بخبير بعد ما فتحها ، وإن حُزم خيلهم لليف .

قال أبو هريرة : قلت : يارسول الله لا تقسم لهم . فقال أباًنا : وأنت بهذا ياوبر تحدّر من رأسِ ضال . وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « يا أباًنا اجلس » ولم يقسم لهم . وقد أسنداً أبو داود هذا الحديث ، عن سعيد بن منصور ، عن إسماعيل بن عياش ، عن محمد بن الوليد الزبيدي به نحوه .

ثم قال البخاري : حديثنا موسى بن إسماعيل ، حديثنا عمرو بن يحيى بن سعيد ، أخبرني جدّي وهو سعيد بن عمرو بن سعيد بن العاص ، أن أباًنا بن سعيد أقبل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فسلم عليه ، فقال أبو هريرة : يارسول الله هذا قاتل ابن قوقل . فقال أباًنا لأبي هريرة : واعجباً لك ياوبر^(١) ترددَ من قدوم ضآن ، تفزعى على أمراءَ أكرم الله بيده ، ومنعه أن يهمنى بيده ؟ .

هكذا رواه متفرداً به هاهنا^(٢) . وقال في الجهاد بعد حديث الحميدى ، عن سفيان ، عن الزهرى عن عَبْنَةَ بْنِ سَعِيدٍ ، عن أَبِي هَرِيرَةَ قَالَ : أَتَيْتَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ بَخِيرٌ بَعْدَ مَا فَتَحَهُ ، قَوْلَتْ : يَارَسُولَ اللَّهِ أَنْتَمْ لَنِّي . قَوْلَ بَعْضِ آلِ سَعِيدٍ أَبْنَى الْعَاصِمَ : لَا تَقْسِمْ لَهُ . قَوْلَتْ : يَارَسُولَ اللَّهِ هَذَا قَاتِلُ ابْنِ قَوْقَلَ . الْحَدِيثُ .

قال سفيان : حدثني السعیدی - يعني عمرو بن يحيى بن سعيد - عن جده عن أبي هريرة بهذا :

ففي هذا الحديث التصریح من أبي هريرة بأنه لم يشهد خیر وتقدم في أول هذه

(١) صحيح البخاري : واعجباً لك وبر ترداداً .

(٢) من هنا إلى أول خبر الحاج علاط ساقطة من (١) .

العروة . رواه الإمام أحمد من طريق عراك بن مالك ، عن أبي هريرة وأنه قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ما افتتح خير فكلم المسلمين فأشركونا في أسمائهم .
وقال الإمام أحمد : حدثنا روح ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن علي بن زيد ، عن عمارة بن أبي عمار ، قال : ما شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مفهوماً قط إلا قسم لى ، إلا خير فإنهما كانت لأهل الحديبية خاصة .

قلت : وكان أبو هريرة وأبو موسى جاءا بين الحديبية وخير .

وقد قال البخاري : حدثنا عبد الله بن محمد ، حدثنا معاوية بن عمرو ، حدثنا أبو إسحاق ، عن مالك بن أنس ، حدثني ثور ، حدثني سالم مولى [عبد الله] بن مطعيم ، أنه سمع أبي هريرة يقول : افتتحنا خير فلم نقم ذهباً ولا فضة ، إنما غنمنا الإبل والبقر والمتاع والحوائط ، ثم انصرفنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى وادي القرى ومعه عبد له يقال له مِدْعُم أَهْدَاهْ له بعض بني الضبيب ، فيما هو يحيط رحل رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ جاءه سهم عاثر حتى أصاب ذلك العبد ، فقال الناس : هنئوا له الشهادة .
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كلاً وللذى نفسى بيده إن الشملة التي أصاها يوم خير لم تُصبها المقاديس لتشتعل عليه ناراً » .

فجاء رجل حين سمع ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم بشراك أو شراك كين فقال : هذا شيء كنت أصبه . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « شراك أو شراك كين من نار » .

ذكر قصة الشاة المسمومة

وما كان من أمر البرهان الذي ظهر عندها والحجة البالغة فيها

قال البخاري : رواه عروة ، عن عائشة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم قال :

حدثنا عبد الله بن يوسف ، حدثنا الليث ، حدثني سعيد ، عن أبي هريرة قال : لما فُتحت خبر أهديت لرسول الله صلى الله عليه وسلم شاة فيها سم . هكذا أورده هاهنا مختصرأ .

وقد قال الإمام أحمد : حدثنا حجاج ، حدثنا ليث ، عن سعيد بن أبي سعيد ، عن أبي هريرة قال : لما فُتحت خبر أهديت للنبي صلى الله عليه وسلم شاة فيها سم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اجمعوا إلى من كان هاهنا من يهود » فجُمعوا له ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « إني سألكم عن شيء فهل أنت صادق عنه ؟ » قالوا : نعم يا أبا القاسم . فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من أبوكم ؟ » قالوا : أبوانا فلان ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كذبتم بل أبوكم فلان » قالوا : صدقت وبرأت . فقال : « هل أنت صادق عن شيء إذا سألكم عنه ؟ » قالوا : نعم يا أبا القاسم ، وإن كذبنا عرفنا كذبنا كما عرفته في أيينا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ أَهْلُ النَّارِ ؟ » قالوا : نَكُونُ فِيهَا يَسِيرًا ثُمَّ تَخْلُفُونَا فِيهَا .

قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم « والله لا تختلفون فيهم أبداً ». ثم قال لهم : « هل أنت صادق عن شيء إذا سألكم ؟ » قالوا : نعم يا أبا القاسم . فقال : « هل جعلتم في هذه الشاة سماء ؟ » قالوا : نعم . قال : « ما حملكم على ذلك ؟ » قالوا : أردنا إن كذبنا أن نستريح منك ، وإن كفت نبيا لم يضرك .

وقد رواه البخاري في الجزية عن عبد الله بن يوسف ، وفي المغازى أيضاً عن قتيبة ، كلها عن الليث به . وقال البيهقي : أنبأنا أبو عبد الله الحافظ ، أنبأنا أبو العباس الأصم ، حدثنا سعيد بن سليمان ، حدثنا عباد بن العوام ، عن سفيان بن حسين ، عن الزهرى ، عن سعيد بن المسيب وأبي سلمة بن عبد الرحمن ، عن أبي هريرة ، أن امرأة من يهود أهدت لرسول الله صلى الله عليه وسلم شاة مسمومة فقال لأصحابه : « أمسكوا فإنها مسمومة » وقال لها :

« ما حملك على ما صنعت ؟ » قالت : أردت أن أعلم إن كنتنبياً فسيُطلّعك الله عليه ، وإن كفتَ كاذباً أربع الناسَ منك . قال : فما عرَض لها رسول الله صلى الله عليه وسلم .

رواه أبو داود عن هارون بن عبد الله ، عن سعيد بن سليمان به .

ثم روى البهق عن طريق عبد الملك بن أبي نصرة ، عن أبيه ، عن جابر بن عبد الله نحو ذلك .

وقال الإمام أحمد : حدثنا شريح ، حدثنا عباد ، عن هلال - هو ابن خباب - عن عكرمة ، عن ابن عباس أن امرأة من اليهود أهدت لرسول الله صلى الله عليه وسلم شاة مسمومة ، فأرسل إليها فقال : « ما حملك على ما صنعت ؟ » قالت : أحببت - أو أردت - إن كفتنبياً فإن الله سيطلعك عليه ، وإن لم تكننبياً أربع الناس منك .

قال : فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا وجد من ذلك شيئاً احتجم ، قال :

فاسفر مرةً فلما أحرم وجد من ذلك شيئاً فاحتجم .

تفرد به أحمد وإسناده حسن .

وفي الصحيحين من حديث شعبة عن هشام بن زيد ، عن أنس بن مالك ، أن امرأة يهودية أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم بشاة مسمومة فأكل منها ، فجاء بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألها عن ذلك ، قالت : أردت لآقتلك . فقال : « ما كان الله ليسلطك على » أو قال : « على ذلك » . قالوا : ألا تقتلها ؟ قال : « لا » .

قال أنس : فما زلت أعرفها في لهوات رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقال أبو داود : حدثنا سليمان بن داود المزري ، حدثنا ابن وهب ، أخبرني بونس ، عن ابن شهاب ، قال : كان جابر بن عبد الله يحدث أن يهودية من أهل خمير سمت شاة

مَصْلِحَةٍ^(١) ثُمَّ أَهَدَتْهَا الرَّسُولُ اللَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأَخْذَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النَّدْرَاعَ فَأَكَلَ مِنْهَا ، وَأَكَلَ رَهْطًا مِنْ أَصْحَابِهِ مَعَهُ ، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « ارْفِعُوا أَيْدِيكُمْ ». .

وَأَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْمَرْأَةِ فَدَعَاهَا فَقَالَ لَهَا : « أَتَنْهَمْتِ هَذِهِ الشَّاءَ ؟ » قَالَتِ الْيَهُودِيَّةُ : مَنْ أَخْبَرْتَكَ ؟ قَالَ : « أَخْبَرْتَنِي هَذِهِ التِّي فِي يَدِي » وَهِيَ النَّدْرَاعُ ، قَالَتْ : [نَعَمْ] . قَالَ : « فَمَا أَرْدَتِ بِذَلِكَ ؟ » قَالَتْ : قَلَتْ : إِنْ كَفَتْ نَبِيَا فَلَنْ تَضْرِكَ ، وَإِنْ لَمْ تَسْكُنْ نَبِيَا إِسْتَرْحَنَا مِنْكَ . .

فَعَفَا عَنْهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَمْ يَعَاقِبْهَا ، وَتَوَفَّ بَعْضُ أَصْحَابِهِ الَّذِينَ أَكَلُوا مِنِ الشَّاءَ ، وَاحْتَجَمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى كَاهْلِهِ مِنْ أَجْلِ الذِّي أَكَلَ مِنِ الشَّاءَ ، حَجَّمَهُ أَبُو هُنْدَ بِالْقَرْنِ وَالشَّفَرَةِ وَهُوَ مَوْلَى لَبْنَي بَيَاضَةِ الْأَنْصَارِ . .

* * *

ثُمَّ قَالَ أَبُو دَاوُدْ : حَدَّثَنَا وَهْبُ بْنُ بَقِيَّةَ ، حَدَّثَنَا خَالِدُ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عُمَرَ ، عَنْ أَبِي سَلَمةَ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَهَدَتْ لَهُ يَهُودِيَّةً بِخَيْرِ شَاءَ مَصْلِحَةً نَحْنُ حَدِيثُ جَابِرٍ . قَالَ : فَاتَّبَعَ شَرُّ بْنَ الْبَرَاءَ بْنَ مَعْرُورٍ ، فَأُرْسَلَ إِلَى الْيَهُودِيَّةِ فَقَالَ : « مَا حَمَّلَكَ عَلَى الذِّي صَنَعْتَ ؟ » فَذَكَرَنَحْنُ حَدِيثَ جَابِرٍ ، فَأَمْرَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُتِلَتْ وَلَمْ يُذْكُرْ أَمْرَ الْحِجَاجَةِ . .

قَالَ الْبَيْهِقِيُّ : وَرَوَيْنَا مِنْ حَدِيثِ حَمَادَ بْنِ سَلَمَةَ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عُمَرَ وَعَنْ أَبِي سَلَمةَ ، عَنْ أَبِي هَرِيرَةَ . .

قَالَ : وَيَحْقِمُ أَنَّهُ لَمْ يَقْتُلْهَا فِي الْأَبْتِداءِ ، ثُمَّ لَمَّا مَاتَ شَرُّ بْنَ الْبَرَاءَ أَمْرَرَ بَقْتُلَهَا . . وَرَوَى الْبَيْهِقِيُّ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ الرَّزَاقِ ، عَنْ مَعْمَرٍ ، عَنْ الزَّهْرَى ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ

ابن كعب بن مالك ، أن امرأة يهودية أهدت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم شاة مَصْلِيَّة بخبيث ، فقال : « ما هذه ؟ » قالت : هدية . وحدَّرَتْ أن تقول صدقة فلا يأكل . قال : فأكل وأصحابه نعم قال : « أمسكوا » ثم قال للمرأة : « هل سَمِّتِ ؟ » قالت : من أخبرك هذا ؟ قال : « هذا العَظِيمُ » لساقها وهو في يده ، قالت : نعم . قال : « لم » . قالت : أردت إن كنت كاذباً أن نستريح منك ، وإن كنت نبياً لم يضرك . قال : فاحتجم رسول الله صلى الله عليه وسلم على السكاهل وأمر أصحابه فاحتجموا . ومات بعضهم .

قال الزهرى : فأسلمت فتركها النبي صلى الله عليه وسلم .

قال الإبيهقى : هذا مُرْسَلٌ ، ولعله قد يكون عبد الرحمن حمله عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه .

وذكر ابن لهيعة عن أبي الأسود ، عن عروة ، وكذلك موسى بن عقبة عن الزهرى قالوا : لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم خير وقتل منهم من قتل ، أهدت زينب بنت الحارث اليهودية وهى ابنة أخي مزحوب لصفية شاة مَصْلِيَّة سَمِّتها ، وأكثرت في الكتف والذراع ، لأنها بلغها أنه أحب أعضاء الشاة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على صفية ومعه بشر بن البراء بن معروف ، وهو أحد بنى سلمة ، فقدَّمت إيليهم الشاة المصليَّة ، فتناول رسول الله صلى الله عليه وسلم الكتف وانهش منها ، وتناول بشر عظماً فانهش منه ، فلما استرط^(١) رسول الله صلى الله عليه وسلم لقمته استرط بشر بن البراء ما في فيه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ارفعوا أيديكم فإن كتف هذه الشاة يخبرني أنى نعيمت فيها » فقال بشر بن البراء :

(١) استرط : ابتلع .

والذى أَكْرَمْتَكَ لَقَدْ وَجَدْتَ ذَلِكَ فِي أَكْلَتِ الَّتِي أَكْلَتْ، فَمَا مَعْنَى أَنْ أَفْظُلُهَا إِلَّا أَنِّي أَعْظَمْتُكَ أَنْ أُبَغْضَكَ طَعَامَكَ، فَلَمَّا أَسْعَتَ مَا فِي فِيلَكَ لَمْ أَرْغَبْ بِنَفْسِي عَنْ نَفْسِكَ وَرَجُوتْ أَنْ لَا تَكُونَ اسْتِرْطَمْتَهَا وَفِيهَا نَعْيٌ. فَلَمْ يَقُمْ بِشَرِّ مَكَانِهِ حَتَّى عَادَ لَوْنَهُ كَالْطَّبِيسَانَ وَمَا طَلَهُ وَجْهٌ حَتَّى كَانَ لَا يَتَحُولُ حَتَّى يُحُولُ.

قال الزهرى : قال جابر : واحتجم رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ ، حجَّمه مولى بنى بياضة بالقرن والشفرة ، وبقي رسول الله صلى الله عليه وسلم بعده ثلاثة سنين حتى كان وجده الذى توفى فيه فقال : « مازلت أَحِدُ مِنَ الْأَكْلَةِ الَّتِي أَكْلَتْ مِنَ الشَّاةِ يَوْمَ خَيْرِ عِدَادٍ^(١) حَتَّى كَانَ هَذَا أَوَانَ انْقِطَاعِ أَبْهَرِي ». فتوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم شهيداً .

* * *

وقال محمد بن إسحاق : فلما أطْمَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَهْدَتْ لَهُ زَيْنَبُ بَنْتُ الْحَارِثَ امْرَأَ سَلَامُ بْنِ مِشْكَمَ شَاةً مَصْلِيَّةً، وَقَدْ سَأَلَتْ أَىْ عَضْوٍ أَحَبَّ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقِيلَ لَهَا النَّرَاعُ. فَأَكْثَرَتْ فِيهَا مِنَ السَّمِّ، ثُمَّ سَمَّتْ سَائِرَ الشَّاةِ ثُمَّ جَاءَتْ بِهَا، فَلَمَّا وَضَعَتْهَا بَيْنِ يَدِيهِ تَنَاهَى عَنِ النَّرَاعِ فَلَمَّا كَانَتْ مُضْغَةً فَلَمْ يُسْغِهَا، وَمَعَهُ بَشَرٌ بْنُ الْبَرَاءِ بْنُ مَعْرُورٍ، قَدْ أَخْذَ مِنْهَا كَمَا أَخْذَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَمَّا بَشَرٌ فَأَسْاغَهَا، وَأَمَّا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَفَلَقَهَا ثُمَّ قَالَ : « إِنَّ هَذَا الْمَظَيْنَرِي أَنْهُ مَسْمُومٌ ».

ثُمَّ دَعَاهَا فَاعْتَرَفَتْ، قَالَ : « مَا حَمَلْتَ عَلَى ذَلِكَ » قَالَتْ : بِلِفْتَ مِنْ قَوْمٍ مَالِمٍ يَخْفَى عَلَيْكَ، فَقَلَتْ : إِنْ كَانَ كَذَابًا اسْتَرْحَتْ مِنْهُ، وَإِنْ كَانَ نَبِيًّا فَسَيِّئَ بَحْرًا .

قال : فَتَجَاهَ زَعْنَاهَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَاتَ بَشَرٌ مِنْ أَكْلَتِهِ الَّتِي أَكَلَ .

(١) عِدَادًا : مَعَاوِدَةً لِلْأَمْ.

قال ابن إسحاق : وحدثني مروان بن عثمان بن أبي سعيد بن المعلى ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قال في مرضه الذي توفي فيه - ودخلت عليه أخت بشر بن البراء بن معور - : « يا أم بشر إن هذا الأوان وجدت [فيه] انقطاعاً بهرئي من الأكلة التي أكلت مع أخيك خمير » .

قال ابن هشام : الأهز : العرق المعلق بالقلب .

قال : فإن كان المسلمون ليرون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مات شهيداً مع ما أكرمه الله به من النبوة .

* * *

وقال الحافظ أبو بكر البزار : حدثنا هلال بن بشر وسلیمان بن يوسف الحرّانى ، قالا : حدثنا أبو غيث سهل بن حماد ، حدثنا عبد الملك بن أبي نصرة عن أبيه ، عن أبي سعيد الخدري ، أن يهودية أهداها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم شاة سميطاً ، فلما بسط القوم أيديهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أمسكوا فإن عضوا من أعضائها يخربني أنها مسمومة » فأرسل إلى صاحبها : « أسممت طعامك ؟ » قالت : نعم . قال : « ما حملك على ذلك ؟ » قالت : إن كنت كذلك أنا أريح الناس منك ، وإن كنت صادقا علمت أن الله سيطلعك عليه .

فبسط يده وقال : « كلوا بسم الله » . قال : فأكلنا وذكرنا اسم الله فلم يضر أحداً منها .

ثم قال : لا يُروى عن عبد الملك بن أبي نصرة إلا من هذا الوجه .

قلت : وفيه نكارة وغرابة شديدة . والله أعلم .

وذكر الواقدي أن عيينة بن حصن قبل أن يسلم رأى في منامه رؤيا ورسول الله صلى الله عليه وسلم محاصر خمير ، فطمع من رؤياه أن يقاتل رسول الله صلى الله عليه وسلم

فيظفر به ، فلما قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم خير و جده قد افتحها ؟ فقال : يا محمد أطعمي ماغنتَ من حلقائي - يعني أهل خير - فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كذبت رؤياك » وأخبره بما رأى .

فرجع عبيدة فلقيه الحارث بن عوف فقال : ألم أقل إنك توضع في غير شيء ، والله ليظهرن محمدًا على ما بين المشرق والمغرب ، وإن يهود كانوا يخربوننا بهذا ، أشهد لسمعتُ أبا رافع سلام بن أبي الحقيق يقول : إننا لننسد محمدًا على النبوة حيث خرجت من بني هارون ، إنه لم يرسل ، ويهود لانطوا عنى على هذا . ولنا منه ذبحان ؟ واحد يثرب وآخر يخرب . قال الحارث : قلت لسلام : يملك الأرض ؟ قال : نعم والتوراة التي أنزلت على موسى وما أحب أن تعلم يهود بقولي فيه .

فصل

قال ابن إسحاق : فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من خير انصرف إلى وادي القرى فحاصر أهلها ليالى ثم انصرف راجعاً إلى المدينة .

ثم ذكر من قصة مذمم وكيف جاءه سهم غارب فقتله ، وقال الناس : هنئنا له الشهادة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كلاً والذى نفسي بيده إن الشملة التي أخذها يوم خير لم يصبها المقاسم لتشتعل عليه نازاً » .

وقد تقدم في صحيح البخاري نحو ما ذكره ابن إسحاق والله أعلم .
وسيأتي ذكر قتاله عليه السلام بوادي القرى .

قال الإمام أحمد : حدثنا يحيى بن سعيد ، عن محمد بن يحيى بن حبان ، عن أبي عمارة ، عن زيد بن خالد الجعفي ، أن رجلاً من أشجع من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم توفي يوم خير ، فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال : « صلوا على صاحبكم »

فتغير وجوه الناس من ذلك ، فقال : « إن صاحبكم غلٌ في سبيل الله » ففتشنا متاعه
فوجدنا خرزاً من خرز يهود مابساوى درهمين .

وهكذا رواه أبو داود والنسائي من حديث يحيى بن سعيد القطان . ورواه أبو
داود وبشر بن المفضل وابن ماجه من حديث الليث بن سعد ثلاثتهم عن يحيى بن سعيد
الأنصاري به .

وقد ذكر البهقى أن بني فزاره أرادوا أن يقاتلاه رسول الله صلى الله عليه وسلم
مرجعه من خيبر وتجمعوا بذلك فبعث إليهم يوادعهم موضعاً معيناً فلما تحققوا ذلك
هردوا كل مهرب ؟ وذهبوا من طريقه كل مذهب .

وتقىد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما حلّت صفيحة من استبرائها دخل بها
بمكان يقال له سُد الصَّهباء في أثناء طريقه إلى المدينة ؟ وأولم عليها بخيس ، وأقام ثلاثة
أيام يبني عليه بها ، وأسلمت فأعتقها وتزوجها وجعل عقاها صداقها ، وكانت إحدى
أمها المؤمنين كما فهمه الصحابة لما مدَّ عليها الحجاب وهو مردفها وراءه رضى
الله عنها .

وذكر محمد بن إسحاق في السيرة قال : لما أعرس رسول الله صلى الله عليه وسلم
بصفية بخيس - أو ببعض الطريق - وكانت التي جملتها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
ومشطتها وأصلحت من أمرها أم سليم بنت ملحان أم أنس بن مالك ، وبات بها رسول
الله صلى الله عليه وسلم في قبة له وبات أبو أيوب متتوشحاً بسيفه يحرس رسول الله صلى
الله عليه وسلم ويُظيف بالقبة حتى أصبح ، فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم مكانه
قال : « مالك يا أبا أيوب ؟ » قال : خفتُ عليك من هذه المرأة ، وكانت امرأة قد قتلت
أباها وزوجها وقومها ، وكانت حديثة عهد بکفر فخفتها عليك . فزعوا أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال : « اللهم احفظ أبا أيوب كما بات يحفظني » .

ثم قال : حدثني الزهرى عن سعيد بن المسئيب ، فذكر نوهم عن صلاة الصبح
موجعهم من خيبر ، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أولهم استيقاظاً فقال : « ماذا
صنعتَ بنا يابلال ؟ » قال : يارسول الله أخذ بنفسي الذى أخذ بنفسك . قال :
« صدقتَ » ثم افتاد ناقته غير كثير ثم نزل فتوضاً وصلى كما كان يصلها قبل ذلك .

وهكذا رواه مالك عن الزهرى عن سعيد مرسلأ . وهذا مرسل من هذا الوجه .

وقد قال أبو داود : حدثنا أحمد بن صالح ، حدثنا ابن وهب ، أخبرني يونس ، عن
ابن شهاب ، عن سعيد بن المسئيب ، عن أبي هريرة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
حين قفل من غزوة خيبر ، فسار ليلاً حتى إذا أدركنا الگرى عرس وقال لبلال :
« أكلنا الليل » قال : فلما بلالاً عيناه وهو مستند إلى راحلته فلم يستيقظ النبي
صلى الله عليه وسلم ولا بلال ولا أحد من أصحابه حتى ضربتهم الشمس ، وكان رسول الله
صلى الله عليه وسلم أولهم استيقاظاً ، فزع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : « يابلال »
قال : أخذ بنفسى الذى أخذ بنفسك بابى أنت وأمى يارسول الله . قال : فاقتادوا
رواحلهم شيئاً ثم توضأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأمر بلالاً فقام الصلاة وصلى لهم
الصبح ، فلما أن قضى الصلاة قال : « من نسى صلاة فليصلها إذا ذكرها ، فإن الله تعالى
يقول : « وأقم الصلاة لذكرى » .

قال يونس : وكان ابن شهاب يقرأها كذلك .

وهكذا رواه مسلم عن حرمدة بن يحيى ، عن عبد الله بن وهب به ، وفيه أن ذلك
كان مرجعهم من خيبر .

وفي حديث شعبة عن جامع بن شداد ، عن عبد الرحمن بن أبي علقمة ، عن ابن
مسعود أن ذلك كان مرجعهم من الحديبية ، في رواية عنه أن بلالاً هو الذى كان
يُكْلُؤُهُم ، وفي رواية عنه أنه هو الذى كان يكُلُؤُهُم .

قال الحافظ البهقى : فيحتمل أن ذلك كان مرتين . قال : وفي حديث عمران بن حصين وأبى قتادة نوْمَهُم عن الصلاة ، وفيه حديث الميضاة ، فيحتمل أن ذلك إحدى هاتين المرتين أو مرّة ثالثة .

قال : وذكر الواقدى في حديث أبى قتادة أن ذلك كان مرجعهم من غزوة تبوك .

قال : وروى زافر بن سليمان ، عن شعبة ، عن جامع بن شداد ، عن عبد الرحمن ، عن ابن مسعود أن ذلك كان مرجعهم من تبوك . فالمعلم .

ثم أورد البهقى ما رواه صاحب الصحيح من قصة عوف الأعرابى ، عن أبى رجاء عن عمران بن حصين ، في قصة نوْمَهُم عن الصلاة وقصة المرأة صاحبة السطحيتين وكيف أخذوا منها ماء روى الجيش بكاله ولم ينقص ذلك منها شيئاً .

ثم ذكر ما رواه مسلم من حديث ثابت البغدادى ، عن عبد الله بن رباح ، عن أبى قتادة ، وهو حديث طويل وفيه نوْمَهُم عن الصلاة وتكثير الماء من تلك الميضاة . وقد رواه عبد الرزاق عن معمر عن قتادة .

وقال البخارى : حدثنا موسى بن إسماعيل ، حدثنا عبد الواحد ، عن عاصم عن أبى عثمان ، عن أبى موسى الأشعري قال : لما غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبرًا ، وقال : لما توجه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى خيبر أشرف الناس على واد فرفعوا أصواتهم بالتكبير : الله أكبر لا إله إلا الله . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اربعوا على أنفسكم إنكم لا تدعون أصم ولا غائبًا إنكم تدعون سمعاً قريباً وهو معكم ». وأنا خلف دابة رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمعني وأنا أقول : لا حول ولا قوة إلا بالله . فقال : يا عبد الله بن قيس . قلت : ليك يا رسول الله . قال : « ألا أدلك على كلة من كنز الجنة ؟ » قلت : بلى يا رسول الله فداك أبى وأمى . قال : « لا حول ولا قوة إلا بالله » .

وقد رواه بقية الجماعة من طرق ، عن عبد الرحمن بن مُلِّ أبي عثمان التَّهْدِي ، عن أبي موسى الأشعري .

والصواب أنه كان مرجعهم من خير ، فإن أبو موسى إنما قدِّم بعد فتح خير .
كما تقدم .

* * *

قال ابن إسحاق : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم - فيما بلغنى - قد أعطى ابن لقيم العبسى حين افتتح خير ما بها من دجاجة أو داجن ، وكان فتح خير في صفر ، فقال ابن لقيم في فتح خير :

شَهِيَاءُ ذَاتِ مَنَاكِبٍ وَفَقَارٍ ^(١)	رُمِيتْ نَطَاطَةً مِنَ الرَّسُولِ بِفَيْلِقٍ
وَرِجَالُ أَسْلَمَ وَسَطَاهَا وَغَفَارٍ	وَاسْتِيقْنَتْ بِالذَّلِيلِ لِمَا شَيْئَتْ
وَالشَّقُّ أَظْلَمُ أَهْلَهُ بِنَهَارٍ	صَبَحَتْ بْنَى عُمَرَ وَبْنَ زُرْعَةَ غُدُوَّةً
إِلَّا الدَّجَاجَ تَصْبِحُ بِالْأَسْحَارِ	جَرَّتْ بِأَبْطَحْهَا الْذِيَوَلَ فَلَمْ تَدْعُ
مِنْ عَبْدِ الْأَشْهَلِ أَوْ بَنِي النَّجَارِ	وَلَكَلَّ حَصْنٌ شَاغِلٌ مِنْ خَلَاهُمْ
فَوْقَ الْمَفَافِرِ لَمْ يَنْوِ لِفَرَارٍ	وَمِنْهَا جَرِينَ قَدْ أَعْلَمُوا سِيَاهُمْ
وَلَيْثُوينَ بِهَا إِلَى أَصْفَارٍ ^(٢)	وَلَقَدْ عَلِمْتُ لَيْغَلِبِنَّ مُحَمَّدًا
تَحْتَ الْعَجَاجِ غَامِمَ الْأَبْصَارِ ^(٣)	فَرَّتْ يَهُودُ عَنْهُ ذَلِكَ فِي الْوَغَى

(١) نَطَاطَةٌ : حصن بخير . والفيقان الكتبية . والشَّهِيَاءُ : الـكَثِيرَةُ السَّلَاحُ وَذَاتُ مَنَاكِبٍ وَفَقَارٍ شديدة .

(٢) أَصْفَارٌ : جمع صفر وهو الشهر المعروف .

(٣) الغَامِمُ : جفون العين . قال السهيلي : وهو بيت مشكل ؟ غير أن في بعض النسخ وهي قليلة عن ابن هشام أنه قال : فرت : ففتحت ، من قولك : فرت الذابة ، إذا فتحت فاما ، وغامم الأ بصار : هي مفعول فرت ، وهي جفون أعينهم . انظر الروض الأنف .

فصل

في ذكر من استشهد بخبير من الصحابة رضى الله عنهم
على ما ذكره ابن إسحاق بن يسار رحمه الله وغيره من أصحاب المغازي

فمن خير المهاجرين ربيعة بن أكثم بن سخبيرة الأسدى مولى بنى أمية ، وثقيف بن عمرو ورفاعة بن مسروح حلفاء بنى أمية ، وعبد الله بن الهبیب بن أهیم بن سعیم بن غیرة من بنى سعد بن ليث حليف بنى أسد وابن أختهم . ومن الأنصار بشر بن البراء ابن معروف منأكلة الشاة المسمومة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كاتقدما ، وفضيل ابن النعمان السليمان ، ومسعود بن سعد بن قيس بن خالد بن عامر بن زريق الزرق ، ومحمود بن مسلمة الأشهلي ، وأبو ضيّاح حارثة بن ثابت بن النعمان العمرى ، والحارث بن حاطب ، وعروة بن مُرّة بن سراقة ، وأوس [بن] الفائد^(١) وأنيف بن حبيب ، وثابت بن أئلة وطلحة ، وعمارة بن عقبة رمى بسهم قتله ، وعامر بن الأكوع ثم سلمة ابن عمرو بن الأكوع أصحاب طرف سيفه في ركبته قتله رحمه الله كاتقدما ، والأسود الراعي . وقد أفرد ابن إسحاق هاهنا قصته وقد أسلفناها في أوائل الفروة
ولله الحمد والللة .

قال ابن إسحاق : ومن استشهد بخبير فيما ذكره ابن شهاب من بنى زهرة مسعود ابن ربيعة حليف لهم من القارة ، ومن الأنصار ثم من بنى عمرو بن عوف أوس بن قتادة رضى الله عنهم أجمعين .

(١) الأصل : وأوس الفارض . وما أتبته عن الإصابة .

خبر الحجاج بن علّاط البهْزى رضى الله عنه

قال ابن إسحاق : ولما فتحت خير كلّ رسول الله صلى الله عليه وسلم الحجاج بن علّاط السُّلْمَى ثم البهْزى فقال : يارسول الله إن لي بعكة مالا عند صاحبتي أم شيئاً بنت أبي طلحة - وكانت عنده له منها معرض بن الحجاج - وما لا متفرق في تجارة أهل مكة ، فأذن لي يارسول الله . فأذن له ، فقال : إنه لا بد لي يارسول الله من أن أقول . قال : قل .

قال الحجاج : نفرجت حتى إذا قدمت مكة وجدت بئنية البيضاء رجالاً من قريش يستقمعون الأخبار ويسألون عن أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد بلغهم أنه قد سار إلى خير وقد عرفوا أنها قرية الحجاز رفقاً ومنعها ورجالاً ، وهم يتجمّسون الأخبار من الركبان ^(١) .

فلم أرأني قالوا : الحجاج بن علّاط - قال : ولم يكونوا علّاماً بإسلامي - عنده والله الخبر ، أخبرنا يا أبا محمد فإنه قد بلغنا أن القاطع قد سار إلى خير وهي بلد يهود وريف الحجاز . قال : قلت : قد بلغنى ذلك وعندي من الخبر ما يسركم . فالتبطوا ^(٢) بمنبني ناقتي يقولون : إيه ياحجاج ؟ قال : قلت : هزم هزيمة لم تسمعوا بمثلها قط ، وقد قُتل أصحابه قتلاً لم تسروا بهم قط ، وأسر محمد أسراء ، وقالوا : لا نقتلهم في نبعث به إلى مكة [فيقتلوه بين أظهرهم بين كأن أصحاب من رجالهم . قال : فقاموا وصاحوا بعكة] ^(٣) وقالوا : قد جاءكم الخبر ، وهذا محمد إنما تنتظرون أن يقدم به عليكم فيقتل بين أظهركم .

(١) ابن هشام : يتجمّسون الأخبار ويسألون الركبان .

(٢) التبطوا : مشوا بجانبها ولازموها .

(٣) من ابن هشام .

قال : قلت : أَعِينُونِي عَلَى جَمْعِ مَالِ بَكَةِ وَعَلَى غَرْمَائِي ، فَإِنِّي أَرِيدُ أَنْ أَقْدَمَ خَيْرَ
فَأَصِيبَ مِنْ فَلَّ مُحَمَّدَ وَأَصْحَابِهِ قَبْلَ أَنْ يَسْبِقَنِي التَّجَارُ إِلَى مَا هَنَالُكُ . قال : فَقَامُوا
فَجَمَعُوا إِلَى مَا كَانَ لِي كَاحِثٌ جَمْعٌ سَمِعْتُ بِهِ ، قال : وَجَثَتْ صَاحِبَتِي قَوْلَتْ : مَالِي ، وَكَانَ
[لِي] ^(١) عِنْدَهَا مَالٌ مَوْضِعُهُ ، فَلَعْلَى الْحَقِّ بِخَيْرٍ فَأَصِيبَ مِنْ فُرْصَ الْبَيْعِ قَبْلَ أَنْ
يَسْبِقَنِي التَّجَارُ .

قال : فَلَمَّا سَمِعَ العَبَاسُ بْنُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ الْخَبَرَ وَمَا جَاءَهُ عَنِ الْأَقْبَلِ حَتَّى وَقَفَ إِلَى
جَنْبِي وَأَنَا فِي خِيمَةِ الْتَّجَارِ ، فَقَالَ : يَا حَاجَاجَ مَا هَذَا الَّذِي جَثَتْ بِهِ ؟ قال : قَوْلَتْ :
وَهُلْ عِنْدَكَ حِفْظٌ لِمَا وَضَعْتُ عِنْدَكَ ؟ قال : نَعَمْ . قال : قَوْلَتْ : فَاسْتَأْخِرْ حَتَّى أَلْقَاكَ
عَلَى خَلَاءِ ، فَإِنِّي فِي جَمْعِ مَالِ كَا تَرِي ، فَانْصَرِفْ حَتَّى أَفْرَغَ . قال : حَتَّى إِذَا
فَرَغْتَ مِنْ جَمْعِ كُلِّ شَيْءٍ كَانَ لِي بَكَةٌ وَأَجْمَعْتُ الْخَرْوَجَ لِقِيتِ الْعَبَاسِ قَوْلَتْ : احْفَظْ
عَلَيْهِ حَدِيثِي يَا أَبا الْفَضْلِ ، فَإِنِّي أَخْشَى الْطَّلَبِ ثَلَاثَانِمْ قَلْ مَا شَئْتَ . قال : أَفْعَلْ . قَوْلَتْ :
فَإِنِّي وَاللَّهِ تَرَكْتُ ابْنَ أَخِيكَ عَرْوَسًا عَلَى بَنْتِ مَلْكَكُمْ - يَعْنِي صَفِيفَةَ بَنْتَ حَيْيَ - وَقَدْ
افْتَحَ خَيْرَ وَأَنْتَشَلَ مَا فِيهَا وَصَارَتْ لَهُ وَلِأَصْحَابِهِ . قال : مَا تَقُولُ يَا حَاجَاجَ ؟ قال :
قَوْلَتْ : إِنِّي وَاللَّهِ فَاكَتُمْ عَنِي ، وَلَقَدْ أَسْلَمْتُ وَمَا جَثَتْ إِلَّا أَخْذَ مَالِ فَرَقًا عَلَيْهِ مِنْ
أَنْ أُغْلَبَ عَلَيْهِ ، فَإِذَا مَضَتْ ثَلَاثَةَ فَأَظْهَرَ أَمْرَكَ فَهُوَ وَاللَّهُ عَلَى مَا تَحْبَبُ ، قال : حَتَّى
إِذَا كَانَ الْيَوْمُ الثَّالِثُ لِبِسِ الْعَبَاسِ حَلَّةً لَهُ وَتَخَاقَ ^(٢) وَأَخْذَ عَصَاهُ ، ثُمَّ خَرَجَ حَتَّى أَتَى
الْكَعْبَةَ فَطَافَ بِهَا ، فَلَمَّا رَأَوْهُ قَالُوا : يَا أَبا الْفَضْلِ هَذَا وَاللَّهِ التَّجَلُّ لَحْرُ الْمَصِيْبَةِ !
قال : كَلا وَاللَّهِ الَّذِي حَلَفْتُ بِهِ ، لَقَدْ افْتَحَ مُحَمَّدٌ خَيْرَ وَنَزَلَ عَرْوَسًا عَلَى بَنْتِ مَلْكَكُمْ
وَأَحْرَزَ أَمْوَالَهُمْ وَمَا فِيهَا ، وَأَصْبَحَتْ لَهُ وَلِأَصْحَابِهِ . قَالُوا : مَنْ جَاءَكَ بِهِذَا الْخَبَرِ ؟ قال : الَّذِي
جَاءَكُمْ بِمَا جَاءَكُمْ بِهِ ، وَلَقَدْ دَخَلَ عَلَيْكُمْ مُسْلِمًا وَأَخْذَ أَمْوَالَهُ فَانْطَلَقَ لِيَحْقِقَ بِمُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ

(٢) تَخَاقُ : تَطْبِيبُ الْمَلْوَقِ .

(١) مِنْ أَبْنَاءِ هَشَامَ .

فيكون معه ، فقالوا : يا عباد الله ! انفلت عدو الله ، أما والله لو علمنا لكان لنا له شأن .
قال : ولم ينشبوا أن جاءهم الخبر بذلك .

* * *

وهكذا ذكر ابن إسحاق هذه القصة منقطعة .
وقد أسنَد ذلك الإمام أحمد بن حنبل فقال : حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا معمر ، سمعت ثابتاً يحدث عن أنس قال : لما افتح رسول الله صلى الله عليه وسلم خير قال الحجاج ابن علّاط : يارسول الله إن لي بعكة مالا وإن لي بها أهلا ، وإن أريد أن آتيهم ، فإذا أنا في حلٍّ إن أنا نلت منك أو قلت شيئا ؟ فاذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقول ماشاء ، فأتى أمرأته حين قدم فقال : أجمعى لي ما كان عندك ، فإني أريد أنأشترى من غلامي محمد وأصحابه فإنهم قد استبيحوا وأصيّبوا أمواهم .

قال : وفشا ذلك بمكّة ، فانقمع المسلمون وأظهر المشركون فرحاً وسروراً .

قال : وبلغ الخبر العباس فعقر وجعل لا يستطيع أن يقوّم . قال معمر : فأخبرني عثمان الغزرجي عن مِقْسَم قال : فأخذ ابنا يقال له قُوم واستلقى ووضعه على صدره وهو يقول .

جِيْ قُومٌ شِبْهُ ذِي الْأَنْفِ الْأَشْمِ
بَنِي ذِي النِّعَمِ بِرَغْمِ مِنْ زَعْمِ

قال ثابت عن أنس : ثم أرسل غلامه إلى حجاج بن علّاط فقال : وبلك ماجئت به وماذا تقول ؟ فما وعد الله خيراً مما جئت به . فقال : حجاج بن علّاط : اقرأ على أبي الفضل السلام وقل له فليدخل لى في بعض بيته لأنّيه ، فإن الخبر على ما يسره . فجاء غلامه فلما بلغ الدار قال : أبشر يا أبا الفضل . قال : فوثب العباس فرحاً حتى قبل بين عينيه ، فأخبره ماقال حجاج فأعتقه .

قال : ثم جاءه الحجاج فأخبره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد افتح خير وغم

أموالهم ، وجرت سهامُ الله في أموالهم ، واصطفي رسول الله صلَّى الله عليه وسلم صافيةَ بنت حيٍ واتخذها لنفسه ، وخَيْرُها أن يعتقها وتكون زوجه أو تلحق بأهلها ، فاختارت أن يعتقها وتكون زوجته . قال : ولكنني جئت لمال كان هاهنا أردت أن أجمعه فأذهب به ، فاستأذنت رسول الله صلَّى الله عليه وسلم فأذن لي أن أقول ما شئت ، فأخف على ثلاثة ثم أذكِّر مابدا لك .

قال : فجمعت أمراته ما كان عندها من حلٍ أو متاع فجمعته ودفعته إليه ثم انصرفَ به ، فلما كان بعدَ ثلاثةٍ أتى العباسُ امرأةَ الحجاج فقال : ما فعل زوجك ؟ فأخبرته أنه ذهب يوم كذا وكذا ، وقالت : لا يحزنك الله يا أبا الفضل لقد شق علينا الذي بلغك ، قال : أجل لا يحزنني الله ولم يكن بحمد الله إلا ما أحببنا ، فتح الله خير على رسوله وجرت فيها سهامُ الله ، واصطفي رسول الله صلَّى الله عليه وسلم صافية لنفسه ، فإن كانت لك حاجة في زوجك فالحق به . قالت : أظنك والله صادقاً ؟ قال : فإني صادق والأمرُ على ما أخبرتك ، ثم ذهب حتى أتى مجالسَ قريش وهم يقولون إذا مر بهم : لا يصيبك إلا خير يا أبا الفضل . قال : لم يصبني إلا خير بحمد الله ، أخبرني الحجاج بن عِلَاط أن خيراً فتحها الله على رسوله وجرت فيها سهام الله واصطفى صافية لنفسه ، وقد سأله أن أخفي عنه ثلاثة ، وإنما جاء ليأخذ ماله وما كان له من شيء هاهنا ثم يذهب . قال : فرد الله السَّكَّابة التي كانت بالمسلمين على المشركين ، وخرج المسلمون من كان دخل بيته مكتتبًا حتى أتى العباسَ فأخبرهم الخبر ، فسرّ المسلمون وردّ ما كان من كَبَّة أو غَيْظ أو حزن على المشركين .

وهذا الإسناد على شرط الشييخين ولم يخرجه أحد من أصحاب السَّكَّابة الستة سوى النسائي عن إسحاق بن إبراهيم ، عن عبد الرزاق به نحوه .
ورواه الحافظ البهقي من طريق محمود بن عَيْلان عن عبد الرزاق . ورواه أيضًا من طريق يعقوب بن سفيان ، عن زيد بن المبارك ، عن محمد بن ثور عن معمر به نحوه .

وكذلك ذكر موسى بن عقبة في مغازييه أن قريشاً كان بينهم تراهن عظيم وتباعيـ، منهم من يقول : يظهر محمد وأصحابه . ومنهم من يقول : يظهر الخليفـان ويهدـود خـيرـ . وكان الحجاج بن عـلـاط السـلـمـي ثم البـهـزـي قد أسلم وشهد مع رسول الله صـلـى اللـهـ عـلـيـهـ فـتـحـ خـيرـ ، وكان تخته أم شـيبةـ اخت عبد الدار بن قـصـيـ ، وكان الحجاج مـسـكـثـاـ من المـالـ ، وكانت له معادن أرض بـنـي سـلـيـ ، فـلـما ظـهـرـ رسـولـ رـسـولـ اللـهـ صـلـى اللـهـ عـلـيـهـ وـلـمـ علىـ خـيرـ استـأـذـنـ الحـجـاجـ رسـولـ اللـهـ صـلـى اللـهـ عـلـيـهـ وـلـمـ فيـ الـدـهـابـ إـلـىـ مـكـةـ يـحـمـعـ أـمـوـالـهـ ، فـأـذـنـ لـهـ نـحـوـ مـاتـقـدـمـ . والله أعلم .

[قال السهيلي رحمـهـ اللـهـ : وـرـوـيـناـ فـيـ سـبـبـ إـسـلـامـ الحـجـاجـ هـذـاـ أـمـرـاـ عـجـيـباـ مـعـ الـجـنـ . قال : وهو والـدـ نـصـرـ بنـ حـجـاجـ الذـىـ نـفـاهـ عـمـرـ بنـ الخـطـابـ رـضـىـ اللـهـ عـنـهـ مـنـ الـمـدـيـنـةـ بـسـبـبـ اـفـتـقـانـ بـعـضـ جـوـارـيـ الـمـدـيـنـةـ . وـفـيـهـ تـقـوـلـ الفـرـيـعـةـ بـنـتـ هـامـ أـمـ الحـجـاجـ بـنـ يـوسـفـ الثـقـفـيـ :

أـلـ سـبـيـلـ إـلـىـ خـمـرـ فـأـشـرـبـهـ لـاـ سـبـيـلـ إـلـىـ نـصـرـ بنـ حـجـاجـ
قال : فـلـما ذـهـبـ إـلـىـ الشـامـ فـهـوـيـ اـمـرـأـ أـبـيـ الـأـسـوـدـ السـلـمـيـ وـأـضـنـيـ مـنـ جـبـهاـ ، وـكـانـ يـقـالـ لـهـ الضـنـيـ . وـمـاتـ بـذـلـكـ]^(١) .

قال ابن إـسـحـاقـ : وـمـاـ قـيلـ مـنـ الشـعـرـ فـيـ غـزـوـةـ خـيـرـ قولـ حـسـانـ :
بـئـسـ مـاقـاتـلـتـ خـيـابـرـ عـمـتاـ جـمـعـواـ مـنـ مـزارـعـ وـنـخـيلـ
كـرـهـوـ الـمـوتـ فـاـسـتـبـيـحـ جـهـاـمـ وـأـفـرـّـواـ فـعـلـ الـذـلـيلـ
أـمـ الـمـوتـ يـهـرـبـونـ فـإـنـ الـمـوـتـ مـوـتـ الـهـزـالـ غـيـرـ جـمـيلـ
وـقـالـ كـعبـ بـنـ مـالـكـ فـيـ ذـكـرـهـ اـبـنـ هـشـامـ عـنـ أـبـيـ زـيدـ الـأـنـصـارـيـ :
وـنـحـنـ وـرـدـنـاـ خـيـراـ وـفـروـصـهـ بـكـلـ فـتـيـ عـارـيـ الـأـشـاجـ مـذـوـدـ]^(٢)

(١) سقط من المطبوعة . (٢) الفروض : مواضع الشرب من الأنوار . والأشاجع : عروق ظاهر الكف . والمذود : الحائط المدافـع .

جُوادٌ لَدِي الْغَایَاتِ لَا وَاهِنٌ الْقُوَى
 عَظِيمٌ رَمَادُ الْقِدْرِ فِي كُلِّ شَقَوَةٍ
 يُرَى الْقُتْلُ مَدْحَى إِنْ أَصَابَ شَهَادَةً
 يَذُودُ وَيَحْمِي عَنْ ذِمَارِ مُحَمَّدٍ وَيَدْفَعُ عَنْهُ بِاللِّسَانِ وَبِالْيَدِ
 وَيَنْصُرُهُ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ يَرِيهِ يَجْوِدُ بِنَفْسِهِ دُونَ نَفْسِ مُحَمَّدٍ
 يَصْدُقُ بِالْأَنْبَاءِ بِالْغَيْبِ مُخْلِصًا يَرِيدُ بِذَاكِ الْعَزَّ وَالْفَوْزَ فِي غَدِيرِ

فصل

فِي مَرْوِرَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِوَادِي الْقَرَى وَمَحَاصِرَتِهِ قَوْمًا مِنَ الْيَهُودِ وَمَصَالِحَتِهِ
 يَهُودٌ عَلَى مَا ذَكَرَهُ الْوَاقِدِيُّ

قال الواقدي : حدثني عبد الرحمن بن عبد العزيز ، عن الزهرى ، عن أبي سلمة ،
 عن أبي هريرة قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من خيبر إلى وادي
 القرى ، وكان رفاعة بن زيد بن وهب الجذامي قد وهب لرسول الله صلى الله عليه
 وسلم عبداً أسود يقال له مذعم ، فكان يرحل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما نزلنا
 بِوَادِي الْقَرَى اتَّهَمَنَا إِلَيْهِ يَهُودٌ وَقَدْ إِلَيْهَا نَاسٌ مِنَ الْعَرَبِ ، فِي بَيْنِ مِذْعَمٍ بَحْطَهُ رَحْلَ رَسُولِ
 اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ اسْتِيقْبَلْنَا يَهُوداً بِالرَّمَى حِينَ نَزَلْنَا وَلَمْ نَكُنْ عَلَى تَعْبِيَةِهِ ، وَهُمْ
 يَصْبِحُونَ فِي آطَامِهِمْ ، فَيُقْبَلُ سَهْمٌ عَلَى ثَمَرَةِ فَاصَابَ مَذْعَمًا فَقُتِلَ ، فَقَالَ النَّاسُ : هَنِئُنَا لِهِ الْجَنَّةَ .
 فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « كَلَّا وَالَّذِي نَفْسِي يَبْدِئُ إِنَّ الشَّمَلَةَ الَّتِي أَخْذَهَا يَوْمَ خَيْرِ مِنْ
 الْمَفَانِمِ لَمْ تَصْبِهَا الْمَقَاسِمُ لِتَشْتَعِلَ عَلَيْهِ نَارًا » فَلَمَّا سَمِعَ بِذَلِكَ النَّاسُ جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِشَرَكٍ أَوْ شَرَاكِينَ . فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « شَرَكٌ مِنْ نَارٍ

أو شرًا كان من نار » . وهذا الحديث في الصحيحين من حديث مالك عن ثور بن يزيد عن أبي الفيث عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه .

قال الواقدي : فعَبَّ رَسُولُ اللَّهِ أَصْحَابَهُ لِلتَّقْتِلِ وَصَفَّهُمْ ، وَدَفَعَ لَوَاءَهُ إِلَى سَعْدِ بْنِ عَبَادَةَ ، وَرَايَةً إِلَى الْحَبَابِ بْنِ الْمَنْذَرِ ، وَرَايَةً إِلَى سَهْلِ بْنِ حَنْيفٍ ، وَرَايَةً إِلَى عَبَادِ بْنِ بَشَرٍ ، ثُمَّ دَعَاهُمْ إِلَى الإِسْلَامِ وَأَخْبَرَهُمْ إِنَّ أَسْلَمُوا أَحْرَزُوا أَمْوَالَهُمْ وَحَقَّنُوا دِمَاهُمْ وَحَسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ .

قال : فبَرَزَ رَجُلٌ مِّنْهُمْ ، فَبَرَزَ إِلَيْهِ الزَّبِيرُ بْنُ الْعَوَامِ فَقُتِلَ ، ثُمَّ بَرَزَ آخَرُ فَبَرَزَ إِلَيْهِ عَلَى قُتْلِهِ ، حَتَّى قُتِلَ مِنْهُمْ أَحَدُ عَشَرَ رَجُلًا ، كُلُّا قُتُلَ مِنْهُمْ رَجُلًا دُعِيَّ مِنْ بَقِيَّةِ مِنْهُمْ إِلَى الإِسْلَامِ .

ولقد كانت الصلاة تحضر ذلك اليوم فيصل إلى أصحابه ثم يعود فيدعوه إلى الإسلام وإلى الله عز وجل ورسوله ، وقاتلهم حتى أمسى^(١) ، وغدا عليهم فلم ترتفع الشمس قيد رمح حتى أعطوا بأيديهم ، وفتحها عنوة وغنمهم الله أموالهم وأصابوا أنفساً ومتاعاً كثيراً .

وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بوادي القرى أربعة أيام ، فقسم ما أصاب على أصحابه ، وترك الأرض والنخيل في أيدي اليهود وعاملهم عليها ، فلما بلغ اليهود تياء ما وطى به رسول الله صلى الله عليه وسلم خير وفداً ووادي القرى صالحوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الجزية ، وأقاموا بأيديهم أموالهم .

فلما كان عمر أخرج اليهود خيراً وفداً ولم يخرج أهل تياء ووادي القرى لأنهم دخلتان في أرض الشام ، ويرى أن ما دون وادي القرى إلى المدينة حجاز ، ومن وراء ذلك من الشام .

قال : ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعاً إلى المدينة بعد أن فرغ من خير ووادي القرى وغنم الله عز وجل .

(١) أمسى .

قال الواقدي : حدثني يعقوب بن محمد ، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي صعصعة ، عن الحارث بن عبد الله بن كعب ، عن أم عماره ، قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجُرْف وهو يقول : « لا تَطْرُقُوا النساء بعد صلاة العشاء » قالت : فذهب رجل من الحى فطرق أهله فوجد ما يكره ، نخلى سبيلها ولم يهجر ، وضنَّ بزوجته أن يفارقها وكان له منها أولاد وكان يحبها ، فصعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأى ما يكره .

فصل

ثبت في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما افتتح خير عامل يهودها عليها على شطرين ما يخرج منها من تمر أو زرع .

وقد ورد في بعض ألفاظ هذا الحديث على أن يعملاها من أموالهم ، وفي بعضها : وقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم : « نقركم فيها ما شئنا » .

وفي السنن أنه كان يبعث عليهم عبد الله بن رواحة يخرصها عليهم عند استواء ثمارها ثم يضمهم إياها ، فلما قُتل عبد الله بن رواحة بهؤلة بعث جبار بن صخر كما تقدم . وموضع تحرير ألفاظه وبيان طرقه كتاب المزارعة من كتاب الأحكام إن شاء الله وبه الثقة .

وقال محمد بن إسحاق : سألت ابن شهاب كيف أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم يهود خير نخلهم ؟ فأخبرني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم افتتح خير عنوة بعد القتال ، وكانت خير مما أفاء الله عليه ، خمسها وقسمها بين المسلمين ونزل من نزل من أهلها على الجلاء بعد القتال ، فدعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « إن شئتم

دفعت إليكم هذه الأموال على أن تعملوها و تكون ثمارها بيننا وبينكم ، فاقرءكم
ما أقركم الله .

فقبلوا و كانوا على ذلك يعلومنها ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث عبد الله
ابن رواحة فيقسم ثمارها ويعدل عليهم في الخرس .

فلما توفي الله نبيه صلى الله عليه وسلم أقرها أبو بكر بأيديهم على المعاملة التي عاملتهم
عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى توف ، ثم أقرهم عمر بن الخطاب صدرأً من
إمارته ، ثم بلغ عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في وجده الذي قبضه الله فيه :
« لا يجتمعن بجزيرة العرب دينان » فبحص عمر عن ذلك حتى بلغه الشّيْت ، فأرسل إلى
يهود فقال : إن الله أذن لي في إجلاثكم . وقد بلغنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال : « لا يجتمعن في جزيرة العرب دينان » فن كان عنده عهد من رسول الله صلى الله
عليه وسلم فليأتني به أتفذه له ، ومن لم يكن عنده عهد فليتجهز للجلاء . فأجل عمر من لم
يكن عنده عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قلت : قد ادعى يهود خير في أزمان متأخرة بعد الثلثمائة أن بأيديهم كتابا من
رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه أنه وضع الجزية عنهم .

وقد اغترَّ بهذا الكتاب بعضُ العلماء حتى قال ياسقط الجزية عنهم ، من الشافعية
الشيخ أبو علي بن خيرون ، وهو كتاب مزوّر [مكذوب مفترى] لا أصل له ، وقد يفت
بطلانه من وجوه عديدة في كتاب مفرد [١)

وقد تعرض لذكره وإبطاله جماعة من الأصحاب في كتبهم كابن الصباغ في مسائله ،
والشيخ أبي حامد في تعليقته ، وصنف فيه ابن المسندة جزءاً منفرداً للرد عليه ، وقد
تحرّكوا به بعد السبعمائة وأظهروا كتابا فيه نسخة ما ذكره الأصحاب في كتبهم ، وقد
وقفت عليه فإذا هو مكذوب ، فإن فيه شهادة سعد بن معاذ ، وقد كان مات قبل زمن

(١) سقط من ١ .

خير ، وفيه شهادة معاوية بن أبي سفيان ولم يكن أسلم يومئذ ، وفي آخره : وكتبه على ابن أبي طالب . وهذا لحن وخطأ ، وفيه وضع الجزية ولم تكن شرعت بعد ، فإنها إنما شرعت أول ما شرعت وأخذت من أهل نجران . وذكروا أنهم وفدوا في حدود سنة تسع . والله أعلم .

* * *

ثم قال ابن إسحاق : وحدثني نافع مولى عبد الله بن عمر ، عن ابن عمر قال : خرجت أنا والزبير بن العوام والمقداد بن الأسود إلى أموالنا بخير تعاهدنا ، فلما قدمتنا تفرقنا في أموالنا ، قال : فمدي على تحت الليل وأنا نائم على فراشي فندعوت يدائي من مرافق ، فلما استصرخ على أصحابي فأتياني فسألاني من صنع هذا بك ؟ فقلت : لا أدرى ، فأصلاحا من يدى ، ثم قدمابي على عمر ، فقال : هذا عمل يهود خير .

ثم قام في الناس خطيبا فقال : أيها الناس إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عامل يهود خير على أنا نخر جهم إذا شئنا ، وقد عدوا على عبد الله بن عمر فدعوا يديه كما بلغكم مع عذواتهم على الأنصار قبله ، لا نشك أنهم كانوا أصحابه ليس لنا هناك عدو غيرهم ، فمن كان له مال من خير فليلحق به فإنه مخرج يهود . فأخرجهم .

قلت : كان لعمر بن الخطاب سهمه الذي بخير ، وقد كان وقفه في سبيل الله وشرط في الوقف ما أشار به رسول الله صلى الله عليه وسلم كا هو ثابت في الصحيحين ، وشرط أن يكون النظر فيه للإرشد فالإرشد من بناته وبنيه .

قال الحافظ البهقي في الدلائل : جامع أبواب السرايا التي تذكر بعد فتح خير وقبل عمرة القصبة ، وإن كان تاريخ بعضها ليس بالواضح عند أهل المغازي .

سرية أبي بكر الصديق إلى بنى فزاره

قال الإمام أحمد : حدثنا بهز ، حدثنا عكرمة بن عمارة ، حدثنا إياس بن سلمة ، حدثني أبي ، قال : خرجنا مع أبي بكر ابن أبي قحافة وأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم علينا فزرونا بنى فزاره ، فلما دنونا من الماء أمرنا أبو بكر فعرّسنا ، فلما صلينا الصبح أمرنا أبو بكر فشئنا الغارة ، فقتلنا على الماء من مَرْقِبَنا .

قال سلمة : ثم نظرت إلى عنق من الناس فيه الذرية والنساء نحو الجبل وأنا أعدو في آثارهم ، تخشيت أن يسبقوني إلى الجبل فرميت بهم فوقع بينهم وبين الجبل ، قال : جفت بهم أسوفهم إلى أبي بكر حتى أتيته على الماء وفيهم امرأة من فزاره عليها قشع^(١) من أدم ومعها ابنة لها من أحسن العرب ، قال : فنفلتني أبو بكر بنتها ، قال : فاكشفت لها ثوبا حتى قدمت المدينة ، ثم بـت فلم أكشف لها ثوبا ، قال : فلقيني رسول الله صلى الله عليه وسلم في السوق فقال لي : « ياسلمة هب لي المرأة » قال : قلت : والله يارسول الله لقد أتعجبتني وما كشفت لها ثوبا . قال : فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم وتركني ، حتى إذا كان من الغد لقيني رسول الله صلى الله عليه وسلم في السوق فقال : « ياسلمة حب لـلى المرأة » . قال : قلت : يارسول الله والله لقد أتعجبتني وما كشفت لها ثوبا . قال : خسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم وتركتني ، حتى إذا كان من الغد لقيني رسول الله صلى الله عليه وسلم في السوق فقال : « ياسلمة هب لـلى المرأة الله أبوك » قال : قلت : يارسول الله والله ما كشفت لها ثوبا وهـى لك يارسول الله . قال : بعث بها رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهل مكة وفي أيديهم أسرى من المسلمين فقدمـهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بتلك المرأة .

وقد رواه مسلم والبيهقي من حديث عكرمة بن عمارة به .

(١) القشع : الفرو الحلق .

سرية عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى تُربة من أرض هوازن وراء مكة بأربعة أميال

ثم أورد البهقى من طريق الواقدى بأسانيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثَ عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى ثلاثة راكباً و معه دليل من بنى هلال ، و كانوا يسرون الليل و يسكنون النهار ، فلما انتهوا إلى بلادهم هربوا منهم و كرّ عمر راجحاً إلى المدينة ، فقيل له : هل لك في قتال خصم؟ فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يأمرني إلا بقتال هوازن في أرضهم .

سرية عبد الله بن رواحة إلى يسir بن رزام اليهودى

ثم أورد من طريق إبراهيم بن الْمِيعَة ، عن أبي الأسود ، عن عروة ، ومن طريق موسى بن عقبة عن الزهرى ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث عبد الله بن رواحة في ثلاثة راكبائهم عبد الله بن رواحة إلى يسir بن رزام اليهودى حتى أتوه بخير ، وباع رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه يجمع غطفان ليغزو بهم ، فأتوه فقالوا : أرسلنا إليك رسول الله صلى الله عليه وسلم ليستعملك على خير . فلم يزالوا به حتى تبعهم في ثلاثة رجالاً مع كل رجل منهم رديفٌ من المسلمين ، فلما بلعوا قرقرة نيار وهي من خير على ستة أميال ندم يسir بن رزام فأهوى بيده إلى سيف عبد الله بن رواحة ، فقطن له عبد الله بن رواحة فزجر بيده ثم اقتحم يسوق بالقوم ، حتى استمكن من يسir ضرب رجله فقطعها ، واقتضم يسir وفي بيده مخراس من شوحيط^(١) فضرب به وجه عبد الله بن رواحة فشجه شجنة مأمومة^(٢) . وانكشف كل رجل من المسلمين على رديفه فقتله ، غير رجل واحد من اليهود أعجزهم شدّاً ولم يصب من المسلمين أحد ،

(١) المخراس المجن ، وهو عصا معقوفة . والشوحيط : شجر من النوع .

(٢) مأمومة : في أمرأسه .

وبصق رسول الله صلى الله عليه وسلم في شجنة عبد الله بن رواحة فلم تُفْتَحْ ولم تؤذه حتى مات .

سرية أخرى مع بشير بن سعد

روى من طريق الواقدي بإسناده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث بشيرَ بن سعد في ثلاثةِ راً كِبَّاً إلى بني مرة من أرض فَدَكَ فاستأق نعمهم ، فقاتلواه وقتلوا عامة من معه وصبر هو يومئذ صبراً عظياً ، وقاتل قتالاً شديداً ، ثم جاؤ إلى فَدَكَ فبات بها عند رجل من اليهود ، ثم كَرَّ راجعاً إلى المدينة .

قال الواقدي : ثم بعث إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم غالباً بن عبد الله ، ومعه جماعة من كبار الصحابة ، فذكر منهم أسامة بن زيد ، وأبا مسعود البَنْدرِي ، وكعب بن عمارة .

ثم ذكر مقتل أسامة بن زيد لمردادس بن نهيك حليف بني مرة ، وقوله حين علاه بالسيف : لا إله إلا الله ، وأن الصحابة لاموه على ذلك حتى سقط في يده وندم على مافعل . وقد ذكر هذه القصة يونس بن بكي عن ابن إسحاق عن شيخ من بني سلمة ، عن رجال من قومه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث غالباً بن عبد الله الكلبي إلى أرض بني مرة فأصاب مردادس بن نهيك [حليفاً لهم من الحرقة] فقتله أسامة . قال ابن إسحاق : خذلني محمد بن أسامة بن محمد بن أسامة عن أبيه عن جده أسامة بن زيد . قال : أدركته أنا ورجل من الأنصار - يعي مِردادس بن نهيك ^(١) [فلما ثُمِّرنا عليه السيف قال : أشهد أن لا إله إلا الله ، فلم نزع عنه حتى قتلناه .

. (١) من ١.

فَلَمَا قَدِمْنَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخْبَرْنَاهُ فَقَالَ : « يَا أَسَامَةَ مِنْ لَكَ بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ » فَقَلَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّمَا قَاتَلَهَا تَعْوِذًا مِنَ الْقَتْلِ . قَالَ : « فَمَنْ لَكَ يَا أَسَامَةَ بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ » .

فَوَالَّذِي بَعْثَهُ بِالْحَقِّ مَا زَالَ يَرْدِدُهَا عَلَىٰ حَتَّىٰ تَهْنِيَتْ أَنْ مَا مَاضَى مِنْ إِسْلَامِي لَمْ يَكُنْ ، وَأَنِّي أَسْلَمْتُ يَوْمَذِلَّهُ أَقْتَلَهُ . فَقَلَتْ : إِنِّي أَعْطَى اللَّهَ عَهْدًا أَلَا أُقْتَلُ رَجُلًا يَقُولُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ أَبْدًا . فَقَالَ : « بَعْدِي يَا أَسَامَةَ » فَقَلَتْ بَعْدَكَ .

وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ : حَدَّثَنَا هُشَيْمُ بْنُ بَشِيرٍ ، أَنَّبَأَنَا حَصِينَ ، عَنْ أَبِي ظَبْيَانَ ، قَالَ : سَمِعْتَ أَسَامَةَ بْنَ زَيْدَ يَحْدُثُ قَالَ : بَعْثَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْحَرْقَةِ مِنْ جَهَنَّمَ ، قَالَ : فَصَبَحَنَاهُمْ وَكَانُوا مِنْهُمْ رَجُلٌ إِذَا أَقْبَلَ الْقَوْمُ كَانَ مِنْ أَشَدِهِمْ عَلَيْنَا ، وَإِذَا أَذْبَرُوا كَانَ حَامِيَهُمْ ، قَالَ : فَفَشَيْتُهُ أَنَا وَرَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ ، فَلَمَّا تَفَشَّيَنَاهُ قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ . فَكَفَّ عَنْهُ الْأَنْصَارِيُّ وَقَتَلَهُ ، فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : « يَا أَسَامَةَ أَقْتَلْتَهُ بَعْدَ مَا قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ! » قَالَ : فَقَلَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّمَا كَانَ مَقْتُوْدًا مِنَ الْقَتْلِ . قَالَ : فَكَرَرَهَا عَلَىٰ ، حَتَّىٰ تَهْنِيَتْ أَنِّي لَمْ أَكُنْ أَسْلَمْتُ إِلَّا يَوْمَذِلَّ .
وَأَخْرَجَهُ الْبَخَارِيُّ وَمُسْلِمُ مِنْ حَدِيثِ هُشَيْمٍ بِهِ تَحْوِهٍ .

* * *

وَقَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : حَدَّثَنِي يَعْقُوبُ بْنُ عَتْبَةَ ، عَنْ مُسْلِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْجَهْنَمِيِّ ، عَنْ جَنْدِبَ بْنِ مَكْيَثِ الْجَهْنَمِيِّ قَالَ : بَعْثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَالِبَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ الْكَلَبِيَّ كَلْبَ لَيْثَ إِلَى بَنِي الْمَوْلَحِ بِالْكَدِيدِ وَأَمْرَهُ أَنْ يَغْيِرْ عَلَيْهِمْ ، وَكَنْتُ فِي سَرِيْتِهِ ، فَضَيَّبْنَا حَتَّىٰ إِذَا كَنَا بِالْقُدْدِيدِ ^(١) لَقِيْنَا الْحَارِثَ بْنَ مَالِكَ بْنَ الْبَرْصَاءَ الْلَّيْثِيَّ فَأَخْذَنَاهُ فَقَالَ : إِنِّي إِنَّمَا جَئْتُ لِأَسْلَمَ ، فَقَالَ لَهُ غَالِبُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ : إِنْ كَفْتَ إِنَّمَا جَئْتَ لِتُسْلِمَ فَلَا يَضِيرُكَ

(١) ابْنُ هَمَامٍ : بِقُدْدِيدٍ .

رباطٌ يوم وليلة، وإن كنت على غير ذلك استوْقِنَا منك.

قال : فأوثقه رباطاً وخلف عليه روحاً ملائكةً أسود كان معنا ، وقال : أشك معه حتى تمرّ عليك ، فإن نازعك فاحتز رأسه . ومضينا حتى أتينا بطنَ الْكَدِيد ، فنزلنا عشيةً بعد العصر ، فبعثني أصحابي إليه فعمدتُ إلى تل يطعن في الماء ، فانبطحت عليه . وذلك قبل غروب الشمس ، فخرج رجل منهم فنظر فرأى منبطحاً على التل فقال لأمرأته : إني لأرى سواداً على هذا التل مارأيته في أول النهار ، فانظر لاتكون الكلاب اجترأت بعضَ أو عيتك . فنظرت فقالت : والله ما أفقد منها شيئاً ، قال : فناوليني قوسى وسهمين من نبلي ، فناولته فرماني بهم في جنبي أو قال في جبيني ، فنزعته فوضعته ولم أنحرك ، ثم رماني بالآخر فوضعه في رأس منكبِي فنزعته فوضعته ولم أنحرك ، فقال لأمرأته : أما والله لقد خالطه سهامي ولو كان ربيثة^(١) ربيثة لتحرّك ، فإذا أصبحت فابتغى سهماً فخذلها لا تتصفهما على الكلاب .

قال : فأملئنا حتى إذا راحت روانهم حتى احتلبوا وعطنا وسكنوا وذهبنا
عَتَمَة من الليل ؟ شننا عليهم الفارة ، فقتلنا واستقنا الفعم ووجهنا قافلين به ، وخرج صريح^{*}
ال القوم إلى قومهم بقرينا ، قال : وخرجنا سراعاً حتى نمر بالحارث بن مالك بن البرصاء
وصاحبه ، فانطلقتنا به معنا وأتانا صريح الناس جاءنا مالا قبل لنا به ، حتى إذا لم يكن
ييئنا ويهيم إلا بطن الوادي من قدّيد بعث الله من حيث شاء ما مارأينا قبل ذلك مطراً
ولا حالاً ، وجاء بما لا يقدر أحد أن يقدّم عليه ، فلقد رأيتم وقوفاً ينظرون إلينا ما يقدّر
أحد منهم أن يقدّم عليه ، ونحن نجذبها أو نخدها - شك التفيلي - فذهبنا سراعاً حتى
أسندنا بها في المسلط ، ثم حذرنا عنهم حتى أبغزنا القوم بما في أيدينا .

وقد رواه أبو داود من حديث محمد بن إسحاق في روايته عبد الله بن غالب ،
والصواب غالب بن عبد الله كما تقدم .

(١) الربيثة : طليعة القوم . وفي المطبوعة : ربيبة . وهو تحريف .

وذكر الواقدي هذه القصة بإسناد آخر وقال فيه : وكان معه من الصحابة مائة وثلاثون رجلا .

ثم ذكر البيهقي من طريق الواقدي سرية بشير بن سعد أيضاً إلى ناحية خير ، فلقوها جمعاً من العرب وغنموا نهراً كثيراً ، وكان يعثث في هذه السرية بإشارة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، وكان معه من المسلمين ثلاثة رجال ولديهم حُسَيْل بن نوبِرَة وهو الذي كان دليلاً النبي صلى الله عليه وسلم إلى خير ، قاله الواقدي .

سرية أبي حَدْرَد إلى الغابة

قال يونس عن محمد بن إسحاق : كان من حديث قصة أبي حدرد وغزوه إلى الغابة ما حدثني جعفر بن عبد الله بن أسلم عن أبي حدرد قال : تزوجت امرأة من قومي فأصدقها مائة درهم ، قال : فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أستعينه على نكاحي . فقال : « كم أصدقت ؟ » فقلت : مائة درهم ، فقال : « سبحان الله والله لو كفتم تأخذونها من واد ما زدتكم ، والله ما عندى ما أعينك به » فلبثت أيامًا ثم أقبل رجل من جشم بن معاوية يقال له رفاعة بن قيس - أو قيس بن رفاعة - فبطن عظيم من جسم حتى نزل بقمه ومن معه بالغابة يريد أن يجمع قيساً على محاربة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان ذا اسم وشرف في جشم ، قال : فدعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجلين من المسلمين فقال : « اخرجوا إلى هذا الرجل حتى تأتوا منه بخبر وعلم » . وقدم لنا شارفاً عجباء فحمل عليه أحذنا ، فو الله ما قامت به ضعفاً حتى دعمها الرجال من خلفها بأيديهم حتى استقلت وما كادت ، وقال : « تبلّغوا على هذه » .

نفرجنا و معنا سلاحنا من النيل والسيوف ، حتى إذا جئنا قريباً من الحاضر مع غروب الشمس فكمنت في ناحية وأمرت صاحبي فكمنا في ناحية أخرى من حاضر القوم ،

وقلت لها : إذا سمعتني قد كبرت وشددت في العسكر فكبيرًا وشدةً معي .
فواه الله إنا كذلك ننتظر أن نرى غرةً أو نرى شيئاً وقد غشينا الليل حتى ذهبت
نسمة العشاء ، وقد كان لهم راع قد سرح في ذلك البلد فأبطن عليهم وتخوفوا عليه ، فقام
صحابهم رفاعة بن قيس فأخذ سيفه فجعله في عنقه فقال : والله لا تيقنْ أمرَ راعينا ولقد
أصابه شر ، فقال نفر من معه : والله لا تذهب نحن نكفيك . فقال : لا إلا أنا . قالوا :
نحن معك . فقال : والله لا يتبعني منكم أحد . وخرج حتى صر بي ، فلما أمكنني فتحته
بسهم فوضعته في فواده ، فواه الله ما تكلم فوثبت إليه فاحترزت رأسه ، ثم شدلت ناحية
العسكر وكبرت وشد أصحابي وكثيراً ، فوالله ما كان إلا النجا من كان فيه عندك
بكل ما قدروا عليه من نسائهم وأبنائهم وما خاف منهم من أموالهم ، واستقنا إبلًا عظيمة
وغمى كثيرة بخشايتها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجئت برأسه أحمله معى ، فأعطاني
من تلك الإبل ثلاثة عشر بعيراً في صداق فجمعت إلى أهلى .

السرية التي قتل فيها معلم بن جثامة عامر بن الأضبيط

قال ابن إسحاق: حديثي يزيد بن عبد الله بن قسيط ، عن ابن عبد الله^(١) بن أبي حذرة، عن أبيه قال : بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى إضم في نفر من المسلمين منهم ؛ أبو قتادة الحارث بن ربيع و مسلم^٢ بن جثامة بن قيس ، نفرجنا حتى إذا كنا يعطى إضم مر^٣ بنا عامر^٤ بن الأضبيط الأشجعى على قعود له معه متييع له ووطب^(٥) من ابن ، فسلم علينا بتحية الإسلام فامسكنا عنه ، وحمل عليه مسلم^٦ بن جثامة فقتله لشيء ، كان يبنه و يبنه وأخذ بعيره ومتييعه ، فلما قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبرناه الخبر فنزل فينا القرآن « يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا المنافقين

(١) ابن هشام : عن القعقاع بن عبد الله بن أبي حمود .

(٢) المثير : المداع القليل . والوطب وعاء الibern .

السلام لست مؤمناً تبتغون عرضَ الحياة الدنيا ، فعندهُ الله مفاسِم كثيرة ، كذلك كثُرَّ
من قبْل فنَّ الله عليهِمْ فتبينوا إنَّ الله كان بما تعملون خيراً^(١) .

هكذا رواه الإمام أحمد ، عن يعقوب عن أبيه عن محمد بن إسحاق عن يزيد بن عبد الله بن قُسيط ، عن القمعان بن عبد الله بن أبي حَذْرَاد عن أبيه . فذكره .

قال ابن إسحاق : حدثني محمد بن جمفر ، سمعت زيد بن ضميرة بن سعد الضمرى^(٢)
يحدث عن عروة بن الزبير ، عن أبيه وعن جده قالا - وكانا شهدا حينما - قالا : فصل
رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الظهر فقام إلى ظل شجرة فقد فيه قمام إليه عيينة بن
بدر فطلب بدم عاص بن الأضبي الأشجعى وهو سيد عامر : هل لكم أن تأخذوا منا
الآن خمسين بعيراً وخمسين إذا رجعنا إلى المدينة ؟ فقال عيينة بن بدر : والله لا أدع
حتى أذيق نساءه من الحزن مثل ما أذاق نسائي . فقام رجل من بنو ليث يقال له ابن
مُكَنْيل وهو قصير من الرجال ، فقال : يا رسول الله ما أجد لهذا القتيل شَهَاماً في غُرفة
الإسلام إلا كفنه ورأت فرميت^(٣) أولاهَا فنفرت أخراها ، استُنْ^(٤) اليوم وغيره غداً .
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هل لكم أن تأخذوا خمسين بعيراً الآن
وخمسين إذا رجعنا إلى المدينة ؟ » فلم يزل بهم حتى رضوا بالدية ، فقال قوم محمل بن
جَنَّاثَة : إبتووا به حتى يستغفر له رسول الله صلى الله عليه وسلم : قال : خباء رجل طوال
ضرب^(٥) اللحم في حلة قد تهياً فيها للقتل ، فقام بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم
قال النبي صلى الله عليه وسلم : « اللهم لا تغفر لخَلْمٍ » قال لها ثلاثة . فقام وإنه ليتنقى
دموعه بطرف ثوبه .

قال محمد بن إسحاق : زعم قومه أنه استغفر له بعد ذلك .

(١) سورة النساء ٩٤ .

(٢) ابن هشام : السلى .

(٣) استُنْ : ضع الأحكام والسنن .

(٤) ضرب اللحم : خفيفه .

وهكذا رواه أبو داود من طريق حماد بن سلمة عن ابن إسحاق ، ورواه ابن ماجه عن أبي بكر بن أبي شيبة ، عن أبي خالد الأحمر عن ابن إسحاق ، عن محمد بن جعفر ، عن زيد بن ضميرة عن أبيه وعمه ، فذكر بعضه .

والصواب كرواية ابن إسحاق عن محمد بن جعفر عن زياد بن سعد بن ضميرة ^(١) عن أبيه وعن جده . وهكذا رواه أبو داود من طريق ابن وهب ، عن عبد الرحمن بن أبي الزناد ، وعن عبد الرحمن بن المخارث ، عن محمد بن جعفر عن زياد بن سعد بن ضميرة عن أبيه وجده بنحوه كما تقدم .

وقال ابن إسحاق : حدثني سالم أبو النضر أنه قال ^(٢) : لم يقبلوا الديمة حتى قام الأقرع بن حابس فخلأ بهم وقال : يا معاشر قيس ، سألكم رسول الله صلى الله عليه وسلم قتيلاً ترکونه ليصلح به بين الناس فنعتقموه إيه ، أفأمنت أن يغضب عليكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيغضب الله لقضيتك ، ويلعنكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيلعنكم الله بلعنته لكم ، لنسلمنه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أو لآتين بخمسين من بني تميم لكم يشهدون أن القتيل كافر ما صليّ قط فلا يُطلبن ^(٣) دمه . فلما قال ذلك لم يأخذوا الديمة .

وهذا منقطع معنى .

وقد روی ابن إسحاق عن لا يُهم عن الحسن البصري ، أن مُحَمَّداً لما جلس بين يديه عليه الصلاة والسلام قال له : « أَمْتَهْ نِمْ قُلْتَهْ ؟ » ثم دعا عليه .

قال الحسن : فوالله ما مكث مُحَمَّداً إلا سبعاً حتى مات فللفظته الأرض ثم دفنوه فللفظته الأرض ثم دفنوه فللفظته الأرض ، فرضموا عليه من الحجارة حتى واروه ، فبلغ

(١) ابن هشام : زياد بن ضميرة بن سعد .

(٢) ابن هشام : وأخبرنا سالم أبو النضر أنه حدث أن عيينة بن حصن . . . (٣) ابن هشام : فلا طلب .

رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن الأرض لتطابق على من هو شرٌّ منه ، ولكن الله أراد أن يعظكم في حرم ما بينكم لما أراكم منه ». .

وقال ابن جرير : حدثنا وكيع ، حدثنا جرير ، عن ابن إسحاق ، عن نافع عن ابن عمر ، قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم مُحَمَّدًا بن جَنَاحَةَ مَبْعَدًا فلقهم عامر بن الأضبيط فيهم بتحية الإسلام - وكانت بينهم هِنَاءً في المهاجرة - فرميَ مُحَمَّدًا بسهم فقتله ، فجاء الخبر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فتكلم فيه عيينة والأقرع ، فقال الأقرع : يا رسول الله سُنَّ الْيَوْمِ وغَيْرِهَا ، فقال عيينة : لا والله حتى تذوق نساؤه من الشكل ما أذاق نسائي مُحَمَّلًا في بُرُدِينٍ فجلس بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ليستغفر له ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا غفر الله لك » فذكروا ذلك له فقال : « إن الأرض لتقبل من هو شرٌّ من صاحبكم ، ولكن الله أراد أن يعظكم من حرمتكم » ثم طرحوه في جبل فألقوا عليه من الحجارة ونزلت : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا » الآية .

وقد ذكره موسى بن عقبة عن الزهرى ، ورواه شعيب عن الزهرى عن عبد الله بن وهب ، عن قبيصه بن ذؤيب نحو هذه القصة ، إلا أنه لم يسم مُحَمَّدًا بن جَنَاحَةَ ولا عامر بن الأضبيط ، وكذلك رواه البهقى عن الحسن البصري بنحو هذه القصة وقال : وفيه نزول قوله تعالى : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا » الآية .

قلت : وقد تكلمنا في سبب نزول هذه الآية ومعناها في التفسير بما فيه الكفاية .

وَلَهُ الْحَمْدُ وَالنَّفَاعَةُ .

سريعة عبد الله بن حُذافة السهمي

ثبت في الصحيحين من طريق الأعمش ، عن سعد بن عبيدة ، عن أبي عبد الرحمن

الحُبْلِي ، عن عَلَى بْنِ أَبِي طَالِبٍ قَالَ : اسْتَعْمَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلًا مِّنَ الْأَنْصَارِ عَلَى سَرَّيْةِ بَعْثَمٍ وَأَمْرَهُمْ أَنْ يَسْمَعُوا لَهُ وَيَطِيعُوهُ ، قَالَ : فَأَغْضَبُوهُ فِي شَيْءٍ فَقَالَ : اجْمَعُوكُمْ إِلَى حَطْبًا . فَجَمِعُوكُمْ أَوْقَدُوكُمْ نَارًا . فَأَوْقَدُوكُمْ نَارًا . ثُمَّ قَالَ : أَلَمْ يَأْمُرْكُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ تَسْمَعُوكُمْ إِلَى وَتَطِيعُوكُمْ ؟ قَالُوكُمْ : بَلِي . قَالَ : فَادْخُلُوهَا . قَالَ : فَظَاهَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ وَقَالُوكُمْ : إِنَّمَا فَرَنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ النَّارِ . قَالَ : فَسَكَنَ غَضْبُهُ وَطَفَّتِ النَّارُ .

فَلَمَّا قَدِمُوكُمْ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَكَرُوكُمْ ذَلِكَ لَهُ فَقَالَ : « لَوْ دَخَلُوكُمْ مَا خَرَجُوكُمْ مِّنْهَا ، إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ ». .

وَهَذِهِ الْقَصَّةُ ثَابِتَةً أَيْضًا فِي الصَّحِيفَتَيْنِ مِنْ طَرِيقِ يَعْلَى بْنِ مُسْلِمٍ ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جَبَرٍ ، عَنْ أَبِي عَبَّاسٍ ، وَقَدْ تَكَلَّمَنَا عَلَى هَذِهِ بَشَّافِيَةِ كِفَائِيَةِ التَّفْسِيرِ وَلَهُ الْحَمْدُ وَالْمَنَةُ .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عُمْرَةُ الْقَضَاءِ

ويقال **القصاص** . ورجحه **الشهيلي** . ويقال **عُمْرَةُ الْقَضَاءِ** ، فالأولى قضاء عما كان أخر عام الحديبية والثاني من قوله تعالى : « **وَالْحُرْمَاتُ قِصَاصٌ** » والثالث من المقاضاة التي كان قاضاها عليها على أن يرجع عنهم عامه هذا ثم يأتي في العام القابل ولا يدخل مكة إلا في **جُلْبَانٍ**^(١) السلاح وألا يقيم أكثراً من ثلاثة أيام .

وهذه **العُمْرَةُ** هي المذكورة في قوله تعالى في سورة الفتح المباركة : « **لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولُهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجَدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ أَمْنِينَ مُحَلَّقِينَ رَءُوسَكُمْ وَمَقْصُرِينَ لَا تَخَافُونَ** » الآية . وقد تكلمنا عليها مستقى في كتابنا التفسير بما فيه كفاية .

وهي الموعود بها في قوله عليه الصلاة والسلام لعمر بن الخطاب حين قال له : ألم تكن تحدثنا أنا سنتي البيت ونطوف به ؟ قال : « **بَلَى أَفَأَخْبَرْتَكَ أَنَّكَ تَأْتِيهِ عَامَكَ هَذَا ؟** » قال : لا . قال : « **فَإِنَّكَ آتَيْهِ وَمُطْوَّفٌ بِهِ** » .

وهي المشار إليها في قول عبد الله بن رواحة حين دخل بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مكة يوم **عُمْرَةُ الْقَضَاءِ** وهو يقول :

**خَلُوا بَنِي الْكَفَارِ عَنْ سَبِيلِهِ الْيَوْمَ نَصْرُكُمْ عَلَى تَأْوِيلِهِ
كَمَا ضَرَبْنَاكُمْ عَلَى تَنْزِيلِهِ**

(١) **الجلبان** : شبه الجراب من الجلد يوضع فيه السيف .

أى هذا تأويل الرؤيا التي كان رأها رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءت مثل
فلقَ الصبح .

قال ابن إسحاق : فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من خيبر إلى المدينة
أقام بها شهري ربيع وجماديين ورجباً وشعبان وشهر رمضان و Shawwal ، يبعث فيها بين
ذلك سراياه .

ثم خرج من ذي القعدة في الشهر الذي صدر فيه المشركون معتمراً عمرة القضاة
مكانَ عمرته التي صدُّوه عنها .

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة عُوَيْف بن الأضبيط الدُّولِي .
ويقال لها عمرة الْقِصَاص ، لأنهم صدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذي القعدة
في الشهر الحرام من سنة ست ، فافتصر رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم فدخل مكة
في ذي القعدة في الشهر الحرام الذي صدُّوه فيه من سنة سبع .

بلغنا عن ابن عباس أنه قال : فأنزل الله تعالى في ذلك « والحرمات قِصَاص » .

وقال معتمر بن سليمان عن أبيه في مقازيه : لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم
من خيبر أقام بالمدينة وبعث سراياه حتى استهل ذو القعدة ، فنادى في الناس : أن تجهزوا
للعمرَة . فتجهزوا وخرجوا إلى مكة .

وقال ابن إسحاق : وخرج معه المسلمون من كان صُدُّوا معه في عمرته تلك وهي
سنة سبع ، فلما سمع به أهل مكة خرجوا عنه وتحدثت قريش بینها أن محمدًا في عشرة
وجود وشدة .

قال ابن إسحاق : فحدثني من لا أتهم ، عن عبد الله بن عباس قال : صَفَّوا له عند
دار الفدوة لينظروا إليه وإلى أصحابه ، فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم للمسجد

اضطَّبَعْ بِرَدَائِهِ وَأَخْرَجَ عَصْلَدَهُ الْيَمِنِيُّ نَمْ قَالَ : « رَحْمَ اللَّهُ أَمْرَأً أَرَاهُمْ الْيَوْمَ مِنْ نَفْسَهُ قُوَّةً ». .

ثُمَّ اسْتَلَمَ الرَّكْنَ ، ثُمَّ خَرَجَ يَهْرُولُ وَيَهْرُولُ أَحْصَابَهُ مَعَهُ ، حَتَّى إِذَا وَارَاهُ الْبَيْتُ مِنْهُمْ وَاسْتَلَمَ الرَّكْنُ الْيَمِنِيُّ مَشَى حَتَّى يَسْتَلِمَ الرَّكْنَ الْأَسْوَدَ ، ثُمَّ هَرَولَ كَذَلِكَ ثَلَاثَةَ أَطْوَافَ وَمَشَى سَاعِرَهَا . فَكَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ يَقُولُ : كَانَ النَّاسُ يَظْنُونَ أَنَّهَا لَيْسَ عَلَيْهِمْ ، وَذَلِكَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّمَا صَنَعَهَا هَذَا الْجَى منْ قُرَيْشَ الَّذِي بَلَغَهُمْ حَتَّى حَجَّ حِجَّةَ الْوَدَاعِ فَلَزِمَهَا فَضَّلَتِ السُّنَّةُ بَهَا .

وَقَالَ الْبَخَارِيُّ : حَدَّثَنَا سَلِيْمَانُ بْنُ حَرْبٍ ، حَدَّثَنَا حَمَادٌ - هُوَ ابْنُ زِيدٍ - عَنْ أَيُوبَ ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جَبَيرٍ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَحْصَابَهُ فَقَالَ الْمُشْرِكُونَ : إِنَّهُ يَقْدُمُ عَلَيْكُمْ وَفَدْ وَهُنَّمُ حُمَّى يَثْرَبَ . فَأَسْرَمُوهُمُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَرْمُلُوا أَشْوَاطَ الْمُشْرِكِينَ وَأَنْ يَمْشُوا مَابَيْنِ الرَّكَنَيْنِ ، وَلَمْ يَمْنَعْهُمْ أَنْ يَأْسِرُوهُمْ أَشْوَاطَ كُلِّهَا إِلَّا إِبْقَاءُهُمْ عَلَيْهِمْ .

قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ : وَزَادَ بْنُ سَلَمَةَ - يَعْنِي حَمَادَ بْنَ سَلَمَةَ - عَنْ أَيُوبَ ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : لَمَّا قَدِمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِعَامِهِمُ الَّذِي اسْتَأْمَنَ قَالَ : « ارْمُلُوا لِيَرِيَ الْمُشْرِكُونَ قُوَّتَهُمْ ، وَالْمُشْرِكُونَ مَنْ قَبْلُ فُعْيَقَانَ ». وَرَوَاهُ مُسْلِمٌ عَنْ أَبِي الرِّبِيعِ الْزَّهْرَانِيِّ ، عَنْ حَمَادَ بْنِ زِيدٍ . وَأَسْنَدَهُ الْبَيْهَقِيُّ طَرِيقَ حَمَادَ بْنَ سَلَمَةَ .

وَقَالَ الْبَخَارِيُّ : حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، حَدَّثَنَا سَفِيَّانُ ، حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَبِي خَالِدٍ ، سَمِعَ أَبِي أَوْفَى يَقُولُ : لَمَّا اعْتَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَرَّنَاهُ مِنْ غَلَمانَ الْمُشْرِكِينَ وَمِنْهُمْ أَنَّهُمْ يَؤْذِنُونَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وسيأتي بقية الكلام على هذا المقام .

* * *

قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الله بن أبي بكر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دخل مكة في تلك العمرة دخلها عبد الله بن رواحة آخذ بخطة نافته يقول :

خَلُوا بَنِ الْكَفَارِ عَنْ سَبِيلِهِ خَلُوا فَكُلُّ أَخْيَرٍ فِي رَسُولِهِ
يَارَبِّ إِنِّي مُؤْمِنٌ بِقِيمَتِهِ أَعْرِفُ حَقَّ اللَّهِ فِي قَبْوَلِهِ
نَحْنُ قَتَلْنَاكُمْ عَلَى تَأْوِيلِهِ كَمَا قَاتَلْنَاكُمْ عَلَى تَنْزِيلِهِ
ضَرَبَا يَزِيلُ الْهَامَ عَنْ مَقِيمَتِهِ وَيُدْهِلُ الْخَلِيلَ عَنْ خَلِيلِهِ

قال ابن هشام : نحن قاتلناكم على تأويله إلى آخر الأبيات لعمار بن ياسر في غير هذا اليوم - يعني يوم صفين - قاله السهيلي .

قال ابن هشام : والدليل على ذلك أن ابن رواحة إنما أراد المشركين ، والمراد كون لم يقرُّوا بالتنزيل ، وإنما يقاتل على التأويل من أقرَّ بالتنزيل .

وفيما قاله ابن هشام نظر ، فإن الحافظ البهبهي روى من غير وجه عن عبد الرزاق عن معمراً ، عن الزهرى ، عن أنس قال : لما دخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة في عمرة القضاء مشى عبد الله بن رواحة بين يديه ، وفي رواية وهو آخذ بفرزه وهو يقول :

خَلُوا بَنِ الْكَفَارِ عَنْ سَبِيلِهِ قَدْ نَزَّلَ الرَّحْمَنُ فِي تَنْزِيلِهِ
بِأَنْ خَيْرَ الْقَتْلِ فِي سَبِيلِهِ نَحْنُ قَاتَلْنَاكُمْ عَلَى تَأْوِيلِهِ
وَفِي رَوَايَةِ بَهْبَهَي بْنِ عَيْنَةِ :

خَلُوا بَنِ الْكَفَارِ عَنْ سَبِيلِهِ الْيَوْمَ نَصْرَبُكُمْ عَلَى تَنْزِيلِهِ
ضَرَبَا يَزِيلُ الْهَامَ عَنْ مَقِيمَتِهِ وَيُدْهِلُ الْخَلِيلَ عَنْ خَلِيلِهِ
يَارَبِّ إِنِّي مُؤْمِنٌ بِقِيمَتِهِ

وقال يونس بن بکير عن هشام بن سعد ، عن زيد بن أسلم ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل عام القضية مكة فطاف بالبيت على ناقته واستلم الركين بمحاجته . قال ابن هشام : من غير علة ، والسلموں يستدون حوله ، وعبد الله بن رواحة يقول :

باسمِ الَّذِي لَا دِينَ إِلَّا دِينُهُ
خُلُوا بْنُ الْكَفَارِ عَنْ سَبِيلِهِ

* * *

قال موسى بن عقبة عن الزهرى : ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من العام القابل من عام الحديبية معتمراً في ذى القعدة سنة سبع ، وهو الشهر الذى صدره الشركون عن المسجد الحرام ، حتى إذا بلغ يأجِجَ وضع الأداة كلها الحجف والمحان والرماح والنبل ، ودخلوا بسلاح الراكب السيف ، وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بين يديه جعفر بن أبي طالب إلى ميمونة بنت الحارث العامرية خطيبها عليه ، فجعلت أمرها إلى العباس وكان تحته أختها أم القفضل بنت الحارث ، فزوجها العباس رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فلا قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر أصحابه قال : « اكشفوا عن المناكب واسعوا في الطواف » . ليرى الشركون جلدتهم وقوتهم ، وكان يكادهم بكل ما استطاع ، فاستكفت^(١) أهل مكة الرجال والنساء والصبيان ينظرون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وهم يطوفون بالبيت ، وعبد الله بن رواحة يرتجز بين يدي رسول الله صلى عليه وسلم متوكلاً بالسيف وهو يقول :

خُلُوا بْنُ الْكَفَارِ عَنْ سَبِيلِهِ أَنَا الشَّهِيدُ أَنَّهُ رَسُولُهُ

(١) استكفت : أحاطوا به .

قد أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ فِي تَنْزِيلِهِ فِي صَحْفٍ تُتْلَى عَلَى رَسُولِهِ
فَالْيَوْمَ نَصْرُكُمْ عَلَى تَأْوِيلِهِ كَمَا ضَرَبَنَا كَمْ عَلَى تَنْزِيلِهِ
ضَرَبَ أَيْزِيلُ الْهَامَ عَنْ مَقِيلِهِ وَيُذْهَلُ الْخَلِيلُ عَنْ خَلِيلِهِ

قال : وَتَغَيَّبَ رَجَالٌ مِّنْ أَشْرَافِ الْمُشْرِكِينَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ غَيْظًا وَحْنَقًا ، وَنَفَاسَةً وَحَسْدًا : وَخَرَجُوا إِلَى الْخَتْنَمَةِ^(١) ، فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَكَةً وَأَقَامَ ثَلَاثَ لَيَالٍ ، وَكَانَ ذَلِكَ آخِرُ الْقَضِيَّةِ يَوْمَ الْحَدِيبِيَّةِ .

فَلَمَّا أَتَى الصَّبَحَ مِنَ الْيَوْمِ الرَّابِعِ أَتَاهُ سَهْيَلُ بْنُ عُمَرَ وَحْوَيْطَ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ ،
وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَجْلِسِ الْأَنْصَارِ يَتَحَدَّثُ مَعَ سَعْدَ بْنِ عَبَادَةَ ، فَصَاحَ
حَوَيْطَ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزَ : نَنْشَدُكَ اللَّهَ وَالْمَقْدَ لَا خَرَجَ مِنْ أَرْضِنَا ، فَقَدْ مَضَتْ
الثَّلَاثُ . قَالَ سَعْدُ بْنُ عَبَادَةَ : كَذَبْتَ لَا أَمْ لَكَ لَيْسَ بِأَرْضِكَ وَلَا بِأَرْضِ آبَائِكَ
وَاللَّهُ لَا يُخْرِجُ . ثُمَّ نَادَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَهْيَلًا وَحَوَيْطَيْلًا قَالَ : « إِنِّي قدْ
نَسْكَحْتُ فِيمَكُمْ امْرَأَةً فَمَا يَضْرُكُمْ أَنْ أَمْكَثَ حَتَّى أَدْخُلَهَا وَنَصْنَعَ الطَّعَامَ فَأَكُلُّ
وَتَأْكُلُونَ مَعَنَا » فَقَالُوا : نَنْشَدُكَ اللَّهَ وَالْمَقْدَ إِلَّا خَرَجْتَ عَنَا .

فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَبَا رَافِعٍ فَأَدْنَى بِالرَّحِيلِ ، وَرَكِبَ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى نَزَلَ بِيَطْنَ سَرْفَ وَأَقَامَ الْمُسْلِمُونَ وَخَلَفَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَبَا رَافِعٍ لِيَحْمِلْ مَيْمُونَةً ، وَأَقَامَ بِسَرْفٍ حَتَّى قَدَمَتْ عَلَيْهِ مَيْمُونَةً ، وَقَدْ لَقِيتَ
مَيْمُونَةً وَمَنْ مَعَهَا عَنَاءً وَأَذَى مِنْ سَفَهَاءِ الْمُشْرِكِينَ وَمَنْ صَبَيَاهُمْ ، فَقَدَمَتْ عَلَى رَسُولِ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِسَرْفٍ فَبَنَى بِهَا ثُمَّ أَدْلَجَ فَسَارَ حَتَّى أَنْيَ الْمَدِينَةَ .

وَقَدَرَ اللَّهُ أَنْ يَكُونَ مَوْتُ مَيْمُونَةَ بِسَرْفٍ بَعْدَ ذَلِكَ بَحِينَ ، فَاتَّتْ حِيثَ بَنَى بِهَا
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

(٢) الْخَتْنَمَةُ : جَبَلٌ بَكَةٌ

نُم ذَكْر قصّة ابْنَة حِمْزَة إِلَى أَنْ قَالَ : وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَ فِي تِلْكَ الْعُمْرَة « الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحَرَمَاتُ قِصَاصٌ » فَاعْتَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ الَّذِي صُدِّدَ فِيهِ .

وَقَدْ رُوِيَ أَبْنَى لَهِمْعَةَ عَنْ أَبِي الْأَسْوَدِ عَنْ عُرُوْةَ بْنَ الْزِيْرِ نَحْوًا مِنْ هَذَا السِّيَاقِ ، وَلِهَذَا السِّيَاقِ شَوَاهِدُ كَثِيرَةٌ مِنْ أَحَادِيثٍ مُتَعَدِّدةٍ .

فِي صَحِيحِ الْبَخَارِيِّ مِنْ طَرِيقِ فَلِيْعَ بْنِ سَلِيْمَانَ ، عَنْ نَافِعٍ عَنْ أَبِي عَمْرِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ مُعَتَمِرًا ، فَخَالَ كَفَارُ قُرِيْشَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْبَيْتِ ، فَنَحَرَ هَذِهِهِ وَحَلَقَ رَأْسَهُ بِالْحَدِيْبِيَّةِ ، وَقَاضَاهُ عَلَى أَنْ يَعْتَمِرَ الْعَامَ الْمُقْبِلَ وَلَا يَحْمِلَ سَلاْحًا إِلَّا سِيْوَقًا ، وَلَا يَقِيمَ بَهَا إِلَّا مَا أَحْبَبَا .

فَاعْتَمَرَ مِنَ الْعَامِ الْمُقْبِلِ فَدَخَلُوهَا كَمَا كَانَ صَالِحُهُمْ ، فَلَمَّا أَنْ أَقَامَ بَهَا ثَلَاثَةً أَمْرَوْهُ أَنْ يَخْرُجَ بَعْرَجَ .

وَقَالَ الْوَاقِدِيُّ : حَدَثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ نَافِعٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ أَبِي عَمْرٍ قَالَ : لَمْ تَكُنْ هَذِهِ عُمْرَةَ قَضَاءٍ وَإِنَّمَا كَانَتْ شَرْطًا عَلَى الْمُسْلِمِينَ أَنْ يَعْتَمِرُوا مِنْ قَابِلِ فِي الشَّهْرِ الَّذِي صُدِّدَ فِيهِ الْمُشْرِكُونَ .

وَقَالَ أَبُو دَاوُدُ : حَدَثَنَا الثَّفَفِيلِيُّ ، حَدَثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَلَمَةَ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ ، عَنْ عُمَرِ بْنِ مَيْمَونَ ، سَمِعَتْ أَبَا حَاضِرٍ الْحَمِيرِيَّ يَحْدُثُ أَنْ مَيْمَونَ بْنَ مُهَرَّانَ قَالَ : خَرَجَتْ مُعَتَمِرًا عَامَ حَاسِرٍ أَهْلَ الشَّامِ أَبْنَى الْزِيْرَ بَعْكَةَ ، وَبَعْثَتْ مَعَ رِجَالٍ مِنْ قَوْمِهِ بَهْذِيَّ . قَالَ : فَلَمَّا اتَّهَيْنَا إِلَى أَهْلِ الشَّامِ مَنْعَوْنَا أَنْ نَدْخُلَ الْحَرَامَ ، قَالَ : فَبَنَحَرَتِ الْمَدِيَّ مَكَانِي ثُمَّ أَحْلَلَتْ ثُمَّ رَجَعَتْ ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْعَامِ الْمُقْبِلِ خَرَجَتْ لِأَقْضِي عُمْرَتِي ، فَأَتَيْتَ بْنَ عَبَّاسَ فَسَأَلْتَهُ قَالَ : أَبْدِلْ الْمَدِيَّ ، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمْرَ أَصْحَابِهِ

أَن يُبَدِّلُوا الْمَهْدَىَ الَّذِي نَحْرُوا عَامَ الْخَدِيبَةِ فِي عُمْرَةِ الْقَضَاءِ .

تفرد به أبو داود من حديث أبي حاضر عثان بن حاضر المميري، عن ابن عباس فذكره.
وقال الحافظ البهقي : أَنْبَأَنَا الْحَاكِمَ ، أَنْبَأَنَا الْأَصْمَ ، حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْجَبَارِ ،
حَدَّثَنَا يُونُسُ بْنُ بُكَيْرٍ ، عَنْ أَبِنِ إِسْحَاقَ ، حَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ مَيْمُونٍ قَالَ : كَانَ أَبِي يَسْأَلَ
كَثِيرًا : هَلْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَبْدَلَ هَدِيهِ الَّذِي نَحَرَ حِينَ صَدَهُ الْمُشَرُّكُونَ
عَنِ الْبَيْتِ ؟ وَلَا يَجِدُ فِي ذَلِكَ شَيْئًا ، حَتَّى سَمِعَتْهُ يَسْأَلُ أَبَا حَاضِرَ الْمَمِيرِيَّ عَنِ ذَلِكَ فَقَالَ لَهُ
عَلَى الْخَيْرِ سَقَطْتَ ! حَجَّتُ عَامَ ابْنِ الرَّزِيرِ فِي الْحُصْرِ الْأَوَّلِ ، فَأَهْدَيْتُ هَدِيًّا فَخَالَوْا
بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْبَيْتِ ، فَنَفَرْتُ فِي الْحَرَمِ وَرَجَعْتُ إِلَى الْيَمِينِ وَقَلَّتْ : لَى بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُسْوَةٌ ، فَلَمَّا كَانَ الْعَامَ الْمُقْبِلَ حَجَّتْ فَلَقِيتُ ابْنَ عَبَاسَ فَسَأَلَنَاهُ عَمَّا نَحْرَتْ عَلَى
بَدْلِهِ أَمْ لَا ؟ قَالَ : نَعَمْ فَأَبْدَلْ ، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابَهُ قَدْ أَبْدَلُوا
الْمَهْدَىَ الَّذِي نَحْرُوا عَامَ صَدَّهُ الْمُشَرُّكُونَ فَأَبْدَلُوا ذَلِكَ فِي عُمْرَةِ الْقَضَاءِ ، فَعَزَّتِ الْإِبْلُ
عَلَيْهِمْ فَرَخْصُ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْبَقْرِ .

وقال الواقدي : حَدَّثَنِي غَانِمُ بْنُ أَبِي غَانِمٍ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دِينَارٍ ، عَنْ أَبْنِ عَمِّ
قَالَ : جَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَاجِيَةَ بْنَ جُنْدُبَ الْأَسْلَمِيِّ عَلَى هَدِيهِ يَسِيرُ بِالْمَهْدَى
أَمَامَهُ يَطْلُبُ الرَّعْيَ فِي الشَّجَرِ مَعَهُ أَرْبَعَةَ فَتِيَانٍ مِّنْ أَسْلَمَ ، وَقَدْ سَاقَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي عُمْرَةِ الْقَضَاءِ سَتِينَ بَدَنَةً .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ نَعِيمَ الْجَمْرِ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : كُنْتُ مَعَ صَاحِبِ
الْبَدَنِ أَسْوَقَهَا .

قال الواقدي : وَسَارَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَابِي وَالْمُسْلِمُونَ مَعَهُ يَلْبُونَ ، وَمَضَى
مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ بِالْخَلِيلِ إِلَى مَرَّ الظَّهَرَانِ ، فَيَجِدُ بَهَا نَفْرًا مِّنْ قُرَيْشٍ ، فَسَأَلُوا مُحَمَّدَ بْنَ مَسْلَمَةَ
قَالَ : هَذَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَصِّبِّ هَذَا الْمَنْزَلَ غَدَاءِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ . وَرَأَوْا
سَلَاحًا كَثِيرًا مَعَ بَشِيرَ بْنِ سَعْدٍ ، فَخَرَجُوا سَرَا عَا حَتَّى أَتَوْا قَرْبَشًا فَأَخْبَرُوهُمْ بِالَّذِي رَأَوْا

من السلاح والخييل ، ففرغت قريش وقالوا : والله ما أحدثنا حدثاً ، وإنما على كتابنا وهدتنا ، فلهم يفزو نا محمد في أصحابه ؟

ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم مرّ الظهران ، وقدّم رسول الله صلى الله عليه وسلم السلاح إلى بطن يأجّج حيث ينظر إلى أنصاب الحرم ، وبعثت قريش مكرّز بن حفص بن الأحلف في نفر من قريش ، حتى لقوه ببطن يأجّج ورسول الله صلى الله عليه وسلم في أصحابه والمددى والسلاح قد تلاحقوا ، فقالوا : يا محمد ما عرّفتَ صغيراً ولا كيّراً بالفدر ، تدخل بالسلاح في الحرم على قومك ، وقد شرطت لهم الاتّدخل إلى السلاح المسافر السيف في القرب ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « إني لأدخل عليهم السلاح » فقال مكرّز بن حفص : هذا الذي تعرّف به ، البر والوفاء ، ثم رجع سريعاً بأصحابه إلى مكة .

فلما أن جاء مكرّز بن حفص بخبر النبي صلى الله عليه وسلم خرجت قريش من مكة إلى رؤوس الجبال وخلوا مكة وقالوا : لا ننظر إليه ولا إلى أصحابه .

فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهدايى أماته حتى حبس بذى طوى ، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وهو على ناقته القصواء وهم مخدّقون به يلبون وهم متّوشحون السيف ، فلما انتهى إلى ذى طوى وقف على ناقته القصواء وابن رواحة آخذ زمامها وهو يرتّج بشعره ويقول :

إلى آخره * خلوا بني الكفار عن سبيله *

وفي الصحيحين من حديث ابن عباس قال : قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه صبيحة رابعة - يعني من ذى القعدة سنة سبع - فسأل الشركون : إنه يقدم عليكم وفداً قد وھنتم حمّي يثرب . فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يرمّلوا

الأشواطَ الثلاثةَ، وأن يمشوا بين الركنين ، ولم يمنعه أن يرمي الأشواط كلها
إلا الإبقاء عليهم .

قال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن الصباح ، حدثنا إسماعيل بن زكرياء ، عن عبد الله
ابن عثمان ، عن أبي الطفيلي ، عن ابن عباس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل
من الظهران من غمرته بلغ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن قريشاً يقولون :
ما يتبعون من العجف ^(١) . فقال أصحابه : لو انتحرنا من ظهرنا فأكلنا من لحومه
وحسونا من مرقفه أصيحتنا غداً حين ندخل على القوم وبنا جماعة ^(٢) ، فقال : « لا تفعلوا
ولكن اجمعوا إلى من أزوابكم » فعموا به وبسطوا الأنطاع فأكلوا حتى تركوا ، وحشا
كل واحد منهم في جرابه .

ثم أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى دخل المسجد وقدمت قريش نحو الحجر ،
فاضطبع بردائه ثم قال : « لا يرى القوم فيكم غيبة » فاستلم الركن ثم رمل حتى إذا تغيب
بالركن الياني مشى إلى الركن الأسود ، فقالت قريش : ما يرضاون بالمشي أما إنهم ليتنفرون
نفر الظباء ! ففعل ذلك ثلاثة أطوار فكانت سنة .

قال أبو الطفيلي : وأخبرني ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل ذلك
في حجة الوداع .

تفرد به أحمد من هذا الوجه .

وقال أبو داود ، حدثنا أبو سلطة موسى ، حدثنا حماد - يعني ابن سلطة - أنا أنا
أبو عاصم الغنوبي ، عن أبي الطفيلي قال : قلت لابن عباس : يزعم قومك أن رسول
الله صلى الله عليه وسلم قد رمل باليت وأن ذلك سنة ؟ فقال : صدقوا وكذبوا .
قلت : ما صدقوا وما كذبوا ؟ قال : صدقوا ، رمل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكذبوا
ليس بسنة ، إن قريشاً ز من الحديبية قالت : دعوا محمداً وأصحابه حتى يموتونا موتاً

(١) العجف : المزال . (٢) جماعة : بقية من قوة .

النَّفَفُ^(١) ، فَلَمَّا صَلَّوْهُ عَلَى أَنْ يَجِئُوا مِنَ الْعَامِ الْمُقْبِلِ فَيَقِيمُوا بِمَكَّةَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ قَدْمًا
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْمُشْرِكُونَ مِنْ قَبْلِ قُعُودِ قَعْدَةِ عَيْنِ قَعْدَةِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَصْحَابِهِ : « ارْمُلُوا بِالْبَيْتِ ثَلَاثَةً » قَالَ : وَلَيْسَ بِسَنَةٍ .

وَقَدْ رَوَاهُ مُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ سَعِيدِ الْجَزِيرِيِّ ، وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي حَسِينٍ
وَعَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ سَعِيدِ بْنِ أَبْجَرٍ ، ثَلَاثَتُهُمْ عَنْ أَبِي الطَّفِيلِ عَاصِمَ بْنِ وَاثِلَةَ ، عَنْ أَبْنَ عَبَاسٍ
بِهِ نَحْوُهُ .

وَكَوْنُ الرَّمَلِ فِي الطَّوَافِ سَنَةً مِذْهَبَ الْجَمْهُورِ ، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَمَلَ فِي
عُرَةِ الْقَضَاءِ وَفِي عُرَةِ الْجَعْرَانَةِ أَيْضًا ، كَمَا رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَابْنَ مَاجَةَ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ
ابْنِ عَمَّانَ بْنِ خَشِيمٍ ، عَنْ أَبِي الطَّفِيلِ عَنْ أَبْنَ عَبَاسٍ فَذَكَرَهُ .

وَثَبَّتَ فِي حَدِيثِ جَابِرٍ عِنْدَ مُسْلِمٍ وَغَيْرِهِ أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ رَمَلَ فِي حِجَّةِ الْوَدَاعِ فِي
الْطَّوَافِ ، وَلِمَذَا قَالَ عَمَرُ بْنُ الْخَطَّابَ : فِيمِ الرَّمَلَانِ وَقَدْ أَطَّالَ اللَّهُ الْإِسْلَامُ ؟ وَمَعَ هَذَا
لَا تَرْكَ شَيْئًا فَعَلَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وَمَوْضِعُ تَقْرِيرِ هَذَا كِتَابُ الْأَحْكَامِ .
وَكَانَ أَبْنَ عَبَاسٍ فِي الْمَسْهُورِ عَنْهُ لَا يَرَى ذَلِكَ سُنَّةً ، كَانَتْ فِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ
حَدِيثِ سَفِيَّانَ بْنِ عِيَّنَةَ ، عَنْ عُمَرِ بْنِ دِينَارٍ ، عَنْ عَطَاءٍ ، عَنْ أَبْنَ عَبَاسٍ ، قَالَ : إِنَّمَا سَعَى
النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْبَيْتِ وَبِالصَّفَا وَالْمَرْوَةِ لِيُرِيَ الْمُشْرِكِينَ قَوْتَهُ .

لَفْظُ الْبَخَارِيِّ .

وَقَالَ الْوَاقِدِيُّ : لَمَّا قَضَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نِسْكَهُ فِي الْقَضَاءِ دَخَلَ الْبَيْتَ ،
فَلَمْ يَزُلْ فِيهِ حَتَّى أَذَّنَ بِلَالُ الظَّهَرَ فَوْقَ ظَهَرِ الْكَعْبَةِ ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
أَمْرَهُ بِذَلِكَ ، فَقَالَ عِكْرُمَةُ بْنُ أَبِي جَهَلٍ : لَقَدْ أَكْرَمَ اللَّهُ أَبَا الْحَكْمَ حِينَ لَمْ يَسْمَعْ هَذَا
الْعَبْدَ يَقُولُ ! وَقَالَ صَفْوَانُ بْنُ أُمَّيَّةَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ أَبِي قَبْلَ أَنْ يَرَى هَذَا . وَقَالَ

(١) النَّفَفُ : دُودٌ فِي أَنْوَافِ الْإِبَلِ وَالْفَنَمِ ، وَيُقَالُ لِلْمُحْتَقِرِ : نَفَفَةٌ .

خالد بن أسيد : الحمد لله الذي أمات أبي ولم يشهد هذا اليوم حتى يقوم بلال ينهر فوق البيت . وأما سُمِيل بن عمر ورجال معه لما سمعوا بذلك غطوا وجوههم .

قال الحافظ البهقى : قد أَكْرَمَ اللَّهُ أَكْرَمَهُمْ بِالْإِسْلَامِ .

قلت : كذا ذكره البهقى من طريق الواقدى أن هذا كان فى عمرة القضاء ، والمشهور أن ذلك كان فى عام الفتح . والله أعلم .

وأما قصة تزويجه عليه السلام بيمونة

قال ابن مسحاق : حدثني أَبْيَانَ بْنَ صَالِحٍ وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي تَجْيِيعٍ ، عن عطاء ومجاهد ، عن ابن عباس ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَزَوَّجَ مِيمُونَةَ بَنْتَ الْحَارِثَ فِي سَفَرِهِ ذَلِكَ وَهُوَ حَرَامٌ ، وَكَانَ الَّذِي زَوَّجَهُ إِبْرَاهِيمَ الْعَبَاسَ بْنَ عَبْدِ الْمَطَّلِبِ .

قال ابن هشام : كانت جعلت أمرها إلى أختها أم الفضل ، ففعلت أم الفضل أمرها إلى زوجها العباس ، فزوّجها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصدقها عنه أربعين درهم .

وذكر الشهيلي أنه لما انتهت إليها خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم لها وهي راكبة بعيرأ قالت : الجمل وما عليه لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال : وفيها نزلت الآية : « وَاصْرَأْتَ مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبْتَ نَفْسَهَا لِنَبِيٍّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَكْحِمَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ » ^(٢) .

وقد روى البخارى من طريق أىوب ، عن عكرمة ، عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج ميمونة وهو محرم ، وبنى بها وهو حلال ، وماتت بسرف .

قال السهيلي ^(١) وروى الدارقطنى من طريق أبى الأسود يقيم عروة ، ومن طريق مطر

(١) سورة الأحزاب ٥٠ . (٢) كنا في أوقات : البهقى .

الوراق ، عن عكرمة ، عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج ميمونة وهو حلال .

قال : وتأولوا رواية ابن عباس الأولى أنه كان محرباً ، أى في شهر حرام ، كما قال الشاعر :

قتلوا ابنَ عفانَ الخليفةَ محرباً
فدعَا فلمَ أرْ مثْلَهَ خَذُولاً
أى في شهر حرام .

قلت : وفي هذا التأويل نظر ، لأن الروايات متظافرة عن ابن عباس بخلاف ذلك ، ولا سيما [من]^(١) قوله : « تزوجها وهو محرب وبني بها وهو حلال » وقد كان في شهر ذي القعدة أيضاً وهو شهر حرام .

وقال محمد بن يحيى الذهلي ، حدثنا عبد الرزاق ، قال : قال لي الثوري : لا يلتفت إلى قول أهل المدينة . أخبرني عمرو عن أبي الشعفاء ، عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج وهو محرب .

قال أبو عبد الله : قلت لعبد الرزاق : روى سفيان الحديثين جائعاً ، عن عمرو ، عن أبي الشعفاء ، عن ابن عباس وابن خثيم^(٣) ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : نعم ، أما حديث ابن خثيم فقد ثنا هاهنا - يعني باليمين - وأما حديث عمرو فحدثنا ثم - يعني بمكة - .

وآخر جاه^(٤) في الصحيحين من حديث عمرو بن دينار به .

وفصحى البخارى من طريق الأوزاعى ، حدثنا عطاء ، عن ابن عباس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج ميمونة وهو محرب . فقال سعيد بن المسيب : وَمِمَّ

(٢) أ : لا يلتفت .

(٤) أ : آخر جاه .

(١) من

(٣) أ خثيم وهو تحريف .

ابن عباس وإنْ كانت خالته ، ما تزوّجها إلا بعد مأْحَلٍ .

وقال يونس عن ابن إسحاق : حدثني قتيبة ، عن سعيد بن المسيب ، أنه قال : هذا عبد الله بن عباس يزعم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نكح ميمونة وهو محروم فذكر كلمته ، إنما قَدِيم رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة فكان الحلال والنكاح جميعاً ، فشبّه ذلك على ابن عباس ^(١) .

وروى مسلم وأهل السنن من طرق عن يزيد بن الأصم العامري ، عن خالته ميمونة بنت الحارث ، قالت : تزوجني رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن حلالان ^(٢) بشرف . لكن قال الترمذى : روى غير واحد هذا الحديث عن يزيد بن الأصم مرسلاً ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج ميمونة .

وقال الحافظ البهقى : أباًنا أبو عبد الله الحافظ ، أباًنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الأصفهانى الزاهد ، حدثنا إسماعيل بن إسحاق القاضى ، حدثنا سليمان بن حرب ، حدثنا حماد بن زيد ، حدثنا مطر الوراق ، عن ربيعة بن أبي الرحمن ، عن سليمان بن يسأر ، عن أبي رافع قال : تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ميمونة وهو حلال وبنى ^(٣) بها وهو حلال وكفت الرسول بينهما .

وهكذا رواه الترمذى والنسائى جمِيعاً ، عن قتيبة ، عن حماد بن زيد به ، ثم قال الترمذى : حسن ولا نعلم أحداً أسنده عن حماد عن مطر . ورواه مالك عن ربيعة عن سليمان مرسلاً .

[رواه سليمان بن بلال عن ربيعة مرسلاً .

قلت : وكانت وفاتها بشرف سنة ثلاثة وستين ، ويقال : سنة ستين ، رضى الله عنها ^(٤)]

(١) على الناس .

(٢) غير ا : حلال .

(٤) سقطت من ا .

(٣) ا : وبي .

ذكر خروجه عليه السلام من مكة بعد قضاء عمرته

قد تقدم ماذ كره موسى بن عقبة أن قريشاً بعنوا إليه حويطب بن عبد العزى بعد مضى أربعة أيام ليرحل عنهم كما وقع به الشرط ، فعرض عليهم أن يعمل ولية عرسه بميمونة عندم ، وإنما أراد تأليفهم بذلك ، فأبوا عليه وقالوا : بل اخرج عننا . نخرج . وكذلك ذكره ابن إسحاق ^(١) .

وقال البخارى : حدثنا عبد الله بن موسى ، عن إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن البراء قال : اعتمر النبي صلى الله عليه وسلم في ذى القعدة ؟ فأبى أهل مكة أن يدعوه يدخل مكة حتى قاضاه على أن يقيموا بها ثلاثة أيام ، فلما كتبوا الكتاب كتبوا : هذا ما قضى عليه محمد رسول الله . قالوا : لا نقر بهذا ، لو نعلم أنك رسول الله ما منعناك شيئاً ، ولكن أنت محمد بن عبد الله . قال : « أنا رسول الله وأنا محمد بن عبد الله » ثم قال لعلى ابن أبي طالب : « أمح رسول الله » قال : لا والله لا أحموك أبداً ، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الكتاب ، وليس يحسن يكتب ، فكتب : هذا ما قضى عليه محمد ابن عبد الله لا يدخل مكة [السلام ^(٢)] إلا السيف ^(٣) في القراب ، وألا يخرج من أهلها بأحد أراد أن يتبعه ، وألا يمنع من أصحابه أحداً أراد أن يقيم بها .

فلما دخل ^(٤) ومني الأجل أتوا علياً فقالوا : قل لصاحبك : اخرج عننا فقد مضى الأجل ، نخرج النبي صلى الله عليه وسلم فتبعه ابنة حزرة تنادي : يا عم ياع . فتناولها على فأخذ يديها وقال لفاطمة : دونك ابنة عمك . فحملتها ، فاختصم فيها على زيد وجعفر ^(٥) ، فقال على : أنا أخذتها وهي ابنة عمى . وقال جعفر : ابنة عمى وخالتها تحتى ، وقال زيد : ابنة أخرى . فقضى بها النبي صلى الله عليه وسلم خالتها وقال : « الخالة بمنزلة الأم » وقال

(١) في ابن هشام : ثلاثة أيام وأنه حويطب في اليوم الثالث . (٢) من صحيح البخاري .

(٣) أ : دخلها ! (٤) أ : وحسن . وهو تحريف !

على : «أنت مني وأنا منك» وقال جعفر : «أشبهتَ خلقى وخُلقي» وقال زيد : «أنت أخونا ومولانا» قال ^(١) على : ألا تتزوج ابنة حمزة ، قال : «إنها ابنة أخي من الرضاعة» .

تفرد به البخارى من هذا الوجه .

三

وقد روی الواقدي قصة ابنة حمزة فقال : حدثني ابن أبي حبيبة ، عن داود بن الحصين ، عن عكرمة ، عن ابن عباس أن عمارة ابنة حمزة بن عبد المطلب وأمها سلبي بنت عيسى كانت عمة .

فَلَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَلَمَ عَلَىَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : عَلَامَ نَتَرَكُ ابْنَةَ عُمَّانِنَا يَتِيمَةً بَيْنَ ظَهَرَتِ الْمُشَرَّكِينَ ؟ فَلَمْ يَتَنَزَّلْنَاهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ اخْرَاجِهَا ، فَخَرَجَ بِهَا ، فَتَكَلَّمَ زَيْدَ بْنَ حَارَثَةَ وَكَانَ وَصَّىٰ حُزْنَةً ، وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ آخَى بَيْنَهُمَا حِينَ آخَى بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ ، فَقَالَ : أَنَا أَحْقَ بِهَا ، ابْنَةُ أَخِي ، فَلَمَّا سَمِعْ بِذَلِكَ جَعْفَرُ قَالَ : إِنَّ الْحَالَةَ وَالدَّةَ ، وَأَنَا أَحْقَ بِهَا لِمَا كَانَ خَالِتَهَا عِنْدِي أَسْمَاءُ بْنَتُ عُمَيْسٍ . وَقَالَ عَلَىَّ : أَلَا أَرَاكُمْ تَخْتَصِّمُونَ ! هِيَ ابْنَةُ عَمِّي وَأَنَا أَخْرُجُهَا مِنْ بَيْنَ ظَهَرِ الْمُشَرَّكِينَ ، وَلَيْسَ لَكُمْ بِإِلَيْهَا سَبِيلٌ دُونِي ، وَأَنَا أَحْقَ بِهَا مِنْكُمْ . فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَنَا أَحْكَمُ بِيَنْكُمْ » ، أَمَا أَنْتَ يَا زَيْدَ فَوْلَى اللَّهُ وَمَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ ، وَأَمَا أَنْتَ يَا جَعْفَرَ فَقُسْبَبَهُ خَالِقُ وَخَلُقُ ، وَأَنْتَ يَا جَعْفَرَ أَوْلَى بِهَا ، تَحْتَكَ خَالِتَهَا وَلَا تُنْكِحِ الْمَرْأَةَ عَلَىَّ خَالِتَهَا وَلَا عَلَىَّ عُمَّتَهَا » فَقَضَى سَهَا جَعْفَرُ .

قال الواقدى : فلما قضى بها جعفر [قام جعفر^(٢)] فحجل حول رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : « ما هذا يا جعفر ؟ » فقال : يا رسول الله كان النجاشى إذا أرضى أحداً قام فحجل حوله . فقال للنبي صلى الله عليه وسلم : تزوجها فقال : « ابنة أخي من

الرضاعة » . فزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم سلمة بن أبي سلمة ، فكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « هل جَزِيتُ أبا سلمة » .

قلت : لأنَّه ذَكَرَ الْوَاقِدِيَّ وَغَيْرَهُ أَنَّهُ هُوَ الَّذِي زَوَّجَ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بَأْمَةً أُمَّ سَلَمَةَ ، لَأَنَّهُ كَانَ أَكْبَرَ مِنْ أَخِيهِ عَرَبَ بْنَ أَبِي سَلَمَةَ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

قال ابن إسحاق : ورجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة في ذى الحجة ،

وتولى^(١) المشركون تلك الحجة .

قال ابن هشام : وأنزل الله في هذه العمرة فيما حدثني أبو عبيدة قوله تعالى : « لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ » المسجد الحرام إن شاء الله آمنين مخلقين رءوسكم ومقصريّن لا تخافون فعلم ما لم تَعْلَمُوا فجعل من دون ذلك فتحا قريبا » [يعني خير^(٢)] .

فصل

ذَكَرَ البَيْهِقِيُّ هاهُنَا سَرِيَّةَ ابْنِ أَبِي الْمَوْجَاءِ السُّلْمَى إِلَى بَنِ سُلَيْمَى .

ثم ساق بسنده عن الواقدي : حدثني محمد بن عبد الله بن مسلم ، عن الزهرى قال : لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من عمرة القضية رجع في ذى الحجة من سنة سبع ، فبعث ابن أبي الوجه السلمى في خمسين فارسا ، فخرج العَيْنُ إلى قومه فخذلهم وأخبرهم فجمعوا جمعاً كثيراً وجاءهم ابن أبي الوجه والقوم مُعَدُّون ، فلما أن رآهم^(٣) أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأوا جعهم دعوهم إلى الإسلام ، فرشقوهم بالنبل ولم يسمعوا قولهم وقالوا : لا حاجة لنا إلى ما دعوتم إلينا . فرميهم ساعةً وجعلت الأمداد

(١) وَوَلَى .

(٢) مِنْ ابْنِ هَشَامَ .

(٣) غَيْرًا : رَأَوْمَ .

تأنى حتى أحذقوها بهم من كل جانب ، فقاتل القوم قتالاً شديداً حتى قُتل عامتهم ، وأصيب ابن أبي الوجاء بجراحات كثيرة ، فتحامل حتى رجع إلى المدينة بن بقي معه من أصحابه في أول يوم من شهر صفر سنة ثمان .

فصل : قال الواقدي : في الحجة ^(١) من هذه السنة - يعني سنة سبع - رد رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنته زينب على زوجها أبي العاص بن الربيع ، وقد قدمنا الكلام على ذلك ^(٢) ، وفيها قديم حاطب بن أبي بلثمة من عند المقوقس ومعه مارية وسيرين ، وقد أسلما في الطريق ، وغلام خصي .

قال الواقدي : وفيها أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم منبره درجتين ومقعده ، قال : والثابت عندنا أنه عمل في سنة ثمان :

(٢) في الجزء الثاني .

(١) في المحرم .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

رب يسر وأعن بحولك وقوتك

سنة عان من المиграة النبوية

فصل

فإسلام عمرو بن العاص ، وخالد بن الوليد ، وعثمان بن طلحة بن أبي طلحة^(١) رضي الله عنهم
وكان قد وهم في أوائل سنة ثمان على ما سيأتي

قد تقدم طرف من ذلك^(٢) فيما ذكره ابن إسحاق بعد مقتل أبي رافع اليهودي ،
وذلك في سنة خمس من المиграة .

وإنما ذكره الحافظ البهقي هنا بعد عمرة القضاء ، فروعى من طريق الواقدي :
أنه أنا عبد الحميد بن جعفر ، عن أبيه ، قال عمرو بن العاص : كنت للإسلام مجانباً معانداً ،
حضرت بدرأً مع المشركين فنجوت ، ثم حضرت أحداً فنجوت ، ثم حضرت
الخندق فنجوت .

قال : فقلت في نفسي : كم أوضع^(٣) ! والله أليظهونَ مُحَمَّدٌ على قريش . فلاحقت بالي
بالرهط^(٤) ، وأقللت من الناس - أى من لقائهم - .
فلا حضر الحديبية وانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصلح ، ورجعت

(١) طلحة بن أبي طلحة وهو تحريف . (٢) تقدم ذلك في هذا الجزء .

(٣) أوضع : أدبر وأحارب . (٤) الرهط : موضع في شعر هذيل . المراد : ٦٤٥ / ٢

قريش إلى مكة . جعلت أقول : يدخل محمد قابلاً مكة بأصحابه ، ما مكة بمنزل ولا الطائف ، ولا شيء خير من الخروج ، وأنا بعد ناء عن الإسلام ، وأرى لو أسلمت قريش كلها لم أسلم .

فقدمت مكة وجمعت رجالاً من قوى ، وكانوا يرون رأيي ويسمعون مني ويقدمونني فيما نابهم ، فقللت لهم : كيف أنا فيكم ؟ قالوا : ذو رأينا ومذرَّهُنا^(١) في يمن نقيبة^(٢) وبركة أمر . قال : قلت : تعلمون إنى والله لأرى أمرَ محمدَ أمراً يعلو الأمور علوًّا منكراً ، وإن قد رأيت رأيا . قالوا : وما هو ؟ قلت : نلحق بالنجاشي ففكوكن معه ، فإن يظهر محمد كنا عند النجاشي [إنما أن] نكون تحت يد النجاشي أحب إليانا من أن تكون تحت يد محمد ، وإن ظهر قريش فنحن من قد عرفوا :

قالوا : هذا الرأى . قال : قلت : فاجعوا مانهديه له – وكان أحب ما يهدي إلى من أرضنا الأدم – فجمعنا له^(٣) أدماً كثيراً ثم خرجنا حتى قدمنا على النجاشي ، فوالله إنما لعنهه إذ جاء عمرو بن أمية الضرمي ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بعثه بكتاب كتبه يزوجه أم حبيبة بنت أبي سفيان ، فدخل عليه ثم خرج من عنده فقللت لأصحابي : هذا عمرو بن أمية الضرمي ولو قد دخلت على النجاشي فسألته إيه فأعطانيه فضررت عقده ، فإذا فعلت ذلك سرت قريش^(٤) وكفت قد أجزأتُ عنها حين^(٥) قلت رسول محمد .

فدخلت على النجاشي فسجدت له كأكنت أصنع ، فقال : « جبا بصدقك ، أهدىتلى من بلادك شيئاً ! قال : قلت : نعم أهداه الملك ، أهديت لك أدماً كثيراً . ثم قدمته فأنجبه وفرق منه شيئاً بين بطارقته ، وأمر بسائره فلأدخل في موضع وأمر أن يُكتب ويحفظ به .

(١) ذا رأى . والدره : المدائع .

(٢) غير أ : خملنا أدما .

(٤) سرت قريشا .

(٥) المطبوعة : حتى . وهو تحريف .

فلم أرأيت يبَّ نفسه قلت : أيهـا الملـك إـنـي قد رأـيـت رـجـلا خـرـجـ منـ عـنـدـكـ ،
وـهـوـ رـسـولـ عـدـوـ لـنـاـ قـدـ وـتـرـناـ وـقـلـ أـشـرـافـاـ وـخـيـارـناـ ، فـأـعـطـنـيـهـ فـاقـتـلـهـ . فـغـضـبـ مـنـ
ذـكـ وـرـفـعـ يـدـهـ فـضـرـبـ بـهـ أـنـقـيـ(١) ضـرـبةـ ظـبـنـتـ أـنـهـ كـسـرـهـ ، فـابـتـدـرـ مـنـخـرـايـ فـجـعـلـتـ
أـتـلـقـ الـدـمـ بـثـيـابـيـ ، فـأـصـابـنـيـ مـنـ الـذـلـ مـالـوـ اـنـشـقـتـ بـيـ الـأـرـضـ دـخـلـتـ فـيـهـاـ
فـرـقـاـ مـنـهـ .

نـمـ قـلـتـ : أـيـهـاـ الـمـلـكـ لـوـظـنـتـ أـنـكـ تـكـرـهـ مـاـقـلـتـ مـاسـأـلـتـكـ . قـالـ : فـاستـحـيـاـ وـقـالـ :
يـاعـمـ وـتـسـأـلـيـ أـنـعـطـيـكـ رـسـولـ مـنـ يـأـتـيـهـ النـامـوسـ الـأـكـبـرـ الـذـيـ كـانـ يـأـتـيـ مـوـسـىـ ؛ وـالـذـيـ
كـانـ يـأـتـيـ عـيـسـىـ لـتـقـتـلـهـ .

قـالـ عـمـروـ : فـغـيـرـ اللـهـ قـابـيـ عـمـاـ كـفـتـ عـلـيـهـ ، وـقـاتـ فـيـ نـفـسـيـ : عـرـفـ هـذـاـ حـقـَّ
الـعـرـبـ وـالـعـجمـ ، وـتـخـالـفـ أـنـتـ ! نـمـ قـلـتـ : أـتـشـهـدـ أـيـهـاـ الـمـلـكـ بـهـذـاـ؟ قـالـ : نـعـمـ أـشـهـدـ بـهـ
عـنـ اللـهـ يـاعـمـوـ ، فـأـطـعـنـيـ وـاتـبـعـهـ ، فـوـالـلـهـ إـنـهـ لـعـلـيـ الـحـقـ وـلـيـظـهـرـ عـلـىـ مـنـ خـالـفـهـ كـاـ ظـهـرـ
مـوـسـىـ عـلـىـ فـرـعـونـ وـجـنـوـدـهـ .

قـلـتـ : أـتـبـاعـنـيـ لـهـ عـلـىـ الـإـسـلـامـ ؟ قـالـ : نـعـمـ . فـبـسـطـ يـدـهـ فـبـاـيـعـنـيـ عـلـىـ الـإـسـلـامـ ،
نـمـ دـعـاـ بـطـسـتـ فـغـسلـ عـنـ الـدـمـ وـكـسـانـيـ ثـيـابـاـ . وـكـانـتـ ثـيـابـاـ قـدـ اـمـتـلـأـتـ بـالـدـمـ فـأـلـقـيـتـهـاـ .
نـمـ خـرـجـتـ عـلـىـ أـصـاحـابـ فـلـمـ أـرـأـيـتـ أـكـسـوـةـ النـجـاشـيـ سـرـواـ بـذـكـ وـقـالـواـ : هـلـ أـدـرـكـتـ
مـنـ صـاحـبـكـ مـاـ أـرـدـتـ ؟ فـقـلـتـ لـهـ : كـرـهـتـ أـنـ أـكـلـهـ فـيـ أـوـلـ مـرـةـ وـقـلـتـ أـعـودـ إـلـيـهـ .
فـقـالـواـ : الرـأـيـ مـارـأـيـتـ .

قـالـ : فـقـارـقـهـمـ وـكـانـيـ أـعـمـدـ إـلـىـ حـاجـةـ ، فـعـمـدـتـ إـلـىـ مـوـضـعـ السـفـنـ فـأـجـدـ سـفـيـنةـ قـدـ
شـحـنـتـ تـذـدـعـ ، قـالـ : فـرـكـبـتـ مـعـهـمـ وـدـفـعـهـاـ حـتـىـ اـنـهـواـ إـلـىـ الشـعـبـةـ وـخـرـجـتـ مـنـ السـفـيـنةـ
وـمـعـنـقـةـ ، فـأـبـتـعـتـ بـعـيـراـ وـخـرـجـتـ أـرـيدـ الـمـدـيـنـةـ حـتـىـ مـرـتـ عـلـىـ مـرـأـ الـظـهـرـانـ ، نـمـ

(١) فـيـ الرـوـاـيـاتـ الـأـخـرىـ : أـنـهـ .

نُمْ مضيَتْ حَتَّى إِذَا كَفَتْ بِالْمَدَّةِ فَإِذَا رَجَلَانِ قَدْ سَبَقَانِي بِغَيْرِ كَثِيرٍ يَرِيدَانِ مَنْزِلًا ،
وَأَحَدُهُمَا دَخَلَ فِي الْخَيْمَةِ وَالآخَرُ يَسْكُنُ الرَّاحْلَتَيْنِ ، قَالَ : فَنَظَرَتْ فَإِذَا خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ ،
قَالَ : قَلْتَ : أَيْنَ تَرِيدُ ؟ قَالَ : مُحَمَّدًا ، دَخَلَ النَّاسُ فِي الإِسْلَامِ فَلَمْ يَبْقَ أَحَدٌ بِهِ طَعْمَ^(٥) ،
وَاللَّهُ لَوْ أَفْتَ لَأُخْذَ بِرْقَابِنَا كَمَا يَؤْخُذُ بِرْقَبَةِ الضَّبَيعِ فِي مَغَارَتِهَا .

قَلْتَ : وَأَنَا وَاللَّهُ قَدْ أَرْدَتْ مُحَمَّدًا وَأَرْدَتِ الْإِسْلَامَ . نَخْرُجُ عَمَانَ بْنَ طَلْحَةَ فَرْحَبَ بِي ،
فَنَزَلْنَا جَمِيعًا فِي الْمَنْزِلِ .

نُمْ انْفَقَنَا حَتَّى أَتَيْنَا الْمَدِينَةَ ، فَمَا أَنْسَى قَوْلَ رَجُلٍ لَقَيْنَاهُ بِيَثْرَأَبِي عَتْبَةَ يَصِيحُ :
يَارَبَاحَ يَارَبَاحَ . فَفَنَاءُنَا بِقَوْلِهِ وَسِرْنَا ، ثُمَّ نَظَرَ إِلَيْنَا فَأَسْمَعَهُ يَقُولُ : قَدْ أَعْطَتْ مَكَةَ
الْمَقَادِّهَ بَعْدَ هَذِينِ . فَظَنَنْتُ أَنَّهُ يَعْنِي وَيَعْنِي خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدَ ، وَوَلَّ مَدْبِرًا إِلَى الْمَسْجِدِ
سَرِيعًا ، فَظَنَنْتُ أَنَّهُ بَشَّرَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَدْوَمِنَا ، فَكَانَ كَمَا ظَنَنْتُ .
وَأَنْخَنْتُ بِالْحَرَّةِ ، فَلَبَسْنَا مِنْ صَالِحِ ثِيَابِنَا ، نُمْ نُودِي بِالْعَصْرِ فَانْطَلَقْنَا حَتَّى اطْلَعْنَا عَلَيْهِ
وَإِنْ لَوْجَهَ تَهَلَّلًا وَالْمُسْلِمُونَ حَوْلَهُ قَدْ سُرُّوا بِإِسْلَامِنَا فَتَقْدِيمُ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ فِيَابِعَ ، ثُمَّ
تَقْدِيمُ عَمَانَ بْنَ طَلْحَةَ فِيَابِعَ ، ثُمَّ تَقْدِيمُ فَوَالِهِ مَاهُو إِلَّا أَنْ جَلَسَ بَيْنَ يَدِيهِ فَاسْتَطَعْتُ
أَنْ أَرْفَعَ طَرْفَ حَيَاءِهِ . قَالَ : فِيَابِعَتِهِ عَلَى أَنْ يُفْرَلِي مَا تَقْدِيمُ مِنْ ذَنْبِي وَلَمْ يَحْضُرْنِي
مَا تَأْخِرَ ، فَقَالَ : «إِنَّ الْإِسْلَامَ يَجْبُبُ مَا كَانَ قَبْلَهُ ، وَالْمَهْجَرَةُ تَجْبُبُ مَا كَانَ قَبْلَهَا» .

قَالَ : فَوَاللَّهِ مَا عَدَلَ بِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبِخَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ أَحَدًا مِنْ
أَحْسَابِهِ فِي أَمْرِ حَزَبِهِ مِنْذَ أَسْلَمْنَا ، وَلَقَدْ كَنَا عِنْدَ أَبِي بَكْرٍ بِتِلْكَ الْمَنْزَلَةِ ، وَلَقَدْ كَفَتْ عِنْدَ
عُمُرِ بِتِلْكَ الْحَالَةِ ، وَكَانَ عُمُرُ عَلَى خَالِدٍ كَالْعَلَابِتِ .

قَالَ عَبْدُ الْحَمِيدِ بْنُ جَعْفَرٍ شَيْخِ الْوَاقِدِيِّ : فَذَكَرَتْ هَذَا الْحَدِيثَ لِيَزِيدَ بْنَ حَمِيبٍ

(١) الطَّعْمُ : الْقَدْرَةُ .

قال : أخبرني راشد مولى حبيب بن أبي أوس الثقفي ، عن مولاه حبيب ، عن عمرو ابن العاص نحو ذلك :

قلت : كذلك رواه محمد بن إسحاق ، عن يزيد بن أبي حبيب ، عن راشد ، عن مولاه حبيب [قال :] حدثني عمرو بن العاص من فيه ، فذكر ما تقدم في سنة خمس بعد مقتل أبي رافع . وسياق الواقدي أبسط وأحسن .

قال الواقدي عن شيخه عبد الحميد : قلت ليزيد بن أبي حبيب : وقت ذلك متى قدم عمرو وخالد ؟ قال : لا ، إلا أنه قال قبل الفتح . قلت : فإن أبي أخبرني أن عمرا وخالفه وعثمان بن طلحة قدموا هلال صفر سنة ثمان .
وفي صحيح مسلم ما يشهد لسياق إسلامه وكيفية حسن صحبه لرسول الله صلى الله عليه وسلم مدة حياته ، وكيف مات وهو يتأسف على ما كان منه في مدة مباشرته الإمارة بعده عليه الصلاة والسلام ، وصفة موته رضي الله عنه .

طريق إسلام خالد بن الوليد

قال الواقدي : حدثني يحيى بن المغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، قال سمعت أبي يحدث عن خالد بن الوليد قال : لما أراد الله بي ما أراد من الخير قذف في قلبي الإسلام وحضرني رُشدِي ، قلت : قد شهدت هذه المواطن كلها على محمد صلى الله عليه وسلم ، فليس في مواطن أشهده إلا أنصرف وأنا أرى في نفسي أنى موضع في غيرishi ، وأنَّ محمداً سيظهر .

* فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الحديبية خرجت في خيل من المشركين فلقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في أصحابه بُسْقان ، فقمت بإزائه وتعرّضت له ، فصلَّى بالصحابه الظاهر أمامنا فهمَّنا أن نغير عليهم ثم لم يُعزم لنا - وكانت فيه خبرة - فاطَّلع على

ما في أنفسنا من المم به فصلني بأصحابه صلاة العصر صلاة الخوف ، فوقع ذلك منا موقفاً وقلت: الرجل من نوع ، فاعتزلنا ، وعدَّل عن سنَّة^(١) خيلنا وأخذ ذات اليمين .

فلا صالح قريشاً بالحدَّيبيَّة ودافعته قريش بالرَّواح قلت في نفسي : أى شيء بقي ؟ أين أذهب ؟ إلى النجاشي ؟ فقد اتبع مُحَمَّداً وأصحابه عنده آمنون ، فاخْرَج إلى هرقل فاخْرَج من ديني إلى نصرانية أو يهودية ؟ فأقِيم في عجم^(٢) ، فأقِيم في داري بن بقي ؟ فأنَا في ذلك إذ دخل رسول الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مكة في عمرة القَضِيَّة [فَفَيَّيْتُ] ولم أشهد دخوله ، وكان أخي الوليد بن الوليد قد دخل مع النبي صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في عمرة القَضِيَّة^(٣) [فَطَلَبْنِي فَلَمْ يَجِدْنِي فَكَتَبْ إِلَيْهِ كِتَابًا فَإِذَا فِيهِ : بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ أَمَا بَعْدُ ؛ فَإِنِّي لَمْ أَرْأَيْنِي ذَهَابَ رَأْيِكَ عَنِ الإِسْلَامِ وَعَقْلَكَ عَقْلُكَ ! وَمِثْلُ الإِسْلَامِ جَهَلَهُ أَحَدٌ ؟ وَقَدْ سَأَلْتِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْكَ وَقَالَ : أَبْنَ خَالِدٍ ؟ فَقَلَّتْ : يَأْتِي اللَّهُ بِهِ ، فَقَالَ : « مِثْلُهُ جَهَلُ الإِسْلَامَ » وَلَوْ كَانَ جَعَلَ نِسْكَائِتَهُ وَحْدَهُ مَعَ الْمُسْلِمِينَ كَانَ خَيْرًا لَهُ ، وَلَقَدْ مَنَاهُ عَلَى غَيْرِهِ » فَاسْتَدْرَكَ : يَا أَخِي مَا قَدْ فَاتَكَ [مِنْ] مواطن صالحَة .

قال : فلما جاءني كتابه نشطت للخروج وزادني رغبةً في الإسلام ، وسررتني سؤال رسول الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عنِّي ، وأرَى في النوم كأني في بلاد ضيقه مجده نخرجت في بلاد خضراء واسعة ، فقلت : إن هذه لرؤيا . فلما أن قدمت المدينة قلت : لأذكر منها لأبي بكر ، فقال : تخْرُجْكَ الَّذِي هَدَاكَ اللَّهُ لِلإِسْلَامِ ، وَالضَّيْقُ الَّذِي كُنْتَ فِيهِ مِنَ الشَّرِكِ .

قال : فلما أجمعت الخروج إلى رسول الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قلت : من أصحابِ إِلَيْهِ رسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ فلقيت صفوانَ بنَ أمِيَّةَ قلت : يا أبا وهب أما ترى

(١) السنن : الجهة .

(٢) مع عجم .

(٣) سقط من أ .

ما نحن فيه؟ إنما نحن كأضaras ، وقد ظهر محمد على العرب والجم ، فلو قدِّمنا على محمد واتبعناه فإن شرفَ محمد لنا شرفٌ؟ فأبى أشدَّ الإباء فقال : لو لم يبقَ غيري ما اتبعته أبداً .

فافترقا وقلت : هذا رجل قُتل أخوه وأبوه ببَذْرٍ . فلقيت عكرمة بن أبي جهل فقلت له مثل ما قلت لصفوان بن أمية ، فقال لي مثلَ ما قال صفوان بن أمية . قلت : فَاكْتُمْ عَلَيْهِ . قال : لا أَذْكُرُه .

نفرجت لي منزلي فأسررت براحتى فخرجت بهـا ، إلى أن لقيت عثمان بن طلحة فقلت : إن هذا لي صديق ، فلو ذكرت له ما أرجو . ثم ذكرت من قُتل من آبائـه ، فذكرت أن أذـكره ، ثم قلت : وما علىـه أنا راحـل من ساعـتي . فذـكرت له ما صار الأمرـ إليه ، فقلت : إنـما نـحن بمـنزلة ثـلـبـ في جـهـرـ لـوـصـبـ فـيـهـ ذـنـوبـ مـنـ مـاهـ نـلـرـجـ ، وـقـلـتـ لـهـ نـحـوـاـ مـاـ قـلـتـ لـصـاحـبـيـ ، فـأـسـرـعـ إـلـإـجـابـةـ ، وـقـلـتـ لـهـ : إـنـيـ غـدـوـتـ الـيـوـمـ وـأـنـأـرـيدـ أـنـ أـغـدوـ ، وـهـذـهـ رـاحـلـتـ بـفـجـ مـنـاخـةـ . قال : فـأـتـعـدـتـ أـنـاـ وـهـوـ يـأـجـجـ ، إـنـ سـبـقـنـيـ أـقـامـ وـإـنـ سـبـقـتـهـ أـقـمـتـ عـلـيـهـ .

قال : فـأـذـلـجـنـاـ سـحـرـاـ فـلـمـ يـطـلـعـ الـفـجـرـ حـتـىـ التـقـيـنـاـ بـيـأـجـجـ ، فـنـدـوـنـاـ حـتـىـ اـنـتـهـيـنـاـ إـلـىـ الـمـدـةـ فـنـجـدـ عـمـرـوـ بـنـ الـعـاصـ بـهـاـ ، قال : مـرـجـاـ بـالـقـومـ . قـلـنـاـ : وـبـكـ . فـقـالـ : إـلـىـ أـينـ مـسـيرـكـ؟ قـلـنـاـ : وـمـاـ أـخـرـجـكـ؟ فـقـالـ : وـمـاـ أـخـرـجـكـ؟ قـلـنـاـ : الدـخـولـ فـيـ إـلـاسـلـامـ وـاتـبـاعـ مـحـمـدـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ . قال : وـذـاكـ الذـىـ أـقـدـمـنـىـ .

فـاصـطـحـبـنـاـ جـمـيـعـاـ حـتـىـ دـخـلـنـاـ الـمـدـيـنـةـ ، فـأـنـخـنـاـ يـظـهـرـ الـحرـةـ رـكـابـنـاـ فـأـخـبـرـبـنـاـ رـسـوـلـ اللـهـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ فـسـرـرـ بـنـاـ ، فـلـبـسـتـ مـنـ صـالـحـ ثـيـابـ ثـمـ عـمـدـتـ إـلـىـ رـسـوـلـ اللـهـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ فـلـقـيـنـيـ أـخـىـ : فـقـالـ أـسـرـعـ ، فـإـنـ رـسـوـلـ اللـهـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ قـدـ أـخـبـرـ بـكـ فـسـرـ بـقـدـوـمـكـ وـهـوـ يـنـظـرـكـ .

فأسر عنا المشى فاطلعت عليه فما زال يتبع إلى حتى وقفت عليه ، فسألهت عليه بالنبوة فرد على السلام بوجه طلق ، فقلت : إني أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله . فقال : « تعال » ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الحمد لله الذي هداك قد كنت أرى لك عقلاً رجوت ألا يسلك إلا إلى خير » قلت : يا رسول الله إني قد رأيت ما كفت أشهد من تلك المواطن عليك معاذًا للحق فادع الله أن يغفرها لي . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الإسلام يحب ما كان قبله » قلت : يا رسول الله على ذلك . قال : « اللهم اغفر لخالد بن الوليد كل ما أوضنه فيه من صدر عن سبيل الله » .

قال خالد : وتقديم عمان وعمرو فباعا رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : وكان قد دومنا في صفر سنة ثمان ، قال : والله ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعدل بي أحداً من أصحابه فيما حزبه .

سرية شجاع بن وهب الأسدى إلى نفر من هوازن

قال الواقدى : حدثنى ابن أبي سبيرة ، عن إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة ، عن عمر بن الحكم ، قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم شجاع بن وهب في أربعة وعشرين رجلاً إلى جم من هوازن ، وأمره أن يغير عليهم ، فخرج وكان يسير الليل ويكتن النمار حتى جاءهم وهم غارثون ، وقد أوعز إلى أصحابه ألا تُعنوا في الطلب ، فأصابوا نعماً كثيراً وشاء ، فاستقاوا ذلك حتى إذا قدموا المدينة فكانت سهامهم خمسة عشر بعيراً كل رجل وزعم غيره أنهم أصابوا سبيلاً أيضاً ، وأن الأمير اصطف عنهم جارية وضيئه ثم قدم أهلهم مسلمين ، فشاور النبي صلى الله عليه وسلم أميرهم في ردهن إليهم ، فقال : نعم فردوهن ، وخيار الجارية التي عنده فاختارت المقام عنده .

وقد تكون هذه السرية هي المذكورة فيها رواه الشافعى عن مالك عن نافع عن

ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث سريّة قبل نجد فكان فيهم عبد الله بن عمر ، قال : فأصبنا إبلاً كثيراً فبلغت سهامنا اثنتي عشر بعيراً وَنَفَّلَنَا رسول الله^(١) صلى الله عليه وسلم بعيراً بعيراً .

آخر جاه في الصحيحين من حديث مالك ، ورواه مسلم أيضاً من حديث الليث ومن حديث عبد الله كلهم عن نافع عن ابن عمر بنحوه .

وقال أبو داود : حدثنا هناد ، حدثنا عبدة ، عن محمد بن إسحاق ، عن نافع عن ابن عمر قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سريّة إلى نجد فخرجت فيها فأصبنا نعماً كثيراً ، فنَفَّلَنَا أميرنا بعيراً بعيراً لـكل إنسان ، ثم قدِّمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قسم يبننا غنيمتنا ، فأصاب كل رجل منا اثنتا عشر بعيراً بعد الخمس ، وما حاسبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالذى أخطانا صاحبنا ولا عاب عليه ما صنع ، فكان لكل منا ثلاثة عشر بعيراً بنفله .

سريّة كعب بن عمير إلى بني قضاعة من أرض الشام

قال الواقدي : حدثنا محمد بن عبد الله [عن^(٢)] الزهرى ، قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم كعبَ بن عمير الففارى في خمسة عشر رجلاً حتى انتهوا إلى ذات أطلاح من الشام ، فوجدوا جماعاً من جعهم كثيراً ، فدعوهم إلى الإسلام فلم يستجيبوا لهم ورشقوهم بالنبيل ، فلما رأى ذلك أصحابُ رسول الله صلى الله عليه وسلم قاتلوكم أشدَّ القتال حتى قُتلوا ، فارتُث^(٣) منهم رجلٌ جريح في القتلى ، فلما أن برداً عليه الليل تحمل حتى آتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فهم بالبعثة إليهم فبلغه أنهم ساروا إلى موضع آخر .

(١) البخارى : ونَفَّلَنَا بعيراً بعيراً . بالبناء للمجهول .

(٢) ارتث : جرح وبه رقم .

(٣) من ١ .

غزوة مُؤْتَةٍ

وهي سَرِيَّة زيد بن حارثة في نحو من ثلاثة آلاف إلى أرض الْبَلْقاء من أطراف^(١) الشام

قال محمد بن إسحاق بعد قصة عمرة القاضية : فأنقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة بقيمة ذى الحجة - وولى تلك الحجّة المشركون - والمحرم وصفرًا وشهري ربيع وبعث في جمادى الأولى بعثته إلى الشام الذين أصيبوا بمؤْتَةٍ .

خَدْنَى مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ بْنُ الزَّبِيرِ ، عَنْ عُرُوْنَ بْنِ الزَّبِيرِ ، قَالَ : بَعْثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْثَتْهُ إِلَى مُؤْتَةٍ فِي جَمَادِي الْأُولَى مِنْ سَنَةِ عُمَانٍ ، وَاسْتَعْمَلَ عَلَيْهِمْ زِيدَ بْنَ حَارِثَةَ ، وَقَالَ : « إِنْ أُصِيبَ زِيدًا فَجَعْفَرٌ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَى النَّاسِ ، إِنْ أُصِيبَ جَعْفَرًا فَعَبْدُ اللَّهِ بْنَ رَوَاحَةَ عَلَى النَّاسِ ». .

فَتَجَهَّزُ النَّاسُ ثُمَّ تَهْيَأُوا لِلْخُرُوجِ وَهُمْ ثَلَاثَةَ آلَافٍ .

وَقَالَ الْوَاقِدِيُّ : خَدْنَى رَبِيعَةَ بْنَ عُمَانَ ، عَنْ عِمْرُو بْنِ الْحَكْمَ ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ : جاء النعمان بن فئحص اليهودي فوقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم مع الناس ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « زيد بن حارثة أمير الناس ، فإنْ قُتل زيد فجعفر بن أبي طالب ، فإنْ قُتل جعفر فعبد الله بن رواحة ، فإنْ قُتل عبد الله بن رواحة فليزْتَضِيَّ المُسْلِمُونَ بِيَنْهُمْ رجلاً فليجعلوه عليهم ». .

فَقَالَ النَّعْمَانُ : أَبَا الْقَاسِمِ إِنْ كَفْتَ نَبِيًّا فَلُو سَمَيَّتَ مِنْ سَمَيَّتَ قَلِيلًا أَوْ كَثِيرًا أُصِيبُوا جَمِيعًا ؟ إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانُوا إِذَا سَمِّيُّوا الرَّجُلَ عَلَى الْقَوْمِ قَالُوا : إِنْ أُصِيبَ فَلَانَ

(١) غير ١ : من أرض .

فقلان ، فلو سَمِّوا مائةً أصيروا جمِيعاً . ثم جعل يقول لزيد : اعْهَدْ فَإِنَّكَ لَا تَرْجِعُ أَبْدَا ،
إِنْ كَانَ مُحَمَّدٌ نَبِيًّا .

قال زيد : أَشْهَدُ أَنَّهُ نَبِيٌّ صَادِقٌ بارٌّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .
رواه البهقي .

* * *

قال ابن إسحاق : فلما حَضَرَ خَرْوَجُهُمْ وَدَعَ النَّاسَ أُمَّرَاءَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ وَسَلَّمُوا عَلَيْهِمْ ، فَلَمَّا وَدَعَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ رَوَاحَةَ [مع (١)] مِنْ وَدْعِ بَكِ ، قَالُوا :
مَا يَبْكِيكَ يَا بْنَ رَوَاحَةَ . قَالَ : أَمَّا وَاللَّهُ مَا بِي حُبُّ الدُّنْيَا وَلَا صَبَابَةٌ بِكُمْ ، وَلَكُنِّي
سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرَأُ آيَةً مِنْ كِتَابِ اللَّهِ يَذَكِّرُ فِيهَا النَّارَ
«إِنْ مَنْكُمْ إِلَّا وَارَدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتَّىٰ مَقْضِيًّا» (٢) فَلَسْتُ أُدْرِي كَيْفَ لَي
بِالصَّدَرِ بَعْدَ الْوَرَودِ؟!

قال المسلمون : صَحَّبَكُمُ اللَّهُ وَدَفَعَ عَنْكُمْ وَرَدَّ كُمْ إِلَيْنَا صَالِحِينَ .

قال عبد الله بن رواحة :

لَكُنِّي أَسْأَلُ الرَّحْمَنَ مَغْفِرَةً وَضَرِبَةً ذَاتَ فَرَغٍ تَقْدُفُ الزَّبَدَ (٣)
أَوْ طَعْنَةً يَيْدَنِي حَرَانَ مُجْهِزةً بِحَرَبَةٍ تُنْفَذُ الْأَحْشَاءَ وَالْكَبِيدَ (٤)
حَتَّىٰ يُقَالَ إِذَا مَرَّ وَاعْلَى جَدَنِي أَرْشَدَهُ اللَّهُ مِنْ غَارٍ وَقَدْ رَشَدَهُ
قال ابن إسحاق : ثُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ تَهْيَأُوا لِلْخُرُوجِ ، فَأَنَّى عَبْدَ اللَّهِ بْنَ رَوَاحَةَ رَسُولَ اللَّهِ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَوْدَعَهُ ثُمَّ قَالَ :

فَثَبَّتَ اللَّهُ مَا آتَاكَ مِنْ حَسَنٍ تَبَيَّنَتْ مُؤْمِنًا وَنَصَارَىً كَالَّذِي نَصَرُوا
إِنِّي تَفَرَّقْتُ فِيَكُوكَ الْخَيْرَ نَافِلَةً اللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي ثَابَتُ الْبَصْرِ

(٢) سورة مرثيم الآية ٧١ .

(٤) الحaran : الشديد .

(١) ليست في .

(٣) الفرغ : السعة .

أنت الرسولُ فَن يُحْرِمُ نوافِلَهُ وَالوِجْهَ مِنْهُ فَقَدْ أَزْرَى بِهِ الْقَدْرَ
قال ابن إسحاق : ثم خرج القوم وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يشيعهم ،
حتى إذا ودعهم وانصرف ، قال عبد الله بن رواحة :

خلف السلام على أمرِي وَدَعْتُهُ فِي النَّخْلِ خَيْرُ مُشَيْعٍ وَخَلِيلٍ

[وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الله بن محمد ، حدثنا أبو خالد الأحرر ، عن الحجاج ، عن الحكم ، عن مِقْسَمَ ، عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث إلى مؤتة فاستعمل زيداً ، فإن قُتل زيد فجعفر ، فإن قتل جعفر فإن رواحة ، فخالف ابن رواحة فجمع مع النبي صلى الله عليه وسلم ، فرأاه فقال : « ما خالفك ؟ » فقال : أجمع معك . قال : « لغذوة أو رؤحة خير من الدنيا وما فيها »^(١) .]

وقال أحمد : حدثنا أبو معاوية ، حدثنا الحجاج ، عن الحكم ، عن مِقْسَمَ ، عن ابن عباس قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن رواحة في سرية فوافق ذلك يوم الجمعة^(٢) ، قال : فقدم أصحابه وقال : أختلف فأصلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الجمعة ثم الحقهم . قال : فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم رأاه فقال : « مامنعت أن تندو مع أصحابك ؟ » فقال : أردت أن أصلّي معك الجمعة ثم الحقهم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لو أنقست مافي الأرض جميماً ما أدركتَ غدوتهم » .

وهكذا رواه الترمذى ، عن أحمد بن منيع ، عن أبي معاوية ، ثم قال : لا نعرفه إلا من هذا الوجه .

(٢) ١ : يوم الجمعة .

(١) هذا الجزء مؤخر في ١ .

وقال شعبة : لم يسمع الحكم عن مِقْسَمٍ إِلَّا خَمْسَةً أَحَادِيثٍ - وَعَدَهَا شَعْبَةُ - وَلَيْسَ هَذَا الْحَدِيثُ مِنْهَا^(١) .

[قلت : والحجاج بن أرطاة في روايته نظر والله أعلم^(٢)].
والمقصود من إيراد هذا الحديث أنه يقتضى أن خروج المرأة إلى مؤتة كان في يوم
جمعة . والله أعلم .

* * *

قال ابن إسحاق : ثُمَّ مَضَوْا حَتَّى نَزَلُوا مَعَانَ مِنْ أَرْضِ الشَّامِ ، فَبَلَغَ النَّاسُ أَنَّ هَرقلَ قَدْ نَزَلَ بِمَآبٍ مِنْ أَرْضِ الْبَلْقَاءِ فِي مائةِ أَلْفِ رُومٍ ، وَانْصَمَ إِلَيْهِ مِنْ نَحْمٍ وَجَذَامٍ وَالْقَيْنِ وَبَهْرَاءٍ وَبَلَى مائةِ أَلْفٍ مِنْهُمْ عَلَيْهِمْ رَجُلٌ مِنْ بَلَى ، ثُمَّ أَحَدُ إِمَارَاتِهِ يَقَالُ لَهُ مَالِكُ بْنُ زَافْلَةَ .

وفي رواية يونس عن ابن إسحاق : فَبَلَغُوهُمْ أَنَّ هَرقلَ نَزَلَ بِمَآبٍ فِي مائةِ أَلْفٍ مِنْ الرُّومِ وَمائةِ أَلْفٍ مِنْ الْمُسْتَعْرِبَةِ .

[وَقَيْلٌ : كَانَ الرُّومَ مائةَ أَلْفٍ وَمَنْ أَعْدَاهُمْ خَمْسُونَ أَلْفًا . وَأَقْلَمُ مَاقِيلٌ : إِنَّ الرُّومَ كَانُوا مائةَ أَلْفٍ وَمِنَ الْعَرَبِ خَمْسُونَ أَلْفًا . حَكَاهُ السَّهِيْلِيُّ^(٣)] .

فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ الْمُسْلِمِينَ أَقَامُوا عَلَى مَعَانَ لِيَلْقَائِنَ يَنْظَرُونَ فِي أَمْرِهِمْ ، وَقَالُوا : نَكْتُبْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَخْبِرُهُ بَعْدَ عَدْوَنَا ، فَإِمَّا أَنْ يُمْدَنَا بِالرِّجَالِ ، وَإِمَّا أَنْ يَأْمُرَنَا بِأَمْرِهِ فَنَمْضِيَ لَهُ . قَالَ : فَشَجَّعَ النَّاسَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ وَقَالَ : يَا قَوْمَ وَاللَّهِ إِنَّ الَّتِي تَكْرَهُونَ لَلَّتِي خَرَجْتُمْ تَطْلُبُونَ الشَّهَادَةَ ، وَمَا نَقَاتَلَ النَّاسَ بَعْدَ وَلَا قُوَّةَ وَلَا كُثْرَةَ ،

(١) غير ١ : « وهذا الحديث قد رواه الترمذى من حديث أبي معاوية عن الحجاج - وهو ابن أرطاة . ثم عللته الترمذى بـ حاكاه عن شعبة أنه قال : لم يسمع الحكم عن مِقْسَمٍ إِلَّا خَمْسَةً أَحَادِيثٍ وليس هذا منها ». (٢) من ١ .

ما نفاث لهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به ، فانطليقو إفناه إلى إحدى الحسنيين ،
إما ظهور وإما شهادة .

قال : فقال الناس : قد والله صدق ابن رواحة . فمضى الناس .

قال عبد الله بن رواحة في تحبسهم ذلك :

جلبنا الخيلَ من أجاً وفرعٍ تُرُّ من الحشيش إلى العكوم^(١)
خذلناها من الصوان سِنْتَانَ أَزْلَ كَانَ صفحاته أَدِيمٌ^(٢)
أقامت ليلتين على مَكَانٍ فَأَعْقَبَ بَعْدَ فَتْرَتِهَا جُومٌ^(٣)
فَرُحْنَا وَالجِيَادُ مُسَوَّمَاتٍ تَنَفَّسُ فِي مَنَاخِرِهَا سَمُومٌ^(٤)
فلا وأبي مَسَابُ لَنَائِنِهَا وَإِنْ كَانَتْ بَهَا عَرَبٌ وَرُومٌ^(٥)
فَعَبَانَا أَعْفَنِهَا فَجَاءَتْ عَوَابِسَ وَالغَبَارُ لِمَابِرِيمٍ^(٦)
بَذِي الْجَبِ كَانَ الْبَيْضَ فِيهِ إِذَا بَرَّزَتْ قَوَاسِمُهَا النَّجُومُ^(٧)
فِرَاضِيَةُ الْمَعِيشَةِ طَلَقَتْهَا أَسِنَتْنَا فَتَنَكِيجُ أَوْتَيْمٌ^(٨)

قال ابن إسحاق : خذلني عبد الله بن أبي بكر أنه حدث عن زيد بن أرقم قال :
كنت^(٩) يتيمًا لعبد الله بن رواحة في حجره ، فخرج بي في سفره ذلك مُزدِيفٌ

(١) أجاً : أحد جيلي طيء والآخر سلى . وفرع : أطول جبل بأجا وأوسطه . وتر : تلعم وتشيع .
والرواية عند السمهيل : تقر . بالقاف ، وقال : تقر أي يجمم بعضها إلى بعض . والعكوم : جمع عكم
وهو الجانب .

(٢) خذلناها : جعلنا لها نعالا من حديد . والصوان : حجارة ملس ، والسبت : العال التي تصنع
من المبلود المدبغة . والأزل : الأملس . والأديم : الجلد .

(٣) معان : موضع بالشام . والفترا : السكون والضعف . والجوم : اجتماع القوة .

(٤) سموم ، بضم السين ، جم س وما عرقان في خيشوم الفرس . والسموم بفتح السين : ربيع حارة .
وفى ابن هشام : في مناخها السموم .

(٥) البريم : كل ما فيه لون مختلطان ؛ والدمخ المختلط بالإثمد .

(٦) اللجب : اختلاط الأصوات من كثرة الجيش . والقوانس : جسم قوس وهو أعلى بضة الحديد .

(٧) راضية المعيشة : المعيشة اللينة المطمئنة . تئم : تبقى دون زوج . يريدهم قد تباينا عن الدعة والراحة .

(٨) كان .

على حقيقة رحله ، فوالله إنه ليسير ليقتضي سمعته وهو ينشد أبياته هذه :

(١) إذا أَدْنِتِنِي وَحَلَّتِ رَحْلِي مَسِيرَةً أَرْبَعَ بَعْدَ الْحَسَاءِ

(٢) فَشَأْنُكَ أَنْعَمٌ وَخَلَاكَ ذَمٌ وَلَا أَرْجِعُ إِلَى أَهْلِ وَرَأْيٍ

(٣) وَجَاءَ الْمُسْلِمُونَ وَغَادَ رَوْنِي بِأَرْضِ الشَّامِ مُشْتَهِيَ النَّوَاءِ

ورَدَكَ كُلُّ ذِي نَسْبٍ قَرِيبٌ إِلَى الرَّحْمَنِ مُنْقَطِعٌ الْإِخَاءُ

(٤) هَنَالِكَ لَا أُبَالِي طَلْعَ بَعْنَى وَلَا نَخْلَى أَسَافِلُهَا رِوَاءُ

قال : فلما سمعتُهن منه بكير ، فخفقني بالدرة وقال : ماعليك يا لگم أن يرزقني

الله الشهادة وترجع بين شفتي الرَّحْلِ ؟

ثم قال عبد الله بن رواحة في بعض سفره ذلك وهو يرتجز :

(٥) يَا زِيدَ الْيَعْمَلَاتِ الْذَّبَلِيِّ تَطاوِلَ اللَّيلَ هُدِيتَ فَانْزَلِ

* * *

قال ابن إسحاق : ثم مضى الناس ، حتى إذا كانوا بتخوم البلقاء لقيتهم جموع هرقيل من الروم والعرب بقرية من قرى البلقاء يقال لها مشارف ، ثم دنا العدو وانحاز المسلمون إلى قرية يقال لها مؤتة فالتقى الناس عندها ، فتعبي لهم المسلمون ، فجعلوا على ميمنتهم رجالا من بني عذرنة يقال له قطبة بن قتادة ، وعلى ميسرهم رجالا من الأنصار يقال له عبادية بن مالك .

(١) الحساء : سهل من الأرض يستنقم فيه الماء ، أو غلظ فوقه رمل يجمع ماء الطر .

(٢) شأنك أنتم : يزيد أنه يربعها ولا يكلفها عناء السفر بعد ذلك . ولا أرجع : بجزوه على الدعاء .

(٣) مشتهي النواء : لا يزيد رجوعا . وقد روى : مستهني النباء . قال السهيلي : مستهني النباء : مستفضل من النهاية والانهاء ، أى حيث انتهى مثواه .

(٤) البعل : ما يشرب بعروقه من الأرض . وأسافلها رواة : كذا في ابن هشام ، وغيره . وفي اأساقتها ورأي .

(٥) اليعملات : النفق السريعة . والذبل : التي أوهنتها السير .

وقال الواقدي : حدثني ربيعة بن عثمان ، عن المقربى ، عن أبي هريرة قال : شهدت مُؤْتَةً فلما دنامنا المشركون رأينا مالاً قبَلَ لأحد به من العدة والسلاح والكراع والدياج والحرير والذهب ، فبرق بصرى ، فقال لي ثابت بن أرقم : يا أبا هريرة كأنك ترى جوحاً كثيرة ؟ قلت : نعم . قال : إنك لم تشهد بدرأ معنا ، إنما لم تُنصر بالكثرة .
رواوه البهقى .

قال ابن إسحاق : ثم التقى الناس فاقتتلوا ، فقاتل زيد بن حارثة برية رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى شاط في رماح القوم ، ثم أخذها جعفر فقاتل القوم حتى قُتل ، وكان جعفر أول [١) المسلمين عَفْرَى الإسلام .

وقال ابن إسحاق : وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه عباد ، حدثني أبي الذي أرضعني وكان أحد بنى مرّة بن عوف ، وكان في تلك الغزوة غزوة مؤتة قال : والله لـكـأـنـيـأـنـظـرـإـلـىـجـعـفـرـحـينـأـتـحـمـعـنـفـرـسـلـهـشـقـرـاءـثـمـعـرـهـاـثـمـقـاتـلـالـقـوـمـحـتـقـلـوـهـوـيـقـوـلـ :

ياحبّذا الجنة واقتراها طيبةٌ وباردٌ شرابها
والروم رومٌ قد دنا عذابها [كافرةٌ بعيدةٌ أنسابها] [٢)
* على إن لا يَقِنُّها ضرائبها *

وهذا الحديث قد رواه أبو داود من حديث أبي إسحاق ولم يذكر الشّعر .

وقد استدل به من جَوَز قتل الحيوان خشية أن ينتفع به العدو ، كما يقول أبو حنيفة في الأغnam إذا لم تتبّع في السير ويُخْشَى من لحق العدو وانتفاعهم بها أنها تُدْجِع وتُخْرِق لِيُحال [٣) بينهم وبين ذلك . والله أعلم .

قال السهيلي : ولم ينكِر على جعفر أحد فدل على جوازه إلا إذا أُمِنَ أَنَّهَا العدو له ،

(٣) (١) : فيحال .

(٢) ليست في ا

. (١) من ١ .

وَلَا يَدْخُلُ ذَلِكَ فِي النَّهَى عَنْ قَتْلِ الْحَيْوَانِ عَبْنًا . قَالَ ابْنُ هَشَامٍ : وَحْدَنِي مِنْ أُنْقَبِهِ
مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنْ جَعْفَرًا أَخْذَ الْلَّوَاءَ بِيمِينِهِ فَقُطِعَتْ ، فَأَخْذَهُ بِشَمَائِلِهِ فَقُطِعَتْ ، فَاحْتَضَنَهُ
بَعَصْدِيهِ حَتَّى قُتِلَ وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثَ وَثَلَاثَيْنِ سَنَةً ، فَأَنَابَهُ اللَّهُ بِذَلِكَ جَنَاحِينَ فِي الْجَنَّةِ
يَطِيرُ بِهِمَا حِيثُ يَشَاءُ ، وَيَقُولُ : إِنْ رَجُلًا مِنَ الرُّومِ ضَرَبَهُ يَوْمَنْدَ ضَرَبَهُ فَقُطِعَهُ نَصْفَيْنَ .

* * *

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَحْدَنِي يَحْيَى بْنُ عَبَادَ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزَّبِيرِ ، عَنْ أَبِيهِ عَبَادٍ ،
قَالَ : حَدَّنِي أَبِي الدَّىْرِ أَرْضَنِي ، وَكَانَ أَحَدُ بْنَى مَرْةَ بْنَ عَوْفٍ ، قَالَ : فَلَمَّا قُتِلَ جَعْفَرًا أَخْذَ
عَبْدَ اللَّهِ بْنَ رَوَاحَةَ الرَّاِيَةَ ثُمَّ تَقْدَمَ بِهَا وَهُوَ عَلَى فَرَسِهِ ، فَجَعَلَ يَسْتَزِلُّ نَفْسَهُ وَيَتَرَدَّدُ بِعَضَّ
الْتَّرَدُدِ وَيَقُولُ :

أَقْسَمْتُ يَانِسْنُ لَتَنْزَلَنَّ لَتَنْزَلَنَّ أَوْ لَتُكْرَهَنَّ
إِنْ أَجْلَبَ النَّاسُ وَشَدُّوا الرَّهَنَ مَالِ أَرَاكَ تَكْرَهِينَ الْجَنَّةَ !
قَدْ طَالَ مَا قَدْ كَنْتَ مُطْمَئِنَّ هَلْ أَنْتَ إِلَّا نُفْفَةَ فِي شَنَّةَ
وَقَالَ أَيْضًا :

يَانِسْنُ إِنْ لَا تُقْتَلَى تَمُوتِي هَذَا حَمَّ الْمَوْتِ قَدْ صَلَيْتِ
وَمَا تَنْتَيْتَ قَدْ أَعْطَيْتِ إِنْ تَفْعَلِ فِعْلَاهَا هُدِيتِ

بِرِيدِ صَاحِبِيهِ زِيدًا وَجَعْفَرًا ، ثُمَّ نَزَلَ . فَلَمَّا نَزَلَ أَنَّا هَبَّ ابْنُ عَمِّهِ بِعِرقِهِ مِنْ لَهْمٍ ، قَالَ :
شَدَّ بِهِذَا صُلْبِكَ فَإِنَّكَ قَدْ لَقِيْتَ فِي أَيَّامِكَ هَذِهِ مَا لَقِيْتَ . فَأَخْذَهُ مِنْ يَدِهِ فَانْتَهَشَ مِنْهُ
بَهْشَةً . ثُمَّ سَمِعَ الْحَطْمَةَ^(١) فِي نَاحِيَةِ النَّاسِ قَالَ : وَأَنْتَ فِي الدُّنْيَا ! ثُمَّ أَلْقَاهُ مِنْ يَدِهِ ثُمَّ
أَخْذَ سِيفَهُ ثُمَّ تَقْدَمَ ، فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

قَالَ : ثُمَّ أَخْذَ الرَّاِيَةَ ثَابِتَ بْنَ أَقْرَمَ أَخْوَى بْنِ الْمَجْلَانَ . قَالَ : يَا مَعْشِرَ الْلَّاسِلِينَ

(١) الْحَطْمَةُ : التَّرَالُ وَالْمَصَارِبَةُ .

اصطلحوا على رجل منكم ، قالوا : أنت . قال : ما أنا بفاعل ، فاصطلح الناس على خالد بن الوليد ، فلما أخذ الراية دافع القوم وخشى ^(١) بهم ، ثم انحاز وانحى عنهم حتى انصرف بالناس .

قال ابن إسحاق : ولما أصيب القوم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم - فيما بلغني - : « أخذ الراية زيد بن حارثة فقاتل بها حتى قتل شهيداً ، ثم أخذها جعفر فقاتل بها حتى قُتل شهيداً » قال : ثم صمت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تغيرت وجوه الأنصار وظنوا أنه قد كان في عبد الله بن رواحة بعض ما يكرهون . ثم قال : أخذها عبد الله بن رواحة فقاتل بها حتى قُتل شهيداً .

ثم قال : لقد رفعوا إلى الجنة فيما يرى النائم على سرير من ذهب ، فرأيت في سرير عبد الله بن رواحة ازورأ عن سريري صاحبيه ، قلت : عم هذا ؟ فقيل لي : مضينا وتردد عبد الله بن رواحة بعض التردد ثم مضى .
هكذا ذكر ابن إسحاق هذا منقطعًا .

وقد قال البخاري : حدثنا أحمد بن واقد ، حدثنا حماد بن زيد ، عن أيوب ، عن حميد بن هلال ، عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى زيداً وجعله رأساً وابن رواحة للناس قبل أن يأتيهم خبر ، فقال : أخذ الراية زيد فأصيب ، ثم أخذها جعفر فأصيب ، ثم أخذها ابن رواحة فأصيب ، وعيشه تذرفاً . حتى أخذ الراية سيف من سيف الله حتى فتح الله عليهم .

تفرد به البخاري . ورواه في موضع آخر وقال فيه وهو على المنبر : « وما يسرئهم أنهم عندنا » .

(١) خاشى : حجز بينهم وبين الروم .

وقال البخاري : حدثنا أحمد بن أبي بكر ، حدثنا مغيرة بن عبد الرحمن المخزومي ^(١) ، وليس بالهزامي ، عن عبد الله بن سعيد ، عن نافع ، عن عبد الله بن عمر ، قال : أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة مؤتة زيد بن حارثة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن قتل زيد فجعفر ، وإن قتل جعفر فعبد الله بن رواحة . قال عبد الله : كنت فيهم في تلك الغزوة فاتسنا جعفر بن أبي طالب فوجدناه في القتل ووجدنا في جسده بضمها وتسعين من ضربة ورمية .

تفرد به البخاري أيضاً .

وقال البخاري أيضاً : حدثنا أحمد ، حدثنا ابن وهب ، عن عمرو [عن] ابن أبي هلال [هو سعيد بن أبي هلال الليثي] ^(٢) قال : وأخبرني نافع أن ابن عمر أخبره أنه وقف على جعفر بن أبي طالب يومئذ وهو قتيل فعدّت به خمسين بين طعنة وضربة ليس منها شيء في دبره .

وهذا أيضاً من أفراد البخاري .

ووجه الجمع بين هذه الرواية والتي قبلها أن ابن عمر اطلع على هذا العدد ، وغيره اطلع على أكثر من ذلك ، أو أن هذه في قبليه أصيبيها قبل أن يقتل ، فلما صرعر إلى الأرض ضربوه أيضاً ضربات في ظهره ، فعد ابن عمر ما كان في قبليه وهو في وجوه الأعداء قبل أن يقتل رضى الله عنه .

وما يشهد لما ذكره ابن هشام من قطع يمينه وهي تمسكة اللواء ثم شملة ، مارواه البخاري : حدثنا محمد بن أبي بكر ، حدثنا عمر بن علي ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن عامر ، قال : كان ابن عمر إذا حي ابن جعفر قال : السلام عليك يا ابن ذي الجناحين .

(١) وليس للمخزومي في البخاري سوى هذا الحديث ، وهو بطريق المتابعة عنده . وكان فقيه أهل

المدينة بعد مالك . إرشاد الساري ٣٨٣ / ٦ .

ورواه أيضاً في الناقد ، والنمسائي من حديث يزيد بن هرون ، عن إسماعيل بن أبي خالد .

وقال البخاري : حدثنا أبو نعيم ، حدثنا سفيان ، عن إسماعيل ، عن قيس بن أبي حازم ، قال : سمعت خالد بن الوليد يقول : لقد دُقَّ في يدي يوم مُؤْتة تسعه أسياف ، فما بقي في يدي إلا صفيحة يمانية .

ثم رواه عن محمد بن الشنف ، عن يحيى عن إسماعيل ، حدثني قيس ، سمعت خالد ابن الوليد يقول : لقد دُقَّ في يدي يوم مُؤْتة تسعه أسياف وصبرت في يدي صفيحة يمانية .

انفرد به البخاري .

* * *

وقال الحافظ أبو بكر البهقي : حدثنا أبو نصر بن قتادة ، حدثنا أبو عمرو مطر ، حدثنا أبو خليفة الفضل بن الحباب الجمحي ، حدثنا^(١) سليمان بن حرب ، حدثنا الأسود ابن شيبان ، عن خالد بن سمير ، قال : قدم علينا عبد الله بن رباح الأنصاري ، وكانت الأنصار تُفْقِهُهُ ، فعشيه الناس فعشيه فيمن غشيه ، فقال : حدثنا أبو قتادة فارس رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم جيشاً الأمراء وقال : عليكم زيد بن جارثة . فإن^(٢) أصيب زيد فجعفر ، فإن أصيب جعفر فعبد الله ابن رواحة ، قال : فوثب جعفر وقال : يا رسول الله ما كفت أرْغَبَ أن تستعمل زيداً^(٣) على . قال : امضِ فإنك لا تدرى أى ذلك خير .

فانطلقو افلبشو ما شاء الله ، فتصعد رسول الله صلى الله عليه وسلم المنبر فأمر فنودي :

(١) أَبْنَائًا .

(٢) غير أَ : وقال إن .

(٣) أَن يستعمل زيد .

الصلوة جامدة . فاجتمع الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « أخبركم عن جيشكم هذا ، إنهم انطلقوا فلقو العدو فقتل زيد شهيداً . فاستغفر له ، ثم أخذ اللواء جعفر فشدّ على القوم حتى قُتل شهيداً ، شهد له بالشهادة واستغفر له ، ثم أخذ اللواء عبد الله بن رواحة فأثبت قدميه حتى قُتل شهيداً فاستغفر له ، ثم أخذ اللواء خالد بن الوليد ولم يكن من الأمراء هو أمير نفسه^(١) . ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اللهم إله سيف من سيوفك أنت^(٢) تنصره » فمن يومئذ سمي خالد سيف الله . ورواه النسائي من حديث عبد الله بن المبارك ، عن الأسود بن شيبان به نحوه ، وفيه زيادة حسنة وهو أنه عليه السلام لما اجتمع إليه الناس قال : باب خير باب خير . وذكر الحديث .

وقال الواقدي : حدثني عبد الجبار بن عمارة بن غزية ، عن عبد الله بن أبي بكر ، عن عمرو بن حزم ، قال : لما التقى الناس بمؤتة جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر وكشف الله له ما بينه وبين الشام فهو ينظر إلى معتزلتهم ، فقال : أخذ الراية زيد ابن حارثة فجاءه الشيطان خبب إليه الحياة وكره إلى الموت ، وحجب إليه الدنيا ، فقال : الآن حين استحكم الإيمان في قلوب المؤمنين تحبب إلى الدنيا ! فمضى قدما حتى استشهد فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : استغفروا له ، فقد دخل الجنة وهو شهيد .

قال الواقدي : وحدثني محمد بن صالح ، عن عاصم بن عمر بن قعادة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لما قُتل زيد أخذ الراية جعفر بن أبي طالب ، فجاءه الشيطان فحجب إليه الحياة وكره إليه الموت ومنأه الدنيا ، فقال : الآن حين استحكم الإيمان في قلوب المؤمنين يمني الدنيا ! ثم مضى قدما حتى استشهد ، فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه

(١) : فافت .

(٢) : أمير نفسه .

وسلم . وقال : استغفرو الأئمَّةَ فإنه شهيدُ دخُلِ الجنةِ ، وهو يطيرُ في الجنةِ بمحاجينِ من ياقوتِ حيث شاءَ من الجنةِ .

قال : ثُمَّ أخذ الرأيَةَ عبدُ اللهِ بن رواحةَ فاستشهدَ ، ثُمَّ دخلَ الجنةَ مُغترضاً فشقَّ ذلكَ على الأنصارِ ، فقيلَ: يا رسولَ اللهِ ما اعْتَرَضْتُهُ؟ قالَ: لِمَا أصَابَهُ الجراحُ نَكَلَ ، فعاتَبَ نفْسَهُ فتشَجَّعَ واستشَهَدَ ودخلَ الجنةَ .
فسرِّي عن قومِهِ .

* * *

قال الواقدي : وحدثني عبد الله بن الحارث بن الفضيل ، عن أبيه قال : لما أخذ خالد بن الوليد الرأيَةَ قال رسولُ الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : الآنَ حَمِيَ الوطيسُ .

قال الواقدي : فحدثني العطاف بن خالد ، قال : لما قتل ابن رواحة مساءً بات خالد ابن الوليد فلما أصبحَ غداً وقد جعلَ مُقدَّمةَ ساقَتهِ مقدمةً وساقَتهِ مقدمةً وميمنته ميسرةً وميسنَته ميسنةً . قال : فأنسَكروا ما كانوا يعرفونَ من راياتِهم وهتئهم وقالوا : قد جاءَهم مددٌ ، فرُعبُوا وانكشَفُوا منزَمينَ ، قال : فقتلُوا مقتلةً لم يُقتلُها قومٌ .

وهذا يوافق ما ذكره موسى بن عقبة رحمة الله في مغازيه ، فإنه قال ، بعد عمرة الحديبية : ثُمَّ صدرَ ^(١) رسولُ الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْمَدِينَةِ فَكَثُرَ بَهَا سَتَةُ أَشْهُرٍ ، ثُمَّ إِنَّهُ بَعْثَرَ جِيشًا إِلَى مَؤْتَهُ وَأَمْرَ عَلَيْهِمْ زِيدَ بْنَ حَارِثَةَ وَقَالَ : إِنَّ أَصِيبَ فَجَعْفَرَ بْنَ أَبِي طَالِبٍ أَمِيرَهُمْ ، إِنَّ أَصِيبَ جَعْفَرَ فَعَبْدَ اللهِ بْنَ رَوَاحَةَ أَمِيرَهُمْ ، فَانطَّلَقُوا حَتَّى إِذَا لَقَوْا ابْنَ أَبِي سِيرَةَ الْفَسَانِيَّ بِمَؤْتَهُ وَبَهَا جَمْعَ ^(٢) مِنْ نَصَارَى الْعَرَبِ وَالرُّومِ ، بَهَا تَنُوخُ وَبَهَرَاءُ ، فَأَعْلَقَ ابْنَ أَبِي سِيرَةَ دُونَ الْمُسْلِمِينَ الْحَصْنَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ، ثُمَّ التَّقَوْا ^(٣) عَلَى

(١) ثُمَّ صَدَ .

(٢) أَصِيبَ .

(٣) ثُمَّ خَرَجُوا فَالْتَّقَوْا .

زرع^(١) أحر فاقتلوه قتالاً شديداً ، فأخذ اللواء زيد بن حارثة قُتِلَ ، ثم أخذه جعفر
قُتِلَ ، ثم أخذه عبد الله بن رواحة قُتِلَ ، ثم اصطلح المسلمون بعدَ أمراء رسول الله
صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على خالد بن الوليد المخزومي فهزم الله العدو وأظهر المسلمين .
قال : وبعثهم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في جمادى الأولى - يعني من
سنة ثمان - .

قال موسى بن عقبة : وزعموا أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : مرّ على
جعفر في الملائكة يطير كا يطيرون وله جناحان .

قال : وزعموا - والله أعلم - أن يَعْلَى بن أمية قدم على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ بخبر أهل مؤنة ، فقال له رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إن شئت فأخبرني وإن شئت
أخبرك . قال : أخبرني يا رسول الله . قال : فأخبرَهُمْ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خبرَهُمْ
كله ووصفه لهم ، فقال : والذى بعثك بالحق ما تركت من حديثهم حرفاً لم تذكره ، وإن
أمرهم لـ كما ذكرت . فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إن الله رفع لى الأرض
حتى رأيت معتركم » .

في هذا السياق فيه فوائد كثيرة ليست عند ابن إسحاق ، وفيه مخالفة لما ذكره ابن
إسحاق من أن خالدا إنما حاشى بالقوم حتى تخلصوا من الروم وعرب النصارى فقط .
وموسى بن عقبة والواقدى مصر حان بأنهم هَزَمُوا جموع^(٢) الروم والعرب *إلا* بن
معهم ، وهو ظاهر الحديث المتقدم عن أنس مرفوعاً : « ثم أخذ الراية سيف من سيف
الله ففتح الله على يديه » .

رواه البخارى ، وهذا هو الذى رجحه ومال إليه الحافظ البهقى بعد حكاية
القولين ، لما ذكرناه من الحديث .

(١) ردع . وهو الزعفران .

(٢) ١ : جميع .

[قلت : ويمكن الجمع بين قول ابن إسحاق وبين قول الباقيين ، وهو أن خالداً لما أخذ الراية حاشي بالقوم المسلمين حتى خلّصهم من أيدي الكافرين من الروم والمستعربة . فلما أصبح وحول الجيش ميمنتهَ وميسرةً ومقدمةً وساقَةً ، كاذَّ كره الواقدي توهُّم الرومُ أن ذلك عن مدد جاء إلى المسلمين ، فلما حمل عليهم خالد هزموهم بإذن الله والله أعلم^(١) .

* * *

وقد قال^(٢) ابن إسحاق : حدثني محمد بن جعفر ، عن عروة قال : لما أقبل أصحاب مؤة تلقاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون معه [قال : ولقيهم الصبيان يشتدون ورسول الله صلى الله عليه وسلم مُقبل مع القوم على دابة ، فقال : خذوا الصبيان فاحلهم وأعطوني ابنَ جعفر . فأتى عبد الله فأخذته فحمله بين يديه^(٣)] فعملوا يختنون عليهم التراب ويقولون : يا فرّار فررت في سبيل الله . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ليسوا بالفُرّار ولكنهم الكُفّار إن شاء الله عز وجل » .

وهذا مرسل من هذا الوجه وفيه غرابة .

[وعندى أن ابن إسحاق قد وهم في هذا السياق فظن أن هذا الجھور الجيش ، وإنما كان الذين فروا حين التقى الجماع ، وأما بقيتهم فلم يفروا بل نصروا ، كما أخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين وهو على المنبر في قوله : ثم أخذ الراية سيف من سيف الله ففتح الله على يديه ، فما كان المسلمين ليسموهم فراراً بعد ذلك ، وإنما تلقوهم إكراماً وإعظاماً ، وإنما كان التأنيب وحْنَ التراب للذين فروا وتركوهم هنالك ، وقد كان فيهم عبد الله بن عمر رضي الله عنهما^(٤) .

[وقد^(٥)] قال الإمام أحمد : حدثنا حسن ، حدثنا زهير ، حدثنا يزيد بن أبي زياد ،

(١) سقطت من ا .

(٢) ا : لكن قال .

(٣) من ابن هشام .

(٤) من ا .

(٥) سقطت من ا .

عن عبد الرحمن بن أبي ليلٍ ، عن عبد الله بن عمر ، قال : كُنْتَ فِي سَرِيَّةٍ مِّنْ سَرَايَا رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَاصَ النَّاسُ حِيْصَةً وَكُنْتَ فِيمَنْ حَاصَّ ، فَقُلْنَا : كَيْفَ نَصْنَعُ وَقَدْ قَرَنَا مِنَ الرَّحْمَةِ وَبُوْنًا بِالْغَضْبِ ؟ ثُمَّ قُلْنَا : لَوْ دَخَلْنَا الْمَدِينَةَ قُتْلَنَا ، ثُمَّ قُلْنَا : لَوْ عَرَضْنَا أَنفُسَنَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِنَّ كَانَتْ لَنَا تُوبَةٌ إِلَّا ذَهَبَنَا . فَأَتَيْنَاهُ قَبْلَ صَلَاتِ الْفَدَاءِ ، فَنَفَرَ قَالٌ : مَنِ الْقَوْمُ ؟ قَالٌ : قُلْنَا : نَحْنُ الْفَرَّارُونَ^(١) . قَالٌ : لَابْلِ أَنْتُمُ الْمَكَارُونَ^(٢) أَنَا فَتَّكُمْ وَأَنَا فَتَّهُ الْمُسْلِمِينَ » . قَالٌ : فَأَتَيْنَاهُ حَتَّى قَبَلَنَا يَدَهُ .

ثُمَّ رَوَاهُ عَنْ غُنْدَرٍ عَنْ شَعْبَةَ ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي زِيَادٍ ، عَنْ أَبِي لَيْلٍ عَنْ أَبِي عَمْرٍ ، قَالٌ : كَنَا فِي سَرِيَّةٍ فَفَرَرْنَا فَأَرْدَنَا أَنْ نُرَكِّبَ الْبَحْرَ . فَأَتَيْنَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُلْنَا : يَا رَسُولَ اللَّهِ نَحْنُ الْفَرَّارُونَ . قَالٌ : لَابْلِ أَنْتُمُ الْمَكَارُونَ .

وَرَوَاهُ [أَبُودَاوِدٍ^(٣) وَ[الترمذى] وَابْنِ مَاجَهٍ مِّنْ حَدِيثِ يَزِيدَ بْنِ أَبِي زِيَادٍ ، وَقَالَ الترمذى : حَسْنٌ لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ حَدِيثِهِ .

وَقَالَ أَحْمَدٌ^(٤) : حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ عِيسَى وَأَسْوَدُ بْنُ عَامِرٍ ، قَالَا : حَدَّثَنَا شَرِيكٌ ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي زِيَادٍ ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلٍ ، عَنْ أَبِي عَمْرٍ قَالٌ : بَعْثَنَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَرِيَّةٍ ، فَلَمَّا لَقَيْنَا الْعَدُوَّ أَنْهَزَ مِنْنَا فِي أُولَى غَادِيرَةَ ، فَقَدِّمَنَا الْمَدِينَةَ فِي نَفْرٍ لِيَلَّا ، فَاخْتَفَيْنَا ثُمَّ قُلْنَا : لَوْ خَرَجْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاعْتَذَرْنَا إِلَيْهِ . فَنَفَرْجَنَا إِلَيْهِ فَلَمَّا لَقَيْنَاهُ^(٥) قُلْنَا : نَحْنُ الْفَرَّارُونَ يَا رَسُولَ اللَّهِ . قَالٌ : « بَلْ أَنْتُمُ الْمَكَارُونَ وَأَنَا فَتَّكُمْ » قَالَ الْأَسْوَدُ : « وَأَنَا فَتَّهُ كُلُّ مُسْلِمٍ^(٦) » .

قَالَ ابْنِ إِسْحَاقَ : حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ بْنِ عَمْرُو بْنِ حَزْمٍ ، عَنْ عَامِرِ بْنِ

(١) غَيْرًا : فَرَارُونَ . (٢) غَيْرًا : الْمَكَارُونَ . (٣) مِنْ .

(٤) أَنْمَ مَقْالَ أَحْمَدَ .

(٥) الْمَطْبُوعَةُ : ثُمَّ التَّقْيَنَاهُ . وَهُوَ تَحْرِيفٌ . (٦) أَلْكُلَ مُسْلِمٍ .

عبد الله بن الزبير ، أن أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت لامرأة سلمة بن هشام بن المغيرة : مالي لأأرى سلمة يحضر الصلاة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومع المسلمين ؟

قالت : ما يستطيع أن يخرج ، كلاما خرج صاحبه الناس : يا فارس فررت في سبيل الله حتى قعد في بيته ما يخرج وكان في غزوة مؤتة .

قلت : لعل طائفة منهم فروا لما عينوا كثرة جموع [الروم ، وكانوا على أكثر من ألف الأضعاف فإنهم كانوا ثلاثة آلاف وكان]^(١) العدو على ما ذكروه مائتي ألف ، ومثل هذا يسوع الفرار على ما قد تقرر ، فلما فر هؤلاء ثبت باقيهم وفتح الله عليهم وخلصوا من أيدي أولئك وقتلوا منهم مقتلة عظيمة ، كما ذكره الواقدي وموسى بن عقبة من قبله .

و [مما]^(٢) يؤيد ذلك أيضاً ويزيده قوةً ويشهد له^(٣) بالصحة ما رواه الإمام أحمد : حدثنا الوليد بن مسلم ، حدثني صفوان بن عمرو ، عن عبد الرحمن بن جعفر بن نمير ، عن أبيه ، عن عوف بن مالك الأشجع قال : خرجت مع من خرج مع زيد بن حارثة من المسلمين في غزوة مؤتة ، ووافقني مددى^(٤) من اليمن ليس معه غير سيفه ، فنحر رجل من المسلمين جزوراً فسألته المددى طبقة من جلدته فأعطاه إياه فاتخذه كثيصة الدّرقة ، ومضينا فلقينا جموع الروم وفيهم رجل على فرس له أشقر عليه سرج مذهب وسلاح مذهب ، فجعل الروم يُفْرِي بال المسلمين ، وقد له المددى خلف صخرة ، فر به الروم فعرقبَ فرسه^(٥) فخرّ وعلاه فقتله ، وحاز فرسه وسلاحه ، فلما فتح الله للمسلمين بعث

(١) سقطت من المطبوعة .

(٢) غير ١ : ويؤيد ذلك وبشا كلها بالصحة .

(٣) الأصل : مدوى وهو تحريف . والمددى : يعني رجالاً من المدد الذين جاءوا بعدون المسلمين .

(٤) غير ١ : فعرقبه .

إِلَيْهِ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ فَأَخْذَ مِنِ السَّلَبِ ، قَالَ عُوفٌ : فَأَتَيْتَهُ فَقَالَ : يَا خَالِدُ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُضِيَ بِالسَّلَبِ لِلْقَاتِلِ ؟ قَالَ : بَلِّي وَلَكِنِي اسْتَكْثَرْتُهُ . فَقَالَ :

لَتَرْدَنَّ إِلَيْهِ أَوْ لَأُعْرِفَ كَمَا عَنِّي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — فَأَبَيَ أَنْ يَرَدَّ عَلَيْهِ .

قَالَ عُوفٌ : فَاجْتَمَعْتُ مَعَنِي عَنِّي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَصَصْتُ عَلَيْهِ قَصَّةَ الْمَدِيَّ

وَمَا فَعَلَ خَالِدٌ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « يَا خَالِدُ رُدَّ عَلَيْهِ مَا أَخْذَتَ مِنْهُ »

قَالَ عُوفٌ : فَقَالَتْ دُونَكَ يَا خَالِدُ أَلَمْ أَفِ لَكَ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

وَمَا ذَاكَ ؟ فَأَخْبَرَتْهُ ، فَقَضَبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ : « يَا خَالِدُ لَا تَرْدَنَّ عَلَيْهِ ،

هَلْ أَنْتَ تَارِكًا أَمْرَأَيْ ؟ لَكُمْ صَفْوَةُ أَمْرَهُمْ وَعَلَيْهِمْ كَدْرَهُ » .

قَالَ الْوَلِيدُ : سَأَلْتُ ثُورَانًا عَنْ هَذَا الْحَدِيثَ ، فَخَدَنِي عَنْ خَالِدِ بْنِ مَعْدَانَ ، عَنْ جَيْرَ

ابْنِ نَفِيرٍ ، عَنْ عُوفٍ بَنْ حَوْهَ .

وَرَوَاهُ مُسْلِمٌ وَأَبُو دَاوُدٍ مِنْ حَدِيثِ جَيْرَ بْنِ نَفِيرٍ عَنْ عُوفٍ بْنِ مَالِكٍ بِهِ نَحْوُهُ .

وَهَذَا يَقْتَضِي أَنَّهُمْ غَنَمُوا مِنْهُمْ وَسَلَبُوا مِنْ أَشْرَافِهِمْ وَقُتِلُوا مِنْ أَمْرِهِمْ .

وَقَدْ تَقْدَمَ فِيهَا رَوَاهُ الْبَخَارِيُّ أَنَّ خَالِدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : انْدَقَّتْ فِي يَدِي يَوْمَ مُؤْتَةٍ

ثَسْعَةُ أَسِيَافٍ ، وَمَا ثَبَّتَ فِي يَدِي إِلَّا صَفِيحةً يَمَانِيَّةً .

وَهَذَا يَقْتَضِي أَنَّهُمْ أَنْخَنُوا فِيهِمْ قِتَلًا ، وَلَوْلَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ لَمْ أَقْدِرُوا عَلَى التَّخْلُصِ

مِنْهُمْ . وَهَذَا وَحْدَهُ دَلِيلُ مُسْتَقْلِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ . وَهَذَا هُوَ اخْتِيَارُ مُوسَى بْنِ عَقْبَةَ وَالْوَاقِدِيِّ

وَالْبَيْهَقِيِّ ، وَحَكَاهُ ابْنُ هَشَامٍ عَنْ الزَّهْرَىِ .

قَالَ الْبَيْهَقِيُّ رَحْمَهُ اللَّهُ : اخْتَلَفَ أَهْلُ الْمَفَازِيِّ فِي فَرَارِهِمْ وَأَخْيَارِهِمْ ، فَنَهَمُ مِنْ ذَهَبٍ

إِلَى ذَلِكَ وَمِنْهُمْ مَنْ زَعَمَ أَنَّ الْمُسْلِمِينَ ظَهَرُوا عَلَى الْمُشْرِكِينَ وَأَنَّ الْمُشْرِكِينَ انْهَزَمُوا .

قَالَ : وَحْدِيَّتُ أَنْسَ بْنِ مَالِكٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « ثُمَّ أَخْذَهَا خَالِدٌ فَقَطَّعَ

اللَّهُ عَلَيْهِ » يَدَلُ عَلَى ظَهُورِهِمْ عَلَيْهِمْ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

قلت : وقد ذكر ابن إسحاق أن قطبة بن قتادة العذري - وكان رأس مئينة المسلمين -
حمل على مالك بن زافلة قال ابن هشام ^(١) : ويقال رافلة . وهو أمير أعراب النصارى فقتلها ،
وقال يفتخر بذلك :

طعنتُ ابنَ زافلَةَ بنَ الأَرَاشَ بِرَمْحٍ مَضَى فِيهِ ثُمَّ انْهَطَمَ
ضَرَبَتُ عَلَى جَيْدَهُ ضَرَبَةً فَالَّتِي كَمَالَ غُصْنُ السَّلْمَ
وَسُقْنَا نِسَاءَ بْنِ عَمٍّ غَدَاءَ رَقْوَقِينَ سَوْقَ النَّعْمَ ^(٢)

وهذا يؤيد ما نحن فيه ، لأن من عادة أمير الجيش إذا قُتل أن يفر أصحابه ، ثم إنه
صرّح في شعره بأنهم سبوا من نسائهم ، وهذا واضح فيما ذكرناه . والله أعلم .

وأما ابن إسحاق فإنه ذهب إلى أنه لم يكن إلا الخاشة والتخلص من أيدي الروم ،
وسمى هذا نصراً وفتحاً ، أى باعتبار ما كانوا فيه من إحاطة العدو بهم وترافقهم
وتقاربهم وتكلفهم عليهم ، وكان مقتضى العادة ^(٣) أن يُضطلموا ^(٤) بالكلية ، فلما
تخلصوا منهم وانحازوا عنهم كان هذا غاية المرام في هذا المقام .

وهذا محتمل ، لكنه خلاف الظاهر من قوله عليه الصلاة والسلام : « ففتح
الله عليهم » .

والمقصود أن ابن إسحاق يستدل على ما ذهب إليه فقال : وقد قال فيما كان أمر
الناس وأمر خالد بن الوليد ومخاشهاته بالناس وانصرافه بهم قيس بن الحسراليعمرى يعتذر
ما صنع يومئذ وصنع الناس يقول :

فوالله لا تنفك نفسى تلومنى على موقفى والخيل قابعة قبل ^(٥)

(١) من .

(٢) رقوتين : موضع .

(٣) غيرا : فكان مقتضى العادات . (٤) المطبوعة : يضطلموا . وهو تحريف .

(٥) قابعة : منقبضة . وقبل جم أقبل وبلاه وهو الذي يميل عينه في النظر إلى جهة العين الأخرى .

وقتٌ بها لا مُستَحِيزًا فنافذًا
ولامانعًا من كان حُمًّا له القتل^(١)

على أنني آسيت نفسي بخالدٍ
ألا خالدٌ في القوم ليس له مثلٌ

بمؤنة إذا لا ينفع النابل التَّبْلُ
وجاشت إلى النفس من نحو جعفرٍ

وضمَّ إلينا حَجْزَ تَيْهُمْ كَلَيْهِمَا
مُهاجرة لا مشركون ولا عُزْلُ

قال ابن إسحاق : فبَيْنَ قيس ما اختلف فيه الناس من ذلك في شعره ، أن القوم
هاجزوا وكرهوا الموت ، وحققوا أحياؤَ خالد بمن معه .

قال ابن هشام : وأما الزهرى فقال - فيما بلغنا عنه - : أمر المسلمين عليهم خالد
ابن الوليد ففتح الله عليهم ، وكان عليهم حتى رجع إلى المدينة^(٢) .

فصل

قال ابن إسحاق : حدثني عبد الله بن أبي بكر ، عن أم عيسى الخزاعية ؛ عن
أم جعفر بنت محمد بن جعفر بن أبي طالب ، عن جدتها أسماء بنت عميس قالت : لما
أصيبَ جعفر وأصحابه دخل علىَ رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد دبتُ أربعين مَنَّا^(٣)
وبحفت عجيفي وغسلتَ بَنَى ودهنتم ونظفتم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
«أئنني بِيَنِي جعفر» فأتيته بهم فشمُّهم وذرفت عيناه قلت : يا رسول الله بأبي أنت
وأمي ! مายكِيك ؟ أبلغك عن جعفر وأصحابه شيء ؟ قال : «نعم أصيّبوا هذا اليوم»
قالت : فقمت أصيح ، واجتمع إلى النساء ، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى
أهلـه فقال : «لا تَنْفَلوا عن آل جعفر أن تصنعوا لهم طعـاماً فإنهم قد شُغلوا
بأمر صاحبـهم» .

(١) مستحِيزاً : متخيزاً إلى طائفة . (٢) ابن هشام : حتى قفل إلى النبي .

(٣) المَنَّا : الرطل الذي يوزن به ، تغى أربعين رطلاً من دجاج .

وَكَذَا رواه الإمام أَحْمَدُ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ إِسْحَاقَ، وَرَوَاهُ ابْنُ إِسْحَاقَ مِنْ طَرِيقِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ، عَنْ أُمِّ عَيْسَىٰ، عَنْ أُمِّ عُوْنَ بْنَ مُحَمَّدٍ بْنَ جَعْفَرٍ، عَنْ أَسْمَاءَ، فَذَكَرَ الْأَمْرَ بِعَمَلِ الطَّعَامِ، وَالصَّوَابُ أَنَّهَا أُمُّ جَعْفَرٍ وَأُمُّ عُوْنَ.

وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ : حَدَثَنَا سَفيَانُ ، حَدَثَنَا جَعْفَرُ بْنُ خَالِدٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ ، قَالَ : لَمَّا جَاءَهُ نَعْيُ جَعْفَرٍ حِينَ قُتِلَ قَالَ الْبَشِّرُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « اصْنُعوا لَآلِ جَعْفَرٍ طَعَاماً فَقَدْ أَتَاهُمْ أَمْرٌ يُشَغِّلُهُمْ ، أَوْ أَتَاهُمْ مَا يُشَغِّلُهُمْ » .

وَكَذَا رَوَاهُ أَبُو دَاوُدُ وَالترْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَةَ مِنْ حَدِيثِ سَفيَانِ بْنِ عَيْنَةَ ، عَنْ جَعْفَرِ ابْنِ خَالِدٍ بْنِ سَارَةَ الْخَزْوَى الْمَكِّيِّ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ . وَقَالَ التَّرمِذِيُّ : حَسْنٌ .

ثُمَّ قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ : حَدَثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ القَاسِمِ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَتْ : لَمَّا أُتَى نَعْيُ جَعْفَرٍ عَرْفَاتِي وَجْهَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْحَزَنَ .

قَالَتْ : فَدَخَلَ عَلَيْهِ رَجُلٌ قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ [إِنَّ النَّسَاءَ] عَنِّيَّنَا وَفَتَنَّا ، قَالَ : « ارْجِعْ إِلَيْنَاهُنَّ فَأَسْكِنْهُنَّ » .

قَالَتْ : فَذَهَبَ ثُمَّ رَجَعَ قَالَ لَهُ مَثَلُ ذَلِكَ ، قَالَتْ : وَرَبِّا ضَرَّ التَّكَلُّفَ - يَعْنِي أَهْلَهَ - قَالَتْ : قَالَ : « فَذَهَبَ فَأَسْكَنْتَهُنَّ فَإِنْ أُتَيْنَ فَاحْثُ فِي أَفْوَاهِهِنَّ التَّرَابَ » قَالَتْ : [وَقَلْتُ] فِي نَفْسِي : أَبْعَدْكَ اللَّهُ ! فَوَاللَّهِ مَا تَرَكْتَ نَفْسَكَ وَمَا أَنْتَ بِمُطْبِعٍ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . قَالَتْ : وَعَرَفْتُ أَنَّهُ لَا يَقْدِرُ يَحْنَى فِي أَفْوَاهِهِنَّ التَّرَابَ . انْفَرَدَ بِهِ ابْنُ إِسْحَاقَ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ ؛ وَلِيُسْ فِي شَيْءٍ مِنَ السَّكْبَ .

وَقَالَ الْبَخَارِيُّ : حَدَثَنَا قَتِيبَةُ ، حَدَثَنَا عَبْدُ الْوَهَابِ ، سَمِعْتُ يَحْيَى بْنَ سَعِيدٍ قَالَ : أَخْبَرْتَنِي عَمْرَةَ قَالَتْ : سَمِعْتُ عَائِشَةَ تَقُولُ : لَمَّا قُتِلَ زَيْدُ بْنُ حَارَثَةَ وَجَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَعَبْدَ اللَّهِ

ابن رواحة جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم يُعرف في وجهه الحزن ، قالت عائشة :
وأنا أطلع من صَارِبَ الباب - شق^(١) - فأتاه رجل فقال : أى رسول الله ، إن نساء جعفر ،
وذكر بكاهن ، فأمره أن ينهاهن قالت : فذهب الرجل ثم أتى فقال : والله لقد
غلبنيا ، فزعمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « فاحث في أفواهن
من التراب » .

قالت عائشة رضي الله عنها : قلت : أرغم الله أنفك ! فوالله ما أنت تفعل ذلك
وما تركت رسول الله صلى الله عليه وسلم من العباء .
وهكذا رواه مسلم وأبو داود والنسائي من طرق ، عن يحيى بن سعيد الأنصاري عن
عمره عنها .

وقال الإمام أحمد : حدثنا وهب بن جرير ، حدثنا أبي ، سمعت محمد بن أبي يعقوب
يحدث عن الحسن بن سعد ، عن عبد الله بن حارثة ، وعمر بن جعفر قال : بعث رسول الله صلى الله عليه
وسلم جيشاً استعمل عليهم زيداً بن حارثة ، وقال : « إن قُتل زيد أو استشهد فاميركم
جعفر ، فإن قُتل أو استشهد فاميركم عبد الله بن رواحة » فلقو العدو فأخذوا الراية
زيداً فقاتل حتى قُتل ، ثم أخذ الراية خالد بن الوليد ففتح الله عليه . وأنى خبرهم
رواحة فقاتل حتى قُتل ، ثم أخذ الراية خالد بن الوليد ففتح الله عليه . وأنى خبرانكم
النبي صلى الله عليه وسلم خرج إلى الناس فحمد الله وأثنى عليه وقال : « إن إخوانكم
لقوا العدو ، وإن زيداً أخذ الراية فقاتل حتى قُتل أو استشهد ، ثم أخذ الراية بعده
جعفر بن أبي طالب فقاتل حتى قُتل أو استشهد ، ثم أخذ الراية عبد الله بن رواحة
قاتل حتى قُتل أو استشهد ، ثم أخذ الراية سيف من سيف الله خالد بن الوليد
فتح الله عليه » قال : ثم أمهل آل جعفر ثلاثة أيام بآتينهم ، ثم أتاهم فقال : « لا تبكوا
على أخي بعد اليوم ، ادعوا إلى بنى أخي » قال : فجئ بنا كأننا أفرخ ، فقال « ادعوا

(١) البخاري : تعنى من شق الباب .

لِي الْحَلَاقِ » فِي بَالْحَلَاقِ خُلُقَ رَوْسَنَا ، ثُمَّ قَالَ : « أَمَا مُحَمَّدٌ فَشَبِيهُ عَمَّا أَبَى طَالِبٌ ، وَأَمَا عَبْدُ اللَّهِ فَشَبِيهُ خَلْقٍ وَخَلْقٍ » ثُمَّ أَخْذَ بِيَدِي فَأَشَاهَاهَا^(١) وَقَالَ : « اللَّهُمَّ اخْلُفْ جَعْفَراً فِي أَهْلِهِ ، وَبَارِكْ لِعَبْدِ اللَّهِ فِي صَفَقَةِ يَمِينِهِ » قَالَهَا ثَلَاثَ مَرَاتٍ . قَالَ : فَجَاءَتْ أَمْنَانًا فَذَكَرَتْ لَهُ يُتْمَنَا وَجَعَلَتْ تُفْرَحَ^(٢) لَهُ فَقَالَ : « الْعِيلَةَ تَخَافِنُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا وَلَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ؟ » . وَرَوَاهُ أَبُو دَاودَ بِعِصْمَةٍ ، وَالنَّسَائِيُّ فِي السِّيرِ بِتَامَهِ مِنْ حَدِيثِ وَهْبِ بْنِ جَرِيرٍ بِهِ .

وَهَذَا يَقْضِي أَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَرْخَصَ لَهُ فِي الْبَكَاءِ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ ثُمَّ نَهَى مَعْنَاهُ بَعْدِهَا . وَلَعْلَهُ مَعْنَى الْحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ مِنْ حَدِيثِ الْحَكَمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَبْنَ شَدَادٍ ، عَنْ أَسْمَاءِ أُنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَهُ لَمَّا أُصِيبَ جَعْفَرَ : « تَسْلَبَ ثَلَاثَةً ثُمَّ أَصْنَعَ مَا شَاءَتْ » . تَفَرَّدَ بِهِ أَحْمَدُ .

فَيَحْتَمِلُ أَنَّهُ أَذْنَ لَهَا فِي التَّسْلُبِ ، وَهُوَ الْمُبَالَغَةُ فِي الْبَكَاءِ وَشَقِّ الشِّيَابِ ، وَيَكُونُ هَذَا مِنْ بَابِ التَّخْصِيصِ لَهَا بِهَذَا لَشْدَةِ حَزْنِهَا عَلَى جَعْفَرِ أَبِي أُولَادِهَا ، وَقَدْ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ أَمْرًا لَهَا بِالْتَّسْلُبِ وَهُوَ الْمُبَالَغَةُ فِي الإِحْدَادِ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ ، ثُمَّ تُصْنَعُ بَعْدَ ذَلِكَ مَا شَاءَتْ مَا يَفْعَلُهُ الْمَعْتَدَاتُ عَلَى أَزْوَاجِهِنَّ مِنَ الإِحْدَادِ الْمُعْتَادِ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ . وَيَرَوِيُّ : تَسْلَيْ ثَلَاثَةً – أَيْ أَصْبَرَى – وَهَذَا بِخَلْفِ الرَّوَايَةِ الْأُخْرَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

فَأَمَّا الْحَدِيثُ الَّذِي قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ : حَدَثَنَا يَزِيدٌ ، حَدَثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ طَالِحةَ ، حَدَثَنَا الْحَكَمُ بْنُ عَيْنَةَ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَدَادٍ عَنْ أَسْمَاءِ بْنَتِ عَمِيسٍ ، قَالَتْ : دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْيَوْمَ الْثَالِثَ مِنْ قَتْلِ جَعْفَرٍ فَقَالَ : لَا تُحَدِّي بَعْدَ يَوْمِكَ هَذَا . فَإِنَّهُ مِنْ أَفْرَادِ أَحْمَدَ أَيْضًا وَإِسْنَادُهُ لَا بَأْسَ بِهِ ، وَلَكِنَّهُ مُشْكُلٌ إِنْ مُحْلَّ عَلَى ظَاهِرِهِ ، لَأَنَّهُ قَدْ ثَبَّتْ فِي الصَّحِيحَيْنِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « لَا يَحْلُّ لَامْرَأَ تَؤْمِنُ بِاللَّهِ

(٢) تُفْرَحَ لَهُ : تَحْزِنُهُ .

(١) شَاهَاهَا : زَرْفَهَا .

والليوم الآخر أن تُحْدَدْ على ميتهَا أكثَرَ من ثلاثة أيام ، إِلَّا عَلَى زَوْجٍ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشَرَ » .

فإن كان مارواه الإمام أحمد محفوظاً - كون مخصوصة بذلك ، أو هو أمر بالبالغة
في الإحداد هذه الثلاثة أيام كاتقدم . والله أعلم .

قلت : ورثت أسماء بنت عميس زوجها بقصيدة تقول فيها :

فَالْيَتُّ لَا تَنْفَكُ نَفْسِي حَزِينَةً عَلَيْكَ وَلَا يَنْفَكُ جَلْدِي أَغْبَرَا

فَلَمَّا عَيْنَا مِنْ رَأْيِ مُثَلَّهٍ فَتَ أَكْرَ وَأَنْجَى فِي الْمَيَاجِ وَأَصْبَرَا

ثم لم تنشب أن انقضت عدتها ، فخطبها أبو بكر الصديق رضي الله عنه فنزلوها

فأولم وجاء الناس الوليمة ، فكان فيهم علي بن أبي طالب ، فلما ذهب الناس استأذن على

أبا بكر رضي الله عنهما في أن يكلم أسماء من وراء الستر فأذن له ، فلما اقترب من الستر

نفحَه ريمٌ طيبها ف قال لها علىٰ : - على وجه البَسْط - مَن القائلة في شعرها :

فَآلِيْتُ لَا تَنْفَكُ نَفْسِي حَزِينَةً عَلَيْكَ وَلَا يَنْفَكُ جَلْدِي أَغْبَرَا؟

قالت : دعنا منك يا أبا الحسن، فإنك أمرؤ فيك دعابة !

فولدت للصديق محمد بن أبي بكر ، ولدته بالشجرة بين مكة والمدينة ورسول الله

صلى الله عليه وسلم ذاہب إلى حجۃ الوداع، فأصرّها أن تنتسل وتهل وسيأتي في موضعه،

ثم لما توفي الصديق تزوجها بعده علي بن أبي طالب، وولدت له أولاداً رضي الله عنه وعنها

وَعِنْهُمْ أَجْمَعِينَ •

فصل

قال ابن إسحاق : خدثني محمد بن حمفر بن الزبير ، عن عروة بن الزبير ، قال : فلما

دُنَوْمَنَ الْمَدِينَةِ تَلَقَّاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْمُسْلِمُونَ .

قال : ولقيهم الصبيان يستتدون ورسول الله صلى الله عليه وسلم مُقبل مع القوم على دابة ، فقال : « خذوا الصبيان فاحلوم وأعطوني ابنَ جعفر » فأتى بعدد الله بن جعفر فحمله بين يديه ، قال : وجعل الناس يخنون على الجيش الترابَ ويقولون : يا فرّار فررت في سبيل الله ! قال : فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليسوا بالفُرّار ولكنهم السُّكُّرَّار إن شاء الله ». وهذا مرسل .

وقد قال الإمام أحمد : حدثنا أبو معاوية ، حدثنا عاصم ، عن مؤرق العَجْلِي ، عن عبد الله بن جعفر ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قدم من سَفَرْ تلقى الصَّبِيَّانَ من أهْل بَيْتِهِ ، وإنْ قَدِمَ مِنْ سَفَرْ فَسُبِّقَ بِيَ إِلَيْهِ ، قال : فَخَمَانِي بَيْنَ يَدِيهِ ثُمَّ قَالَ : « جَئْنَا بِأَحَدٍ بْنِ فَاطِمَةَ » إِما حَسْنٌ وَإِما حَسْيِنٌ ، فَأَرْدَفَهُ خَلْفَهُ فَدَخَلَنَا الْمَدِينَةَ ثَلَاثَةَ عَلَى دَابَّةٍ .

وقد رواه مسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه من حديث عاصم الأحول عن مؤرق به.

وقال الإمام أحمد: حدثنا روح، حدثنا ابن جرير، حدثنا خالد بن سارة، أن أباه
أخبره أن عبد الله بن جعفر قال: لو رأيتني وفيناً وعبد الله ابني العباس ونحن صبيان
نلعب إذ مر النبي صلى الله عليه وسلم على دابة فقال: «ارفعوا هذا إلى» فحملني أمامه
وقال لقشم: «ارفعوا هذا إلى» فجعله وراءه، وكان عبد الله أحب إلى عباس من قشم،
فاستحبى من عمه أن حمل قشم وتركه . قال: ثم مسح على رأسه ثلاثة وقال كلما مسح:
«اللهم اخلف جعفراً في ولده» .

قال : قلت لعبد الله : مافعل قم ؟ قال : استشهد ؟ قال : قلت : الله ورسوله أعلم
بالمغير . قال : أجل .

ورواه النسائي في اليوم والليلة من حديث ابن جرير به .

[وهذا كان بعد الفتح ، فإن العباس إنما قدم المدينة بعد الفتح ، فأما الحديث الذي رواه الإمام أحمد : حدثنا إسماعيل ، حدثنا حبيب بن الشميد ، عن عبد الله بن أبي مليكة ، قال : قال عبد الله بن جعفر لابن الزبير : أتذكري إذ تلقينا رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا وأنت وابن عباس ؟ قال : نعم خلتنا وتركنا .

وبهذا اللفظ أخرجه البخاري ومسلم من حديث حبيب بن الشميد وهذا يعد من الأジョبة المسكتة ، ويروى أن عبد الله بن عباس أجاب به ابن الزبير أيضا ، وهذه القصة قصة أخرى كانت بعد الفتح كما قدمنا بيانه . والله أعلم ^(١) .

فصل

في فضل هؤلاء الأمراء الثلاثة : زيد وعمر وعبد الله رضي الله عنهم

أما زيد بن حارثة بن شراحيل بن كعب بن عبد العزى بن امرى القيس بن عامر ابن القuman بن عامر بن عبد ود بن عوف بن كنانة بن بكر بن عوف بن عذرية بن زيد اللات بن رفيدة بن ثور بن كلب بن وبرة بن ثعلب بن حلوان بن عمران بن الحاف ابن قضاعة الكلبي القضايع ، [فهو] مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذلك لأن أمه ذهبت تزور أهلها فأغارت عليهم خيل فأخذوه ، فاشتراء حكيم بن حزام لعمته خديجة بنت خوبل ، وقيل اشتراه رسول الله صلى الله عليه وسلم لها ، فوهبته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل النبوة ، فوجده أبوه فاختار المقام عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعتقه وتبناه ، فكان يقال له زيد بن محمد ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحبه حباً شديداً .

(١) سقط من ت .

وكان أول من أسلم من الموالى ، ونزل فيه آيات من القرآن منها قوله تعالى : « وما جعل أدعيةكم أبناءكم » وقوله تعالى : « ادعوههم لآباءهم هو أقسط عند الله » وقوله تعالى : « ما كان محمد أبا أحداً من رجالكم » وقوله : « وإذا قلتم لمن ينادي أنتم الله عليه وأنتم عليه أمسكتم زوجك واتقي الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه فلما قضى زيد منها وطرأ زوجنا كها » الآية . أجمعوا أن هذه الآيات أنزلت فيه ، ومعنى : « أنعم الله عليه » أي بالإسلام « وأنعمت عليه » أي بالعتق ، وقد تكلمنا عليها في التفسير .

ومقصود أن الله تعالى لم يسم أحداً من الصحابة في القرآن غيره ، وهذا إلى الإسلام ، وأعتقده رسول الله صلى الله عليه وسلم وزوجه مولاته أم أيمن واسمها بركة فولدت له أسامة بن زيد ، فـكان يقال له الحب بن الحب ، ثم زوجه بابنة عمته زينب بنت جحش ، وأخي يده وبين عمها حمزة بن عبد المطلب وقدمه في الإمارة على ابن عمها جعفر بن أبي طالب يوم مؤتة كاذكرناه .

وقد قال الإمام أحمد والإمام الحافظ أبو بكر بن أبي شيبة - وهذا لفظه - : حدثنا محمد بن عبيد ، عن وائل بن داود : سمعت البهـي يـحدث أن عائشة كانت تقول : ما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة في سرية إلا أمره عليهم ، ولو بق بعد لاستخلفه .

ورواه النسائي عن أحمد بن سلمان ، عن محمد بن عبيد الطنافسي به .

وهذا إسناد جيد قوى على شرط الصحيح ، وهو غريب جداً . والله أعلم .

وقال الإمام أحمد : حدثنا سليمان ، حدثنا إسماعيل ، أخبرني ابن دينار ، عن ابن عمر رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث بعثاً وأمر عليهم أسامة بن زيد ،

فطعن بعض الناس في إمرته ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « إن تطعنوا في إمرته فقد كفتم تطعنون في إمرة أبيه من قبل ، وأيم الله إن كان خليقًا للإمارة وإن كان لمن أحب الناس إلى ، وإن هذا المَنْ أحب الناس إلى بعده » .

وآخر جاه في الصحيحين ، عن قبيحة عن إسماعيل - هو ابن جعفر بن أبي كثير المدني - عن عبد الله بن دينار ، عن ابن عمر فذ كره . ورواه البخاري من حديث موسى بن عقبة عن سالم عن أبيه . ورواه البزار من حديث عاصم بن عمر ، عن عبيد الله بن عمر العمري ، عن نافع ، عن ابن عمر ، ثم استغربه من هذا الوجه .

وقال الحافظ أبو بكر البزار : حدثنا عمر بن إسماعيل ، عن مجالد ، عن الشعبي ، عن مسروق ، عن عائشة قالت : لما أصيب زيد بن حارثة وجىء بأسامي بن زيد وأوقف بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فدمعت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فآخر ، ثم عاد من الفد فوقف بين يديه فقال : « ألاقي منكَ اليوم ما لقيتَ منذ أمس » .

وهذا الحديث فيه غرابة والله أعلم .

وقد تقدم في الصحيحين أنه لما ذكر مصاحبهن وهو عليه السلام فوق المنبر جعل يقول « أخذ الرایة زید فأصیب ، ثم أخذها جعفر فأصیب ، ثم أخذها عبد الله بن رواحة فأصیب ، ثم أخذها سیف من سیوف الله ففتح الله عليه » .

قال : وإن عينيه لقدر فان ، وقال : « وما يسرّهم أنهم عندنا ». وفي الحديث الآخر أنه شهد لهم بالشهادة ، فهم من يقطع لهم بالجنة .

وقد قال حسان بن ثابت يرى زيد بن حارثة وابن رواحة :

عينُ جُودِي بدموعِكَ المَزُورِ وَذَكْرِي فِي الرَّخَاءِ أَهْلَ الْقُبُورِ
وَذَكْرِي مُؤْنَةً وَمَا كَانَ فِيهَا يَوْمَ رَاحُوا فِي وَقْعَةِ التَّغْوِيرِ

حين راحوا وغادروا ثم زيداً
نم مأوى الفريـك والمسـور^(١)
حبـت خـير الأـنام طـرـما جـيـعاً
سيـدـ الناس حـبـهـ في الصـدوـرـ
ذاـكمـ أـحـمـةـ الـذـىـ لـاسـواـهـ
ذاـكـ حـزـنـىـ لـهـ مـعـاـ وـسـرـورـىـ
لـيـسـ أـمـرـ المـكـدـبـ المـغـرـورـ
سيـداـ كـانـ ثـمـ غـيرـ نـزـوـرـ
فـبـحـرـنـ نـبـيـتـ غـيرـ سـرـورـ
ثـمـ جـوـدـىـ لـلـخـزـرـجـىـ بـدـمـعـ
قدـ أـنـاـناـ مـنـ قـتـلـهـمـ مـاـكـفـانـاـ

* * *

وأما جعفر بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم ، فهو ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان أكبر من أخيه على بعشر سنين ، وكان عقيل أسن من جعفر بعشر سنين ، وكان طالب أسن من عقيل بعشر سنين .

أسلم جعفر قدماً وهاجر إلى الحبشة وكانت له هناك موافق مشهورة ، ومقامات محمودة ، وأجوبة سديدة ، وأحوال رشيدة ، وقد قدمنا ذلك في بحثة الحبشة^(٢) والله الحمد .

وقد قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم خيبر فقال عليه الصلاة والسلام : « ما أدرى أنا بأيهم أسر ، أبقدوم جعفر أم بفتح خيبر » وقام إليه واعتنقه وقبّل بين عينيه ، وقال له يوم خرجوا من عمرة القضية : « أشهدتَ خلقـي وخـالقـي » فيقال : إنه حـجلـ عندـ ذـلـكـ فـرـحاـ . كـاـ تـقـدـمـ فـمـوـضـعـهـ وـلـهـ الـحـمـدـ وـالـلـهـ .

ولما بعثه إلى مؤتة جعل في الإمارة مصلّياً - أى نائباً - لزيد بن حارثة ، ولما قُتل وجدوا فيه بضمّاً وسمين ما بين ضربة بسيف ، وطعنـةـ بـرـمحـ ، وـرـمـيـةـ بـسـهمـ ، وـهـوـ فيـ

(١) الفريـكـ والمسـورـ الحالـ .

(٢) تقدم ذلك في الجزء الثاني ١٤-٢٦ .

ذلك كله مُقبل غير مدبر ، وكانت قد طعنت يده اليمنى ثم اليسرى وهو ممسك للأواء ،
فاما فقدها احتضنه حتى قتل وهو كذلك . فيقال : إن رجلاً من الروم ضربه بسيف
قطعه باثنتين ، رضي الله عن جعفر ولعن قاتله .

وقد أخبر عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه شهيد فهو من يقطع له بالجنة .
وجاء بالأحاديث تسمية بذى الجناتين .

وروى البخارى عن ابن عمر ، أنه كان إذا سلمَ على ابنه عبد الله بن جعفر يقول : السلام عليك يابن ذى الجناحين .

وبعضهم يرويه عن عمر بن الخطاب نفسه ، والصحيح ما في الصحيح
عن ابن عمر .

قالوا : لأن الله تعالى عوضه عن يديه بمحاجين في الجنة وقد تقدم بعض ماروبي في ذلك .

قال الحافظ أبو عيسى الترمذى : حدثنا على بن حجر ، حدثنا عبد الله بن جعفر ، عن العلاء بن عبد الرحمن ، عن أبيه ، عن أبي هريرة قال : قال صلى الله عليه وسلم : «رأيت جعفراً يطير في الجنة مم الملائكة ». .

وتقديم في حديث أنه رضي الله عنه قتل وعمره ثلاثة وثلاثون سنة . وقال ابن الأثير في الغاية : كان عمره يوم قتل إحدى وأربعين . قال : وقيل غير ذلك .

وقد كان يقال لجعفر بعد قتله الطيار ، لما ذكرنا ، وكان كريماً جواداً مددحاً ، وكان أكرمـه يقال له : أبو المساكين ، لإحسانـه إليـهم .

قال الإمامـ أحـد : وحـدـثـنـا عـفـانـ بـنـ وـهـيـبـ ، حـدـثـنـا خـالـدـ ، عـنـ عـكـرـمـةـ ، عـنـ أـبـيـ هـرـيـرـةـ ، قـالـ : مـاـ اـحـتـدـىـ النـعـالـ وـلـاـ اـنـتـعـلـ ، وـلـاـ رـكـبـ المـطـايـاـ وـلـاـ لـبـسـ الـثـيـابـ مـنـ رـجـلـ بـعـدـ رـسـوـلـ اللـهـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ أـفـضـلـ مـنـ جـعـفـرـ بـنـ أـبـيـ طـالـبـ .

وهـذـاـ إـسـنـادـ جـيـدـ إـلـيـ أـبـيـ هـرـيـرـةـ ، وـكـانـهـ إـنـمـاـ يـفـضـلـ فـيـ الـكـرـمـ ، فـأـمـاـ فـيـ الـفـضـيـلـةـ الـدـيـنـيـةـ فـعـلـومـ أـنـ الصـدـيقـ وـالـفـارـوـقـ بـلـ وـعـمـانـ بـنـ عـفـانـ أـفـضـلـ مـنـهـ ، وـأـمـاـ أـخـوـهـ عـلـىـ رـضـيـ اللـهـ عـنـهـمـاـ فـالـظـاهـرـ أـنـهـمـاـ مـتـكـافـثـانـ أـوـ عـلـىـ أـفـضـلـ مـنـهـ .

وـإـنـمـاـ أـرـادـ أـبـوـ هـرـيـرـةـ تـفـضـيـلـهـ فـيـ الـكـرـمـ ، بـدـلـيلـ مـاـرـوـاهـ الـبـخـارـيـ : حـدـثـنـاـ أـحـدـ بـنـ أـبـيـ بـكـرـ ، حـدـثـنـاـ مـحـمـدـ بـنـ إـبـرـاهـيمـ بـنـ دـيـنـارـ أـبـوـ عـبـدـ اللـهـ الـجـهـنـيـ ، عـنـ أـبـيـ ذـئـبـ ، عـنـ سـعـيدـ الـقـبـرـيـ ، عـنـ أـبـيـ هـرـيـرـةـ ، أـنـ النـاسـ كـانـوـاـ يـقـولـونـ : أـكـثـرـ أـبـوـ هـرـيـرـةـ وـإـنـ كـنـتـ أـلـزـمـ رـسـوـلـ اللـهـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ بـشـبـعـ بـطـنـيـ خـبـرـاـ لـآـ كـلـ الـثـمـيرـ وـلـاـ أـلـبـسـ الـخـرـيرـ وـلـاـ يـخـدـمـنـيـ فـلـانـ وـفـلـانـةـ ، وـكـنـتـ أـصـقـ بـطـنـيـ بـالـحـصـبـاءـ مـنـ الـجـوعـ ، وـإـنـ كـنـتـ لـأـسـقـرـيـ الرـجـلـ الـآـيـةـ هـيـ مـعـىـ كـيـ يـنـقـلـبـ بـيـ فـيـ طـعـمـنـيـ ، وـكـانـ خـيـرـ النـاسـ لـلـمـسـاكـينـ جـعـفـرـ بـنـ أـبـيـ طـالـبـ ، وـكـانـ يـنـقـلـبـ بـنـاـ فـيـ طـعـمـنـاـ مـاـ كـانـ فـيـ بـيـتـهـ ، حـتـىـ إـنـ كـانـ لـيـخـرـجـ إـلـيـنـاـ الـعـكـكـةـ الـتـيـ لـيـسـ فـيـهـ شـيـ فـنـشـقـهـ فـلـعـقـ مـاـفـيهـ .

تـفـرـدـ بـهـ الـبـخـارـيـ .

وقـالـ حـسـانـ بـنـ ثـابـتـ يـرـثـيـ جـعـفـراـ :

وـلـقـدـ بـكـيـتـ وـعـزـ مـهـلـكـ جـعـفـرـ
حـبـ النـبـيـ عـلـىـ الـبـرـيـةـ كـلـهـ
وـلـقـدـ جـزـعـتـ وـقـلتـ حـيـنـ نـعـيـتـ لـهـ
مـنـ لـلـحـلـادـ لـدـيـ الـمـقـابـ وـظـلـهـ
بـالـبـيـضـ حـيـنـ تـسـلـ مـنـ أـعـمـادـهـ
ضـرـبـاـ وـأـنـهـاـلـ الـرـمـاحـ وـعـلـهـاـ

بعدَ ابنِ فاطمة المبارك جعفرٌ خَيْرُ البرية كلها وأجلّها
 رُزْءاً وَأَكْرَمْهَا جَمِيعاً مُخْتَدِداً وَأَعْزَّهَا مُتَظَلِّداً وَأَذْهَّا
 لِلْحَقِّ حِينَ يَنْوُبُ غَيْرُ تَنْحُلٍ كَذِباً وَأَنْدَاهَا يَدَاً وَأَفْلَهَا
 فُحْشَاً وَأَكْثَرُهَا إِذَا مَا يُجْتَدِي فَضْلاً وَأَنْدَاهَا يَدَاً وَأَبْلَهَا
 بِالْمُرْفَ غَيْرُ مُحَمَّدٍ لَا مُثْلَهٖ حَتَّىٰ مِنْ أَحْيَاءِ البرية كلها

وأما ابن رواحة فهو عبد الله بن رواحة بن نعلبة بن امرئ القيس بن عمرو بن امرئ القيس الأكبر بن مالك بن الأغر بن نعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج ، أبو محمد ويقال: أبو رواحة ، ويقال: أبو عمرو ، الأنصارى الخزرجى ، وهو خال النعمان بن بشير ، أخته عمرة بنت رواحة .

أسلم قدِيمًا وشهد العقبة ، وكان أحد النقباء ليقتلهنَّ لبني الحارث بن الخزرج ، وشهد بدرا وأحدا والخندق والحدبية وخير و كان يبعثه على خَرْصَهَا ، كما قدمنا ، وشهد عمرة القضاة ودخل يومئذ وهو ممسك بزمام ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل بغُرْزِهـ
 - يعني الرّكاب - وهو يقول :

* خَلُوا بَنِي الْكُفَّارَ عَنْ سَبِيلِهِ *

الأبيات كا تقدم .

وكان أحد الأمراء الشهداء يوم مُؤْتَة كا تقدم ، وقد شجَّعَ المسلمين لقاء الروم حين اشتُوروا في ذلك ، وشجَّعَ نفسه أيضاً حتى نزل بعد ما قُتل أصحابه ، وقد شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشهادة فهو من يقطع له بدخول الجنة .

ويروى أنه لما أنسد النبي صلى الله عليه وسلم شعره حين ودعه الذي يقول فيه :
 فَثَبَّتَ اللَّهُ مَا آتَاكَ مِنْ حَسَنٍ ثَبَيْتَ مُوسَى وَنَصَرًا كَالَّذِي نَصَرُوا

قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وأنت فتبَّتْكَ اللَّهُ » قال . هشام بن غروة : فتبَّتْهُ اللَّهُ حَتَّى قُتِلَ شَهِيدًا وَ دَخَلَ الْجَنَّةَ .

وروى جماد بن زيد ، عن ثابت ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، أن عبد الله بن رواحة أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يخطب فسمعه يقول : « اجلسوا ». فجلس مكانه خارجا من المسجد حتى فرغ الناس من خطبته ، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال : « زادك الله حرضاً على طواعية الله وطوعانية رسوله ».

وقال البخاري في صحيحه : وقال معاذ : اجلس بنا نؤمن ساعة^(١) .

وقد ورد الحديث المروي في ذلك عن عبد الله بن رواحة بنحو ذلك ، فقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الصمد ، عن عمارة ، عن زياد النحوي ، عن أنس قال : كان عبد الله ابن رواحة إذا لقي الرجل من أصحابه يقول : تعال نؤمن بربنا ساعة . فقال ذات يوم لرجل ، فغضب الرجل خباء فقال : يا رسول الله ألا ترى ابن رواحة ؟ يرَّغب عن إيمانك إلى إيمان ساعة ! فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « رحم الله ابن رواحة ، إنه يحب المجالس التي تتبااهي بها الملائكة ». وهذا حديث غريب جدا .

وقال البيهقي : حدثنا الحاكم ، حدثنا أبو بكر ، حدثنا محمد بن أيوب ، حدثنا أحمد ابن يونس ، حدثنا شيخ من أهل المدينة ، عن صفوان بن سليم ، عن عطاء بن يسار ، أن عبد الله بن رواحة قال لصاحب له : تعال حتى نؤمن ساعة ، قال : أو نسنا بهؤمنين ؟ قال : بلى ولكننا نذكر الله فنزيد إيمانا .

وقد روى الخاير أبو القاسم الألكي^(٢) من حديث أبي المياد ، عن صفوان بن سليم ، عن شريح بن عبيد ، أن عبد الله بن رواحة كان يأخذ يسراً الرجل من أصحابه

(١) صحيح البخاري ١ / ٥ (٢) نسبة إلى الملك وهي بلدية من أعمال برقة الغرب . وفي الأصل : اللاكاني . وما أثبتته عن المباب ٧٠ / ٣

فيقول : قم بنا نُؤْمِن ساعَةً فنجلس في مجلس ذِكْر .

وهذا مرسُلٌ من هذين الوجهين وقد استقصينا الكلام على ذلك في أول شرح البخاري والله الحمد واللهم .

وفي صحيح البخاري عن أبي الدرداء قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر في حر شديد ، وما فينا صائم إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعبدالله بن رواحة رضي الله عنه .

وقد كان من شعراء الصحابة المشهورين ، وما نقله البخاري من شعره في رسول الله

صلى الله عليه وسلم :

وفيما رَسُولُ الله تَلَوَّكَتَابَهُ إِذَا اشْقَى مَعْرُوفٌ مِنَ الْفَجْرِ سَاطِعُ
بَيْتٍ يَحْافِي جَنْبَهُ عَنْ فَرَاشَهُ إِذَا اسْتَقْلَتْ بِالْمُشْرِكِينَ لِلْمَضَاجِعِ
أَنَّى بِالْمَدَى بَعْدَ الْمَعَى فَقَلُوبُنَا بِهِ مُوقَنَاتٌ أَنَّ مَا قَالَ واقِعٌ

وقال البخاري : حدثنا عمران بن ميسرة ، حدثنا محمد بن فضيل ، عن حصين ، عن عاص عن النعمان بن بشير قال : أَغْنَى عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَوَاحَةَ فَعَمِلتَ أَخْتَهُ عُمْرَةَ تَبَكَّى ؛ وَاجْبَلَاهَا
وَأَكَذَّا وَأَكَذَّا تَعْدُدَ عَلَيْهِ ، فَقَالَ حِينَ أَفَاقَ : مَا قَلْتَ شَيْئًا إِلَّا قِيلَ لِي: أَنْتَ كَذَلِكَ ؟
حدثنا قبيبة ، حدثنا خيثمة ، عن حصين ، عن الشعبي عن النعمان بن بشير قال : أَغْنَى

عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَوَاحَةَ ، بِهَذَا . فَلَمَّا مَاتَ لَمْ تَبَكْ عَلَيْهِ .

وقد قدمنا مارثا به حسان بن ثابت مع غيره .

وقال شاعر من المسلمين ممن رجع من مؤتة مع من رجع رضي الله عنهم :
كَفَى حَزَنًا أَنِّي رَجَعْتُ وَجَعْفَرٌ وَزَيْدٌ وَعَبْدُ اللَّهِ فِي رَمْسٍ أَقْبَرٍ
قَضَوْا نَحْنَهُمْ لَمَّا مَضَوا لِسَبِيلِهِمْ وَخَلَفْتُ لِلْبَلْوَى مَعَ الْمُتَغَيِّرِ
وَسِيَّانِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى بِقِيَةَ مَارْتَى بِهِ هُؤُلَاءِ الْأَمْرَاءِ التَّلَاثَةِ مِنْ شِعْرِ حَسَانِ بْنِ
ثَابَتِ وَكَعْبِ بْنِ مَالِكٍ رِضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَأَرْضَاهُمَا .

فصل في ذكر من استشهد يوم مؤتة من المسلمين

فمن المهاجرين جعفر بن أبي طالب ، ومولاهم زيد بن حارثة الكلبي ، ومسعود بن الأسود بن حارثة بن نصلة العدوى ، ووهب بن سعد بن أبي سرح ، فهو لاء أربعة نفر .

ومن الأنصار عبد الله بن رواحة ، وعبداد بن قيس الخزرجييان ، والحارث بن العمات بن إساف بن نصلة النجاري ، وسرافة بن عمرو بن عطية بن خنساء المازني ، أربعة نفر .

فمجموع من قُتل من المسلمين يومئذ هؤلاء الثمانية ، على ما ذكره ابن إسحاق ، لكن قال ابن هشام : ومن استشهد يوم مؤتة فيما ذكره ابن شهاب الذهري : أبو كلبي وجابر ابنا عمرو بن زيد بن عوف بن مبذول المازنيان ، وها شقيقان لأب وأم ، وعمرو وعامر ابنا سعد بن الحارث بن عباد بن سعد بن عامر بن ثعلبة بن مالك بن أفصى . فهو لاء أربعة من الأنصار أيضاً ، فالمجموع على القولين اثنا عشر رجلاً .

وهذا عظيم جداً ، لأن يقتاتل جيشان متعاديان في الدين ، أحدهما وهو الفئة التي تقاتل في سبيل الله عددها ثلاثة آلاف ، وأخرى كافرة وعددها مائتا ألف مقاتل ، من الروم مائة ألف ، ومن نصارى العرب مائة ألف ، يتبارزون ويتصاولون ثم مع هذا كله لا يقتل من المسلمين إلا اثنا عشر رجلاً ، وقد قتل من المشركين خلق كثير !

هذا خالد وحده يقول : لقد اندرت في يدي يومئذ تسعة أسياف وما صبرت في يدي إلا صفيحة يمانية ، فإذا ترى قد قتل بهذه الأسياف كلها ! دع غيره من الأبطال والشجعان من حملة القرآن ، وقد تحكموا في عبادة الصليبان عليهم لعائن الرحمن ، في ذلك الزمان وفي كل أوان .

وهذا مما يدخل في قوله تعالى : « قد كان لكم آية في فتنتين التقتا فتنة تقاتل في سبيل الله وأخرى كفارة يرونهم مثلكم رأى العين ، والله يؤيد بنصره من يشاء ، إن في ذلك لعبرة لأولى الأ بصار ». .

الحديث فيه فضيلة عظيمة لأمراء هذه السُّرْيَة^(١)

وهم : زيد بن حارثة ، وعمر بن عبد الله بن رواحة رضي الله عنهم .

قال الإمام العالم الحافظ أبو زُرْعَة عبد الله بن عبد السَّكِيرِ الرَّازِي ، نَصَّرَ اللَّهَ وَجَهَهُ ، فِي كِتَابِهِ دَلَائِلُ النَّبُوَةِ - وَهُوَ كِتَابُ جَلِيلٍ - : حَدَّثَنَا صَفْوَانُ بْنُ صَالِحِ الدَّمْشِقِيِّ ، حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ حَدَّثَنَا ابْنُ جَابِرٍ . وَحَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الدَّمْشِقِيِّ ، حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ وَعُمَرُو - يَعْنِي ابْنَ عَبْدِ الْوَاحِدِ - قَالَا : حَدَّثَنَا ابْنُ جَابِرٍ ، سَمِعْتُ سَلِيمَ بْنَ عَامِرَ الْخَبَائِرِيَّ يَقُولُ : أَخْبَرْنِي أَبُو أُمَّامَةَ الْبَاهِلِيُّ ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « يَدِنَا أَنَا نَامْ إِذْ أَنَّنِي رَجُلٌ فَأَخْذَنِي بَضَعْبَعِي ، فَأَتَيْتُهُ بِجَبْلًا وَعَرْأً فَقَالَا : أَصْدِدْ ، فَقَلَّتْ لَا أُطِيقْهِ . فَقَالَا : إِنَا سَنَسْهَلْ لَكَ . قَالَ : فَصَعَدْتُ حَتَّى إِذَا كَنْتُ فِي سَوَاءِ الْجَبَلِ إِذَا أَنَا بِأَصْوَاتِ شَدِيدَةِ ، فَقَلَّتْ : مَا هُؤُلَاءِ الْأَصْوَاتِ ؟ فَقَالَا : عُوَاءُ أَهْلِ النَّارِ . ثُمَّ انْطَلَقَ بِي فَإِذَا بِقَوْمٍ مُعْلَقِينَ بِعِرَاقِيهِمْ مُشَقَّقَةً أَشَدَّ دَاقِهِمْ ، تَسِيلُ أَشَدَّ دَاقِهِمْ دَمًا ، فَقَلَّتْ : مَا هُؤُلَاءِ ؟ فَقَالَا : هُؤُلَاءِ الَّذِينَ يَفْطِرُونَ قَبْلَ تَحْلِلَةِ صَوْمَهُمْ . قَالَ : خَابَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى » قَالَ سَلِيمٌ سَمِعْهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمْ مِنْ رَأْيِهِ ؟

« ثُمَّ انْطَلَقَ بِي ، فَإِذَا قَوْمٌ أَشَدُّ شَيْءاً اِنْتَفَاحًاً وَأَنْتَنْ شَيْءاً رِيحًا كَأَنْ رِيحَهُمْ المُرَا Higgins ، قَلَّتْ : مَنْ هُؤُلَاءِ ؟ قَالَا : هُؤُلَاءِ قَتْلَى الْكُفَّارِ . ثُمَّ انْطَلَقَ بِي فَإِذَا قَوْمٌ أَشَدُ اِنْتَفَاحًاً وَأَنْتَنْ

(١) سقط هذا الفصل من ا .

شىء ريجاً كان ريحهم المراحيض ، قلت : من هؤلاء ؟ قالا : هؤلاء الزانون . والزاواني . ثم انطلقا بي فإذا بنساء ينهش ثديهن الحيات ، قلت : ما بال هؤلاء ؟ قالا : هؤلاء الالاتي يمنعن أولادهن ألبانهن . ثم انطلقا بي فإذا بعلمان يلعبون بين بحرين قلت : من هؤلاء ؟ قالا : هؤلاء ذرارى المؤمنين .

ثم أشرفا بي شرفاً فإذا بنفر ثلاثة يشربون من خمر لم فقلت : من هؤلاء ؟ قالا : هذا جعفر بن أبي طالب وزيد بن حارثة وعبد الله بن رواحة . ثم أشرفا بي شرفاً آخر فإذا أنا بنفر ثلاثة ، فقلت : من هؤلاء ؟ قالا : هذا إبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام وهم ينتظرونك .

فصل فيما قيل من الأشعار في غزوة مؤتة

قال ابن إسحاق : وكان مما يُبكي به أصحاب مؤتة قول حسان :

تأوبني ليل بيثيرب أغسر
لذكري حبيب هييجت لي عبرة
بل إنّ فقدان الحبيب بلية
رأيت خيار المسلمين تواردوا
فلا يبعدن الله قتلَ تتابعوا^(١)
وزيدُ وعبد الله حين تتابعوا^(١)
غداة مضوا بالمؤمنين يقودهم
أغرَّ كضوء البدر من آل هاشم
فطاعن حتى مالَ غير مؤسد

جيمعاً وأسبابُ المنية تخطرُ
إلى الموت ميمونُ النقيمة أزهرُ
أبيٌ إذا سيم الظلامة مجسرُ
بعترٍك فيـه القنا متكسر

(١) الأصل : تبايعوا . وما أنبته من ابن هشام .

جَنَانٌ وَمُلْتَفِي الْمَدَائِقِ أَخْضَرٌ
وَفَاءٌ وَأَسْرَأً حَازِمًا حِينَ يَأْمُرُ
دَاعِمٌ عِزٌّ لَا يَرْثُلُنَّ وَمَفْخَرٌ
رِضَامٌ^(١) إِلَى طَوْدٍ يَرَوْقُ وَيَبْهَرُ
عَلَيْهِ وَمِنْهُمْ أَحْمَدُ الْمُتَخَيِّرُ
عَقِيلٌ وَمَاءِ الْعُودِ مِنْ حِيثِ يُعَصِّرُ
عَمَاسٌ إِذَا مَاضَافُ بِالنَّاسِ مَصْدُرٌ^(٣)
عَلَيْهِمْ وَفِيهِمْ ذَا الْكِتَابُ الْمُطَهَّرُ

فَصَارَ مَعَ الْمُسْتَشَدِينَ ثَوَابُهُ
وَكُنَّا نَرَى فِي جَعْفَرٍ مِنْ مُحَمَّدٍ
وَمَا زَالَ فِي الْإِسْلَامِ مِنْ آلِ هَاشِمٍ
هُمُ جَبَلُ الْإِسْلَامِ وَالنَّاسُ حَوْلُهُمْ
بِهَالِيلٍ مِنْهُمْ جَعْفَرٌ وَابْنُ أَمَّهُ
وَحَزَّةٌ وَالْعَبَاسُ مِنْهُمْ وَمِنْهُمْ
بِهِمْ تُفَرَّجُ الْأَلَوَادُ فِي كُلِّ مَأْزَقٍ
هُمُ أُولَيَاءُ اللَّهِ أَنْزَلَ حُكْمَهُ

وَقَالَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

سَحَّاكاً كَوْكَفَ الطَّبَابَ اُلْخَنْصُلُ^(٤)
طُورَا أَحِنْ وَتَارَةً أَتَمْلَمَلُ
بَيْنَاتَ نَمْشِ وَالسَّمَاكِ^(٥) موَكَلُ
مَا تَأْوِي بَنِي شِهَابَ مُدْخَلُ
يُومًا بِمُؤْتَهُ أَسْنَدُوا لَمْ يُنْقُلُوا
وَسَقَ عَظَامَهُمُ الْغَامَ الْمُسْبُلُ
حَذَرَ الرَّدَى وَمُخَافَةً أَنْ يَنْكُلُوا
فُنْقٌ عَلَيْهِنَ الْحَدِيدُ الْمَرَّ قَلُ^(٦)
إِذْ يَهْتَدُونَ بِجَعْفَرٍ وَلَوْلَهُ قَدَمَ الْأُولُ

(١) الرِّضَامُ : صخور عظام يوضع بعضها فوق بعض . (٢) فِي أَهْلِ الْمَذَادِ . (٣) العَمَاسُ : الظَّلْمُ .

(٤) الطَّبَابُ : جَمْعُ طَبَابَةٍ وَهِيَ سِيرٌ فِي أَسْفَلِ الْقَرْبَى بَيْنَ الْحَرَزَتَيْنِ فِي الْمَزَادَةِ . وَفِي أَهْلِ الصَّابَابِ .

وَفِي غَيْرِهَا : الظَّلَابَةُ . وَهُوَ تَحْرِيفٌ . (٥) أَهْلُ الْعَمَالِ .

(٦) الْفُنْقُ : جَمْعُ فَنِيقٍ ، وَهُوَ الْفَحْلُ الْمَكْرُمُ الَّذِي لَا يَرْكَبُ . وَالْمَرْفَلُ : السَّابِعُ .

حتى تفرّجت الصفوافُ وجعفر حيث التقى وَعْث الصفواف بِجَهَلٍ
فتقىر القمر المثير لِفَقَادَهُ والشمس قد كُسفت وكادت تأْفَلُ
قَوْمٌ علا بُنيانه من هاشم فرعًا أَشْمَ وَسُودَدًا ما يُنْقَلُ
قَوْمٌ بَهْمٌ عَصَمَ الإِلَهُ عباده وعليهم نزل الكتاب المنزَلُ
وَغَمَدَتْ أَحَلَامُهُمْ مِنْ يَجْهَلُ فَضَلَوا المعاشرَ عَزَّةً وَتَكْرَماً
وَيَرِى خَطِيبُهُمْ بِحَقٍ يَفْصِلُ لا يُطْلَقُونَ إِلَى السفاهِ حِبَاهُمْ
يَيْضُ الوجه ترى بطوناً كفهم تَنَدَى إِذَا اعْتَدَرَ الزَّمَانُ الْمُمْحَلُ
وَبَهْدِيَّهُمْ رَضِيَ الإِلَهُ خلقه وَبَهْدِيَّهُمْ نُصْرَ النَّبِيُّ الرَّسُلُ

(١) إطلاق المباء : كناية عن التهبة للتجدة .

(٢) الوعث : الاختلاط والاتجاج .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كتاب بَعْثَ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى مُلُوكِ الْأَفَاقِ وَكُتُبِهِ إِلَيْهِمْ
يَدْعُوْهُمْ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَإِلَى الدُّخُولِ فِي دِينِ الإِسْلَامِ

ذَكَرَ الْوَاقِدِيُّ أَنَّ ذَلِكَ كَانَ فِي آخِرِ سَنَةٍ سَتٍ فِي ذِي الْحِجَّةِ بَعْدَ عُمْرَةِ الْحَدَيْبِيَّةِ ،
وَذَكَرَ الْبَيْهِقِيُّ هَذَا الْفَصْلُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ بَعْدَ غَزْوَةِ مَؤْتَةٍ . وَاللهُ أَعْلَمُ .
وَلَا خَلَفَ بَيْنَهُمْ أَنَّ بَدَءَ ذَلِكَ كَانَ قَبْلَ فَتْحِ مَكَّةَ وَبَعْدَ الْحَدَيْبِيَّةِ ، لِقَوْلِ أَبِي سَفِيَّانَ
لِهِرَقْلَ حِينَ سَأَلَهُ : هَلْ يَفْدَرُ ؟ فَقَالَ : لَا ، وَنَحْنُ مِنْهُ فِي مَدَةٍ لَانْدَرِي مَا هُوَ
صَانِعٌ فِيهَا .

وَفِي لَفْظِ الْبَخَارِيِّ : وَذَلِكَ فِي الْمَدَةِ الَّتِي مَادَّ فِيهَا أَبُو سَفِيَّانَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ : كَانَ ذَلِكَ مَا بَيْنَ الْحَدَيْبِيَّةِ وَوَفَاتَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ . وَنَحْنُ نَذَكِرُ
ذَلِكَ هَاهُنَا وَإِنَّ كَانَ قَوْلُ الْوَاقِدِيِّ مُحْتَمِلاً . وَاللهُ أَعْلَمُ .

وَقَدْ رُوِيَ مُسْلِمٌ عَنْ يَوْسُفِ بْنِ حَمَادِ الْمَعْنَى ، عَنْ عَبْدِ الْأَعْلَى ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي
عَرْوَةَ ، عَنْ قَتَادَةَ ، عَنْ أَنْسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَتَبَ قَبْلَ
مَؤْتَةٍ إِلَى كُسْرَى وَقِيْصِرٍ وَإِلَى النَّجَاشِيِّ وَإِلَى كُلِّ جَبَارٍ يَدْعُوْهُمْ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَلَيْسَ
بِالنَّجَاشِيِّ الَّذِي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ .

وَقَالَ يُونُسُ بْنُ بُشَّـيْرٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ ، حَدَّثَنِي الزَّهْرَى ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ
عَبْدِ اللهِ بْنِ عَتْقَةَ ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ ، حَدَّثَنِي أَبُو سَفِيَّانَ مَنْ فِيهِ إِلَى فِي قَالَ :

كنا قوماً تجرا ، وكانت الحرب قد حصرتنا حتى نهكت أموالنا ، فلما كانت المدنة - هدنة الحديبية - بيننا وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم لم ^(١) نأمن إن وجدنا أميناً ، فخرجت تاجراً إلى الشام مع رهط من قريش ، فوالله ما عاملت بمكمة امرأة ولا رجلاً إلا وقد حملني بضاعة ، وكان وجهه متجرنا من الشام غزوة من أرض فلسطين . خرجنا حتى قدمناها وذلك حين ظهر قيسار صاحب الروم على من كان في بلاده من الفرس فأخرجهم منها ، وردد عليه صليبه الأعظم وقد كان استقبوه إياه ، فلما أن بلغه ذلك وقد كان منزله بمحصن من الشام خرج منها يمشي متسلكاً إلى بيت المقدس ليصلى فيه تُبسط له البسط ويطرح عليهما الرياحين ، حتى انتهى إلى إيليا فصلى بها .

فاصبح ذات غداة وهو مهوم يقلب طرفه إلى السماء ، فقالت [له] ^(٢) بطارقته : أيها الملك لقد أصبحت مهموماً؟ فقال : أجل . فقالوا : وما ذلك؟ فقال : أربت في هذه الليلة أن ملك الختان ظاهر ، فقالوا : والله ما نعلم أمةً من الأمم تختن إلا اليهود وهم تحت يديك وفي سلطانك فإن كان قد وقع [ذلك] ^(٣) في نفسك منهم فابعث في مملكتك كلها فلا يبقى بودي إلا ضربت عنقه ، فاستريح من هذا المم .

فأنهم في ذلك من رأيهم يذرونها ينفهم إذ أنهاهم رسول صاحب بصرى برجل من العرب قد وقع إليهم ، فقال : أيها الملك إن هذا الرجل من العرب من أهل الشاء والإبل يحدهن عن حدث كأن بيلاده فأسأله عنه . فلما انتهى إليه قال لترجمانه : سلهم ما هذا الخبر الذي كان في بلاده؟ فسألها فقال : هو رجل من العرب من قريش خرج يزعم أنه نبي وقد اتبعه أقوام وخالفه آخرون ، وقد كانت ينفهم ملائحة في موطن ، خرجت من بلادى وهم على ذلك .

(٣) أ : هذا .

(٢) ليست في أ .

(١) غير أ : لا .

فَلَمَّا أَخْبَرَهُ الْخَبْرُ قَالَ : جَرِّدُوهُ . فَإِذَا هُوَ مُخْتَنٌ قَالَ : هَذَا وَاللَّهُ الَّذِي قَدْ أَرَيْتُ
لَا مَاتَقُولُونَ ، أَعْطُهُ ثُوبَهُ ، انْطَلِقْ لَا شَأْنَكَ .
ثُمَّ إِنَّهُ دَعَا صَاحِبَ شُرَطَتِهِ قَالَ لَهُ : قَلْبِ لِي الشَّامُ ظَهْرًا لِبَطْنَ حَتَّى تَأْتِي بِرَجُلٍ مِنْ
قَوْمِ هَذَا أَسْأَلُهُ ^(١) عَنْ شَأْنِهِ .

* * *

قَالَ أَبُو سَفيَانٌ : فَوَاللَّهِ إِنِّي وَأَحْمَابِي لِبَغْزَةٍ إِذْ هَجَمَ عَلَيْنَا فَسَأْلُنَا : مَنْ أَنْتُمْ؟ فَأَخْبَرْنَاهُ
فَسَاقُنَا إِلَيْهِ جَمِيعًا .

فَلَمَّا اتَّهَيْنَا إِلَيْهِ قَالَ أَبُو سَفيَانٌ : فَوَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ مِنْ رَجُلٍ قَطُ أَزْعَمْ أَنَّهُ كَانَ أَذْهَى
مِنْ ذَلِكَ الْأَغْلَافَ - يَرِيدُ هَرْقَلَ -

قَالَ : فَلَمَّا اتَّهَيْنَا إِلَيْهِ قَالَ : أَئْكُمْ أَمْسَأُ بِهِ رَحْمًا؟ فَقَلَتْ : أَنَا . قَالَ : أَدْنُوهُ مِنِّي . قَالَ :
فَأَجْلَسْنِي بَيْنَ يَدِيهِ ثُمَّ أَمْرَأَهُ أَحْمَابِي فَأَجْلَسْهُمْ خَلْفِي وَقَالَ : إِنْ كَذَبَ فَرَدَوْا عَلَيْهِ ، قَالَ
أَبُو سَفيَانٌ : فَلَقِدْ عَرَفْتُ أَنِّي لَوْ كَذَبْتُ مَا رَدَوْا عَلَى ، وَلَكِنِي كَفَتْ أَمْرَأُهُ سِيدًا أَتَكَرَّمُ
وَأَسْتَحِي مِنَ الْكَذْبِ ، وَعَرَفْتُ أَنِّي أَدْنَى مَا يَكُونُ فِي ذَلِكَ أَنْ يَرَوْهُ عَنِّي ثُمَّ يَتَحَدَّثُوا
بِهِ عَنِّي بِمَكَّةَ ، فَلَمْ أَكُذِّبْهُ .

فَقَالَ : أَخْبَرْنِي عَنْ هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي خَرَجَ فِيْكُمْ . فَزَهَّدْتُ لِهِ شَأْنَهُ وَصَفَّرْتُ لَهُ
أَمْرَهُ [فَوَاللَّهِ مَا تَفَقَّهْتُ إِلَيْ ذَلِكَ مِنِّي وَقَالَ لِي : أَخْبَرْنِي عَمَّا أَسْأَلُكَ عَنْهُ مِنْ أَمْرِهِ ^(٢)]
فَقَلَتْ : سَلَّنِي عَمَّا بَدَأَ لَكَ .

فَقَالَ : كَيْفَ نَسْبُهُ فِيْكُمْ؟ فَقَلَتْ : تَخْضَنًا مِنْ أُوْسَطَنَا نَسْبًا .

قَالَ : فَأَخْبَرْنِي ، هَلْ كَانَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ أَحَدٌ يَقُولُ مِثْلَ قَوْلِهِ فَهُوَ يَتَشَبَّهُ بِهِ؟
فَقَلَتْ : لَا .

(٢) سقط من المطبوعة .

(١) : فَاسْأَلُهُ .

قال : فأُخْبِرْنِي هَل لَه مُلْكٌ فَاسْتَلْبِتْمُوهُ إِيَّاهُ خَاءَ بِهَذَا الْحَدِيثِ لِتَرْدُوهُ عَلَيْهِ !
فَقَلَتْ : لَا .

قال : فأُخْبِرْنِي عَنْ أَتَبَاعِهِ ، مِنْ هُمْ ؟ قَلَتْ : الْأَحْدَاثُ وَالضُّعْفَاءُ وَالْمَسَاكِينُ ، فَأَمَا أَشْرَافُهُمْ
وَذُوو الْأَنْسَابِ [مِنْهُمْ] ^(١) فَلَا . قَالَ : فأُخْبِرْنِي عَنْ صَاحِبِهِ أَيْحَبُّهُ وَيُكْرِمُهُ أَمْ يَقْلِيهُ
وَيُفَارِقُهُ ؟ قَلَتْ : مَا صَاحِبُهُ رَجُلٌ فَفَارَقَهُ .

قال : فأُخْبِرْنِي عَنِ الْحَرْبِ يَنْكِمُ وَيَبْنِهُ ؟ قَلَتْ : سِجَّالٌ يُدَالُ عَلَيْنَا وَنُدَالُ عَلَيْهِ .

قال : فأُخْبِرْنِي هَل يَغْدُرُ ؟ فَلَمْ أَجِدْ شَيْئاً أَغْرِيَهُ بِإِلَاهٍ ، قَلَتْ : لَا وَنَحْنُ مِنْهُ فِي مَدَةٍ
وَلَا نَأْمِنُ غَدْرَهُ فِيهَا . فَوَاللَّهِ مَا التَّفَتَ إِلَيْهَا مِنْيَ .

قال : فَأَعْدَدْتُ عَلَى الْحَدِيثَ ، قَالَ : زَعَمْتَ أَنَّهُ مِنْ أَنْحَاضِكَمْ تَسْبِيًّا ، وَكَذَلِكَ يَأْخُذُ اللَّهُ
النَّبِيًّا ، لَا يَأْخُذُهُ إِلَّا مِنْ أَوْسَطِ قَوْمِهِ . وَسَأَلْتُكَ : هَلْ كَانَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ أَحَدٌ يَقُولُ مُثَلَّ
قَوْلِهِ فَهُوَ يَنْتَشِبِهُ بِهِ ؟ فَقَلَتْ : لَا . وَسَأَلْتُكَ : هَلْ كَانَ لَهُ مِنْ مُلْكٍ فَاسْتَلْبِتْمُوهُ إِيَّاهُ خَاءَ بِهَذَا
الْحَدِيثِ لِتَرْدُوهُ عَلَيْهِ مَلْكَهُ ؟ فَقَلَتْ : لَا .

وَسَأَلْتُكَ عَنْ أَتَبَاعِهِ ، فَزَعَمْتَ أَنَّهُمْ الْأَحْدَاثُ وَالضُّعْفَاءُ وَالْمَسَاكِينُ . وَكَذَلِكَ أَتَبَاعُ
الْأَنْبِيَاءَ فِي كُلِّ زَمَانٍ .

وَسَأَلْتُكَ عَنْ يَتَّبِعِهِ أَيْحَبُّهُ وَيُكْرِمُهُ أَمْ يَقْلِيهُ وَيُفَارِقُهُ ؟ فَزَعَمْتَ أَنَّهُ قَلَّ مِنْ يَصْحِبُهُ
فِي فَارِقَهُ . وَكَذَلِكَ حَلاوةُ الْإِيمَانِ لَا تَدْخُلُ قَلْبَمَا فَتَخْرُجُ مِنْهُ .

وَسَأَلْتُكَ كَيْفَ الْحَرْبُ يَنْكِمُ وَيَبْنِهُ ؟ فَزَعَمْتَ أَنَّهَا سِجَّالٌ يُدَالُ عَلَيْكَمْ وَتَدَالُونَ عَلَيْهِ ،
وَكَذَلِكَ يَكُونُ حَرْبُ الْأَنْبِيَاءِ وَلَمْ تَكُونُ الْمَعَاقِبَةَ . وَسَأَلْتُكَ هَلْ يَغْدُرُ فَزَعَمْتَ
أَنَّهُ لَا يَغْدُرُ .

(١) لَيْسَ فِي ١.

فلئن كنْت صدقة لَيغْلِبَنَّ عَلَى مَا تَحْت قَدْمِي هَاتِينَ ، وَلَوْدَدْتُ أَنِي عَنْهُ فَأَغْسِل
عَنْ قَدْمِيهِ !

ثُمَّ قَالَ : الْحَقُّ بِشَأْنِكَ . قَالَ : فَقَمْتُ وَأَنَا أَضْرِبُ إِحْدَى يَدَيِّي عَلَى الْأُخْرَى وَأَقُولُ :
يَا عَبْدَ اللَّهِ لَقَدْ أَمِرْتَ أَبِي أَبْيَانَ كَبْشَةً ، وَأَصْبَحَ مُلُوكُ بَنِي الْأَصْفَرِ يَخْافُونَهُ فِي سُلْطَانِهِمْ .
قَالَ أَبْنَ إِسْحَاقَ : وَحْدَنِي الزَّهْرِيُّ قَالَ : حَدَّثَنِي أَسْقَفُ النَّصَارَى قَدْ أَدْرَكَ ذَلِكَ
الزَّمَانَ قَالَ : قَدْمِ دِحْيَةَ بْنِ خَلِيفَةَ عَلَى هَرْقَلَ بِكِتَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهِ :
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ : مِنْ مُحَمَّدِ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى هَرْقَلَ عَظِيمِ الرُّومِ ، سَلَامٌ عَلَى مَنْ
اتَّبَعَ الْمَدَى أَمَّا بَعْدَ فَأَسْلَمَ تَسْلِمَ يَؤْتُكَ اللَّهُ أَجْرُكَ مِرْتَنَ ، فَإِنْ أَبْيَتْ فَإِنَّ أَنْمَ
الْأَكَارِينَ ^(١) عَلَيْكَ .

قَالَ : فَلَمَّا انتَهَى إِلَيْهِ كِتَابَهُ وَقَرَأَهُ أَخْذَهُ فَجَعَاهُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَخَاصِرَتِهِ ، ثُمَّ كَتَبَ إِلَى
رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ رُومِيَّةَ كَانَ يَقْرَأُ مِنَ الْعِبْرَانِيَّةِ مَا يَقْرَأُ بِخَبْرِهِ عَمَّا جَاءَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ : إِنَّهُ النَّبِيُّ الَّذِي يُنْتَظَرُ لَا شَكَ فِيهِ فَاتَّبَعَهُ . فَأَمَرَ بِعَظَمَاتِ الرُّومِ
فَجُمِعُوا لَهُ فِي دَسْكَرْكَةِ مَلِكِهِ ثُمَّ أَمْرَ بِهَا فَأَشْرَجَتْ ^(٢) عَلَيْهِمْ ، وَاطَّلَعَ عَلَيْهِمْ مِنْ عِلْمِهِ لَهُ
وَهُوَ مِنْهُمْ خَائِفٌ ، فَقَالَ : يَا مَعْشِرَ الرُّومِ إِنَّهُ قَدْ جَاءَنِي كِتَابُ أَحَدٍ ، وَإِنَّهُ وَالَّذِي أَنْتُ
كَفَى نَتَظَرُ ^(٣) وَمُجْمَلُ ذَكْرِهِ فِي كِتَابِنَا ، نَعْرِفُهُ بِعِلَامَاتِهِ وَزَمَانِهِ ^(٤) ، فَأَسْلَمُوهُ وَاتَّبَعُوهُ تَسْلِمَ
لَكُمْ دِنِيَاكُمْ وَآخِرَتِكُمْ . فَنَخَرُوا نَخْرَةً رَجُلٌ وَاحِدٌ ، وَابْتَدَرُوا أَبْوَابَ الدَّسْكَرْكَةِ فَوُجِدُوهَا
مَغْلَقَةً دُونَهُمْ .

نَخَافُهُمْ وَقَالَ : رَدُوْهُمْ عَلَىَّ . فَرَدُوْهُمْ عَلَيْهِ فَقَالَ لَهُمْ : يَا مَعْشِرَ الرُّومِ ، إِنِّي إِنَّمَا قَلَتْ
لَكُمْ هَذِهِ الْمَقَالَةَ أَخْتَبَرُكُمْ بِهَا لِأَنْظُرَكُمْ كَيْفَ صَلَّأَتُكُمْ فِي دِينِكُمْ ؟ فَلَقَدْ رَأَيْتُ مِنْكُمْ مَا سَرَّنِي .
فَوَقَمُوا لَهُ سَجَداً . ثُمَّ فَتَحَتْ لَهُمْ أَبْوَابَ الدَّسْكَرْكَةِ فَخَرَجُوا .

(١) الأَكَارُ : الْحَرَاثُ .

(٢) أَشْرَجَتْ : أَغْلَقَتْ .

(٣) الْأَنْتَظَرُ : يَنْتَظِرُ .

(٤) بِعِلَامَاتِ زَمَانِهِ .

وقد روی البخاري قصة أبي سفيان مع هرقل بزيادات أخرى، أحببنا أن نوردها بسندها وحروفها من الصحيح لعلم ما بين السياقين من التباين وما فيهما من الفوائد.

قال البخاري قبل الإيمان من صحيحه : حدثنا أبو الميان الحكم بن نافع ، أئبنا شعيب ، عن الزهرى ، أخبرنى عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، أن عبد الله بن عباس أخبره أن أبي سفيان أخبره ، أن هرقل أرسل إليه فى ركب من قريش ، وكانوا تجارةً بالشام ، فى المدة التى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مادًّ فيها أبو سفيان وكفار قريش ، فأنوه وهم بإيليات ، فدعاه فى مجلسه وحوله عظام الروم ثم دعاه ودعا بالترجمان فقال : أئكم أقرب نسباً بهذا الرجل الذى يزعم أنه نبى ؟ قال أبو سفيان : قلت : أنا أقربهم نسباً . قال : أدنوه منى وقرّبوا أصحابه فاجعلوهم عند ظهره . ثم قال لترجمانه : قل لهم : إنى سائل هذا عن هذا الرجل ، فإن كذبى فكذبُّوه . [قال (٢) فوالله لولا] الحياة من [(٣) أن يأثروا عنى كذبًا لکذبت عنه .

ثم كان أول ما سألنى عنه أن قال : كيف نسبه فيكم ؟ قلت (١) : هو فيما ذونسب . قال : فهل قال هذا القولَ منكم أحدٌ قط قبله ؟ قلت : لا . قال : فهل كات من آباءِ من ملّك ؟ قلت : لا .

قال : فأشراف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم ؟ قلت : بل ضعفاؤهم . قال : أينزدون أم ينقصون ؟ قلت : بل يزيدون . قال : فهل يرتد أحدُّ منهم سخطةً لدينه بعد أن يدخل فيه ؟ قلت : لا . قال : فهل كتمت تهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟ قلت : لا . قال : فهل يغدر ؟ قلت : لا ونحن منه فى مدة لا ندرى ما هو فاعل فيها . قال : ولم يمكّنى كلامه أدخل فيها شيئاً غير هذه الكلمة . قال : فهل قاتلتموه ؟ قلت : نعم . قال : فكيف (٢) كان قتالكم إيه ؟ قلت : الحرب بيننا وبينه سجال يبالى منا ونفال منه . قال : ماذا يأمركم ؟

(١) قلت . (٢) من صحيح البخاري ١ / ٤ (٣) : كيف .

قلت : يقول : اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئاً واتركوا ما يقول آباءكم . ويأمرنا بالصلوة والصدق والعفاف والصلة .

فقال للترجمان : قل له : سألك عن نسبه فزعمت أنه فيكم^(١) ذو نسب ، وكذلك الرسل تُبعث في نسب قومها .

وسألك : هل قال أحد منكم هذا القول قبله ؟ فذكرت أن لا ، فقلت : لو كان أحد قال هذا القول قبله لقلت : رجل يتأنّى بقولٍ قبل قبيله .

وسألك : هل كان من آبائه من ملَك ؟ فذكرت أن لا ، ولو كان من آبائه من ملك قلت : رجل يطلب ملك أبيه .

وسألك : هل كفتم تمثونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟ فذكرت أن لا ، فقد أعرّف أنه لم يكن ليذر الكذب على الناس وبكذب على الله !

وسألك : أشراف الناس اتبعوه أم ضعفاءهم ؟ فذكرت أن ضعفاءهم اتبعوه ، وهم أتباع الرسل .

وسألك : أزيدون أم ينقصون ؟ فذكرت أحدهم يزيدون ، وكذلك أمر الإيمان حتى يتم .

وسألك : أيرتد أحد منهم سخطةً لدينه بعد أن يدخل فيه ؟ فذكرت أن لا . وكذلك الإيمان حين تحالط بشاشته القلوب .

وسألك : هل يغدر ؟ فذكرت أن لا ، وكذلك الرسل لا يغدر .

وسألك : بم يأمركم ؟ فذكرت أنه يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً ، وينهاكم عن عبادة الأوثان ، ويأمركم بالصلوة والصدق والعفاف .

فإن كان ما تقول حقاً فسيملك موضع قدمي هاتين ، وقد كنت أعلم أنه خارج ،

(١) منكم .

لَمْ أَكُنْ أَظْنَ أَنَّهُ مِنْكُمْ ، فَلَوْ أُعْلَمْ أَنِّي أَخْلَصْتُ إِلَيْهِ لَتَجْشَمَتْ لِقَاءُهُ ، وَلَوْ كَفَتْ عَنْهُ لِغَسْلَتْ عَنْ قَدْمِيهِ .

ثُمَّ دَعَا بِكِتَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي بَعَثَ بِهِ مَعَ دِحْيَةَ إِلَى عَظِيمِ بُصْرَى فَدَفَعَهُ إِلَى هَرقلَ فَإِذَا فِيهِ : « بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ : مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهِ إِلَى هَرقلَ عَظِيمِ الرُّومِ ، سَلَامٌ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْمَهْدِيَّ ، أَمَّا بَعْدُ ؛ فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدُعَايَةِ الْإِسْلَامِ أَسْلَمْ يَوْتَكَ اللَّهُ أَجْرُكَ مَرْتَينِ ، فَإِنْ تَوَلَّتَ فَإِنَّ عَلَيْكَ إِنْمَاءَ الْأَرِيسَيْتِينَ وَ « يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلْمَةِ سَوَاءٍ يَبْيَنُنَا وَيَبْيَنُكُمْ أَلَا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهُ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا ، وَلَا يَتَخَذَّ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ ، فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهِدُوْا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ». »

قَالَ أَبُو سَفِيَّانٌ : فَلَمَا قَالَ وَفَرَغَ مِنْ قِرَاءَةِ الْكِتَابِ كَثُرَ عَنْهُ الصَّحْبَ وَارْتَفَعَتِ الْأَصْوَاتُ وَأَخْرَجْنَا ، فَقَلَّتِ الْأَحْبَابِيَّ حِينَ خَرَجْنَا : لَقَدْ أَمِرَّ أَمِرُّ ابْنِ أَبِي كَبِشَةَ إِنَّهُ يَخْافُهُ مَلِكُ بَنِي الْأَصْفَرِ !

فَازَلتُ مُوقِنًا أَنَّهُ سَيَظْهُرُ حَتَّى أَدْخُلَ اللَّهَ عَلَىِ الْإِسْلَامِ .

* * *

قَالَ : وَكَانَ ابْنُ النَّاطُورِ صَاحِبُ إِبْلِيَاءِ وَهَرقلُ أَسْقِفُ عَلَى نَصَارَى الشَّامِ يَحْدِثُ أَنَّ هَرقلَ حِينَ قَدِمَ إِبْلِيَاءً أَصْبَحَ بِوْمًا خَبِيثَ النَّفْسِ ، فَقَالَ بَعْضُ بَطَارْقَتِهِ : قَدْ اسْتَنْكَرْنَا هَيْئَتَكِ . قَالَ ابْنُ النَّاطُورِ : وَكَانَ هَرقلُ حَزَاءً يَنْظُرُ فِي النَّجُومِ ، فَقَالَ لَهُمْ حِينَ سَأَلُوهُ : إِنِّي رَأَيْتُ حِينَ نَظَرْتُ فِي النَّجُومِ مَلِكَ الْخَلَّاتَانِ قَدْ ظَهَرَ ، فَنَّ يَخْتَنَ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ (١) ؟ قَالُوا : لَيْسَ يَخْتَنَ إِلَّا الْيَهُودُ وَلَا يَهُونُكَ شَاهِمُ ، وَأَكْتَبْ إِلَى مَدَائِنِ مَلِكَكَ فَلَيْقَتْلُوْا مَنْ فِيهِمْ مِنْ الْيَهُودِ .

(١) غَيْرُهُ : الْأُمَّةُ .

فيهـما هـم عـلـى أـمـرـهـم أـتـى هـرـقـلـ بـرـجـلـ أـرـسـلـ بـهـ مـلـكـ غـسـانـ نـخـبـرـهـم عـنـ خـبـرـ سـوـلـ اللهـ
صـلـيـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ ، فـلـمـ اـسـتـخـبـرـهـ هـرـقـلـ قـالـ : اـذـهـبـواـ فـاـنـظـرـوـاـ أـخـتـنـ هـوـ أـمـ لـاـ ؟ فـنـظـرـوـاـ
إـلـيـهـ خـدـنـوـهـ أـنـهـ خـتـنـ ، وـسـأـلـهـ عـنـ الـعـرـبـ فـقـالـ : هـمـ يـخـتـنـوـنـ . فـقـالـ هـرـقـلـ : هـذـاـ مـلـكـ
هـذـهـ الـأـمـةـ قـدـ ظـهـرـ . ثـمـ كـتـبـ إـلـىـ صـاحـبـ لـهـ بـرـوـمـيـةـ ، وـكـانـ نـظـيرـهـ فـيـ الـعـلـمـ .

وـسـارـ هـرـقـلـ إـلـىـ حـصـ فـلـ يـرـمـ ^(١) حـصـ حـتـىـ أـنـاهـ كـتـابـ مـنـ صـاحـبـ يـوـافـقـ رـأـيـ
هـرـقـلـ عـلـىـ خـرـوجـ النـبـيـ صـلـيـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ وـأـنـهـ نـبـيـ ، فـأـذـنـ هـرـقـلـ لـعـظـمـاءـ الرـومـ فـيـ
دـسـكـرـةـ ^(٢) لـهـ يـحـصـ ، ثـمـ أـمـرـ بـأـبـوـهـاـ فـقـلـقـتـ . ثـمـ اـطـلـعـ فـقـالـ : يـاـمـعـشـرـ الرـومـ ، هـلـ
لـكـ فـيـ الـفـلـاحـ ^(٣) وـالـرـشـدـ وـأـنـ يـثـبـتـ لـكـ مـلـكـكـمـ ؟ فـتـبـأـيـمـوـاـ الـهـذـاـ ^(٤) النـبـيـ .

خـاصـواـ حـيـصـةـ حـمـرـ الـوـحـشـ إـلـىـ الـأـبـوـابـ فـوـجـدـوـهـاـ قـدـ غـلـقـتـ ، فـلـمـ رـأـيـ هـرـقـلـ
نـفـرـتـهـمـ وـأـيـسـ مـنـ الـإـيمـانـ قـالـ : رـدـوـهـمـ عـلـىـ . وـقـالـ : إـنـ إـنـاـ قـلـتـ مـقـاتـلـ آـنـفـاـ أـخـبـرـ
بـهـاـ شـدـّتـكـمـ عـلـىـ دـيـنـكـمـ فـقـدـ رـأـيـتـ .

فـسـجـدـوـهـ وـرـضـوـاعـنـهـ . فـكـانـ ذـلـكـ آـخـرـ شـأنـ هـرـقـلـ .

قـالـ الـبـخـارـيـ : وـرـوـاهـ صـالـحـ بـنـ كـيـسـانـ وـيـونـسـ وـمـعـمـرـ عـنـ الزـهـرـيـ .

وـقـدـ رـوـاهـ الـبـخـارـيـ فـيـ مـوـاضـعـ كـثـيـرـةـ فـيـ صـحـيـحـهـ بـالـفـاظـ يـطـولـ اـسـتـقـاصـاـهـ . وـأـخـرـ جـهـ

بـقـيـةـ الـجـمـاعـةـ إـلـاـ اـبـنـ مـاجـهـ مـنـ طـرـقـ عـنـ الزـهـرـيـ .

وـقـدـ تـكـلـمـنـاـ عـلـىـ هـذـاـ الـحـدـيـثـ مـطـلـاـفـ أـوـلـ شـرـحـنـاـ لـصـحـيـحـ الـبـخـارـيـ بـمـاـ فـيـهـ
كـفـاـيـةـ ، وـذـكـرـنـاـ مـاـ فـيـهـ مـنـ الـفـوـاثـ وـالـنـكـتـ الـمـنـوـيـةـ وـالـلـفـظـيـةـ وـلـهـ تـعـالـيـ الـحـمـدـ وـالـمـنـةـ .

* * *

وـقـالـ اـبـنـ لـمـيـعـةـ عـنـ اـلـأـسـوـدـ ، عـنـ عـرـوـةـ قـالـ : خـرـجـ أـبـوـ سـفـيـانـ بـنـ حـرـبـ إـلـىـ الشـامـ

(١) لـمـ يـرـمـ : لـمـ يـرـجـ . وـفـ الأـصـلـ بـحـصـ . وـمـاـ أـنـبـتـهـ عـنـ الـبـخـارـيـ .

(٢) الدـسـكـرـةـ : بـنـاءـ كـاـلـقـسـ حـولـهـ بـيـوتـ . (٣) الصـلاحـ .

(٤) الأـصـلـ : فـتـبـأـيـمـوـاـ . وـمـاـ أـنـبـتـهـ عـنـ صـحـيـحـ الـبـخـارـيـ ١٥

تاجراً في نفر من قريش ، وبلغ هرقل شأن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأراد أن يعلم ما يعلم من شأن ^(١) رسول الله صلى الله عليه وسلم فأرسل إلى صاحب العرب الذي بالشام في ملوكه يأمره ^(٢) أن يبعث إليه بربال من العرب يسألهم عنه ، فأرسل إليه ثلاثة رجالاً منهم أبو سفيان بن حرب ، فدخلوا عليه في كنيسة إيليماء التي في جوفها ، فقال هرقل : أرسلت إليكم لتخبروني عن هذا الذي يكمل ما أمره ؟ قالوا : ساحر كذاب وليس بنبي .

قال : فأخبروني من أعلمكم به وأقربكم منه رحماً ؟ قالوا : هذا أبو سفيان ابن عممه وقد قاتله .

فأذا أخبروه ذلك أمر بهم فاخروا عنه ، ثم أجلس أبو سفيان فاستخبره ، قال : أخبرني يا أبو سفيان ؟ فقال : هو ساحر كذاب .

قال هرقل : إن لا أريد شتمه ولكن كيف نسبه فيكم ؟ قال : هو والله من بيت قريش :

قال : كيف عقله ورأيه ؟ قال : لم تَعْبُ له رأياً ^(٣) فقط .

قال هرقل : هل كان حَلَافاً كذاباً مخدعاً في أمره ؟ قال : لا والله ما كان كذلك .

قال : لعله يطلب مذكاً أو شرفاً كان لأحد من أهل بيته قبله ؟ قال أبو سفيان : لا . ثم قال : من يتبعه منهكم . هل يرجع إليكم منهم أحد ؟ قال : لا .

قال هرقل : هل يغدر إذا عاهد ؟ قال : لا إلا أن يغدر مذقاً هذه .

قال هرقل : وما تختلف من مدتها هذه ؟ قال : إن قومي أمدووا حلفاءهم على حلفائهم وهو بالمدينة . قال هرقل : إن كنتم أنتم بدأتم فأنتم أغدر .

(١) أمر .

(٢) فأمره .

(٣) غيره .

فغضب أبو سفيان وقال : لم يغلبنا إلا مرةً واحدةً وأنا يومئذ غائب ، وهو يوم
بدر ، ثم غزوه مرتين في بيوتهم تُبَقِّرُ البطنَ وتجْدَعُ الآذان والفروج .
فقال هرقل : كاذباً تراه أم صادقاً ؟ فقال : بل هو كاذب .
قال : إنْ كان فيكم نَبِيٌّ فلا تقتلوه . فإنْ أَفْعَلَ النَّاسُ لِذَلِكَ الْيَهُودُ .
ثم رجع أبو سفيان .

ففي هذا السياق غرابة ، وفيه فوائد ليست عند ابن إسحاق ولا البخاري .
وقد أورد موسى بن عقبة في مغازيه قريباً مما ذكره عروة بن الزبير . والله أعلم .

* * *

وقال ابن جرير في تاريخه : حدثنا ابن حميد ، حدثنا سلمة ، حدثنا محمد بن إسحاق ،
عن بعض أهل العلم قال : إن هرقل قال لدحية بن خليفة الكلبي حين قدم عليه بكتاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم : والله إني لأعلم أن صاحبك نَبِيٌّ مُرْسَلٌ ، وأنه الذي كنا
ننتظر ونجد في كتابنا ، ولكنني أخاف الروم على نفسي ، ولو لا ذلك لاتبعته ، فاذهب إلى
صفاطر الأسفاف فاذكر له أمر صاحبكم ، فهو والله في الروم أعظم مني وأجوره قوله
عندكم مني ، فانظر ماذا يقول لك ؟

قال : نباءٌ دُحْيَةٌ فأخبره بما جاء به من رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى هرقل
وبما يدعوه إليه ، فقال صفاتر : صاحبك والله نَبِيٌّ مُرْسَلٌ نعرفه بصفاته ونجد
في كتابنا باسمه .

ثم دخل وألق ثياباً كانت عليه سوداً وليس بياضاً ثم أخذ عصاه ، نخرج على الروم في
الكنيسة فقال : يا معاشر الروم إنه قد جاءنا كتاب من أَمْحَد يدعونا فيه إلى الله ونحي أشهداً لـ
إله إلا الله وأن أَمْحَد عبده ورسوله . قال : فوثبوا إليه وثبتة رجل واحد فضربوه حتى قتلوا .
قال : فلما رجع دُحْيَة إلى هرقل فأخبره الخبر قال : قد قلت لك ، إننا نخافهم على
أنفسنا ، فصفاطر والله كان أعظم عندهم وأجوره قوله مني .

[وقد روی الطبرانی من طریق یحیی بن سلہ بن کھمیل ، عن أبيه عن عبد الله بن شداد عن دِحْیة الکلبی قال : بعثتی رسول الله صلی الله علیه وسلم إلى قیصر صاحب الروم بكتاب فقلت : استأذنوا الرسول رسول الله صلی الله علیه وسلم . فأُتّی قیصر قفیل له : إن على الباب رجلاً يزعم أنه رسول رسول الله . ففرغ لذلك وقال : أدخله ، فادخله عليه وعنه بطريقه فأعطيته الكتاب فإذا فيه ، بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله إلى قیصر صاحب الروم . فَخَرَبْ ابْنُ أَخْ لَهُ أَحْمَرْ أَزْرَقْ سَبِطْ^(١) فقال : لا تقرأ الكتاب اليوم فإنه بدأ بنفسه وكتب : صاحب الروم ولم يكتب ملك الروم .

قال : فقرئ الكتاب حتى فرغ منه ، ثم أمرهم خرجوا من عنده ثم بعث إلى فدخلت عليه ، فسألني فأخبرته ، فبعث إلى الأسفاق فدخل عليه - وكان صاحب أمرهم يصدرون عن رأيه وعن قوله - فلما قرأ الكتاب قال الأسفاق : هو والله الذي بشرنا به موسى وعيسى الذى كنا ننتظر . قال قیصر : فما تأمرني ؟ قال الأسفاق : أما أنا فإني مصدقه ومتبّعه ، فقال قیصر : أعرف أنه كذلك ، ولكن لا أستطيع أن أفعل ، إن فعلت ذهب ملکي وقتلني الروم^(٢) .]

* * *

وبه قال محمد بن إسحاق ، عن خالد بن يسار ، عن رجل من قدماء أهل الشام قال : لما أراد هرقل الخروج من أرض الشام إلى القسطنطينية لما بلغه من أمر النبي صلی الله علیه وسلم جمِع الروم فقال : يا معاشر الروم إني عارض عليكم أموراً فانظروا فيها أردت بها . قالوا : ما هي ؟

قال : تعلمون والله أن هذا الرجل لنبي مُرسَل ، نجده نعرفه بصفاته التي وصف^(٣) لنا ، فهم فلتبعه فتسلّم لها دنيانا وآخرتنا^(٤) .

(١) السبط : الطويل .

(٢) سقط من ۱ .

(٣) ۱ : وصفت . (٤) ۱ : وأخرانا .

قالوا : نحن نكون تحت أيدي العرب ونحن أعظم الناس ملائكة ، وأكثرو
رجالا وأقصاء بليدا !

قال : فهم أعطيه الجزية كل سنة ، أكسر عن شوكته وأستريح من حربه بما أعطيه
إياه . قالوا : نحن نعطي العرب الذل والصغار بخراج يأخذونه منا ، ونحن أكثر الناس
عده ، وأعظمهم ملائكة ، وأمنته بليدا ! لا والله لا نفعل هذا أبدا .

قال : فهم فلأصالحه على أن أعطيه أرض سوريا ويدعى وأرض الشام . قال : وكانت
أرض سوريا فلسطين والأردن ودمشق وحمص ، وما دون الدرب [من أرض^(١)]
سوريا ، وما كان وراء الدرب عندهم فهو الشام .

قالوا : نحن نعطيه أرض سوريا ، وقد عرفت أنها سرّة^(٢) الشام ، لا نفعل
هذا أبدا .

فلمّا أبوا عليه قال : أما والله لترؤون^(٣) أنكم قد ظفرتم إذا امتنعتم منه في مدinetكم .
قال : ثم جلس على بغل له فانطلق ، حتى إذا أشرف على الدرب استقبل أرض الشام
ثم قال : السلام عليك يا أرض سوريا تسلّم الوداع . ثم ركب حتى دخل إلى القسطنطينية
والله أعلم .

ذكر إرساله عليه السلام إلى ملك العرب من النصارى الذين بالشام

قال ابن إسحاق : ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم شجاع بن وهب أخا بني
أسد بن خزيمة إلى المنذر بن الحارث بن أبي شمر الغساني صاحب دمشق^(٤) .
قال الواقدي : وكتب معه : « سلام على من اتبع المهدى وأمن به ، وأدعوك^(٥)
إلى أن تؤمن بالله وحده لا شريك له يبقى لك ملائكة » .

(١) سقطت من المطبوعة . (٢) الأصل : أنها أرض سوريا الشام . وما أتبته عن الطبرى ٦٥١ / ٣ .

(٣) الأصل : لتدون . والتوصيب من الطبرى . (٤) ابن هشام : بعث شجاع بن وهب الأسدى
إلى الحارث بن أبي شمر الغساني ملك تخوم الشام . (٥) إنى أدعوك .

فقدِم شجاع بن وهب فقرأه عليه فقال : ومن ينزع ملکي ! إنني سأسير إلَيْهِ .

ذَكْرِ بَعْثَتِهِ إِلَى كُسْرَى مَلَكِ الْفَرْسِ

روى البخاري من حديث الليث ، عن يونس ، عن الزهرى ، عن عبيدة الله بن عبد الله بن عتبة ، عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث بكتابه^(١) مع رجل إلى كسرى وأمره أن يدفعه إلى عظيم البحرين ، فدفعه عظيم البحرين إلى كسرى ، فلما قرأه كسرى مزّقه .

قال : فحسبت أن ابن المسيد قال : فدعوا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يمزّقوا كلَّ ممزّق .

وقال عبد الله بن وهب : عن يونس عن الزهرى ، حدثني عبد الرحمن بن القارى ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام ذات يوم على المنبر خطيباً فحمد الله وأثنى عليه وتشهد ثم قال : « أما بعد فإني أريد أن أبعث بعضكم إلى ملوك الأعاجم ، فلا تختلفوا على كَا اختلَفَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ عَلَى عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ » .

فقال المهاجرون : يا رسول الله إننا لا نختلف عليك في شيء أبداً فهمنا وابعثنا .
فبعث شجاع بن وهب إلى كسرى ، فأمر كسرى بابوئنه أن يزین ثم أذن لعظاء فارس ، ثم أذن لشجاع بن وهب ، فلما دخل عليه أمر كسرى بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقبض منه ، فقال شجاع بن وهب : لا حتى أدفعه أنا إليك كما أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال كسرى : ادنه . فدنا فناوله الكتاب .

ثم دعا كتاباً له من أهل الحيرة فقرأه فإذا فيه : « من محمد عبد الله ورسوله إلى كسرى عظيم فارس » قال : فأغضب به حين بدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه ، وصاح وغضب ومزّق الكتاب قبل أن يعلم ما فيه ، وأمر بشجاع بن وهب فأخرج ،

(١) : كتابه .

فَلَمَّا رأى ذَلِكَ قَعَدَ عَلَى رَاحْلَتِهِ ثُمَّ سَارَ، ثُمَّ قَالَ: وَاللَّهِ مَا أَبَلَى عَلَى أَيِّ الطَّرِيقَيْنِ أَكُونُ إِذَا
أَدَبَتُ كِتَابَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ!

قَالَ: وَلَا ذَهَبَ عَنْ كَسْرَى سَوْرَةٍ^(١) غَضْبُهِ بَعثَ إِلَى شَجَاعَ لِيَدْخُلَ عَلَيْهِ، فَالْتَّمَسَ
فِلْمَ يَوْجَدُ، فَطَلَبَ إِلَى الْحِيَرَةِ فَسَبَقَ.

فَلَمَّا قَدِمَ شَجَاعُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخْبَرَهُ بِمَا كَانَ مِنْ أَمْرِ كَسْرَى وَتَنْزِيقِهِ
لِكِتَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَرْزَقٌ
كَسْرَى مُذَكَّرٌ».

وَرَوَى مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ، عَنْ أَبِي سَلَّمَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَثَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ حُدَّافَةَ [بِكِتَابِهِ^(٢)] إِلَى كَسْرَى. فَلَمَّا قَرَأَهُ مَرْزَقٌ،
فَلَمَّا بَلَغَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَرْزَقٌ مُذَكَّرٌ».

* * *

وَقَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ^(٣)، حَدَّثَنَا سَلَّمَةُ، حَدَّثَنَا ابْنُ إِسْحَاقَ، عَنْ
يَزِيدَ بْنِ أَبِي حَبِيبٍ قَالَ: وَبَعَثَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ حُدَّافَةَ بْنَ قَيْسَ بْنَ عَلَى بْنِ سَعِيدَ بْنِ سَهْمٍ
إِلَى كَسْرَى بْنِ هُرْمَزِ مَلِكِ فَارِسٍ وَكَتَبَ مَعَهُ: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . مِنْ مُحَمَّدِ رَسُولِ
اللَّهِ إِلَى كَسْرَى عَظِيمٍ فَارِسٍ، سَلَامٌ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهَدَى، وَآمَنَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَشَهَدَ
أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَدْعُوكَ بِدُعَاءِ اللَّهِ،
فَإِنِّي أَنَا رَسُولُ اللَّهِ إِلَى النَّاسِ كَافِهُ لَا نَذَرٌ مِنْ كَانَ حَيَاً وَيَحْقِقُ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ . فَإِنْ
تُسْلِمَ تَسْلِمْ وَإِنْ أُبْيَتَ فَإِنِّي أَمْ حَجُوسٌ عَلَيْكَ».

قَالَ: فَلَمَّا قَرَأَهُ شَقَّهَ^(٤) وَقَالَ: يَكْتُبُ إِلَى بَهْذَا وَهُوَ عَبْدِي؟!

(١) نُورَةٌ .

(٢) لِيَسْتَ فِي ا .

(٣) الْطَّبَرِيُّ : مَرْزَقٌ .

(٤) غَيْرُ ا : حَدَّثَنَا أَمْرَأُ ابْنِ حَمِيدٍ .

قال : ثم كتب كسرى إلى باذام وهو نائب على الين : أن أبعث إلى هذا الرجل بالحجاز رجلاً من عندك جلدين فليأتيني به .

فبعث باذام ^(١) قهرمانه - وكان كاتباً حاسباً بكتاب فارس - وبعث معه رجلاً من الفرس يقال له خرخرة ^(٢) ، وكتب معهما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمره أن ينصرف معهما إلى كسرى وقال : لأنما ذويه ^(٣) : إيت بلاد هذا الرجل وكلمه وأئته بخبره .

نفرجا حتى قدما الطائف ، فوجدا رجلاً من قريش في أرض الطائف فسألوه عنه ، فقال : هو بالمدينة . واستبشر أهل الطائف - يعني وقريش - بهما وفرحوا . وقال بعضهم البعض : أبشروا فقد نصب له كسرى ملك الملوك ، كفيفم الرجل ! نفرجا حتى قدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكلمه أبا ذؤبه فقال : شاهنشاه ملك الملوك كسرى قد كتب إلى الملك باذام يأمره أن يبعث إليك من يأتيه بك ، وقد بعثني إليك لتنطلق معى ، فإن فعلت كتب لك إلى ملك الملوك ينفعك ويکف عنك ، وإن أبیت فهو من قد علمت ، فهو منها لك ومملوك ومحرب بلادك . ودخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد حلقا لها وأعفيها شواربها ، فذكره النظراء وإيموا وقال : « ويلكم من أمركم بهذا ! » قالا : أمرنا ربنا - يعنيان كسرى - فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ولكن ربى أسرى بإعفاء لحيتي وقص شاري » ثم قال : « ارجعا حتى تأتيني غداً » .

قال : وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر من السماء بأن الله قد سلط على كسرى ابنه شيرويه فقتلته .

(١) ١ : باذام . وفي الطبرى / ٦٥٥ : باذان . (٢) في الطبرى : خرخرة .

(٣) الطبرى : بابويه .

[فِي شَهْرٍ كَذَا وَكَذَا فِي نَيْلَةٍ كَذَا وَكَذَا مِنَ الْلَّيْلِ سَاطَ عَلَيْهِ ابْنُهُ شِيرُوْبِهِ فَقُتِلَهُ^(١) .]
قَالَ : فَدَعَاهَا فَأَخْبَرَهَا قَالًا : هَلْ تَدْرِي مَا تَقُولُ ؟ إِنَّا قَدْ تَقْمِنَا عَلَيْكَ مَا هُوَ أَسْرَرُ
مِنْ هَذَا ، فَكَتَبَ عَنْكَ بِهَذَا وَنَجَّبَ الْمَلِكَ بِإِذَامٍ ؟ قَالَ : « نَعَمْ أَخْبَرَاهُ ذَاكَ عَنِّي ، وَقَوْلَا
لَهُ : إِنْ دِينِي وَسُلْطَانِي سَيَبْلُغُ مَا بَلَغَ كَسْرَى وَيَنْهَى إِلَى الْخُلُفَ وَالْحَافِرَ ، وَقَوْلَاهُ : إِنْ
أَسْلَمْتَ أَعْطَيْتَكَ مَا تَحْتَ يَدِيكَ وَمَلَّكْتَكَ عَلَى قَوْمِكَ مِنَ الْأَبْنَاءِ » .

أَعْطَى خَرْرَةً مِنْ طَافَةً فِيهَا ذَهْبٌ وَفَضَةٌ كَانَ أَهْدَاهَا إِلَيْهِ بَعْضُ الْمَلُوكِ .

نَفَرَ جَا مِنْ عَنْهُ حَتَّى قَدِمَ مَا عَلَى بِإِذَامٍ فَأَخْبَرَاهُ الْخَبَرَ فَقَالَ : وَاللَّهِ مَا هُوَ ذَاكَ بِكَلَامِ مَلِكٍ ،
وَإِنِّي لَأَرَى الرَّجُلَ نَبِيًّا كَمَا يَقُولُ ، وَلَمْ يَكُونْنَ مَاقِدًا قَالَ ، فَلَئِنْ كَانَ هَذَا حَقًّا فَهُوَ نَبِيٌّ
مَرْسَلٌ ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فَسَنْرِي فِيهِ رَأْيُنَا .

فَلَمْ يَنْشَبْ بِإِذَامٍ أَنْ قَدِمَ عَلَيْهِ كِتَابٌ شِيرُوْبِهِ : أَمَا بَعْدُ ؛ فَإِنِّي قَدْ قَتَلْتُ كَسْرَى ،
وَلَمْ يَقْتُلْهُ إِلَّا غَضِبًا لِفَارِسٍ لِمَا كَانَ اسْتَحْلَلَ مِنْ قَتْلِ أَشْرَافِهِمْ وَتَحْرِمَ^(٢) فِي ثَغُورِهِمْ ، فَإِذَا
جَاءَكَ كِتَابِي هَذَا نَفَذَ لِلِطَّاعَةِ مِنْ قِبَلِكَ ، وَانْطَلَقَ إِلَى الرَّجُلِ الَّذِي كَانَ كَسْرَى قَدْ
كَتَبَ فِيهِ فَلَا تَرْجِعْهُ حَتَّى يَأْتِيَكَ أَمْرِي فِيهِ .

فَلَمَّا اتَّهَى كِتَابُ شِيرُوْبِهِ إِلَى بِإِذَامٍ قَالَ : إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ لَرَسُولٌ . فَأَسْلَمْتَ
الْأَبْنَاءَ مِنْ فَارِسٍ مَنْ كَانَ مِنْهُمْ بِالْمِينِ .

قَالَ : وَقَدْ قَالَ بِإِذْوَبِهِ لِبِإِذَامٍ : مَا كَلَّتْ أَحَدًا أَهِيبَ عَنْدِي مِنْهُ . فَقَالَ لَهُ بِإِذَامٍ :
هَلْ مَعَهُ شُرَطٌ ؟ قَالَ : لَا .

* * *

قَالَ الْوَاقْدِي رَحْمَهُ اللَّهُ : وَكَانَ قُتْلَ كَسْرَى عَلَى يَدِي ابْنِهِ شِيرُوْبِهِ لِيَلَةَ الْثَّلَاثَاءِ
لِعَشْرِ لِيَالٍ مُضَيَّنِ مِنْ جَمَادِي الْآخِرَةِ ، مِنْ سَنَةِ سَبْعٍ مِنَ الْهِجَرَةِ لِسَتْ سَاعَاتٍ مُضَيَّنَتِهَا .

(٢) ١ : وَغَيْرُهُمْ . وَفِي الطَّبْرِي ٦٥٦ / ٢ وَتَحْمِيمُهُمْ . أَيْ حَبِّهِمْ .

(١) لَيْسَ فِي ا .

قلت : وفي شعر بعضهم ما يرشد أن قتله كان في شهر حرام وهو قول بعض الشعراء :

قتلوا كسرى بليل محرما فتولى لم يمتنع بكفافن
وقال بعض شعراء العرب ^(١) :

وَكِسْرَى إِذْ تَقَاسَمَهُ بَنُوهُ بِأَسِيفَ كَا اقْسُمَ الْلَّحَامُ
تَخَضَّتَ الْمَنُونُ لَهُ يَوْمٌ أَتَى ^(٢) وَلَكُلٌّ حَامِلٌ تَهَامُ

وروى الحافظ البهقي من حديث حمّاد بن سلامة ، عن حميد ، عن الحسن ، عن أبي بكر ، أن رجلاً من أهل فارس أتى رسول الله صلّى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلم : « إن ربي قد قتل الليلة ربك ». .

قال : وقيل له : - يعني النبي صلّى الله عليه وسلم - : إنه قد استخلف ابنته . فقال : « لا يفلح قوم تملّكهم امرأة » .

قال البهقي : وروى في حديث دخية بن خليفة أنه لما راجع من عند قيسرو جد عبد رسول الله صلّى الله عليه وسلم رسّل كسرى ، وذالك أن كسرى بعث بتوعد صاحب صنعة ويقول له : ألا تكفيني أمر رجل قد ظهر بأرضك يدعوني إلى دينه ؟ ! لتكفيته أو لأفعلن بك .

بعث إليه ، فقال لرسّله : « أخبروه أن ربي قد قتل ربه الليلة » فوجدوه كما قال .

قال : وروى داود بن أبي هند ، عن عاص الشعبي نحو هذا .

ثم روى البهقي من طريق أبي بكر بن عيّاش ، عن داود بن أبي هند ، عن أبيه ، عن أبي هريرة قال : أقبل سعد إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلم فقال : « إن في وجه

(١) ورد هذه البيتان في الجزء الأول من هذا الكتاب ص ٤٩ من مسوبيه إلى خالد بن حق الشيباني .

(٢) سبقت الرواية : ألا . انظر الجزء الأول ص ٤٩ .

سعد خبراً «فقال : يا رسول الله هلاك كسرى ، أول الناس هلاكاً فارس ثم العرب ». .

قلت : الظاهر أنه لما أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بهلاك كسرى لذينك الرجلين ، يعني الأميرين اللذين قدموا من نائب الدين باذام ، فلما جاء الخبر بوفيق ما أخبر به عليه السلام وشاع في البلاد وكان سعد بن أبي وقاص أول من سمع ، جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بوفيق إخباره عليه السلام . وهكذا بنحو هذا التقرير ذكره البهقي رحمه الله .

* * *

ثم روى البهقي من غير وجه عن الزهرى ، أخبرنى أبو سلمة بن عبد الرحمن ، أنه بلغه أن كسرى بينما هو فى دسكرة ملكه بعث له - أو قيضاً له - عارض يعرض عليه الحق فلم يفجأ كسرى إلا برجل^(١) يمشى وفي يده عصاً فقال : يا كسرى هل لك فى الإسلام قبل أن أكسر هذه العصا ؟ فقال كسرى : نعم لا تكسرها . فولى الرجل . فلما ذهب أرسل كسرى إلى حجاجه فقال : من أذن لهذا الرجل على ؟ فقالوا : مادخل عليك أحد . فقال : كذبتم ، قال : ففضب عليهم وتهددهم ثم تركهم . قال : فلما كان رأس الحوول أتى ذلك الرجل ومعه العصا ، فقال : يا كسرى هل لك فى الإسلام قبل أن أكسر هذه العصا ؟ قال : نعم لا تكسرها .

فلما انصرف عنه دعا حجاجه فقال لهم كالمرة الأولى .

فلما كان العام المستقبلاً أتاه ذلك الرجل معه العصا فقال له : هل لك يا كسرى في الإسلام قبل أن أكسر العصا ؟ فقال : لا تكسرها لا تكسرها . فكسرها^(٢) .

(١) (٢) : لا تكسرها . فكسرها

(١) (٢) بالرجل .

فأهلَكَ اللهُ كسرى عند ذلك .

* * *

وقال الإمام الشافعى : أَبْنَا نَا ابْنَ عُيْنَةَ ، عَنِ الزَّهْرَى ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمَسِيبِ ، عَنْ أَبِي هَرِيرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « إِذَا هَلَكَ كُسْرَى فَلَا كُسْرَى بَعْدَهُ ، وَإِذَا هَلَكَ قِيَصَرُ فَلَا قِيَصَرُ بَعْدَهُ ، وَالَّذِي ^(١) نَفْسِي يَمْدُهُ لِتُتَفَقَّنَ كُنُوزُهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ » .

أخرجَهُ مُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُيْنَةَ وَأَخْرَجَهُ مِنْ حَدِيثِ الزَّهْرَى بِهِ .

قال الشافعى : وَلَمَّا أُتِيَ كُسْرَى بِكِتَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ زَقَّهُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « يَمْزَقُ مُذْكُورَهُ » . وَحَفَظَنَا أَنَّ قِيَصَرًا كَرِمًا كَتَبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَضُعْهُ فِي مِسْكٍ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « ثَبَّتْ مُلْكُهُ » .

قال الشافعى وغيره من العلماء : وَلَمَّا كَانَتِ الْعَرَبُ تَأْتِي الشَّامَ وَالْعَرَاقَ لِلتِّجَارَةِ فَأَسْلَمَ مَنْ أَسْلَمَ مِنْهُمْ ، شَكَوْا خَوْفَهُمْ مِنْ مَلَكِ الْعَرَاقِ وَالشَّامِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : « إِذَا هَلَكَ كُسْرَى فَلَا كُسْرَى بَعْدَهُ ، وَإِذَا هَلَكَ قِيَصَرُ فَلَا قِيَصَرُ بَعْدَهُ » .

قال : فِي بَادَ مُلْكِ الْأَكْسَرَةِ بِالْكَلِيَّةِ ، وَزَالَ مُلْكُ قِيَصَرٍ عَنِ الشَّامِ بِالْكَلِيَّةِ ، وَإِنْ ثَبَّتْ لَهُمْ مُلْكٌ فِي الْجَلَلَةِ ، بِرَبْكَةِ دُعَاءِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَهُمْ حِينَ عَظَّمُوا كِتَابَهُ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

قلت : وفي هذا بشارة عظيمة بأن مُلْكَ الرُّومَ لا يَمُودُ أَبْدًا إِلَى أَرْضِ الشَّامِ .

وَكَانَتِ الْعَرَبُ تَسْعَى قِيَصَرَ لِمَنْ مُلْكَ الشَّامَ مَعَ الْجَزِيرَةِ مِنَ الرُّومِ ، وَكُسْرَى لِمَنْ مُلْكَ الْفُرْسِ ، وَالنَّجَاشِي لِمَنْ مُلْكَ الْجَبَشَةِ ، وَالْمَقْوَسُ لِمَنْ مُلْكَ الإِسْكَنْدَرِيَّةِ ، وَفَرْعَوْنُ

(١) غيرها : فوالذى .

لمن ملك مصر كافراً، وبطليموس لمن ملك الهند . ولهم أعلام أجناس غير ذلك ، وقد ذكرناها في غير هذا الموضع^(١) والله أعلم .

وروى مسلم عن قتيبة وغيره عن أبي عوانة ، عن سماك ، عن جابر بن سمرة قال :
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَقْفَتْحُنَّ عَصَابَةً مِنَ الْمُسْلِمِينَ كَفُوزَ كَسْرَى
فِي الْقَصْرِ الْأَيْضَ ». .

وروی أسباط ، عن سماك ، عن جابر بن سمرة مثل ذلك وزاد : وَكُنْتُ أَنَا وَأَبِي فَبِهِمْ فَأَصْبَنَا مِنْ ذَلِكَ أَلْفَ دِرْهَمٍ .

بَعْثَةٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى الْمَقْوُسِ

صاحب مدينة الإسكندرية ، واسمها جريج بن مينا القبطي

قال يونس بن بكيير عن ابن إسحاق : حدثني الزهرى ، عن عبد الرحمن بن عبد القارى ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث حاطبَ بن أبي بلقمة إلى المقوس صاحب الإسكندرية ، فمضى بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه ، فقبل الكتاب وأكرم حاطباً وأحسن تزمه وسرّه إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، وأهدى له مع حاطب كسوةً وبغلةً بسرجها وجاريتين إحداها أم إبراهيم ، وأما الأخرى فوهبها رسول الله صلى الله عليه وسلم لحمد بن قيس العبدى .
رواه البهقى .

ثم روى من طريق عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، عن أبيه حدثنا يحيى بن عبد الرحمن
ابن حاطب ، عن أبيه ، عن جده حاطب بن أبي بلتقة قال : بعثني رسول الله صلى الله عليه
وسلم إلى الموقس ملك الإسكندرية ، قال : فجئته بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزاني
في منزله وأقمت عنده ، ثم بعث إلى وقد جمع بطارقه وقال : إني سأئلك عن كلام
فاحب أن تفهم عني . قال : قلت : هلم . قال أخبرني عن صاحبك أليس هو نبي ؟ قلت : بل

هو رسول الله . قال : فما له حيث كان هكذا لم يدع على قومه حيث أخر جوه من بلده إلى غيرها ؟ قال : فقلت : عيسى بن مريم أليس تشهد أنه رسول الله ؟ قال : بلى . قلت : فما له حيث أخذه قومه فأرادوا أن يصلبوه ، لا يكون دعا عليهم بأن يهلكهم الله حيث رفعه الله إلى السماء الدنيا ؟ فقال لي : أنت حكيم قد جاء من عند حكيم ، هذه هدايا أبعث بها معك إلى محمد ، وأرسل معك بيذرقة^(١) يُبَذِّرُ قونك إلى مأمنك .

قال : فأهدى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة جوار منهن أم إبراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وواحدة وهبها رسول الله صلى الله عليه وسلم لحسان ابن ثابت الأنصاري ، وأرسل إليه بطرف من طرفهم .

وذكر ابن إسحاق أنه أهدى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع جوار إحداهن مارية أم إبراهيم ، والأخرى سيرين التي وهبها لحسان بن ثابت فولدت له عبد الرحمن بن حسان قلت : وكان في جملة المدية غلام أسود خصي اسمه مأبور ، وخفان ساذجان أسودان وبغله بيضاء اسمها الدليل .

وكان مأبور هذا خصيًا ولم يعلمه بأمره^(٢) بادئ الأمر ، فصار يدخل على مارية ، كما كان من عاداتهم ببلاد مصر ، فجعل بعض الناس يتكلم فيما بسبب ذلك ولا يعلمون بحقيقة الحال وأنه خصي ، حتى قال بعضهم : إنه الذي أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبي طالب بقتله فوجده خصيافتركه . والحديث في صحيح مسلم من طريق [جاد بن سلمة] قال ابن إسحاق : وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سليمان بن عمرو بن عبدود آخاً بن عامر بن لؤي إلى هوذة بن على صاحب اليمامة . وبعث العلاء بن الحضرمي إلى جيفر ابن الجلندي وعمار بن الجلندي الأزديين صاحبي عمان^(٣) .

(١) البذرقة : الخفارة . (٢) انظر الإصابة ٦ / ١٣ .

(٣) ابن هشام : بعث العلاء بن الحضرمي إلى المنذر بن ساوي العبدى ملك البحرين . وبعث عمرو بن العاص السهمي إلى جيفر وعبد ابن الجلندي . وبعث سليمان بن عمرو . . إلى ثامة بن أثال وهو ذة بن على .

غزوة ذات السلاسل

ذكرها الحافظ البهقى ها هنا قبل غزوة الفتح ، فساق من طريق موسى بن عقبة وعروة بن الزبير قالا : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن العاص إلى ذات السلاسل من مشارف الشام في بلق وعبد الله ومن بهم من قضاة .

قال عروة بن الزبير : وبنو بَلَى أخوالُ العاص بن وائل ، فلما صار إلى هناك خاف من كثرة عدوه ، فبعث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستمدده ، فندب رسول الله صلى الله عليه وسلم المهاجرين الأولين فانتدب أبو بكر وعمرو في جماعة من سراة المهاجرين رضي الله عنهم أجمعين ، وأمر عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو عبيدة ابن الجراح .

قال موسى بن عقبة : فلما قدموا على عمرو قال : أنا أميركم وأنا أرسلت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم استمدده بكم . فقال المهاجرون : بل أنت أمير أصحابك وأبو عبيدة أمير المهاجرين . فقال عمرو : إنما أنت مَدَّ أَمْدِ دَتَه .

فلما رأى ذلك أبو عبيدة - وكان رجلاً حسن الخلق لَيْن الشَّيْمة - قال : تعلم يا عمرو أن آخر ما عهدت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن قال : « إذا قادمتَ على صاحبك فقطّوا عَهْدَه » وإنك إن عصيتني لا أطيعنك . فسلم أبو عبيدة الإمارة لعمرو ابن العاص .

وقال محمد بن إسحاق : حدثني محمد بن عبد الرحمن بن الحسين التميمي ،
قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن العاص يستنفر العرب إلى الإسلام^(١)

(١) ابن هشام : إلى الشام . وعلمه تحريف .

وذلك أن أم العاص بن وائل كانت من بني بَلَىٰ ، فبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم يتألفهم بذلك ، حتى إذا كان على ماء بأرض جذام يقال له السلاسل - وبه سميت تلك الغزوة ذات السلاسل - قال : فلما كان عليه وخف بعث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستقدمه ، فبعث إليه أبو عبيدة بن الجراح في المهاجرين الأولين ، فيهم أبو بكر وعمر ، وقال لأبي عبيدة حين وجده : « لا تختلفا » .

خرج أبو عبيدة حتى إذا قدم عليه قال له عمرو : إنما جئت مددًا لي ، فقال له أبو عبيدة : لا ولكنني على ما أنا عليه وأنت على ما أنت عليه .
وكان أبو عبيدة رجلاً ليناً سهلاً ، هينًا عليه أمرُ الدنيا . فقال له عمرو : [بل]^(١) أنت مددى . فقال له أبو عبيدة : يا عمرو إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قال لي : « لا تختلفا » وإنك إن عصيتنى أطعنى فقال له عمرو : فإني أميرٌ عليك وإنما أنت مددلى .
قال : فدونك . فصلى عمرو بن العاص بالناس .

* * *

وقال الواقدي : حدثني ربيعة بن عثمان ، عن يزيد بن رومان ، أن أبو عبيدة لما آتى إلى عمرو بن العاص فصاروا خمسة أيام فساروا الليل والنهار حتى وطئ بلاد بَلَىٰ ودوخها ، وكلما انتهى إلى موضع بلغه أنه قد كان بهذا الموضع جمع فلما سمعوا بك^(٢) تفرقوا ، حتى انتهى إلى أقصى بلاد بَلَىٰ وعدرة وبليقين ، ولقي في آخر ذلك جموعاً ليس بالكثير فاقتتلوا ساعة ، وتراموا بالليل ساعة ، ورمي يومئذ عامر بن ربيعة وأصيبت ذراعه ، وحمل المسلمون عليهم فهزموا وأعجزوا هرباً في البلاد وتفرقوا ، ودخل عمرو ماهناك وأقام أيامًا لا يسمع لهم جموع ولا مكان صاروا فيه ، وكان يبعث أصحابَ الخيل فيأتون بالشاء والنعم ، فـ كانوا ينحررون ويدبحون ولم يكن في ذلك أكثراً من ذلك ، ولم تكن غنائم تقسم .

(١) من ابن هشام .

(٢) : « بذلك » .

وقال أبو داود ، حدثنا ابن الشنقي ، حدثنا وهب بن جرير ، حدثنا أبي ، سمعت يحيى ابن أبويوب يحدث عن يزيد بن أبي حبيب ، عن عمران بن أنس ، عن عبد الرحمن ابن جعير ، عن عمرو بن العاص ، قال : احتملتُ في ليلة باردة في غزوة ذات السلاسل ، فأشفقت إن اغتسلت أن أهلاك ، قال : فتيممت ثم صليت بأصحابي الصبح ، فذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « يا عمرو صليت بأصحابك وأنت جنبا ؟ » قال : فأخبرته بالذى منعنى من الاغتسال وقت : إنى سمعت الله يقول : « ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيمًا » فضحك نبى الله صلى الله عليه وسلم ولم يقل شيئا .

حدثنا محمد بن سلمة [أخبرنا ابن وهب] ^(١) حدثنا ابن همزة ^(٢) وعمرو بن الحارث ، عن يزيد بن أبي حبيب ، عن عمران بن أنس ، عن عبد الرحمن بن جعير ^(٣) ، عن أبي قيس مولى عمرو بن العاص - وكان على سبة ^(٤) فذكر الحديث بنحوه - قال : ففصل مفاصنه وتوضأ ^(٥) وضوء للصلوة ثم صلى بهم . فذكر نحوه ولم يذكر التيمم .

قال أبو داود : وروى هذه القصة عن الأوزاعي ، عن حسان بن عطية ، وقال فيه : فتيمم .

وقال الواقدى : حدثنى أفلح بن سعيد ، عن أبي عبد الرحمن بن رقيش ، عن أبي بكر بن حزم قال : كان عمرو بن العاص حين فقلوا احتمل في ليلة باردة كأشد ما يكون من البرد ، فقال لأصحابه : ماترون والله ، احتملت فإن اغتسلت مت . فدعوا بهاء فتوضا وغسل فرجه وتيمم ، ثم قام فصلى بهم ، فـ كان أول من بعث عوف بن مالك برـ يداً .

(١) من سنن أبي داود . (٢) سنن أبي داود : عن ابن همزة .

(٣) قال أبو داود : عبد الرحمن بن جعير مصرى مولى خارجة بن حذافة ، وليس هو ابن جعير بن نمير .

(٤) أبو داود : أن عمرو بن العاص كان على سرية . (٥) المغابن : بواطن الأفخاذ .

قال عوف : فقدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في السحر وهو يصلى في بيته ، فسلمت عليه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « عوف بن مالك ؟ » فقلت : عوف بن مالك يارسول الله . قال : « صاحب الجزور ؟ » قلت : نعم . ولم يزد على هذا بعد ذلك شيئاً . ثم قال : « أخبرني » فأخبرته بما كان من مسيرةنا وما كان بين أبي عبيدة وعمرو ومطاؤة أبي عبيدة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يرحم الله أبو عبيدة بن الجراح » .

قال : ثم أخبرته أن عمراً صلى بالناس وهو جنوب ومعه ماء ، لم يزد على أن غسل فرجه وتوضأ . فسكتَ رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فاما قدم عمرو على رسول الله صلى الله عليه وسلم سأله عن صلاته فأخبره فقال : والذى بعثك بالحق إنى لو اغتسلت لمت ، لم أجد برداً قط مثله ، وقد قال تعالى : « ولا تقتلو أنفسكم إن الله كان بكم رحيمًا » .

قال : فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يبلغنا أنه قال شيئاً .

* * *

وقال ابن إسحاق : حدثني يزيد بن أبي حبيب ، عن عوف بن مالك الأشجعي ، قال : كنت في الغزوة التي بعث فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن العاص ، وهي غزوة ذات السلاسل ، فصحيبتُ أبا بكر و عمر ، ففررت بقوم وهم على جزور قد نحروها وهم لا يقدرون على أن يبعضوها ، وكنت أمرءاً جازراً ، فقلت لهم : تعطوني منها عشرة^(١) على أن أقسمها بينكم ؟ قالوا : نعم . فأخذت الشفرة خذتها مكاني ، وأخذت منها جزءاً فحملته إلى أصحابي فاطبخناه وأكلناه ، فقال أبو بكر و عمر : أتى لك

(١) العشر : النصيب من لحم الجزور . وفي ١ : عشيراً .

هذا اللحم ياعوف؟ فأخبرتهما فقالا: لا والله ما أحسنت حين أطعمننا هذا. ثم قاما يتقىآن مافي بطونهما منه.

فلمـاـأـنـ قـفـلـ النـاسـ مـنـ ذـلـكـ السـفـرـ كـفـتـ أـوـلـ قـادـمـ عـلـىـ رـسـوـلـ اللهـ صـلـيـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ فـجـتـهـ وـهـ يـصـلـيـ فـيـ بـيـتـهـ ، فـقـلـتـ : السـلـامـ عـلـيـكـ يـارـسـوـلـ اللهـ وـرـحـمـةـ اللهـ وـبـرـكـاتـهـ .
فـقـالـ : «أـعـوـفـ بـنـ مـالـكـ؟» فـقـلـتـ : نـعـمـ بـأـبـيـ أـنـتـ وـأـمـيـ . فـقـالـ : «صـاحـبـ الـجـزـورـ؟»
وـلـمـ يـزـدـ عـلـىـ ذـلـكـ شـيـتاـ .

هـكـذـاـ روـاهـ مـحـمـدـ بـنـ إـسـحـاقـ ، عنـ يـزـيدـ بـنـ أـبـيـ حـبـيـبـ ، عنـ عـوـفـ بـنـ مـالـكـ ، وـهـ
مـنـ قـطـعـ بـلـ مـعـضـلـ .

قالـ الـحـافـظـ الـبـيـهـقـيـ : وـقـدـ روـاهـ اـبـنـ لـهـيـعـةـ وـسـعـيـدـ بـنـ أـبـيـ أـيـوبـ ، عنـ يـزـيدـ بـنـ أـبـيـ
جـبـيـبـ ، عنـ رـبـيـعـةـ بـنـ لـقـيـطـ ، عنـ مـالـكـ بـنـ زـفـدـ ، أـظـنـهـ عـنـ عـوـفـ بـنـ مـالـكـ
فـذـكـرـ نـحـوـ إـلـاـ أـنـهـ قـالـ : فـعـرـضـتـهـ عـلـىـ عـمـ فـسـانـيـ عـنـهـ فـأـخـبـرـتـهـ فـقـالـ : قـدـ تـعـجـلـتـ
أـجـرـكـ وـلـمـ يـأـكـلـهـ .

ثـمـ حـكـيـ عنـ أـبـيـ عـبـيـدـةـ مـثـلـهـ ، وـلـمـ يـذـكـرـ فـيـهـ أـبـاـبـكـرـ ، وـتـمـامـهـ كـنـحـوـ مـاـتـقـدـمـ .

* * *

وقـالـ الـحـافـظـ الـبـيـهـقـيـ : أـنـبـاـنـاـ أـبـوـ عـبـدـ اللهـ الـحـافـظـ وـأـبـوـ سـعـيـدـ بـنـ أـبـيـ عـمـرـ وـقـالـ : حـدـثـنـاـ
أـبـوـ الـعـبـاسـ مـحـمـدـ بـنـ يـعـقـوبـ الـأـصـمـ ، حـدـثـنـاـ يـحـيـيـ بـنـ أـبـيـ طـالـبـ ، حـدـثـنـاـ عـلـىـ بـنـ
عـاصـمـ ، حـدـثـنـاـ خـالـدـ الـحـذـاءـ ، عنـ أـبـيـ عـمـانـ التـنـهـيـ ، سـمـعـتـ عـمـروـ بـنـ الـعـاصـ يقولـ :
بـعـشـنـيـ رـسـوـلـ اللهـ صـلـيـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ عـلـىـ جـيـشـ ذاتـ السـلاـسـلـ ، وـفـيـ الـقـوـمـ أـبـوـ بـكـرـ وـعـمـ ،
خـدـدـتـ نـفـسـيـ أـنـهـ لـمـ يـبـعـشـنـيـ عـلـىـ أـبـيـ بـكـرـ وـعـمـ إـلـاـ لـمـزـلـةـ لـيـ عـنـهـ ، قـالـ : فـأـتـيـتـهـ حـتـىـ قـدـتـ
بـيـنـ يـدـيـهـ فـقـلـتـ : يـارـسـوـلـ اللهـ مـنـ أـحـبـ النـاسـ إـلـيـكـ؟ قـالـ : «عـائـشـةـ؟» ؟ قـلـتـ : إـنـيـ
لـسـتـ أـسـأـلـكـ عـنـ أـهـلـكـ . قـالـ : «فـأـبـوـهـاـ» ؟ قـلـتـ : ثـمـ مـنـ؟ قـالـ : «عـمـ» ؟ قـلـتـ : ثـمـ
مـنـ؟ حـتـىـ عـدـدـ رـهـطاـ . قـالـ : قـلـتـ فـيـ نـفـسـيـ : لـأـعـوـدـ أـسـأـلـ عـنـ هـذـاـ .

وهذا الحديث خرج في الصحيحين من طريق خالد بن مهران الحذاء ، عن أبي عثمان النهدي ، واسميه عبد الرحمن بن مل ، حدثني عمرو بن العاص ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه على جيش ذات السلاسل ، فأتيته فقلت : أى الناس أحب إليك ؟ قال : « عائشة » قلت : فمن الرجال ؟ قال : « أبوها » قلت : ثم من ؟ قال : « ثم عمر بن الخطاب » فعدّ رجلا . وهذا لفظ البخاري . وفي رواية قال عمرو : فسكت خافة أن يجعلنى في آخرهم .

سرية أبي عبيدة إلى سيف البحر

قال الإمام مالك ، عن وهب بن كيسان ، عن جابر ، قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثاً قبل الساحل وأمر عليهم أبو عبيدة بن الجراح وهم ثلاثة . قال جابر : وأنا فيهم .

خرجنا حتى إذا كنا ببعض الطريق فني الزاد فأسر (١) أبو عبيدة بأزواد ذلك الجيش فجمع كلهم ، فكان مزودي تمرا ، فكان يقوتنا كل يوم قليلاً قليلاً حتى فني ولم يكن يصيغنا إلا تمرة تمرة ، قال : فقلت : وما تفتقى تمرة ؟ فقال : لقد وجدنا فقدّها حين فنِيت !

قال : ثم انتهينا إلى البحر فإذا حوت مثل الظرب (٢) . قال : فاكمل منه ذلك الجيش ثمانى عشرة ليلة ، ثم أمر أبو عبيدة بصلعين من أصلاده فنصبا ، ثم أمر براحته فرحلت ثم مرتحمما فلم يصبهما .

آخر جاه في الصحيحين من حديث مالك بنحوه .

وهو في الصحيحين أيضاً من طريق سفيان بن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، عن جابر

(١) غير ا : فأتوا أبو عبيدة .

(٢) الظرب : الجبل المنبسط أو الصغير .

قال : بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثلاثة أيام راكب وأميرنا أبو عبيدة بن الجراح نَرَضَدَ عِيرَاً لِقُرَيْشٍ ، فَاصْبَنَا جَوْعَ شَدِيداً حَتَّى أَكَلَنَا الْخَبَطَ^(١) ، فَسَمِيَ ذَلِكَ الْجِيشُ بِحَيْشَ الْخَبَطِ . قال : وَنَحْرَ رَجُلٌ ثَلَاثَ جَزَائِرٌ ثُمَّ نَحْرَ ثَلَاثَ جَزَائِرٍ ثُمَّ ثَلَاثَ . فَهَاهُ أَبُو عَبِيدَةَ . قال : وَأَلْقَى الْبَحْرُ دَابَّةً يَقَالُ لَهَا الْعَنْبَرُ ، فَأَكَلَنَا مِنْهَا نَصْفَ شَهْرٍ وَادْهَنَتِهَا حَتَّى ثَابَتِ إِلَيْنَا أَجْسَامُنَا وَصَلَحَتِ . ثُمَّ ذَكَرَ قَصْةَ الْضَلْعِ .

فَقَوْلُهُ فِي الْحَدِيثِ : « نَرَضَدَ عِيرَاً لِقُرَيْشٍ » دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ هَذِهِ السُّرِّيَّةَ كَانَتْ قَبْلَ صَلْحِ الْحَدِيبِيَّةِ . وَاللهُ أَعْلَمُ . وَالرَّجُلُ الَّذِي نَحَرَ لَمَّا الْجَزَائِرَ هُوَ قَيْسُ بْنُ سَعْدٍ بْنُ عَبَادَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا .

* * *

وَقَالَ الْحَافِظُ البَيْهِقِيُّ : أَبْنَاءُنَا أَبُو بَكْرٍ بْنُ إِسْحَاقَ ، حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ قَيْبَةَ ، حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى ، حَدَّثَنَا أَبُو خَيْثَمَةَ ، وَهُوَ زَهِيرُ بْنُ مَعَاوِيَةَ ، عَنْ أَبِي الزَّبِيرِ ، عَنْ جَابِرٍ ، قَالَ : بَعَثَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَمْرَ عَلَيْنَا أَبَا عَبِيدَةَ تَنَاقِ عِيرَاً لِقُرَيْشٍ ، وَزَوَّدَنَا جَرَابَاً مِنْ تَمْرٍ لَمْ يَجِدْ لَنَا غَيْرَهُ ، فَنَكَانَ أَبُو عَبِيدَةَ يَعْطِينَا تَمْرَةً تَمْرَةً . قَالَ فَقَلَتْ : كَيْفَ كُنْتُمْ تَصْنَعُونَ بِهَا؟ قَالَ : كَنَا نَصْهَارًا كَمَا يَصْهَارُ الصَّبْيُ ثُمَّ نَشَرَبُ عَلَيْهَا الْمَاءَ فَكَفَيْنَا يَوْمَنَا إِلَى الْلَّيْلِ . وَكَنَا نَضَرُبُ بِعَصِينَا الْخَبَطَ ثُمَّ نَبْلُهُ بِالْمَاءِ فَنَأَكِلُهُ .

قَالَ : فَانْطَلَقْنَا إِلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ فَرَفِعْنَا عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ كَثِيرَ الْكَثِيرِ الْضَّخْمِ ، فَأَتَيْنَاهُ فَإِذَا بِهِ دَابَّةً تَدْعِيَ الْعَنْبَرَ ، فَقَالَ أَبُو عَبِيدَةَ : مَيْتَةٌ . ثُمَّ قَالَ : لَا بَلَّ نَحْنُ رَسُولُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفِي سَبِيلِ اللهِ ، وَقَدْ اضْطُرَرْنَا فَكَلَوْا . قَالَ : فَأَقْنَا عَلَيْهِ شَهْرَا وَنَحْنُ ثَلَاثَةٌ حَتَّى سَمَّنَا ، وَلَقَدْ كَنَا نَغْرِفُ مِنْ وَقْبٍ^(٢) عَيْنِهِ بِالْقَلَالِ الدُّهْنَ ،

(٢) الْوَقْبُ : كُلُّ نَقْرَةٍ فِي الْجَسَدِ كَنْقَرَةُ الْعَيْنِ وَالْكَتْفِ .

(١) الْخَبَطُ : وَرْقُ الشَّجَرِ .

ونقطع منه القدر كالثور أو كقدر الثور ، ولقد أخذ منها أبو عبيدة ثلاثة عشر رجلاً فاقعدهم في عينه ، وأخذ ضلعاً من أضلاعه فأقامها ثم رحل أعظم بغير منها فرتحتها ، وتروّدنا من لحمها وشائق^(١) ، فلما قدمنا المدينة أتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرنا ذلك له فقال: « هو رزق أخرجه الله لكم ، فهل معكم شيء من لحمه تطعمونا؟ » قال : فأرسلنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأكل منه .

ورواه مسلم عن يحيى بن يحيى ، وأحمد بن يونس وأبو داود عن التفيلي ، ثلاثة عن أبي خيثة زهير بن معاوية الجعفي السكري ، عن أبي الزبير محمد بن مسلم بن تدرس المكي عن جابر بن عبد الله الأنصاري به .

قلت : ومتى هذه السيارات أن هذه السريعة كانت قبل صلح الحديبية ، ولكن أوردناها هاهنا تبعاً للحافظ البيهقي رحمة الله ، فإنه أوردتها بعد موته وقبل غزوة الفتح . والله أعلم .

وقد ذكر البخاري بعد غزوة مؤتة سريعةً أسامة بن زيد إلى الحرقات من جهة نجد فقال : حدثنا عمرو بن محمد ، حدثنا هشيم ، أئبنا حسين بن جذب ، حدثنا أبو ظبيان ، قال : سمعت أسامة بن زيد يقول : بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الحرقات فصيّحنا القومَ فهزّناهم ، ولحقت أنا ورجلٌ من الأنصار رجلاً منهم ، فلما غشيناه قال : لا إله إلا الله . فكفت الأنصارىُّ وطعنته برمحٍ حتى قتلتة ، فلما قدمنا بلَغَ النبيَّ صلى الله عليه وسلم فقال : « يا أسامة أقتلتكَ بعد ما قال لا إله إلا الله؟ » قلت : كان متعدداً ، فما زال يذكرها حتى تمنيت أن لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم .

وقد تقدم هذا الحديث والكلام عليه فيما سلف .

(١) الوشائق : جمع وشقة ، وهي لحم يجدد حتى يبس .

ثم روى البخارى من حديث يزيد بن أبي عبيد ، عن سلمة بن الأكوع قال : غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سبع غزوات وخرجت فيما يبعث من البعث تسع غزوات ، علينا مرة أبو بكر ومرة أسماء بن زيد رضى الله عنهما .

* * *

ثم ذكر الحافظ البهقى هاهنا موت النجاشى صاحب الجبعة على الإسلام ونَعَى رسول الله صلى الله عليه وسلم له إلى المسلمين وصلاته عليه .

فروى من طريق مالك ، عن الزهرى ، عن سعيد بن المسيب ، عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى إلى الناس النجاشى في اليوم الذى مات فيه ، وخرج بهم إلى المصلى فصاف بهم وكبَّر أربع تكبيرات .

آخر جاه من حديث مالك ، وأخر جاه أيضاً من حديث الليث عن عقيل ، عن الزهرى ، عن سعيد وأبي سلمة ، عن أبي هريرة بن حمودة .

وآخر جاه من حديث ابن جریح ، عن عطاء ، عن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مات اليوم رجل صالح فصلوا على أصنحه ». وقد تقدمت ^(١) هذه الأحاديث أيضاً والكلام عليها والله الحمد .

قلت : والظاهر أن موت النجاشى كان قبل الفتح بكثير ، فإن في صحيح مسلم أنه لما كتب إلى ملوك الآفاق كتب إلى النجاشى ، وليس هو بالسلم . وزعم آخرون كالواقدى أنه هو والله أعلم .

وروى الحافظ البهقى من طريق مسلم بن خالد الزنجى ، عن موسى بن عقبة ،

(١) تقدم ذلك في الجزء الثاني ٢٩ .

عن أبيه ، عن أم كلثوم قالت : لما تزوج النبي صلى الله عليه وسلم أم سلمة قال : « قد أهديت إلى النجاشي أواقي من مسك وحلة وإلى لأراه قد مات ، ولا أرى المدية إلا سترد على ، فإن ردت على - أظنه قال - قسمتها بينكين ، أو فهمي لك ». قال : فكان كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مات النجاشي وردت المدية ، فلما ردت عليه أعطى امرأةً من نسائه أوقية ، من ذلك السك ، وأعطى سائره أم سلمة ، وأعطها الحلة . والله أعلم .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ

غزوَةُ الْفَتْحِ الْأَعْظَمْ

وَكَانَتْ فِي رَمَضَانَ سَنَةً ثَمَانِيَّةً.

وَقَدْ ذَكَرَهَا اللَّهُ تَعَالَى فِي الْقُرْآنَ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ فَقَالَ تَعَالَى : « لَا يَسْتُوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرْجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِهِ وَقَاتَلُوا وَكُلُّاً وَعَدَ اللَّهُ الْحَسَنَیْ »^(۱) الآيَةُ . وَقَالَ تَعَالَى : « إِذَا جَاءَ نَصْرًا اللَّهُ وَالْفَتْحُ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَابًا » .

وَكَانَ سَبَبُ الْفَتْحِ بَعْدَ هَدْنَةِ الْحَدِيبِيَّةِ مَا ذَكَرَهُ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ : حَدَثَنِي الزَّهْرَى ، عَنْ عَرْوَةَ بْنِ الْزَّيْدِ ، عَنْ الْمَسْوَرِ بْنِ حَمْرَةَ وَمُرْوَانَ بْنَ الْحَكْمَ ، أَنَّهُمَا حَدَّنَاهُ جَمِيعًا قَالَا : كَانَ فِي صَلْحِ الْحَدِيبِيَّةِ أَنَّهُ مَنْ شَاءَ أَنْ يَدْخُلَ فِي عَهْدِ مُحَمَّدٍ وَعَهْدِهِ دَخْلٌ ، وَمَنْ شَاءَ أَنْ يَدْخُلَ فِي عَهْدِ قَرِيشٍ وَعَهْدِهِمْ [دَخْلٌ]^(۲) . فَتَوَاثَبَتْ خَزَاعَةٌ وَقَالُوا : نَحْنُ نَدْخُلُ فِي عَهْدِ مُحَمَّدٍ وَعَهْدِهِ وَتَوَاثَبُتْ بَنُو بَكْرٍ وَقَالُوا : نَحْنُ نَدْخُلُ فِي عَهْدِ قَرِيشٍ وَعَهْدِهِمْ . فَكَثُرُوا فِي تَلْكَ الْمَدْنَةِ نَحْوَ السَّبْعَةِ أَوِ التَّمَانِيَّةِ عَشَرَ شَهْرًا ، ثُمَّ إِنَّ بَنِي بَكْرٍ وَثَبَوَا عَلَى خَزَاعَةِ لِيَلًا بَمَاءِ يَقَالُ لَهُ الْوَتَيْرُ ، وَهُوَ قَرِيبُ مِنْ مَكَّةَ ، وَقَالَتْ قَرِيشٌ : مَا يَعْلَمُ بِنَا مُحَمَّدٌ وَهَذَا الْلَّيْلُ وَمَا يَرَانَا مِنْ أَحَدٍ . فَأَعْنَوْهُمْ عَلَيْهِمْ بِالْكَرْاعِ وَالسَّلَاحِ وَقَاتَلُوهُمْ مَعْهُمْ لِلصَّفْنِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وَإِنَّ عُمَرَ بْنَ سَالِمَ رَكِبَ عِنْدَ مَا كَانَ مِنْ أَمْرٍ خَزَاعَةَ وَبَنِي بَكْرٍ بِالْوَتَيْرِ حَتَّى قَدِمَ عَلَى

(۲) ابْنُ هَشَامٍ : وَمَنْ أَحَبَ أَنْ يَدْخُلَ .. فَلَيَدْخُلَ .

(۱) سُورَةُ الْحَدِيدِ : ۱۰ .

رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبر الخبر وقد قال أبيات شعر ، فلما قدم على رسول الله
صلى الله عليه وسلم أنسدها إيه :

يارب إني ناشد محمدا
حلف أبيه وأيينا الأتلدا^(١)
قد كتمت ولدا وكتنا والدا
ثمتَ أسلمنا فلم تنزع يدا
فانصر رسول الله نصراً أبدا
وادع عباد الله يأتوا مدادا
فيهم رسول الله قد تجردا
إن سيم خسفاً وجهه تربدا
في فيليق كالبحر يجري مزبدا
إن قريشاً أخلفوك الموعدا
ونقضوا ميثاقك المؤكدا
وجعلوا إلى في كداء رصادا^(٢)
وزعموا لأن است أدعوا أحدا
فهم أذل وأفلع عددا
هم ينتونا بالوتير هجدا
وقتلونا ركما وسبجا

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نصرت يا عمرو بن سالم » فما برح حتى
مررت بمن عنانة^(٣) في السماء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن هذه السحابة
لتستهل بنصر بنى كعب ». .

وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس بالجهاز وكتمهم خرجه ، وسأل الله أن
يعمى على قريش خبره حتى يبعثهم في بلادهم .

* * *

قال ابن إسحاق : وكان السبب الذي هاجهم أن رجلا من بنى الحضرى اسمه مالك
ابن عباد ، من حلفاء الأسود بن رزن ، خرج تاجرًا فلما توسط أرض خزانة عدوا عليه
فقتلوه وأخذوا ماله ، فعدت بنو بكر على رجل من بنى خزانة فقتلوه ، فعدت : اعنة

(٢) كداء : جبل بأعلى مكان .

(١) الأتلد : القديم .

(٣) العنان : السحابة .

قبيل الإسلام على بني الأسود بن رِزْنَ الدَّنْلِي ، وهم مَفْخَرٌ بني كنانة وأشرافهم ؛ سلى وكلثوم وذؤيب ، فقتلوا بعرفة عند أنصاب الحرام ..

قال ابن إسحاق : وحدثني رجل من الدليل قال : كان بني الأسود بن رِزْنَ يودون في الجاهلية دِيَتَنَ ديتين [ونودى دبة دية لفضلهم فيها] ^(١) .

قال ابن إسحاق : فبَيْنَا بُنُوْبَكْرِ وَخَرَاعَةَ عَلَى ذَلِكَ إِذْ حَجَرَ بَيْنَهُمُ الْإِسْلَامُ ، فَلَمَّا كَانَ بَوْمَ الْخَدِيبَيْةِ وَدَخَلَ بُنُوْبَكْرَ فِي عَقْدِ قَرِيشٍ وَدَخَلَتْ خَرَاعَةَ فِي عَقْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَانَتِ الْمَدْنَةُ ، اغْتَنَمُهَا بُنُوْبَكْرُ مِنْ بَنِي بَكْرٍ وَأَرَادُوا أَنْ يَصْبِيُوا مِنْ خَرَاعَةَ ثَارًا مِنْ أُولَئِكَ النَّفَرِ ، نَفَرَجُ نُوقْلُ بْنُ مَعَاوِيَةَ الدَّلِيلِ فِي قَوْمِهِ وَهُوَ بِوْمَنْدَ سِيدِهِمْ وَقَائِدِهِمْ وَلَيْسَ كُلُّ بَنِي بَكْرٍ تَابِعَهُ ، فَبَيْتَ خَرَاعَةَ وَهُمْ عَلَى الْوَتِيرِ - مَاءُ هَمْ - فَأَصَابُوا رِجَالًا مِنْهُمْ وَتَحَاوَزُوا وَاقْتَلُوا ، وَرَفَدَتْ قَرِيشُ بَنِي بَكْرٍ بِالسَّلَاحِ ، وَقَاتَلَ مَعْهُمْ مِنْ قَرِيشٍ مِنْ قَاتِلِ الْلَّيْلِ مُسْتَخْفِيًّا حَتَّى حَاوَزُوا ^(٢) خَرَاعَةَ إِلَى الْحَرَمِ ، فَلَمَّا اتَّهَوْا إِلَيْهِ قَالَ بَنُوْبَكْرَ : إِنَا قَدْ دَخَلْنَا الْحَرَمَ إِلَهُكَ إِلَهُكَ ! فَقَالَ كُلُّهُ عَظِيمَةً : لَا إِلَهَ إِلَّا يَوْمَ يَا بَنِي بَكْرٍ أَصْبِيُوا ثَارَكُمْ فَلَعْمَرِي إِنَّكُمْ لَتَسْرُقُونَ فِي الْحَرَمِ أَفَلَا تَصِيبُونَ ثَارَكُمْ !

وَلَجَاتْ خَرَاعَةَ إِلَى دَارِ بُدَيْلَ بْنِ وَرْقَاءَ بَمَكَةَ وَإِلَى دَارِ مَوْلَى هَمْ يَقَالُ لَهُ رَافِعٌ ، وَقَدْ

قال الْأَخْزَرُ بْنُ لُعْطَ الدَّلِيلِ فِي ذَلِكَ :

الْأَهْلُ أَتَى قُصُوْيَ الْأَحَدِيَشَ أَنَا حَبَسَنَاهُمْ فِي دَارَةِ الْعَيْدِ رَافِعٌ بَدَارِ الْذَّلِيلِ الْأَخْذِ الضَّيْمَ بَعْدَ مَا	رَدَدْنَا بَنِي كَعْبَ بِأَنْوَقَ نَاصِلِ وَعَنَدَ بُدَيْلَ حَبْسَانَا غَيْرَ طَنِ شَفَقَنَا النَّفُوسَ مِنْهُمْ بِالْمَنَاصِلِ
---	---

(٢) حَاوَزُوا : ساقوا .

(١) من ابن هشام .

(٣) الأنْوَقُ : السهم الذي وضع فوقه في الور . والنَّاصِلُ : ماله نصل وهو حد السهم .

قال : فأجابه بدليل بن عبد مناة بن سلمة بن عمرو بن الأجبت ، وكان يقال له بدليل ابن أم أضرم فقال :

تَعَاقدَ قَوْمٌ يَفْخِرُونَ وَلَمْ نُدْعُ
أَمْنَ خِيفَةً الْقَوْمُ الْأَوَّلِيَ تَزَدَّرِيهِمْ
وَفِي كُلِّ يَوْمٍ نَحْنُ نَحْبُو حِبَاءَنَا
وَنَحْنُ صَبَحَنَا بِالْقَلَاعَةِ دَارِكَمْ
وَنَحْنُ مَنَعَنَا بَيْنَ بَيْضٍ وَعَتْوَدٍ
وَبِيَوْمِ الْغَيْمِ قَدْ تَكَفَّتْ سَاعِيَاً
إِنْ أَجْهَرْتْ فِي يَيْتَهَا أَمْ بِعَصْمِكَمْ
كَذَبْتُمْ وَبَيْتَ اللَّهِ مَا إِنْ قَتَلْتُمْ

لَهُمْ سَيِّدًا يَنْدُوهُمْ غَيْرَ نَافِلِ
تَجْيِيزَ الْوَتِيرَ خَائِفًا غَيْرَ آيِلِ
أَعْقَلِ لَا يَجْبِي لَنَافِ الْمَعْاقِلِ
بِأَسْيَا فِنَا يَسْبِقُنَّ لَوْمَ الْعَوَادِلِ^(٤)
إِلَى خَيْفَرَضْوَى مِنْ بَحْرِ الْقَبَائِلِ^(٥)
عَبِيْسٌ فَجَعَنَاهُ بِجَلِيلٍ حَلَاحِلِ^(٦)
بِجَمْعُ مُوسَمَهَا تَنْزُونَ إِنْ لَمْ نَفَاتِلِ^(٧)
وَلَكُنْ تَرَكَنَا أَمْرَكَمْ فِي بَلَابِلِ

قال ابن إسحاق : خذتني عبد الله بن أبي سلمة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال: «كأنكم بآبى سفيان قد جاءكم يشدُّ فى العَقدْ ويزيدُ فى المدة». .

(١) الشعب : المطمئن بين جبلين . والوايل : المطر الشديد . (٢) القوابل : السيف القواطع .

(٣) ثور : جبل يُنكّه ومنعه من الصرف لأنّه أراد به البقعة . وفقار : وراءه . وتروي : فناور .

(٤) التلاعنة : ماء لبني كنانة بالمحاذ .

(٥) يُبَيِّنُ : مَنْ مَنَازِلَ بَنَى كَنَانَةَ بِالْحِجَازِ . وَعَتُودُ : مَاءِ الْكَنَانَةِ .

(٦) تكفت: حاد عن طريقه . والجلد: القوى . والملاحل: السيد الشجاع .

(٧) الجموس : الرجيع . وأجهرت : رمت به بسمرة . يريد : الفزع والخذر .

قال ابن إسحاق : ثم خرج بُدَيْل بن ورقاء في نفر من خزاعة حتى قدِموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبروه بما أصيب منهم ومظاهره قريش بنى بكر عليهم ، ثم انصرفوا راجعين حتى لقوا أبو سفيان بعسفان قد بعثته قريش إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بشد العقد ويزيد في المدة وقد رهبو للذى صنعوا ، فلما لقى أبو سفيان بديلاً قال : من أين أقبلت يا بدييل ؟ وظن أنه قد أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : سرت في خزاعة في هذا الساحل في بطن هذا الوادى . قال : فعمد أبو سفيان إلى مبرك ناقته فأخذ من بعراها ففته فرأى فيه النوى . فقال : أحلف بالله لقد جاء بدييل حمداً .

ثم خرج أبو سفيان حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فدخل على ابنته أم حبيبة ، فلما ذهب ليجلس على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم طوته ، فقال : يابنية ما أدرى أرغيتِ بي عن هذا الفراش أو رغبتِ به عني ؟ فقالت : هو فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنت مشرك نفس ، فلم أحب أن تجلس على فراشه . فقال : يابنية والله لقد أصايلك بعدي شر !

ثم ذهب إلى أبي بكر فكلمه أن يكلم له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ما أنا بفاعل . ثم أتى عمر بن الخطاب فكلمه فقال عمر : أنا أشفع لكم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ! فوالله لو لم أجده لكم إلا الذر^(١) لجاهدتكم به . ثم خرج فدخل على على ابن أبي طالب وعندة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعندها حسن غلام يدب بين يديهما ، فقال : ياعلى إنك أمس القوم برحماً وأقربهم مني قرابة ، وقد جئت في حاجة ، فلا أرجعنك كاجئها ، فاشفع لي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال : ويحك أبا سفيان ! والله لقد عزم رسول الله صلى الله عليه وسلم على أمر ما نستطيع أن نكلمه فيه . فالتفت إلى فاطمة فقال : يابنت محمد هل لك أن تأمرني بنيلك هذا فيغير بين الناس

(١) الدر : الدر . وهو كائل ، لأن الدر لا يقاتل به .

فيكون سيد العرب إلى آخر الدهر؟ فقلت: والله ما بلغبني ذلك أن يجير بين الناس
وما يجير أحد على النبي صلى الله عليه وسلم.

فقال: يا أبا الحسن إن أرى الأمور قد اشتدَّت على فانصحتي. قال: والله ما أعلم
شيئاً يغنى عنك، ولستك سيد بني كنانة، فقم فأجِرْ بين الناس ثم الحق بأرضك. فقلت:
أو ترى ذلك مُغنىًّا عنك شيئاً؟ قال: لا والله ما أظن، ولكن لا أحد لك غير ذلك.

فقام أبو سفيان في المسجد فقال: أيها الناس إن قد أجرت بين الناس. ثم ركب
بعيره فانطلق، فلما أن قدم على قريش قالوا: ما وراءك؟ قال: جئت محمداً فكانته، فهو الله
ماردٌ على شيئاً، ثم جئت ابن أبي قحافة فهو الله ما وجدت فيه خيراً، ثم جئت عمرو
فوجدتة أعدى عدو، ثم جئت علياً فوجدتة ألين القوم، وقد أشار على بأمر صنعته
فوالله ما أدرى هل يغنى عنا شيئاً أم لا؟ قالوا: بماذا أمرك؟ قال: أسرني أن أجير بين
الناس ففعلت. قالوا: هل أجاز ذلك محمد؟ قال: لا. قالوا: ويحلك ما زادك الرجل على
أن لعب بك فما يغنى عنا ما قلت. فقال: لا والله ما وجدت غير ذلك.

[فائدة ذكرها السهيلي]. فتكلمت على قول فاطمة في هذا الحديث: « وما يجير أحد
على رسول الله صلى الله عليه وسلم » على ما جاء في الحديث: « ويجير على المسلمين أدناهم »
قال: وجه الجمع بينهما بأن المراد بالحديث من يجير واحداً أو نفراً يسيراً، وقول فاطمة:
فنيجير عدداً من غزو الإمام إياهم فليس له ذلك. قال: كان سحنون وابن الماجشون
يقولان: إن أمان المرأة موقوف على إجازة الإمام لقوله لأم هانىٰ: « قد أجرنا من
أجرت يا أم هانىٰ ». قال: وبروى هذا عن عمرو بن العاص وخالد بن الوليد. وقال
أبو حنيفة: لا يجوز أمان العبد وفي قوله عليه السلام: « ويجير عليهم أدناهم » ما يقتضي
دخول العبد والمرأة. والله أعلم [١].

(١) سقط من ح.

وقد روى البهق من طريق حماد بن سلمة ، عن محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة ، عن

أبي هريرة قال : قالت بنو كعب :

اللهم إني نأشدكَ مُحَمَّداً جِلْفَ أَبِينَا وَأَبِيهِ الْأَتَلَدَا

فَانصِرْهُدَّا اللَّهُ نَصْرًا أَعْتَدَا وَادْعُ عِبَادَ اللَّهِ يَأْتُوا مَدْدًا^(١)

وقال موسى بن عقبة في فتح مكة : ثم إن بني نفاثة من بني الدليل أغروا على بني كعب ، وهم في المدة التي بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين قريش ، وكانت بنو كعب في صلح رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانت بنو نفاثة في صلح قريش ، فأعانت بنو بكر بنى نفاثة ، وأعانتهم قريش بالسلاح والرقيق ، واعتزلتهم بنو مدخل ووفوا بالعهد الذي كانوا عاهدوا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفي بني الدليل رجالان هما سيداهم ؟ سليمي بن الأسود وكتنوم بن الأسود ، ويدركون أن من أعانهم صفوان بن أمية وشيبة بن عثمان وسهيل بن عمرو .

فاغارت بنو الدليل على بني عمرو وعامتهم ، زعموا ، نسأوا وصبيان وضعفاء الرجال فأجلاؤهم وقتلواهم حتى أدخلوهم إلى دار بذيل بن ورقاء بمكة .

خرج ركب من بني كعب حتى أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكروا له الذي أصابهم وما كان من أمر قريش عليهم في ذلك ، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ارجعوا فتفقرّوا في البلدان » .

وخرج أبو سفيان من مكة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وتخوف الذي كان ، فقال : يا محمد أشد العقد وزدنا في المدة . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ولذلك قدِمتَ ؟ هل كان من حدث قبلَكم ؟ » فقال معاذ الله ! نحن على عهْدنا وصلحنا يوم الحديبية لا نفِرْ ولا نبدَل .

(١) الأعتد : الحاضر .

نَفَرَجٌ مِّنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَتَى أَبَا بَكْرَ قَالَ : جَدُّ الْعَقْدِ وَزَدَنَا فِي الْمَدَةِ . قَالَ أَبُو بَكْرٍ : حِوارِي فِي جَوَارِ سُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَاللَّهُ لَوْ وَجَدْتَ النَّارَ تَقَاتِلُكَ لَأُعْنِتَهَا عَلَيْكَ .

ثُمَّ خَرَجَ فَأَتَى عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابَ فَكَلَمَهُ قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابَ : مَا كَانَ مِنْ حَلْفَنَا جَدِيدًا فَأَخْلَقَهُ اللَّهُ ، وَمَا كَانَ مِنْهُ مُثْبِتًا فَقَطَعَهُ اللَّهُ ، وَمَا كَانَ مِنْهُ مَقْطُوعًا فَلَا وَصَلَهُ اللَّهُ ! قَالَ لَهُ أَبُو سَفِيَّانٍ : جُزِيتَ مِنْ ذِي رَحْمَةِ اللَّهِ شَرًّا .

ثُمَّ دَخَلَ عَلَى عَمَانَ فَكَلَمَهُ قَالَ عَمَانُ : حِوارِي فِي جَوَارِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . ثُمَّ اتَّبَعَ أَشْرَافَ قَرْيَشَ يَكْلِمُهُمْ فَكَلَمُهُمْ يَقُولُ : عَقْدَنَا فِي عَقْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

فَلَمَّا يَئِسَّ مَا عِنْدَهُمْ دَخَلَ عَلَى فَاطِمَةَ بَنْتِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكَلَمَهَا قَوْلَتْ : إِنَّمَا أَنَا امْرَأَةٌ ، وَإِنَّمَا ذَلِكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . قَالَ لَهَا : فَأَمْرِي أَحَدَ أَبْنِيْكَ . قَوْلَتْ : إِنَّهُمَا صَبَّانٌ لَيْسَ مِثْلَهُمَا يَجِيرُ . قَالَ : فَكَلَمْتُ عَلَيْهِ . قَوْلَتْ : أَنْتَ فَكَلَمْتُ .

فَكَلَمَ عَلَيْهِ أَبُو سَفِيَّانٍ قَالَ لَهُ : يَا أَبَا سَفِيَّانَ إِنَّهُ لَيْسَ أَحَدَنَا مِنْ أَحَادِبِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَفْتَنُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِجَوَارِ ، وَأَنْتَ سِيدُ قَرْيَشَ وَأَكْبَرُهَا وَأَمْنَعُهَا فَأَجِرْ . بَيْنَ عَشِيرَتِكَ . قَالَ : صَدَقْتَ وَأَنَا كَذَلِكَ . نَفَرَجَ فَصَاحَ : أَلَا إِنِّي قَدْ أَجَرْتُ بَيْنَ النَّاسِ ، وَلَا وَاللَّهِ مَا أَظَنَّ أَنْ يَخْتَرْنِي أَحَدٌ .

ثُمَّ دَخَلَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : يَا مُحَمَّدُ إِنِّي قَدْ أَجَرْتُ بَيْنَ النَّاسِ ، وَلَا وَاللَّهِ مَا أَظَنَّ أَنْ يَخْتَرْنِي أَحَدٌ وَلَا يَرِدُ جَوَارِ . قَالَ : « أَنْتَ تَقُولُ يَا أَبَا حَنْفَةَ » نَفَرَجَ أَبُو سَفِيَّانَ عَلَى ذَلِكَ .

فَزَعَمُوا - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ حِينَ أَدْبَرَ

أبو سفيان : « اللهم خذ على أسمائهم وأبصارهم فلا يروننا إلا بعنة ولا يسمعوا بما إلا خباء ». .

وقدِم أبو سفيان مكة فقالت له قريش : ما وراءك؟ هل جئت بكتاب من محمد أو عهد؟ قال : لا والله لقد أبى علىّ ، وقد تبعت أصحابه فما رأيت قوماً ملِك عليهم أطوع منهم له ، غير أن علىّ بن أبي طالب قد قال لي : التس جوار الناس عليك ولا تجزء أنت عليه وعلى قومك ، وأنت سيد قريش وأكبرها وأحقها ألا تخفر جواره . فقمت بالجوار ثم دخلت على محمد فذكرت له أني قد أجرتُ بين الناس وقلت : ما أظن أن تخفرني . فقال : أنت تقول ذلك يا أبا حنظلة . فقالوا مجيبين له : رضيتَ بغير رضي ، وجئتنا بـلا يغنى عنا ولا عنك شيئاً ، وإنما لعب بك علىّ لعمر الله ! ما جوارك بجائز وإن إخبارك عليهم لمّن .

ثم دخل على امرأته خدثها الحديث فقالت : فبحك الله من وافر قومٍ ! فما جئتَ بخير .

قال : ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم سحابة فقال : « إن هذه السحابة تقبض بنصر بنى كعب » .

فكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما شاء الله أن يمكث بعد مخرج أبو سفيان ، ثم أخذ في الجهاز وأمر عائشة أن تجهزه وتخفي ذلك .

ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المسجد أو إلى بعض حاجاته ، فدخل أبو بكر على عائشة فوجد عندها حنطة تُنسف وتتفق ، فقال لها : يا بنتية لم تصنعي هذا الطعام؟ فسكتت . فقال : أيريد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يغزو؟ فصمتت ، فقال : يزيد بنى الأصفه - وهم الروم - ؟ فصمتت ، قال : فلعله يزيد أهل نجد؟ فصمتت . قال : فلعله يزيد قريشاً؟ فصمتت .

قال : فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له : يا رسول الله أتريد أن تخرج
مخرجاً ؟ قال : نعم . قال : فلعلك تريدين بنى الأنصار ؟ قال : لا . قال : أتريد أهل نجد ؟ قال :
لا . قال : فلعلك تريدين قريشاً ؟ قال : نعم . قال أبو بكر : يا رسول الله أليس بينك
وبيتهم مدة ؟ قال : « ألم يبلغك ما صنعوا ببني كعب ؟ » .

قال : وأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس بالغزو ، وكتب حاطب بن
أبي بلقعة إلى قريش ، وأطلع الله رسوله صلى الله عليه وسلم على الكتاب . وذكر
القصة كاسياً .

* * *

وقال محمد بن إسحاق : حدثني محمد بن جعفر ، عن عروة ، عن عائشة أن أبا بكر
دخل على عائشة وهي تُغْرِبُ حنطة فقال : ما هذا ؟ أمركم رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالجهاز ؟ قالت : نعم فتجهز . قال : وإلى أين ؟ قالت : ما سئلنا شيئاً غير أنه قد
أمرنا بالجهاز .

قال ابن إسحاق : ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم الناس أنه سائر إلى مكة
وأمر بالجذ والتهيؤ وقال : « اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى تبغضها في بلادها »
فتجهز الناس .

فقال حسان يحرض الناس ويذكر مصاب خزاعة :

عَنَّا وَلَمْ أَشْهَدْ بِيَطْحَاءِ مَكَّةِ رَجَالُ بْنِ كَعْبٍ تَحْزُبُ رِقَابُهَا
بِأَيْدِي رَجَالٍ لَمْ يَسْلُوا سِيِّوْفَهُمْ وَقُتْلُ كَثِيرٌ لَمْ تَجِنْ شَيَاهُهَا ^(١)
أَلَا يَتَ بِشَعْرِي هَلْ تَفَالَنْ نُصْرَتِي سَهِيلَ بْنِ عُمَرَ حُرْسَهَا وَعَقَابُهَا ^(٢)

(١) لم تجن : لم تستر . يريد أنهم قتلوا ولم يدفنوا .

(٢) ابن هشام : وخزها . وكذلك رواية الديوان .

وَصَفْوَانَ عَوْدًا حُزْزَ مِنْ شَفَرَ اسْتَهَ فَهَذَا أَوَانُ الْحَرْبِ شُدَّ عِصَابَهَا^(١)
فَلَا تَأْمَنَنَا يَا بْنَ أَمْ مُجَالِهِ إِذَا احْتَلَبْتَ صِرْفًا وَأَعْصَلَ نَابِهَا^(٢)
وَلَا تَجْزَعُوا مِنْهَا فَإِنْ سَيِّوفُنَا لَهَا وَقْعَةٌ بِالْمَوْتِ يُفْتَحُ بِابُهَا

قصة حاطب بن أبي بلقعة

قال محمد بن إسحاق : حدثني محمد بن جعفر ، عن عروة بن الزبير وغيره من علمائنا
قالوا : لما أجمع رسول الله صلى الله عليه وسلم للسير إلى مكة كتب حاطب بن أبي بلقعة
كتاباً إلى قريش يخبرهم بالذى أجمع عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأمر في السير
إليهم ، ثم أعطاه امرأة زعم محمد بن جعفر أنها من مَزَينة ، وزعم لي غيره أنها سارة مولا
بعض بنى عبد المطلب وجعل لها جُعلاً على أن تبلغه قريشاً ، فعملته في رأسها ثم قتلت
عليه قرونها ثم خرجت به .

وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر من السماء بما صنع حاطب ، فبعث
على بن أبي طالب والزبير بن العوام فقال : « أدرِكَ امرأةً قد كتب معها حاطب بن أبي
بلقعة بكتاب إلى قريش يحذّرُهُم ما قد أجمعنا له من أمرهم ». .
نفرجا حتى أدركها بالحلية حليفة بني أبي أحمد ، فاستنزلها فالمتساه في راحلها فلم
يجدا فيه شيئاً ، فقال لها على : إنِّي أحلف بالله ما كذب رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولا كذبنا ، ولتخرين لنا هذا الكتاب أو لنكشفنك . فلما رأت الجد منه قالت :
أعرض . فأعرض ، فلحت قرون رأسها فاستخرجت الكتاب منها فدفعته إليه ، فأتى به
رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فدعى رسول الله صلى الله عليه وسلم حاطباً فقال : « يا حاطب ما حملت على هذا؟ »

(١) ابن هشام : وصفوان عود حن .

(٢) الصرف : الحالين . وأعصل : اعوج . يزيد اشتداد الحرب . وابن أم مجاد : عكرمة بن أبي جهل .

قال : يارسول الله أتاك الله إني لمؤمن بالله وبرسوله ماغيرت ولا بدلت ، ولكنني
كنت امرءاً ليس لي في القوم من أصل ولا عشيرة ، وكان لي بين أظهرهم ولد وأهل
فصانعهم عليهم .

قال عمر بن الخطاب : يارسول الله دعنى فلأضرب عنقه فإن الرجل قد نافق !
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وما يدركك يا عمر لعل الله قد اطلع على أصحاب بدر
يوم بدر فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم ». .

وأنزل الله في حاطب : « يا يهود الدين آمنوا لا تخذلوا عدوكم وعدوكم أولياء
تُقْنَونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوْدَةِ » إلى آخر القصة .

هكذا أورد ابن إسحاق هذه القصة مرسلة . وقد ذكر السهيلي أنه كان في كتاب
حاطب : أن رسول الله قد توجه إليكم بجيش كالليل بسير كالسيل ، وأقسم بالله لو سار
إليكم وحده لنصره الله عليكم فإنه منجز له ما وعده .

قال : وفي تفسير ابن سلامة أن حاطباً كتب : إن محمدًا قد نَفَرَ فاما إليكم وإما إلى
غيركم فعليكم الحذر .

* * *

وقد قال البخاري : حدثنا قتيبة ، حدثنا سفيان ، عن عمرو بن دينار ، أخبرني
الحسن بن محمد ، أنه سمع عبيد الله بن أبي رافع ، سمعت علياً يقول : يعني رسول الله صلى
الله عليه وسلم أنا والزبير والمقداد فقال : « انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فإن بها
ظعينة معها كتاب نخذه منها » فانطلقنا تَعَادِي بنا خيلنا حتى أتينا الروضة فإذا
نحن بالظعينة ، قلنا : أخرجني الكتاب . فقالت : مامعي . قلنا : لتخرجن الكتاب
أو لتفقين الثياب .

قال : فآخر جته من عقاصها ، فأتيتنا به رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا فيه : من

حاطب بن أبي بلقة إلى ناس بمكة من المشركين ، يخبرهم ببعض أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « يا حاطب ما هذا ؟ » قال : يا رسول الله لا تَعْجَلْ علىَ ، إني كفت امرأً مُلْصقاً في قريش ، يقول : كفت حليفاً ولم أكن من أنفسها ، وكان من معك من المهاجرين من لم قرابات يخونون بها أهليهم وأموالهم ، فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب فيهم أن أخذ عندهم يدأ يحمون قرابتي ، ولم أ فعله ارتداً عن ديني ولا رضا بالكفر بعد الإسلام .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أما إنْه قد صَدَقْتُكُمْ » قال عمر : يا رسول الله دَغْنَى أَضْرَبْ عَنْقَ هَذَا الْمَنَافِقَ ! قال : « إِنَّه قد شَهَدَ بَدْرًا ، وَمَا يَدْرِيكَ لَعْلَ اللَّهُ قد أَطْلَعَ عَلَى مَنْ شَهَدَ بَدْرًا » قال : اعْمَلُوا مَا شَاءْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتَ لَكُمْ ». فأنزل الله سورة : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَخَذُوا عَدُوّي وَعَدُوّكُمْ أَوْلَيَاءِ » إلى قوله : « فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلُ » .

وآخر جه بقية الجماعة إلا ابن ماجه ، من حديث سفيان بن عيينة . وقال الترمذى :
حسن صحيح .

وقال الإمام أحمد : حدثنا حجاج ويونس قالا : حدثنا ليث بن سعد ، عن أبي الزبير ، عن جابر بن عبد الله ، أن حاطب بن أبي بلقة كتب إلى أهل مكة يذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أراد غزوة ، فدُلِّ رسول الله صلى الله عليه وسلم على المرأة التي معها الكتاب ، فأرسل إليها فأخذ كتابها من رأسها وقال : « يا حاطب أفعلت ؟ » قال : نعم . قال : أما إني لم أفعله غشاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولا نفاقاً ، قد علمت أن الله مظهر رسوله وتم له أمره ، غير أنني كفت غريباً بين ظهراً نيهما وكانت والدتي معهم ، فاردت أن أخذ يداً عندهم . قال له عمر : ألا أضرب رأس هـذا ؟ قال :

« أتقتل رجال من أهل بدر ؟ وما يدريك لعل الله قد أطلع إلى أهل بدر فقال : اعملوا ما شئتم ». .

تفرد بهذا الحديث من هذا الوجه الإمام أحمد وإسناده على شرط مسلم . والله الحمد .

فصل

قال ابن إسحاق : خدثني محمد بن مسلم بن شهاب الزهرى ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، عن ابن عباس قال : ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم لسفره واستخلف على المدينة أبا رهم كلثوم بن حُسين بن عتبة بن خلف الفقاري ، وخرج عشر مرضيَّن من شهر رمضان فصام وصام الناس معه ، حتى إذا كان بالكَدِيد بين عسفان وأمْجَأْفُطَرَ ، ثم مضى حتى نزل مَرَّالظَّهْرَانَ في عشرة آلاف من المسلمين . وقال عروة بن الزبير : كان معه اثنا عشر ألفاً . وكذا قال الزهرى وموسى بن عقبة . فسبَّبتْ سُلَيْمَ وبعضهم يقول أَلْفَتْ سُلَيْمَ ، وأَلْفَتْ مُزَيْنَةَ وفي كل القبائل عددٌ وإسلام ، وأوَّلَعَبَ ^(١) مع رسول الله صلى الله عليه وسلم المهاجرين والأنصار فلم يختلف عنه منهم أحد .

وروى البخارى ، عن محمود ، عن عبد الرزاق ، عن معمَّر عن الزهرى نحوه . وقد روى البهقى من حديث عاصم بن علي ، عن الليث بن سعد ، عن عقيل عن الزهرى ، أخبرنى عبيد الله بن عبد الله ، عن ابن عباس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم غزا غزوة الفتح في رمضان .

قال : وسمعت سعيد بن المسيب يقول مثل ذلك ، لا أدرى أخرج في ليال من شعبان فاستقبل رمضان ، أو خرج في رمضان بعد مدخل ؟ غير أن عبيد الله بن عبد الله أخبرنى

(١) أَوْلَعَبَ .

(٢) ابن عبد الرزاق وهو تحريف .

أن ابن عباس قال : صام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ الـكـدـيد - الماء الذي بين قـدـيد وعـسـفـان - فأفطر ، فلم ينزل يفطر حتى انصرم الشهر .
ورواه البخاري ، عن عبد الله بن يوسف ، عن الليث ، غير أنه لم يذكر الترديد
بين شعبان ورمضان .

* * *

وقال البخاري : حدثنا علي بن عبد الله ، حدثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد ،
عن طاوس عن ابن عباس قال : سافر رسول الله صلى الله عليه وسلم في رمضان ، فصام
حتى بلغ عـسـفـان ثم دعا يـانـاءـ فـشـرـبـ بـهـاـ^(١) لـيـراـهـ النـاسـ ، فـأـفـطـرـ حـتـىـ قـدـمـ مـكـةـ .
قال : وكان ابن عباس يقول : صام رسول الله صلى الله عليه وسلم في السفر وأفطر ،
فنـشـاءـ صـامـ ، وـمـنـ شـاءـ أـفـطـرـ . وـقـالـ يـونـسـ : عن اـبـنـ إـسـحـاقـ ، عن الزـهـرـيـ ، عن
عـبـيـدـ اللهـ بـنـ عـبـدـ اللهـ ، عن اـبـنـ عـبـاسـ قال : مـفـيـ رـسـوـلـ اللهـ صـلـيـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ لـسـفـرـةـ
الفـتـحـ وـاسـتـعـمـلـ عـلـىـ الـمـدـيـنـةـ أـبـاـ رـهـمـ كـلـثـومـ بـنـ الـحـصـينـ الـغـفارـيـ ، وـخـرـجـ لـعـشـرـ مـضـيـنـ منـ
رمـضـانـ ، فـصـامـ وـصـامـ الـفـيـاسـ مـعـهـ ، حـتـىـ أـنـيـ الـكـدـيدـ بـيـنـ عـسـفـانـ وـأـمـجـ وـأـفـطـرـ ، وـدـخـلـ
مـكـةـ مـفـطـرـاـ فـكـانـ النـاسـ يـرـوـنـ أـنـ آـخـرـ الـأـمـرـ^(٢) مـنـ رـسـوـلـ اللهـ صـلـيـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ الـفـطـرـ ،
وـأـنـ نـسـخـ مـاـ كـانـ قـبـلـهـ .

قال البهقي : فقوله : « خرج لعشر من رمضان » مذرّج في الحديث ، وكذلك
ذكره عبيد الله بن إدريس ، عن ابن إسحاق .
ثم روى من طريق يعقوب بن سفيان ، عن جابر ، عن يحيى ، عن صدقة ، عن
ابن إسحاق أنه قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لعشر مضمّن من رمضان .
سنة ثمان .

(٢) غير ١ : يرون آخر الأمرين .

(١) غير ١ : نهارا .

ثُمَّ رُوِيَ البَيْهِقِيُّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي إِسْحَاقِ الْفَزَارِيِّ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي حَفْصَةَ ، عَنِ الْزَّهْرَى ، عَنْ عَبِيدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، عَنْ أَبْنَى عَبَّاسَ قَالَ : كَانَ الْفَتْحُ لِثَلَاثِ عَشَرَةِ خَلْتَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ . قَالَ الْبَيْهِقِيُّ : وَهَذَا الإِدْرَاجُ وَهُمْ ، إِنَّمَا هُوَ مِنْ كَلَامِ الزَّهْرَى .

ثُمَّ رُوِيَ مِنْ طَرِيقِ ابْنِ وَهْبٍ ، عَنْ يُونُسَ ، عَنِ الْزَّهْرَى ، قَالَ : غَزَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَزْوَةَ الْفَتْحِ - فَتْحَ مَكَّةَ - نَخْرُجُ مِنَ الْمَدِينَةِ فِي رَمَضَانَ وَمَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ عَشْرَةَ آلَافٍ ، وَذَلِكَ عَلَى رَأْسِ ثَمَانِيَّ سَنَيْنِ وَنَصْفِ سَنَةٍ مِنْ مَقْدِمَهُ الْمَدِينَةِ ، وَافْتَحَ مَكَّةَ لِثَلَاثِ عَشَرَةِ بَقِيَّتِهِ مِنْ رَمَضَانَ .

وَرَوَى الْبَيْهِقِيُّ مِنْ طَرِيقِ عَبْدِ الرَّازِقِ ، عَنْ مَعْمَرٍ ، عَنِ الْزَّهْرَى ، عَنْ عَبِيدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، عَنْ أَبْنَى عَبَّاسَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَخْرُجَ فِي رَمَضَانَ وَمَعَهُ عَشْرَةَ آلَافٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، فَصَامَ حَتَّى يَلْغُ الْكَدْبِيدَ ثُمَّ أَفْطَرَ .

قَالَ ^(١) الْزَّهْرَى : وَإِنَّمَا يُؤْخَذُ بِالْأَحْدَاثِ فَالْأَحْدَاثُ ^(٢) . قَالَ الْزَّهْرَى : فَصَبِّحَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَكَّةَ لِثَلَاثِ عَشَرَةِ لَيْلَةٍ خَلْتَ مِنْ رَمَضَانَ . ثُمَّ عَزَّاهُ إِلَى ^(٣) الصَّحْيَحَيْنِ مِنْ طَرِيقِ عَبْدِ الرَّازِقِ . فَاللَّهُ أَعْلَمُ .

وَرَوَى الْبَيْهِقِيُّ مِنْ طَرِيقِ سَعِيدِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ التَّنْتُوْخِيِّ ، عَنْ عَطِيَّةِ بْنِ قَيْسٍ ، عَنِ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ قَالَ : آذَنَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالرَّحِيلِ عَامَ الْفَتْحِ لِلْيَلَتِيْنِ خَلْتَا مِنْ رَمَضَانَ ، نَخْرَجْنَا صُوَّاماً حَتَّى يَلْغُ الْكَدْبِيدَ ، فَأَمْرَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْفَطْرِ فَأَصْبَحَ النَّاسُ مَرْضِيًّا ^(٤) مِنْهُمُ الصَّائِمُ وَمِنْهُمُ الْمَفْطُرُ ، حَتَّى إِذَا يَلْغُنَا الْمَنْزِلُ الَّذِي نَلَقَّ الْعَدُوَّ أَمْرَنَا بِالْفَطْرِ فَأَفْطَرْنَا أَجْمَعِينَ .

وَقَدْ رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ ، عَنْ أَبِي الْفَيْرَةِ ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، حَدَّثَنِي عَطِيَّةُ بْنِ

(١) المطبوعة : فقال . خطأ .

(٢) البخاري : وإنما يؤخذ من أمر رسول الله الآخر فالآخر .

(٣) المطبوعة : في . خطأ .

(٤) المطبوعة : مرحي . خطأ .

قيس ، عن حدثه ، عن أبي سعيد الخدري ، قال : آذننا رسول الله بالرحيل عام الفتح لليلتين خلتان من رمضان ، فخرجنا صواماً حتى بلغنا السكديد ، فأمرنا رسول الله بالفطر ، فأصبح الناس منهم الصائم ومنهم المفطر ، حتى إذا بلغ أدنى منزل يلقي العدو أمرنا بالفطر فأفطربنا أجمعون .

* * *

قلت : فعلى ما ذكره الزهرى ، من أن الفتح كان يوم الثالث عشر من رمضان ، وما ذكره أبو سعيد من أنهم خرجوا من المدينة في ثانى شهر رمضان ، يقتضى أن مسيرة
كان بين ^(١) مكة والمدينة في إحدى عشرة ليلة .

ولكن روى البهقى ، عن أبي الحسين بن الفضل ، عن عبد الله بن جعفر ، عن
يعقوب بن سفيان ، عن الحسن بن الربيع ، عن ابن إدريس ، عن محمد بن إسحاق ،
عن الزهرى و محمد بن على بن الحسين ، و عاصم بن عمر بن قتادة ، و عمرو بن شعيب ،
و عبد الله بن أبي بكر ، وغيرهم . قالوا : كان فتح مكة في عشر بقية من شهر رمضان
سنة ثمان .

وقال أبو داود الطيالسى : حدثنا وهيب ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه ، عن جابر عن
عبد الله قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفتح صائماً حتى أتى كراع الغيم والناس
معه مشاة وركبانا ، وذلك في شهر رمضان ^(٢) . فقيل : يا رسول الله إن الناس قد اشتد
عليهم الصوم وإنما ينظرون كيف فعلت ؟ فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بقدح فيه
ماء فرفعه فشرب والناس ينظرون ، فصام بعض الناس وأفطرب البعض ، حتى أخبر
النبي صلى الله عليه وسلم أن بعضهم صائم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« أولئك العصاة » .

(١) أ : من .

(٢) أ : في رمضان .

وقد رواه مسلم من حديث الثقفي والدراروزدي ، عن جعفر بن محمد .
وروى الإمام أحمد من حديث محمد بن إسحاق ، حديثى بشير بن يسأر ، عن ابن عباس قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفتح في رمضان فصام وصام المسلمون معه ، حتى إذا كان بالكديد دعا بماء في قعْد وهو على راحلته ، فشرب الناس ينظرون ؛ يعلمهم أنه قد أفتر ، فأفطر المسلمون .
تفرد به أحمد .

فصل

في إسلام العباس بن عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه وسلم

وأبي سفيان بن الحارث ابن عبد المطلب ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة المخزومي أخي أم سلمة أم المؤمنين . وهجرتهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجدوه في أثناء الطريق وهو ذاهب إلى فتح مكة .

قال ابن إسحاق : وقد كان العباس بن عبد المطلب لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض الطريق .

قال ابن هشام : لقيه بالجحفة منها جراً بعياله ، وقد كان قبل ذلك مقينا بمكة على سقايتها ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم عنه راضٍ ، فيما ذكره ابن شهاب الزهرى .

قال ابن إسحاق : وقد كان أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وعبد الله بن أبي أمية قد لقيا رسول الله صلى الله عليه وسلم أيضاً بينيقي العقاب^(١) فيما بين مكة والمدينة والتمسا الدخول عليه ، فكلمته أم سلمة فيما فقالت : يا رسول الله ابن عمك وابن عمك وصهرك . قال : « ل الحاجة لي بهما ، أما ابن عم فهتك عرضي ، وأما ابن عمتي فهو الذي قال لي بمكة ما قال »^(٢) .

(١) ا : بذق العقيق .

(٢) قال له : « والله لا آمنت بك حتى تتخذ سلاماً إلى السماء فتعرج فيه وأنا أنظر ؟ ثم تأتى بصك وأربعة من الملائكة يشهدون أن الله قد أرسلك » الروض الأنف ٢ / ٢٦٧ .

قال : فلما خرج إليناهما الخبر بذلك ومع أبي سفيان ^{بنـيـهـ} له فقال : والله ليأذن لي أو لا أخذن بيدبني هذا ثم لنذهبن في الأرض حتى ^(١) نموت عطشاً وجوعاً . فلما بلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم رأى لهما ، ثم أذن لهم فدخلوا عليه فأسلموا ، وأنشده أبو سفيان قوله في إسلامه واعتذر إليه مما كان مضى منه :

لعمرك إنـيـ يـوـمـ أـحـمـلـ رـاـيـةـ
لـكـ لـمـذـلـجـ ^(٢) الـحـيـرـانـ أـظـلـمـ إـيـلـهـ
هـدـانـيـ هـادـيـ غـيـرـ نـفـسـيـ وـنـالـنـيـ
أـصـدـ وـأـنـاـيـ جـاهـدـاـعـنـ مـحـمـدـ
هـمـ مـاـهـمـ مـنـ لـمـ يـقـلـ بـهـ وـاـمـ
أـرـيـدـ لـأـرـضـيـهـمـ وـلـسـتـ بـلـائـطـ
فـقـلـ لـثـقـيفـ تـلـكـ : غـيـرـيـ أـوـعـدـيـ
فـاـكـنـتـ فـالـجـيـشـ الـذـىـ نـالـ عـامـرـاـ
قـبـائـلـ جـاءـتـ مـنـ بـلـادـ بـعـيـدـةـ

لـتـغلـبـ خـيـلـ الـلـاـلـاتـ خـيـلـ مـحـمـدـ
فـهـذـاـ أـوـاـنـ حـيـنـ أـهـدـيـ وـأـهـتـدـيـ
مـعـ ^(٣) اللـهـ مـنـ طـرـدـتـ كـلـ مـطـرـدـ
وـأـدـعـيـ وـإـنـ لـمـ أـنـتـسـبـ مـنـ مـحـمـدـ
وـإـنـ كـانـ ذـارـأـيـ يـلـمـ وـيـفـدـ
مـعـ الـقـوـمـ مـاـلـ أـهـدـ فـكـلـ مـقـعـدـ
وـقـلـ لـثـقـيفـ تـلـكـ : غـيـرـيـ أـوـعـدـيـ
وـلـاـ ^(٤) كـانـ عـنـ جـرـاـ السـانـيـ وـلـاـيـدـيـ

نـزـائـعـ جـاءـتـ مـنـ سـهـامـ وـسـرـدـ ^(٥)

قال ابن إسحاق : فزعموا أنه حين أنشد رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ونالني
مع الله من طردت كل مطرد » ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده في صدره
وقال : « أنت طردتني كل مطرد ».

(٢) إلن المدخل .

(١) غير ا : ثم نموت .

(٣) ا : من .

(٤) غير ا : وما كان .

(٥) سهام وسرد : موضعان من أرض عك .

فصل

ولما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مَرَّ الظَّهْرَان نزل فيه فَاقِم ، كَا رُوِيَ الْبَخَارِيُّ عَنْ يَحْيَى بْنِ بُكْرٍ ، عَنْ الْلَّيْثِ وَمُسْلِمٍ ، عَنْ أَبِي الطَّاهِرِ ، عَنْ أَبِي وَهْبٍ ، كَلَامًا عَنْ يُونُسَ ، عَنْ الزَّهْرَى ، عَنْ أَبِي سَلْمَةَ عَنْ جَابِرٍ قَالَ : كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ الظَّهَرِ أَنْ يَجْتَنِي السَّكِّبَاتَ ، وَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « عَلَيْكُمْ بِالْأَسْوَدِ مِنْهُ فَإِنَّهُ أَطْيَبُ » قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَكْفَتْ تَرْعِيَ الْفَنَمْ ؟ قَالَ : « نَعَمْ ، وَهُلْ مَنْ نَبَغِي إِلَّا وَقَدْ رَعَاهَا » .

وَقَالَ الْبَيْهِقِيُّ ، عَنِ الْحَاكَمِ ، عَنِ الْأَصْمَمِ ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ الْجَبَارِ ، عَنْ يُونُسَ بْنِ بَكْرٍ ، عَنْ سَيْنَانَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ ، عَنْ أَبِي الْوَلِيدِ سَعِيدِ بْنِ مِينَا ، قَالَ : لَمَّا فَرَغَ أَهْلُ مَكَّةَ وَرَجَمُوا أَسْرَمَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالسِّيرِ إِلَى مَكَّةَ ، فَلَمَّا انتَهَى إِلَى مَرَّ الظَّهْرَانِ نَزَلَ بِالْعَقبَةِ فَأَرْسَلَ الْجَمَّاتَ يَجْتَنِي السَّكِّبَاتَ ، فَقَلَّتْ لَسْعِيدٌ : وَمَا هُوَ ؟ قَالَ : ثَمَرُ الْأَرَاكِ .

قَالَ : فَانْطَلَقَ أَبْنُ مَسْعُودٍ فِيمَنْ يَجْتَنِي ، قَالَ : فَجَعَلَ أَحْدَهُمْ إِذَا أَصَابَ حَبَّةً طَيِّبَةً قَذَفَهَا فِيهِ ، وَكَانُوا يَنْظَرُونَ إِلَى دَقَّةِ سَاقِي أَبْنِ مَسْعُودٍ وَهُوَ يَرْقَى فِي الشَّجَرَةِ فَيَضْحَكُونَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « تَعْجَبُونَ مِنْ دَقَّةِ سَاقِيَهُ ؟ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَمْ يَأْتِ فِي الْمِيزَانِ مِنْ أَحَدٍ ! » .

وَكَانَ أَبْنُ مَسْعُودٍ مَا اجْتَنَى مِنْ شَيْءٍ جَاءَ بِهِ وَخِيَارَهُ فِيهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ فِي ذَلِكَ :

هَذَا جَنَّاتِي وَخِيَارِي فِيهِ إِذْ كُلُّ جَانِ يَدُهُ إِلَى فِيهِ

وفي الصحيحين عن أنس قال : أَنْفَجْنَا^(١) أَرْبَابًا وَنَحْنُ بَرَّ الظَّهَرَانِ ، فَسَعَى الْقَوْمُ
فَلَغَبُوا وَأَدْرَكْتُهَا فَأَخْذَنَتْهَا فَأَتَيْتُ بِهَا أَبَا طَلْحَةَ فَذَبَحَهَا . وَبَعْثَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بُورَكَهَا وَنَفَذَيْهَا قَبْلَهُ .

وقال ابن إسحاق : ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم مرّ الظهران وقد عُمِّيت
الأخبار على^(٢) قريش ، فلا يأتيهم خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يدرُون
ما رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعل ، وخرج في تلك الليالي أبو سفيان بن حرب
وحكيم بن حزام وبديل بن ورقاء يتجسسون الأخبار وينظرون هل يجدون خبراً أو
يسمعون به .

وذكر ابن لَهِيَعَةَ عن أبي الأسود عن عروة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
بعث بين يديه [عيونا]^(٣) خيلاً يقتضون العيون ، وخرزاعة لا تدع أحداً يضي وراءها
فلما جاء أبو سفيان وأصحابه أخذتهم خيل المسلمين وقام إليه عمر يَجْهَأُ في عنقه ، حتى أغاره
العباس بن عبد المطلب وكان صاحباً لأبي سفيان .

قال ابن إسحاق : وقال العباس حين نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم مرّ الظهران
قلت : واصبح قريش ! والله لئن دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة عنوةً قبل أن
يأتوه فيستأمنوه إنه هَلَاثَةُ قريش إلى آخر الدهر .

قال : فجلست على بحنة رسول الله صلى الله عليه وسلم البيضاء فخرجت عليها
حتى جئت الأرائك فقلت : لَعْنِي أجد بعض الخطابة أو صاحبَ لِبْنَ أو ذا حاجة يأتى

(١) أَنْفَجْنَا : أَنْرَنَا .

(٢) لَبِسْتَ فِي ا .

(٣) لَبِسْتَ فِي ا .

مكةَ فِي خِبْرِهِمْ بْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيَخْرُجُوا إِلَيْهِ فَيَسْتَأْمِنُوهُ قَبْلَ أَنْ
يَدْخُلُوهَا^(١) عَلَيْهِمْ عَنَوَةً .

قَالَ : فَوَاللَّهِ إِنِّي لِأَسْيَرُ عَلَيْهَا وَأَتَقْسِمُ مَا خَرَجْتُ لَهُ إِذْ سَمِعْتُ كَلَامَ أَبِي سَفِيَّانَ
وَبُدْبِيلَ بْنَ وَرْقَاءَ وَهَا يَتَرَاجِعُ ، وَأَبُو سَفِيَّانَ يَقُولُ : مَا رَأَيْتُ كَالْلِيَّلَةَ نِيرَانًا قَطَّ وَلَا
عَسْكَرًا . قَالَ : يَقُولُ بَدْبِيلُ : هَذِهِ وَاللَّهُ خَزَاعَةٌ حَمَشَهَا الْحَرَبُ . قَالَ : يَقُولُ أَبُو سَفِيَّانَ :
خَزَاعَةٌ أَذْلُّ وَأَقْلَّ مِنْ أَنْ تَكُونَ هَذِهِ نِيرَانًا وَعَسْكَرًا .

قَالَ : فَعَرَفْتُ صَوْتَهُ فَقُلْتُ : يَا أَبَا حَنْظَلَةً ! فَعَرَفْتُ صَوْتَهُ . فَقَالَ : أَبُو الْفَضْلِ ؟ قَالَ :
قُلْتُ : نَعَمْ . قَالَ : مَالِكُ فَدَى لَكَ أَبِي وَأُمِّي !

قَالَ : قُلْتُ : وَيَحْكُمُ يَا أَبَا سَفِيَّانَ ! هَذَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي النَّاسِ .
فَقَالَ : وَاصْبَاحَ قَرِيشَ وَاللَّهُ ! فَمَا الْحِيلَةُ فَدَاكَ أَبِي وَأُمِّي ؟ قَالَ : قُلْتُ وَاللَّهُ لَئِنْ ظَفَرَ بِكَ
لِيَضْرِبَنِي عَنْكَ ، فَارْكَبْ فِي عَجَزٍ هَذِهِ الْبَغْلَةَ حَتَّى آتَيْكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ فَأَسْتَأْمِنَهُ لَكَ .

قَالَ : فَرَكَبْ خَلْفِي وَرَجَعَ صَاحِبَاهُ . وَقَالَ عَرْوَةُ : بَلْ ذَهَبَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
فَأَسْلَمَ وَجْهَهُ يَسْتَخْبِرُهَا عَنْ أَهْلِ مَكَّةَ .

وَقَالَ الزَّهْرَى وَمُوسَى بْنُ عَقْبَةَ : بَلْ دَخَلُوا مَعَ الْعَبَاسَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

* * *

[قَالَ : فَبَثَتْ بِهِ ، كَلَامَ سَرَتْ بَنَارَ مِنْ نِيرَانَ الْمُسْلِمِينَ قَالُوا : مَنْ هَذَا ؟ إِذَا رَأَوْا بَنَالَةَ
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَا عَلَيْهِ اقْتَالُوا : عَمْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى
بَنَالَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . حَتَّى صَرَتْ بَنَارُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ فَقَالَ : مَنْ هَذَا ؟

(١) غَيْرُهُ : يَدْخُلُ .

وَقَامَ إِلَيْهِ . فَلَمَّا رَأَى أَبَا سَفِيَّانَ عَلَى عَجَزِ الدَّابَّةِ قَالَ : أَبُو سَفِيَّانَ عَدُوُ اللَّهِ ! الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْسَكَنَ مِنْكَ بِغَيْرِ عَهْدٍ وَلَا عَهْدٍ .

وَزَعْمَ عُرْوَةَ بْنِ الزَّبِيرِ أَنَّ عُمَرَ وَجَاءَ فِي رَقَبَةِ أَبِي سَفِيَّانَ وَأَرَادَ قَتْلَهُ فَمَنَعَهُ مِنْهُ الْعَبَّاسُ .
وَهَكَذَا ذَكَرَ مُوسَى بْنُ عَقْبَةَ ، عَنِ الزَّهْرَى ، أَنَّ عَيْوَنَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخْذَوْهُمْ بِأَزِيمَةِ جَاهْلَمْ فَقَالُوا : مَنْ أَنْتُمْ ؟ قَالُوا : وَفَدُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . فَلَقِيهِمْ الْعَبَّاسُ فَدَخَلَ بَيْهُمْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ خَافِدَهُمْ عَامَةً الْلَّيْلَ ثُمَّ دَعَاهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَشَهَدُوا ، وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولَ اللَّهِ . فَشَهَدَ حَكِيمٌ وَبُدَّيلٌ وَقَالَ أَبُو سَفِيَّانَ : مَا أَعْلَمُ ذَلِكَ ثُمَّ أَسْلَمَ بَعْدَ الصَّبْحِ . نَمْ سَأَلُوهُ أَنْ يُؤْمِنَ قَرِيشًا فَقَالَ : « مَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سَفِيَّانَ فَهُوَ آمِنٌ - وَكَانَتْ بِأَعْلَى مَكَّةَ - وَمَنْ دَخَلَ دَارَ حَكِيمٍ بْنَ حِزَامٍ فَهُوَ آمِنٌ . وَكَانَتْ بِأَسْفَلِ مَكَّةَ - وَمَنْ أَغْلَقَ بَابَهُ فَهُوَ آمِنٌ » قَالَ الْعَبَّاسُ : [١) ثُمَّ خَرَجَ عُمَرُ يَشْتَدِنُ حَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَرَكَضَتِ الْبَغْلَةُ فَسَبَقَتْهُ بِمَا تَسْبِقُ الدَّابَّةَ الْبَطِئَةُ الرَّجُلَ الْبَطِيءَ .

قَالَ : فَاقْتَحَمَتُ عَنِ الْبَفْلَةِ فَدَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَدَخَلَ عَلَيْهِ عُمَرُ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا أَبُو سَفِيَّانَ قَدْ أَمْكَنَ اللَّهَ مِنْهُ بِغَيْرِ عَهْدٍ وَلَا عَهْدَ فَدَعَنِي فَلَا أُضْرِبُ عَنْهُ ؟ قَالَ : قَلْتُ : يَا رَسُولَ إِنِّي قَدْ أَجَرْتُهُ . ثُمَّ جَلَسْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْذَتْ بِرَأْسِهِ فَقُلْتُ : وَاللَّهِ لَا يَنْاجِيَهُ الْمُلْمَلَةُ دُونِ رَجُلٍ .

فَلَمَّا أَكْثَرَ عُمَرُ فِي شَأنِهِ قَالَ قُلْتُ : مَهْلًا يَا عُمَرَ ! فَوَاللَّهِ أَنْ لَوْ كَانَ مِنْ رِجَالٍ [٢) بْنِ عَدَى بْنِ كَعْبٍ مَا قَلَتَ هَذَا ، وَلَكِنَّكَ قَدْ عَرَفْتَ أَنَّهُ مِنْ رِجَالِ بْنِ عَدَى مَنَافِ .
فَقَالَ : مَهْلًا يَا عَبَّاسَ ، فَوَاللَّهِ لَإِسْلَامِكَ يَوْمَ أَسْلَمْتَ كَانَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ إِسْلَامِ الْخَطَّابَ لَوْ أَسْلَمَ ! وَمَبِّإِلَا أَنِّي قَدْ عَرَفْتُ أَنَّ إِسْلَامَكَ كَانَ أَحَبَّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

(١) مِنْ ١ . (٢) ١ : لَوْ كَانَ مَعِيْ رَجُلٌ مِنْ بْنِ عَدَى .

وسلم من إسلام الخطاب . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اذهب به يا عباس إلى رَحْلَكَ إِذَا أَصْبَحْتَ فَأَتَنِي بِهِ ». .

* * *

قال : فذهب به إلى رَحْلَى فبات عندي ، فلما أصبح غَدُوت به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما رأه رسول الله قال : « ويحيك يا أبا سفيان ألم يأنِ لك أن تعلم أنه لا إله إلا الله؟ » فقال : بآبِي أنت وأمي ! ما أحلمك وأكرمك وأوصلك ! والله لقد ظننت أن لو كان مع الله غيره لقد أغنى عن شئنا بعد !

قال : « ويحيك يا أبا سفيان ألم يأنِ لك أن تعلم أنت رسول الله؟ » قال : بآبِي أنت وأمي ما أحلمك وأكرمك وأوصلك ! أمّا هذه والله فإن في النفس منها حتى الآن شيئاً ! فقال له العباس : ويحيك أسلم وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله قبل أن تضرب عنقك ؟

قال : فشهد شهادة الحق فأسلم .

قال العباس : قلت يا رسول الله ، إن أبا سفيان رجل يحب هذا الفخر فاجعل له شيئاً .

قال : « نعم ، من دخل دارَ أبِي سفيان فهو آمن » زاد عروة : « ومن دخل دار حكيم بن حزام فهو آمن » وهكذا قال موسى بن عقبة عن الزهرى . « ومن أغلق عليه بابه فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن » .

ف لما ذهب لينصرف قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا عباس احبسه بمضيق الوادي عند خطم^(١) الجبل حتى تمر به جنود الله فيراها » :

وذكر موسى بن عقبة عن الزهرى أن أبا سفيان وبديلاً وحكيم بن حزام

(١) خطم الجبل : أقه

كانوا وقوفا مع العباس عند خطم الجبل ، وذكر أن سعدا لما قال لأبي سفيان .
اليوم يوم الملحمة : اليوم تسحق الحرم

فشكأ أبو سفيان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فعزله عن راية الأنصار وأعطاهما
الزبير بن العوام فدخل بها من أعلى مكة وبغرزها بالحجون ، ودخل خالد من أسفل مكة
فلقيه بنو بكر وهذيل ، فقتل من بنى بكر عشرين ومن هذيل ثلاثة أو أربعة ، وانهزموا فقتلوا
بالحزورة^(١) حتى بلغ قتلهم باب المسجد .

قال العباس : نفرجت بأبي سفيان حتى حبسه بمضيق الودي حيث أمرني رسول
الله صلى الله عليه وسلم أن أحبسه .

قال : ومررت القبائل على رايتهما ، كلما مرت قبيلة قال : يا عباس من هؤلاء ؟
فأقول : سليم . فيقول : مالى ولسلم . ثم تمر به القبيلة فيقول : يا عباس من هؤلاء ؟
فأقول : مزينة . في يقول : مالى ولمزينة . حتى نفذت القبائل ماتمر به قبيلة إلا سألني عنها ،
فإذا أخبرته قال : مالى ولبني قلان . حتى مر رسول الله صلى الله عليه وسلم في كتبته
الحضراء وفيها المهاجرون والأنصار لا يرى منهم إلا الحدق من الحديد ، فقال :
سبحان الله يا عباس ! من هؤلاء ؟ قال : قلت : هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم في
المهاجرين والأنصار ، قال : ما الأحدي بهؤلاء من قبل ولا طاقة ، والله يا أبا الفضل لقد
أصبح ملك ابن أخيك الغداة عظيما !

قال : قلت : يا أبا سفيان إنها الثبوة . قال : فنعم إذن .

قال : قلت النجاء إلى قومك .

* * *

حتى إذا جاءهم صرخ بأعلى صوته : يامعشر قريش ، هذا محمد قد جاءكم فيما لا قبل

(١) الحزورة : كانت سوق مكة .

لَكُمْ بِهِ ، فَنَّ دَخْلَ دَارَ أَبِي سَفِيَّانَ فَهُوَ آمِنٌ .

فَقَامَتْ إِلَيْهِ هَنْدَ بْنَتْ عَقْبَةَ [فَأَخْذَتْ بِشَارِبِهِ^(١)] قَالَتْ : اقْتُلُوا الْحَمِيتَ الدَّسَمَ الْأَجْحَسَ^(٢) قَبْحٌ مِّنْ طَلِيعَةِ قَوْمٍ .

فَقَالَ أَبُو سَفِيَّانَ : وَيْلَكُمْ لَا تَغْرِيَنَّكُمْ هَذِهِ مِنْ أَنفُسِكُمْ ، فَإِنَّهُ قَدْ جَاءَكُمْ مَالًا قَبْلَ لَكُمْ بِهِ ، مِنْ دَخْلِ دَارَ أَبِي سَفِيَّانَ فَهُوَ آمِنٌ .

قَالُوا : قاتَلَكَ اللَّهُ ! وَمَا نَفَنَّ عَنَا دَارَكَ ؟ قَالَ : وَمَنْ أَغْلَقَ عَلَيْهِ بَابَهُ فَهُوَ آمِنٌ ، وَمَنْ دَخَلَ الْمَسْجِدَ فَهُوَ آمِنٌ .

فَتَفَرَّقَ النَّاسُ إِلَى دُورِهِمْ وَإِلَى الْمَسْجِدِ .

[وَذَكَرَ عُرُوْةُ بْنُ الْزِيَّرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِمَا سَرَّهُ بِأَبِي سَفِيَّانَ قَالَ لَهُ : إِنِّي لَأُرَى وُجُوهَهُ كَثِيرَةً لَا أَعْرِفُهُمْ ، لَقَدْ كَثُرَتْ هَذِهِ الْوُجُوهُ عَلَيَّ ؟ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ : « أَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا وَقَوْمُكَ ، إِنَّ هُؤُلَاءِ صَدَّقُونِي إِذْ كَذَّبُوكُمْ ، وَنَصَرُونِي إِذْ أَخْرَجْتُكُمْ » .

ثُمَّ شَكَّا إِلَيْهِ قَوْلَ سَعْدَ بْنَ عَبَادَةَ حِينَ مَرَّ عَلَيْهِ فَقَالَ : يَا أَبَا سَفِيَّانَ :

الْيَوْمُ يَوْمُ الْمَلَحِمَةِ الْيَوْمُ تُسْتَحْلَلُ الْحُرْمَةِ

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ : « كَذَّبَ سَعْدٌ ، بَلْ هَذَا يَوْمٌ يَعْظِمُ اللَّهُ فِيهِ الْكَعْبَةُ وَيَوْمٌ تُكْسَبَ فِيهِ الْكَعْبَةُ » .

وَذَكَرَ عُرُوْةُ أَنَّ أَبَا سَفِيَّانَ لَمَّا أَصْبَحَ صَبِيحةً تِلْكَ الْلَّيْلَةَ الَّتِي كَانَ عِنْدَ الْعَبَاسِ ، وَرَأَى النَّاسَ يَجْنَحُونَ لِلصَّلَاةِ وَيَنْتَشِرُونَ فِي اسْتِعْمَالِ الطَّهَارَةِ خَافَ وَقَالَ لِلْهَبَّاسَ : مَا بِأَهْمَمْ ؟ قَالَ : إِنَّهُمْ قَدْ سَمِعُوا النَّدَاءَ فَهُمْ يَنْتَشِرُونَ لِلصَّلَاةِ . فَلَمَّا حَضَرَتِ الصَّلَاةِ وَرَأَاهُمْ يَرْكُمُونَ

(١) لَيْسَ فِي ا.

(٢) الْحَمِيتُ : الرَّقُ . أَوْ وَعَاءُ السَّمِنِ . وَالدَّسَمُ : السَّمِنِ . وَالْأَجْحَسُ : الْكَثِيرُ الْلَّعْنُ .

ويسجدون بسجوده قال : ياعباس ما يأمرهم بشيء إلا فعلوه ؟ قال : نعم والله لو أمرهم بترك الطعام والشراب لأنطاعوه .

وذكر موسى بن عقبة عن الزهرى أنه لما توضأ رسول الله صلى الله عليه وسلم جعلوا يتسكّفون ، فقال : ياعباس مارأيت كالمالية ولا ملك كسرى وقيصر ! [١].

* * *

وقد روى الحافظ البهقى عن الحاكم وغيره عن الأصم ، عن أَحْدَبْنَ عبد الجبار عن يونس بن بُكْرٍ ، عن ابن إِسْحَاقَ ، حدثني الحسين بن عبد الله بن عبيدة الله بن عباس ، عن عكرمة ، عن ابن عباس . فذكر هذه القصة بتأميمها كما أوردها زِيَادُ الْبَكَّانِيُّ عن ابن إِسْحَاقَ منقطعة . فَاللَّهُ أَعْلَمُ .

على أنه قد روى البهقى من طريق أبي بلال الأشعري ، عن زِيَادُ الْبَكَّانِيُّ ، عن محمد بن إِسْحَاقَ ، عن الزهرى ، عن عبيدة الله ، عن ابن عباس ، قال : جاء العباس بأبي سفيان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : فذكر القصة . إلا أنه ذكر أنه أسلم من ليلته قبل أن يصبح بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنه لما قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من دخل دار أبي سفيان فهو آمن » قال أبو سفيان : وما تَسْعَ دارى ؟ قال : « ومن دخل الكعبة فهو آمن » قال : وما تَسْعَ الكعبة ؟ فقال : « ومن دخل المسجد فهو آمن » قال : وما يسع المسجد ؟ فقال : « ومن أغْتَقَ عليه بابه فهو آمن » فقال أبو سفيان : هذه واسعة .

وقال البخارى : حدثنا عبيد بن إسماعيل ، حدثنا أبو أسامة ، عن هشام ، عن أبيه قال : لما سار رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفتح فبلغ ذلك قريشاً خرج أبو سفيان ابن حرب وَحَكِيمَ بن حِزَامَ وَبُدْيَلَ بن وَرْقَاء يلقى مسون الخبر عن رسول الله صلى الله

عليه وسلم ، فأتلوا يسرون حتى أتوا مَرَّ الظَّهَرَانِ فإذا هم بنيران كأنها نيران عرفة ، فقال أبو سفيان : ما هذه ؟ كأنها نيران عرفة ؟ فقال بُدَيْلَ بْنُ وَرْقَاءَ : نيران بني عمرو . فقال أبو سفيان : عمرو أقل من ذلك . فرأى ناس من حرس رسول الله صلى الله عليه وسلم فأدر كوم فأخذوهم ، فأتوا بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأسلم أبو سفيان .

فألا ما سار قال للعباس : « احبس أبا سفيان عند خطم الجبل حتى ينظر إلى المسلمين » فحبسه العباس ، فجعلت القبائل تمر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، تمر كتبية كتبية على أبي سفيان ، فرت كتبية فقال : يا عباس من هذه ؟ قال : هذه غفار . قال : مالى ولغفار . ثم مرَّت جهينة فقال مثل ذلك ، ثم مرَّت سعد بن هذيم فقال مثل ذلك ، ومرَّت سليم فقال مثل ذلك ، حتى أقبلت كتبية لم ير مثلها فقال : من هذه ؟ قال : هؤلاء الأنصار عليهم سعد بن عبادة معه الراية . فقال سعد بن عبادة : يا أبا سفيان اليوم الملحمة . اليوم تستحل السكبة . فقال أبو سفيان : يا عباس حبذا يوم الدمار .

ثم جاءت كتبية وهي أقل الكتائب ، فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، وراية رسول الله صلى الله عليه وسلم مع الزبير بن العوام ، فلما مرَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بأبي سفيان قال : ألم تعلم ما قال سعد بن عبادة ؟ فقال : ما قال ؟ قال : كذا وكذا . فقال : « كذاب سعد ، ولكن هذا يوم يعظم الله فيه السكبة ، ويوم تكسى فيه السكبة » وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تُرْكَز رايته بالحججون .

قال عروة : وأخبرني نافع بن جعير بن مطعم قال : سمعت العباس يقول للزبير بن العوام : هنا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تُرْكَز رايته ؟ قال : نعم .

قال : وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد أن يدخل من أعلى مكة من كداء ، ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم من كداء ، فقتل من خيل خالد بن الوليد يومئذ رجلان حبيش بن الأشعري وگرز بن جابر الفهرسي . وقال أبو داود : حدثنا

عثمان بن أبي شيبة ، حدثنا يحيى بن آدم ، حدثنا إدريس ، عن محمد بن إسحاق ، عن الزهرى ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، عن ابن عباس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفتح جاءه العباس بن عبد المطلب بأبى سفيان بن حرب فأسلم بمرا الظهران ، فقال له العباس : يا رسول الله إن أبا سفيان رجل يحب هذا الفخر ، فلو جعلت له شيئاً ؟ قال : « نعم من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ، ومن أغلق بابه فهو آمن » .

صفة دخوله عليه الصلاة والسلام مكة

ثبت في الصحيحين من حديث مالك [عن الزهرى^(١)] عن أنس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل مكة وعلى رأسه المغفر ، فلما نزعه جاءه رجل فقال : إن ابن حَطْل متعلق بأستار الكعبة فقال : « اقتلوه » .

قال مالك : ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما نرى والله أعلم بمحرما .
وقال أحمد : حدثنا عفان ، حدثنا حماد ، حدثنا أبو الزبير ، عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل يوم فتح مكة وعليه عمامة سوداء .
ورواه أهل السنن الأربعه من حديث حماد بن سلمة . وقال الترمذى : حسن صحيح .
ورواه مسلم عن قتيبة ، ويحيى بن يحيى ، عن معاوية بن عمارة الدُّهْنِي ، عن أبي الزبير ، عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل مكة وعليه عمامة سوداء من غير إحرام .

وروى مسلم من حديث أبي أسامة ، عن مُسَاوِر الوراق ، عن جعفر بن عمرو بن حُرَيْث ، عن أبيه قال : كأني أنظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة وعليه عمامة حَرَقَانِيَة^(٢) سوداء قد أرخي طرفها بين كتفيه .

(١) سقطت من أ .

(٢) الحرقانية : على لون ما أحمر قته النار .

وروى مسلم في صحيحه ، والترمذى والنمسائى من حديث عمار الدهنى ، عن أبي الزبير ، عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل مكة وعليه عمامة سوداء .
وروى أهل السنن الأربعه من حديث يحيى بن آدم ، عن شريك القاضى ، عن عمار الدهنى ، عن أبي الزبير ، عن جابر قال : كان لواء رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم دخل مكة أبيض .

وقال ابن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي بكر ، عن عائشة : كان لواء رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح أبيض ، ورايته سوداء تسمى العقاب ، وكانت قطعة من ميرط مرجل ^(١) .

وقال البخارى : حدثنا أبو الوليد ، حدثنا شعبة ، عن عبد الله بن قرة ، قال : سمعت عبد الله بن مغفل يقول : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة على ناقه وهو يقرأ سورة الفتح يرتجع . وقال : لو لأن يجتمع الناس حولي لرجمت كارجع .
وقال محمد بن إسحاق : حدثني عبد الله بن أبي بكر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما انتهى إلى ذى طوئ وقف على راحلته مُعْتَجراً بشقة بُرُد حِبَرَة حِرَاء ^(٢) ، وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليضع رأسه تواضعاً لله حين رأى ما أكرمه الله به من الفتح ، حتى إن عثثونه ^(٣) ليكاد يمس واسطة الرَّاحل .

وقال الحافظ البيهقي : أنبأنا أبو عبد الله الحافظ ، أنبأنا دعْلِيج بن أَحْمَد ، حدثنا أَحْمَد بن على الأَبْتَار ، حدثنا عبد الله بن أبي بكر المقدسى ، حدثنا جعفر بن سليمان ، عن ثابت ، عن أنس ، قال : دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح وذفنه على رحله ^(٤) متخيضاً .

(١) المِرْط : كيساء من صوف . والمرجل : الذى فيه صور الرجال . وتروى مرحل بالماء أى فيه صور الرجال .

(٢) العثثون : الاجية أو ما يفضل منها بعد العارضين .

(٣) بُشَقَّة بُرُد حِرَاء .

(٤) غير أى : راحلته .

وقال : أَنْبَأْنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحَافِظُ ، أَنْبَأْنَا أَبُو بَكْرَ بْنَ الْوَيْهِ ، حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ صَاعِدٍ ،
حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَبِي الْحَارِثِ ، حَدَّثَنَا جَعْفَرُ بْنُ عَوْنَ ، حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَبِي خَالِدٍ ،
عَنْ قَيْسٍ ، عَنْ أَبْنَ مُسْعُودٍ ، أَنَّ رَجُلًا كَلَمَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ الْفَتْحِ فَأَخْذَتْهُ
الرُّعْدَةُ ، فَقَالَ : « هَوَّنَ عَلَيْكَ فَإِنَّمَا أَنَا ابْنُ امْرَأَةٍ مِنْ قَرِيشٍ تَأْكُلُ الْقَدِيدَ ». .
قال : وَهَكُذا رَوَاهُ مُحَمَّدُ بْنُ سَلَيْمَانَ بْنُ فَارِسٍ وَأَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى بْنُ زَهْيرٍ ، عَنْ إِسْمَاعِيلِ
ابْنِ أَبِي الْحَارِثِ مَوْصِلًا .

ثُمَّ رَوَاهُ عَنْ أَبِي زَكْرِيَا الْمَزْكُورِ ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدِ بْنِ يَعقوبٍ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ
الْوَهَابٍ ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ عَوْنَ ، عَنْ إِسْمَاعِيلِ بْنِ قَيْسٍ مُرْسَلاً . وَهُوَ الْمُحْفُوظُ .
وَهَذَا التَّوَاضُعُ فِي هَذَا الْمَوْطَنِ عَنْ دُخُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَكَّةَ فِي مُثْلِ هَذَا الْجَيْشِ
الْكَثِيفِ الْعَرَمَ ، بِخَلَافِ مَا عَتَقَمَهُ سَفَهَاءُ بَنِ إِسْرَائِيلَ حِينَ أَمْرَوْا أَنْ يَدْخُلُوا بَابَ
بَيْتِ الْمَقْدِسِ وَهُمْ سَاجِدُونَ - أَىٰ رُكُوعٍ - يَقُولُونَ حِطَّةً فَدَخَلُوا يَرْحُفُونَ عَلَى أَسْتَامِهِمْ وَهُمْ
يَقُولُونَ : حِنْطَةٌ فِي شِعْرَةٍ !

وَقَالَ الْبَخَارِيُّ : حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ بْنُ خَارِجَةَ ، حَدَّثَنَا حَفْصَ بْنُ مَيْسِرَةَ ، عَنْ هَشَامِ بْنِ
عَرْوَةَ ، عَنْ أَبِيهِ ، أَنَّ عَائِشَةَ أَخْبَرَتْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَخَلَ عَامَ الْفَتْحِ مِنْ
كَدَاءَ الَّتِي بِأَعْلَى مَكَّةَ . تَابَعَهُ أَبُو أَسَمَّةَ وَوَهْبُ فِي كَدَاءِ .
حَدَّثَنَا عَبِيدُ بْنَ إِسْمَاعِيلَ ، حَدَّثَنَا أَبُو أَسَمَّةَ ، عَنْ هَشَامٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَامَ الْفَتْحِ مِنْ أَعْلَى مَكَّةَ مِنْ كَدَاءِ .

وَهُوَ أَصَحُّ إِنْ أَرَادَ أَنَّ الرَّسُولَ أَصَحُّ مِنْ اتَّسَعَ الْمُتَقْدَمَ اتَّنْظَمَ السَّكَلَامَ ، وَإِلَّا فَكَدَاءُ
بِالْمَدِ هِيَ الْمَذَكُورَةُ فِي الرَّوَايَتَيْنِ وَهِيَ فِي أَعْلَى مَكَّةَ ، وَكَدَاءُ مَقْصُورٌ فِي أَسْفَلِ مَكَّةَ . وَهَذَا
هُوَ الشَّهُورُ وَالْأَنْسَبُ .

وَقَدْ تَقْدَمَ أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَعْثَ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ مِنْ أَعْلَى مَكَّةَ ، وَدَخَلَ هُوَ عَلَيْهِ

السلام من أسلفها من كُلَّهِ وهو في صحيح البخاري. والله أعلم.

وقد قال البيهقي : أَبْنَا أَبَا الْحَسِينِ بْنِ عَبْدَانَ ، أَبْنَا أَحْمَدَ بْنَ عَبِيدِ الصَّفَارِ [حدثنا عبد الله بن إبراهيم بن المنذر الخزامي ، حدثنا مَعْنُون ، حدثنا عبد الله بن عمر بن حفص ، عن نافع ، عن ابن عمر^(١)] قال : لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفتح رأى^(٢) النساء يلطممن وجوه الخيل ، فتبسم إلى أبي بكر وقال : « يا أبو بكر كيف قال حسان ؟ » فأنشد أبو بكر رضي الله عنه :

عَدِمْتُ بُنْيَتِي إِنْ لَمْ تَرُوهَا تَنِيرُ النَّقْعَ مِنْ كَتْفِي كَدَاءَ
يُنَازِعُنَّ الْأَعْنَةَ^(٣) مُسْرَجَاتِي يُلْطِمُنَّ بِالْخَلْرِ النَّسَاءَ
فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « ادْخُلُوهَا مِنْ حِيثُ قَالَ حَسَّانٌ ! ». *

* * *

وقال محمد بن إسحاق : حدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه ، عن جدته أسماء بنت أبي بكر قالت : لما وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم بذاته طوي قال أبو قحافة لابنته له من أصغر ولده : أى بُنْيَةَ اظْهَرَتِي عَلَى أَبِي قُبَيْسٍ . قالت : وقد كَفَ بصره . قالت : فأشرفت به عليه فقال : أى بُنْيَةَ مَاذا ترين ؟ قالت : أرى سواداً يجتمعوا . قال : تلك الخيل . قالت : وأرى رجلاً يسعى بين يدي ذلك السواد مقبلًا ومدبراً . قال : أى بُنْيَةَ ذلك الوازع - يعني الذي يأمر الخيل ويقدم إليها - ثم قالت : قد والله انتشر السواد . فقال : قد والله إذا دفعت الخيل فأسرعى بي إلى بيتي . فاحضرت به وتلقاه الخيل قبل أن يصل إلى بيته . قالت : وفي عنق الحاربة طوق من ورق فيلقاها رجل فيقطعه من عنقه .

(١) سقطت من ١ .

(٢) غير ١ : وأئِ النساء .

(٣) ١ : الأستة . ولعلها تحريف .

قالت : فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكّةَ ودخل المسجدَ أتى أبو بكر بأبيه يقوده ، فلما رأه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « هلا تركتَ الشيخَ في بيته حتى أكون أنا آتيه فيه ؟ ! » قال أبو بكر : يا رسول الله هو أحقُّ أن يمشي إلينك من أن تمشي أنت إاليه .

قال : فأجلسه بين يديه ، ثم مسح صدره ثم قال : أَسْلَمَ . فأَسْلَمَ . قالت : ودخل به أبو بكر وكان رأسه كالثغامة^(١) بياضاً . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « غَيْرُوا هذا من شعره » .

ثم قام أبو بكر فأخذ يد أخيه وقال : أَنْشَدَ اللَّهُ وَالإِسْلَامَ طَوْقَ أَخْتِي ؟ فلم يجبه أحد قال : فقال : أَيُّ أُخْيَةٍ احْتَسِبَ طَوْقَكَ ، فَوَاللَّهِ إِنَّ الْأَمَانَةَ فِي النَّاسِ الْيَوْمَ لَقَلِيلٌ ! يعني به الصَّدِيقُ ذلكَ الْيَوْمَ عَلَى التَّعْبِينَ^(٢) ، لَأَنَّ الْجَيشَ فِيهِ كُثْرَةٌ ، وَلَا يَكَادُ أَحَدٌ يَلْوِي عَلَى أَحَدٍ ، مَعَ انتشارِ النَّاسِ ، وَلَعِلَّ الَّذِي أَخْذَهُ تَأْوِلُ أَنَّهُ مِنْ حَرْبِي وَاللهُ أَعْلَمُ . وقال الحافظ البهقي : أنبأنا عبد الله الحافظ ، أنبأنا أبو العباس الأصم ، أنبأنا بحر بن نصر ، أنبأنا ابن وهب ، أخبرني ابن جرير ، عن أبي الزبير ، عن جابر ، أن عمر بن الخطاب أخذ يد أبي قحافة فاتى به النبي صلى الله عليه وسلم ، فلما وقف به على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « غَيْرُوهُ وَلَا تَقْرُبُوهُ سَوَادًا » .

قال ابن وهب : وأخبرني عمر بن محمد ، عن زيد بن أسلم ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم هبأ أبو بكر ياسلام أبيه .

قال ابن إسحاق : فحدثني عبد الله بن أبي تجيح ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين فرق جيشه من ذي طوى أمر الزبير بن العوام أن يدخل في بعض الناس من كداء ، وكان الزبير على المجنبة اليسرى ، وأمر سعد بن عبادة أن يدخل في بعض الناس من كداء .

(١) الثغامة : واحدة الثغام ، وهو نبت أبيض . (٢) يعني الصديق ذلك اليوم على العين ..

قال ابن إسحاق : فزع بعض أهل العلم أن سعداً حين وجَه داخلاً قال : اليوم يوم الملحمة . اليوم تستحلُّ الحرمَة .

فسمعها رجل . قال ابن هشام : يقال : إنه عمر بن الخطاب . فقال : يا رسول الله أنسِمْع ما يقول سعد بن عبادة ؟ ما تأْمِن أن يكون له في قريش صَوْلة . فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعلى : « أذْرِكَ فتَخَذِ الرايَةَ مِنْهُ فَكَنْ أَنْتَ تَدْخُلُ بَهَا ». .

قلت : وذكر غير محمد بن إسحاق أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما شكا إليه أبو سفيان قولَ سعد بن عبادة حين مر به ، وقال : يا أبو سفيان : اليوم يوم الملحمة . اليوم تستحلُّ الحرمَة - يعني السَّكُوبَة - .

فقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « بل هذا يومٌ تعظَّمُ فيه السَّكُوبَة » وأمر بالراية - راية الأنصار - أن تؤخذ من سعد بن عبادة كالتأديب له ، ويقال : إنها دفت إلى ابنه قيس بن سعد . وقال موسى بن عقبة ، عن الزهرى : دفعها إلى الزبير بن العوام . فَالله أعلم .

* * *

وذكر الحافظ بن عساكر في ترجمة يعقوب بن إسحاق بن دينار ، حدثنا عبد الله بن السرّى الأنطاكي ، حدثنا عبد الرحمن بن أبي الزناد ، وحدثني موسى بن عقبة ، عن أبي الزبير ، عن جابر بن عبد الله قال : دفع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الراية يوم فتح مكة إلى سعد بن عبادة فجعل يهزُّها ويقول : اليوم يوم الملحمة : يوم تستحلُّ الحرمَة . قال : فشقى ذلك على قريش وَكَبَرُ في نفوسهم ، قال : فعارضت امرأة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في مسيره وأشارت تقول^(١) :

يا نبِيَّ الْمَهْدَى إِلَيْكَ لَجَاهَى قَرِيشٌ وَلَاتْ حِينَ لَجَاءَ

(١) نسب الشهيلي هذه الآيات إلى ضرار بن الخطاب . الروض ٢٧١/٢ .

حين ضاقت عليهم سمعة الأرض
وعادَهم إله السماء
[والتقت حلقتا البطنان على القو
م ونودوا بالصيلم الصاعاء]^(١)
إن سعداً ي يريد قاصمة الظاهر
ر بأهل الحججون والبطحاء
خَزْرَجِيَّ لَوْ بِسُقْطِيْعِ مِنْ الغَيْرِ
فَاسْهِمَهُ فِيْهِ الأَسْدُ الْأَسْدُ
وَدُّ وَاللَّا يَثُولُ فِي الدَّمَاءِ
فَلَئِنْ أَقْبَحَ اللَّوَاءَ وَنَادَى
يَا حُمَّاءَ اللَّوَاءَ أَهْلَ اللَّوَاءِ
لَتَكُونَنَّ بِالْبَطَاطَاحَ قَرِيشَ^(٢)
إِنَّهُ مِضْلَتٌ يَرِيدُ لَهَا الرَّأْيَ
يَصْمُوتُ كَالْحَيَّةِ الصَّمَاءِ^(٣)

قال : فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الشعر دخله رحمة لهم ورأفة بهم ،
وأمر بالراية فأخذت من سعد بن عبادة ودفعت إلى ابنه قيس بن سعد .
قال : فيروى أنه عليه الصلة والسلام أحب ^{ألا يحييها إذ رغبت إليه واستفاقت}
به ، وأحب ^{ألا ينقض سعد ، فأخذ الراية منه فدفعها إلى ابنه} ^(٤) .

* * *

قال ابن إسحاق : وذكر ابن أبي نجح في حديثه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
أمر خالد بن الوليد فدخل من الليط أسفل مكة في بعض الناس ، وكان خالد على الجنابة
اليمن وفيها أسلم وسليم وغفار ومزنية وجهمة وقبائل من قبائل العرب ، وأقبل أبو عبيدة
ابن الجراح بالصف من المسلمين ينصب لأهل مكة ^(٥) بين يدي رسول الله صلى الله عليه
 وسلم ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم من أذخر حتى نزل بأعلى مكة فضررت له
هناك قبة .

(١) من الروس الأنف . والبطنان : حزام القتب . والصيلم : الدهاية . والصلعاء : المشهورة .
(٢) العواء : الكلب . (٣) القاع : الأرض السهلة المنبسطة . (٤) المصلت : الرجل الماضي .
(٥) سقط من ، غير ا : مكة .

وروى البخاري من حديث الزهرى ، عن على بن الحسين ، عن عمرو بن عثمان عن أسماء بن زيد ، أنه قال زمان الفتح : يارسول الله أين تنزل غداً؟ فقال : « وهل ترك لنا عَقِيلٌ من رِبَاعٍ ^(١) » ثم قال : « لَا يَرِثُ الْكَافِرُ الْمُؤْمِنَ وَلَا الْمُؤْمِنُ الْكَافِرَ ». ثم قال البخارى : حدثنا أبو المیان ، حدثنا شعيب ، حدثنا أبو الزبير ، عن عبد الرحمن ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « مَنْزَلَنَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ إِذَا فَتَحَ اللَّهُ الخَيْفَ ، حِيثُ تَقَاسِمُوا عَلَى الْكَفَرِ ». .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يونس ، حدثنا ابراهيم - يعني ابن سعد - عن الزهرى ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْزَلَنَا غداً إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِخَيْفٍ بْنِ كَدَانَةَ حِيثُ تَقَاسِمُوا عَلَى الْكَفَرِ ». .

ورواه البخارى من حديث إبراهيم بن سعد به نحوه .

وقال ابن إسحاق : وحدثني عبد الله بن أبي نجيح وعبد الله بن أبي بكر ، أن صفوان ابن أمية وعِكْرمة بن أبي جهل وسُهيل بن عمرو كانوا قد جمعوا ناساً بالخندمة ليقاتلوها ، وكان حماس بن قيس بن خالد أخو بنى بكر يعذلا سلاحاً قبل قيوده رسول الله صلى الله عليه وسلم ويصلح منه ، فقالت له امرأته : لماذا تعدد ما أرى؟ قال : لحمد وأصحابه . فقالت : والله ما أرى يقوم لحمد وأصحابه شيء ! قال : والله إنما لأرجو أن أخذك بعضهم . .

ثم قال :

إِنْ يُقْبِلُوا الْيَوْمَ فَمَا لِ عَلَهُ هَذَا سِلَاحٌ كَامِلٌ وَاللهُ^(٢)
وَذُو غَرَارَيْنِ سَرِيعُ السَّلَةِ^(٣)

قال : ثم شهد الخندمة مع صفوان وعِكْرمة وسُهيل ، فلما لقيهم المسلمون من أصحاب

(١) الرباع : جمع ربع ، وهي الدار .

(٢) الألة : جميع أداة الحرب .

(٣) الغرار : حد الرمح والسيف والسيم . يزيد : سيفاً .

خالد ناوشعه شيئاً من قتال ، فقتل كرز بن جابر أحد بنى محارب بن فهر وحبيش^(١) بن خالد بن ربيعة بن أصرم حليف بنى مقدذ ، وكان في جيش خالد ، فشدا عنه فسلكا غير طريقة فقللا جيماً ، وكان قتل كرز قبل حبيش .

قالا : وقتل من خيل خالد أيضاً سلمة بن الميلاد الجهمي ، وأصيب من الشركين قريب
من اثني عشر أو ثلاثة عشر . ثم انهزموا بخرج حماس منهزاً حتى دخل بيته ثم قال
لأمراته : أغلقى على بابي . قالت : فأين ما كنت تقول ؟ فقال :

إنك لو شهدت يوم الخندَمَه
 إذ فَرَّ صفوانٌ وفَرَّ عِكْرُمه
 وأبو يزيد قائم كالمُؤْتَمَه
 يَقْطَمُنَ كُلَّ سَاعِدٍ وَجَمِيعَه
 ضَرِبَا فَلَا يُسْمَعُ إِلَّا غَمْعَه
 لَمْ تَهِيَّتْ خَلْفَنَا وَهَمْهَه
 مَمْتَنَقِي فِي الْلَّوْمِ أَذْنَى كَلْمَه
 قال ابن هشام : وتروى هذه الآيات للرّاعاش المذكوري .

قال : وكان شعار المهاجرين يوم الفتح وحنين والطائف : « يا بنى عبد الرحمن »
وشعار الخزرج : « يا بنى عبدالله » وشعار الأوس : « يا بنى عبيد الله » .
وقال الطبراني : حدثنا على بن سعيد الرازي ، حدثنا أبو حسان الزيادي ، حدثنا
شعييب بن صفوان ، عن عطاء بن السائب ، عن طاوس ، عن ابن عباس ، عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن الله حرم هذا البلد يوم خلق السموات والأرض ،
وصاغه يوم صاغ الشمس والقمر ، وما حيأ له من السماء حرام ، وإنه لا يحل لأحد قبلني ،
ولئنما حلَّ لي ساعةً من نهار ثم عاد كما كان » .

(١) الأصل : حنيش . وهو تحرير وما أثبتته عن الروض الألف .

(٢) أبو يزيد : يزيد سهيل بن عمرو ، وكان خطيب قريش . والمؤتمه : الأسطوانة ، من قولهم وتم وألم إذا ثبت . وتروي المؤتمه . بالواو بدل المهمز ، ومعناها : الأيام التي مات عنها زوجها . الروض ٢٧٢ / ٢

(٣) التهيت : الزثير .

فَقِيلَ لَهُ : هَذَا خَالدُ بْنُ الْوَلِيدَ يُقْتَلُ ؟ فَقَالَ : « قَمْ يَا فَلَانَ فَأْتِ خَالدَ بْنَ الْوَلِيدَ فَقُلْ لَهُ فَلَيْرُفْ يَدِيهِ مِنَ الْقَتْلِ » .

فَأَتَاهُ الرَّجُلُ فَقَالَ : إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : أُقْتَلُ مِنْ قَدْرَتِي عَلَيْهِ !
فَقُتِلَ سَبْعِينَ إِنْسَانًا ، فَأَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذُكِرَ ذَلِكُ لَهُ ، فَأُرْسَلَ إِلَى خَالدَ
فَقَالَ : « أَلَمْ أَمْهُكْ عَنِ الْقَتْلِ ؟ » فَقَالَ : جَاءَنِي فَلَانٌ فَأَمْرَنِي أَنْ أُقْتَلُ مِنْ قَدْرَتِي عَلَيْهِ .
فَأُرْسَلَ إِلَيْهِ : « أَلَمْ أَمْرَكَ ؟ » قَالَ : أَرَدْتَ أَمْرًا وَأَرَادَ اللَّهُ أَمْرًا فَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ فَوْقَ
أَمْرِكَ ، وَمَا اسْتَطَعْتَ إِلَّا الَّذِي كَانَ . فَسَكَتَ عَنْهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَارَدَ
عَلَيْهِ شَيْئًا .

* * *

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَهِدَ إِلَى أُمَّرَائِهِ أَلَا
يَقْتَلُوا^(١) إِلَّا مِنْ قَاتِلِهِمْ ، غَيْرُ أَنَّهُ أَهَدَرَ دَمَ نَفْرَتَاهُمْ وَإِنْ وَجَدُوا تَحْتَ أَسْتَارِ الْكَعْبَةِ
وَهُمْ : عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعْدَ بْنُ أَبِي سَرْخٍ ، كَانَ قَدْ أَسْلَمَ وَكَتَبَ الْوَحْيَ ثُمَّ ارْتَدَهُ ، فَلَمَّا دَخَلَ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَكَّةَ وَقَدْ أَهَدَرَ دَمَهُ فَرَأَى عَمَانَ وَكَانَ أَخَاهُ مِنَ الرَّضَاعَةِ ،
فَلَمَّا جَاءَ بِهِ لِيَسْتَأْمِنَ لَهُ صَمَتَ عَنْهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طَوِيلًا ثُمَّ قَالَ : « نَعَمْ ».
فَلَمَّا انْصَرَفَ مَعَ عَمَانَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِمَنْ حَوْلَهُ : « أَمَّا كَانَ فِيكُمْ
رَجُلٌ رَشِيدٌ يَقُولُ إِلَى هَذَا حِينَ رَأَى قَدْ صَمَتَ فِي قَتْلَهِ » فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلَّا
أَوْمَاتَ إِلَيْنَا ؟ فَقَالَ : « إِنَّ النَّبِيَّ لَا يُقْتَلُ بِالإِشَارَةِ » .

وَفِي رَوْيَةٍ^(٢) : « إِنَّهُ لَا يَبْغِي لِنَبِيٍّ أَنْ تَكُونَ لَهُ خَائِنَةُ الْأَعْيُنِ » .

قَالَ ابْنُ هَشَامَ : وَقَدْ حَسْنَ إِسْلَامَهُ بَعْدَ ذَلِكَ وَوَلَاهُ عُمُرُ بَعْضَ أَعْمَالِهِ ثُمَّ
وَلَاهُ عَمَانَ .

(١) : وَفِي رَوْيَةٍ مَذَكُورَةٍ مُؤْكِدَةٍ لِهَذَا .

(٢) : يَقْتَلُوا .

قلت : ومات وهو ساجد في صلاة الصبح أو بعد انتهاء صلاتها في بيته .

قال ابن إسحاق : وعبد الله بن خطل رجل من بنى تم بن غالب .

قلت : ويقال إن اسمه عبد العزى بن خطل ، ويحتمل أنه كان كذلك ثم لما أسلم

سمى عبد الله .

ولما أسلم بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم مصدقاً^(١) وبعث معه رجلاً من الأنصار ، وكان معه مولى له فغضب عليه غضبة فقتله^(٢) ، ثم ارتدَّ مشركاً ، وكان له قينتان فرَّتْنَي وصاحبتها ، فكانتا تغويان بهجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وال المسلمين ، فلهذا أهدر دمه ودم قينتيه ، فُقتل وهو متعلق بأستار الكعبة ، اشترك في قتلها أبو برزة الأسلى وسعيد بن حرب المخزومي ، وقتلت إحدى قينتيه واستؤمن للأخرى .

قال : والحويرث بن نقيذ بن وهب بن عبد قصيٍّ ، وكان من يؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ، ولما تحمل العباس بفاطمة وأم كلثوم ليذهب بهما إلى المدينة يلحقهما برسول الله صلى الله عليه وسلم أولَ المهرة نحس بهما الحويرث هذا الجل الذي هما عليه فسقطنا إلى الأرض ، فلما أهدر دمه قتل على بن أبي طالب .

قال : ومقيس بن صباباً^(٣) لأنَّه قُتل فاتَّل أخيه خطأً بعد ما أخذ الديمة ، ثم ارتدَّ مشركاً ، قتلَه رجل من قومه يقال له نميرية بن عبد الله .

قال : وسارة مولاة لبني عبد للطلب وامكراة بن أبي جهل ، لأنَّها كانت تؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي^(٤) بمكة .

قلت : وقد تقدم عن بعضهم أنَّها التي تحملت الكتابَ مِنْ حاطب بن أبي بلقة ، وكأنَّها أُفِي عنها أو هربت ثم أهدر دمها . والله أعلم .

فهربت حتى استؤمن لها من رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنْهَا فعاشت إلى زمان

(١) مصدقاً : جابياً للصدقات .

(٤) كذا ولعلها : وهو .

(٢) مصدقاً : جابياً للصدقات .

(٣) في القاموس : ابن حباية .

عمر ، فأوْطأهَا رَجُلٌ [فرساً^(١)] فماتت . وذكر السهيلي أن فرْتَنِي أسلت أيضًا .
قال ابن إسحاق : وأما عِكْرمة بن أبي جهل فهو بـ إلى اليمن ، وأسلت امرأته أم حَكِيم بنت الحارث بن هشام واستأمنت له من رسول الله صلى الله عليه وسلم فآمنه ، فذهبت في طلبه حتى أتت به رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم .

* * *

وقال البيهقي : أَبْنَانَا أَبُو طَاهِرْ مُحَمَّدْ بْنُ مُحَمَّدْ بْنُ حَمْسَ الْفَقِيهِ ، أَبْنَانَا أَبُو بَكْرْ مُحَمَّدْ بْنُ الْحَسِينِ الْقَطَّانِ ، أَبْنَانَا أَحْمَدْ بْنُ يَوسُفَ السَّلْمِيِّ ، حَدَّثَنَا أَحْمَدْ بْنُ الْمَفْضُلِ ، حَدَّثَنَا أَسْبَاطُ بْنُ نَصْرِ الْمُهْمَدَانِيِّ . قَالَ : زَعَمَ السُّدِّيُّ عَنْ مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : لَمَّا كَانَ يَوْمُ فَتْحِ مَكَةَ أَمِّنَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النَّاسَ إِلَّا أَرْبَعَةَ نَفْرٍ وَأَمْرَاتِينَ ، وَقَالَ : « اقْتُلُوهُمْ وَإِنْ وَجَدْتُمُوهُمْ مَتَّعِلِقِينَ بِأَسْتَارِ الْكَعْبَةِ » وَهُمْ : عِكْرَمَةُ بْنُ أَبِي جَهَلٍ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ خَطَّالٍ ، وَمِقِيسُ بْنُ صَبَّابَةٍ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعْدٍ بْنُ أَبِي سَرْحٍ .

فَأَمَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ خَطَّالٍ فَأَدْرِكَهُ وَهُوَ مَتَّعِلِقٌ بِأَسْتَارِ الْكَعْبَةِ فَاسْتَبَقَ إِلَيْهِ سَعِيدُ بْنُ حُرَيْثَ وَعَمَّارُ بْنُ يَاسِرَ ، فَسَبَقَ سَعِيدَ عَمَّارًا وَكَانَ أَشَبَّ الرِّجَلَيْنِ فَقُتِلَ . وَأَمَا مِقِيسُ فَأَدْرَكَهُ النَّاسُ فِي السُّوقِ فَقُتِلُوهُ ، وَأَمَا عِكْرَمَةَ فَرَكِبَ الْبَحْرَ فَأَصَابَهُمْ قَاصِفٌ ، فَقَالَ أَهْلُ السَّفِينةِ لِأَهْلِ السَّفِينةِ : أَخْلَاصُوا فَإِنَّ آمْتَكُمْ لَا تَغْنِي عَنْكُمْ شَيْئًا هَاهُنَا . فَقَالَ عِكْرَمَةُ : وَاللَّهِ لَئِنْ لَمْ يُنْجِجْ فِي الْبَحْرِ إِلَّا إِلْخَاصٌ فَإِنَّهُ لَا يُنْجِي فِي الْبَرِّ غَيْرَهُ ! اللَّهُمَّ إِنَّ لَكَ عَلَيْهِمَا إِنْ أَنْتَ عَافِيَنِي مَا أَنَا فِيهِ أَنْ آتَيْتَ مُحَمَّدًا حَتَّى أَضْعَ يَدِي فِي يَدِهِ فَلَا جُدْنَهُ عَفْوًا كَرِيمًا [بُخَاءٌ^(٢)] فَأَسْلَمَ .

وَأَمَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعْدٍ بْنُ أَبِي سَرْحٍ فَإِنَّهُ اخْتَبَأَ عِنْدَ عَمَّانَ بْنَ عَفَانَ ، فَلَمَّا دَعَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النَّاسَ إِلَى الْبَيْعَةِ جَاءَ بِهِ حَتَّى أَوْقَفَهُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

(١) سقطت من ١.

فقال : يا رسول الله بايع عبد الله . فرفع رأسه فنظر إليه ثلاثة ، كل ذلك يأبى ، فبایعه بعد ثلاثة ، ثم أقبل على أصحابه فقال : « أما كان فيكم رجل رشيد يقوم إلى هذا حين رأني كففت يدي عن بيته فيقتله ؟ » فقالوا : ما يدرينا يا رسول الله ما في نفسك ، هلا أوّمات إلينا بعينك ؟ فقال : « إنه لا ينبغي أن يكون النبي خائنة أعين ^(١) ». .

ورواه أبو داود والنمساني من حديث أَحْمَدُ بْنُ الْفَضْلِ بْنُ نَحْوَهُ .
وقال البيهقي : أَبْنَانَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحَافِظُ ، أَبْنَانَا أَبُو الْعَبَّاسِ الْأَصْمَ ، أَبْنَانَا أَبُو زُرْعَةَ
الْدَّمْشِقِيُّ ، حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ بَشَرٍ الْكَوْفِيُّ ، حَدَّثَنَا الْحَكَمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، عَنْ قَاتِدَةَ ، عَنْ
أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ قَالَ : أَمْنَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النَّاسَ يَوْمَ فَتْحِ مَكَةَ لَا
أَرْبَعَةَ : عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ خَطَّلَ ، وَمِقِيسُ بْنُ صُبَابَةَ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعْدَ بْنِ أَبِي سَرْحٍ ،
وَأُمَّ سَارَةَ .

فَأَمَّا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ خَطَّلِ فَإِنَّهُ قُتُلَ وَهُوَ مُقْتَلٌ بِأَسْقَارِ الْكَعْبَةِ . قَالَ : وَنَذَرَ رَجُلٌ
أَنْ يَقْتُلَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ سَعْدَ بْنَ أَبِي سَرْحٍ إِذَا رَأَاهُ ، وَكَانَ أَخَا عَمَّانَ بْنَ عَفَانَ مِنَ الرَّضَاةِ ،
فَأَتَى بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيُشَفَّعَ لَهُ ، فَلَمَّا أَبْصَرَ بِهِ الْأَنْصَارِيُّ اشْتَمَلَ عَلَى
السِّيفِ ، ثُمَّ أَتَاهُ فَوْجَهُ فِي حَلْقَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَجَعَلَ يَتَرَدَّدُ وَيَكْرِهُ أَنْ
يُقْدِمَ عَلَيْهِ ، فَبَسَطَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَبَايَعَهُ ، ثُمَّ قَالَ لِلْأَنْصَارِيِّ : « قَدْ انتَظَرْتُكَ
أَنْ تَوْفِيَ بِنَذْرِكَ ؟ » قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ هِبْتُكَ ، أَفَلَا أَوْمَضْتَ إِلَيْيَّ ؟ قَالَ : « إِنَّهُ لَيْسَ
لِنَبِيِّ أَنْ يَوْمَضَ ». .

وَأَمَّا مِقِيسُ بْنُ صُبَابَةَ ، فَذَكَرَ قَصْتَهُ ، فِي قَتْلِهِ رَجُلًا مُسْلِمًا بَعْدَ إِسْلَامِهِ ثُمَّ ارْتَدَادِهِ
بَعْدَ ذَلِكَ .

قَالَ : وَأَمَّا أُمَّ سَارَةَ فَكَانَتْ مَوْلَةً لِقُرَيْشٍ ، فَأَتَتِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَشَكَتْ

(١) غير ١ : لا ينبغي لنبي أن تكون له خائنة الأعين .

إِلَيْهِ الْحَاجَةُ فَأَعْطَاهَا شَيْئًا، ثُمَّ بَعْثَتُ مَعَهَا رَجُلًا بِكِتَابٍ إِلَى أَهْلِ مَكَّةَ. فَذَكَرَ قَصَّةً حَاطِبَ
ابْنَ أَبِي بَلْقَعَةَ.

* * *

وَرَوَى مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَرْوَةَ بْنِ حَزْمٍ، أَنْ مِقْبِيسَ
ابْنَ صُبَابَةَ قُتِلَ أخْوَهُ هَشَّامَ يَوْمَ بَنِي الْمَصْطَلِقَ، قُتِلَهُ رَجُلٌ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ وَهُوَ يُظْنَى مُشَرِّكًا،
فَقَدِيمٌ مِّقْبِيسٌ مُظْهَرًا لِلإِسْلَامِ لِيُطْلَبَ دِيَّهُ أخْيَهُ، فَلَمَّا أَخْذَهَا عَدَّا عَلَى قَاتِلِ أخْيَهِ فَقُتِلَهُ
وَرَجَعَ إِلَى مَكَّةَ مُشَرِّكًا، فَلَمَّا أَهْدَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَمَهُ قُتِلَ وَهُوَ بَيْنَ
الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ.

وَقَدْ ذَكَرَ ابْنُ إِسْحَاقَ وَالْبَيْهَقِيُّ شِعْرَهُ حِينَ قُتِلَ قَاتِلُ أخْيَهِ وَهُوَ قَوْلُهُ :

شَفَقَ النَّفْسَ مِنْ قَدِيبَاتٍ^(١) بِالقَاعِ مُسْنَدًا يَضْرِجُ تَوْبَيْهِ دَمَاءَ الْأَخَادِعِ
وَكَانَتْ هُمُومُ النَّفْسِ مِنْ قَبْلِ قُتْلِهِ تُلْمُئُ وَتُنْسِيَنِي وَطَاءَ الْمَضَاجِعِ.
قُتِلَتُ بِهِ فَهْرَمًا^(٢) وَغَرَّمَتْ عَقْلَهُ سَرَّاً بْنِ النَّجَارِ أَرْبَابَ فَارِعِ
حَلَّتُ بِهِ نَذْرِي^(٣) وَأَدْرَكَتْ ثُورَتِي وَكَنْتُ إِلَى الْأَوْثَانِ أَوْلَ رَاجِعٍ
قُلتُ : وَقَيلُ : إِنَّ الْقَيْنَتَيْنِ الَّتِيْنِ أَهْدَرَ دَمَهُمَا كَانَتَا مِقْبِيسَ بْنَ صُبَابَةَ هَذَا، وَأَنَّ
ابْنَ عَمِّهِ قُتِلَهُ بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ . وَقَالَ بَعْضُهُمْ : قُتِلَ ابْنَ خَطَّلَ الْوَبِيرُ بْنَ العَوَامِ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

* * *

وَقَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : حَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ أَبِي هَنْدٍ، عَنْ أَبِي مَرْيَمٍ عَقِيلِ بْنِ أَبِي
طَالِبٍ أَنَّ أُمَّ هَانِيَّ ابْنَةَ أَبِي طَالِبٍ قَالَتْ : لَمَّا نَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَعْلَى
مَكَّةَ فَرَى إِلَيْهِ رَجُلَانِ مِنْ أَخْيَائِيْ[مِنْ بَنِي مَخْزُومٍ^(٤)].

(٢) سبقت الرواية : ثارت به .

(١) سبقت الرواية ص ٢٩٨ أن قدبات .

(٤) سقطت من أ .

(٣) سبقت الرواية : حللت به وترى .

قال ابن هشام : هما الحارث بن هشام وزهير بن أبي أمية بن المغيرة .

قال ابن إسحاق : وكانت عند هُبَيْرَةَ بْنَ أَبِي وَهَبِ الْخَزَوِيِّ ، قَالَتْ : فَدَخَلَ عَلَى أَخِي عَلَىٰ بْنِ أَبِي طَالِبٍ فَقَالَ : وَاللَّهِ لَا قَاتَلَنَا مَا . فَأَغْلَقَتْ عَلَيْهِمَا بَابَ بَيْتِهِ ، ثُمَّ جَئَتْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ بِأَعْلَى مَكَّةَ فَوْجَدَهُ يَقْتَسِلُ مِنْ جَفْنَتِهِ إِنَّ فِيهَا لِأَثْرِيَّ الْمَجِينِ ، وَفَاطِمَةُ ابْنَتِهِ تَسْتَرِهِ بِثِوْبِهِ ، فَلَمَّا اغْتَسَلَ أَخَذَ ثُوبَهُ فَتَوَسَّحَ بِهِ ثُمَّ صَلَّى نَمَاءَ رَكَعَاتَ مِنَ الصَّحْنِ ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَيْهِ فَقَالَ : « مَرْحُبًا وَأَهْلًا بِأَمْ هَانِيٍّ مَا جَاءَ بِكَ؟ » فَأَخْبَرَتْهُ خَبْرَ الرَّجَلَيْنِ وَخَبْرَ عَلَىٰ ، فَقَالَ : « قَدْ أَجَرْنَا مِنْ أَجَرِنَا وَأَمَّنَا مِنْ أَمْنَتْ فَلَا نَقْتَلُهُمَا^(١) ». »

وقال البخاري : حدثنا أبو الوليد ، حدثنا شعبة ، عن عمرو بن مُرَّةَ ، عن ابن أبي ليلى ، قال : ما أخبرنا أحداً أنه رأى النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يصلي الصحنَ غيرَ أَمْ هَانِيَ ، فإنها ذَكَرَتْ أَنَّهُ يَوْمَ فتح مكة اغتسلَ فِي بَيْتِهِ ثُمَّ صَلَّى نَمَاءَ رَكَعَاتَ ، قَالَتْ : وَلَمْ أَرَهْ صَلَّى صَلَاتَةَ أَخْفَى مِنْهَا غَيْرَ أَنَّهُ يَتَمَ الرَّكُوعَ وَالسَّجْدَةَ .

وفي صحيح^(٢) مسلم من حديث الليث ، عن يزيد بن أبي حبيب ، عن سعد بن أبي هند ، أنَّ أبا مُرَّةَ مولى عَقِيلَ حَدَّثَهُ أَنَّ أَمْ هَانِيَ بُنْتَ أَبِي طَالِبٍ حَدَّثَتْهُ أَنَّهُ لَمَّا كَانَ عَامُ الفَتْحِ فَرَأَيْهَا رَجُلَانِ مِنْ بَنِي خَزُومٍ فَأَجَرَاهُمَا ، قَالَتْ : فَدَخَلَ عَلَىٰ^(٣) فَقَالَ : أَقْتَلْهُمَا ، فَلَمَّا سَمِعَتْهُ أَتَيَتْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ بِأَعْلَى مَكَّةَ ، فَلَمَّا رَأَيْهَا رَحِبَ وَقَالَ : « مَا جَاءَ بِكَ؟ » قَلَتْ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ كَنْتَ أَمْنَتْ رَجَلَيْنِ مِنْ أَحْمَانِي فَأَرَادَ عَلَىٰ^(٤) قَتْلَهُمَا . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « قَدْ أَجَرْنَا مِنْ أَجَرِنَا يَأْمَنْ هَانِيٌّ » ثُمَّ قَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى غَسْلِهِ فَسَتَرَتْ عَلَيْهِ فَاطِمَةُ ، ثُمَّ أَخَذَ ثُوبَهُ فَالتحفَ به ، ثُمَّ صَلَّى نَمَاءَ رَكَعَاتَ سُبْحَةَ^(٥) الصَّحْنِ .

(١) السبحة : النافلة .

(٢) وفي حديث مسلم .

(٣) غيرَ أَنَّهُ يَقْتَلُهُمَا .

(٤) (٤) غيرَ أَنَّهُ يَقْتَلُهُمَا .

وفي رواية أنها دخلت عليه وهو يغسل فاطمة ابنته تستر بثوب ، فقال : « من هذه ؟ » قالت : أم هانى . قال : « مرحباً بأم هانى » قالت : يا رسول الله زعم ابن أمى على بن أبي طالب أنه قاتل رجلين قد أجرهما ! فقال : « قد أجرنا من أجرت يا أم هانى » قالت : ثم صلي ثمانى ركعات ..

وذلك ضحى فظن كثير من العلماء أن هذه كانت صلاة الضحى . وقال آخرون : بل كانت هذه صلاة الفتح ، وجاء التصریح بأنه كان يسلم من كل ركعتين .

وهو يرد على الشهيلي وغيره من يزعم أن صلاة الفتح تكون ثمانية بتسلية واحدة ، وقد صلى سعد بن أبي وقاص يوم فتح المدائن في إيوان كسرى ثمانى ركعات يسلم من كل ركعتين . والله الحمد .

* * *

قال ابن إسحاق : وحدثني محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عبيد الله بن عبد الله بن أبي ثور ، عن صفية بنت شيبة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل بمكة واطمأن الناس ، خرج حتى جاء البيت فطاف به سبعاً على راحلته يستلم الركن بمخجن في يده ، [فَلَمَّا قُضِيَ طوافُه دعا عَمَانَ بْنَ طلحَةَ فَأَخْذَ مِنْهُ مفتاحَ الْكَعْبَةِ، فَفُتُحَتْ لَهُ فَدَخَلَهَا، فَوُجِدَ فِيهَا حَامِةً مِنْ عِيَادَانٍ فَكَسَرَهَا يَدُهُ ثُمَّ طَرَحَهَا، ثُمَّ وَقَفَ عَلَى بَابِ الْكَعْبَةِ وَقَدْ اسْتَكَفَ^(١) لِهِ النَّاسُ فِي الْمَسْجِدِ]^(٢) .

وقال موسى بن عقبة : ثم سجد سجدين ثم انصرف إلى زمزم فاطلع فيها ، ودعاءباء فشرب منها وتوضا ، والناس يبتدرؤون وضوءه ، والمسركون يتعجبون من ذلك ويقولون : مارأينا مثلها - يعني مثل هذا - وأخر القاما إلى مكانه اليوم وكان ملتصقاً بالبيت .

(١) استكف : اجتمع .

(٢) هذه الجملة مؤخرة في : ١ بعد قوله : وكان ملتصقاً بالبيت .

قال محمد بن إسحاق : خدثني بعض أهل العلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام على باب المسجدة فقال : « لا إله إلا الله وحده لا شريك له صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده ، إلا كل مأثرة أو دم أو مال يدعى فهو موضوع تحت قدمي هاتين إلا سدانة البيت وسقاية الحاج ، إلا وقتيل الخطأ شبه العمد بالسوط والعصافيه الديمة مقلظة مائة من الإبل ، أربعون منها في بطونها أولادها ، يامعشر قريش إن الله قد أذهب عقلك تخلوقة الجاهلية ونظمها بالأباء ، الناس ^(١) من آدم وآدم من تراب » ثم تلا هذه الآية : « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكير وأنتي » الآية كلها . ثم قال : « يامعشر قريش ، ماترون أني قاتل فيكم ؟ » قالوا : خيراً أخْ كريم وابن أخْ كريم . قال : « اذهبو فأنتم الطلقاء » .

ثم جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد ، فقام إليه علي بن أبي طالب ومفتاح المسجدة في يده فقال : يارسول الله اجمع لنا الحجاجة مع السقاية صلى الله عليك . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أين عثمان بن طلحة ؟ » فدعى له فقال : « هاك مفتاحك يا عثمان ، اليوم يوم بر ووفاء » .

وقال الإمام أحمد : حدثنا سفيان ، عن ابن جذعان ، عن القاسم بن ربيعة ، عن ابن عمر ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة وهو على درج المسجدة : « الحمد لله الذي صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده ، إلا إن قتيل العمد الخطأ بالسوط أو العصافيه مائة من الإبل » .

وقال سرة [أخرى ^(٢)] : « مقلظة فيها أربعون خلقة في بطونها أولادها ، إلا إن كل مأثرة كانت في الجاهلية ودم ودعوى » وقال سرة : « وما تحت قدمي هاتين ، إلا ما كان من سقاية الحاج وسيدانة البيت فإنهم أمضيتهم لأهلهما على ما كانت » .

(٢) ليست في ١ .

(١) ١ : الناس ابن آدم .

وهكذا رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه من حديث علي بن [زيد بن (١)] جدعان عن القاسم بن ربيعة بن جوشن القطافى ، عن ابن عمر به .

* * *

قال ابن هشام : وحدثني بعض أهل العلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل البيت يوم الفتح فرأى فيه صور الملائكة وغيرهم ، ورأى إبراهيم مصوّراً في يده الأَّذْلَام يستقسم بها ، فقال : « قاتلهم الله جعلوا شيخنا يستقسم بالأَّذْلَام [ما شأن إبراهيم والأَّذْلَام (١)] : « ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصراانياً ولكن كان حينها مُسْلِماً وما كان من المشركين » ثم أمر بتلك الصور كلها فطُمِّست .

وقال الإمام أحمد : حدثنا سليمان ، أئبنا عبد الرحمن ، عن موسى بن عقبة ، عن أبي الزيد ، عن جابر قال : كان في الكعبة صُور ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم [عمر بن الخطاب (١)] أن يمحوها فبل عمر ثوباً ومحاها به . فدخلها رسول الله صلى الله عليه وسلم وما فيها منها شيء .

وقال البخاري : حدثنا صدقة بن الفضل ، حدثنا ابن عيينة ، عن ابن أبي تحيّح ، عن مجاهد ، عن أبي مَعْمَر ، عن عبد الله - هو ابن مسعود - قال : دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح وحول البيت ستون وثمانية نصب ، فجعل يطعنها بعود في يده ويقول : « جاء الحق وزَهَقَ الْبَاطِلُ . جاء الحق وما يُبَدِّيُ الْبَاطِلُ وما يُعِيدُ ». .

وقد رواه مسلم من حديث ابن عيينة .

وروى البهقي ، عن ابن اسحاق ، عن عبد الله بن أبي بكر ، عن علي بن عبد الله ابن عباس ، عن أبيه ، قال : دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح مكة وعلى

(١) سقطت من المطبوعة .

الـكـعـبـة ثـلـمـائـة صـنـم ، فـأـخـذـ قـضـيـبـه ، فـجـعـلـ يـهـوـىـ بـهـ إـلـىـ الصـنـمـ وـهـوـيـهـوـىـ حـتـىـ مـرـأـ عـلـيـهـاـ كـلـهـاـ .

ثـمـ روـىـ منـ طـرـيقـ سـوـيدـ بنـ [سـعـيـدـ] عنـ القـاسـمـ بنـ عـبـدـ اللهـ ، عنـ عـبـدـ اللهـ بنـ دـيـنـارـ ، عنـ اـبـنـ عـمـ ، أـنـ رـسـولـ اللهـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ لـمـا دـخـلـ مـكـةـ وـجـدـ بـهـ ثـلـمـائـةـ وـسـتـينـ صـنـمـ ، فـأـشـارـ إـلـىـ كـلـ صـنـمـ بـعـصـاـ وـقـالـ : « جـاءـ الـحـقـ وـزـهـقـ الـبـاطـلـ إـنـ الـبـاطـلـ كـانـ زـهـوـقـاـ » فـكـانـ لـاـ يـشـيرـ إـلـىـ صـنـمـ إـلـاـ وـيـسـقـطـ مـنـ غـيرـ أـنـ يـمـسـ بـعـصـاهـ .

ثـمـ قـالـ : وـهـذـاـ وـإـنـ كـانـ ضـعـيفـاـ فـالـذـىـ قـبـلـهـ يـؤـكـدـهـ .

وـقـالـ حـنـبـلـ بـنـ إـسـحـاقـ : أـنـبـأـنـاـ أـبـوـ الرـبـيعـ ، عنـ يـعقوـبـ الـقـمـيـ ، حـدـثـنـاـ جـعـفـرـ بـنـ أـبـيـ المـغـيـرـةـ ، عنـ أـبـنـ أـبـيـ زـيـدـ قـالـ : لـمـا اـفـتـقـحـ رـسـولـ اللهـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ مـكـةـ جـاءـتـ عـجـوزـ شـفـطـاءـ حـبـشـيـةـ تـخـمـشـ وـجـهـهـاـ وـتـدـعـوـ بـالـوـيـلـ ، فـقـالـ رـسـولـ اللهـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ : « تـلـكـ نـائـةـ أـيـسـتـ أـنـ تـعـبـدـ بـيـلـدـكـ هـذـاـ أـبـداـ » .

وـقـالـ اـبـنـ هـشـامـ : حـدـثـنـىـ مـنـ أـنـقـ بـهـ مـنـ أـهـلـ الـرـوـاـيـةـ فـإـسـنـادـهـ عنـ اـبـنـ شـهـابـ ، عنـ عـبـيـدـ اللهـ بنـ عـبـدـ اللهـ بنـ عـتـبةـ [عنـ اـبـنـ عـبـاسـ (٢)] أـنـهـ قـالـ : دـخـلـ رـسـولـ اللهـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ مـكـةـ يـوـمـ الفـتـحـ عـلـىـ رـاحـاتـهـ فـطـافـ عـلـيـهـاـ وـحـولـ الـكـعـبـةـ أـصـنـامـ مـشـدـودـةـ بـالـرـصـاصـ ، فـجـعـلـ النـبـيـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ يـشـيرـ بـقـضـيـبـ فـيـ يـدـهـ إـلـىـ الـأـصـنـامـ وـيـقـولـ : « جـاءـ الـحـقـ وـزـهـقـ الـبـاطـلـ إـنـ الـبـاطـلـ كـانـ زـهـوـقـاـ » فـمـاـ أـشـارـ إـلـىـ صـنـمـ مـنـهـاـ فـيـ وـجـهـهـ إـلـاـ وـقـعـ لـفـقـاهـ ، وـلـاـ أـشـارـ إـلـىـ قـفـاهـ إـلـاـ وـقـعـ لـوـجـهـهـ ، حـتـىـ مـاـبـقـىـ مـنـهـاـ صـنـمـ إـلـاـ وـقـعـ ، فـقـالـ شـيـمـ بـنـ أـسـدـ الـخـرـاعـىـ :

وـفـيـ الـأـصـنـامـ مـعـتـبـرـ وـعـلـمـ لـمـ يـرـجـوـ الثـوابـ أـوـ الـعـقـابـ

وـفـيـ صـحـيـحـ مـسـلـمـ عنـ شـيـمـانـ بـنـ فـرـوـخـ ، عنـ سـلـيـمانـ بـنـ الـمـغـيـرـةـ ، عنـ ثـابـتـ ، عنـ

(١) مـنـ اـبـنـ هـشـامـ .

عبد الله بن رَبَاح ، عن أبي هريرة ، في حديث فتح مكة قال : وأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أقبل على الحِجْر فاستلمه وطاف بالبيت ، وأتى إلى صنم إلى جنب البيت كانوا يعبدونه ، وفي يد رسول الله صلى الله عليه وسلم قُوْس وهو آخذ بسيتها^(١) فلما أتى على الصنم فجعل يطعن في عينه ويقول : « جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زَهْقاً » فلما فرغ من طوافه أتى الصفا فعلاً عليه حتى نظر إلى البيت ، فرفع يديه وجعل يحمد الله ويدعو بمناشأه أن يدعوه .

وقال البخاري : حدثنا إسحاق بن منصور ، حدثنا عبد الصمد ، حدثنا أبي ، حدثنا أبوب ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قدم مكة أبي أن يدخل البيت وفيه الآلهة ، فأمر بها فاخرجت ، فاخرج صورة إبراهيم وإسماعيل عليهمما السلام وفي أيديهمما الم Razlam⁽²⁾ ، فقال : « قاتلهم الله ! لقد علموا ما استقساها قط ». .

ثم دخل البيت فكبير في نواحي البيت وخرج ولم يصلّ .
تفرد به البخاري دون مسلم .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الصمد ، حدثنا همام ، حدثنا عطاء ، عن ابن عباس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل الكعبة وفيها ست سور ، فقام إلى كل سارية فدعا ولم يصل فيه .

ورواه مسلم عن شَيْبَانَ بْنَ فَرَوْخَ، عن هَمَّامَ بْنَ يَحْيَى الْعُوذِيِّ، عَنْ عَطَاءٍ بْنِ يَحْيَى.

وقال الإمام أحمد : حدثنا هارون بن معروف ، حدثنا ابن وهب ، أخبرني عمرو
بن الحارث ، أَنْ بُكَيْرًا حَدَّثَهُ عَنْ كُثْرَيْبٍ ، عَنْ أَبْنَ عَبَّاسٍ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ دَخَلَ الْبَيْتَ وَجَدَ فِيهِ صُورَةً لِإِبْرَاهِيمَ وَصُورَةً لِمَرِيمَ ، فَقَالَ : « أَمَا

10

(٢) من الأذلام .

(١) السية : ما عطف من طرف القوس .

م قد سمعوا أنَّ الملائكة لا تدخل بيتاً فيه صورة ، هذا إبراهيم مصوّراً ، فما باله يستنقسم ؟ ! » .

وقد رواه البخاري والنسائي من حديث ابن وهب به .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق ، أئبنا معمّر ، أخبرني عن عثمان الخزرجي ، أنه سمع مفصّلاً يحدث عن ابن عباس قال : دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم البيتَ فدعا في نواحيه ، ثم خرج فصلى ركعتين .

فرد به أحمد .

وقال الإمام أحمد : حدثنا إسماعيل ، أئبنا ليث ، عن مجاهد ، عن ابن عمر ، أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى في البيت ركعتين .

قال البخاري : وقال الليث ، حدثنا يونس ، أخبرني نافع ، عن عبد الله بن عمر ، أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبل يوم الفتح من أعلى مكة على راحته مُرْدِقاً أساميَةَ ابن زيد ، ومعه عثمان بن طلحة من الحجَّة ، حتى أناخ في المسجد ، فأمر أن يؤتى بفتح الكعبة ، فدخل ومعه أساميَة بن زيد وبلال وعثمان بن طلحة فمكث فيه نهاراً طويلاً ، ثم خرج فاستيقَ الناس ، فكان عبد الله بن عمر أول من دخل فوجد بلالاً وراء الباب قائماً ، فسأله : أين صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فأشار له إلى المَكَان الذي صلى فيه .

قال عبد الله : ونسيت أن أسأله كم صلى مِن سجدة .

ورواه الإمام أحمد عن هشيم ، حدثنا غير واحد وابن عون ، عن نافع ، عن ابن عمر قال : دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه الفضل بن عباس وأساميَة بن زيد وعثمان ابن طلحة وبلال فأمر بلالاً فاجاف^(١) عليهم الباب فمكث فيه ما شاء الله ثم خرج .

(١) اجاف :أغلق .

قال ابن عمر : فكان أول من لقيت منهم بلاً فقلت : أين صلَّى رسول الله صلَّى الله عليه وسلم ؟ قال : هاهنا بين الأسطوانتين .

قلت : وقد ثبت في صحيح البخاري وغيره أنه عليه السلام صلَّى في الكعبة تلقاء وجهة بابها من وراء ظهره ، يجعل ععودين عن يمينه ، وعموداً عن يساره ، وثلاثة أعمدة وراءه ، وكان البيت يومئذ على ستة أعمدة ، وكان بينه وبين الحائط الغربي مقدار ثلاثة أذرع .

* * *

قال ابن هشام : وحدَثني بعضُ أهل العلم ، أن رسول الله صلَّى الله عليه وسلم دخل الكعبة عامَ الفتح ومعه بلال ، فأنه أَن يؤذن ، وأبو سفيان بن حرب وعَتَاب بن أَسِيد والحارث بن هشام جلوس بفناء الكعبة ، فقال عَتَاب : لقد أَكرم الله أَسيداً لا يكون سمع هذا فسمع منه ما يغيبه ! فقال الحارث بن هشام : أما والله لو أعلم أنه محقٌ لا أتبعه . فقال أبو سفيان : لا أقول شيئاً ، لو تكلمت لأخبرت عن هذه الحصا .

خرج عليهم رسول الله صلَّى الله عليه وسلم فقال : « قد علمتُ الذي قلتُ » ثم ذكر ذلك لهم . فقال الحارث وعَتَاب : نشهد أنك رسول الله ! ما اطاع على هذا أحدٍ كان معنا فنقول أخبرك .

وقال يونس بن بكيـر ، عن ابن إسحاق : حدثني والدى ، حدثنى بعض آل جــبــير ابن مــطــعم ، أن رسول الله صلَّى الله عليه وسلم لما دخل مكة أمر بلاً فعلاً على الكعبة على ظهرها فأذن عليها بالصلوة ، فقال بعض بنى سعيد بن العاص : لقد أَكرم الله سعيداً إذ قبضه قبل أن يسمع هذا الأسودَ على ظهر الكعبة !

وقال عبد الرزاق ، عن مــعــمر ، عن أــيــوب ، قال ابن أبي مــلــيــكــة : أمر رسول الله صلَّى الله عليه وسلم بلاً فأذن يوم الفتح فوق الكعبة ، فقال رجل من قريش للحارث

ابن هشام : ألا ترى إلى هذا العبد أين صعد ؟ فقال : دعه فإن يكن الله يكرهه فسيغتيره .
وقال يونس بن بُكَيْر وغيره ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بلا لاماً عام الفتح فأذن على المسجد ليغطيه به ^(١) المشركيين .

وقال محمد بن سعد ، عن الواقدي ، عن محمد بن حرب ، عن إسماعيل بن أبي خالد ،
عن أبي إسحاق ، أن أبا سفيان بن حرب بعد فتح مكة كان جالساً فقال في نفسه : لوجمعت
لهم جمـاً ؟ فإنه ليجـدـث نفسه بذلك إذ ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بين كتفيه
وقال : «إذاً يخزـيك الله !» قال : فرفع رأسه فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائم على
رأسه فقال : ما أيقنتُ أنك نبيٌّ حتى الساعة .

قال البهقى : وقد أخبرنا أبو عبدالله الحافظ - إجازة - أنـاـنـاـ أبو حامـدـ أحـمـدـ بنـ
الـحـسـنـ الـقـرـىـ ، أنـاـنـاـ أـحـمـدـ بنـ يـوـسـفـ السـلـمـىـ ، حدـثـنـاـ مـحـمـدـ بنـ يـوـسـفـ الـفـرـيـابـىـ ، حدـثـنـاـ يـوـنـسـ
ابـنـ أـبـيـ إـسـحـاقـ عـنـ أـبـيـ السـفـرـ ، عـنـ اـبـنـ عـبـاسـ ، قالـ : رـأـىـ أـبـوـ سـفـيـانـ رسـولـ اللهـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ
وـسـلـمـ يـعـشـىـ وـالـنـاسـ يـطـأـوـنـ عـقـيـبـهـ ، قـالـ يـدـنـهـ وـبـيـنـ نـفـسـهـ : لـوـ عـاـدـتـ هـذـاـ الرـجـلـ القـتـالـ ؟ـ
فـيـاءـ رسـولـ اللهـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ حـتـىـ ضـرـبـ يـدـهـ فـيـ صـدـرـهـ قـالـ : «إذاـ
يـخـزـيكـ اللهـ » .

قالـ : أـتـوـبـ إـلـىـ اللهـ وـأـسـتـغـفـرـ اللهـ مـاـ تـفـوـهـتـ بـهـ .

ثم روى البهقى من طريق ابن خزيمة وغيره ، عن أبي حامد بن الشّرقي ، عن أبي محمد
ابن يحيى الدّهلي ، حدثنا موسى بن أعين الجزرى ، حدثنا أبي ، عن إسحاق بن راشد ،
عن سعيد بن المسيب قال : لما كان ليلة دخل الناس مكة ليلة الفتح ، لم يزالوا في تكبير
وتهليل وطواف بالبيت حتى أصبحوا ، فقال أبو سفيان هند : أترى هذا من الله ؟

قالت : نعم هذا من الله . قال : ثم أصبح أبو سفيان فندا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قلتَ هند : أترَى هذا من الله ؟ قالت : نعم هذا من الله » فقال أبو سفيان : أشهد أنك عبد الله ورسوله ، والذى يُخْلِفُ به ما سَمِعْ قولى هذا أحدٌ من الناس غير هند .

وقال البخارى : حدثنا إسحاق ، حدثنا أبو عاصم ، عن ابن جرير ، أخبرنى حسن ابن مسلم ، عن مجاهد ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن الله حرم مكة يوم خلق السموات والأرض فهى حرام الله إلى يوم القيمة لا تحل لأحد قبلى ولا تحل لأحد بعدي ، ولم تحل لى إلا ساعة من الدهر ، لا يُغفر صيدها ولا يُعْصَد شوكيها ولا يُختلى خلاوها ولا تحل لقطتها إلا لمنشد » فقال العباس بن عبد المطلب : إلا الإذخر يا رسول الله ، فإنه لا بد منه للدفن والبيوت ؟ فسكت ثم قال : « إلا الإذخر فإنه حلال » .

وعن ابن جرير ، أخبرنى عبد السكرين - هو ابن مالك الجزارى - عن عكرمة ، عن ابن عباس بمثل هذا أو نحو هذا ورواه أبو هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم . تفرد به البخارى من هذا الوجه الأول ، وهو مُرْسَل ، ومن هذا الوجه الثاني أيضاً .

* * *

وبهذا وأمثاله استدلَّ من ذهب إلى أن مكة فُتحت عنوة ، وللوقعة التي كانت في الخندمة كما تقدم . وقد قُتل فيها قريب من عشرين نفساً من المسلمين والمشركين ، وهي ظاهرة في ذلك ، وهو مذهب جمهور العلماء .

والمشهور عن الشافعى أنها فُتحت صُلحًا ؛ لأنها لم تُقْسَم ، ولقوله صلى الله عليه وسلم

ليلة الفتح : « من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ، ومن دخل الحرم فهو آمن ، ومن أغلق بابه فهو آمن ». .

وموضع تقرير هذه المسألة في كتاب الأحكام الكبير إن شاء الله تعالى .

وقال البخاري : حدثنا سعيد بن شرحبيل ، حدثنا الليث ، عن المعتبر ، عن أبي شريح الخزاعي ، أنه قال لعمرو بن سعيد وهو يبعث البيووث إلى مكة : أذن لي إليها الأمير أحد ذلك قوله قام برسول الله صلى الله عليه وسلم الفداء من يوم الفتح ، سمعته أذناني ووعاه قابي وأبصرته عيناي حين تكلم به ؛ أنه حمد الله وأتني عليه ثم قال : « إن مكة حرمتها الله ولم يحرر منها الناس ، لا يحل لأمرىء يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دماً ولا يقصد بها شجراً ، فإن أحد ترخص بقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقولوا : إن الله أذن لرسوله ولم يأذن لكم ، وإنما أذن لي فيها ساعة من نهار ، وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس ، فليبلغ الشاهد الفائب ». .

فقيل لأبي شريح : ماذا قال لك عمرو ؟ قال : قال : أنا أعلم بذلك منك يا أبو شريح ، إن الحرام لا يعذر عاصياً ولا فارقاً بدم ، ولا فارقاً بجزية .

وروى البخاري أيضاً ، ومسلم عن قتيبة ، عن الليث بن سعد به نحوه .

وذكر ابن إسحاق أن رجلاً يقال له ابن الأثوع قتل رجلاً في الجاهلية من خزاعة يقال له أحمر بأساً^(١) ، فلما كان يوم الفتح قتلت خزاعة ابن الأثوع^(١) وهو بكمة ، قتله خراش بن أمية ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا معاشر خزاعة ارفعوا أيديكم عن القتل ، لقد كثر القتل إن نفع ، لقد قتلت رجلاً لأدينه ». .

قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الرحمن بن حرملة الأسلمي ، عن سعيد بن المسيب قال : لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ما صنع خراش بن أمية قال : « إن خراشاً

(١) أحمر بأساً : اسم مركب ، كنأ بط شرأ .

لقتاً». وقال ابن إسحاق: وحدثني سعيد بن أبي سعيد المقبرى ، عن أبي شريح الخزاعى ^(١) قال: لما قدم عمرو بن الزبير ^(٢) مكة لقتال أخيه عبد الله بن الزبير جثة قتلت له : يا هذا إننا كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين افتتح مكة ، فلما كان الفد من يوم الفتح عذت خزاعة على رجل من هذيل فقتلوه وهو مشرك ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فينا خطيباً فقال : « يأيها الناس إن الله قد حرم مكة يوم خلق السموات والأرض ، فهى حرام من حرام الله إلى يوم القيمة ، فلا يحل لأمرىء يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك فيها دماً ولا يغضض فيها شجراً ، لم تحل لأحد كان قبلى ولا تحل لأحد يكون بعدي ، ولم تحل لي إلا هذه الساعة غضباً على أهلها ، لأنكم قد رجمت كثرة منها بالأمس ، فليبلغ الشاهد منكم الغائب ، فن قال لكم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قاتل فيها فقولوا : إن الله قد أحلا رسوله ولم يحل لها لكم ، يامعاشر خزاعة ارفعوا أيديكم عن القتل فلقد كثر إن نفع ، لقد قتلت قتيل لأدينه ، فن قُتل بعد مقامي هذا فأهله بخير الناظرين ، إن شاءوا فقدم قاتله وإن شاءوا فعقله ». ثم ودَي رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك الرجل الذى قتله خزاعة .

قال عمرو لأبي شريح : انصرف إليها الشيخ فنحن أعلم بحرمتها منك ، إنها لا تنفع سافاك دم ، ولا خالع طاعة ، ولا مانع رجزية .

قال أبو شريح : إنى كنت شاهداً وكنت غالباً ، وقد أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبلغ شاهدنا غالينا وقد أبلغتكم فانت وشأنك .

قال ابن هشام : وبلغنى أن أول قتيل ودَاه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم

(١) العدوى .

(٢) قال السهيل : هذا وم وصا به عمرو بن سعيد بن العاص بن أمية وهو الأشدق . الروض ٢ / ٢٧٧

الفتح جُنيد بن الأَكْنَوْع ، قُتِلَتْ بَنُو كَعْبَ فَوَدَاهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
بِمَائَةٍ^(١) ناقَة .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يحيى ، عن حسين ، عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه
عن جده قال : لما فُتحت مكة على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « كُفُوا السلاحَ
إلا خزاعة من بني بكر » فأذن لهم حتى صلى العصر ثم قال : « كُفُوا السلاحَ » فلقي
رجلٌ من خزاعة رجلاً من بني بكر من غدو بالمزدلفة فقتله ، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقام خطيباً . فقال ، فرأيته وهو مسنداً ظهره إلى الكعبة قال :
« إِنَّ أَعْدَى النَّاسِ عَلَى اللَّهِ مَنْ قُتِلَ فِي الْحَرَامِ ، أَوْ قُتِلَ غَيْرَ قاتلِهِ أَوْ قُتِلَ بِذُحُولٍ^(٢) الْجَاهِلِيَّةِ »
وذكر تمام الحديث .

وهذا غريب جداً .

وقد روی أهل السنن بعض هذا الحديث .

فاما ما فيه من أنه رخص لخزاعة أن تأخذ بثارها من بني بكر إلى العصر من يوم
الفتح فلم أره إلا في هذا الحديث ، وكأنه ، إن صح ، من باب الاختصاص لهم بما كانوا
أصابوا منهم ليلة الوداع . والله أعلم .

وروى الإمام أحمد ، عن يحيى بن سعيد ، وسفيان بن عيينة ويزيد بن عبيد ، كلهم
عن زكريا بن أبي زائدة عن عاص الشعبي ، عن الحارث بن مالك بن البراء الخزاعي ،
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يوم فتح مكة : « لَا تُغْرِيَ هَذِهِ بَعْدَ الْيَوْمِ
إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ » .

ورواه الترمذى عن بقمار ، عن يحيى بن سعيد القطان به . وقال : حسن صحيح .

(٢) الذحول : جمع ذحل ، وهو الثأر .

(١) ١ : فوداه مائة ناقَة .

قلت : فإن كان نهياً فلا إشكال ، وإن كان نفياً فقال البهراق : معناه على كفر أهلها .

وفي صحيح مسلم من حديث زكريا بن أبي زائدة ، عن عامر الشعبي ، عن عبد الله ابن مطیع ، عن أبيه مطیع بن الأسود المدوي ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة : « لا يُقتل قوشی صبراً بعدَ الْيَوْمِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ » والكلام عليه كالاول سواء .

قال ابن هشام : وبَلَغَنِي أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ افْتَحَ مَكَّةَ وَدَخَلَهَا قَامَ عَلَى الصَّفَّا يَدْعُو وَقَدْ أَخْدَقَتْ بِهِ الْأَنْصَارُ فَقَالُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ : أَتْرُونَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ أَرْضَهُ وَبَلَدَهُ يَقِيمُ بِهَا ؟

فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ دُعَائِهِ قَالَ : « مَاذَا قَلَمْ ؟ » قَالُوا : لَا شَيْءَ يَارَسُولَ اللَّهِ . فَلَمْ يَزُلْ بِهِمْ حَتَّى أَخْبَرُوهُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَعَاذُ اللَّهِ ! الْحَيَاةُ مَحْيَا كُمَّ وَالْمَاتُ مَمَاتُكُمْ » .

وهذا الذي علقه ابن هشام قد أسنده الإمام أحمد بن حنبل في مسنده فقال : حدثنا بهز وهاشم قالا : حدثنا سليمان بن المغيرة عن ثابت ، وقال هاشم : حدثني ثابت البناني ، حدثنا عبد الله بن رباح قال : وفدت وفوداً إلى معاوية أنا فيهم وأبو هريرة ، وذلك في رمضان ، فعمل بعضنا يصنع بعض الطعام ، قال : وكان أبو هريرة يُكثِر ما يدعونا ، قال هاشم : يُكثِر أن يدعونا إلى رحله . قال : فقلت : ألا أصنع طعاماً فأدعوههم إلى رحلي ؟ قال : فأسرت بطعم يُصنع ، فلقيت أبا هريرة من العشاء . قال : قلت : يا أبا هريرة الدّعوة ^(٢) عندى الدليلة . قال : استبقتنى ^(١) ؟ قال هاشم : قلت : نعم فدعوتهم فهم عندى .

(١) الأصل : استبقى . (٢) الأصل : الدعوى .

قال أبو هريرة : ألا أعلمكم بحديثٍ من حديثكم يامعشر الأنصار ؟ فذَّكَر فتحَ مكة ،
قال : أقبل رسول الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فدخلَ مكة ، قال : فبعثَ الزبيرَ على أحد الجبَّاتَينِ
وبعثَ خالداً على المُجَنَّبةِ الأخرى وبعثَ أبا عبيدةَ على الجسر ، وأخذوا بطنَ الْوَادِي ،
ورسول الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي كُتُبِتِهِ وَقَدْ وَبَثَتْ^(١) قريشَ أُوباشَها ، قال :
قالوا : نَقْدَمْ هُؤُلَاءِ ، فَإِنْ كَانَ لَهُمْ شَيْءٌ كَانَا مَعْهُمْ ، وَإِنْ أُصْبِبُوهُمْ أَعْطَيْنَاهُمْ الَّذِي سَأَلْنَا .
قال أبو هريرة : فنظر فرآني فقال : « يا أبا هريرة » قلت : ليك رسول الله ،
قال : « اهتفْ لِي بِالْأَنْصَارِ وَلَا يَأْتِينِي إِلَّا أَنْصَارًا » فهتفتُ بِهِمْ فجاءُوا فاطفَوا بِرِسُولِ
الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : فقال رسول الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَتُرُونَ إِلَى
أُوباشَ قَرِيشَ وَأَتَبَاعِهِمْ ؟ » ثُمَّ قال بيديهِ إِحْدَاهُمْ عَلَى الْأُخْرَى : « احْصُدُوهُمْ حَصْدًا
حَتَّى تُوَافُونِي بِالصَّفَا » .

قال : فقال أبو هريرة : فانطلقنا فما يشاءُ واحدٌ مِنَّا أَنْ يقتلَ مِنْهُمْ ما شاءَ ، وما أحدٌ
منهم يوجهُ إلينا مِنْهُمْ شيئاً .

قال : فقال أبو سفيان : يارسول الله أَبِيحْتَ خَضْرَاءَ قَرِيشَ ، لا قَرِيشَ
بعدَ الْيَوْمِ !

قال : فقال رسول الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « مَنْ أَغْلَقَ بَابَهُ فَهُوَ آمِنٌ ، وَمَنْ دَخَلَ دَارَ
أَبِي سَفِيَّانَ فَهُوَ آمِنٌ » قال : فَغَلَقَ النَّاسُ أَبْوَابَهُمْ .

قال : وأقبل رسول الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْحَجَرِ فَاسْتَلَمَ ، ثُمَّ طَافَ بِالْبَيْتِ
قال : وفي يده قوسٌ آخذَ بِسِيَّةَ الْقَوْسِ ، قال : فَأَتَى فِي طَوَافِهِ عَلَى صُنمٍ إِلَى جَنْبِ الْبَيْتِ
يَبْدُونَهُ . قال : فَجَعَلَ يَطْعَنُ بِهِ أَفْعَى عَيْنِهِ وَيَقُولُ : « جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ
الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا » .

قال : ثم أتى الصَّفَا فعلاًه حيث ينظر إلى البيت ، فرفع يديه فجعل يذَكُر الله بما شاء أن يذَكُره ويدعوه .

قال : والأنصار تحت . قال : يقول بعضهم لبعض : أما الرجل فأدركته رغبة في قريته ورأفة بعشيرته .

قال أبو هريرة : وجاء الوحي ، وكان إذا جاء لم يخف علينا ، فليس أحد من الناس يرفع طرفه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يقضى .

قال هاشم : فلما قضى الوحي رفع رأسه ، ثم قال : « يامشر الأنصار ، ألم : أما الرجل فأدركته رغبة في قريته ورأفة بعشيرته ؟ قالوا : قلنا ذلك يارسول الله . قال : « فما أسمى إذا ؟ كلا إني عبد الله ورسوله ، هاجرت إلى الله وإليكم ، فالخنيان تخيم لكم والملائكة عاتكم » .

قال : فأقبلوا إليه يبكون ويقولون : والله ما قلنا الذي قلنا إلا الصنْ بالله ورسوله .
قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله ورسوله يصدقانكم ويعذرانكم »
وقد رواه مسلم والنسائي من حديث سليمان بن المغيرة . زاد النسائي : وسلم ابن مسكين .

ورواه مسلم أيضاً من حديث حماد بن سلمة ثلاثتهم عن ثابت ، عن عبد الله بن رباح الأنصاري نزيل البصرة ، عن أبي هريرة به نحوه .

* * *

وقال ابن هشام : وحدثني - يعني بعض أهل العلم - أن فضالاً بن عمير بن الملوح - يعني الليثي - أراد قتل النبي الله صلى الله عليه وسلم وهو يطوف بالبيت عام الفتح ، فلما دنا منه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أفضالة ؟ » قال : نعم فضالاً يارسول الله .
قال : « ماذا كنت تحدثت به نفسك ؟ قال : لا شيء ، كنت أذكر الله . قال : فضحك

النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال « استغفر الله » ثم وضع يده على صدره فسَكَنَ قلبه

فكان فضاله يقول : والله مارفع يده عن صدرى حتى مامن خلق الله شيء أحب إلى منه .

قال فضاله : فرجعت إلى أهل فورت بامرأة كفت أتحمدت إليها قالت : هلم إلى الحديث ؟ فقال : لا وابعث فضالة يقول :

قالت هلم إلى الحديث قلت لا يا بني عليك الله والإسلام
لو مارأيتِ مُحَمَّداً وفَبِيلَه بالفتح يوم تُكْسَرُ الأصنامُ
رأيت دِينَ اللَّهِ أَضْحَى يَنْنَما والشرك يُنْشَى وجهَ الإِظْلَامُ

قال ابن إسحق : وحدثني محمد بن جعفر بن الزبير عن عروة [عن عائشة^(١)] قالت : خرج صفوان بن أمية يريد جدَّة ليركب منها إلى اليمين ، فقال عمير بن وهب : يانبي الله إن صفوان بن أمية سيد قومه ، وقد خرج هارباً منك ليقذف نفسه في البحر ، فأمْنه يارسول الله صلى الله عليك . فقال : « هو آمن ». .

قال : يارسول الله فأعطيك آية يُعرف بها أمانك . فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم عامتها التي دخل فيها مكة .

خرج بها عمير حتى أدركه وهو يريد أن يركب في البحر ، فقال : ياصفوان فداك أبي وأمي الله الله في نفسك أن تُهلكها ، هذا أمان من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد جئتكم به . قال : ويلك اعزُّ عن فلاتكلمني . قال : أَيْ صفوان فداك أبي وأمي أفضل الناس وأبر الناس وأحْلَمَ الناس وخير الناس ، ابن عمك عزّه عزك وشرفه

شرفك ومُدْكِنك . قال : إن أخافه على نفسي . قال : هو أَخْلَمَ من ذلك وأَنْكَرَ .

فرجع معه حتى وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال صفوان : إن هذا يزع
أناك قد أَمْتَنْتَني ؟ قال : « صدق » قال : فاجعلني بالخيار فيه شهرين . قال : « أنت
بالخيار أربعة أشهر » .

ثم حكى ابن إسحاق عن الزهرى أن فاختة بنت الوليد امرأة صفوان وأم حكيم بنت
الحارث بن هشام امرأة عكرمة بن أبي جهل وقد ذهبت وراءه إلى المين فاسترجعته فأسلم ،
فلما أسلم أقرّها رسول الله صلى الله عليه وسلم تحتمما بالنسكاح الأول .

قال ابن إسحاق : وحدثنى سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت قال : رمى حسان
ابن الزبئرى وهو بنجران ببيت واحد مازاد عليه :

لَا تَعْذِيْدَ مَنْ رَجَلًا أَحْلَكَ بُفْضُهُ نَجْرَانَ فِي عِيشِ أَحَدَ لَيْلَمِ (١)

فلما بلغ ذلك ابن الزبئرى خرج إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم وقال
حين أسلم :

يا رسول الملك إن لسانى
راتقٌ ما فقتْ إذ أنا بُورٌ
إذ أبأرى الشيطانَ فِي سَنَنِ الْفَيَّ
ومنْ مالَ مَيْلَهُ مغروزٌ (٢)
آمنَ اللَّحْمُ وَالْعَظَامُ لَرَبِّيِّ
نم قلبي الشهيدُ أنت النذيرُ
إنتي عفتَك زاجرٌ ثم حيًّا من لُؤَىٰ وكلهم مغروزٌ

قال ابن إسحاق : وقال عبد الله بن الزبئرى أيضاً حين أسلم :

مَشَعَ الرِّقَادَ بِلَابَلٍ وَهُمُومٍ
وَاللَّيلُ مُعْتَلِجُ الرَّوَاقِ بَهِيمٌ
مَا أتَانِي أَنْ أَحْمَدَ لَامِنِي فِيهِ فَبَثَ كَأْنِي حَمَومٌ

(١) الأَحَدُ : القليل المنقطع . (٢) غير ١ : مثبور .

يا خير من حملت على أوصالها عيَّرانة سُرُح اليدين غَشُوم^(١)
 أسديت إذا نافى الضلال أهيمُ
 سَهْمٌ وتأمرني بها مخزومُ
 أمرُ الغُواة وأصرهم مشئومُ
 قلبي ونُخْطِئُ هذِه محرومُ
 ودعَتْ أواصرُ بَيْنَنا وحَلُومُ
 زَلَى فإنك راحمٌ مرحومٌ
 نورٌ أغْرٌ وخاتمٌ مختومٌ
 شرفاً وبرهانُ الإله عظيمٌ
 حقٌّ وأنك في العادِ جَسِيمٌ
 مستقبل في الصالحين كَرِيمٌ
 قَوْمٌ عَلَا بنيانَه من هاشمٍ فرعٌ تَمَكَنَ في الذُّرَى وأرُومُ
 قال ابن هشام : وبعض أهل العلم بالشعر يذكرها له .

قلت : كان عبد الله بن الزبوري السهمي من أكابر أعداء الإسلام ومن الشعراء الذين استعملوا قوائم في جهاد المسلمين ، ثم من الله عليه بالتوبة والإفادة والرجوع إلى الإسلام والقيام بنصره والذب عنه .

فصل

قال ابن إسحاق : وكان جميع من شهد فتح مكة من المسلمين عشرة آلاف ، من بنى سليم سبعمائة . ويقول بعضهم : ألف ، ومن بنى غفار أربعمائة [ومن أسلم أربعمائة]

(١) العيَّرانة من الإبل : الناجية في نشاط .

ومن مُزَيْنَةُ أَلْفَ وَثَلَاثَةُ نَفَرٍ، وَسَائِرُهُمْ مِنْ قَرِيشٍ وَالْأَنْصَارِ وَحَلْفَاهُمْ وَطَوَافَ الْعَرَبِ مِنْ تَمِيمٍ وَقِيسٍ وَأَسْدٍ.

وقال عروة والزهري وموسى بن عقبة : كان المسلمون يوم الفتح الذين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اثني عشر ألفاً . فالله أعلم .

قال ابن إسحاق : وكان مما قيل من الشعر في يوم الفتح قول حسان بن ثابت :

عَفَتْ ذَاتُ الْأَصْبَاحِ فَالْجِوَاءِ إِلَى عَذْرَاءِ مِنْهَا خَلَاءُ^(١)
دِيَارُّ مِنْ بَنِي الْحَسْخَاسِ قَفْرُّ تَعْفِيْهَا الرَّوَامِسُ وَالسَّمَاءُ^(٢)
وَكَانَتْ لَا يَزَالُ بَهَا أَنِيسُ
فَدَعَ هَذَا وَلَكِنْ مَنْ لِطِيفٌ
لَشَعْنَاءُ الَّتِي قَدْ تَيَّمَتْهُ
كَانْ خَيْثَةً مِنْ بَيْتِ رَأْسٍ
إِذَا مَا الْأَشْرَبَاتِ ذُكْرُونَ يَوْمًا
نُولِيَّهَا الْمَلَامَةُ إِنْ أَلْمَنَا
وَنَشَرِيَّهَا فَقَرَكَنَا مَلُوكًا
عَدِّيْنَا خَيْلَنَا إِنْ لَمْ تَرُوهَا
يَنَازِغُنَّ الْأَعْنَاءَ مُضَغَّيَاتٍ
تَظْلِلُ جِيَادَنَا مَقْمَطَرَاتٍ
وَأَسْدًا مَا يُنْهِنَهَا الْقَاءُ

(١) الجواء والعذراء : مواضع بالشام .

(٢) الروامس : الرياح . والسماء : المطر .

(٣) الخيبة : الخمر المصونة . وبيت رأس : موضع بالأردن .

(٤) ألمنا : فعلنا ما نستحق عليه اللوم . والفت : الضرب باليد . واللعاء : الملاحة باللسان .

(٥) مصفيات : موائل منعرفات . والأسل : الرماح .

فإما تعرضاً عنا اعتمرنا
وكان الفتحُ وانكشف الغطاء
وإلا فاصبروا جلادِ يومِ
يَعْزِّي اللهُ فِيهِ مَن يشاءُ
وجرِبُوا رسولَ اللهِ فِينَا
وروحُ الْقُدْسِ لِيُسْ لَهُ كِفَاءُ
وقالَ اللهُ قَدْ أَرْسَلْتُ عَبْدَهُ
يَقُولُ الْحَقُّ إِنَّ نَفْعَ الْبَلَاءِ
شَهَدَتْ بِهِ قَوْمًا صَدَّقُوهُ
وقالَ اللهُ قَدْ سَيَّرْتُ جُنْدَهُ
هُمُ الْأَنْصَارُ عُرْضَتْهَا الْلَّقَاءُ
لَنَا فِي كُلِّ يَوْمٍ مَعْدِرٌ
فَتُحْكَمُ بِالْقَوْافِ مَنْ هَجَانَا
أَلَا أَبْلُغُ أَبَا سَفِيَّانَ عَنِ
بَأْنِ سَيُوفِنَا تَرَكْتُكَ عَبْدَهُ
هَجُوتَ مُحَمَّدًا فَأَجْبَتُهُ عَنِ
أَهْنَجُوهُ وَلَسْتُ لَهُ بِكُفَّاءٍ
هَجُوتَ مَبَارِكًا بِرًا حَنِيفًا
أَمِينَ اللَّهِ شَيْمَتْهُ الْوَفَاءُ
أَمَنَ يَهْجُو رَسُولَ اللَّهِ مِنْكُمْ
فَإِنَّ أَبِي وَوَالَّدَهُ وَعِرْضَى
لَعْرَضَ مُحَمَّدٍ مِنْكُمْ وَقَاهَ
لَسَانِي صَارَ لَا عَيْبَ فِيهِ
وَبَخْرَى لَا تَكَدِّرُهُ الدَّلَاءُ

قال ابن هشام : قالها حسان قبل الفتح .

فت : والذى قاله متوجه لما في أنتهاء هذه القصيدة ، مما يدل على ذلك ، وأبو سفيان المذكور في البيت هو أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب .

قال ابن هشام : وبلغى عن الزهرى أنه قال : لما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم النساء يلطمن الخيل بالحمر تبسم إلى أبي بكر رضى الله عنه .

قال ابن إسحاق : وقال أنس بن زئيم الديلي يعتذر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مما كان قال فيهم عمرو بن سالم الحزاعي - يعني لما جاء يستنصر عليهم - كاً تقدم :

أَلَّا تَذَمِّنَ الَّذِي هَدَى مَعْدُودًا بِأَمْرِهِ بَلَّ اللَّهُ يَهْدِيهِمْ وَقَالَ لَكَ اشْهِدْ

وَمَا حَمَلْتَ مِنْ نَاقَةَ فَوْقَ رَجْلِهَا أَبْرَأْ وَأَوْفِي ذَمَّةَ مِنْ حَمْدٍ

إِذَا رَاحَ كَالْسَيْفِ الصَّقِيلِ الْمَهْنَدِ أَحَثَّ عَلَى خَيْرٍ وَأَسْبَغَ نَائِلًا

وَأَكْسَى لِبْزَدِ الْخَالِ قَبْلَ ابْتِدَاهُ وَأَكْسَى لِبْزَدِ الْخَالِ قَبْلَ ابْتِدَاهُ

وَأَعْطَى لِرَأْسِ السَّابِقِ الْمَتَجْرَدِ (١) تَعْلَمَ رَسُولُ اللَّهِ أَنَّكَ مُدْرِكٌ

وَأَنْ وَعِيدًا مِنْكَ كَالْأَخْذِ بِالْيَدِ تَعْلَمَ رَسُولُ اللَّهِ أَنَّكَ قَادِرٌ

عَلَى كُلِّ صِرْمٍ مُهْمَّهِينَ وَمُنْجَدِ (٢) تَعْلَمُ بِأَنَّ الرَّكْبَ رَكْبُ عُوَيْرٍ

هُمُ الْكَاذِبُونَ الْخَلْفُوْ كُلُّ مَوْعِدٍ وَنَبَّوَا رَسُولَ اللَّهِ أَنِّي هَجَوْتَهُ

فَلَا حَمَلْتَ سَوْطًا إِلَى إِذْنِ يَدِي سَوْيَ أَنِّي قَدْ قَلْتَ وَبِلَّ امْ فَتْيَةً

أَصْبَيْتُوا بِنَحْسٍ لَا بَطَلَقَ وَأَسْعَدَ (٣) أَصْبَاهُمْ مِنْ لَمْ يَكُنْ لِدَمَاهُمْ

كِفَاءٌ فَعَزَّتْ عَبْرَتِي وَتَبَلَّدِي وَإِنَّكَ قَدْ أَخْبَرْتَ أَنَّكَ سَاعِيًّا

بِعَبْدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ وَابْنَةَ مَهْوَدٍ (٤) ذَوِيبَ وَكَلْنَوْمَ وَسَلْمَى تَقَابَعُوا

وَسَلْمَى وَسَلْمَى لِيَسَ حَىْ كَنَّهُ فَإِنِّي لَا ذَنْبَيَا (٥) فَقَتَّ وَلَا دَمَا

جَيْعَانًا فَإِنَّ لَا تَدْمِعَ الْعَيْنَ أَكْمَدَ

وَإِخْوَتِهِ وَهُلَّ مَلُوكُ كَاعْبَدُ

هَرَقْتُ تَبَيَّنَ عَالَمَ الْحَقَّ وَاقْصَدَ

ضَرْبَنَاهُمْ بِكَةَ يَوْمَ فَتْحِ النَّبِيِّ الْخَيْرِ بِالْبَيْضِ الْخِفَافِ

صَبَحَنَاهُمْ بِسَمْعِ مِنْ سُلَيْمَ وَأَلْفَ مِنْ بَنِي عَمَانِ وَافِ

نَطَا أَكْتَافَهُمْ ضَرَبًا وَطَعْنَا وَرَشْقًا بِالْمَرِيشَةِ الْلَّاطِافِ

قال ابن إسحاق : وقال بجير بن زهير بن أبي سلمى في يوم الفتح :

نَفِي أَهْلَ الْحَبَلَقِ (١) كُلُّ فَجَّ مَزِينَةُ غَدْوَةَ وَبَنُو خَفَافِ

صَبَحَنَاهُمْ بِسَمْعِ مِنْ سُلَيْمَ وَأَلْفَ مِنْ بَنِي عَمَانِ وَافِ

نَطَا أَكْتَافَهُمْ ضَرَبًا وَطَعْنَا وَرَشْقًا بِالْمَرِيشَةِ الْلَّاطِافِ

(١) الحال : برد من برد الدين ، وهو من رفيع الشباب . (٢) الصرم : الطاقة من البيوت .

(٣) الطلاق : الأيام الطيبة . (٤) ابن هشام : فإنك قد أخترت إن كنت ساعيا . (٥) ابن هشام : فإني لا دنيا .

(٦) الحبلق : أرض يسكنها قبائل من مزينة وقيس . والحبلق : الغم الصغار ولعله أراد أصحاب الغنم .

ترى بين الصنوف لها حَفِيْداً
كما انصاع الفُوّاق من الرصافِ
فرَحْنا والجِيادُ تجول فيهم
بأرْمَاحِ مقوّمةِ التَّقَافِ
فَأُبْنَا غَانِمِينَ بِمَا اشْتَهَيْنَا
وَآبُوا نَادِمِينَ عَلَى الْخَلَافِ
وأعْطَيْنَا رَسُولَ اللَّهِ مَنَا
مَوَاتَقَنَا عَلَى حَسْنِ التَّصَافِ
وقد سمعوا مقالتنا فَهُمُوا
وقال ابن هشام : وقال عباس بن مِرْدَاسِ السَّلَمِي فِي فَتْحِ مَكَّةَ :

منا بِمَكَّةَ يَوْمَ فَتْحِ مُحَمَّدٍ
أَلْفَ تَسِيلَ بِهِ الْبَطَاحُ مَسُومٌ
وَشَعَارُهُمْ يَوْمَ الْلَّقَاءِ مَقْدَمٌ
نَصَرُوا الرَّسُولَ وَشَاهَدُوا آيَاتَهُ^(١)
فِي مَنْزِلِ ثَبَقَتْ بِهِ أَقْدَامُهُمْ
ضَنَكَ كَانُوا الْهَامَ فِي الْحَتَّمِ
جَرَّتْ سَنَابِكُهُمْ بِنَجْدِ قَبْلَهُمْ
اللَّهُ مَكَّنَ لَهُ وَأَدْلَهُ
عَودُ الرِّيَاسَةِ شَامِخٌ عَرَبَنِيهِ^(٢)

وذكر ابن هشام في سبب إسلام عباس بن مِرْدَاس أن أباه كان يعبد صنمًا من حجارة يقال له ضمار ، فلما حضرته الوفاة أوصاه به ، فبینما هو يوماً يخدمه إذ سمع صوتاً من جوفه وهو يقول :

أَوْدَى ضَمَار وَعَاشَ أَهْلُ الْمَسْجِدِ
قُلْ لِلْقَبَائِلِ مِنْ سُلَيْمٍ كَلْمَا
بَعْدَ ابْنِ سَرِيمٍ مِنْ قَرِيشٍ مَهْدِي
إِنَّ الَّذِي وَرَثَ النَّبُوَةَ وَالْمَهْدِي
أَوْدَى ضَمَارٍ وَكَانَ يُعَبَّدُ مَدَدًا
أَوْدَى ضَمَارٍ وَكَانَ يُعَبَّدُ مَدَدًا
قبل الْكِتَابِ إِلَى النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ
قال : خرق عباس ضمار ثم لحق برسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم ، وقد تقدمت هذه القصة بكلمات في باب هوافق الجان^(٤) ، مع أمثالها وأشكالها والله الحمد والمنة .

(١) ابن هشام : وشاهدوا آياته . (٢) الحتم : المختلط .

(٣) العود : يريد الرجل المسن والعربي : الأنف . والحضرم : الجواد المعطاء .

(٤) تقدم ذلك في الجزء الأول س ٣٥٨ ، ٣٥٩ .

بعثة عليه السلام خالد بن الوليد

بعد الفتح إلى بني جذيمة من كنانة

قال ابن إسحاق : خذلني حكيم بن حكيم بن عباد بن حنيف ، عن أبي جعفر محمد بن علي ، قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالدَ بن الوليدَ حين افتتح مكة داعياً ولم يبعثه مقاتلًا . ومعه قبائل من العرب وسليمَ بن منصور ومُذنبَ ابن مرة ، فوطّعوا بني جذيمة بن عامر بن عبد مناة بن كنانة فلما رأه القوم أخذوا السلاح ، فقال خالد : ضموا السلاح فإن الناس قد أسلمو .

قال ابن إسحاق : وحدلني بعض أصحابنا من أهل العلم من بني جذيمة قال : لما أمرنا خالد أن نضع السلاح قال رجل منا يقال له جَحْدَمْ : ويَاكُمْ يا بني جذيمة إنَّه خالد ! والله ما بعده وضع السلاح إلا الإسار ، وما بعد الإسار إلا ضرب الأعناق ، والله لا أضع سلاحاً أبداً .

قال : فأخذه رجال من قومه فقالوا : يا جَحْدَمْ أتريد أن تسفك دماءنا ؟ إن الناس قد أسلمو ووضعت الحرب وأمن الناس .

فلم يزالوا به حتى نزعوا سلاحه ، ووضع القوم سلاحهم لقول خالد .

قال ابن إسحاق : فقال حكيم بن حكيم عن أبي جعفر قال : فلما وضعوا السلاح أمر بهم خالد فكثفوا ثم عرضهم على السيف فقتل من قتل منهم .

فلمـا انتهى الخبر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم رفع يديه إلى السماء ثم قال . « اللهم إني أبدأ إليك مما صنع خالد بن الوليد » .

قال ابن هشام : حدثني بعض أهل العلم أنه انفلتَ رجل من القوم فأنهى رسول الله

صلى الله عليه وسلم فأخبره الخبر ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هل أنسَرَ عليه أحدٌ ؟ » قال : نعم قد أنسَرَ عليه رجل أبيض رَبْنَةَ فِتْهَمَةَ^(١) خالدٌ فسكت عنه ، وأنسَرَ عليه رجل آخر طوبل مُضطرب فاشتَدَّتْ صراحتهما . فقال عمر بن الخطاب : أما الأول يا رسول الله فابن عبد الله ، وأما الآخر فسامِلٌ مولى أبي حذيفة .

قال ابن إسحاق : فخدثني حكيم بن حكيم ، عن أبي جعفر قال : ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم علىَّ بن أبي طالب فقال : « يا على اخرج إلى هؤلاء القوم فانظر في أمرهم ، واجعل أمرَ الجاهلية تحت قدميك » .

خرج علىَّ حتى جاءهم ومعه مال قد بعث به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فودي لم الدماء وما أصيب لهم من الأموال ، حتى إنَّه لَيْدِي مِيلَفَةَ^(٢) الكلب ! حتى إذا لم يبق شيءٍ من دم ولا مال إلا وذاء بقيت معه بقية من المال ، فقال لهم علىَّ حين فرغ منهم : هل بقي لكم دم أو مال لم يُؤْدَ لكم ؟ قالوا : لا . قال : فإنِّي أعطيكم هذه البقيةَ من هذا المال احتياطاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم مما لا يعلم ولا تعلمون .

ففعل ثم رجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره الخبر ، فقال : « أصبتَ وأحسنتَ » . ثم قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستقبل القبلة قائماً شاهراً بيده حتى إنه ليرى ما تحت منكبيه يقول : « اللهم إني أبرأ إليك ما صنع خالد بن الوليد » ثلاثة مرات .

قال ابن إسحاق : وقد قال بعض من يُعذر خالداً أنه قال : ما قاتلت حتى أمرني بذلك عبد الله بن حذافة السهري وقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمرك أن تقاتلهم لامتناعهم من الإسلام .

قال ابن هشام : قال أبو عمرو المديني : لما أتاهم خالد بن الوليد قالوا : صَبَّأْنَا صَبَّانَا .

(١) نَهْمَهُ : زجره .

(٢) المِيلَفَةُ : ما يخفر من الخشب ليقع فيه الكلب ، ويكون عند أصحاب الغنم .

وَهَذِهِ مَرْسَلَاتٍ وَمُنْقَطِعَاتٍ .

* * *

وَقَدْ قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ : حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَاقَ ، حَدَّثَنَا مَعْمَرٌ ، عَنِ الرَّهْرَى ، عَنْ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍ ، عَنْ ابْنِ عَمْرٍ قَالَ : بَعْثَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ إِلَى بَنِي - أَحْسَبَهُ قَالَ - جَذِيمَةَ فَدَعَاهُمْ إِلَى الإِسْلَامِ فَلَمْ يُخْسِنُوا أَنْ يَقُولُوا : أَسْلَمْنَا . فَجَعَلُوْنَ : صَيَّانَا صَبَانَا ، وَخَالِدٌ يَأْخُذُهُمْ أَسْرَارًا وَقَتْلًا .

قَالَ : وَدُفِعَ إِلَى كُلِّ رَجُلٍ مِنَا أَسْرَارًا ، حَتَّى إِذَا أَصْبَحَ بِوْمًا أَمْرَ خَالِدٍ أَنْ يَقْتَلَ كُلُّ رَجُلٍ مِنَا أَسْرَارَهُ . قَالَ ابْنُ عَمْرٍ : فَقَلَّتْ : وَاللَّهِ لَا أَقْتَلُ أَسْرَارِي وَلَا يَقْتَلُ أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِي أَسْرَارَهُ .

قَالَ : فَقَدِمُوا عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَكَرُوا صَنْيَعَ خَالِدٍ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَرَفِعَ يَدِيهِ : « اللَّهُمَّ إِنِّي أَبْرُأُ إِلَيْكَ مَا صَنَعَ خَالِدٌ » مَرْتَيْنَ .

وَرَوَاهُ الْبَخَارِيُّ وَالنَّسَائِيُّ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ الرَّزَاقِ بِهِ نَحْوُهُ .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَقَدْ قَالَ لَهُمْ جَعْدَمَ لَمَّا رَأَى مَا يَصْنَعُ خَالِدٌ : يَا بَنِي جَذِيمَةَ ضَاعَ الضَّرَبُ ،

عَدَ كَفْتَ حَذْرَتْكُمْ مَا وَقْتَمْ فِيهِ .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَقَدْ كَانَ بَيْنَ خَالِدٍ وَبَيْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ - فِيهَا بَلْغَنِي - كَلامٌ

فِي ذَلِكَ ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ : عَمِلْتَ بِأَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ فِي الإِسْلَامِ؟ فَقَالَ : إِنَّمَا ثَارَتْ بِأَيْمَكَ .

فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ : كَذَبْتَ قَدْ قَتَلْتَ قَاتِلَ أَبِي ، وَلَكِنَّكَ ثَارَتْ لِعْنَكَ الْفَاكِهَةُ بْنُ الْمَغِيرَةِ .

حَتَّى كَانَ بَيْنَهُمَا شَرًّا .

فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : « مَهْلاً يَا خَالِدٌ دَعْ عَنْكَ أَصْحَابِي ،

خُواصِ اللَّهِ لَوْكَانَ لَكَ أَحَدٌ ذَهَبَأْ نَفْقَتَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَا أَدْرَكَتَ غَدْوَةً رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِي

وَلَا رَوْحَتَهُ » .

* * *

ثم ذكر ابن إسحاق قصة الفاكهة بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم عم خالد بن الوليد ، في خروجه هو وعوف بن عبد عوف بن عبد الحارث بن زهرة ، ومعه ابنته عبد الرحمن وعفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس ومعه ابنته عثمان ، في تجارة إلى اليمن ورجوعهم ومعهم مال لرجل من بني جذيمة كان هلك باليمين ، فحملوه إلى ورثته فادعاه رجل منهم يقال له خالد بن هشام ولقيهم بأرض بني جذيمة فطلبهم [قبل أن يصلوا إلى أهل الليت] فأبوا عليه فقاتلهم فقاتلوه حتى قُتل عوف والفاكهة وأخذت أمواهما . وقتل عبد الرحمن قاتل أبيه خالد بن هشام وفرّ منهم عفان ومعه ابنته عثمان إلى مكة ، فهبت قريش بغزو بني جذيمة ، فبعث بني جذيمة بمقدرون إليهم بأنه لم يكن عن ملأ منهم وودوا لهم القتيلين وأمواهما ووضعوا الحرب بينهم .

يعنى فلهذا قال خالد لعبد الرحمن : إنما ثارت بأبيك ، يعني حين قتله بني جذيمة . فأجابه بأنه قد أخذ ثأره وقتل قاتله ، ورد عليه بأنه إنما ثار بمعه الفاكهة حين قتلوا وأخذوا أمواله .

والملئون بكلٍّ منها أنه لم يقصد شيئاً من ذلك ، وإنما يقال هذا في وقت المخاصمة ، فإنما أراد خالد بن الوليد نصرة الإسلام وأهله ، وإن كان قد أخطأ في أمر واعتقد أنهم ينتقصون الإسلام بقولهم : صباً ناصباً . ولم يفهم عنهم أنهم أسلوا ، فقتل طائفة كثيرة منهم وأسرَّ بقيتهم ، وقتل أكثر الأسرى أيضاً ، ومع هذا لم يعزله رسول الله صلى الله عليه وسلم بل استمر به أميراً ، وإن كان قد تبرأ منه في صنيعه ذلك وودي ما كان جناه خطأ في دم أو مال .

ففيه دليل لأحد القولين بين العلماء في أن خطأ الإمام يكون في بيت المال لا في ماله . والله أعلم .

ولهذا لم يعزله الصديق حين قتل مالك بن نويرة أيام الردة ، وتأول عليه متأول

حين ضرب عنقه واصطدق امرأته أُمَّ تَمِيم ، فقال له عمر بن الخطاب : اعزله فإن في سيفه رهقاً . فقال الصديق : لا أُخْمِد سيفاً سَلَّهُ اللَّهُ عَلَى الْمُشْرِكِينَ .

وقال ابن إسحاق : حدثني يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأحسن ، عن الزهرى ، عن ابن أبي حَدَرَدَ الأَسْلَمِي قال : كنت يومئذ في خيل خالد بن الوليد فقال فتى من بني جَذِيْة ، وهو في سَنِّي وقد جمعت يداه إلى عنقه بِرُمَّةٍ ونسوة مجتمعات غير بعيد منه : يافتي . قلت : ما نشاء ؟ قال : هل أنت آخذ بهذه الرُّمَّةَ فقائدى إلى هؤلاء النسوة حتى أَفْضِيَ إِلَيْهِنَّ حاجة ثم ترددتَ بعد فَتَصْنَعُوا مَا بَدَأَ لَكُمْ .

قال : قلت : والله لِيَسِيرٌ ما طلبتَ . فأخذت بِرُمَّةَه فَقُدْتَه بِهَا حَتَّى وَقَفَتْهُ عَلَيْهِنَّ فقال أسلى حُبَيْشَ عَلَى نَفْدِ^(١) العيش :

أَرَيْتُكَ إِذ طَالَبْتُكَ فَوَجَدْتُكَ
جَلِيْةَ أوَّلَيْقَتُكَ بِالْخُوايْرِ^(٢)
أَلَمْ يَكُ أَهْلًا أَنْ يُنْوَلْ عَاشِقٌ
تَكَلَّفَ إِدْلَاجَ السُّرَى وَالْوَدَائِقِ^(٣)
فَلَا ذَنْبَ لِي قَدْقَلْتُ إِذْ أَهْلَنَا مَعًا
أَثْبَيَ بُودَّ قَبْلَ إِحْدَى الصَّفَائِقِ^(٤)
وَبَيْنَأَيِّ الْأَمْيَرِ بِالْحَبِيبِ الْفَارَقِ^(٥)
فَإِنِّي لَا ضَيْعَتُ سَرَّ أَمَانَةِ
سُوَى أَنَّ مَانَالَ الْعَشِيرَةَ شَاغِلٌ^(٦)
قَالَتْ : وَأَنْتَ خَيْيَتْ عَشْرًا وَتَسْعًا وَتَرًا وَعَمَانِيَةَ تَشْرَى .

قال : ثُمَّ انْصَرَفْتُ^(٧) بِهِ فَضَرَبَتْ عَنْقَهُ .

قال ابن إسحاق : حدثنى أبو فراس بن أبي سنبلة الأَسْلَمِي ، عن أشياخِهِمْ ،

(١) النَّفْدُ : الْاِقْضَاءُ .

(٢) حَلِيَّةُ وَالْمَوَانِقُ : مَوْضِعَانِ بِتَهَامَةِ .

(٣) السُّرَى : سَيْرَةُ الْلَّلِيلِ . وَالْوَدَائِقُ : جَمْعُ وَدِيقَةٍ وَهِيَ شَدَّةُ الْحَرَقِ فِي نَصْفِ النَّهَارِ .

(٤) الصَّفَائِقُ : الدَّوَاهِيُّ .

(٥) تَشْحَطُ : تَبْعِدُ .

(٦) وَتَرُوَى : فَيَنِي لَاسِرَ لَدِي أَضْمَنْتَهُ . ذَمُ الْمُهْوِي لَابْنِ الْجَوْزِيِّ : ٤٩٦ .

(٧) التَّوَامِقُ : التَّعْجَابُ .

(٨) ت : ثُمَّ قَالَتْ : انْصَرَفْتُ بِهِ . فَضَرَبَتْ عَنْقَهُ .

عن كان حضرها منهم قالوا : فقامت إليه حين ضربت عنقه فأكبّت عليه فا زالت
تقبّلـه حتى ماتت عنده !

وروى الحافظ البهقى من طريق الحميدى ، عن سفيان بن عيينة ، عن عبد الملك بن
نوفل بن مساحق ، أنه سمع رجلاً من مزينة يقال له ابن عاصام عن أبيه ، قال : كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم إذا بعث سرية قال : « إذا رأيتم مسجداً أو سمعتم مؤذناً فلا تقتلوا أحداً ».
قال : فبعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في سرية وأمرنا بذلك ، فخرجنا قبل
تهامة ، فأدركنا رجلاً يسوق بظعافن قلقنا له : أسلم . فقال : وما الإسلام ؟ فأخبرناه
به ، فإذا هو لا يعرفه ، قال : أفرأيتم إن لم أفعل ما أنتم صانعون ؟ قال : قلنا نقتلك .
قال : فهل أنتم مُنظريَّ حتى أدرك الظعافنَ ؟ قال : قلنا نعم ونحن مُدرِّكون .
قال : فأدركَ الظعافنَ فقال : أسلى حبيش قبلَ نفاذ العيش . فقالت الأخرى :
اسلمْ عشرَاءً وتسعاً وتراً وثمانينَا تترى . ثم ذكر الشعر التقدم إلى قوله : وَيَنْأَى
الْأَمِيرُ بالحبيب المفارق . ثم رجع إلينا فقال : شأنكم . قال : فقدَّ مناه فضرَّ بنا عنقه .
قال : فانحدرت الأخرى من هودجها بفتحٍ عليه حتى ماتت .

ثم روى البهقى من طريق أبي عبد الرحمن النسائي ، حدثنا محمد بن علي بن حرب
المروزى ، حدثنا علي بن الحسين بن واقد ، عن أبيه ، عن يزيد التنحوى ، عن
عكرمة ، عن ابن عباس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث سرية فنموا وفيهم
رجل ، فقال لهم : إني لست منهم ، إني عشقت امرأةً فلما حقتها فدَّعوني أنظر إليها نظرة
ثم اصطنعوا بي مابدا لكم . فإذا امرأة أذماء طوبلة فقال لها : أسلى حبيش قبلَ نفاذ
العيش . ثم ذكر البيتين بمعناها .

قال : فقالت : نعم فدَّيتك ! قال : فقدَّ موه فضرَّ بوا عنقه ، فجاءت المرأة فوقعت
عليه فشمّقت شمقةً أو شهقتين ثم ماتت .

فَلَمَا قَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخْبَرُوهُ النَّبِيَّ فَقَالَ : « أَمَّا كَانَ فِيكُمْ
رَجُلٌ رَحِيمٌ ! » .

بَعْثَتْ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدَ لِهَدْمِ الْمَعْزَى

قَالَ ابْنُ جَرِيرَ : وَكَانَ هَذِهِ الْمَسْأَلَةُ بَقِينَ مِنْ رَمَضَانَ عَامَتِهِ .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : ثُمَّ بَعْثَتْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدَ إِلَى الْعَزَى ،
وَكَانَتْ يَبْتَأِ بِنَخْلَةٍ يَعْظِمُهُ قَرِيشٌ وَكُنَانَةٌ وَمُضَرٌ ، وَكَانَ سَدَّتَهَا وَحْجَاجُهَا مِنْ بَنِي
شَيْبَانَ مِنْ بَنِي سُلَيْمَانَ حَلْفَاءَ بَنِي هَاشِمٍ ، فَلَمَّا سَمِعْ حَاجِبَهَا^(١) السَّلَمَى بِمَسِيرِ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ
إِلَيْهَا عَلَقَ سِيفَهُ عَلَيْهَا ثُمَّ اشْتَدَّ^(٢) فِي الْجَبَلِ الَّذِي هِيَ فِيهِ وَهُوَ يَقُولُ :

أَيَاعَزُّ شُدُّى شَدَّةً لَا شَوَّى لَهَا عَلَى خَالِدٍ أَلْقَى الْقِنَاعَ وَشَمَرْرَى^(٣)

أَيَاعَزُّ إِنْ لَمْ تَقْتُلِ الْمَرْءَ خَالِدًا فَبُوْيٌّ يَأْتِمْ عَاجِلٍ أَوْ تَنْصَرِى

قَالَ : فَلَمَا اتَّهَى خَالِدٌ إِلَيْهَا هَذِهِمْ رَجَعَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وَقَدْ روَى الْوَاقِدِيُّ وَغَيْرُهُ أَنَّهُ لَمَّا قَدِمَهُ خَالِدٌ لِهَدْمِ الْمَعْزَى بَقِينَ مِنْ رَمَضَانَ فَهَدَمَهَا
وَرَجَعَ فَأَخْبَرَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : « مَارَأَيْتَ ؟ » قَالَ : لَمْ أَرْ شَيْئًا . فَأَمْرَهُ
بِالرَّجْوَعِ ، فَلَمَّا رَجَعَ خَرَجَتْ إِلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ الْبَيْتِ امْرَأَ سُوَادَةَ نَاهِرَةً شَعْرَهَا تُؤَلُّونَ
فَمَلَّاهَا بِالسَّيْفِ وَجَعَلَ يَقُولُ :

يَا عَزَّى كُفَّارِنَكِ لَا سَبِّحَانِكِ إِنِّي رَأَيْتُ اللَّهَ قَدْ أَهَانَكِ

نَمْ خَرَّبَ ذَلِكَ الْبَيْتَ الَّذِي كَانَتْ فِيهِ ، وَأَخْذَ مَا كَانَ فِيهِ مِنَ الْأَمْوَالِ رَضِيَ
اللَّهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ ، ثُمَّ رَجَعَ فَأَخْبَرَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : « تَلِكَ الْعَزَى
وَلَا تَعْبُدُ أَبْدًا » .

(١) ابْنُ هَشَامٍ : صَاحِبُهَا .

(٢) ابْنُ هَشَامٍ : أَسْنَدَ .

(٣) الشَّوَى : أَنْ يَصِيبَ غَيْرَ الْمَاقِلِ يَرِيدُ أَنْهَا لَا تُنْقِعُ عَلَى شَيْءٍ .

وقال البهقي : أَبْنَا نَانَاهُ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرِ الْفَقِيهِ ، أَبْنَا نَانَاهُ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، أَبْنَا نَانَاهُ أَحَدَ
ابْنِ عَلِيٍّ ، حَدَّثَنَا أَبُو كَرْبَلَةَ ، عَنْ أَبِي فَضْلٍ ، عَنْ الْوَلِيدِ بْنِ جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِي الطَّفْلِ
قَالَ : لَمَّا فَتَحَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَكَّةَ بَعْثَ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ إِلَى نَخْلَةَ وَكَانَتْ
بِهَا الْعَزَّى ، فَأَتَاهَا ، وَكَانَتْ عَلَى ثَلَاثَ سَمُّرَاتِ ، فَقَطَعَ السَّمُّرَاتِ وَهَدَمَ الْبَيْتَ الَّذِي كَانَ
عَلَيْهَا ، ثُمَّ أَتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرَهُ قَالَ : « ارْجِعْ فَإِنَّكَ لَمْ
تَصْنَعْ شَيْئًا ». .

فرجع خالد فلما نظرت إليه السَّدَّةَ وَهُمْ حِجَابُهَا أَمْتَنَوا هَرَبًا فِي الْجَبَلِ وَهُمْ يَقُولُونَ:
يَا عَزَّى الْحَبَّلِيَّةِ ، يَا عَزِيزِ عَوْرَيْهِ ، وَإِلَّا فَوْتَنِي بَرَاغْمُ !
قال : فَأَتَاهَا خَالدٌ فَإِذَا امْرَأَةٌ عَرِيَانَةٌ نَاثِرَةٌ شَعْرُهَا تَخْتَنُ الْسَّتَّارَ عَلَى رَأْسِهَا ،
وَوَجْهُهَا ، فَعَمِّمَهَا بِالسَّيْفِ حَتَّى قُتِلَهَا ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرَهُ قَالَ :
« تَلَكَ الْعَزَّى ». .

فصل في مدة إقامته عليه السلام بـ

لا خلاف أنه عليه الصلاة والسلام أقام بقية شهر رمضان يقصر الصلاة ويفطر .
وهذا دليل من قال من العلماء إن المسافر إذا لم يجتمع الإقامة فله أن يقصر ويفطر إلى
ثمانى عشر يوماً في أحد القولين ، وفي القول الآخر كما هو مقرر في موضعه .
قال البخاري : حدثنا أبو نعيم ، حدثنا سفيان ح . وحدثنا قبيصة ، حدثنا
سفيان ، عن يحيى بن أبي إسحاق ، عن أنس بن مالك قال : أقمنا مع رسول الله صلي الله
عليه وسلم عَشْرَانَ يَقْصُرُ الصَّلَاةَ .

وقد روواه بقية الجماعة من طرق متعددة ، عن يحيى بن أبي إسحاق الحضرمي البصري ،
عن أنس بن حمزة . .

ثم قال البخاري : حدثنا عبدان ، حدثنا عبد الله ، أئبنا عاصم ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم تسعة عشر يوماً يصلى ركعتين . ورواه البخاري أيضاً من وجه آخر ، زاد البخاري وأبو حصين كلاماً . وأبو داود والترمذى وابن ماجه ، من حديث عاصم بن سليمان الأ Howell ، عن عكرمة ، عن ابن عباس به .

فلفظ لأبي داود : سبعة عشر يوماً .

وحدثنا أحمد بن يونس ، حدثنا أحمد بن شهاب ، عن عاصم ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : أقينا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر تسع عشرة نقصراً الصلاة .

قال ابن عباس : فنحن نقصر ما بيننا وبين ^(١) تسعة عشرة ، فإذا زدنا ^(٢) أتممنا . وقال أبو داود : حدثنا إبراهيم بن موسى ، حدثنا ابن علي ، أئبنا على بن زيد ، عن أبي نصرة ، عن عمران بن حصين ما قال : غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهدت معه الفتح ، فأقام ثمانى عشرة ليلة لا يصلى إلا ركعتين يقول : « يا أهل البلد صلوا أربعاء فإننا سفر » .

وهكذا رواه الترمذى من حديث على بن زيد بن جدعان ، وقال : هذا حديث حسن .

ثم روى أبو داود من حديث محمد بن إسحاق ، عن الزهرى ، عن عبيد الله بن عبدالله ، عن ابن عباس ، قال : أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفتح خمس عشرة ليلة ينقص الصلاة . ثم قال : رواه غير واحد ، عن ابن إسحاق لم يذكروا ابن عباس .

(١) غيرها : نقصراً ما بقياناً بين تسعة عشرة . (٢) ت : فإذا أردنا .

وقال ابن إدريس ، عن محمد بن إسحاق ، عن الزهرى ، و محمد بن على بن الحسين [»]
و عاصم بن عمرو بن قتادة ، و عبد الله بن أبي بكر و عمرو بن شعيب وغيرهم قالوا : أقام
رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة خمس عشرة ليلة .

فصل وما حكم عليه السلام بعكة من الأحكام

قال البخارى : حدثنا عبد الله بن مسلمة ^(١) ، عن مالك ، عن ابن شهاب ، عن عروة ، عن
عائشة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وقال الليث : حدثني يونس ، عن ابن شهاب ، أخبرنى
عروة بن الزبير ، أن عائشة قالت : كان عتبة بن أبي وقاص عَيْدَ إلى أخيه سعد أن يُقْبِضَ
ابنَ ولیدة زَمْعَةَ ، وقال عتبة : إنه ابني : فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم
في الفتح أخذ سعد بن أبي وقاص ابنَ ولیدة زَمْعَةَ فأقبل به إلى رسول الله صلى الله عليه
وسلم وأقبل معه عبد بن زمعة ، فقال سعد بن أبي وقاص : هذا ابن أخي عهد إلى أنه ابني .
قال عبد بن زمعة : يا رسول الله : هذا أخي ، هذا ابن زمعة ، ولد على فراشه ، فنظر
رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ابن ولیدة زَمْعَةَ فإذا هو أشبه الناس بعتبة بن أبي
وقاص ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هولك ، هو أخوك يا عبد بن زمعة من
أجل أنه ولد على فراشه » .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « احتجبي منه يا سودة » لما رأى من شبه
عتبة بن أبي وقاص .

قال ابن شهاب : قالت عائشة : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الولد للفراش
والعاهر الحجر » . قال ابن شهاب : وكان أبو هريرة يصرّح ^(٢) بذلك .
وقد رواه البخارى أيضاً ومسلم وأبو داود والترمذى جمِيعاً عن قتيبة عن الليث به .
وابن ماجه من حديثه . وانفرد البخارى بروايته له من حديث مالك عن الزهرى .

* * *

(١) الأصل : ابن مسلم . وما أثبتته عن صحيح البخارى . (٢) البخارى : بصريح .

ثُمَّ قَالَ الْبَخَارِيُّ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مَقَاتِلَ ، أَبْنَائُهُ عَبْدُ اللَّهِ ، أَبْنَائُهُ يُونُسُ ، عَنْ أَبِيهِ
هَبَابَ ، أَخْبَرَنِي عَرْوَةُ بْنُ الْزَّبِيرَ ، أَنَّ امْرَأَةً سَرَقَتْ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ فِي غَزْوَةِ الْفَتْحِ فَفَزَعَ قَوْمُهَا إِلَى أَسَمَّةَ بْنِ زَيْدٍ يَسْتَشْفِعُونَهُ .

قَالَ عَرْوَةُ : فَلَمَّا كَلَّهُ أَسَمَّةُ فِيهَا تَلَوَّنَ وَجْهُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ :
« أَتَكُلُّمُ فِي حَدِّيْرَةِ مِنْ حَدِّيْرَةِ اللَّهِ ؟ » قَالَ أَسَمَّةُ : اسْتَغْفِرُ لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ .

فَلَمَّا كَانَ الْعَشَيْرَةَ قَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَطِيبًا فَأَثْنَى عَلَى اللَّهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ ،
أَنْمَّا قَالَ : « أَمَا بَعْدَ فَإِنَّمَا هَلَكَ النَّاسُ قَبْلَكُمْ أَنْهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقُوا فِيهِمُ الْشَّرِيفُ تَرَكُوهُ ،
وَإِذَا سَرَقُوا فِيهِمُ الْمُضَعِّفُ أَفَاقُمُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ يَبْدِئُهُ لَوْ أَنْ فَاطِمَةَ بْنَتَ مُحَمَّدٍ
سَرَقَتْ لَقْطَمُتْ يَدَهَا ! » .

ثُمَّ أَسَمَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِتِلْكَ الْمَرْأَةِ فَقُطِّعَتْ يَدُهَا ، فَخَسِّنَتْ تَوْبَهُ بَعْدَ
ذَلِكَ وَتَزَوَّجَتْ .

قَالَتْ عَائِشَةُ : كَانَتْ تَأْنِي بَعْدَ ذَلِكَ فَأَرْفَعُ حَاجَتِهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وَقَدْ رَوَاهُ الْبَخَارِيُّ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ ، وَمُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ أَبْنِ وَهْبٍ ، عَنْ يُونُسَ ، عَنْ
الْوَهْرَى ، عَنْ عَرْوَةَ ، عَنْ عَائِشَةَ بَدَّهَا .

وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ سَبْرَةِ بْنِ مَعْبُدِ الْجَمْهُورِ قَالَ : أَمْرَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْمَقْعَدِ عَامَ الْفَتْحِ حِينَ دَخَلَ مَكَّةَ ، ثُمَّ لَمْ يَخْرُجْ حَتَّى
عَنْهَا .

وَفِي رَوَايَةِ فَقَالَ : « أَلَا إِنَّهَا حَرَامٌ حَرَامٌ مِنْ يَوْمِكُمْ هَذَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ » .

وَفِي رَوَايَةِ فِي مَسْنَدِ أَحْمَدَ وَالسَّنْدِ ، أَنَّ ذَلِكَ كَانَ فِي حِجَّةِ الْوَدَاعِ . فَاللَّهُ أَعْلَمُ .

وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ ، عَنْ أَبِي بَكْرٍ بْنِ أَبِي شِبَّيْةَ ، عَنْ يُونُسَ بْنِ مُحَمَّدٍ ، عَنْ عَبْدِ الْوَاحِدِ
ابْنِ زِيَادٍ ، عَنْ أَبِي الْعَمِيسِ عَنْ إِبَيْسَ بْنِ سَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ ، عَنْ أَبِيهِ أَنَّهُ قَالَ : رَحْصَنَ

لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عاماً أو طاس في متعة النساء ثلاثاً ثم نهانا عنه .

قال البهقي : وعام أو طاس هو عام الفتح . فهو وحديث سيرة سواء .

قلت : من أثبت النهي عنها في غزوة خيبر قال : إنها أبيحت مرتين ، وحرمت مرتين . وقد نص على ذلك الشافعى وغيره .

وقد قيل : إنها أبيحت وحرمت أكثر من مرتين . فالله أعلم . وقيل : إنها إنما حرمت مرة واحدة ، وهى هذه المرة في غزوة الفتح .

وقيل : إنها إنما أبيحت للضرورة ، فعلى هذا إذا وجدت ضرورة أبيحت . وهذا روایة عن الإمام أحمد .

وقيل : بل لم تحرم مطلقاً ، وهى على الإباحة . هذا هو المشهور عن ابن عباس وأصحابه وطائفة من الصحابة . وموضع تحرير ذلك في الأحكام .

فصل

قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا ابن جریح ، أنبأنا عبد الله بن عمان ابن خشم ، أن محمد بن الأسود بن خلف أخبره أن أباه الأسود رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم يباع الناس يوم الفتح ، قال : جلس عند قرآن مستقبلاً ، فبائع الناس على الإسلام والشهادة . قلت : وما الشهادة ؟ قال : أخبرني محمد بن الأسود بن خلف أنه باباً لهم على الإيمان بالله وشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله .
تفرد به أحمد .

وعند البهقي : خفاء الناس السكellar والصفار والرجال والنساء بباباً لهم على الإسلام والشهادة .

وقال ابن جرير : ثم اجتمع الناس بمكة لبيعة رسول الله صلى الله عليه وسلم على

الإسلام ، فجلس لهم - فيما بلغني - على الصفا و عمر بن الخطاب أسفلَ من مجلسه فأخذ على الناس السمعَ والطاعةَ لله ولرسوله فيما استطاعوا .

قال : فلما فرغ من بيعة الرجال بايع النساء ، وفيهن هند بنت عتبة مُتنقمةً متذكرة بحديثها^(١) لما كان من صنيعها بمحنة .

[فهي تخاف أن يأخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم بمحنة ذلك ، فلما دنّين من رسول الله صلى الله عليه وسلم ليبايعهن قال : « بايْعَنِي عَلَى أَلَا تُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا » فقالت هند : والله إنك لتأخذ علينا مالا تأخذ من الرجال .

« ولا تسرقن » فقالت : والله إني كنت أصبت من مال أبي سفيان الهمة بعد الملة ، وما كنت أدرى أكان ذلك علينا حلالاً أم لا ؟ فقال أبو سفيان - وكان شاهداً لما قتلت هند : أما ما أصبت فيما مضى فأنت منه في حلّ .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وإنك هند بنت عتبة ؟ » قالت : نعم فاعف عن سلف ، عفا الله عنك .

ثم قال : « ولا يَرْبُّنِين » فقالت : يا رسول الله وهل تزني الحرثة ؟ ثم قال : « ولا تقتلن أولادكن » قالت : قدر بيئاتم صغاراً أفقتلهم كباراً ؟ فأنت وهم أعلم ! فضحك عمر بن الخطاب حتى استغرق .

ثم قال : « ولا يأتين بهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن » قالت : والله إن إثبات البهتان لقبيح ، ولبعض التجاوز أثقل .

ثم قال : « ولا يعصيني » فقالت : فمعلوم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر : « بايْعَهُنَّ وَاسْتَغْفِرُ لَهُنَّ اللَّهُ أَنْفُرُ رَحِيمٌ » .

(١) ت : لعنها .

فبایهُنْ عَمْرٌ وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَصَافِحُ النِّسَاءَ وَلَا يَمْسُّ إِلَّا امْرَأَةً
أَحَلَّ اللَّهُ لَهُ أَوْ ذَاتَ حُمْرَمَ مِنْهُ .

وَبَثُتَ فِي الصَّحِيفَتِينَ ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، أَنَّهَا قَالَتْ : لَا وَاللَّهِ مَا مَسَّتْ بِدُ
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدَ امْرَأَةً قَطُّ . وَفِي رَوْايَةَ : مَا كَانَ يَبَايِهُنْ إِلَّا كَلَامًا
وَيَقُولُ : « إِنَّمَا قَوْلِي لِامْرَأَةً وَاحِدَةً كَقَوْلِي لِمَائَةِ امْرَأَةً » .

وَفِي الصَّحِيفَتِينَ عَنْ عَائِشَةَ ، أَنَّ هَنْدَ بْنَتَ عَتْبَةَ امْرَأَةَ أَبِي سَفِيَّانَ أَتَتْ رَسُولَ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أَبَا سَفِيَّانَ رَجُلٌ شَحِيقٌ لَا يَعْطِينِي مِنَ النَّفَقَةِ
مَا يَكْفِيَنِي وَيَكْفِيَنِي ، فَهَلْ عَلَيَّ مِنْ حَرَجٍ إِذَا أَخْذَتُ مِنْ مَالِهِ بَغْرِيرِ عِلْمِهِ؟ قَالَ : خَذِي
مِنْ مَالِهِ بِالْمَعْرُوفِ مَا يَكْفِيَكَ وَيَكْفِيَنِيكَ [١] .

[وَرَوَى البَيْهِقِيُّ مِنْ طَرِيقِ يَحْيَى بْنِ بَكْرٍ ، عَنِ الْأَلِيثِ ، عَنْ يُونُسَ ، عَنْ أَبِي
شَهَابٍ ، عَنْ عُرُوْةَ ، عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ هَنْدَ بْنَتَ عَتْبَةَ قَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا كَانَ مَا عَلَى وَجْهِ
الْأَرْضِ أَخْبَاءً أَوْ خَبَاءً - الشَّكُّ مِنْ أَبِي بَكْرٍ - أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يَذَلَّوا مِنْ أَهْلِ أَخْبَائِكَ
أَوْ خَبَائِكَ - ثُمَّ مَا أَصْبَحَ الْيَوْمَ عَلَى ظَهَرِ الْأَرْضِ أَهْلُ أَخْبَاءٍ أَوْ خَبَاءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ
يَعْزُوا مِنْ أَهْلِ أَخْبَائِكَ أَوْ خَبَائِكَ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « وَأَيْضًا وَالَّذِي
نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ » قَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أَبَا سَفِيَّانَ رَجُلٌ شَحِيقٌ ، فَهَلْ عَلَيَّ حَرَجٌ أَنْ
أَطْعُمَ مِنَ الذِّي لَهُ؟ قَالَ : « لَا ، بِالْمَعْرُوفِ » .

وَرَوَاهُ الْبَخَارِيُّ ، عَنْ يَحْيَى بْنِ بَكْرٍ بْنِ حَوْهَ . وَتَقْدِيمُ مَا يَتَعَلَّقُ بِإِسْلَامِ
أَبِي سَفِيَّانَ [٢] .

وَقَالَ أَبُو دَاوُدُ : حَدَّثَنَا عُثْمَانَ بْنَ أَبِي شِيْبَةَ ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ ، عَنْ مُنْصُورٍ ، عَنْ

(٢) مِنْ تَ .

(١) سَقْطٌ مِنْ ١ .

مجاهد ، عن طاووس ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة : « لا هجرة ولكن جهاد ونية ، وإذا استنفرتم فانفروا ». .

ورواه البخاري ، عن عثمان بن أبي شيبة ، ومسلم ، عن يحيى بن يحيى عن جرير .
وقال الإمام أحمد : حدثنا عفان ، حدثنا وهب ، حدثنا ابن طاووس ، عن أبيه ، عن صفوان بن أمية ، أنه قيل له : إنه لا يدخل الجنة إلا من هاجر . فقلت له : لا أدخل منزلتي حتى أسأل رسول الله مسألة . فأتته فذكرت له فقال : « لا هجرة بعد فتح مكة ، ولكن جهاد ونية ، وإذا استنفرتم فانفروا ». .
تفرد به أحمد .

وقال البخاري : حدثنا محمد بن أبي بكر ، حدثنا الفضيل بن سليمان ، حدثنا عاصم ، عن أبي عثمان التهدي ، عن مجاشع بن مسعود ، قال : انطلقت بأبي معبد إلى النبي صلى الله عليه وسلم لتباعيه على الهجرة فقال : « مضرت الهجرة لأهلها ، أبايعه على الإسلام والجهاد ». .

فلقيت أبو معبد فسألته فقال : صدق مجاشع .

وقال خالد ، عن أبي عثمان ، عن مجاشع ، أنه جاء بأخيه مجاهدا .

وقال البخاري : حدثنا عمرو بن خالد ، حدثنا زهير ، حدثنا عاصم ، عن أبي عثمان ، قال : حدثني مجاشع قال : أتيت رسول الله بأخي بعد يوم الفتح قلت : يا رسول الله جئتكم بأخي لتباعيه على الهجرة ، قال : « ذهب أهل الهجرة بما فيها » فقلت : على أي شيء تباعيه ؟ قال : « أبايعه على الإسلام والإيمان والجهاد ». .

فلقيت أبو معبد بعد وكان أكبراً سناً فسألته فقال : صدق مجاشع .

وقال البخاري : حدثنا محمد بن بشار ، حدثنا عذذر ، حدثنا شعبة ، عن أبي بشر ،

عن مجاهد ، قال : قلت لابن عمر : أريد أن أهاجر إلى الشام ؟ قال : لا هجرة ولكن انطلق فأعرض نفسك ، فإن وجدت شيئاً وإلا رجع .

وقال أبو النضر : أنبأنا شعبة ، أنبأنا أبو بشر ، سمعت مجاهداً قال : قلت لابن عمر فقال : لا هجرة اليوم - أو بعدَ رسول الله صلى الله عليه وسلم - مثله .

حدثنا إسحاق بن يزيد ، حدثنا يحيى بن حمزة ، حدثني أبو عمرو الأوزاعي ، عن عبدة بن أبي لبابة ، عن مجاهد بن جبير ، أن عبد الله بن عمر قال : لا هجرة بعد الفتح .

وقال البخاري : حدثنا إسحاق بن يزيد ، أنبأنا يحيى بن حمزة ، أنبأنا الأوزاعي ، عن عطاء بن أبي رباح ، قال : زرت عائشة مع عبيد بن عمير فسألها عن الهجرة فقالت : لا هجرة اليوم . وكان المؤمنون يفرّ أحدهم بدنه إلى الله عز وجل وإلى رسوله مخافة أن يُفْتَن عليه ، فاما اليوم فقد أظهر الله الإسلام فالمؤمن يعبد ربه حيث يشاء ، ولكن جهاد ونية .

* * *

وهذه الأحاديث والآثار دالة على أن الهجرة ، إما الكاملة أو مطلقاً ، قد انقطعت بعد فتح مكة ، لأن الناس دخلوا في دين الله أفواجاً وظهر الإسلام وثبتت أركانه ودعائمه ، فلم تبق هجرة .

اللهم إلا أن يعرض حال يقتضي الهجرة بسبب محاورة أهل الحرب وعدم القدرة على إظهار الدين عندهم ، فتجب الهجرة إلى دار الإسلام . وهذا ما لا خلاف فيه بين العلماء .

ولكن هذه الهجرة ليست كالمجراة قبل الفتح ، كما أن كلاماً من الجهاد والإنفاق في

سبيل الله مشروع ورغم فيه إلى يوم القيمة ، وليس كالإنفاق ولا الجهد قبل الفتح
فتح مكة .

قال الله تعالى : « لا يُستوى منكم من أنفقَ من قبل الفتح وقاتل ، أولئك أعظم
درجةً من الذين أَنفقو من بعد وقاتلوا وكلّاً وعد الله الحسنى ^(١) » الآية .

وقد قال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، عن عمرو بن مُرَّة ، عن
أبي البختري الطائي ، عن أبي سعيد الخدري ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه
قال : لما نزلت هذه السورة « إذا جاء نصر الله والفتح » قرأها رسول الله حتى ختمها
وقال : « الناس خير وأنا وأصحابي خير » وقال : « لا هجرة بعد الفتح ولكن
جهاد ونية » .

فقال له مروان : كذبت . وعنده رافع بن خَرَبْج وزيد بن ثابت فاعدا معه
على السرير ، فقال أبو سعيد : لو شاء هذان لخدنانك ، ولكن هذا يخاف أن تزعزعه عن
عراقة قومه ، وهذا يخشى أن تزعزعه عن الصدقة ! فرفع مروان عليه الدرة ليضربه ، فلما
رأيا ذلك قالا : صدق .

تفرد به أحمد .

* * *

وقال البخاري : حدثنا موسى بن إسماعيل ، حدثنا أبو عوانة ، عن أبي بشر ، عن
سعید بن جبیر عن ابن عباس قال : كان عمر يُدخلنی مع أشیاخ بدر ، فكان بعضهم
وجدَ في نفسه ، فقال : لم تُدخل هذا معنا ولنا أبناء مثله ؟ فقال عمر : إنه من قد عَلِمْتَ .
فدعاهم ذاتَ يوم فأدخله معهم ، فما رأيت أنه أدخلنی فيهم يومئذ إلا ليزبورهم ، فقال :
ما تقولون في قول الله عز وجل : « إذا جاء نصر الله والفتح » ؟ فقال بعضهم : أمرنا

(١) سورة الحديد .

أَنْ حَمَدَ اللَّهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ إِذَا نَصَرَنَا وَفَتَحَ عَلَيْنَا . وَسَكَتَ بَعْضُهُمْ فَلَمْ يَقُلْ شَيْئًا . قَالَ لِي : أَكَذَّاكَ تَقُولُ يَا بْنَ عَبَّاسٍ ؟ قَلَتْ : لَا . قَالَ : مَا تَقُولُ ؟ قَلَتْ : هُوَ أَجَلُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَعْلَمُهُ لَهُ ، قَالَ : « إِذَا جَاءَ نَصْرٌ اللَّهُ وَالْفَتْحُ » فَذَلِكَ عَلَامَةُ أَجَلِكَ « فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَابًا » قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابَ : لَا أَعْلَمُ مِنْهَا إِلَّا مَا يَقُولُ .

تفرد به البخاري .

وَهَكُذا رَوَى مِنْ غَيْرِ وَجْهٍ عَنْ أَبْنَى عَبَّاسٍ ، أَنَّهُ فَسَرَ ذَلِكَ بِنَعْمَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَجْلِهِ ، وَبِهِ قَالَ مُجَاهِدٌ وَأَبُو الْعَالِيَّةِ وَالضَّحَّاكُ وَغَيْرُ وَاحِدٍ ، كَمَا قَالَ أَبْنَى عَبَّاسٍ وَعُمَرَ بْنَ الْخَطَّابَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا .

فَأَمَّا الْحَدِيثُ الَّذِي قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ : حَدَثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ فَضْلَيْلٍ ، حَدَثَنَا عَطَاءً ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جَبَيرٍ ، عَنْ أَبْنَى عَبَّاسٍ قَالَ : لِمَا نَزَّلْتَ : « إِذَا جَاءَ نَصْرٌ اللَّهُ وَالْفَتْحُ » قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « نُعِيتُ إِلَى نَفْسِي » بِأَنَّهُ مَقْبُوضٌ فِي تِلْكَ السَّنَةِ .

تفرد به الإمام أَحْمَدُ وَفِي إِسْنَادِهِ عَطَاءُ بْنُ أَبِي مُسْلِمِ الْخَرَاسَانِيُّ ، وَفِيهِ ضَعْفٌ تَكَلَّمُ فِيهِ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ الْأَئْمَةِ ، وَفِي لَفْظِهِ نَكَارَةٌ شَدِيدَةٌ وَهُوَ قَوْلُهُ : بِأَنَّهُ مَقْبُوضٌ فِي تِلْكَ السَّنَةِ . وَهَذَا باطِلٌ ، فَإِنَّ الْفَتْحَ كَانَ فِي سَنَةِ ثَمَانِينَ فِي رَمَضَانَ مِنْهَا كَمَا تَقَدَّمَ بِيَانُهُ ، وَهَذَا مَالًا خَلَافٌ فِيهِ .

وَقَدْ تَوَقَّى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي رَبِيعِ الْأَوَّلِ مِنْ سَنَةِ إِحْدَى عَشَرَةِ بِلَا خَلَافٌ أَيْضًا .

وَهَكُذا الْحَدِيثُ الَّذِي رَوَاهُ الْحَافِظُ أَبُو الْقَاسِمِ الطَّبرَانِيَّ رَحْمَهُ اللَّهُ ، حَدَثَنَا إِبْرَاهِيمُ أَبْنَى أَحْمَدَ بْنَ عَمَرَ الْوَكِيْبِيِّ ، حَدَثَنَا أَبْنَى ، حَدَثَنَا جَعْفَرُ بْنُ عَوْنَ ، عَنْ أَبِي الْمُعْنَسِ ، عَنْ

أبى بكر بن أبى الجهم ، عن عبد الله بن عبید الله بن عتبة ، عن ابن عباس قال : آخر سورة نزلت من القرآن جمیعاً : « إذا جاء نصر الله والفتح ».
فيه سکارة أيضاً ، وفي إسناده نظر أيضاً ، ومحتمل أن يكون أنها آخر سورة نزلت جميعها كما قال والله أعلم .

وقد تکامنا على تفسير هذه السورة الـکریمة بما فيه كفاية والله الحمد والمنة .
وقال البخاری : حدثنا سليمان بن حرب ، حدثنا حاد بن زید ، عن أيوب عن أبي قلابة ، عن عمرو بن سلامة - قال لـ أبو قلابة : ألا تلقاه فتسأله ؟ فلقيته فسألته - قال : كنا بماء تمـر الناس ، وكان يمرُّ بـنا الرَّكبان فـنـسـلـهـم : ما الناس ما للناس ؟ ما هذا الرجل ؟
فيقولون : يـزـعـمـ أنـ اللـهـ أـرـسـلـهـ وـأـوـحـيـ إـلـيـهـ كـذـاـ ، فـكـنـتـ أحـفـظـ ذـاكـ الـكـلامـ ، فـكـنـاـ يـغـرـىـ^(١) فـصـدـرـىـ ، وـكـانـتـ الـعـربـ تـلـوـمـ^(٢) بـإـسـلـامـهـمـ الفـتـحـ فيـقـولـونـ : اـتـرـكـوهـ وـقـوـمـهـ ، فـإـنـهـ إـنـ ظـهـرـ عـلـيـهـمـ فـهـوـ نـبـيـ صـادـقـ .

فـلـمـاـ كـانـتـ وـقـمـةـ أـهـلـ الـفـتـحـ بـادـرـ كـلـ قـوـمـ بـإـسـلـامـهـمـ ، وـبـدـرـ أـبـيـ قـوـمـ بـإـسـلـامـهـمـ
فـلـمـاـ قـدـمـ قـالـ : جـشـكـ وـالـلـهـ مـنـ عـنـدـ النـبـيـ حـقـاـ . قـالـ : صـلـواـ صـلـاـةـ كـذـاـ فـيـ حـيـنـ كـذـاـ ،
وـصـلـاـةـ كـذـاـ فـيـ حـيـنـ كـذـاـ ، فـإـذـاـ حـضـرـتـ الصـلـاـةـ فـلـيـؤـذـنـ أـحـدـكـ وـلـيـؤـمـكـ أـكـثـرـكـ
قـرـآنـاـ فـنـظـرـوـاـ فـلـمـ يـكـنـ أـحـدـ كـثـرـقـرـآنـاـ مـنـ لـمـ كـنـتـ أـتـلـقـ مـنـ الرـكـبـانـ .

فـقـدـمـونـيـ بـيـنـ أـيـدـيـهـمـ وـأـنـاـ بـنـ ستـ أوـ سـبـعـ سنـينـ ، وـكـانـتـ عـلـىـ بـرـدةـ إـذـاـ سـجـدـتـ
تـقـلـصـتـ عـنـ ، فـقـالـتـ اـمـرـأـ مـنـ الـحـيـ : أـلـاـ نـفـطـوـنـ عـنـاـ اـسـتـ قـارـئـكـ ؟ فـاشـتـرـواـ فـقـطـمـوـاـ إـلـىـ
قـيـصـاـ ، فـاـفـرـحـتـ بـشـىـ فـرـحـىـ بـذـلـكـ الـقـيـصـ .

تـفرـدـ بـهـ الـبـخـارـىـ دـوـنـ مـسـلـمـ .

(٢) تـلـوـمـ : تـنـتـظـرـ .

(١) يـغـرـىـ : يـلـصـقـ .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

غزوَةُ هَوَازِنْ يَوْمَ حُنَيْنٍ

قالَ اللَّهُ تَعَالَى : « لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ، وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذَا أَعْجَبْتُمْ كَثِيرًا كُمْ فَلَمْ تُفْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا ، وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحَبَتْ ثُمَّ وَلَيْسَ مُدْبِرِينَ ، ثُمَّ أَزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرُوهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ . ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ » .

وقد ذكر محمد بن إسحاق بن يسار في كتابه : أن خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى هوازن بعد الفتح في الخامس شوال سنة ثمان ، وزعم أن الفتح كان العشرين من شهر رمضان قبل خروجه إليهم خمس عشرة ليلة . وهكذا روى عن ابن مسعود . وبه قال عروة بن الزبير واختاره أحمد وابن جرير في تاريخه .

وقال الواقدي : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى هوازن لست خلون من شوال ، فانتهى إلى حنين في عاشره . وقال أبو بكر الصديق : إن نغلب اليوم من قلة ! فانهزموا فكان أول من انهزم بنو سليم ، ثم أهل مكة ثم بقية الناس .

قال ابن إسحاق : ولما سمعت هوازن برسول الله صلى الله عليه وسلم وما فتح الله عليه من مكة جمعها مالك بن عوف النضرى ، فاجتمع إليه مع هوازن ثقيف كلها واجتمعت نصر وجشم كلها وسعد بن بكر وناس من بني هلال ، وهم قليل ، ولم

يشهدوا من قَيْنَ عَيْلَانَ إِلَّا هُؤُلَاءِ . وَغَابَ عَنْهَا وَلَمْ يَحْضُرْهَا مِنْ هُوَازِنَ كَعْبٍ وَكَلَابٍ ،
وَلَمْ يَشْهُدْهَا مِنْهُمْ أَحَدٌ لَهُ اسْمٌ ، وَفِي بَنِي جُثْمَ دُرَيْدَ بْنَ الصَّمَّةِ شَيْخٌ كَبِيرٌ لَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ
إِلَّا التَّيْمَنُ بِرَأْيِهِ وَمَعْرِفَتِهِ بِالْحَرْبِ ، وَكَانَ شَيْخًا مُجَرَّبًا ، وَفِي ثَقِيفٍ سِيدَانٌ لَهُمْ ؛ وَفِي
الْأَحْلَافِ قَارِبُ بْنُ الْأَسْوَدِ بْنُ مُسْعُودَ بْنُ مُعْتَدِلٍ ، وَفِي بَنِي مَالِكٍ ذُو الْحِمَارِ سُبَيْعُ بْنُ
الْحَارِثِ وَأَخْوَهُ أَحْمَرَ بْنَ الْحَارِثِ ، وَجَمَاعُ أَمْرِ النَّاسِ إِلَى مَالِكٍ بْنِ عَوْفٍ النَّصْرَى .

فَلَمَّا أَجْمَعَ الْمُسِيرَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحْضَرَ^(١) مَعَ النَّاسِ أَمْوَالَهُمْ
وَنِسَاءَهُمْ وَأَبْنَاءَهُمْ ، فَلَمَّا نَزَلَ بِأَوْطَاسٍ اجْتَمَعَ إِلَيْهِ النَّاسُ وَفِيهِمْ دُرَيْدَ بْنَ الصَّمَّةِ فِي شَجَارَ^(٢)
لَهُ يُقَادِ بِهِ ، فَلَمَّا نَزَلَ قَالَ : بَأْيٌ وَادْأَنْتُمْ ؟ قَالُوا : بِأَوْطَاسٍ . قَالَ : نِعْمٌ تَجَاهِلُ الْجَيْلَ لِلَّاهْزَنِ
ضِرْسٍ وَلَا سَهْلَ دَهْسٍ^(٣) ، مَالِي أَسْمَعَ رُعَاءَ الْبَعِيرِ ، وَنَهَاقَ الْحَمِيرِ ، وَبَكَاءَ الصَّفَيرِ ،
وَبُعَارَ الشَّاءِ ؟ قَالُوا : سَاقَ مَالِكُ بْنَ عَوْفٍ مَعَ النَّاسِ أَمْوَالَهُمْ وَنِسَاءَهُمْ وَأَبْنَاءَهُمْ . قَالَ :
أَيْنَ مَالِكٌ ؟ قَالُوا : هَذَا مَالِكٌ . وَدُعِيَ لَهُ .

قَالَ : يَا مَالِكَ إِنَّكَ قَدْ أَصْبَحْتَ رَئِيسَ قَوْمَكَ وَإِنَّ هَذَا يَوْمٌ كَائِنٌ لَهُ مَا بَعْدَهُ مِنَ
الْأَيَّامِ ، مَالِي أَسْمَعَ رُعَاءَ الْبَعِيرِ وَنَهَاقَ الْحَمِيرِ ، وَبَكَاءَ الصَّفَيرِ ، وَبُعَارَ الشَّاءِ ؟ قَالَ : سُقْتَ
مَعَ النَّاسِ أَبْنَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ . قَالَ : وَلَمْ ؟ قَالَ : أَرَدْتَ أَنْ أَجْعَلَ خَلْفَ كُلِّ رَجُلٍ أَهْلَهُ
وَمَا لَهُ لِي قاتِلٌ عَنْهُمْ .

قَالَ : فَانْقُضْ^(٤) بِهِ ، ثُمَّ قَالَ : رَاعِي ضَأنَ وَاللَّهُ ! هَلْ يَرُدُّ الْمَهْزُومَ شَيْءًا ؟ إِنَّهَا
إِنْ كَانَتْ لَكَ لَمْ يَنْفَعُكَ^(٥) إِلَّا رَجُلٌ بِسِيفِهِ وَرِحْمِهِ ، وَإِنْ كَانَتْ عَلَيْكَ فَضُحِّتْ فِي
أَهْلَكَ وَمَالَكَ .

(١) ت : حَطَمَ مَعَ النَّاسِ . (٢) الشَّجَار : مَرْكَبٌ شَبَهَ الْمَوْدِجَ .

(٣) الْهَزْنُ : مَا غَاظَ مِنَ الْأَرْضِ ، وَالضَّرْسُ : الْحَشَنُ . وَالدَّهْسُ : الْلَّيْنُ . (٤) انْقُضْ بِهِ : زَجْرُهُ .

(٥) ت : لَا يَنْفَعُكَ .

ثُمَّ قَالَ : مَا فَعَلْتَ كَعْبًا وَكَلَابًا ؟ قَالَ : لَمْ يَشْهِدَا مِنْهُمْ أَحَدٌ . قَالَ : غَابَ الْحَدْثُ
وَالْجَذْعُ لَوْ كَانَ يَوْمَ عَلَاءَ وَرَفْعَةَ لَمْ تَغْبَ عَنْهُ كَعْبًا وَكَلَابًا ، وَلَوْدِدْتُ أَنْكُمْ فَلَمْ
مَا فَعَلْتُ كَعْبًا وَكَلَابًا ، فَنَّ شَهْدَاهَا مِنْكُمْ ؟ قَالُوا : عُمَرُ بْنُ عَامِرٍ وَعُوْفُ بْنُ عَامِرٍ . قَالَ :
ذَانِكُ الْجَذْعَانُ مِنْ عَامِرٍ لَا يَنْفَعُانِ وَلَا يَضْرَانِ . ثُمَّ قَالَ : يَا مَالِكَ إِنَّكَ لَمْ تَصْنَعْ بِتَقْدِيمِ
الْبَيْضَةِ بِيَضْنَةٍ هَوَازِنَ إِلَى نَحْوِ الْخَلِيلِ شَيْئًا .

ثُمَّ قَالَ دُرَيْدَ لِمَالِكَ بْنَ عَوْفٍ : ارْفَهُمْ إِلَى مُتَمَنْعٍ^(١) بِلَادِهِمْ وَعَلَيْهِمْ قَوْمِهِمْ ثُمَّ
الْقَصْبَاءُ عَلَى مَتَوْنِ الْخَلِيلِ ، فَإِنْ كَانَتْ لَكَ لَحْقَ بَكَ مَنْ وَرَاهُكَ ، وَإِنْ كَانَتْ عَلَيْكَ
أَلْفَاكَ ذَلِكَ وَقَدْ أَحْرَزْتَ أَهْلَكَ وَمَالِكَ .

قَالَ : وَاللهِ لَا أَفْعُلُ ، إِنَّكَ قَدْ كَبَرْتَ وَكَبِيرُ عَقْلِكَ ! ثُمَّ قَالَ مَالِكَ : وَاللهِ لَتَطْبِعُنِي
يَا مَعْشِرَ هَوَازِنَ أَوْ لَأَتَكْثُنَ^{*} عَلَى هَذَا السِيفِ حَتَّى يَخْرُجَ مِنْ ظَهَرِي . وَكَرِهُ أَنْ يَكُونَ
لِدُرَيْدِ فِيهَا ذِكْرٌ أَوْ رَأْيٌ . قَالُوا : أَطْعَنَاكَ .

فَقَالَ دُرَيْدَ : هَذَا يَوْمٌ لَمْ أَشْهِدْهُ وَلَمْ يَفْتَنِي :

يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذْعٌ أَخْبُثُ فِيهَا وَأَضَمَّ^(٢)
أَقْوَدُ وَطَفَاءَ الزَّمَعَ^{*} كَمْهَا شَاهٌ صَدَعَ^(٣)

ثُمَّ قَالَ مَالِكَ لِلنَّاسِ : إِذَا رَأَيْتُمُوهُمْ فَاقْسِرُوهُمْ جُفُونَ سِيُوفَكُمْ ثُمَّ شُدُّوا شَدَّةً
رَجْلٍ وَاحِدٍ .

* * *

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَحَدَّثَنِي أُمِيَّةُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمَّانَ ، أَنَّهُ حَدَّثَ أَنَّ مَالِكَ بْنَ
عَوْفَ بَعْثَ عَيْوَنَا مِنْ رَجَالِهِ فَأَتَوْهُ وَقَدْ تَفَرَّقَتْ أَوْصَالُهُمْ فَقَالَ : وَيَلْكُمْ مَا شَأْنُكُمْ ؟ قَالُوا :

(١) مُتَمَنْعٌ : مُعْنَى . (٢) الْجَذْعُ : الشَّابُ . وَأَخْبُثُ : أَسْرَعُ .

(٣) الْوَطَاءُ : الطَّوِيلَةُ الشِّعْرُ . وَالْزَمَعُ : جَمْ زَمَعٌ وَهِيَ هَنْتَ زَائِدَةُ وَرَاءُ الظَّلْفِ . وَالشَّاهَ : حَمَارٌ
الْوَحْشُ . وَالصَّدَعُ : الْفَقِيرُ الْقَوِيُّ .

رأينا رجالاً بيضاً على خيلٍ بُلْقٍ ، فوَاللهِ مَا نَمَسْكُنَا أَنْ أَصَابَنَا مَا تَرَى . فوَاللهِ مَا رَدَّهُ
ذَلِكَ عَنْ وَجْهِهِ أَنْ مَضِيَ عَلَى مَا يَرِيدُ .

قال ابن إسحاق : ولما سمع بهم نبِيُّ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْثَةً إِلَيْهِمْ عَبْدَ اللهِ
ابن أبي حَدَّرَدَ الْأَسْلَمِيِّ ، وأمرَهُ أَنْ يَدْخُلَ فِي النَّاسِ فَيَقِيمَ فِيهِمْ حَتَّى يَعْلَمَ عِلْمَهُمْ ثُمَّ
يَأْتِيهِ بِنَخْبِهِمْ .

فَانْطَلَقَ ابْنُ أَبِي حَدَّرَدَ فَدَخَلَ فِيهِمْ حَتَّى سَمِعَ وَعَلِمَ مَا قَدْ أَجْعَلُوا لَهُ مِنْ حَرَبٍ
رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَسَمِعَ مِنْ مَالِكٍ وَأَمْرَهُوَازِنَ مَاهُمْ عَلَيْهِ ، ثُمَّ أَقْبَلَ حَتَّى أَتَى
رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرَهُ الْخَبْرَ .

فَلَمَّا أَجْمَعَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ السَّيْرَ إِلَى هَوَازِنَ ذُكِرَ لَهُ أَنْ عِنْدَ صَفْوَانَ
ابْنَ أُمَيَّةَ أَدْرَاعًا لَهُ وَسَلَاحًا فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ وَهُوَ يَوْمَئِذٍ مُشْرِكٌ فَقَالَ : « يَا أَبَا أُمَيَّةَ أَعْرِنَا
سَلَاحَكَ هَذَا تَلْقَى فِيهِ عَدُوُّنَا غَدًا » .

فَقَالَ صَفْوَانَ : أَغَصْبَأً يَامَحْمُد؟ قَالَ : « بَلْ عَارِيَةً مَضْمُونَةً حَتَّى نُؤَدِّيْهَا إِلَيْكَ » قَالَ :
لَيْسَ بِهَذَا بِأَسْ .

فَأَعْطَاهُ مَائَةً درعَ بِمَا يَكْفِيهَا مِنَ السَّلاحِ ، فَزَعَمُوا أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
سَأَلَهُ أَنْ يَكْفِيهِمْ حَمْلَهَا فَفَعَلَ .

هَكَذَا أَوْرَدَهُ ابْنُ إِسْحَاقَ مِنْ غَيْرِ إِسْنَادٍ .

وَقَدْ رُوِيَ يَوْنُسَ بْنُ بُشَيْرٍ عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ ، عَنْ عَاصِمٍ بْنِ عُمَرَ بْنِ قَاتِدَةَ ، عَنْ
عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ جَابِرٍ بْنِ عَبْدِ اللهِ ، عَنْ أَبِيهِ . وَعَنْ عُمَرِ بْنِ شَعِيبٍ وَالزَّهْرَى وَعَبْدِ اللهِ^(١)
ابْنِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ عَمْرُو بْنِ حَزْمٍ وَغَيْرِهِمْ قَصَّةً حَدِيثَنِ فَذَكَرَ نَحْوَ مَا تَقْدِمُ ، وَقَصَّةً الْأَدْرَاعَ
كَمَا تَقْدِمُ ، وَفِيهِ أَنَّ ابْنَ أَبِي حَدَّرَدَ لَمَّا رَجَعَ فَأَخْبَرَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

(١) : عَنْ ابْنِ أَبِي بَكْرٍ .

خبرَ هوازنَ كَذَّبَهُ عمرَ بنَ الخطَّابَ ، فَقَالَ لَهُ ابْنُ أَبِي حَمْدَرْدَ : لَئِنْ^(١) كَذَّبْتَنِي
يَا عَمَرَ فَرِبْمَا كَذَّبْتَ بِالْحَقِّ . فَقَالَ عَمَرٌ : أَلَا تَسْمَعُ مَا يَقُولُ يَارَسُولَ اللَّهِ ؟ فَقَالَ : « قَدْ كَفَتَ
ضَالًاً فِيهَاكَ اللَّهُ » .

وَقَدْ قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ : حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ ، أَنَّبَانَا شَرِيكَ ، عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ
رَفِيعَ ، عَنْ أُمِّيَّةَ بْنِ صَفْوَانَ بْنِ أُمِّيَّةَ ، عَنْ أَبِيهِ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اسْتَعْنَارَ
مِنْ أُمِّيَّةَ يَوْمَ حَنِينَ أَدْرَاعًا فَقَالَ : أَغْصَبَنَا يَامِّهُ ؟ فَقَالَ : « بَلْ عَارِيَةً مَضْمُونَةً » قَالَ :
فَضَاعَ بَعْضُهَا فَعَرَضَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَصْنُمُهَا لَهُ فَقَالَ : أَنَا الْيَوْمُ
يَارَسُولَ اللَّهِ فِي الْإِسْلَامِ أَرْغَبُ .

وَرَوَاهُ أَبُو دَاوُدُ وَالنَّسَائِيُّ مِنْ حَدِيثِ يَزِيدِ بْنِ هَارُونَ بِهِ .
وَأَخْرَجَهُ النَّسَائِيُّ مِنْ رِوَايَةِ إِسْرَائِيلَ ، عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ رَفِيعٍ ، عَنْ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ
عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ صَفْوَانَ بْنِ أُمِّيَّةَ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اسْتَعْنَارَ مِنْ صَفْوَانَ
دَرْوِعًا . فَذَكَرَهُ .

وَرَوَاهُ مِنْ حَدِيثِ هُشَيْمٍ ، عَنْ حَبَّاجَ ، عَنْ عَطَاءٍ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ اسْتَعْنَارَ مِنْ صَفْوَانَ أَدْرَاعًا وَأَفْرَاسًا . وَسَاقَ الْحَدِيثَ .

وَقَالَ أَبُو دَاوُدُ : حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ ، عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ
رَفِيعٍ ، عَنْ أَنَّاسٍ مِنْ آلِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ صَفْوَانَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :
« يَا صَفْوَانَ هَلْ عَنْدَكَ مِنْ سَلاَحٍ ؟ » قَالَ : عَارِيَةً أَمْ غَصَبَنَا ؟ قَالَ : « بَلْ عَارِيَةً » فَأَعْلَمَهُ
مَا بَيْنَ الثَّلَاثَيْنِ إِلَى الْأَرْبَعِينِ دَرْعًا ، وَغَزَّا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَنِينًا فَلَمَّا هُزِمَ
الْمُشْرِكُونَ جُمِعَتْ دَرَوْعَ صَفْوَانَ فَفَقَدَ مِنْهَا أَدْرَاعًا ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

لصفوان : « قد فقدنا من أدراءك أدراءً فهل نفرم لك ؟ » قال : لا يارسول الله إن في قلبي اليوم مالم يكن يومئذ . وهذا مرسل أيضاً .

قال ابن إسحاق : ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم معه ألفان من أهل مكة مع عشرة آلاف من أصحابه الذين خرجوا معه ففتح الله بهم مكة ، فكانوا اثني عشر ألفاً .

قلت : وعلى قول عروة والزهري وموسى بن عقبة يكون مجموع الجيوشين ^(١) الذين سار بهم إلى هوازن أربعة عشر ألفاً ، لأنه قدِّم باثنى عشر ألفاً إلى مكة على قوله ، وأضيف إليهم ألفان من الطلقاء .

وذكر ابن إسحاق أنه خرج من مكة في خامس شوال . قال : واستختلف على أهل مكة عَقَّاب بن أَسِيد بن أبي العيص بن أمية بن عبد شمس الأموي .

قلت : وكان عمره إذ ذاك قریباً من عشرين سنة .

قال : ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد لقاء هوازن .

ثم ذُكر قصيدة العباس بن مِرْدَاس السُّلْمَى [في ذلك منها قوله : ^(٢)]

أَبْلَغَ هَوَازِنَ أَعْلَاهَا وَأَسْفَلَهَا مَنِي رَسَالَةَ نُصْحِنُ فِيهِ تِبْيَانُ
إِنِّي أَظْنَنَ رَسُولَ اللَّهِ صَاحِبَكُمْ جِيشًا لَهُ فِي فَضَاءِ الْأَرْضِ أَرْكَانُ
فِيهِمْ سُلَيْمَانُ أَخُوكُمْ غَيْرَ تَارِكَكُمْ الْمُسْلِمُونَ عِبَادَ اللَّهِ غَسَانُ
وَفِي عَصَادَتِهِ الْيَمِنِيِّ بَنُو أَسَدٍ وَالْأَجْرَبَانِ بَنُو عَبْسٍ وَذِبْيَانُ
تَكَادَ تَرْجُفُ مِنْهُ الْأَرْضُ رَهْبَقَهُ وَفِي مَقْدَمَهُ أَوْسٌ وَعَمَانُ

(١) ت : الجيش الذي سار بهم .

(٢) سقط من ١ .

قال ابن إسحاق : أوس وعثمان قبيلاً مُزينة .

* * *

قال : وحدثني الزهرى ، عن سfan بن أبي سنان الدبّيلى ، عن أبي واقد الاليفى ، أن الحارث بن مالك قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حنين ونحن حديثنا عهد بالجاهلية .

قال : فسرنا معه إلى حنين ، قال : وكانت لـ كفار قريش ومن سواهم من العرب شجرة عظيمة خضراء يقال لها ذات أنواع ، يأتونها كل سنة فيملقون أسلحتهم عاً ، ويذبحون عندها ويمسكون عليها يوماً .

قال : فرأينا ونحن نسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سدرة خضراء عظيمة ، قال : فتناذينا من جنبات الطريق : يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواع كلهم ذات أنواع . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الله أكبر ! قلم والذى نفسى ^(١) بيده كما قال قوم موسى لموسى : اجعل لنا إلهاماً كلهم آلة » ، قال : إنكم قوم تجهلون . إنها السنن لا تركب سنن من كان قبلكم » .

وقد روى هذا الحديث الترمذى ، عن سعيد بن عبد الرحمن المخزومى عن سفيان ، والنسائى عن محمد بن رافع ، عن عبد الرزاق ، عن معمراً كلها عن الزهرى ، كارواه ابن إسحاق عنه ، وقال الترمذى : حسن صحيح . ورواه ابن أبي حاتم فى تفسيره ، من طريق كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف ، عن أبيه عن جده ، مرفوعاً .

وقال أبو داود : حدثنا أبو توبة ، حدثنا معاوية بن سلام ، عن زيد بن سلام ، أنه سمع أبا سلام عن السُّلُولى ، أنه حدثه سهل بن الحنظلية ، أنهم ساروا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين فأطّلبوا السير حتى كان العشية ، فحضرت صلاة الظهر عند رسول الله

(١) : والذى نفس محمد .

صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، نَجَاءَ رَجُلًا فَارِسًا قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي انطَقْتُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ حَتَّى
طَلَعَتْ جَبَلَ كَذَا وَكَذَا إِذَا أَنَا بِهِوَازِنَ عَنْ بَكْرَةِ أَبِيهِمْ بَطْعَنْهُمْ وَبَنَعْهُمْ وَشَاهِمْ
اجْتَمَعُوا إِلَى حَنِينَ .

فَبَيْسَمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ : « تَلَكَ غَنِيمَةُ الْمُسْلِمِينَ غَدًّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ »
نَمْ قَالَ : « مَنْ يَخْرُسْنَا لِلَّيْلَةِ ؟ » قَالَ أَنْسُ بْنُ أَبِي مَرْتَبَةَ : أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ . قَالَ :
فَأَرَكَبَ . فَرَكَبَ فَرْسًا لَهُ وَجَاءَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « اسْتَقْبِلْ هَذَا الشَّعْبَ حَتَّى تَكُونَ فِي أَعْلَاهُ وَلَا تُغْرِقْ مِنْ
قِبْلَكَ لِلَّيْلَةِ » .

فَلَمَّا أَصْبَحْنَا خَرْجَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى مَصَلَّاهُ فَرَكَمْ رَكْعَتَيْنِ نَمْ قَالَ :
« هَلْ أَحْسَنْتُمْ فَارْسَكُمْ ؟ » قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أَحْسَنْنَا . فَنَوْبَةَ^(١) بِالصَّلَاةِ ،
فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَصْلِي وَيَلْفَتُ إِلَى الشَّعْبِ حَتَّى إِذَا قَضَى صَلَاتَهُ قَالَ :
« أَبْشِرُوكُمْ فَارْسَكُمْ » فَجَعَلَ يَنْظُرُ إِلَى خَلَالِ الشَّجَرِ فِي الشَّعْبِ ، وَإِذَا هُوَ قَدْ
جَاءَ حَتَّى وَقَفَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : إِنِّي انطَقْتُ حَتَّى إِذَا كَنْتَ
فِي أَعْلَى هَذَا الشَّعْبِ حَيْثُ أَمْرَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَلَمَّا أَصْبَحْتُ طَلَعَتْ
الشَّبَابِيْنَ كَلِيْمَاهَا ، فَفَنَطَرْتُ فَلَمْ أَرْ أَحَدًا . قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « هَلْ
نَزَلتِ الْلَّيْلَةِ ؟ » قَالَ : لَا ، إِلَّا مَصَلَّيَا أَوْ قَاضِيَ حَاجَةً . قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
« قَدْ أَوجَبْتَ ، فَلَا عَلَيْكَ أَلَا تَعْمَلُ بَعْدَهَا ! » .

وَهَكَذَا رَوَاهُ النَّسَائِيُّ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَثِيرِ الْحَرَانِيِّ ، عَنْ أَبِي تَوْبَةَ
الرَّبِيعِ بْنِ نَافِعٍ بْنِهِ .

(١) نَوْبَةٌ : دُعَا إِلَى الصَّلَاةِ .

فصل في كيفية الوعة، وما كان في أول الأمر من الفرار

ثم كانت العاقبة للمتقين

قال يونس بن بكير وغيره عن محمد بن إسحاق : حدثني عاصم بن قتادة ، عن عبد الرحمن بن جابر بن عبد الله عن أبيه قال : نخرج مالك بن عوف بن معه إلى حنين فسبق رسول الله صلى الله عليه وسلم إليها ، فأعدوا وتهيئوا في مضائق الوادي وأخناثه . وأقبل رسول الله وأصحابه حتى اخْطَطُ بهم الوادي في عمَّاية الصبح ، فلما اخْطَطَ الناس ثارت في وجوم الخيل فشدَّت عليهم ، وانكفا الناس منهزمين لا يُقبل أحد على أحد .

وانحاز رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات المدين يقول : « أين أيها الناس ؟ هدوا إلى أنا رسول الله ، أنا رسول الله أنا محمد بن عبد الله » .

قال : فلا شيء ، وركبت الإبل بعضها بعضاً ، فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرَ الناس ومعه رهطٌ من أهل بيته : على بن أبي طالب ، وأبو سفيان بن الحارث ابن عبد المطلب ، وأخوه ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ، والفضل بن العباس . وقيل الفضل بن أبي سفيان ، وأيمن بن أم أيمن ، وأسامي بن زيد ، ومن الناس من يزيد فيهم ذمَّ بن العباس ، ورهط من المهاجرين منهم أبو بكر وعمر ، والعباس آخذٌ بِحَكْمَةٍ^(١) بقلته البيضاء وهو عليها قد شجرها^(٢) ، قال : ورجل من هوازن على جمل له أحمر يده راية سوداء في رأس رمح طوبل أمام هوازن وهو زن خلفه ، إذا أدرك طعن^(٣) برمحه وإذا فاته الناس رفع رمحه لمن وراءه فاتبعوه .

(١) الحكمة : ما أحاط بهنكي الفرس .

(٢) شجر الدابة : ضرب لجامها فيkehَا حتى فتحت فاهَا .

(٣) طفر برمحه .

قال : فيينا هو كذلك إذ هوَى له على بن أبي طالب ورجل من الأنصار يربادنه ،

قال : فيأتى علىٌّ مِنْ خلفه فضرب عُقوبَ الجمل فوقع على عَجزه ، ووثب الأنصارى على الرجل فضربه ضربة أطنَّ قدمَه بنصف ساقه فانجعفَ عن رحله .

قال : واجتاز الناس ، فوالله ما رجعت راجعة الناس من هزيمتهم حتى وجدوا الأسارى مكفيين عند رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ورواه الإمام أحمد عن يعقوب بن إبراهيم الزهرى ، عن أبيه ، عن محمد بن إسحاق .

* * *

قال ابن إسحاق : والتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أبي سفيان بن الحارث ابن عبد المطلب ، وكانت من صبر يومئذ وكان حسن الإسلام حين أسلم ، وهو آخذ بشقر^(١) بغلة^(٢) رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « من هذا؟ » قال ابن أمك يارسول الله .

قال ابن إسحاق : ولما انهزم الناس تكلم رجال من جفاة الأعراب بما في أنفسهم من الصُّنُون فقال أبو سفيان صخر بن حرب - يعني وكان إسلامه بعد مدخوله وكانت الأذالم بعد يومئذ - قال : لا تنتهي هزيمتهم دون البحر ! وصرخ^(٣) كلدة جبلة بن الحنبيل وهو مع أخيه صفوان بن أمية - يعني لأمه - وهو مشرك ، في المدة التي جعل له رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألا بطل السحر اليوم ؟ فقال له صفوان : اسكت فض الله فاك ، فوالله لأن يربني^(٤) رجل من قريش أحب إلى من أن يربني رجل من هوازن .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عفان بن مسلم ، حدثنا حماد بن سلمة ، أنبأنا إسحاق بن

(١) التفر : السيد في مؤخر السرج .

(٢) ت : وخرج جبلة بن الحنبيل كما في ابن هشام

(٤) يربني : على كني .

(١) : بغلته فقال .

عبد الله بن أبي طلحة ، عن أنس بن مالك ، أن هوازن جاءت يوم حنين بالنساء والصبيان والإبل والفتن ، فجعلوها صفوقة ، يكثرون على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما التقوا ولّ المسلدون مدبرين ، كما قال الله تعالى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا عباد الله أنا عبد الله ورسوله » ثم قال : « يامعشر الأنصار ، أنا عبد الله ورسوله ». .

قال : فهزم الله المشركين ولم يضر بسيف ولم يطعن برمح .

قال : وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ : « من قتل كافراً فله سلبته ». .

قال : فقتل أبو طلحة يومئذ عشرين رجلاً وأخذ أسلابهم .

وقال أبو قتادة : يارسول الله إني ضربت رجلاً على جبل العاتق وعليه درع له فأجهضت عنه فانظر من أخذها . قال : فقام رجل فقال : أنا أخذتها فأرضي منها وأعطيتها ، قال : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يسأل شيئاً إلا أعطاه أو سكت . فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال عمر : والله لا يُغيبها الله على أسدٍ من أسدِ الله^(١) ويعطيكها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « صدق عمر ». .

قال ولقي أبو طلحة أم سليم ومعها خنجر ، فقال أبو طلحة : ما هذا ؟ فقالت : إن دنا مني بعض المشركين أن أبعج في بطنه ، فقال أبو طلحة : أما تسمع ما تقول أم سليم ؟ فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت : يارسول الله أقتل من بعدي^(٢) من الطلقاء انهزموا بك ، فقال : « إن الله قد كفى وأحسن يام سليم ». .

وقد روى مسلم منه قصة خنجر أم سليم ، وأبو داود قوله : « من قتل قتيلاً فله سلبته » كلها من حديث حماد بن سلمة به .

وقول عمر في هذا مستغرب ، والمشهور أن ذلك أبو بكر الصديق .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث ، حدثنا أبي حدثنا نافع

(١) أسد . (٢) ت : من بعدها .

أبو غالب ، شهد أنس بن مالك فقال العلام بن زياد العدوى : يا أبا حمزة بسن أى الرجال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ بعث ؟ فقال : ابن أربعين سنة قال : ثم كان ماذا ؟ قال : ثم كان بمكة عشر سنين وبالمدينة عشر سنين فتمت له ستون سنة ، ثم قبضه الله إليه . قال : بسن أى الرجال هو يومئذ ؟ قال : كأشب الرجال وأحسنه وأجله وألهمه . قال : يا أبا حمزة وهل غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : نعم غزوت معه يوم حنين فخرج المشركون بكرة فحملوا علينا ، حتى رأينا خيلنا وراء ظهورنا وفي المشركين رجل يحمل علينا فيدققنا ويحطمها ، فلما رأى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل فهزهم الله فولوا ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رأى الفتح فعمل يجاه بهم أسرى رجالا فيبايعونه على الإسلام ، فقال رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم : إن على نذراً لئن جيء بالرجل الذي كان منذ اليوم يحطمها لأضرابه عنقه ، قال : فسكت النبي صلى الله عليه وسلم وحي بالرجل ، فلما رأى النبي صلى الله عليه وسلم قال : يابني الله تبت إلى الله . قال : وأمسكت النبي صلى الله عليه وسلم أن بياعه ليوف الآخر نذره ، قال : وجعل ينظر إلى النبي صلى الله عليه وسلم ليأمره بقتله ويهاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما رأى النبي صلى الله عليه وسلم أنه لا يصنف شيئاً بما يعده ، فقال : يابني الله نذري ؟ قال : « لم أمسك عنه منذ اليوم إلا لتوقي نذرك » فقال : يا رسول الله لا أؤمّت إلى ؟ قال : « إنه ليس لنبي أن يُؤمِّي ». تفرد به أحمد .

وقال أحمد : حدثنا يزيد ، حدثنا حميد الطويل ، عن أنس بن مالك ، قال : كان من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم يوم حنين : اللهم إناك إن شئت لا تعبد في الأرض بعد اليوم ». .

إسفاده ثلاثة على شرط الشيدين ، ولم يخرجه أحد من أصحاب الكتب من هذا الوجه .

وقال البخاري: حدثنا محمد بن بشّار ، حدثنا غُنْدَر ، حدثنا شعبة، عن أبي إسحاق سمع البراء بن عازب - وسأله رجل من قيس : أفرَزْتُم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين ؟ - فقال : لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفتر ، كانت هوازن رماة وإنما لما حملنا عليهم انكشفوا فاكتببنا على الغنائم فاستقبلتنا بالسيام . ولقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلته البيضاء وإن أبو سفيان آخذ بزمامها وهو يقول : أنا النبي لا كذب .

ورواه البخاري عن أبي الوليد عن شعبة به وقال :

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب

قال البخاري : وقال إسرائيل وزهير يعني عن أبي إسحاق ، عن البراء ، ثم نزل عن بغلته .

ورواه مسلم والنسائي عن بندار . زاد مسلم : وأبي موسى . كلاماً عن غُنْدَر به .
وروى مسلم من حديث زكريا بن أبي زائدة ، عن أبي إسحاق ، عن البراء قال :
ثم نزل فاستنصر وهو يقول :

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب

« اللهم ترْزُّلْ نصْرَك »

قال البراء : ولقد كنا إذا حمِيَ المَأْسُ نتَّقِي برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإن الشجاع الذي يُحاذِي به .

وروى البيهقي من طرق أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يومئذ : « أنا ابن العَوَاتِك ». [

وقال الطبراني : حدثنا عباس بن الفضل الأَسْفَاطِي ، حدثنا عمرو بن عوف الواسطي ، حدثنا هشيم ، أَنَّا نَحْنُ يحيى بن سعيد ، عن عمرو بن سعيد بن العاص ، عن شَبَّابَة ، عن

ابن عاصم السلمي ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ يَوْمَ حَنْدِينَ : « أَنَا ابْنُ
الْعَوَاتِكَ » [١]

وَقَالَ الْبَخَارِيُّ : حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُوسُفَ ، أَبْنَانَا مَالِكٌ ، عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ ، عَنْ
عُمَرٍو بْنِ كَثِيرٍ بْنِ أَفْلَحٍ ، عَنْ أَبِي مُحَمَّدٍ مَوْلَى أَبِي قَتَادَةَ ، عَنْ أَبِي قَتَادَةَ قَالَ : خَرَجْنَا مَعَ
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ حَنْدِينَ ، فَلَمَّا تَقْبَلْنَا كَانَتِ الْمُسْلِمِينَ جَوْلَةً ، فَرَأَيْتُ رَجُلًا
مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَدْ عَلَّارَجَلًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَضَرَبَتْهُ مِنْ وَرَائِهِ عَلَى حَبْلِ عَانِقَهِ بِالسَّيْفِ فَقُطِعَتْ
الْدَرْعُ وَأُقْبِلَ عَلَى فَضْمَنِي ضَمَّةً وَجَدْتُ مِنْهَا رِيحَ الْمَوْتِ ، ثُمَّ أَدْرَكَهُ الْمَوْتُ فَأَرْسَلْنَاهُ ،
فَلَحِقَتْهُ الْمَوْتُ ، فَقَالَتْ : مَا بَالُ النَّاسِ ؟ فَقَالَ : أَمْرُ اللَّهِ .

وَرَجُمُوا وَجَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : « مَنْ قُتِلَ قَتْلًا لِهِ عَلَيْهِ بِيَدِنَّهِ
فَلَهُ سَلَبَةٌ » فَقَمَتْ فَقَلَتْ : مَنْ يَشَهِدُ لِي ؟ ثُمَّ جَلَسَتْ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
مِثْلِهِ . فَقَلَتْ : مَنْ يَشَهِدُ لِي ؟ ثُمَّ جَلَسَتْ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِثْلِهِ . فَقَلَتْ :
مَنْ يَشَهِدُ لِي ؟ ثُمَّ جَلَسَتْ : ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِثْلِهِ . فَقَمَتْ فَقَالَ :
« مَالِكٌ يَا أبا قَتَادَة ؟ » فَأَخْبَرَتْهُ فَقَالَ رَجُلٌ : صَدَقَ ، سَلَبَهُ عِنْدِي فَأَرْضَيْهُ مِنِّيْ . فَقَالَ أَبُو
بَكْرٍ : لَا هَا اللَّهُ إِذَا تَعْمَدُ إِلَى أَسْدٍ مِنْ أَسْدِ اللَّهِ يَقْاتِلُ عَنِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَيُعَظِّمُكَ سَلَبَةً ؟
فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « صَدَقَ فَأَعْطَاهُ » . فَأَعْطَانِيهِ فَابْتَعَتْ بِهِ حِنْرَفًا [٢] فِي بَنِي
سَلَمَةَ فَإِنَّهُ لَأَوْلُ مَالِ تَأْثِيْتِهِ فِي الإِسْلَامِ .

وَرَوَاهُ بَقِيَةُ الْجَمَاعَةِ إِلَّا النَّسَائِيَّ ، مِنْ حَدِيثِ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ بِهِ .

قَالَ الْبَخَارِيُّ : وَقَالَ الْأَيْتَمِيُّ بْنُ سَعْدٍ : حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ ، عَنْ عُمَرٍو بْنِ كَثِيرٍ
ابْنِ أَفْلَحٍ ، عَنْ أَبِي مُحَمَّدٍ مَوْلَى أَبِي قَتَادَةَ ، أَنَّ أَبَا قَتَادَةَ قَالَ : لَمَا كَانَ يَوْمُ حَنْدِينَ نَظَرَتْ

(١) مِنْ تَ .

(٢) الْخِرْفُ : السَّكَرُ بَيْنَ صَفَيْنِ مِنَ النَّخْلِ .

إلى رجل من المسلمين يقاتل رجالاً من المشركين وآخر من المشركين يختله من ورائه ليقتله ، فأسرعت إلى الذي يختله فرفع يده ليضربني فأضرب يده فقطعها ، ثم أخذني فضمّنني ضمّاً شديداً حتى تخوفت ، ثم نزل^(١) فتحلل فدفعته ، ثم قتلته ، وأنهزم المسلمون فانهزمت معهم ، فإذا بعمر بن الخطاب في الناس فقلت له : ما شأن الناس ؟ قال : أمر الله !

ثم تراجع الناس إلى رسول الله فقال رسول الله : «من أقام بيته على قتيل فله سلبه» فقمت لألتمس بيته على قتيلي فلم أر أحداً يشهد لى بجلسست ، ثم بدا لي فذكرت أمره لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رجل من جلساي : سلاح هذا القتيل الذي يذكر عندى فأرضيه مني . فقال أبو بكر : كلاً لا يعطى أضبيع^(٢) من قريش ويدع أسدًا من أسد الله يقاتل عن الله ورسوله . قال : فقام رسول الله فأداه إلى فاشترىت به خرفاً ، فسكن أول مال تائلاً .

وقد رواه البخاري في مواضع أخرى ومسلم ، كلها عن قتيبة ، عن الليث ابن سعد به .

وقد تقدم من روایة نافع أبي غالب ، عن أنس ، أن القائل لذلك عمر بن الخطاب فلعله قاله متابعةً لأبي بكر الصديق ومساعدةً وموافقةً له ، أو قد اشتبه على الراوي . والله أعلم .

* * *

وقال الحافظ البهقي : أنبأنا الحاكم ، أنبأنا الأصم ، أنبأنا أحمد بن عبد الجبار ، عن يونس بن بُكير ، عن محمد بن إسحاق ، حدثني عاصم بن عمر عن عبد الرحمن بن جابر ، عن أبيه جابر بن عبد الله ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم حنين حين رأى

(١) ت : ترك . (٢) الأضبيع : تصغير أضبع ، وهو القصير الضبع ، ويكتفى به عن الصعيف .

وتروى : أصبيغ . وهو نوع من الطبور . القسطلاني ٤٠٧ / ٦ .

من الناس مرأى : « ياعباس نادِ : يامعشر الأنصار يا أصحاب الشجرة » فأجابوه : ليبيك ليبيك . فعل الرجل يذهب ليغطف بعيته فلا يقدر على ذلك فيقذف درعه عن عنقه ويأخذ سيفه وترسه ثم يَؤْمُ الصوت ، حتى اجتمع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم مائة ، فاستعرض الناس فاقتلوا ، وكانت الدعوة أول ما كانت للأنصار ، ثم جعلت آخرًا للاخزرج ، وكانوا صبراً عند الحرب ، وأشرف رسول الله صلى الله عليه وسلم في ركبته فنظر إلى مجتمل القوم فقال : « الآن حيَ الوطيس » .

قال : فوالله ما رأيْه الناس إلا والأسرى عند رسول الله صلى الله عليه وسلم مكتفون ، فقتل الله منهم من قتل ، وأنهزم منهم من انهزم ، وأفاء الله على رسوله صلى الله عليه وسلم أمواهم وأبناءهم .

وقال ابن هميمة ، عن أبي الأسود ، عن عروة . وذكر موسى بن عقبة في مقايمه عن الزهرى ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فتح الله عليه مكة وأقر بها عينه ، خرج إلى هوازن وخرج معه أهل مكة لم ينادر منهم أحداً ركباناً ومشاة ، حتى خرج النساء يمشين على غير دين نظاراً ينظرون ويرجعن الفنائم ، ولا يكرهون مع ذلك أن تكون الصدمة برسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه .

قالوا : وكان ^(١) معه أبو سفيان بن حرب وصفوان بن أمية ، وكانت أمراته مسلمة وهو مشرك لم يفرق بينهما .

قالوا : وكان رئيس الشركين يومئذ مالك بن عمّة النصرى ومعه دريد بن الصمة يرثش من السكير ، ومعه النساء والذرارى والنعم ، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن أبي حذرة عيناً ، فبات فيهم فسمع مالك بن عمّة النصرى يقول لأصحابه : إذا

(١) ت : وقالوا : كان .

أصبحتم فاحلو عليهم حملةً رجل واحد ، واكسروا أغادار سيفكم ، واجملوا مواشيكم
صفاً ونساءكم صفاً .

فلمَّا أصبحوا اعتزل أبو سفيان وصفوان وحكيم بن حزام وراغم ينظرون لمن
تكون الدائرة ، وصُفَّ الناس بعضهم البعض ، وركب رسول الله صلى الله عليه
وسلم بقلة له شهباء ، فاستقبل الصنوف فأمرهم وحدهم على القتال وبشّرهم بالفتح
— إن صبروا .

فيينا هم كذلك إذ حل المشركون على المسلمين حملةً رجل واحد ، فجال المسلمون
جولةً ثم ولوا مذربين ، فقال حارثة بن النعان : لقد حزرت من بقي مع رسول الله صلى
الله عليه وسلم حين أدرى الناس فقلت : مائة رجل .

قالوا : ومرَّ رجل من قريش بصفوان بن أمية فقال : أبشر بهزيمة محمد وأصحابه ، فوالله
لا يجيئونها أبداً . فقال له صفوان : تبشرني بظهور الأعراب ؟ فوالله لرب من قريش
أحب إلى من رب من الأعراب . وغضب صفوان لذلك .

قال عروة : وبعث صفوان غلاماً له فقال : اسمع لمن الشعار ؟ فجاءه فقال : سمعتهم
يقولون : يا بني عبد الرحمن يا بني عبدالله ، يا بني عبيد الله . فقال : ظهر محمد . وكان ذلك
شعارهم في الحرب .

قالوا : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما غشّيه القتال قام في الركابين وهو
على البغلة فرفع يديه إلى الله يدعوه ويقول : « اللهم إني أنشدك ما وعدتني ، اللهم لا ينبع
لهم أن يظهرروا علينا » ونادي أصحابه وزمرهم ^(١) : « يا أصحاب البيعة يوم الحديبية الله الله
السگررة على نبيكم » ويقال حرّ لهم فقال : « يا أنصار الله وأنصار رسوله ، يا بني الخزرج
يا أصحاب سورة البقرة » وأمر من أصحابه من ينادي بذلك .

(١) زمرهم : أغراهم بأعدائهم .

وقالوا : وقبض قبضةً من الحصبة خصب بها وجوه المشركين ونواصيهم كلها وقال : « شاهت الوجوه » .

وأقبل أصحابه إليه سراغاً يبتدرؤن ، وزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « الآن حمى الوطيس » فهزم الله أعداءه من كل ناحية حصبهم منها ، واتبعهم المسلمون يقتلونهم ، وغنمهم الله نسائهم وذرارتهم ، وفر مالك بن عوف حتى دخل حصن الطائف هو وأناس من أشراف قومه .

وأسلم عند ذلك الناس كثير من أهل مكة حين رأوا نصر الله رسوله صلى الله عليه وسلم وإعزازه دينه .

رواہ البیهقی .

وقال ابن وهب : أخبرني يونس ، عن الزهرى ، أخبرنى كثير بن العباس بن عبد المطلب ، قال : قال العباس : شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين فلما فازته أنا وأبو سفيان بن الحارث لا فوارقه . ورسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلة يypress أهداها له فروة بن نعفانة الجذامي ، فلما التقى الناس ولّى المسلمين مدربين ، فطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم يُرْكض بغلته قبل الكفار ، قال العباس : وأنا آخذ بلجامها أكفهم إرادة الاتساع ، وأبو سفيان آخذ بركاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أَيُّ عَبَاس ، نادِ أَحْصَابَ السَّمْرَةِ » قال : فوالله لـكـأـنـماـ عـطـقـهـمـ جـينـ سـمـعـواـ صـوـتـيـ عـطـفـةـ الـبـقـرـ عـلـىـ أـوـلـادـهـاـ ! فـقـالـوـاـ : يـاـ آـبـيـ كـاهـ يـاـ آـبـيـ كـاهـ !

قال : فاقتتلوا هـمـ وـالـكـفـارـ ، وـالـدـعـوـةـ فـيـ الـأـنـصـارـ يـقـولـونـ : يـاـ مـعـشـرـ الـأـنـصـارـ . ثـمـ قـصـرـتـ الدـعـوـةـ عـلـىـ بـنـ الـخـزـرـجـ فـقـالـوـاـ : يـاـ بـنـ الـخـارـثـ بـنـ الـخـزـرـجـ .

فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على بغلته كالمطاول عليها إلى قتالهم فقال : « هذا حين حَيِّ الْوَطِيسُ » ثم أخذ حَصَيات فرمى بها في وجوه الْكُفَّارِ ، ثم قال : « انهزموا وربّهم محمد » قال : فذهبت أَنْظَرَ فإذا القتال على هيئته فيما أرى ، قال : فوالله ما هو إلى أن رماهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بحصياته فما زلت أرى حَدَّهُمْ كليلاً ، وأمرَّمْ مُذْبِراً .

ورواه مسلم عن أبي الطاھر ، عن ابن وهب به نحوه . ورواه أيضاً عن محمد بن رافع ، عن عبد الرزاق ، عن مَعْمَرَ ، عن الزهرى نحوه .

وروى مسلم من حديث عكرمة بن عامر ، عن إياض بن سلمة بن الأكوع ، عن أبيه قال : غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حَنْينَا ، فلما واجهنا العدو تقدمت فأعلى ثنية فاستقبلني رجل من المشركين فأرميه بسهم ، وتوارى عن فما دريت ماصنع ، ثم نظرت إلى القوم فإذا هم قد طلعوا من ثنية أخرى ، فالتقواهم وصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم فولى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأرجع منهزاً وعلى بردنان متزراً بإحداها مُرْتَدِي بالآخرى ، قال : فاستطلق إزارى فجعهم جميعاً ، وسررت على النبي صلى الله عليه وسلم وأنا منهزم وهو على بغلته الشهباء ، فقال : « لقد رأى ابن الأكوع فَزَعَماً » .

فلما غشوا رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل عن البغلة ثم قبض قبضة من تراب من الأرض واستقبل به وجوههم وقال : « شاهت الوجوه » فما خلق الله منهم إنساناً إلا ملأ عينيه تراباً من تلك القبضة ، فولوا مُذْبِرين ، فهزهم الله وقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم غنائمهم بين المسلمين .

وقال أبو داود الطيالسي في مسنده : حدثنا حماد بن سلمة ، عن يعلي بن عطاء ، عن عبد الله بن بسَارَ ، عن أبي عبد الرحمن الفهرى قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في

حنين فسرنا في يوم قاينظ شديد الحر ، فنزلنا تحت ظلال السُّمَر ، فلما زالت الشمس ليست
لآمنتي وركبت فرسى ، فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فُسطاطه فقلت : السلام
عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته ، قد حان الرِّواح يا رسول الله ؟ قال : « أجل » ثم
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يابلال » فثارَ مِن تحت سُمْرَةَ كَانَ ظَلَّهُ ظَلَّ طَائِرَ ،
فقال : لبِيْكَ وسَدِيكَ وَأَنَا فَدَاوِكَ ! فقال : « أَسْرَجْ لِي فَرْسِيْ » فأتاه بدقتين من ليف
ليس فيما أَشَرَ ولا بَطَرَ .

قال : فركب فرسه فسرنا يومنا فلقينا العدو وتساءلتَ الخيلان فقاتلناهم فولى المسلمون
مُذْبِرِين كما قال الله تعالى ، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ياعباد الله أنا عبد
الله ورسوله » واقتصر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن فرسه ، وحدثني من كان أقربَ
إليه مني أنه أخذ حفنةً من التراب خلقَ بها وجوهَ العدو وقال : « شاهت الوجوه » .
قال يعلى بن عطاء : خدثنا أبناءُهم عن آباءِهم قالوا : ما بقى أحدٌ إلا امتلأَت عيناه
وفمه من التراب ، وسمعنا صلصلةً من السماء كمرّ الحديد على الطَّستِ الحديد ، فهزهم الله
عز وجل .

ورواه أبو داود السجستاني في سننه عن موسى بن إسماعيل ، عن حداد بن سلمة
به نحوه .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عفان ، حدثنا عبد الواحد بن زياد ، حدثنا الحارث بن
حسين ، حدثنا القاسم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود ، عن أبيه قال : قال عبد الله
ابن مسعود : كفت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين فولى عنه الناس وثبت معه
ثمانون رجلاً من المهاجرين والأنصار ، فنكصنا على أعقابنا نحواً من ثمانين قدمًا ولم نولهم
الدُّبُر ، وهم الذين أنزل الله عليهم السكينة ، قال : ورسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلته
يمضي قدماً ، خادت به بغلته فمال عن السرج فقلت له : ارفع رفعك الله . فقال : « ناولني

كُفَّاً من تراب» فضرب به وجوههم فامتلاطت أيديهم تراباً . قال : «أين المهاجرون والأنصار؟» قلت : مُأولاً . قال : «اعتف بهم» فهافت بهم فجاءوا سيفهم بأيديهم كأنها الشُّبُّ ، وولى المشركون أدبارهم .

تفرد به أحد .

وقال البهقي : أئبنا أبو عبد الله الحافظ ، أخبرني أبو الحسين محمد بن أحمد بن قيم القنطرى ، حدثنا أبو قلابة ، حدثنا أبو عاصم ، حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن الطائفى ، أخبرني عبد الله بن عياض بن الحارث الأنصارى ، عن أبيه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى هوازنَ في اثنى عشر ألفاً ، فقتل من أهل الطائف يوم حنين مثل من قُتل يوم بدر ، قال : وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم كُفَّاً من حصى فرمى بها في وجوهنا فانهزمنا .

ورواه البخارى في تاريخه ولم ينسب عياضاً .

وقال مُسْدَد : حدثنا جعفر بن سليمان ، حدثنا عوف بن عبد الرحمن مولى أم بُرْزَنَ ، عن من شهد حنيناً كافراً قال : لما التقينا نحن ورسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقوموا لنا حلبَ شاة ، فجئنا نهشَ سيفها بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا غشيناه فإذا بيننا وبينه رجال حسانُ الوجوه فقالوا : شاهت الوجوه فارجعوا . فهزَّ منا من ذلك الكلام .

رواه البهقي .

وقال يعقوب بن سفيان : حدثنا أبو سفيان ، حدثنا أبو سعيد عبد الرحمن بن إبراهيم ، حدثنا الوليد بن مسلم ، حدثني محمد بن عبد الله الشعبي ، عن الحارث بن بدل النَّصْرِي ، عن رجل من قومه شهد ذلك يوم حنين وعرو بن سفيان الثقفى قالاً : أهزم المسلمون يوم حنين فلم يبق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا عباسٌ وأبو سفيان بن الحارث .

قال : فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم قبضةً من الحصباء فرمى بها في وجوههم . قال : فانهزمنا فما خيل إلينا إلا أن كل حجر أو شجر فارس يطلبنا ، قال النقفي : فأعترت^(١) على فرقى حتى دخلت الطائف .

وروى يونس بن بكير في مغازييه ، عن يوسف بن صهيب بن عبد الله ، أنه لم يبق مع رسول الله يوم حنين إلا رجل واحد اسمه زيد .

وروى البهقي من طريق السكري ، حدثنا موسى بن مسعود ، حدثنا سعيد بن السائب بن يسار الطائفي ، عن السائب بن يسار ، عن يزيد بن عامر السوائي أنه قال عند اكشافها المسلمين يوم حنين : فتبعدهم الكفار وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم قبضة من الأرض ، ثم أقبل على المشركين فرمى بها وجوههم وقال : « ارجعوا شاهت الوجه » فـأحد يلق أخيه إلا وهو يشكوك قدّي في عينيه .

ثم روى من طريقين آخرين عن أبي حذيفة ، حدثنا سعيد بن السائب بن يسار الطائفي ، حدثني أبي السائب بن يسار ، سمعت يزيد بن عامر السوائي - وكان شهد حنيناً مع المشركين ثم أسلم بعد - قال : فنحن نسأله عن الرعب الذي ألقى الله في قلوب المشركين يوم حنين : كيف كان ؟ قال : فـكان يأخذ لنا بحصاة فيرمي بها في الطست فيطن ، قال : كـنـا نـجـدـ في أجـوـافـا مـثـلـ هـذـاـ .

وقال البهقي : أنينا أبو عبد الله الحافظ ومحمد بن موسى بن الفضل قالا : حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ، حدثنا العباس بن محمد بن بكير الحضرمي ، حدثنا أبو أيوب ابن جابر ، عن صدقة بن سعيد ، عن مصعب بن شيبة ، عن أبيه قال : خرجت مع

(١) أَعْتَرْتَ : أَسْرَعْتَ

رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين والله ما أخرجني إسلام ولا معرفة به ، ولكن أبيب أن تظهر هوازن على قريش ! فقلت وأنا واقف معه : يا رسول الله إني أرى خيلاً بُلْقاً ، فقال : « ياشيبة إنه لا يراها إلا كافر » فضرب يده في صدره ثم قال : « اللهم أهد شيبة » ثم ضربها الثانية فقال : « اللهم أهد شيبة » ثم ضربها الثالثة ثم قال : « اللهم أهد شيبة » . قال : فوالله ما رفع يده عن صدره حتى ما كان أحد من خلق الله أحب إلى منه .

ثم ذكر الحديث في التقاء الناس وأنهزام المسلمين ونداء العباس واستئصار رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى هزم الله المشركين .

وقال البيهقي : أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحَافِظِ ، حَدَّثَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ أَخْدُوكَرِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْمَزْنِيِّ ، حَدَّثَنَا يُوسُفُ بْنُ مُوسَى ، حَدَّثَنَا هَشَامُ بْنُ خَالِدٍ ، حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ ، حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمَبَارِكَ ، عَنْ أَبِي بَكْرِ الْمَذْلُوِّ ، عَنْ عَكْرَمَةَ مَوْلَى ابْنِ عَبَّاسٍ ، عَنْ شِيبَةَ بْنِ عَمَانٍ قَالَ : لَمَّا رأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ حَنِينَ قَدْ عَرَى ، ذَكَرْتُ أَبِي وَعِيَّا وَقُتِلَ عَلَى وَحْزَةِ إِيَّاهَا ، فَقَلَّتْ : الْيَوْمُ أَدْرَكَ ثَارِيَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .
قال : فَذَهَبْتُ لِأَجْيَئَهُ عَنْ يَمِينِهِ ، فَإِذَا بِالْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمَطَلَّبِ قَائِمًا عَلَيْهِ درعَ بِيضاءِ كَأْنَهَا فَضْةٌ يَكْشِفُ عَنْهَا الْمَعْجَاجَ ، فَقَلَّتْ : عَمَهُ وَلَنْ يَخْذُلَهُ . قَالَ : ثُمَّ جَتَّهُ عَنْ يَسَارِهِ فَإِذَا أَبْنَى سَفِيَّا بْنَ الْحَارِثَ بْنَ عَبْدِ الْمَطَلَّبِ ، فَقَلَّتْ : ابْنُ عَمِهِ وَلَنْ يَخْذُلَهُ . قَالَ : ثُمَّ جَتَّهُ مِنْ خَلْفِهِ فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَنْ أَسَّا وَرَهُ سَوْرَةَ بِالسَّيْفِ إِذْ رُفِعَ شُوَاظٌ مِنْ نَارٍ بَيْنِ يَمِينِهِ وَبَيْنِهِ كَأَنَّهُ بَرْقٌ ، نَفَّتْ أَنْ يَمْحَشْنِي ^(١) ، فَوَضَعْتُ يَدِي عَلَى بَصَرِي وَمَشَيْتُ الْقَمَقْرَى ، فَالْتَّفَتَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ : « يَا شَيْبَادْنُ مَنِ ، اللَّهُمَّ أَذْهَبْ عَنِّي

(١) يَمْحَشْنِي : يَحْرُقُنِي .

الشيطان » قال : فرفعت إِلَيْهِ بصرى وَلَهُو أَحَبُ إِلَيْهِ مِنْ سَمِعِي وَبَصِرِي . فقال : « يَا شَيْبَ قَاتِلِ الْكُفَّارِ ». .

وقال ابن إسحاق : وقال شيبة بن عثمان بن أبي طلحة أخو بنى عبد الدار قلت : اليوم أدرك ثأرى - وكان أبوه قد قُتِلَ يوم أحد - اليوم أُقْتَلَ مُحَمَّدٌ . قال : فأدرت برسول الله صلى الله عليه وسلم لأقتله فأقبل شىء حتى تفثنى فوادى فلم أطق ذاك وعلمت أنه من نوع منى .

وقال محمد بن إسحاق : وحدثني والدى إسحاق بن يسار ، عن حدثه ، عن جبير ابن مطعم قال : إنما لمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين والناس يقطقلون إذ نظرت إلى مثل البِجَادِ^(١) الأسود يهوى من السماء حتى وقع بيننا وبين القوم ، فإذا نعل^٢ مثبور قد ملا^٣ الوادي ، فلم يكن إلا هزيمة القوم ، فما كنا نشك أنها الملائكة .

ورواه البيهقي ، عن الحكم ، عن الأصم ، عن أحمد بن عبد الجبار ، عن يونس بن بُكير ، عن ابن إسحاق به .

وزاد فقال : خديج بن العرجاء^(٤) النصرى - يعني في ذلك - :

ولَمَادَبُونَا مِنْ حَنِينٍ وَمَا هُنَّ
رَأِيَّا سَوَاداً مُنْكَرَ اللَّوْنَ أَخْصَفَا^(٥)
بَمَلْمُومَةٍ شَهِداءٍ لَوْ قَذَفُوا بِهَا
شَمَارِيخَ مِنْ عَرْوَى إِذَا عَادَ صَفَصَفَا^(٦)
إِذَا مَالَقِينَا الصَّارِضَ اللَّتَكْشِفَا^(٧)
لَوْ أَنْ قَوْمِي طَاوَعْتَنِي سَرَاطَهُمْ
نَمَانِينَ أَنْفَا وَاسْتَقْدَمْتَ وَابْخَنَدَفَا^(٨)

(١) البِجَادُ : كَسَاءُ مِنْ صَوْفٍ .

(٢) ت : العوجاء .

(٣) الأَخْصَفُ : الَّذِي فِيهِ بِيَاضٌ (٤) الْمَلْمُومَةُ : السَّكِتَيْةُ . وَالْبَيْضَاءُ : السَّكِتَيْةُ السَّلَاحُ . وَالشَّمَارِيخُ : الأَعْلَى . وَفِي ابْنِ هَشَامٍ : شَمَارِيخُ مِنْ عَزْوَى .

وقد ذكر ابن إسحاق من شعر مالك بن عوف النصري رئيس هوازن يوم القتال
وهو في حومة الودا يرتجز ويقول :

مثلك على مثلث يَخْنُى وَيَكْرِزُ
إذا أضيع الصَّفَّ يوماً والدُّبُرُ
كتائب يَكْلُّ فيها البصر
حيث يُدْمِنُ المستكِنُ المنجر
لها من الجوف رشاش مُنْهَر
ونعلب العامل فيها منكسر
قد نفذ الضَّرُّسُ وقد طالَ العُمر
أني في أمْثَالِها غير غَمَرْ

ثُمَّ احْزَأْتَ زُسْرَ بَعْدَ زَمْرَ^(١)
قد أطْعَنَ الطعنة تَقْذِي بالسُّبُرُ^(٢)
وأطْعَنَ النَّجْلَاءَ تَعْوِي وَتَهَرَ^(٣)
تَفْهَقَ تاراتٍ وَحِينَا تَنْجَزَرَ
يازِيدُ يابنَ هَمْهَمٍ أينَ تَغْرِي^(٤)
قد عَلِمَ البيضُ الطُّويَّلاتُ الْمُهْرُ

وذكر البهيق من طريق يونس بن بكيه عن ابن إسحاق أنه أنسد من شعر مالك
أيضاً حين ولَّ أصحابه منهزمين وذلك قوله بعد ما أسلم وقيل هي لغيره :

اذْكُرْ مسِيرَهُمْ وَالنَّاسُ كَلِمُهُمْ
وَمَالِكُ فوقةَ الرَّاياتِ تَخْتَفِقُ
وَمَالِكُ مَا فَوْقَهُ أَحَدٌ
حتى لقوَ الْيَامَ حِينَ الْبَأْسَ يَقْدُمُهُمْ
فَضَارَ بِوَالنَّاسَ حَتَّى لمْ يَرُوا أَحَدًا
حتى تنزَّل جَبَرِيلُ بَنْصَرِهِمْ فَالْقَوْمُ مَنْهَمْ مِنَ وَمُمْقَلِقُ

(١) احْزَأْتَ : ارتفعت . والزُّسْرَ : الجماعات . (٢) تَقْذِي : تُقْذِي . والسُّبُرُ : جمع سبار ومُقتيل يسر به المجرح .

(٣) المنجر : المستتر . والنجلاء : الطعنة المتسعة . تعوي وتهر : ينزف منها الدم بصوت .

(٤) الشعلب : ما دخل من عصا الرمح في جبة السنان . والعامل : أعلى الرمح .

قال ابن إسحاق : ولما هزم المشركون وأمكّن الله رسوله منهم قال امرأة من المسلمين :

وقد وفي عمر الفاروق إذ هزموا بعثته كان منها يسرجه العلق

مناً لو غير جبريل يقاتلنا لمعتنا إذا أسيافنا الفلق

قال ابن هشام : وقد أنسدناه بعض أهل الرواية للشعر : قد غلبت خيل الله خيل اللات والله أحق بالسبات

قدْ عَلِمْتُ خَيْلَ اللَّهِ خَيْلَ الْإِلَٰٰتِ وَخَيْلُهُ أَحَقُّ بِالثِّبَاتِ

قال ابن إسحاق : فلما انهزمت هوازن استحرر القتل من ثقيف في بنى مالك ،
فقتل منهم سبعون رجلا تحت رايتهم ، وكانت مع ذى الحمار ، فلما قُتل أخذها عمان
ابن عبد الله بن ربيعة بن الحارث بن حبيب فقاتل بها حتى قُتل ، فأخبرنى عامر بن
وهب بن الأسود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بلغه قتله قال : «أبعد الله فإنه كان
يُبغض قريشا » .

وذكر ابن إسحاق عن يعقوب بن عقبة ، أنه قتل مع عثمان هذا غلام له نصراً ،
خاء رجل من الأنصار ليسلمه فإذا هو أغزل ، فصاح بأعلى صوته : يامعشر العرب إن
شقيناً غرْل !

قال للمغيرة بن شعبة الثَّقْفِ : فَأَخْذَتُ بِيدهِ وَخَشِيتُ أَنْ تَذَهَّبَ عَنِّا فِي الْعَرَبِ ، فَقَلَّتْ لَا تَقْلِ كَذَلِكَ فَدَاكَ أَبِي وَأُمِّي ، إِنَّمَا هُوَ غَلَامٌ لِنَانْصَارِي . نَمْ جَعَلْتُ أَكْشَفَ لِهِ الْقَتْلِ فَأَقُولُ لَهُ : أَلَا تَرَاهُ مُخْتَنِفِينَ كَمَا تَرَى ؟

قال ابن إسحاق : وكانت راية الأحلاف مع قارب بن الأسود ، فلما انهزم الناس أسفد رايتها إلى شجرة وهرب هو وبنو عمه وقومه ، فلم يُقتل من الأحلاف غير رجلين : رجل من بني غيرة يقال له وهب ، ورجل من كعبَة يقال له الجلاح ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم

وسلم حين بلغه قتل الجلّاح : « قُتِلَ الْيَوْمُ سَيِّدُ شَبَابِ ثَقِيفٍ إِلَّا مَا كَانَ مِنْ أَبْنَى هُنَيْدَةَ »
يعنى الحارث بن أوس .

قال ابن إسحاق : فقال العباس بن مزادس بذكر قارب بن الأسود وفراوه من بني
أبيه وذا الحمار وحبسه نفسه وقومه للموت :

الَا مَنْ مَبْلَغٌ غَيْلَانَ عَنِ
وَسْوَفٍ إِخَالٍ يَأْتِيهِ الْحَبِيرُ
وَعُرْوَةَ إِنَّمَا أَهْدَى جَوَابًا
بَأْنَ مُحَمَّدًا عَبْدًا رَسُولَ
وَجَدَنَاهُ نَبِيًّا مَثَلَ مُوسَى
وَبَئْسَ الْأَمْرُ أَمْرُ بْنِ قَسَى
أَضَاعُوا أَمْرَهُمْ وَلَكُلَّ قَوْمٍ
فَجَهَنَّمَ أَسْدَ غَابَاتِ إِلَيْهِمْ
نَوْمُ الْجَمْعِ جَمْعُ بَنِي قَسَى
وَأَقْسَمَ لَوْهُمْ مَكْثُوا لَسْرَنَا
فَكَنَا أَسْدَ لِيَةَ تَمَّ حَتِّي
وَيَوْمٌ كَانَ قَبْلُ الدَّيْ حَنِينٌ
مِنَ الْأَيَّامِ لَمْ تَسْمَعْ كَيْوَمٌ
قُتِلَنَا فِي الْفُبَارِ بَنِي حُطَيْطٍ
وَلَمْ يَكُنْ ذُو الْحَمَارِ ثَيْسَ قَوْمٌ
أَفَامَ بَهْمٌ عَلَى سَنَنِ الْمَنَابِيَا

(١) يُخَابِرُهُ : يُزَعِّمُ أَنَّهُ خَيْرٌ مِنْهُ . وَخَيْرٌ : مَفْلُوبٌ فِي مُخَايِرِهِ .

(٢) لِيَةٌ : مَوْضِعٌ قَرِيبٌ مِنَ الطَّائِفَ . وَالنَّصُورُ : رَهْطٌ مَالِكٌ بْنُ عَوْفٍ النَّصُورِيِّ .

(٣) زُورٌ : جَمْعُ أَزُورٍ وَهُوَ الْمَالِلَ .

فأفلتَ من نجا منهم حَرِيضاً
وقُتُلَّ مِنْهُمْ بَشَرٌ كثِيرٌ^(١)
ولا يُنْهِي الْأَمْرُ أَخْوَالُ تَوَانِي
وَلَا الْفَقِيقُ الصَّرِيرَةُ الْمَحْصُورُ^(٢)
أَمْرَهُمْ وَهَانَ وَمَلَكُوهُ
أَهِينُهَا الْفَصَافُصُ وَالشَّعِيرُ^(٣)
تَقْسَمَتِ الْمَزَارِعُ وَالْقَصُورُ
عَلَى يُمِينِ أَشَارَ بِهِ الْمُشَيرُ
أَطَاعُوا قَارِبًا وَلَمْ جَدُودًا
فَإِنْ يُهْدَ إِلَى إِلَيْهِمْ يُنْقَوِّا
أَنُوفَ النَّاسِ مَاسَّهُ السَّمِيرُ
بِحَرْبِ اللَّهِ لِيُسْلِمُهُمْ نَصِيرُ
بِرْهَطِ بْنِ غَزِيرَةِ عَنْقَفَيْرُ^(٤)
كَانُ بَنِي مَعَاوِيَةَ بْنَ بَكْرٍ
إِلَى إِلَيْهِمْ ضَائِفَةً تَخُوَّرُ
فَقَلَّمَا أَسْلَمُوا إِنَّا أَخْوَكُمْ
كَانَ الْقَوْمُ إِذْ جَاءُوكُمْ عُورُ^(٥)

فصل

ولما انهزمت هوازن وقف ملوكهم مالك بن عوف النضرى على ثنية مع طائفه من أصحابه فقال : قفوا حتى تجوز ضمائركم وتلحق أخراكم .

قال ابن إسحاق : فبلغنى أن خيلا طلعت وما لك وأصحابه على الثنية فقال لأصحابه : ماذا ترون ؟ قالوا : نرى قوماً واضعاً رماهم بين آذان خيلهم طوبية بوادهم^(٥) . فقال :

(١) الحريض : المشرف على الملاك .

(٢) الفقير : القليل الحيلة .

(٣) الفصافص : جمع فصصه وهي البقلة التي تأكلها الدواب .

(٤) العنقيف : الدهنية .

(٥) البواد : جمع باد وهو بطن الفخذ .

هؤلاء بنو سليم ولا بأس عليكم منهم . فلما أقبلوا سَكَوا بطنَ الوادي ، ثم طامت خيلٌ أخرى تبعها ، فقال لأصحابه : مَاذا ترون ؟ قالوا : نرى قوماً عارضاً رماحهم أغفالاً على خيالهم . فقال : هؤلاء الأوس والخزرج ، ولا بأس عليكم منهم . فلما انتهوا إلى أصل الشَّنِيَّة سَكَوا طريق بني سليم ، ثم طمع فارس فقال لأصحابه : مَاذا ترون ؟ قالوا : نرى فارساً طوبل الباد واصعاً رمحه على عنقه عاصباً رأسه بملاءة حمراء . قال : هذا الزبير ابن العوام ، وأقسم باللات لِيَخَالُ الطَّنِيمَ فاثبتوه . فلما اتَّهَى الزبير إلى أصل الشَّنِيَّة أبصر القوم فصعد لهم فلم يزل يطاعنهم حتى أراهم عنها .

فصل

وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالفنائِم فجُمِعَت من الإبل والغنم والرقق ، وأمر أن تساق إلى الجُمْرانة فتُحبس هناك .

قال ابن إسحاق : وجمل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الفنائِم مسعود بن عمرو الفقاري .

فصل

قال ابن إسحاق : وحدثني بعض أصحابنا ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر يومئذ بأمرأة قتلها خالد بن الوليد والناس متقصّفون^(١) عليها ، فقال لبعض أصحابه « أدركك خالداً فقل له : إن رسول الله - صلى الله عليه - وسلم - ينهاك أن تقتل وليدياً أو امرأة أو عَسِيفاً ». هكذا رواه ابن إسحاق مدققاً .

(١) متقصفون : مجتمعون .

وقد قال الإمام أحمد : حدثنا أبو عاصي عبد الملك بن عمرو ، حدثنا المغيرة بن عبد الرحمن ، عن أبي الزناد ، حدثني المرقع بن صيفي ، عن جده رباح بن ربيع أخي بني حنظلة الكاتب ، أنه أخبره أنه رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة غزّاها وعلى مقدمة خالد بن الوليد ، فمرر رباح وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على امرأة مقتولة مما أصابت المقدمة ، فوقفوا ينظرون إليها ويتعجبون من خلقها ، حتى لحقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على راحلته ، فانفروا عنها ، فوقف عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « ما كانت هذه لتقاتل ! » فقال لأحدم : « الحق خالداً فقل له : « لا يقتلك ذرية ولا عَسِيفاً » .

وكذلك رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه من حديث المرقع بن صيفي به نحوه .

غزوة أوطاس

وكان سببها أن هوازن لما انهزمت ذهبت فرقة منهم فيهم الرئيس مالك بن عوف النصري فلجأوا إلى الطائف فتحصنوا بها ، وسارت فرقه فمسكروا بمكان يقال له أوطاس ، فبعث إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية من أصحابه عليهم أبو عامر الأشعري فقاتلوهم قلبوبهم ، ثم سار رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه السكريمة خاصراً أهل الطائف . كما سيأتي .

قال ابن إسحاق : ولما انهزم المشركون يوم حذين أتوا الطائف ومعهم مالك بن عوف ، وعسكر بعضهم بأوطاس ، وتوجه بعضهم نحو نخلة ، ولم يكن فيمن توجه نحو نخلة إلا بني غيرة من ثقيف ، وتبعدت خيل رسول الله صلى الله عليه وسلم من سلك النخلة .

قال : فأدرك ربيعة بن رفيع بن أهان السلمي ويعرف بابن الدَّغْنة - وهي أمه - دريدَ ابن الصّمة فأخذ بخطام جله وهو يظن أنه أمرأة وذلك أنه في شِجَار لهم ، فإذا برجل ، فأناخ به فإذا شيخ كبير وإذا دريد بن الصّمة ولا يعرفه الفلام ، فقال له دريد : ماذا تريد بي ؟ قال : أقتلتك . قال : ومن أنت ؟ قال : أنا ربيعة بن رفيع السلمي . ثم ضرب به بسيفه فلم يُفن شيناً ، قال : بئس ماسَّحتك أملك ! خذ سيف هذا من مؤخر راحلي في الشَّجار ، ثم اضرب به وارفع عن المظام واحفص عن الدّماغ فإني كذلك كنت أضرب الرجال ثم إذا أتيتَ أملك فأخبرها أنت قلت دريدَ بن الصّمة فربَّ والله يوم منعتُ فيه نساءك ! فزعم بنو سليم أن ربيعة قال : لما ضربته فوق تكشف فإذا عجانه^(١) وبطون فخذيه مثل القراطيس من ركوب الخيل إعراه .

(١) العجان : ما بين الحصبة والدبر .

فَلَمَّا رَجَعَ رِبِيعَةُ إِلَى أَمَّهُ أَخْبَرَهَا بِقَتْلِهِ إِيَاهُ فَقَالَتْ : أَمَّا وَاللَّهُ لَقَدْ أَعْنَقَ أُمَّهَاتَ
اللَّكْ ثَلَاثًا .

نَمْ ذَكْرُ ابْنِ إِسْحَاقَ مَارِثَةَ بِهِ عَمْرَةَ بْنَ دُرَيْدَ أَبَاهَا فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهَا :

قَالُوا قَتَلْنَا دُرَيْدًا قَلْتَ قَدْ صَدَقُوا فَظَلَّ دَمُهُ عَلَى السُّرُّبَالِ يَنْحَدِرُ^(١)

لَوْلَا الَّذِي قَفَرَ الْأَقْوَامَ كُلَّهُمْ رَأَتْ سُلَيْمَ وَكَبَّ كَيْفَ يَأْتِمُ^(٢)

إِذْنَ الصَّبَحِهِمْ غَيْرًا وَظَاهِرَةً حِيثَ اسْتَقَرَتْ نَوَاهِمْ جَحْفَلَ دَفَرُ^(٣)

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَبَعْثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي آثَارِ مِنْ تَوْجِهِ قَبْلِ
أَوْطَاسِ أَبَا عَامِرَ الْأَشْعَرِيِّ ، فَأَدْرَكَهُ مِنَ النَّاسِ بَعْضَهُ مِنْ اهْزَمَ فَنَاسُوا شَوَهَ القَتَالِ فَرَمَى أَبُو
عَامِرَ فَقُتُلَ ، فَأَخْذَ الرَّايةَ أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ وَهُوَ ابْنُ عَمِّهِ فَقَاتَلُوهُ فَفَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَهَزَمُوهُمْ
اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ، وَيَزْعُمُونَ أَنَّ سَلَمَةَ بْنَ دُرَيْدَهُ الَّذِي رَمَى أَبَا عَامِرَ الْأَشْعَرِيَّ بِسَهْمٍ فَأَصَابَ
رَكْبَتَهُ فَقُتُلَهُ وَقَالَ :

إِنْ تَسْأَلُوا عَنِّي فَإِنِّي سَمَّهُ ابْنُ سَمَادِيرَ لَمْ تُوْسِهِ^(٤)

أَضَرَّ بِهِ السَّيْفُ رَمَوسَ السَّلَمِيِّ

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَحَدَّثَنِي مِنْ أَنْقَبِهِ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ بِالشِّعْرِ وَحَدَّثَنِيهِ أَنَّ أَبَا عَامِرَ
الْأَشْعَرِيَّ لَقِيَ يَوْمَ أَوْطَاسِ عَشْرَةَ إِخْرَوَةَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ، خَمْلَ عَلَيْهِ أَدْهَمَ خَمْلَ عَلَيْهِ أَبُو
عَامِرَ وَهُوَ يَدْعُو إِلَى الإِسْلَامِ وَيَقُولُ : اللَّهُمَّ اشْهِدْ عَلَيْهِ . فَقُتُلَهُ أَبُو عَامِرَ .

نَمْ حَمَلَ عَلَيْهِ آخِرَ خَمْلِ عَلَيْهِ أَبُو عَامِرَ وَهُوَ يَدْعُو إِلَى الإِسْلَامِ وَيَقُولُ : اللَّهُمَّ اشْهِدْ
عَلَيْهِ . فَقُتُلَهُ أَبُو عَامِرَ ، نَمْ جَعَلُوا يَحْمِلُونَ عَلَيْهِ وَهُوَ يَقُولُ ذَلِكَ حَتَّى قُتِلَ تَسْعَةَ وَبَقِيَ الْعَاشِرُ ،

(١) السُّرُّبَالُ : الْقَمِيسُ .

(٢) غَيْرًا : يَوْمًا بَعْدَ يَوْمَ . وَظَاهِرَةً : أَنْ يَصْبِحُهُمْ كُلُّ يَوْمٍ . وَالْجَحْفَلُ : الْجَيْشُ الْكَثِيفُ . وَالْدَّافِرُ :
الْمُتَغَيِّرُ الرَّاغِبُهُ مِنْ صَدَأِ الْحَدِيدِ .

(٣) السَّمَادِيرُ : ضَعْفُ الْبَصَرِ أَوْ شَيْءٌ يَتَرَاءَعُ لِلْإِنْسَانِ مِنْ ضَعْفِ بَصَرِهِ .

فُحِلَّ عَلَى أَبِي عَامِرْ وَحْلَ عَلَيْهِ أَبُو عَامِرْ وَهُوَ يَدْعُوهُ إِلَى الْإِسْلَامِ وَيَقُولُ : اللَّهُمَّ اشْهِدْ عَلَيْهِ . فَقَالَ الرَّجُلُ : إِلَاهُمْ لَا تَشْهِدْ عَلَيْهِ . فَكَفَّ عَنْهُ أَبُو عَامِرْ فَأَفْلَتْ فَأَسْلَمَ بَعْدَ خَسْنَ إِسْلَامَهُ ، فَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا رَأَهُ قَالَ : « هَذَا شَرِيدُ أَبِي عَامِرْ » .

قَالَ : وَرَمَى أَبَا عَامِرْ أَخْوَانَهُ : الْعَلَاءَ وَأَوْفَى ابْنَاهُ الْحَارِثَ مِنْ بَنِي جُعْشَمَ بْنِ مَعَاوِيَةَ ، فَأَصَابَ أَحَدُهُمَا قُلْبَهُ وَالْآخَرُ رَكْبَتَهُ فَقُتِلَاهُ ، وَوَلَى النَّاسَ أَبُو مُوسَى فَحُمِلَ عَلَيْهِمَا فَقْتَلَاهُمَا ، فَقَالَ رَجُلٌ مِّنْ بَنِي جُعْشَمَ [بْنِ مَعَاوِيَةَ] ^(١) يَرْثِيهِمَا :

إِنَّ الرَّزِيْةَ قَتَلَ الْعَلَاءَ وَأَوْفَى جَمِيعًا وَلَمْ يُسْنَدَا
هَا الْقَاتِلَانِ أَبَا عَامِرَ وَقَدْ كَانَ دَاهِيَّةً أَرْبَدَا ^(٢)
هَا تَرَكَاهُ لَدَى مَعْرِكَةِ كَانَ عَلَى عِطْفَهُ نُجْسَدَا ^(٣)
فَلَمْ يَرَ فِي النَّاسِ مِثْلَهُمَا أَقْلَعِشَارَاً وَأَرْمَى بَدَا

وَقَالَ الْبَخَارِيُّ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلَاءَ ، وَحَدَّثَنَا أَبُو أَسَمَّةَ ، عَنْ بُرَيْدَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، عَنْ أَبِي بُرْدَةَ ، عَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ : لَمَا فَرَغَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ حَنْينَ بَعْثَ أَبَا عَامِرَ عَلَى جَيْشِ إِلَى أَوْطَاسِ فَاقِي دُرْيَدَ بْنِ الصَّمَّةِ فُقْتَلَ دُرْيَدُ وَهُزِمَ اللَّهُ أَصْحَابُهُ .

قَالَ أَبُو مُوسَى : وَبَعْثَنِي مَعَ أَبِي عَامِرْ ، فَرَمَى أَبُو عَامِرَ فِي رَكْبَتِهِ ، رَمَاهُ جُشْمِي بِسَهْمٍ فَأَثْبَتَهُ فِي رَكْبَتِهِ . قَالَ : فَأَنْهَيْتَ إِلَيْهِ فَقِلْتَ : يَا عَمَّ مِنْ رَمَاكَ ؟ فَأَشَارَ إِلَى أَبِي مُوسَى قَالَ : ذَلِكَ قَاتِلُ الذِّي رَمَانِي . فَقَصَدَتْ لَهُ فَلْحَقَتْهُ ، فَلَمَّا رَأَنِي وَلَّ فَاتَّبَعْتَهُ وَجَعَلْتَ أَقْوَلَ لَهُ : أَلَا تَسْتَحِي أَلَا تَثْبِتْ ؟ فَكَفَّ فَأَخْلَقْنَا ضَرَبَتِنَا بِالسَّيْفِ فَقُتِلَاهُ ، ثُمَّ قَلَتْ لِأَبِي عَامِرَ : قَتَلَ اللَّهُ صَاحِبَكَ ، قَالَ : فَأَنْزَعْتُهُ هَذَا السَّهْمَ . فَنَزَعَهُ فَنَزَّاً مِنْهُ الْمَاءَ . قَالَ : يَا بْنَ أَخِي أَفْرِيَ

(١) مِنْ أَبْنَاءِ هَشَامَ .

(٢) الْأَرْبَدُ : الْأَسْدُ أَوْ الْحَيَّةُ الْبَيْتِيَّةُ .

رسول الله صلى الله عليه وسلم السلام وقل له : استغفر لي .

واستخلفني أبو عامر على الناس ، فكث يسيراً ثم مات . فرجعت فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيته على سرير مُزَمَّل وعليه فراش قد أثَرَ رمال السرير بظهره وجنبيه ، فأخبرته بخبرنا وخبر أبي عامر قوله : قل له : استغفر لي . قال : فدعا بهاء قتوضاً ثم رفع يديه فقال : « اللهم اغفر لعبدك أبي عامر » ورأيت بياضاً إبطيه ثم قال : « اللهم اجمعه يوم القيمة فوق كثير من خلقك - أو من الناس » فقلت : ولِي فاستغفر . فقال : « اللهم اغفر لعبد الله بن قيس ذنبه وأدخله يوم القيمة مُدخلًا كريماً » .

قال أبو برد : إحداها لأبي عامر والأخرى لأبي موسى رضي الله عنهم .

ورواه مسلم عن أبي كُرَيْبٍ مُحَمَّدٍ بْنِ الْعَلَاءِ ، وعَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَرَادَ ، عَنْ أَبِي أَسَمَّةَ بْنِ حَمْزَةَ .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق ، أئبنا سفيان - هو الثوري - عن عثمان البَتَّى ، عن أبي الخليل ، عن أبي سعيد الخدري ، قال : أصبتنا نساء من سبئي أو طاس ولهن أزواج ، فكرهنا أن نقع عليهن ولهن أزواج ، فسألنا النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية : « والمحصنات من النساء إلا مامَلَكت أيمانُكم » قال : فاستحللنا بها فروجهن .

وهكذا رواه الترمذى والنسائى من حديث عثمان البَتَّى به . وأخرجه مسلم فى صحيحه من حديث شعبة ، عن قتادة عن أبي الخليل ، عن أبي سعيد الخدري . وقد رواه الإمام أحمد وابوداؤد والنسائى من حديث سعيد بن أبي عروبة ، زاد مسلم وشعبة والترمذى من حديث همام عن يحيى ، ثلاثتهم عن قتادة ، عن أبي الخليل ، عن أبي علقة الماشمى عن أبي سعيد ، أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أصابوا سباياً يوم أوطاس لهن

أزواج من أهل الشرك ، فكان أناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كفوا ونأموا من غشيانهن ، فنزلت هذه الآية في ذلك : « والمحصناتُ من النساء إِلَّا مامَلَكتْ أيمانُكُمْ ». .

وهذا لفظ أحمد بن حنبل . فزاد في هذا الإسناد أبا علقمة الماشي ، وهو ثقة وكان هذا هو المحفوظ والله أعلم .

وقد استدل جماعة من السلف بهذه الآية الكريمة على أن يَبْيَعَ الْأَمَةَ طلاقُهَا . روى ذلك عن ابن مسعود وأبي بن كعب وجابر بن عبد الله وابن عباس وسعيد بن المسيب والحسن البصري .

وخالفهم الجمهور مستدلين بحديث بُرَيْرة حيث يبعث ثم خيرٌ في فسخ نكاحها أو إبقاءه ، فلو كان يَبْيَعُها طلاقاً لها لما خيرٌ .

وقد تقصينا الكلام على ذلك في التفسير بما فيه كفاية . وسنذكره إن شاء الله في الأحكام الكبير .

وقد استدل جماعة من السلف على إباحة الأمة المشركة بهذا الحديث في سبايا أو طاس . وخالفهم الجمهور وقالوا : هذه قضية عَيْنٍ ، فلعلهن أسلمن أو كن كتابيات . وموضع تقرير ذلك في الأحكام الكبير إن شاء الله تعالى .

فصل فيمن استشهد يوم حنين وبسرية أو طاس

أيمان ابن أم أيمن مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أيمن بن عبيد ، وزيد بن زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد ، بَحَجَّ به فرسه الذي يقال له الجناح فات ، وسراقة ابن مالك بن الحارث بن عدى الأنصارى من بني العجلان ، وأبو عامر الأشعري أمير سرية أو طاس ، فهؤلاء أربعة رضى الله عنهم .

فصل فيما قيل من الأشعار في غزوة هوازن

فَنَذَلِكَ قَوْلُ بُجَيْرِ بْنِ زَهِيرِ بْنِ أَبِي سَلْمَى :

لولا إلهٌ وعبدٌ له ولِيَّمْ
 حين استخفَ الرعبُ كلَ جهانٍ
 بالجزع يوم حيالنا أفرانَا
 وسواحْج يَكْبُون للأذقانِ
 من يَتَّسِع ثوبه في كفه
 ومُقْطَر بسَنابِكِ ولَبَانٍ^(١)
 والله أَكْرَمنَا وأَظْهَرَ ديننا
 وأَعْزَّنَا بعِبَادَةِ الرَّحْمَنِ
 والله أَهْلَكَهُمْ وفَرَقَ جَمِيعَهُمْ
 وأَذْلَمَ بعيادة الشيطانِ
 قال ابن هشام : وبروى فيها بعض الرواية :

إذ قام عمٌ نبيكم ووليُه
أين الذين هُم أجابو رَهْم
يَدْعُون يَا سَكِتِيَّةِ الإِيمَانِ
وَقَالْ عَبَّاسُ بْنُ مَرْدَاسِ السَّلْمِيْ :

فإلى والسبعين يوم جمع
لقد أحببت ما لقيت نقيف
هم رأس العدو من أهل نجد
هزمنا الجمّ جم بني قسي
وصرنا من هلال غادرتهم
ولو لا قين جم بني كلاب
كضنا الخيل فيهم بين بس

(١) المقطر : الملقى على أحد قطريه ، أي أحد جانبيه . والستابك : أطراف المواتير . واللسان : الصدر .

(٢) البرك : الصدر . وحكت بركها : كناية عن شدة الحرب .

(٣) النقم : الغبار . والــكــانــي : المرتفــعــمــ .

(٤) بس : جبل قرب ذات عرق . والأورال : أجبَل ثلاثة سود في جوف الرمل وتنحط : تخرج صوتها من الثقل والإعياء والنهاب : الفنان

بَذِي لَجْبٍ رَسُولُ اللَّهِ فِيهِمْ كِتْبَتُهُ تَعَرَّضُ لِلضَّرَابِ

وَقَالَ عَبَّاسُ بْنُ مَرْدَاسٍ أَيْضًا :

يَا خَاتَمُ الْبَلَاءِ إِنَّكَ مُرْسَلٌ
إِنَّ إِلَاهَ بَنِي عَلَيْكَ مُحْبَّةٌ
ثُمَّ الَّذِينَ وَفَوْا بِمَا عَاهَدُوهُمْ
رَجُلًا بِهِ ذَرَبُ السَّلَاحِ كَانَهُ
يَغْشِي ذُو النَّسْبِ الْقَرِيبَ وَإِنَّمَا
أُنْبَئْتُكَ أَنِّي قَدْ رَأَيْتُ مَكْرَهَ
طَوْرًا يَعْرِفُ بِالْيَدِينِ وَتَارَةً
[يَغْشِي بِهِ هَامَ السَّكَّةَ وَلَوْ تَرِى
وَبْنُو سَلَيمَ مُعْنِقَوْنَ أَمَامَهُ
يَمْشُونَ تَحْتَ لَوَائِهِ وَكَانُوكُمْ
مَا يَرَّتُجُونَ مِنَ الْقَرِيبِ قَرَابَةً
هَذِي مَشَاهِدُنَا الَّتِي كَانَتْ لَنَا

(١) لما تَكَنَّفَهُ الْعُدُوُّ يَرَاكَ
(٢) مِنَ الَّذِي عَانِتْ كَانَ شِفَاعَكَ
(٣) ضَرِبَا وَطَعْنَا فِي الْعُدُوِّ دِرَاكَ
(٤) أَنْدَلَ الْعَرَينَ أَرَذَنَ ثُمَّ عِرَاكَ
إِلَّا اطِّاعَةَ رَبِّهِمْ وَهُواكَ
مَعْرُوفَةٌ وَوَلِيَّنَا مَوْلَاكَ

وَقَالَ عَبَّاسُ بْنُ مَرْدَاسٍ أَيْضًا (٤) :

عَفَا بِمُجْدِلٍ مِنْ أَهْلِهِ فَمُتَّالِعُ
دِيَارُ لَنَا يَا جُمْلَ إِذْ جُلَ عِيشَنَا
حُبِيَّبَةُ الْأُوتُّ بِهَا غُرْبَةُ النَّوْيِّ

(٥) فَطَلَّ أَرِيكٌ قَدْ خَلَا فَالْمَصَانِعُ
رَخْيٌ وَصَرْفُ الدَّهْرِ لِلْحَىٰ جَامِعٌ
لَبَيْنَ فَهْلِ ماضٍ مِنَ الْعِيشِ رَاجِعٌ

(١) التَّرْبُ : الْحَدَّةُ وَالْمَضَاءُ . وَتَكَنَّفَهُ : أَحْاطَ بِهِ .

(٢) مِنْ أَبْنَ هَشَامٍ . (٣) مُعْنِقَوْنَ : مُسْرَعُونَ . وَالدَّرَاكُ : الْطَّعْنُ الْمُتَّابِعُ .

(٤) مِنْ هَنَا إِلَى آخرِ هَذَا الْفَصْلِ سُقْطَةُ مِنْ تَ .

(٥) مجْدِلٌ وَمُتَّالِعٌ : مَوْضِعَانِ . وَالْمَطْلِي ، يَقْصُرُ وَيَعْدُ : مَسِيلٌ ضيقٌ مِنَ الْأَرْضِ . أَوِ الْأَرْضُ السَّهْلَةُ وَأَرِيكٌ : وَادٌ .

فَإِنْ تَبْقِي الْكُفَّارَ غَيْرَ مَلُومَةً
دَعَاكُمْ إِلَيْهِ خَيْرٌ وَفَدِ عَلَيْتُمْ
جَنَّتَنَا بِالْفِرْسَى مِنْ سُلَيْمٍ عَلَيْهِمْ
نَبَيَّاً عَهْدَهُ بِالْأَخْشَبَيْنِ وَإِنَّا
مُجْزِئُنَا مَعَ الْمَهْدِيِّ مَكَّةَ عَنْهُ
عَلَانِيَّةَ وَالْخَيلَ يَغْشِيَ مَقْوِنَاهَا
وَبِوْمَ حَنِينَ حِينَ سَارَتْ هَوَازِنَ
صَبَرْنَا مَعَ الضَّحَّاكَ لَا يَسْقُفُنَا
أَمَامَ رَسُولَ اللَّهِ يَخْفَقُ فَوْقَنَا
عَشِيَّةَ ضَحَّاكَ بْنَ سَفِيَّانَ مُعْتَصِّ
نَذُودَ أَخَانَا عَنْ أَخِينَا وَلَوْ نَرِى
وَلَكُنَّ دِينَ اللَّهِ دِينَ مُحَمَّدَ
أَقَامَ بِهِ بَعْدَ الصَّلَاتَةِ أَمْرَنَا
وَقَالَ عَبَّاسُ أَيْضًا :

تَقْطُّعُ بَاقِي وَصْلِ أَمَّ مُؤْمِلٍ
وَقَدْ حَلَفْتَ بِاللَّهِ لَا تَقْطُّعُ القُوَى
خُفَافَيْهُ بَطْنُ الْعَقِيقِ مَصِيفُهَا
فَإِنْ تَنْبِعِ الْكُفَّارَ أَمْ مُؤْمِلٍ

بِعَاقِبَةٍ وَاسْتَبْدَلتْ نِيَّةَ خَلْفَهَا^(١)
فَاصْدَقَتْ فِيهِ وَلَا بَرَّتِ الْلَّفَّا
وَتَحْتَلُّ فِي الْبَادِينَ وَجْرَةَ فَاعْرُوفَهَا^(٢)
فَقَدْ زَوَّدَتْ قَلْبِي عَلَى تَأْيِيْهَا شَفَقَنَا

(١) الخذروف : برق لامع في السحاب .

(٢) معتص : ضارب . والـكائن : القريب .

(٣) يزيد أنه من بنى سليم ، وسلم من قيس كأن هوازن من قيس . والمصال : مفعول من الصولة .

(٤) نية : من النوى وهو البعد .

(٥) الخفافية : نسبة إلى خفاف : حى من سليم والبادون : المقيمون في البدية .

أَبْيَنَا وَلَمْ نَطْلُبْ سَوِي رِبْنَا حَلْفًا
وَفِينَا وَلَمْ يَسْتُوفِهَا مَعْشَرُ الْفَا
أَطَاعُوا فَا يَعْصُونَ مِنْ أَمْرِهِ حَرْفًا
مَصَاعِبَ زَافَتْ فِي طَرُوقَهَا كُلُّهَا
أَسْوَدَ اتْلَاقَتْ فِي مَرَاصِدِهَا غُصْفًا^(١)
وَزِدْنَا عَلَى الْحَىِ الَّذِي مَعَهُ ضِعْفًا
عُقَابَ أَرَادَتْ بَعْدَ تَحْلِيقِهَا خَطْفًا
إِذَا هِيَ جَالَتْ فِي مَرَاوِدِهَا عَزْفًا
لِأَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ عَدْلًا وَلَا صَرْفًا^(٢)
لَنَا زَجْهَةً إِلَى التَّذَامَرِ وَالنَّقْفَةَ^(٣)
وَتَقْطُفُ أَعْنَاقَ الْكَكَاءِ بِهَا قَطْفًا
وَأَرْمَلَةٌ تَدْعُو عَلَى بَعْلِهَا لَهَفَا^(٤)
وَلَهُ مَا يَبْدُو جَمِيعًا وَمَا يَخْفِي
وَسُوفَ يُنْبَهُمَا الْخَبِيرُ بِأَنَّا
وَأَنَا مَعَ الْمَادِي النَّبِيِّ مُحَمَّدٌ
بِقَيْانِ صَدَقَ مِنْ سُلَيْمَانَ أَعْزَزَ
خُفَافَ وَذَكْوَانَ وَعَوْفَ تَحَالِمَ
كَانَ نَسِيجُ الشَّهْبِ وَالْبَيْضِ مُلْبَسٌ
بِنَا عَزَّ دِينُ اللَّهِ غَيْرَ تَنْحُلُ
بِمَكَةَ إِذْ جَثَنَا كَانَ لَوَاءُنَا
عَلَى شُخْصِ الْأَبْصَارِ تَحْسِبُ بَيْنَهَا
غَدَةً وَطَثَنَا الشَّرَكِينَ وَلَمْ نَجِدْ
بِعُتْرَكِ لَا يَسْمَعُ الْقَوْمُ وَسَطْهَ
بِبَيْضِ نُطِيرِ الْهَامِ عَنْ مُسْتَقْرَهَا
فَكَائِنٌ تَرَكَنَا مِنْ قَتِيلِ مُلْحَبِ
رِضَا اللَّهِ نَنْوَى لَا رِضَا النَّاسِ نَبْغَى
وَقَالَ عَبَّاسٌ أَيْضًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

مَا بَالِ عَيْنِكَ فِيهَا عَائِزٌ سَهْرٌ
عَيْنٌ تَأْوِيْهَا مِنْ شَجْوِهَا أَرْقٌ
كَانَهُ نَظَمٌ دُرٌّ عِنْدَ نَاظِمِهِ
يَا بَعْدَ مَنْزِلٍ مِنْ تَرْجُو مَوْدَتِهِ
مِثْلُ الْحَاطَةِ أَغَصَى فَوْقَهَا الشَّفَرُ^(٤)
فَالْمَاءُ يَغْمِرُهَا طُورًا وَيَنْحَدِرُ
تَقْطُعُ السَّلَكُ مِنْهُ فَهُوَ مُمْتَثِرٌ
وَمِنْ أَنْتِي دُونَهُ الصَّمَانُ فَالْحَفَرُ^(٥)

(١) الغصن : المستrixية أبغاثها على أعينها غصباً وكبراً .

(٢) الزجة : النسبة بكلمة . والنقف : كسر الهمامة عن الدماغ أو ضربها أشد الضرب .

(٣) الملحب : المقطوع

(٤) العائز : كل ما أغلق العين : والهاطة : عشب خشن المس أو تبن النرة . والشفر : أصل منبت

(٥) الصمان والحفر موضعان .

ولى الشهابُ وزار الشيبُ والزَّعْرُ^(١)
وفي سليم لأهل الفخر مفتخر
دينَ الرسول وأمرُ الناس مشتهر^(٢)
ولا تخاورُ في مشتاقهم البقر^(٣)
في دارةِ حولها الأخطارُ والمُكَرُ^(٤)
وحي ذَكْوان لاميل ولا ضُجرُ^(٥)
يبطئ مكة والأرواح تُبُتُّدرُ^(٦)
نخل بظاهره البطحاء مُنْقَعِرُ^(٧)
للهُ الدين عزًّا وعندَ الله مُدَخِّرُ^(٨)
والليل ينْجَاب عنها ساطع مُكَدِّرُ^(٩)
كما مشى الـليثُ في غاباته الخـدرُ^(١٠)
تـكـاد تـأـفـل منه الشـمـس والـقـمـرُ^(١١)
الـلـهـ نـصـرـ من شـئـنا وـنـتـصـرـ^(١٢)
لـوـلاـ الـمـلـيـكـ وـلـوـلاـ نـحـنـ ما صـدـرـواـ^(١٣)
إـلاـ قـدـ أـصـبـحـ مـنـاـ فـيهـمـ آـنـرـ^(١٤)

دَعْ ماتقدّم من عَهْد الشَّباب فَقَد
وَذَكَر بِلَاء سُلَيْمَان فِي مُواطِنِهَا
قَوْمٌ هُمْ نَصَرُوا الرَّحْنَ وَاتَّبَعُوا
لَا يَفْرُسُون فَسَيِّلَ النَّخْلَ وَسَطَّهُمْ
إِلَّا سَوَابِعَ كَالِعَقْبَانِ مُقْرَبَةً
تُدْعَى خُفَافَ عَوْفَ فِي جَوَانِبِهَا
الضَّارِّ بُونَ جَنُودَ الشَّرِكِ ضَاحِيَّةً
حَتَّى رَفَعْنَا وَقَتَلَاهُمْ كَاهِمٌ
وَنَحْنُ يَوْمَ حَنِينَ كَانَ مَشْهُدُنَا
إِذْ نَرَكَبُ الْمَوْتَ مُخْضَرًا بَطَانَهُ
تَحْتَ الْلَّوَاءِ مَعَ الضَّحَّاكِ يَقْدِمُنَا
فِي مَأْرِقِ مَنْ جَمَّرَ الْحَرْبَ كَلْكَلَاهَا
وَقَدْ صَبَرْنَا بِأَوْطَاسٍ أَسْتَنْتَنَا
حَتَّى تَأْوِبَ أَفَ— وَامْ مَفَازِلَهُمْ
فَإِذَا تَرَى مَعْشَرًا قُلُوا وَلَا كَثُرُوا
وَقَالَ عَبَّاسٌ أَيْضًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

وقال عباس أيضاً رضي الله عنه :
يا أباها الرجل الذي تهوى به

(١) الزعر : قلة الشعر .

(٢) الفسيل : صغار النخل . والتمعاوِر : ارتفاع أصوات اليقر من الحوار .

(٣) المقربة : التي تدلي وتقرب وتكرم ولا تترك . والدارة : العرصة ، وكل أرض واسعة بين جبال والمسك والإخطار : إلا ما اكتفى به

(٤) الوجناء: البارزة الوجنات، والمناسم: أطراف خف البعير والمحمرة: المستوية. والعرمس: الناقفة الشابة.

حَقَّا عَلَيْكِ إِذَا اطْمَأْنَ الْجَلْسُ
فَوْقَ التَّرَابِ إِذَا تُدْعُ الْأَنْفُسُ
وَالنَّهْيُ تُقْدَعُ بِالْكَوَافَةِ وَتُضَرَّسُ^(١)
جَمْعٌ تَظَلُّ بِهِ الْخَارِمُ تَرْجُسُ^(٢)
شَهْيَاءٌ يَقْدُمُهَا الْهَامُ الْأَشْوَسُ^(٣)
بِيَضَاءٍ مُخْكَمَةُ الدَّخَالِ وَقَوْنَسُ^(٤)
وَتَخَالَهُ أَسْدَادًا إِذَا مَا يَعْبَسُ
عَصْبٌ يَقْدُدُ بِهِ وَلَدْنٌ مَدْعَسُ^(٥)
أَلْفُ أَمْدَادٍ بِهِ الرَّسُولُ عَرَنْدَسُ
وَالشَّمْسُ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهِمْ أَشْمَسُ^(٦)
وَاللَّهُ لَيْسُ بِضَائِعٍ مِنْ يَحْرُسُ
رَضِيَ الْإِلَهُ بِهِ فَنِعَ الْمُحْدِسُ
كَفَتُ الْعُدُوُّ وَقَيْلٌ مِنْهَا يَا احْبَسُوا
ثَدْيٌ تَمَدُّدُ بِهِ هَوَازُنُ أَيْبَسُ
غَيْرُ نَعَاقِبِهِ السَّبَاعُ مُفَرَّسُ

إِمَّا أُتِيتَ عَلَى النَّبِيِّ فَقَالَ لَهُ
يَا خَيْرَ مِنْ رَكْبِ الْمَطَىٰ وَمِنْ شَيْءٍ
إِنَا وَفَيْنَا بِالَّذِي عَاهَدْنَا
إِذْ سَأَلْنَا مِنْ أَفْنَاءِ بُهْنَةَ كُلُّهَا
حَتَّىٰ صَبَحَنَا أَهْلَ مَسْكَةَ فَيَنْقَا
مِنْ كُلِّ أَغْلَبٍ مِنْ سُلَيْمَ فَوْقَهُ
بُرُوْيِ الْقَنَاءِ إِذَا تَجَاهَسَ فِي الْوَغْنِ
يَغْشَى الْكَتَبِيَّةَ مُعْلَمًا وَبِكَفِهِ
وَعَلَى حُنَيْفٍ قَدْ وَقَى مِنْ جَمْعِنَا
كَانُوا أَمَامَ الْمُؤْمِنِينَ دَرِيشَةَ
تَمَضِي وَيَحْرُسُنَا إِلَهٌ بِمَحْفَظَتِهِ
وَلَقَدْ حُبَسَنَا بِالْمَفَاقِبِ تَحْبِسَانَا
وَغَدَاءُ أَوْطَاسٍ شَدَّدْنَا شَدَّةَ
تَدْعُو هَوَازِتُ بِالْأَخْوَةِ يَيْنَنَا
حَتَّىٰ تَرَكَنَا جَهَنَّمَ وَكَاهَهُ
وَقَالَ أَيْضًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

رَسُولُ الْإِلَهِ رَاشِدٌ حِيثُ يَمَّا
مِنْ مُبْلِغِ الْأَفْوَامِ أَنْ مُحَمَّدًا

(١) تُقدَعُ : تَكْبِحُ . وَتُضَرَّسُ : تَجْرِحُ .

(٢) بُهْنَةٌ : حَىٰ مِنْ سُلَيْمَ . وَالْخَارِمُ : الْطَرْقُ فِي الْجَبَالِ . وَتَرْجُسٌ : تَهْزَزُ .

(٣) الْأَشْوَسُ : الْمُتَكَبِّرُ .

(٤) الدَّخَالُ : نَسْجُ الدَّرَعِ .

(٥) الْمَدْعَسُ : السَّرْبِيعُ الْطَعْنُ .

(٦) الْدَرِيشَةُ : الْكَتَبِيَّةُ الْمَدَافِعَةُ .

فأصبح قد وَفَى إِلَيْهِ وَأَنْعَمَ
بِيَوْمٍ بِهَا أَمْرًا مِنَ اللَّهِ تَحْكُمَ كَا
مَعَ الْفَجْرِ فَتَيَانًا وَغَابًا مُقْوَمًا
وَرَجْلًا كَدُفَاعِ الْأَتْيَ عَرْمَرَمًا^(١)
سُلَيْمٌ وَفِيهِمْ مِنْهُمْ مِنْ تَسْلَمًا
أَطَاعُوا فَمَا يَعْصُونَهُ مَا تَكَلَّمَا
وَقَدْمَتْهُ فَإِنَّهُ قَدْ تَقَدَّمَ دَمًا
تُصَبِّبُ بِهِ فِي الْحَقِّ مَنْ كَانَ أَظْلَمًَا
فَأَكْلَمُهَا أَلْفًا مِنَ الْخَيْلِ مُلْجَمًا
وَحُبُّ إِلَيْنَا أَنْ نَكُونَ الْمَقْدَمَا
بِنَا الْخُوفُ إِلَّا رَغْبَةً وَتَحْزُمَما^(٢)
وَهَتِئَ صَبَّحَنَا الْجَمْعُ أَهْلَ يَامَ لَمَّا
وَلَا يَطْمَنُ الشَّيْخُ حَتَّى يُسُوِّمَا
وَكُلُّ ثَرَاهُ عَنْ أَخْيَهِ قَدْ أَحْجَمَا
حُنْيَنًا وَقَدْ سَالَتْ دَوَامَعُهُ دَمًا
وَفَارَسَهَا يَهُوَى وَرَحْمًا كُحْطَمَما^(٣)
وَحُبُّ إِلَيْهَا أَنْ تَخِيبَ وَنُخْرَمَا

هَكَذَا أَوْرَدَ الْإِمَامُ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ هَذِهِ الْقَصَائِدَ مِنْ شِعْرِ عَبَّاسِ بْنِ مِرْدَاسِ
السُّلْمَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَقَدْ تَرَكَنَا بَعْضَ مَا أَوْرَدَهُ مِنَ الْقَصَائِدِ خَشْيَةً إِلَاطَّالَةٍ وَخَوْفَ
الْمَلَلَةِ ، ثُمَّ أَوْرَدَ مِنْ شِعْرِ غَيْرِهِ أَيْضًا ، وَقَدْ حَصَلَ مَا فِيهِ كَفَايَةٌ مِنْ ذَلِكَ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

(١) الرَّجُلُ : الشَّاهَ . وَالْأَتْيُ : السَّيْلُ الْغَرِيبُ . وَالْدِفَاعُ : مَا يَدْفَعُهُ السَّيْلُ .

(٢) النَّهَىُ : الْغَدَيرُ . (٣) الْطَّمَرَةُ : الْفَرْسُ السَّرِيعُ الْجَرَى .

دُعَا رَبَّهُ وَاسْتَنْصَرَ اللَّهَ وَحْدَهُ
سَرَّبَنَا وَوَاعَدَنَا قُدْيَدًا مُحَمَّدًا
تَمَارَوْا بِنَافِ الْفَجْرِ حَتَّى تَبَيَّنُوا
عَلَى الْخَيْلِ مَشْدُودًا عَلَيْنَا دَرُوعُنَا
فَإِنْ سَرَّةَ الْحَيِّ إِنْ كَفَتْ سَائِلًا
وَجَنَدُّ مِنَ الْأَنْصَارِ لَا يَخْذُلُونَهُ
فَإِنْ تَكْ قَدْ أَمْرَتْ فِي الْقَوْمِ خَالِدًا
بِجَنْدِهِ هَدَاهُ اللَّهُ أَنْتَ أَمْرَيْرُهُ
حَلَفَتُ يَمِينًا بِرَبَّةِ الْحَمَدِ
وَقَالَ نَبِيُّ الْمُؤْمِنِينَ تَقْدَمُوا
وَبِتَنَّا بِهِيِّ الْمَسْتَدِيرِ وَلَمْ يَكُنْ
أَطْعَنَاكُمْ حَتَّى أَسْلَمَ النَّاسُ كُلُّهُمْ
يَضْلُلُ الْحَصَانُ الْأَبْلَاقُ الْوَرْدُ وَسَطَهُ
سَمَوْنَا لَهُمْ وَرِزْدُ الْقَطَّافَ زَفَّهُ ضَحَّى
لَدْنُ غُذْوَةُ حَتَّى تَرَكَنَا عَشَيَّةً
إِذَا شَئْتَ مِنْ كُلِّ رَأَيْتَ طِمَرَةً
وَقَدْ أَحْرَزْتَ مِنَاهُ وَازْنُ سِرْبَهَا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

غزوة الطائف

قال عروة وموسى بن عقبة عن الزهرى : قاتل رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين
وحاصر الطائف في شوال سنة ثمان .

وقال محمد بن إسحاق : ولما قدم فَلَ ثقيفٌ الطائفَ أغلقوا عليهم أبوابَ مدينتها
وصنعوا الصنائع لقتال .

ولم يشهد حُنيدناً ولا حصارَ الطائف عروةُ بن مسعود ولا غياثان بن سلمة ، كانوا
بحُرُشٍ يتعلَّمان صنعةَ الدبابات والمجانيق والصُّبور^(١) .

قال : ثم سار رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الطائف حين فرغ من حنين ، فقال
كعب بن مالك في ذلك :

قَضَيْنَا مِنْ تِهَامَةَ كُلَّ رَبِّ
وَخَيْرَهَا وَلَوْ نَطَقْتُ لَقَالَتْ
بَسَاحَةِ دَارِكُمْ مَنْهَا أَلْوَافَا
فَلَسْتُ خَاضِنٌ إِنْ لَمْ تَرَوْهَا
قَوَاطِعُهُنَّ : دَوْسًا أوْ ثَقِيفًا
وَنَفَرَعَ الْعَرْوَشَ بِطْنَ وَجَّ
بَسَاحَةِ دَارِكُمْ مَنْهَا أَلْوَافَا
وَيَأْتِيكُمْ لَهَا مَرَّاعَانُ خَيْلٍ
لَهَا مَا أَنْاخَ بَهَـا رَجِيفًا
إِذَا نَزَلُوا بَسَاحَةِ دَارِكُمْ سَعْيَ
يُزَرْنَ الْمَصْطَلَانِ بَهَـا الْحَتَوْفَا
بِأَيْدِيهِمْ قَوَاضِبُ مُرْهَفَاتُ

(١) الصبور : الدبابات التي تقرب للعاصون لتنهب من تحتها

كَمِنَالِ الْمَعَانِقِ أَخْلَصْتُهَا
 تَحْمَالَ جَدِيَّةَ الْأَبْطَالِ فِيهَا
 أَجَدَّدْمِ الْيَسِ لَمْ نَصِبْحُ
 يَخْبِرُهُمْ بِأَنَا قَدْ جَعَنَّا
 وَأَنَا قَدْ أَتَيْنَاهُمْ بِزَحْفٍ
 رَئِسْهُمُ النَّبِيُّ وَكَانَ صَلْبًا
 رَشِيدُ الْأَمْرِ ذَا حُكْمٍ وَعِلْمٍ
 نُطِيعُ نَبِيَّنَا وَنُطِيعُ رَبِّنَا
 فَإِنْ تُلْقُوا إِلَيْنَا السَّلَمْ نَقْبِلُ
 وَإِنْ تَأْبُوا نَجَاهُدُكُمْ وَنَصْبِرُ
 بِنَحَالَهُ مَا يَقِنَّنَا أَوْ تُنْبِيَّنَا
 دُكُمْ مِنْ مَعْشِرِ أَبْوَا عَائِنَا
 أَتُوْنَا لَا يَرُونَ لَهُمْ كَفَرَنَا
 بِكُلِّ مَهْنَدْ لَيْنَ صَقِيلَنَا
 لِأَمْرِ اللَّهِ وَالْإِسْلَامِ حَتَّى
 وَتُنْسِيَ الْلَّاتُ وَالْعَزِيزُ وَوَدَّ
 فَأَمْسَوْا قَدْ أَفْرَوْا وَاطْمَانُوا

قَيْوُنُ الْهَنْدِ لَمْ تُضْرِبْ كَتِيفَةً (١)
 غَدَةَ الرَّحْفِ جَادِيَّاً مَدْوَفَةً (٢)
 مِنَ الْأَقْوَامِ كَانَ بَنَا عَرِيفَا
 عِتَاقَ الْخَيْلِ وَالثُّجُبَ الطَّرْوَفَا (٣)
 يَحْبِطُ بُسُورَ حِصْنِهِمْ صَفَوْفَا
 نَقَّ الْقَلْبَ مُضْطَبَرًا عَزَوْفَا
 وَحَلَّمْ لَمْ يَكُنْ نَزِقًا خَفِيفَا
 هُوَ الرَّحْنُ كَانَ بَنَا رَاءِرُوفَا
 وَنَجْعَلُكُمْ لَنَا عَاصِدًا وَرِيفَا
 وَلَا يَكُ أَمْرُنَا رَعِيشَا ضَعِيفَا
 إِلَى الْإِسْلَامِ إِذْ عَانَا مُضِيقَا
 الْهَمَّ كَنَّا التَّلَادَ أَمْ الطَّرِيفَا (٤)
 صَمِيمَ الْجَذْمِ مِنْهُمْ وَالْحَلِيفَا (٥)
 خَدْعَنَا الْمَسَامَ وَالْأَنْوَفَا
 نَسْوَقُهُمْ بَهَا سَوْقًا عَنِيفَا
 يَقُومُ الدِّينُ مُعْتَدَلًا حَنِيفَا
 وَنَسَلْبُهُمَا الْقَلَانِدَ وَالشَّنْوَفَا
 وَمَنْ لَا يَمْتَنِعُ يَقْبِلُ خُسُوفَا

(١) الكتيف : الضبة . قال السهيل : وهي صفيحة صغيرة .

(٢) الجديدة : الدم السائل . والجادى : الزعفران . والمدوف : المبلول .

(٣) الطروف : الكرام من الخيل . (٤) التلاد : القديم . والطريف : الجديد .

(٥) الجذم : الأصل .

وقال ابن إسحاق : فأجابه كنانة بن عبد ياليل بن عمرو بن عمير الثقفي :
قلت : قد وفدت على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك في وفدي ثقيف فأسلم معيهم .
قاله موسى بن عقبة وأبو إسحاق وأبو عمر بن عبد البر وابن الأثير وغير واحد ، وزعم
المدائني أنه لم يسلم بل صار إلى بلاد الروم فتنصر ومات بها :

من كان يَبْغِينَا يَرِيدُ قَاتَلَنَا فَإِنَّا بَدَارٍ مُعْلَمٍ لَا نَرِيمُهَا^(١)
وَجَدَنَا بَهَا الْآبَاءَ مِنْ قَبْلِ مَاتَرِي وَكَانَتْ لَنَا أَطْوَأُهَا وَكَرُومُهَا^(٢)
وَقَدْ جَرَّبَنَا قَبْلُ عَرْوَةَ بْنِ عَامِرٍ فَأَخْبَرَهَا ذُو رَأْيِهَا وَحْلِيهَا
وَقَدْ عَلِمْتَ – إِنْ قَالَتِ الْحَقُّ – أَنَّا
نَهْوَمُهَا حَتَّى يَلِينَ شَرِيسُهَا
عَلَيْنَا دِلَاصٌ مِنْ تُرَاثِ مَحْرَقٍ^(٣)
إِذَا جَرَّدْتَ فِي عَمْرَةَ لَا نَشِيمُهَا^(٤)

قال ابن إسحاق : وقال شداد بن عارض الجشمي في مسيرة رسول الله صلى الله عليه

وسلم إلى الطائف :

لَا تَنْصُرُوا الْلَّاتِ إِنَّ اللَّهَ مُهْلِكُهَا
إِنَّ الَّتِي حَرَّقَتْ بِالسُّدْ فَاشْتَهَلَتْ
إِنَّ الرَّسُولَ مَتَى يَنْزَلُ بِلَادَكُمْ

قال ابن إسحاق : فسلك رسول الله صلى الله عليه وسلم - يعني من حنين إلى
الطائف - على نخلة اليمانية ، ثم على قرآن ثم على المليح ثم على بحيرة الرثانية ، فابتني
بها مسجداً فصلى فيه .

(١) المعلم : المشهورة .

(٢) أطواؤها : آبارها ، جم طوى .

(٣) الدلاص : الدروع للمساء الالية . ومحرق : يزيد عمرو بن عامر وهو أول من حرق العرب بالنار .

(٤) لا نشيمها : لا نقدمها

قال ابن إسحاق : خذلني عمرو بن شعيب ، أنه عليه السلام أقاد يومئذ بمحنة الرغاء حين نزلها بدم ، وهو أول دم أقيد به في الإسلام ، رجل من بنى ليث قتل رجلاً من هذيل فقتلته به . وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بلية بحسن مالك بن عوف فهدم .

قال ابن إسحاق : ثم سلك في طريق يقال لها الضيقة ، فلما توجه رسول الله صلى الله عليه وسلم سأله عن اسمها فقال : ما اسم هذه الطريق ؟ فقيل : الضيقة . فقال : بل هي الديسرى . ثم خرج منها على تل تحت سدرة يقال لها الصادرة قريباً من مال رجل ثقيف ، فأرسل إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم : إما أن تخراج إلينا وإما أن تخرب عليك حائلتك . فأنبأ أن يخرج ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بإخراجه .

وقال ابن إسحاق : عن إسماعيل بن أمية ، عن مجبر بن أبي مجبر ، سمعت عبد الله بن عمرو ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حين خرجنا معه إلى الطائف ، فررنا بقبر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هذا قبر أبي رغال وهو أبو ثقيف ، وكان من ثمود ، وكان بهذا الحرام يدفع عنه ، فلما خرج أصابته الفضة التي أصابت قومه بهذا المكان فدفن فيه ، وأية ذلك أنه دفن معه غصن من ذهب ، إن أنت تبشم عنة أصبهنه ومه » .

قال : فابتدره الناس فاستخر جوا معه الفتن .

ورواه أبو داود ، عن يحيى بن معين ، عن وهب ابن جرير بن حازم ، عن أبيه ، عن محمد بن إسحاق به .

ورواه البيهقي من حديث يزيد بن زريع ، عن روح بن القاسم ، عن إسماعيل بن أمية به .

قال ابن إسحاق : ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل قريباً من الطائف فضرب به عسكره ، فقتل ناس من أصحابه بالتبليء ، وذلك أن العسرك اقترب من حائط الطائف ، فتأخروا إلى موضع مسجده عليه السلام اليوم بالطائف الذي بنَتْه ثقيف بعد إسلامها ، بناء عمرو بن أمية بن وهب ، وكانت فيه سارية لا تطلع عليها الشمس صبيحة كل يوم إلا سمع لها ثقيف فيما يذكرون .

قال : خاصرهم بضعة عشر ليلة . قال ابن هشام : ويقال سبع عشرة ليلة .
وقال عروة وموسى بن عقبة عن الزهرى : ثم سار رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الطائف وترك السبي بالجمرانة ومُلئت عرش^(١) مكة منهم ، فنزل رسول الله صلى عليه وسلم بالآية عند حصن الطائف بضم عشرة ليلة يقاتلونه ويقاتلونه من وراء حصنهم ، ولم يخرج إليه أحد منهم غير أبي بكررة بن مسروح أخي زياد لأمه ، فأعتقه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكتَّرت الجراح وقطعوا طائفَةً من أعنابهم ليغيبوهم بها ، فقالت لهم ثقيف : لا تفسدوا الأموال فإنها لنا أو لكم .

وقال عروة : أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم كلَّ رجل من المسلمين أن يقطع خمس نخلات وخمس حِيلات^(٢) ، وبعث مناديا ينادي : من خرج إلينا فهو حر . فاقتصر عليهم نفر منهم أبو بكرة بن مسروح أخو زياد بن أبي سفيان لأمه ، فأعتقهم ودفع كلَّ رجل منهم إلى رجل من المسلمين يَعوله ويحمله .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يزيد ، حدثنا حجاج ، عن الحكَم ، عن مِقْسَم ، عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعتق من جاءه من العبيد قبل مواليهم إذا أسلموا ، وقد أعتق يوم الطائف رجالين .

وقال أحد : حدثنا عبد القدوس بن بكر بن خَيْس ، حدثنا الحجاج ، عن الحكَم ،

(١) العرش : الحبام والبوت التي يستظل بها . (٢) الملة : الـكـرـمة .

عن مِقْسَم عن ابن عباس، قال : حاصل رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الطائف ، نخرج إليه عبدان فأعتقهما ، أحدهما أبو بَكْرَة ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعق العبيد إذا خرجوا إليه.

وقال أحمد أيضًا : حدثنا نصر بن رئاب ، عن حجاج ، عن الحكم ، عن مِقْسَم ، عن ابن عباس أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الطائف : « من خرج إلينا من العبيد فهو حر ». .

فخرج عبيد من العبيد فيهم أبو بَكْرَة ، فأعتقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم .
هذا الحديث تفرد به أحمد ، ومداره على الحجاج بن أَرْنَاطَة ، وهو ضعيف .
لكن ذهب الإمام أحمد إلى هذا ، فمنه أن كل عبد جاء من دار الحرب إلى دار الإسلام عَقْ حُكْمًا شرعاً مطلقاً عاماً .

وقال آخرون : إنما كان هذا شرطاً لا حُكْمًا عاماً .
ولو صَحَّ الحديث لكان التشريع العام أَظْهَرَ ، كاف قوله عليه السلام : « من قتل قتيلاً فله سَلْبَه ». .

وقد قال يونس [بن بُكْرٍ]^(١) ، عن محمد بن إسحاق ، حدثني عبد الله بن المكرم الثقفي ، قال : لما حاصل رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الطائف خرج إليه رقيقهم ، أبو بَكْرَة عبد للحارث بن كلدة ، والمنبعث ، وكان اسمه المصطحب فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم النبعث ، ويَحْنَس ، ووردان ، في رهط من رقيقهم فأسلموا ، فلما قدم وفد أهل الطائف فأسلموا قالوا : يا رسول الله رُد علينا ريقينا الذين أتوك . قال : « لا ، أولئك عُتقاء الله » ورد على ذلك الرجل ولا عبده فجعله إليه .

وقال البخاري : حدثنا محمد بن بشّار ، حدثنا غُنْدَر ، حدثنا شعبة ، عن عاصم ، سمعت أبا عثمان قال : سمعت سعدا - وهو أول من رمى بسيهم في سبيل الله وأبا بَكْرَة ، وكان

(١) سقطت من ١ .

تسوّر حصن الطائف في أنس فجاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم - قال : سمعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من ادعى إلى غير أبيه وهو يعلم فالجنة عليه حرام » .

ورواه مسلم من حديث عاصم به .

قال البخاري : وقال هشام : أَبْنَا نَا مُعَمَّر ، عن عاصم ، عن أبي العالية ، أو أبي عمان النهدي ، قال : سمعت سعداً وأبا بكره عن النبي صلى الله عليه وسلم . قال عاصم : قلت : لقد شهدت عندك رجلان حسبك بهما . قال : أَجْلُ : أَمَا أَحَدُهُمَا فَأَوْلُ مِنْ رَمَى بِسَبْعِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَأَمَا الْآخَرُ فَنَزَلَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَالِثَ ثَلَاثَةِ وَعِشْرِينَ مِنَ الطَّائِفِ .

* * *

قال محمد بن إسحاق : وكان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأتان من نسائه ، إحداهما أم سلمة فضرب لها قببين ، فكان يصلى بينهما ، خاصرهم وقاتلهم قتالاً شديداً وتراموا بالنبل . قال ابن هشام : ورمتهما بالمنجنيق .

خدشني من أثق به أن النبي صلى الله عليه وسلم أول من رمى في الإسلام بالمنجنيق ، رمى به أهل الطائف .

وذكر ابن إسحاق أن نفرا من الصحابة دخلوا تحت دبابة ثم زحفوا ليحرقوا جدار أهل الطائف ، فأرسلت عليهم سكاك الحديد نحمة ، فخرجوا من تحتها فرمتهن ثقيف بالنبل فقتلوا منهم رجالا ، فخينهذ أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقطع أعناب ثقيف فوق الناس فيها يقطعون .

قال : وتقصد أبو سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة فنادياً ثقيفاً بالأمان حتى يكتمونه فأمنوه فدعوا نساء من قريش وبني كنانة ليخرجن إليهم ، وهما يخافان عليهن السهام فإذا

فتح الحصن ، فأبین ، فقال لها أبو الأسود بن مسعود : ألا أدلكما على خير مما جئتما له ؟ إن مال أبي الأسود حيث قد علمتا . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم نازلاً بواحد يقال له العقيق ، وهو بين مال بني الأسود وبين الطائف ، وليس بالطائف مال أبعد رِشَاء^(١) ولا أشد مؤنة ولا أبعد عمارة منه ، وإن محدثاً إن قطعه لم يعمر أبداً ، فكلامه فليأخذه لنفسه أو ليذْعَه لله ولرَحْمَة .

فزعمو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تركه لهم .

وقد روی الواقدي عن شيوخه نحو هذا وعنده أن سليمان الفارسي هو الذي أشار بالمنجنيق وعمله بيده . وقيل قديم به وبدباقين قاله أعلم .

وقد أورد البهقي من طريق ابن همزة عن أبي الأسود ، عن عروة ، أن عبيدة بن حصن استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في أن يأتي أهل الطائف فيدعوهم إلى الإسلام فإذا ذُنِن له ، فجاءهم فأمرهم بالثبات في حصنهم وقال : لا يَهُونُكُمْ قَطْعُ مَا قطع من الأشجار في كلام طويل .

فلمارجع قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما قلت لهم » ؟ قال : « دعوتهم إلى الإسلام وأنذرتهم النار وذَكَرْتُهم بالجنة . » فقال : « كذبتَ بل قلت لهم كذا وكذا » فقال : صدقتَ يا رسول الله ، أتوب إلى الله وإليك من ذلك .

وقد روی البهقي ، عن الحاكم ، عن الأصم ، عن أحمد بن عبد الجبار ، عن بونس ابن بُكَيْر ، عن هشام الدُّسْتُوَائِي ، عن قتادة ، عن سالم بن أبي الجعْد ، عن معدان ابن أبي طالحة ، عن ابن أبي تنجيغ الشامي ، وهو عمرو بن عَبْسَة رضي الله عنه قال : حاصرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قصرَ الطائف فسمعت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من بلَغَ بِسَهْمٍ فله درجة في الجنة » فبلغت يومئذ ستة عشر سهماً .

(١) الرِّشَاءُ : الحيل

وسمعته يقول : « من رمى بسمم في سبيل الله فهو عَذْلٌ مُحَرَّرٌ ، ومن شاب شيئاً في سبيل الله كانت له نوراً يوم القيمة ، وأيما رجل أعتق رجلاً مسلماً فإن الله جاعل كلَّ عظم من عظامه وفاءً كُلَّ عظم بعده ، وأيما امرأة مسلمة أعتقت امرأة مسلمة فإن الله جاعل كلَّ عظم من عظامها وفاءً كُلَّ عظم من عظامها من النار ». .
ورواه أبو داود والترمذى وصححه النسائى من حديث قتادة به .

卷之三

وقال البخاري : حدثنا الحميدى ، سمع سفيان ، حدثنا هشام ، عن أبيه ، عن زينب بنت أم سلمة ، عن أم سلمة قالت : دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندي حمّى فسمعه يقول لعبد الله بن أبي أمية : أرأيتَ إبن فتح الله عاليمكم الطائفَ غداً فما يك بابنة عَيْلَان فإنها تُقبل بأربع وتدبر بثمان . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يَدْخُل هؤلاء عاليمـكـن ». .

قال ابن عيّنة : وقال ابن جريج : الخفت هيّت .

وقد رواه البخارى أيضاً ومسلم من طرق عن هشام بن عروة عن أبيه به . وفي لفظ:
« كانوا يرونـه من غير أولـي الإـرـبة من الرـجال » وفي لفظ : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الـأـرـى هـذـا يـعـلـم مـا هـذـا ؟ لـا يـدـخـلـن عـالـيـكـن هـؤـلـاء ». .

يعني إذا كان من يفهم ذلك ، فهو داخل في قوله تعالى : «أو الطفّل الذين لم

يُظْهِرُوا عَلَى عُورَاتِ النِّسَاءِ^(١) » .

والمراد بالخنث في عُرف السَّلْفِ الْذِي لَا هِمَةَ لَهُ إِلَى النِّسَاءِ، وَلَيْسَ الْمَرَادُ بِهِ الْذِي يُؤْتَى، إِذْ لَوْ كَانَ كِذَلِكَ لَوْجَبَ قَتْلَهُ حَتَّاً، كَمَا دَلَّ عَلَيْهِ الْحَدِيثُ، وَكَمَا قَتَلَهُ أَبُو بَكْرُ الصَّدِيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ومعنى قوله : « تُقْبَلْ بِأَرْبَعْ وَتُذْبَرْ بِمَانْ » يعني بذلك عَنْ بطنها ، فإنها تكون أربعاً إذا أقبلت ثم تصير كل واحدة ثنتين إذا أذرت ، وهذه المرأة هي بادية بنت غيلان ابن سلمة من سادات ثقيف .

وهذا الحنف قد ذكر البخاري عن ابن جريج أن اسمه هيـت ، وهذا هو المشهور لكن قال يونس عن ابن إسحاق قال : وكان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مولى خالتة بنت عمرو بن عايد مخـثـث يقال له مانع ، يدخل على نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيته ولا يرى أنه يفطن لشيء من أمور النساء مما يفطن إليه الرجال ، ولا يرى أن له في ذلك أربـاـ، فسمـهـ وهو يقول خالد بن الوليد : ياخـالـدـ إن افـتـحـ رسولـ اللهـ صـلـيـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ الطـائـفـ فـلـاـ تـنـفـلـتـنـ مـنـكـمـ بـادـيـةـ بـنـتـ غـيـلـانـ فـإـنـاـ تـقـبـلـ بـأـرـبـعـ وـتـذـبـرـ بـمـانـ . فـقـالـ رسولـ اللهـ صـلـيـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ حـيـنـ سـمـعـ هـذـاـ مـنـهـ : « أـلـأـ أـرـىـ هـذـاـ يـفـطـنـ لـهـذـاـ »ـ الحـدـيـثـ . ثم قال للنساء : « لا يـذـخـلـنـ عـلـيـكـنـ »ـ فـخـيـرـ بـعـدـ عنـ بـيـتـ رـسـوـلـ اللهـ صـلـيـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ .

* * *

وقال البخاري : حدثنا علي بن عبد الله ، حدثنا سفيان ، عن عمرو ، عن أبي العباس الشاعر الأعمى ، عن عبد الله بن عمرو قال : لما حاصر رسول الله صلى الله عليه وسلم الطائف فلم ينزل منهم شيئاً قال : « إنا قافلون غداً إن شاء الله » فشقق عليهم وقالوا : نذهب ولا نفتح ؟ فقال : « أخذوا على القتال » فغدوا فأصابهم جراحٌ فقال : « إنا قافلون غداً إن شاء الله » فأعجبهم فضحت النبي صلى الله عليه وسلم . وقال سفيان مرة : فتبسم . ورواه مسلم من حديث سفيان بن عيينة به وعنه عن عبد الله بن عمر بن الخطاب واختلف في نسخة البخاري ، ففي نسخة كذلك وفي نسخة عن عبد الله بن عمرو بن العاص فالله أعلم .

وقال الواقدي : حدثني كثير بن زيد بن الوليد بن رباح ، عن أبي هريرة قال :

لما مضت خمس عشرة من حصار الطائف استشار رسول الله صلى الله عليه وسلم نوفل بن معاوية الديلي فقال : « يانوفل ما ترى في القام عليهم ؟ » قال : يارسول نعلم في جحر إن أقمت عليه أخذته ، وإن تركته لم يضرك .

قال ابن إسحاق : وقد باغنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبي بكر وهو محاصر ثقيفاً : « يا أبو بكر ، إن رأيت أني أهديت لى قَعْبَةً مملوءةً زبداً فنفرها ديك فهراق مافيها » فقال أبو بكر رضي الله عنه : ما أظن أن تدرك منهم يومك هذا ماتريد . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وأنا لا أرى ذلك » .

قال : ثم إن خولة بنت حكيم السالمية ، وهي امرأة عثمان بن مظعون قالت : يارسول الله أعطنى إن فتح الله عليك حُلَى بادية بنت غيلان بن سامة أو حل الفارعة بنت عقيل - وكانت من أحلى نساء ثقيف - فذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لها : « وإن كان لم يُؤذن في ثقيف ياخوبلة ؟ » .

فخرجت خولة فذكرت ذلك لعمر بن الخطاب ، فدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يارسول الله ما حديثه حدثنيه خولة ، زعمت أنك قلت له ؟ قال : « قد قلت له » قال : أو ما أذن فيهم ؟ قال : لا . قال : أفلأؤذن بالرحيل ؟ قال : بلى .

فأذن عمر بالرحيل ، فلما استقبل الناس نادى سعيد بن أبي سعيد بن أبي عمرو ابن علاج : ألا إن الحى مقيم . قال : يقول عبيدة بن حصن : أجل ، والله مجده كراماً . فقال له رجل من المسلمين : قاتلك الله يا عبيدة ! أتندح المشركون بالامتناع من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد جئت تنصره ؟ فقال : إن والله ما جئت لأقاتل ثقيفاً معكم ، ولكن أردت أن يفتح محمد الطائف فأصيب من ثقيف جارية أطعوها لعلها تلد لي رجالا ، فإن ثقيفاً ممنا كير ^(١) .

* * *

(١) المذاكي : ذوو الدهاء

وقد روی ابن همزة عن أبي الأسود ، عن عروة قصة خولة بنت حكيم ، وقوله
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال : وتأذينَ عمر بالرحيل . قال : وأمر رسول الله
صلى الله عليه وسلم الناسَ ألا يُسْرِحُوا ظَهَرَهُمْ ، فلما أصبهجوا ارتحل رسول الله صلى الله
عليه وسلم وأصحابه ودعا حين ركب قافلاً فقال : « اللهم اهدِهِمْ وَاكْفُنَا مُؤْنَثَهُمْ ».
وروى الترمذى من حديث عبد الله بن عثمان بن خشم ، عن أبي الزبير ،
عن جابر قالوا : يا رسول الله أحرقنا نبمالٌ تَقْيِيفٌ فادعُ الله عليهم . فقال : « اللهم
اهدِ ثَقِيفاً ». .

ثم قال : هذا حديث حسن غريب .

وروى يونس عن ابن إسحاق ، حدثني عبد الله بن أبي بكر وعبد الله بن المكرم ،
عن أدر كوا من أهل العلم : قالوا : حاصر رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الطائف
لاثين ليلة أو قريباً من ذلك ، ثم انصرفوا عنهم ولم يؤذن فيهم ، فقدم المدينة فجاءه
فذهب في رمضان فأسلموا .

وسيأتي ذلك مفصلاً في رمضان من سنة تسمى إن شاء الله .

* * *

وهذه تسمية من استشهد من المسلمين بالطائف فيما قاله ابن إسحاق :

فمن قريش ؟ سعيد بن سعيد بن العاص بن أمية ، وعمر فطة بن جناب حليف لبني أمية بن
الأسد بن الغوث ، وعبد الله بن أبي بكر الصديق رمى بهم فتوفي منه بالمدينة بعد وفاة
رسول الله صلى الله عليه وسلم . وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة المخزومي من رمية رميها
يومئذ ، وعبد الله بن عامر بن ربيعة حايف لبني عدى ، والسائل بن الحارث بن قيس
بن عدى السهمي ، وأخوه عبد الله ، وجليلة بن عبد الله من بني سعد بن ليث . ومن
الأنصار ثم من الخزرج ثابت بن الجذع الأسلى ، والحارث بن سهل بن أبي صفة صمعة المازنى ،

والمنذر بن عبد الله من بني ساعدة . ومن الأوس رقيم بن ثابت بن ثعلبة بن زيد بن لؤذان بن معاوية فقط .

نجميـم من استشهد يومئذ اثنا عشر رجلا ، سبعة من قريش وأربعة من الأنصار ، ورجل من بني ليث رضي الله عنـهم أجمعـين .

* * *

قال ابن إسحاق : ولما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم راجـعاً عنـ الطائف قال مجـير بن زـهير بن أـبي سـلمـي يـذـكـرـ حـنـينـاـ وـالـطـائـفـ :

كـانـتـ عـلـلـةـ يـوـمـ بـطـنـ حـنـينـ وـغـدـاءـ أـوـطـاسـ وـيـوـمـ الـأـبـرقـ
جـمـعـتـ بـإـغـواـءـ هـوـازـنـ جـمـعـهـاـ فـقـبـدـدـواـ كـاـطـائـرـ الـمـزـقـ
لـمـ يـنـعـمـواـ مـنـاـ مـقـاماـ وـاحـداـ
فـاسـتـحـفـنـواـ مـنـاـ بـيـابـ مـعـلـقـ
شـهـباءـ تـلـمـعـ بـالـنـيـاـ فـيـلـقـ^(١)
حـصـنـاـ لـظـلـ كـانـهـ لـمـ يـخـلـقـ
مـلـمـوـمـ خـضـرـاءـ لـوـقـذـفـوـاـ بـهـاـ
مـشـىـ الـفـرـاءـ عـلـىـ الـهـرـاسـ كـانـاـ
فـكـلـ سـابـغـةـ إـذـاـماـ اـسـتـحـصـفـتـ
كـالـهـمـيـ هـبـتـ رـيـحـهـ الـمـرـقـ
جـدـلـ تـمـسـ فـضـولـنـ نـعـالـنـاـ مـنـ نـسـجـ دـاـوـدـ وـآلـ حـرـقـ
وـقـالـ أـبـوـ دـاـوـدـ :ـ حـدـثـنـاـ عـرـبـ بـنـ الـخـطـابـ أـبـوـ حـفـصـ ،ـ حـدـثـنـاـ الـفـرـيـابـيـ ،ـ حـدـثـنـاـ أـبـانـ ،ـ
حـدـثـنـاـ عـمـرـوـ هـوـ أـبـنـ عـبـدـ اللـهـ بـنـ أـبـيـ حـازـمـ .ـ حـدـثـنـاـ عـمـانـ بـنـ أـبـيـ حـازـمـ ،ـ عـرـنـ أـبـيهـ ،ـ
عـنـ جـدـهـ صـخـرـ هـوـ أـبـوـ الـعـيـلـةـ الـأـحـمـيـ .ـ أـنـ رـسـوـلـ اللـهـ صـلـيـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ غـزـاـقـيـفـاـ ،ـ

(١) الرجراجة : الكثيرة .

(٢) الفراء : الكلاب . والهراس : شجر شائك كالنبق .

فَلَمَّا أَنْ سَمِعَ ذَلِكَ صَخْرُ رَكْبَ فِي خَيْلِ يُمْدَدَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَوْجَدَهُ قَدْ انْصَرَفَ وَلَمْ يَفْتَحْ ، فَجَعَلَ صَخْرَ حِينَئِذٍ عَهْدَهُ وَذَمَّةً لِأَفْارِقَ هَذَا الْقَصْرَ حَتَّى يَنْزَلُوا عَلَى حُكْمِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وَلَمْ يَفْتَحُوهُمْ حَتَّى نَزَلُوا عَلَى حُكْمِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَتَبَ إِلَيْهِ صَخْرٌ : أَمَا بَعْدَ فَإِنْ تَقِيقُوا قَدْ نَزَّلْتُ عَلَى حُكْمِكَ يَارَسُولَ اللَّهِ وَأَنَا مُقْبَلٌ بِهِمْ وَهُمْ فِي خَيْلِي .

فَأَمْرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالصَّلَاةِ جَامِعَةً فَدَعَا لِأَحْمَسَ عَشْرَ دُعَوَاتٍ : «اللَّهُمْ بَارِكْ لِأَحْمَسَ فِي خَيْلِهِ وَرِجَالِهِ» .

وَأَنَّى الْقَوْمَ فَتَكَلَّمُ الْمُغَيْرَةُ بْنُ شَعْبَةَ فَقَالَ : يَارَسُولَ اللَّهِ إِنَّ صَخْرَ اَخْذَ عَنِّي وَدَخَلَتْ فِيهِ الْمُسْلِمُونَ فَدَعَاهُ فَقَالَ : «يَا صَخْرَ إِنَّ الْقَوْمَ إِذَا أَسْلَمُوا أَحْرَزُوا دَمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ ، فَادْفُعْ إِلَى الْمُغَيْرَةِ عَمَّا تَهْمِمُهُ» فَدَفَعَهُ إِلَيْهِ .

وَسَأَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا لَبْنِي سَاعِمٍ قَدْ هَرَبُوا عَنِ الْإِسْلَامِ وَتَرَكُوا ذَلِكَ الْمَاءَ ، فَقَالَ : يَارَسُولُ اللَّهِ أَنْزَلْنِي أَنَا وَقَوْمِي . قَالَ : «نَعَمْ» فَأَنْزَلَهُ وَأَسْلَمَ - يَعْنِي الْأَسْلَمِيْنَ ، فَأَتَوْا صَخْرًا فَسَأَلُوهُ أَنْ يَدْفِعْ إِلَيْهِمُ الْمَاءَ فَأَبَى ، فَأَتَوْا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالُوا : يَارَسُولُ اللَّهِ أَسْلَمْنَا وَأَتَيْنَا صَخْرًا لِيَدْفِعَ إِلَيْنَا مَاءَنَا فَأَبَى عَلَيْنَا . فَقَالَ : «يَا صَخْرَ إِنَّ الْقَوْمَ إِذَا أَسْلَمُوا أَحْرَزُوا أَمْوَالَهُمْ وَدَمَاءَهُمْ فَادْفُعْ إِلَيْهِمْ مَاءَهُمْ» قَالَ : نَعَمْ يَانِي اللَّهُ .

فَرَأَيْتَ وَجْهَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَغَيَّرُ عِنْدَ ذَلِكَ حِمْرَةً ، حِيَاءً مِنْ أَخْذِهِ الْجَارِيَةِ وَأَخْذِهِ الْمَاءِ !

تَفَرَّدَ بِهِ أَبُو دَاوُدْ وَفِي إِسْنَادِهِ اخْتِلَافٌ .

قَلْتَ : وَكَانَتِ الْحَكْمَةُ الْإِلَهِيَّةُ تَقْضِيُّ أَنْ يُؤَخِّرَ الْفَتْحَ عَامِئَذَ ثَلَاثَ يُسْتَأْصِلُوا قَتْلًا ، لِأَنَّهُمْ قَدْ تَقْدَمُوا نَحْنُ عَلَيْهِ السَّلَامَ لَمَا كَانَ خَرَجَ إِلَى الطَّائِفَ فَدَعَاهُمْ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَإِلَى أَنْ يُؤَوَّهُوهُ حَتَّى

يبلغ رسالته عز وجل ، وذلك بعد موت عم أبي طالب فرثوا عليه قوله وكذا بفتح فرجع
مهموماً فلم يستفق إلا عند قرن الشعاب ، فإذا هو بفجوة وإذا فيها جبريل ، فناداه ملك
الجبار فقال : يا محمد إن ربك يقرأ عليك السلام ، وقد سمع قول قومك لك وما رددوا
عليك ، فإن شئت أن أطبق عليهم الأثثرين ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
« بل أستأني بهم لعل الله أنت تخرج من أصلابهم من يعبده وحده لا يشرك
به شيئاً » .

فناسب قوله : « بل أستأني بهم » ألا يفتح حضورهم لئلا يقتلوه عن آخرهم
وأن يؤخر الفتح ليقذموا بعد ذلك مسلمين في رمضان من العام المقبل . كما سيأتي بيانه إن شاء
الله تعالى .

فصل في مرجعه عليه السلام من الطائف ، وقصة غنائم هوازن التي أصابها

يوم حذين قبيل دخوله مكة معتمرا من الجُعرانة

قال ابن إسحاق : ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حين انصرف عن الطائف
على دحنا حتى نزل الجعرانة ففيمن معه من المسلمين ومعه من هوازن سبْيَ كثير ، وقد
قال له رجل من أصحابه يوم ظُعن عن ثقيف : يا رسول الله ادع عليهم . فقال : « اللهم
اهدِ ثقيفاً وأثتْ بهم ». .

قال : نَمْ أَتَاهُ وَفْدٌ هُوَ زَنْ بِالْجَعْرَانَةِ ، وَكَانَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ سَبْعِيْ هُوَ زَنْ بِسْتَةِ آلَافِ مِنَ الْذَّرَارِيِّ وَالنِّسَاءِ وَمِنَ الْإِبْلِ وَالشَّاءِ مَا لَا يُدْرِي عِدَّهُ .

قال ابن إسحاق : خذلني عمرو بن شعيب ، وفي رواية يونس بن بكيه عنه قال
عمرو بن شعيب عن أبيه ، عن جده : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمحن ،
فلمَّا أصاب من هوازن ما أصاب من أموالهم وسبا ياهم أدركه وقد هوازن بالجمرانة وقد
أسأموا ، فقالوا : يا رسول الله إنا أهل وعشيرة ، وقد أصابنا من البلاء مالم يخف عليك
فامنْ علينا مَنْ الله عليهك .

وقام خطيبهم زهير بن حرثأبو صرد فقال : يارسول الله إنما في الحظائر من السبأيا
حالاتك وحواضنك الملاقي كن يَكْفِيك ، ولو أنا ملحتنا لابن أبي شير أو النعمان بن المقدار
ثم أصابنا منها مثل الذي أصابنا منك رجونا عائذتكم وعطفتم ، وأنت رسول الله خير
الملائكة . ثم أنشأ يقول :

امْنَنْ عَلَى بَيْضَةٍ قَدْ عَاقَهَا قَدْرٌ
 مُمْزَقْ شَمْلَمْ — فِي دَهْرِهَا غَيْرُ
 أَبْقَتْ لَنَا الدَّهْرَ هَتَّافًا عَلَى حَزْنٍ
 عَلَى قُلُوبِهِمْ الْفَمَاءُ وَالْغَمَرُ
 يَا أَرْجُحَ النَّاسَ حِلَامًا حِينَ يُخْتَبِرُ
 إِنْنَنْ عَلَى نَسْوَةٍ قَدْ كَنْتَ تَرْضُصُهَا
 إِذْ فُوكَ تَنَوَّهَ مِنْ تَحْضُرِهَا الدُّرُّ
 امْنَنْ عَلَى نَسْوَةٍ قَدْ كَنْتَ تَرْضُصُهَا
 وَإِذْ يَرِيكَ مَا تَأْتَى وَمَا تَذَرُّ
 لَا تَجْعَلْنَا كَمْ شَالَتْ نَعَامَتْ —
 وَأَسْتَبَقْ مَنْا إِنَّا مُعْشَرَ زُهْرُ
 إِنَا لَنْشَكَرَ آلاً وَإِنْ كَفْرَتْ وَعَنْدَنَا بَعْدَ هَذَا الْيَوْمَ مُدَّخْرُ

قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نساوكم وأبناؤكم أحب إليكم أموالكم » فقالوا : يا رسول الله خيرتنا بين أحبابنا وأموالنا ؟ بل أبناؤنا ونساؤنا أحب إليينا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أَمَّا مَا كَانَ لِي وَلِبْنِي عَبْدِ الْمَطَلَّبِ فَهُوَ لَكُمْ ، وَإِذَا أَنَا صَلَّيْتُ بِالنَّاسِ فَقَوْمُوا فَقُولُوا : إِنَّا نَسْتَشْفِعُ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْمُسْلِمِينَ ؛ وَبِالْمُسْلِمِينَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَبْنَائِنَا وَنِسَائِنَا . فَإِنِّي سَأُعْطِيكُمْ عِنْدَ ذَلِكَ وَآسَلَ لَكُمْ » .

فَلَمَّا صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالنَّاسِ الظَّهَرَ قَامُوا فَقَالُوا مَا أَمْرُهُمْ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : « أَمَّا مَا كَانَ لِي وَلِبْنِي عَبْدِ الْمَطَلَّبِ فَهُوَ لَكُمْ » فَقَالَ الْمَهَاجِرُونَ : وَمَا كَانَ لَنَا فَهُوَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وَقَالَ الْأَنْصَارُ : وَمَا كَانَ لَنَا فَهُوَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وَقَالَ الْأَقْرَعُ بْنُ حَابِسَ : أَمَّا أَنَا وَبْنُو سَعِيمٍ فَلَا . وَقَالَ عُيَيْنَةُ : أَمَّا أَنَا وَبْنُو فَزَارَةٍ فَلَا . وَقَالَ الْعَبَاسُ بْنُ مِرْدَاسِ الشَّلْمِيَّ : أَمَّا أَنَا وَبْنُو سَعِيمٍ فَلَا . فَقَالَتْ بْنُو سَعِيمٍ : بَلْ مَا كَانَ لَنَا فَهُوَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . قَالَ يَقُولُ عَبَاسُ بْنُ مِرْدَاسِ
 لَبْنِي سَعِيمٍ : وَهَنَّقَمْوَنِي ؟

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من أمسك مثلك بمحفظته فله بكل إنسان ستة فرائض من أول في نصيبيه . فرددوا إلى الناس نسائهم وأبنائهم .

ثم كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم واتبعه الناس يقولون : يا رسول الله أقسم علينا فيما فَيَهْنَا . حتى اضطربوا إلى شجرة فانتزعت رداءه فقال : « أيها الناس ردوا على ردائي ، فوالذي نفسي في يده لو كان لكم عندى عدداً شجراً تهامة نعمماً لقسمته عليكم ، ثم ما أَفْيَتُمُونِي بخيلاً ولا جباناً ولا كذاباً ». .

ثم قام رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جنب بعير فأخذ من سفنه وبرة فجعلها بين إصبعيه ثم رفعها فقال : « أيها الناس والله ما لي من فَيَهْنَاكم ولا هذه الوربة إلا الخمس والخمس مردود عليكم ، فأدروا الحياط والخيط ، فإن الغلول عار ونار وشمار على أهل يوم القيمة ». .

فجاء رجل من الأنصار بـ^(١) كيكة من خيوط شعر فقال : يا رسول الله أخذت هذه لأخيط بها برذعة بعير لي دبر ^(٢) . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أما حقّ منها فلنك » فقال الرجل : أما إذا بلغ الأمر فيها فلا حاجة لي بها . فرمى بها من يده .

و هذا السياق يقتضي أنه عليه السلام رد إليهم سبئتهم قبل القسمة ، كما ذهب إليه محمد ابن إسحاق بن يسار ، خلافاً لموسى بن عقبة وغيره .

* * *

وفي صحيح البخاري من طريق الليث ، عن عقيل ، عن الزهرى ، عن عروة ، عن المسور بن تخرمة و مروان بن الحكم ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام حين جاءه وفد هوازن مسلمين فسألوا أن ترد إليهم أموالهم و نسائهم ، فقال لهم رسول الله صلى الله

(١) الكيكة : الخيوط المختممة .

(٢) الدبر : المفروج

عليه وسلم : « مَعِي مَنْ تَرَوْنَ ، وَأَحَبُّ الْمَدِيْث إِلَيْهِ أَصْدَقَهُ فَاخْتَارُوا إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ إِمَامَ السَّبَّيْنِ وَإِمَامَ الْمَالِ . وَقَدْ كَفَتْتَ اسْتَأْنَيْتُ بِكُمْ » .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم انتظارهم بعض عشرة ليلة حين قفل من الطائف، فلما تبيّن لهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم غير رادٍ إليهم أموالهم إلا إحدى الطائفتين قالوا : إننا نختار سبئينا .

فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسلمين وأثنى على الله بما هو أهل ثم قال : « أَمَا بَعْدَ ، فَإِنَّ إِخْوَانَكُمْ هُؤُلَاءِ قَدْ جَاءُوكُمْ تَائِبِينَ ، وَإِنِّي قَدْ رَأَيْتُ أَنْ أَرْدِ إِلَيْهِمْ سَبَّيْهِمْ ، فَنَّ أَحَبُّ أَنْ يَطِيبَ ذَلِكَ فَلَيَفْعُلَ ، وَمَنْ أَحَبَّ مِنْكُمْ أَنْ يَكُونَ عَلَى حُظُّهِ حَتَّى نُعْطِيهِ إِبَاهَ مِنْ أَوْلَى مَالِ يَبْقَى اللَّهُ عَلَيْهَا فَلَيَفْعُلَ » .

فقال الناس : قد طيّبنا ذلك يا رسول الله . فقال لهم : « إِنَّا لَا نَدْرِي مَنْ أَذِنَ مِنْكُمْ مَمْنُونَ لِمَ يَأْذِنُ ، فَارْجِعُوهَا حَتَّى يَرْفَعَ إِلَيْنَا عِرْفَاؤُكُمْ كُمْ » فرجعوا الناس فـ كلامهم عرفاوهم ثم رجعوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبروه بأنهم قد طيّبوا وأذنوا . فهذا ما بَلَغَنَا عَنْ سَبَّيْهِمْ هوازن .

ولم يتعرض البخاري لمنع الأقرع وعيمينة وقومهما ، بل سكت عن ذلك ، والثبت مقدّم على النافق فـ كيف الساكت .

وروى البخاري من حديث الزهري : أخبرني عمر بن محمد بن جبير بن مطعم ، عن أبيه ، أخبره جبير بن مطعم أنه بينما هو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه الناس مَقْفَلَهُ من حنين عَلِيقَتُ الْأَعْرَابِ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِسَلْوَنَهُ ، حتَّى اضطربوه إلى شجرة خطفت رداءه ، فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال : « أَعْطُونِي رِدَائِي فلو كان عدد هذه العصاة نفعاً لقصمتهم بِيَنْكُمْ ، ثُمَّ لَا تَجِدُونِي بِخِيلًا وَلَا كَذِبَابًا وَلَا جَبَانًا » . تفرد به البخاري .

وقال ابن إسحاق : وحدثني أبو وجرة يزيد بن عبيد السعدي ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطى على بن أبي طالب جارية يقال لها رينطة بنت هلال بن حيأن بن عميرة ، وأعطى عثمان بن عفان جارية يقال لها زينب بنت حيأن بن عمرو بن حيأن ، وأعطى عمر جارية فوهبها من ابنته عبد الله .

وقال ابن إسحاق : خدثني نافع ، عن عبد الله بن عمر قال : بعثت بها إلى أخوالى من بنى جمـع ليصلحوا لى منها ويهبـونـها حتى أطوف بالبيـت ثم آتـهمـ وأنا أـريدـ أن أصـيـبـهـاـ إذاـ رـجـمـتـ إـلـيـهـاـ ، قـالـ : بـقـيـتـ مـنـ الـمـسـجـدـ حـيـنـ فـرـغـتـ فـإـذـاـ النـاسـ يـشـقـدـونـ فـقـلـتـ : مـاـ شـأـنـكـ ؟ـ قـالـوـارـدـ عـلـيـنـاـ رـسـوـلـ اللـهـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ نـسـاءـنـاـ وـأـنـاءـنـاـ .ـ قـلـتـ : تـأـكـمـ صـاحـبـتـكـ فـبـنـيـ جـمـعـ فـاذـهـبـواـ فـخـذـوـهـاـ .ـ فـذـهـبـواـ إـلـيـهـاـ فـأـخـذـوـهـاـ .ـ

قال ابن إسحاق : وأما عبيدة بن حصن فأخذ عجوزاً من عجائز هوازن وقال حين أخذها : أرى عجوزاً إنى لأحسب لها في الحـيـ نـسـباـ وـعـسـىـ أـنـ يـعـظـمـ فـدـأـهـاـ .ـ فـلـمـ اـرـدـ رسولـ اللـهـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ السـبـاـيـاـ بـسـتـ فـرـائـضـ أـبـيـ أـنـ يـرـدـهـاـ ،ـ فـقـالـ لـهـ زـهـيرـ بـنـ صـرـدـ :ـ خـذـهـاـ عـنـكـ فـوـالـلـهـ مـاـ فـوـهـاـ بـيـارـدـ ،ـ وـلـاـ ثـدـيـهـاـ بـنـاهـدـ ،ـ وـلـاـ بـطـنـهـاـ بـوـالـدـ ،ـ وـلـاـ زـوـجـهـاـ بـوـاجـدـ ،ـ وـلـاـ دـرـهـاـ بـمـاـ كـيدـ^(١)ـ ،ـ إـنـكـ مـاـ أـخـذـتـهـاـ وـالـلـهـ يـبـضـاءـ غـرـيـرـةـ وـلـاـ نـصـفـاـ وـثـيـرـةـ .ـ فـرـدـهـاـ بـسـتـ فـرـائـضـ .ـ

* * *

قال الواقدى : ولما قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم الغنائم بالجمرانة أصاب كلَّ رجل أربعَ من الإبل وأربعون شاة .

وقال سامة عن محمد بن إسحاق عن عبد الله بن أبي بكر أن رجلاً من شهد حنيناً قال :

(١) كـدـ :ـ الغـزـيرـ .

والله إني لأُسِيرُ إلَى جنْبِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى نَاقَةٍ لِي وَفِي رَجْلِي نَعْلٌ غَلِيلَةٌ
إِذْ زَحَّمْتُ نَاقَتِي نَاقَةً رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَيَقْعُدُ حَرْفُ نَعْلِي عَلَى سَاقِ رَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَوْجَمَهُ ، فَقَرَعَ قَدْمِي بِالسُّوْطِ وَقَالَ : « أَوْجَمْتَنِي فَتَأْخَرْ عَنِي »
فَانْصَرَفَ فَلَمَا كَانَ الْفَدْ إِذَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْتِمْسَنِي قَالَ : قَلْتُ : هَذَا وَاللَّهُ
لَمَّا كَنْتُ أَصْبَتُ مِنْ رَجُلٍ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْأَمْسِ . قَالَ : فَبَثَثْتُهُ وَأَنَا
أَتُوقَعُ ، فَقَالَ : « إِنَّكَ أَصْبَتَ رَجُلًا بِالْأَمْسِ فَأَوْجَمْتَنِي فَقَرَعْتُ قَدْمَكَ بِالسُّوْطِ فَدَعَوْتُكَ
لِأُعَوِّضَكَ مِنْهَا » فَأَعْطَانِي ثَمَانِينَ نَعْجَةً بِالضَّرْبَةِ الَّتِي ضَرَبْتُنِي .

وَالْمَقصُودُ مِنْ هَذَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَدَ إِلَى هَوَازِنِ سَبِيهِمْ بَعْدَ
الْقِسْمَةِ كَمَا دَلَّ عَلَيْهِ السِّيَاقُ وَغَيْرُهُ .

وَظَاهِرُ سِيَاقِ حَدِيثِ عُمَرَ بْنِ شَعِيبِ الَّذِي أَوْرَدَهُ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ
جَدِهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَدَ إِلَى هَوَازِنِ سَبِيهِمْ قَبْلَ الْقِسْمَةِ ، وَلِهَذَا مَا رَدَ
السَّبِيْ وَرَكَبَ عَلْقَتَ الْأَعْرَابَ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُونَ لَهُ : أَقْسَمْ عَلَيْنَا
فِيمَا حَتَّى اضْطَرَرْوَهُ إِلَى سَمَرَةِ نَخْفَفَتْ رَدَاءُهُ فَقَالَ : « رَدَوا عَلَى رَدَائِنِي أَيْهَا النَّاسُ ،
فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ كَانَ لِكُمْ عَدْدُ هَذِهِ الْعَضَاهُ نَعْمًا لِقِسْمَتِهِ فِيهِمْ كُمْ لَا تَجْدُونِي بِخِيلًا
وَلَا جِبَانًا وَلَا كَذَابًا » .

كَارِوَاهُ الْبَخَارِيُّ عَنْ جَبِيرِ بْنِ مَطْعَمٍ بَنْجُوهُ .

وَكَانُوهُمْ خَشِوا أَنْ يَرُدَّ إِلَى هَوَازِنِ أَمْوَالِهِمْ كَارِدُ إِلَيْهِمْ نَسَاءُهُمْ وَأَطْفَالُهُمْ ، فَسَأَلَوْهُ نَسَمَةٌ
ذَلِكَ قِسْمَهَا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِالْجَعْرَانَةِ كَمَا أَمْرَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ، وَآثَرَ أَنَاسًا فِي الْقِسْمَةِ
وَتَأَلَّفَ أَقْوَامًا مِنْ رُؤَسَاءِ الْقَبَائِلِ وَأَمْرَائِهِمْ ، فَعَقَبَ عَلَيْهِ أَنَاسٌ مِنَ الْأَنْصَارِ حَتَّى خَطَبُوهُمْ
وَبَيْنَ لَهُمْ وَجْهُ الْحَكْمَةِ فِيمَا فَعَلَهُ تَطْبِيقًا لِقَلْوَاهُمْ .

ونقدَّ بعضُ من لا يعلم من الجهلة والخوارج كذى الخويصرة وأشباهه قبحه الله ، كما سيأتي تفصيله وبيانه في الأحاديث الواردة في ذلك وبالله المستعان .

* * *

قال الإمام أحمد : حدثنا عاصم ، حدثنا معتمر بن سليمان ، سمعت أبي يقول حدثنا السميط السدّوسي ، عن أنس بن مالك قال : فتحنا مكة ثم إنا غزونا حينئذ خباء المشركين بأحسن صنوف رأيت ، فصفت الخيل ، ثم صفت المقاتلة ، ثم صفت النساء من وراء ذلك ، ثم صفت الغنم ، ثم النعم . قال : ونحن بشر كثير قد بلغنا سنته آلاف وعلى مجنبة خيلنا خالد بن الوليد ، قال : فعملت خيلنا تلوذ خلف ظهورنا ، قال : فلم نلبث أن انكشف خيلنا وفرّت الأعراب ومن نعلم من الناس ، قال فنادى رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا للمهاجرين يا للمهاجرين يا للأنصار ؟

قال أنس : هذا حديث عمه^(١) قال : قلنا لبيك يا رسول الله . قال : وتقديم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال وأيم الله ما أتيتكم حتى هزمهم الله .
قال : فقبضنا ذلك المال ثم انطلقنا إلى الطائف فحاصرناهم أربعين ليلة ثم رجعنا إلى مكة . قال : فنزلنا فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطي الرجل المائة ويعطي الرجل المائتين .

قال : فتحدث الأنصار يعندها : أما من قاتله فيعطيه ، وأما من لم يقاتله فلا يعطيه !

رفع الحديث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أمر بسرارة المهاجرين والأنصار أن يدخلوا عليه ثم قال : « لا يدخلن على إلا أنصارى أو الأنصار » قال : فدخلنا القبة

حتى ملأناها ، قال نبى الله صلى الله عليه وسلم : « يا معاشر الأنصار » أو كما قال : « ما حديث أتاني ؟ » قالوا : ما أتاك يا رسول الله ؟ قال : « ما حديث أتاني » قالوا : ما أتاك يا رسول الله ؟

قال : « ألا ترضون أن يذهب الناس بالأموال وتذهبون برسول الله حتى تدخلوه بيوتكم ؟ » قالوا : رضينا يا رسول الله ، قال : فرضوا أو كما قال . وهكذا رواه مسلم من حديث معتمر بن سليمان .

وفيه من الغريب قوله : أنهم كانوا يوم هوازن ستة آلاف وإنما كانوا اثنتي عشر ألفاً ، وقوله : « إنهم حاصروا الطائف أربعين ليلة » وإنما حاصرواها قريباً من شهر دون المشرين ليلة . فالله أعلم .

وقال البخاري : حدثنا عبد الله بن محمد ، حدثنا هشام ، حدثنا معمر ، عن الزهرى ، حدثنى أنس بن مالك ، قال : قال ناس من الأنصار حين أفاء الله على رسوله ما أفاء من أموال هوازن ، فطفق النبي صلى الله عليه وسلم يعطي رجالاً المائة من الإبل ، فقالوا : يغفر الله لرسول الله صلى الله عليه وسلم يعطي قريشاً ويتركنا وسيوفنا تقطّر من دمائهم !

قال أنس بن مالك : فجحدَّت رسول الله صلى الله عليه وسلم بمقاتلتهم ، فأرسل إلى الأنصار فجمعهم في قبة أدم ولم يدع معهم غيرهم ، فلما اجتمعوا قام النبي صلى الله عليه وسلم فقال : « ما حديث بلغني عنكم ؟ » قال فقهاء الأنصار : أما رؤساً نا يا رسول الله فلم يقولوا شيئاً ، وأما ناس منا حديثة أسنائهم فقالوا : يغفر الله لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، يعطي قريشاً ويتركنا وسيوفنا تقطّر من دمائهم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فإني لأعطي رجالاً حديثي عهد بـ كفـرـ أـنـاثـهـمـ ، أمـاـ تـرـضـونـ أـنـ يـذـهـبـ

الناس بالأموال وتذهبون بالنبي إلى رحالكم ؟ فوالله لما تنقلبون به خيراً مما ينقلبون به » قالوا : يا رسول الله قد رضينا ، فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم : « فستجدون أثرة شديدة فاصبروا حتى تلقوا الله ورسوله فإني على الحوض » قال أنس : فلم يصبروا .

تفرد به البخاري من ١٣ الوجه .

ثم رواه البخاري ومسلم من حديث ابن عوف ، عن هشام بن زيد ، عن جده أنس بن مالك ، قال : لما كان يوم حنين التقى هوانن ومع النبي صلى الله عليه وسلم عشرة آلاف والطلقاء فأذبروا ، فقال : « يا معاشر الأنصار » قالوا : ليبيك يا رسول الله وسعديك ليبيك نحن بين يديك . فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « أنا عبد الله ورسوله » فانهزم المشركون فأعطى الطلقاء والمهاجرين ولم يعط الأنصار شيئاً ، فقالوا ، فدعهم فأدخلتهم في قبته فقال : « أما ترضون أن يذهب الناس بالشاة والبعير وتذهبون برسول الله ؟ » صلى الله عليه وسلم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لو سلك الناس وادياً وسلكت الأنصار شعباً لسلكت شعبَ الأنصار » .

وفي رواية للبخاري من هذا الوجه قال : لما كان يوم حنين أقبلت هوانن وغطفان وغيرهم بنعمتهم وذرارتهم ، ومع رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة آلاف والطلقاء ، فأذبروا عنه حتى بقي وحده ، فنادى يومئذ نداءين لم يخالط بينهما ، التفت عن يمينه فقال : « يا معاشر الأنصار » قالوا : ليبيك يا رسول الله أبشر نحن معك . ثم التفت عن يساره فقال : « يا معاشر الأنصار » فقالوا : ليبيك يا رسول الله أبشر نحن معك ، وهو على بغلة بيضاء ، فنزل فقال : « أنا عبد الله ورسوله » .

فانهزم المشركون وأصاب يومئذ مفاجأة كثيرة فقسم بين المهاجرين والطلقاء ولم يعط الأنصار شيئاً ، فقالت الأنصار : إذا كانت شديدة فنحن ندعى ويعطى الفنية غيرنا !

فبلغه ذلك فجمعهم في قبة فقال : « يا عشر الأنصار ما حدثكم بلغني ؟ » فسكتوا فقال : « يامعشر الأنصار ألا ترثون أن يذهب الناس بالدنيا وتذهبون برسول الله تحيزونه إلى بيوتكم ؟ » قالوا : بلى . فقال : « لو سلك الناس وادياً سلكت الأنصار شعباً لسلكت شعب الأنصار » . قال هشام : قلت : يا أبا حمزة وأنت شاهد ذلك ؟ قال : وأين أغيب عنه ؟

نعم رواه البخاري ومسلم أيضاً من حديث شعبة عن قتادة عن أنس قال : جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم الأنصار فقال : « إن قريشاً حدثو عهده بجاهليه ومصيبة ، وإني أردت أن أجبرهم وأنألفهم ، أما ترثون أن يرجع الناس بالدنيا وترجعون برسول الله إلى بيوتكم ؟ » قالوا : بلى . قال : « لو سلك الناس وادياً سلكت الأنصار شعباً لسلكت واديَ الأنصار أو شعب الأنصار » .

وآخر جاه أيضاً من حديث شعبة عن أبي التّيّاح يزيد بن حميد ، عن أنس بن حموده وفيه فقالوا : والله إن هذا لهو العجب ! إن سيفونا لتفطر من دمائهم والفناء تقسم فيهم ، نخطفهم وذكر نحو ما تقدم .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عفان ، حدثنا حماد ، حدثنا ثابت ، عن أنس بن مالك ، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطى أبا سفيان وعيينة والأقرع وسميل بن عمرو في آخر يوم حنين ، فقالت الأنصار : يا رسول الله سيفونا لتفطر من دمائهم وهم يذهبون بالغم ؟ فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم ، فجمعهم في قبة له حتى فاضت فقال : « فيكم أحد من

غيركم؟» قالوا : لا إلا ابن أختنا ، قال : « ابن أخت القوم منهم » ثم قال : « أقتلم كذا وكذا؟» قالوا : نعم . قال : « أنت الشعاع والناس الدثار ، أما ترضون أن يذهب الناس بالشاء والبعير وتذهبون برسول صلى الله عليه وسلم إلى دياركم؟» قالوا : بلى . قال : الأنصارُ كُرِشَى وعَيْبَتِى ، لو سلك الناس وادياً وسلكَت الأنصار شعباً لسلكَت شعبهم ، ولو لا المجرة لكفت أمراً من الأنصار ». .

وقال : قال حماد : أعطى مائةً من الإبل فسمى كلَّ واحد من هؤلاء .
تفرد به أحد من هذا الوجه وهو على شرط مسلم .

وقال الإمام أحمد : حدثنا ابن أبي عدى ، عن حميد ، عن أنس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يامعشر الأنصار ألم آتكم ضللاً فهداكم الله بي؟ ألم آتكم متفرقين بجمعكم الله بي ، ألم آتكم أعداء فألف الله بين قلوبكم؟» قالوا : بلى يا رسول الله قال : « أفلأ تقولون : جئتنا خائفاً فأنناك ، وطريداً فآويناك ، ومخذلاً فنصرناك؟» قالوا : بلى الله المثل علينا ولرسوله .

وهذا إسناد ثلاني على شرط الصحيحين .

* * *

فهذا الحديث كالتواتر عن أنس بن مالك .
وقد روى عن غيره من الصحابة .

قال البخاري : حدثنا موسى بن إسماعيل ، حدثنا وهيب ، حدثنا عمرو بن يحيى ، عن عباد بن تميم ، عن عبد الله بن زيد بن عاصم ، قال : لما أفاء الله على رسوله صلى الله عليه وسلم يوم حنين قسم في الناس في المؤلفة قلوبهم ولم يعطِ الأنصار شيئاً ، فكان لهم وجدوا في أنفسهم إذ لم يصبهم ما أصاب الناس ، فخطبهم فقال : « يامعشر الأنصار ألم أجدكم ضللاً فهداكم الله بي؟ وكنتم متفرقين فألفكم الله بي؟ وعالاً فأغنناكم الله بي؟» كلما قال شيئاً قالوا : الله ورسوله أمن .

قال : « لو شئتم قلتم : جئناكذا وكذا . أما ترضون أن يذهب الناس بالشأن والبعير وتذهبون برسول الله إلى رحالكم ؟ لو لا المиграة لكتت أمراء من الأنصار ، ولو سلك الناس وادياً وشعباً لسلكت وادى الأنصار وشعبها ، الأنصار شعارات والناس دثار ، إنكم ستلقون بعدى أثرة فاصبروا حتى تلقون على الحوض » .
ورواه مسلم من حديث عمرو بن يحيى المازني به .

وقال يونس بن بكير ، عن محمد بن إسحاق ، حدثني عاصم بن عمر بن قنادة ، عن محمود بن ليبيد ، عن أبي سعيد الخدري قال : لما أصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الغنائم يوم حنين وقسم للقاتلتين من قريش وسائر العرب ما قسم ، ولم يكن في الأنصار منها شيء قليل ولا كثير ، وجد هذا الحي من الأنصار في أنفسهم حتى قال قائل لهم : لق والله رسول الله قومه ! فتشى سعد بن عبادة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله إن هذا الحي من الأنصار قد وجدوا عليك في أنفسهم . فقال : « فيم ؟ » قال : فيما كان من قسمك هذه الغنائم في قومك وفي سائر العرب ولم يكن فيهم من ذلك شيء . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فأين أنت من ذلك يا سعد ؟ » قال : ما أنا إلا امرؤ من قومي . قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فاجمع لي قومك في هذه الحظيرة فإذا اجتمعوا فأعلمني » . فخرج سعد فصرخ فيهم فجمعهم في تلك الحظيرة فجاءه رجل من المهاجرين فأذن له فدخلوا ، وجاء آخرون فرددوا حتى إذا لم يبق من الأنصار أحد إلا اجتمع له أتاه فقال : يا رسول الله قد اجتمع لك هذا الحي من الأنصار حيث أمرتني أن أجمعهم .

فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام فيهم خطيباً خمداً الله وأثنى عليه بما هو أهل ثم قال : « يامعاشر الأنصار ألم آتكم ضلالاً فهذا كم الله ، وعاللةً فأغناكم الله ، وأداءً فالف الله بين قلوبكم ؟ » قالوا : بلى . ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« ألا تجتبيون يامعشر الأنصار؟ » قالوا : وما نقول يارسول الله؟ وبماذا نجتبيك؟
المنَّا لِلله وَرَسُولِهِ . قال : « وَالله لَوْ شِئْتَ لَقَلْمَنْ فَصَدَقَتْمُ وَصَدَقْتُمْ : جَئْنَا طَرِيدًا فَأَوْيَنَاكُ ،
وَعَائِلًا فَآسِدِنَاكُ ، وَخَائِفًا فَأَمْنَاكُ ، وَمُخْذِلًا فَنَصَرَنَاكُ » فقالوا : المنَّا لِلله وَرَسُولِهِ .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أوجدتُم في نفوسكم يامعشر الأنصار في
لغاية من الدنيا تألفتُ بها قوماً أسلموا وَكُلْتُمُ إلَى ماقسم الله لكم من الإسلام ،
أفلا ترضون يامعشر الأنصار أن يذهب الناس إلى رحالم بالشاء والبعير وتذهبون
برسول الله إلى رحالكم ، فوالذي نفسي بيده لو أن الناس سَلَكُوا شِعْبَانَا وَسَلَكْتُ
الأنصار شِعْبَانَا لَسَلَكْتُ شعب الأنصار ، ولو لا المиграة لَكُنْتُ امْرِئًا من الأنصار ،
اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار ». .

قال : فبُسْكَيَ الْقَوْمُ حَتَّى أَخْضَلُوا لَهُمْ وَقَالُوا : رَضِينَا بِاللهِ رَبِّنا وَرَسُولِهِ قَسْمًا .
ثُمَّ انصرف وَتَفَرَّقُوا .

وهكذا رواه الإمام أحمد من حديث ابن إسحاق ، ولم يروه أحد من أصحاب
الكتب من هذا الوجه ، وهو صحيح .

وقد رواه الإمام أحمد ، عن يحيى بن بکير ، عن الفضل بن مرزوق ، عن عطية بن
سعد العوفي ، عن أبي سعيد الخدري ، قال رجل من الأنصار لأصحابه : أَمَا وَالله لَقَدْ
كُنْتُ أَحَدُكُمْ أَنَّهُ لَوْ اسْتَقَامَتِ الْأُمُورُ قَدْ آتَرَ عَلَيْكُمْ ، قال : فَرَدُوا عَلَيْهِ رَدًّا عَنِيفًا
فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءهم فقال لهم أشياء لا أحفظها ، قالوا : بلى
يارسول الله ، قال : « وَكُنْتُمْ لَا تَرْكِبُونَ الْخَيْلَ » وكما قال لهم شيئاً قالوا : بلى يارسول
الله ثم ذكر بقية الخطبة كما تقدم .

تفرد به أحمد أيضاً .

وهكذا رواه الإمام أحمد منفرداً به من حديث الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي

سعید بنحوه . ورواه أَحَد أَيْضًا عن موسى بن عقبة عن ابن أَبِي زِيْرَةَ عن جابر مختصرًا .

* * *

وقال سفيان بن عيينة ، عن عمر بن سعید بن مسروق ، عن أَبِيهِ ، عن عبایة بن رافع بن خَدِیج ، عن جده رافع بن خَدِیج ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّی اللَّهُ عَلَیْهِ وَسَلَّمَ أَعْطَیَ الْمُؤْلَفَةَ قَلْوَبَهُمْ مِنْ سَبْتَ حَنْبَلٍ مائةً مائةً مائةً ، وَأَعْطَیَ أَبَا سَفِیانَ بْنَ حَرْبَ مائةً ، وَأَعْطَی صَفْوَانَ بْنَ أَمِیَّةَ مائةً ، وَأَعْطَی عَیینَةَ بْنَ حَصْنَ مائةً ، وَأَعْطَی الْأَقْرَعَ بْنَ حَابِسَ مائةً ، وَأَعْطَی عَلْقَمَةَ بْنَ عَلَّاثَةَ مائةً ، وَأَعْطَی مَالِكَ بْنَ عَوْفَ مائةً ، وَأَعْطَی الْعَبَاسَ بْنَ مِرْدَاسَ دون المائة ، ولم يبلغ به أولئك فأناشأ يقول :

أَتَحْمَلُ تَهْبِي وَنَهْبَ الْعَبِيدِ بَيْنَ عُيِّنَةَ وَالْأَقْرَعِ^(١)
 فَاسْكَنْ حِصْنَ وَلَا حَابِسَ يَفْوَقُهُ مَرْدَاسَ فِي الْجَمَعِ
 وَمَا كَفَتُ دُونَ امْرَئٍ مِنْهُمَا وَمَنْ تَخَفَّضَ إِلَيْهِ الْيَوْمَ لَا يُرْفَعَ
 وَقَدْ كَفَتُ فِي الْحَرْبِ ذَاتُدْرَأَ فَلَمْ أُعْطَ شَيْئًا وَلَمْ أَمْنَعَ^(٢)
 قَالَ : فَأَتَمْ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّی اللَّهُ عَلَیْهِ وَسَلَّمَ مائةً .

رواه مسلم من حديث ابن عيينة بنحوه وهذا لفظ البهقي .

وف رواية ذَكَرَهَا مُوَمِّي بْنُ عَقبَةَ وَعُرُوْةَ بْنَ الزِّيْرَ وَابْنَ إِسْحَاقَ قَالَ :
 كَانَتْ نِهَابًا تَلَافِيَتْهُمْ بَكْرَى عَلَى الْمَهْرَ فِي الْأَجْرَعِ^(٣)
 وَإِبْقَاعَ الْحَيَّ أَنْ يَرْقُدُوا إِذَا هَجَّ النَّاسُ لَمْ أَهْجِمُ
 فَأَصْبَحَ تَهْبِي وَنَهْبُ الْعَبِيدِ بَيْنَ عُيِّنَةَ وَالْأَقْرَعِ

(١) النهب : العطاء من الغنيمة . (٢) ذا تدرأ : ذا دفع .

(٣) النهاب : جمع نهب . والأجرع : الأرض ذات الحزونة .

وقد كفت في الحرب ذات دُرَّا فلم أُعطِ شيئاً ولم أمنع
إلا أفالٌ أعطيتها عديداً قوائماً الأربعماء^(١)
وما كان حِصْنٌ ولا حَابِسٌ يَفْوَقُانَ مِرْدَاسَ فِي الْجَمْعِ
وَمَا كَنْتُ دُونَ امْرِئٍ مِنْهُمَا وَمَنْ تَضَعَّ الْيَوْمَ لَا يُرْفَعُ

قال عروة وموسى بن عقبة عن الزهرى : فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال له : « أنت القائل أصبحْ هَبِي ونهب العبيد بين الأقرع وعيبة ؟ »

فقال أبو بكر : ماهكذا قال يارسول الله ، ولكن والله ما كفتَ بشاعر وماينبغى
لك . فقال : « كيف قال ؟ » فأنشده أبو بكر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« هَمَ سَوَاءٌ مَا يَضْرُكُ بِأَيْمَانِهِ بِأَيْمَانِهِ بِدَأْتُ »

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اقطعوا عن لسانه » فخشى بعض الناس
أن يكون أراد المثلثة به وإنما أراد النبي صلى الله عليه وسلم العطية . قال :
وعبيده فرسه .

* * *

وقال البخارى : حدثنا محمد بن العلاء ، حدثنا أسماء ، عن بُرَيْدَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، عن
أبِي بُرْدَةَ ، عن أبِي مُوسَى قال : كفت عند النبي صلى الله عليه وسلم وهو نازل بالجعرانة
بين مكة والمدينة^(٢) ومعه بلال ، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم أعرابياً فقال :
أَلَا تُنْجِزُ لِي مَا وَعْدَنِي ؟ فقال له « أبشر » فقال : قد أكثرتَ علىَّ مِنْ أَبْشِرَ !

فأقبل على أبي موسى وبلال كمية النضبان فقال : « ردَّ الْبُشْرِيَّ فاقبِلَا أَنْتَما » ثم دعا

(١) الأفال : الصعاف من الإبل .

(٢) قال القسطلاني : قال الداودي : وهو وهم والصواب بين مكة والطائف ، وبه جزم الندوى وغيره
إرشاد السارى ٤١٠ / ٦ .

بقدح فيه ماء ففصل يديه ووجهه فيه ومجّ فيه ، ثم قال « اشربا منه وأفرغا على وجهك ونحوه كا وأبشرنا » فأخذوا القدح ففعلا ، فنادت أم سلمة من وراء الستر : أفضلا لأمكما .

فأفضلاها منه طائفة .

هكذا رواه .

وقال البخاري : حدثنا يحيى بن بُكير ، حدثنا مالك ، عن إسحاق بن عبد الله ، عن أنس بن مالك قال : كفت أمشى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه بُرد نجاني غليظ الحاشية . فأدركه أعرابي فجذبه جذبة شديدة حتى نظرت إلى صفة عائق رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أثرت به حاشية الرداء من شدة جذبه ، قال : مُرْلِي من مال الله الذي عندك ، فالتفت إليه فضحك ثم أمر له بعطاء .

* * *

وقد ذكر ابن إسحاق الذين أعطاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ مائة من الإبل ، وهم : أبو سفيان صخر بن حرب ، وابنه معاوية ، وحكيم بن حزام ، والحارث بن كلدة أخو بنى عبد الدار ، وعلقمة بن علاء ، والعلاة بن حارثة التقي حليف بنى زهرة ، والحارث بن هشام ، وجعيل بن مطعم ، ومالك بن عوف النصري ، وسميل بن عمرو ، وحويطب بن عبد العزى ، وعيينة بن حصن ، وصفوان بن أمية ، والأقرع ابن حابس .

قال ابن إسحاق : وحدثني محمد بن إبراهيم بن الحارث التميمي أن قائلًا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم من أصحابه : يا رسول الله أعطيت عيينة والأقرع مائة مائة وتركت جعيل بن سرقة الصمرى ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أما والذى نفس محمد بيده لجعيل خير من طلائع الأرض كلهم مثل عيينة والأقرع ، ولكن تألفتم ما ليس لمنا ،

وَكَلَّتْ جَعْمَلَةُ بْنُ سَرَاقةَ إِلَى إِسْلَامِهِ .

نَمْ ذَكَرَ أَبْنَ إِسْحَاقَ مِنْ أَعْطَاهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دُونَ الْمِائَةِ مِنْ بَطْوَلِ ذَكْرِهِ .

وَفِي الْحَدِيثِ الصَّحِيفَعْنَصَفَوَانَ بْنَ أُمَيَّةَ أَنَّهُ قَالَ : مَا زَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْطِينِي مِنْ غَنَمَ حَنِيفَ وَهُوَ أَبْعَضُ الْخَلْقِ إِلَىٰ حَتَّىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ شَيْئًا أَحَبَّ إِلَىٰ مَنِّهِ .

ذَكْرُ قَدْوَمِ مَالِكَ بْنِ عَوْفِ التَّصْرِيِّ عَلَىٰ

رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

قَالَ أَبْنَ إِسْحَاقَ : وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَوْفَدْ هُوَازِنْ وَسَأْلَمْ عَنْ مَالِكَ أَبْنَ عَوْفَ : مَا فَعَلْ ؟ قَالُوا : هُوَ بِالظَّاهِرِ مَعْ تَقِيفٍ . قَالَ : « أَخْبِرُوهُ إِنَّ أَنْتُنَى مُسْنَدًا رَدَدْتُ إِلَيْهِ أَهْلَهُ وَمَالِهِ وَأَعْطَيْتُهُ مِائَةً مِنَ الْإِبْلِ » .

فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ مَالِكًا اَنْسَلَّ مِنْ تَقِيفٍ حَتَّىٰ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ بِالْجَمْرَانَةِ - أَوْ بِمَكَّةَ - فَأَسْلَمَ وَحْسَنَ إِسْلَامَهُ ، فَرَدَّ عَلَيْهِ أَهْلَهُ وَمَالِهِ . وَلَا أَعْطَاهُ مِائَةً قَالَ مَالِكَ بْنُ عَوْفٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

مَا إِنْ رَأَيْتُ وَلَا سَمِعْتُ بِهِنْلَهِ فِي النَّاسِ كُلِّهِمْ بِهِنْلَهِ مُحَمَّدٌ
أَوْفَ وَأَعْطَى لِلْجَزِيلِ إِذَا اجْتَدَى وَمَتِي تَشَأُّ يُخْبِرُكَ عَمَّا فِي غَدِيرِ
وَإِذَا الْكَتَبِيَّةُ عَرَدَتْ أَنْيَابُهَا بِالسَّمَهِرِيِّ وَضَرَبَ كُلَّ مُهَنْدِدٍ
فَكَأُنَّهُ لَيَثُّ عَلَى أَشْبَالِهِ وَسَطَ الْهَبَاءَةَ خَادِرٌ فِي مَرْصَدٍ

قَالَ : وَاسْتَعْمَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَىٰ مِنْ أَسْلَمَ مِنْ قَوْمِهِ وَتَلَكَ الْقَبَائِلَ
عُمَالَةً وَسَلِيمَةً^(١) وَفَهْمَ ، فَكَانَ يَقْاتِلُ بَهْمَ شَقِيقًا لَا يَخْرُجُ لَهُمْ سَرَحٌ إِلَّا أَغْارَ عَلَيْهِ حَتَّىٰ

(١) عَرَدَتْ : اشْتَدَتْ وَضَرَيْتْ . (٢) الْهَبَاءَةَ : غَيْرُ الْحَرْبِ . وَالْخَادِرُ : الْمَقِيمُ فِي عَرِينِهِ .

(٣) هَكَذَا ضَبَطَهُ السَّمَهِلِيُّ وَقَالَ : وَالْعَرْوَفُ فِي قَبَائِلِ قَبَسِ سَلِيمَةَ بِالْفَتْحِ ، إِلَّا أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْأَزَدِ .

ضيق عليهم .

وقال البخاري : حدثنا موسى بن إسماعيل ، حدثنا جرير بن حازم ، حدثنا الحسن ، حدثني عمرو بن تغلب قال : أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم قوماً ومنع آخرين فكلُّهم عتبوا عليه فقال : « إنَّمَا أَعْطَى قَوْمًا أَخَافُهُمْ وَجِزَّهُمْ وَأَكْلُ قَوْمًا إِلَى مَا جَعَلَ اللَّهُ فِي قَوْبَاهُمْ مِنَ الْخَيْرِ وَالْغَنِيَّةِ مِنْهُمْ عَمَرُو بْنُ تَغْلِبٍ ». .

قال عمرو : فما أحب أن لي بكلمة رسول الله صلى الله عليه وسلم حمر النعم . زاد أبو عاصم ، عن جرير ، سمعت الحسن حدثنا عمرو بن تغلب ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى بمال - أو سبي - فقسمه بهذا .

وفي رواية للبخاري قال : أتى رسول الله بمال - أو بشيء - فأعطى رجالاً وترك رجالاً ، فبلغه أن الذين ترك عتبوا ، نفط لهم خمداً الله وأثنى عليه ثم قال : « أما بعد » فذكر مثله سواء .

فرد به البخاري ^(١) .

وقد ذكر ابن هشام أن حسان بن ثابت رضي الله عنه قال فيما كان من أمر الأنصار وتأخرهم عن الغنية :

سَحَّا إِذَا حَقَّتِهِ عَبْرَةُ دَرِّ هَنِيفَاءِ لَا ذَنْنَ فِيهَا وَلَا خَوْرَ نَزَّرَا وَشَرَّ وَصَالِ الْوَاصِلُ التَّرَزُّ لِلْمُؤْمِنِينَ إِذَا مَا عُدَّ الْبَشَرُ قُدَّامَ قَوْمٍ آتَوْا وَمَنْ نَصَرُوا	زَادَ الْهُمَومَ فَاهِ الْعَيْنُ مَنْحُدُرُ وَجَدَأَ بَشَّاءَ إِذْ شَمَاءَ بَهْكَنَةُ دَعَ عَنْكَ شَمَاءَ إِذْ كَانَتْ مُودَّهَا وَأَئَتَ الرَّسُولَ وَقَلْ يَا خَيْرَ مُؤْمِنَ عَلَامَ تُدْعِي سَلَيمٌ وَهِي نَازِحَةُ
---	---

(١) هذا الحديث مؤخر في ت بعد القصيدة .

(٢) ابن هشام : زادت هموم . .

(٣) المكنة : الشابة الغضة . والذنن : الفذر . والخور : الضعف . وفي ا : شنباء .

سَمَاهُمُ اللَّهُ أَنْصَارًا بِنَصْرِهِ
دِينَ الْمَهْدِيِّ وَعَوْانُ الْحَرْبِ تَسْتَعِرُ
وَسَارَ عَوْا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْتَرَضُوا
لِلْفَانِيَاتِ وَمَا خَانُوا وَمَا ضَجَّرُوا
وَالنَّاسُ إِلَّا عَلِمْيَا فِيكَ لَيْسَ لَنَا
نَجَالُهُ النَّاسُ لَا تُنْبَقُ عَلَى أَحَدٍ
وَلَا تَهُرُّ جُنَاحُ الْحَرْبِ نَادَيْنَا
كَمَا رَدَدْنَا بِيَدِهِ دُونَ مَا طَلَبُوا
وَنَحْنُ حِينَ تَلَقَّنَّ نَارُهَا سُورُ^(١)
إِذْ حَرَّتْ بَطْرَأً أَحْزَابَهَا مُضْرُ^(٢)
فَا وَنِيَّنَا وَمَا حَمَّنَا وَمَا خَبَرُوا

(١) تَهُرُّ : تَسْكُرُهُ . وَجُنَاحُ الْحَرْبِ : أَبْطَالُهَا . وَالسُّورُ ، مِنْ يُوقَدُونَ الْحَرْبَ .

(٢) النَّعْفُ : أَسْفَلُ الْجَبَلِ .

**ذكر اعتراف بعض الجهمة من أهل الشقاق والنفاق
على رسول الله صلى الله عليه وسلم في الفحمة العادلة بالاتفاق**

قال البخاري : حدثنا قبيصه ، حدثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن أبي وائل ، عن عبد الله قال : لما قسم النبي صلى الله عليه وسلم قسمة حنين قال رجل من الأنصار : ما أراد به وجه الله . قال : فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته فتغير وجهه ثم قال : « رحمة الله على موسى ، قد أُوذى بأكثري من هذا فصبر ». ورواه مسلم من حديث الأعمش به .

ثم قال البخاري : حدثنا قتيبة بن سعيد ، حدثنا جرير ، عن منصور ، عن أبي وائل عن عبد الله قال : لما كان يوم حنين آثر النبي صلى الله عليه وسلم ناساً : أعطى الأقرع بن حابس مائة من الإبل ، وأعطى عينية مثل ذلك ، وأعطى ناساً فقال رجل : ما أريد بهذه القسمة وجه الله فقلت : لأخبرن النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : « رحم الله موسى قد أُوذى بأكثري من هذا فصبر ». وهكذا رواه من حديث منصور عن المعمور به .

وفي رواية للبخاري فقال رجل : والله إن هذه لقسمة ما يعدل فيها وما أريد فيها وجه الله . قلت : والله لا أخبرن رسول الله صلى الله عليه وسلم . فأتيته فأخبرته فقال : « من يعدل إذا لم يعدل الله ورسوله ؟ ! رحم الله موسى قد أُوذى بأكثري من هذا فصبر ». وقال محمد بن إسحاق :

وحدثني أبو عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر ، عن مِقْسَمِ أبي القاسم مولى عبد الله بن الحارث بن نوفل قال : خرجت أنا وتأليد بن كلاب الليثي حتى أتيتنا عبد الله بن عمرو بن العاص وهو يطوف بالبيت معلقاً نعلمه بيده ، فقلنا له : هل

حضرت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين كلامه التميم يوم حنين؟ قال: نعم جاء رجل من بنى تميم يقال له ذو الخوياصرة فوقف عليه وهو يعطي الناس فقال له: يا محمد قد رأيت ما صنعت في هذا اليوم. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أجل فكيف رأيت؟» قال: لم أرك عدلت. قال: ففضب النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «ويحك إذا لم يكن العدل عندي فعندك من يكون!»

فقال عمر بن الخطاب: ألا نقتله؟ فقال: «دعوه فإنه سيكون له شيعة يتعمقون في الدين حتى يخرجوا منه كما يخرج السهم من الرمية، يُنظر في النصل فلا يوجد شيء ثم في القِدح فلا يوجد شيء ثم في الفُوق فلا يوجد شيء سبق الفرث والدم».

وقال الليث بن سعد، عن يحيى بن سعيد، عن أبي الزبير، عن جابر بن عبد الله قال: ألم رجل بالجعرانة النبي صلى الله عليه وسلم مُنصرفة من حنين وفي ثوب بلا لفضة ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقبض منها ويعطي الناس، فقال: يا محمد أعدل، قال «ويحك ومن يعدل إذا لم أكن أعدل لقد خبّطت وخسرت إذا لم أكن أعدل» فقال عمر بن الخطاب: دعني يا رسول الله فأقتل هذا المنافق؟ فقال: «معاذ الله أن يتحدث الناس ألم أقتل أصحابي، إن هذا وأصحابه يقرأون القرآن لا يتجاوز حناجرَهم يمرقون منه كيمرق السهم من الرمية».

ورواه مسلم عن محمد بن رُمح، عن الليث.

وقال أحمد: حدثنا أبو عاصر، حدثنا قرة، عن عمرو بن دينار، عن جابر، قال: بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم مغانم حنين إذ قام إليه رجل فقال: أعدل. فقال: «لقد شقيت إذا لم أعدل».

ورواه البخاري عن مسلم بن إبراهيم بن قرة بن خالد السدوسي به.

وفي الصحيحين من حديث الزهرى، عن أبي سلمة، عن أبي سعيد قال : بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقسم قسماً إذ أتاه ذو الخوَّا نصراة رجل من بنى تميم فقال : يا رسول الله اعدل ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ويلك ومن يعدل إن لم أعدل لقد خبّطْتُ وخسرتْ ، إذا لم أُعْدِلْ فمن يعدل ؟ » فقال عمر بن الخطاب : يا رسول الله إِذْن لى فيه فاضرب عنقه ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « دَعْهْ فإِنْ لَهُ أَحَادِيْبَ يَحْفَرُ أَحَدَكُمْ صَلَاتَهُ مَعَ صَلَاتِهِمْ وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ لَا يَجَاوِزُ تَرَاقِيْهِمْ ، يَمْرُقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ ، يَنْتَظِرُ إِلَى نَصْلِهِ فَلَا يَوْجِدُ فِيهِ شَيْءاً ثُمَّ إِلَى رِصَافَهِ^(١) فَلَا يَوْجِدُ فِيهِ شَيْءاً ثُمَّ يَنْتَظِرُ إِلَى نَضِيَّهِ^(٢) - وَهُوَ قِدْحَهُ - فَلَا يَوْجِدُ فِيهِ شَيْءاً ثُمَّ يَنْتَظِرُ إِلَى قُذَّهِ^(٣) فَلَا يَوْجِدُ فِيهِ شَيْءاً ، قَدْ سَبَقَ الْفَرْثَ وَالدَّمْ^(٤) ، آتَيْهِمْ رَجُلُ أَسْوَدٍ إِحْدَى عَصَدِيهِ مِثْلُ ثَدَى الْمَرْأَةِ أَوْ مِثْلُ الْبَضْعَةِ تَدَرْدَرَ^(٥) وَيَخْرُجُونَ عَلَى حِينِ فُرْقَةِ مِنَ النَّاسِ » .

قال أبو سعيد : فأشهد أنى سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأشهد أن على بن أبي طالب قاتلهم وأنا معه ، وأمر بذلك الرجل فالنفس ، فأُتَى به حتى نظرت إليه على نعمت رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي نعمت .

ورواه مسلم أيضاً من حديث القاسم بن الفضل عن أبي نصرة ، عن أبي سعيد به نحوه .

ذَكَرَ مجَىءُ أختِ رسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الرَّضَاعَةِ
وَهُوَ بِالْجُمْرَانَةِ وَاسْمُهَا الشَّيْءَاءُ

قال ابن إسحاق : وحدثني بعض بنى سعد بن بكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) الرصف : جم رصفة ، وهى عقبة تلوى على مدخل النصل فى السهم .

(٢) النضي : القدح قبل أن يبحث . (٣) القذذ : ريش السهم .

(٤) المعنى : أنه مرق عاجلاً فلم يعلق به دم . (٥) تدردر : تتعرك وتذهب وتجيء .

قال يوم هو ازن : «إن قدرتم على نجاد - رجل من بنى سعد بن بكر - فلا يُفلكنكم»
وكان قد أحدث حدثا.

فلمَا ظفر به المسلمون ساقوه وأهله وساقوا معه الشَّيماء بنت الحارث بن عبد العزى
أخت رسول الله صلى الله عليه وسلم من الرضاعة.

قال : فعنفوا عليها في السوق فقالت المسلمين : تعلمون والله إن لاخت صاحبكم من
الرضاعة . فلم يصدقوها حتى أتوا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن إسحاق : خذلني يزيد بن عبيدالسعدي - هو أبو وجنة - قال : فلما انتهى
بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت : يا رسول الله إنِي أختك من الرضاعة . قال
«وما علامة ذلك؟» قالت : عضة عضضتها في ظهرى وأنا متورّكتاك . قال : فعرف
رسول الله صلى الله عليه وسلم العلامة فبسط لها رداءه فأجلسها عليه وخَيَّرها وقال : إن
أحببتِ فعندى محببة مكرمة ، وإن أحببتِ أن أمتعلك وترجعى إلى قومك ففات .
قالت : بل تمنعني وتردّنى إلى قومي . ففعلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم وردّها إلى قومها ،
فزعّمت بنو سعد أنه أعطاهما غلاماً يقال له مكحول وجارية فزوّجت أحد هما الآخر فلم ينزل
فيهم من نسلهما بقية .

وروى البهقي من حديث الحكيم بن عبد الملك ، عن قتادة قال : لما كان يوم فتح
هوازن جاءت جارية إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : يا رسول الله أنا أختك ،
أنا شيماء بنت الحارث . فقال لها : «إن تكوني صادقة فإن بك مني أثراً لا يُبلي» قال :
فكشفت عن عصدها فقلت : نعم يا رسول الله وأنت صغير فعضضتني هذه العضة . قال :
فبسط لها رسول الله صلى الله عليه وسلم رداءه ثم قال : «سلي تعطى واسمعي تشفعي» .
وقال البهقي : أربأنا أبو نصر بن قتادة ، أربأنا عمرو بن إسماعيل بن عبد السالمي ،
حدثنا مسلم ، حدثنا أبو عاصم ، حدثنا جعفر بن يحيى بن ثوبان ، أخبرني عمى عمارنة بن

ثُوبان ، أَن أَبَا الطَّفِيلَ أَخْبَرَهُ قَالَ : كَنْتَ غَلَامًا أَحْلَلَ عَضُوًّا بِالْبَعِيرِ ، وَرَأَيْتَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْسِمُ نَعَمًا بِالْجَعْرَانَةِ .

قَالَ : فَجَاءَهُ امْرَأَةٌ فَبَسَطَ لَهَا رِدَاءَهُ قَوْلَتْ : مَنْ هَذَا ؟ قَالُوا : أُمَّهُ الَّتِي أَرْضَعَتْهُ .

هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ وَلَعْلَهُ يَرِيدُ أَخْتَهُ ، وَقَدْ كَانَتْ تَحْضُنُهُ مَعَ أُمَّهَا حَلِيمَةَ السَّعْدِيَّةِ وَإِنْ كَانَ مَحْفُوظًا فَقَدْ عُرِتْ حَلِيمَةُ دَهْرًا ، فَإِنْ مَنْ وَقَتْ أَرْضَعَتْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى وَقْتِ الْجَعْرَانَةِ أَزِيدَّ مِنْ سَتِينَ سَنَةً ، وَأَقْلَى مَا كَانَ عَرَفَهَا حِينَ أَرْضَعَتْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَلَاثَيْنِ سَنَةً ، ثُمَّ أَعْلَمَ بِمَا عَاشَتْ بَعْدَ ذَلِكَ .

وَقَدْ وَرَدَ حَدِيثٌ مَرْسُلٌ فِيهِ أَنَّ أَبَوِيهِ مِنَ الرَّضَاعَةِ قَدِيمًا عَلَيْهِ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِصَحِّهِ .

قَالَ أَبُو دَاوُدَ فِي الْمَرَاسِيلِ : حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ سَعِيدَ الْمَسْدَانِيُّ ، حَدَّثَنَا أَبْنَاهُ وَهُبَّ ، حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ الْحَارِثَ ، أَنَّ عَمَّ بْنَ السَّائبَ حَدَّثَهُ أَنَّهُ بَلَغَهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ جَالِسًا يَوْمًا فَجَاءَهُ أَبُوهُ مِنَ الرَّضَاعَةِ فَوَضَعَ لَهُ بَعْضَ ثُوبَهُ فَقَدِمَ عَلَيْهِ ، ثُمَّ أَقْبَلَتْ أُمُّهُ فَوَضَعَ لَهَا شَقِيقًا ثُوبَهُ مِنْ جَانِبِهِ الْآخَرِ فَجَلَسَتْ عَلَيْهِ ، ثُمَّ جَاءَهُ أَخُوهُ مِنَ الرَّضَاعَةِ فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَجْلَسَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ .

وَقَدْ تَقْدِمُ أَنْ هَوَازِنَ بِكَالَّمَا مَقْوَالِيَّةَ بِرَضَاعَتِهِ مِنْ بَنِي سَعْدٍ بْنِ بَكْرٍ وَهُمْ شَرِذَمَةٌ مِنْ هَوَازِنَ ، فَقَالَ خَطِيمٌ زَهِيرٌ بْنُ صُرَدَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا فِي الْحَظَائِرِ أُمَّهَاتُكَ وَخَالَاتُكَ وَحَوَاضِنُكَ فَامْنِنْ عَلَيْنَا مَنْ اللَّهُ عَلَيْكَ . وَقَالَ فِيهَا قَالَ :

امْنُنْ عَلَى نِسْوَةٍ قَدْ كَنْتَ تَرْضَعُهَا إِذْ فَوَكَ يَلْمُوْهُ مِنْ تَحْضُنِهَا دَرِرُ
امْنُنْ عَلَى نِسْوَةٍ قَدْ كَنْتَ تَرْضَعُهَا إِذْ يَزِينُكَ مَاتَانِي وَمَا تَدْرُ

فَكَانَ هَذَا سَبَبُ إِعْتَاقِهِمْ عَنْ بَسْكَرَةِ أَبِيهِمْ ، فَعَادُتْ فَوَاضِلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَيْهِمْ قَدِيمًا وَحَدِيدًا خَصْوَصًا وَعَوْمًا .

وقد ذكر الواقدي عن إبراهيم بن محمد بن شرحبيل ، عن أبيه قال : كان النَّصِير
ابن الحارث بن گلدة مِنْ أَجْلِ النَّاسِ فَكَانَ يَقُولُ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي مَنَّ عَلَيْنَا بِالْإِسْلَامِ
وَمَنْ عَلَيْنَا بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَلَمْ نَمْتُ عَلَى مَا ماتَ عَلَيْهِ الْآبَاءُ وَقُتُلَ عَلَيْهِ
الإخْوَةُ وَبَنُو الْعَمِّ .

ثم ذكر عداوته للنبي صلى الله عليه وسلم وأنه خرج مع قومه من قريش إلى حنين
وهم على دينهم بعد ، قال : ونحن نريد إن كانت دائرة على محمد أن تغير عليه ، فلم
يُكُنَّا ذلك ، فلما صار بالجعرانة فوالت إبْلٌ ما أَنَا عَلَيْهِ إِنْ شَرِّطْتُ إِلَّا بِرَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : «أَنْصِيرٌ؟» قَالَ : لَيْكَ ، قَالَ : «هَلْ لَكَ إِلَى خَيْرٍ مَا
أَرَدْتَ بِوْمِ حَنْيَنَ مَا جَاءَ اللَّهَ بِيَنْكَ وَبِيَنْهُ؟» قَالَ : فَأَقْبَلَتُ إِلَيْهِ سَرِيعًا فَقَالَ : «قَدْ آتَيْتَ
لَكَ أَنْ تُبَصِّرَ مَا كَفَتْ فِيهِ تُؤْضِعُ» قَالَ : قَدْ أَدْرَى أَنْ لَوْ كَانَ مَعَ اللَّهِ غَيْرَهُ لَقَدْ أَغْنَى
شَيْئًا ، وَإِنِّي أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ : «اللَّهُمَّ زِدْهُ ثِباتًا» قَالَ النَّصِيرُ : فَوَاللَّهِ بِعِظَمِ الْحَقِّ لَكَأَنْ قَابِي حَجَرٌ ثِباتًا
فِي الدِّينِ ؟ وَتَبَصَّرَةُ الْحَقِّ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «الْحَمْدُ لِلَّهِ
الَّذِي هَدَاهُ» .

عمره الجُّمْرَانَةِ فِي ذِي القُعْدَةِ

قال الإمام أحمد : حدثنا هُبَّز وعبد الصمد الْمَعْنَى قالا : حدثنا هَامَ بْنُ يَحْيَى ، حدثنا فَقَادَةُ ، قال : سأَلَتْ أَنَسَ بْنَ مَالِكَ قَاتَ : كَمْ حَجَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ قَالَ : حَجَّةً وَاحِدَةً ، وَاعْتَمَرَ أَرْبَعَ مَرَاتٍ . عُمْرَتِهِ زَمْنَ الْخَدِيبَيَّةِ وَعُمْرَتِهِ فِي ذِي القُعْدَةِ مِنَ الْمَدِينَةِ ، وَعُمْرَتِهِ مِنَ الْجُمْرَانَةِ فِي ذِي القُعْدَةِ ، حِيثُ قُسِّمَ غَنِيمَةُ حَنْبَلٍ ، وَعُمْرَتِهِ مَعَ حَجَّتَهُ . وَرَوَاهُ الْبَخَارِيُّ وَمُسْلِمُ وَأَبُو دَاوُدَ وَالْتَّرمِذِيُّ مِنْ طَرْقٍ عَنْ هَامَ بْنِ يَحْيَى بِهِ . وَقَالَ التَّرمِذِيُّ : حَسْنٌ صَحِيحٌ .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو النضر ، حدثنا داود - يعني العطار - عن عمـ رو ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : اعتَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرْبَعَ عُمَرَ : عُمْرةُ الْخَدِيبَيَّةِ ، وَعُمْرةُ الْقَضَاءِ ، وَالثَّالِثَةُ مِنَ الْجُمْرَانَةِ ، وَالرَّابِعَةُ الَّتِي مَعَ حَجَّتَهُ . وَرَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالْتَّرمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَةَ مِنْ حَدِيثِ دَاوُدَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْعَطَّارِ الْمَكِّيِّ ، عَنْ عُمَرَ بْنِ دِينَارٍ بِهِ وَحَسْنَهِ وَالْتَّرمِذِيُّ .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يَحْيَى بْنُ زَكْرِيَا بْنُ أَبِي زَائِدَةَ ، حدثنا حَبْحَاجُ بْنُ أَرْظَاطَةَ ، عن عَمْرُو بْنِ شَعْبِ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ جَدِهِ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرُو بْنِ الْعَاصِ ، قال : اعتَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَلَاثَ عُمَرَ ، كُلُّ ذَلِكَ فِي ذِي القُعْدَةِ يَا بَنِي حَتَّى يَسْقُلَ الْحَجَرَ .

غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الوجهِ .

وَهَذِهِ الْثَّلَاثُ عُمَرُ الْلَّاتِي وَقَمِنَ فِي ذِي القُعْدَةِ مَاعِدًا عُمْرَتِهِ مَعَ حَجَّتَهُ ، فَإِنَّهَا وَقَعَتْ فِي ذِي الْحِجَّةِ مَعَ الْحِجَّةِ ، وَإِنْ أَرَادَ ابْتِدَاءَ الْإِحْرَامَ بِهِنْ فِي ذِي القُعْدَةِ فَلَعْلَهُ لَمْ يُرُدْ عُمْرَةُ الْخَدِيبَيَّةِ لَأَنَّهُ صُدَّ عَنْهَا وَلَمْ يَفْعَلْهَا . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

قلت : وقد كان نافع ومولاه ابن عمر ينكران أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم اعمى من الجعرانة بالكلية وذلك فيما قال البخاري : حدثنا أبو النعيم ، حدثنا حماد بن زيد ، عن أبوب ، عن نافع ، عن ابن عمر ، أن عمر بن الخطاب قال : يارسول الله إله كان على اعتكاف يوم في الجاهلية .. فأمره أن يقى به .

قال : وأصحاب عمر جاريين من سبى حنين فوضعهم ما في بعض بيوت مكة ، قال : فمن رسول الله صلى الله عليه وسلم على سبى حنين فعلوا يسعون في الشك ، فقال عمر : يا عبد الله انظر ما هذا ؟ قال : من رسول الله صلى الله عليه وسلم على السبى . قال : اذهب فأرسل الجاريين .

قال نافع : ولم يعتمر رسول الله صلى الله عليه وسلم من الجعرانة ، ولو اعمى لم يخف على عبد الله .

وقد رواه مسلم من حديث أبوب السختياني ، عن نافع عن ابن عمر به .
ورواه مسلم أيضاً عن أبوجعد بن عبدة الصببي ، عن حماد بن زيد ، عن أبوب ، عن نافع قال : ذكر عند ابن عمر عمراً رسول الله صلى الله عليه وسلم من الجعرانة فقال : لم يعتمر منها .

وهذا غريب جداً عن ابن عمرو عن مولا نافع ، في إنكار ما عمراً الجعرانة ، وقد أطبق النقلة من عداحما على رواية ذلك من أصحاب الصحاح والسنن والمسانيد ، وذكر ذلك أصحاب المغازي والسنن كلهم .

وهذا أيضاً كما ثبت في الصحيحين من حديث عطاء بن أبي رباح ، عن عمروة عن عائشة أنها أنكرت على ابن عمر قوله : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم اعمى في رجب .
وقالت : يغفر الله لأبي عبد الرحمن ! ما اعمى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا وهو شاهد وما اعمى في رجب فقط .

وقال الإمام أحمد : حدثنا ابن زمير ، حدثنا الأعمش ، عن مجاهد ، قال : سأله عروةُ
ابن الزبير ابن عمر : في أي شهر اعتمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : في رجب .
فسمّتنا عائشة ، فسألها ابن الزبير وأخبرها بقول ابن عمر فقالت : يرحم الله أبا عبد الرحمن !
ما اعتمر عمرة إلا وقد شهدَها وما اعتمر عمرةً قط إلا في ذي القعدة .

وأخرجه البخاري ومسلم من حديث جرير ، عن منصور ، عن مجاهد به نحوه .

ورواه أبو داود والنسائي أيضاً من حديث زهير ، عن أبي إسحاق ، عن مجاهد ، سئل
ابن عمر : كم اعتمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : مرتين . فقالت عائشة : لقد علم
ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتمر ثلاثةً سوي التي قرأتها بمحجة الوداع .

قال الإمام أحمد : حدثنا يحيى بن آدم ، حدثنا مفضل ، عن منصور ، عن مجاهد قال :
دخلت مع عروة بن الزبير المسجد فإذا ابن عمر مستند إلى حجرة عائشة وأناس يصلون
الضحي . فقال عروة : أبا عبد الرحمن ما هذه الصلاة ؟ قال : بدعة . فقال له عروة : أبا
عبد الرحمن كم اعتمر رسول الله ؟ فقال : أربعاءً إحداهم في رجب . قال : وسمعنا استفانَ
عائشة في الحجرة ، فقال لها عروة : إن أبا عبد الرحمن يزعم أن رسول الله اعتمر أربعاءً
إحداهم في رجب ؟ فقالت : يرحم الله أبا عبد الرحمن ، ما اعتمر النبي صلى الله عليه وسلم
إلا وهو معه ، وما اعتمر في رجب قط .

وهكذا رواه الترمذى عن أحمد بن منيع ، عن الحسن بن موسى ، عن شيبان ، عن
منصور وقال : حسن صحيح غريب .

وقال الإمام أحمد : حدثنا روح ، حدثنا ابن جريج ، أخبرني مزاحم بن أبي مزاحم ،
عن عبد العزيز بن عبد الله ، عن خرش السكري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج
من الجعرانة ليلاً حين أمسى معمراً فدخل مكة ليلاً يقضى عمرته ، ثم خرج من تحت
لياليته فأصبح بالجعرانة كياثت حتى إذا زالت الشمس خرج من الجعرانة في بطن سرف ،

حتى جاء مع الطريق - طريق المدينة - بسرف قال مخرش : فلذلك خفيت عمرته على
كثير من الناس .

ورواه الإمام أحمد عن يحيى بن سعيد ، عن ابن جريج كذلك وهو من أفراده .

* * *

والمقصود أن عمرة الجمرانة ثابتة بالنقل الصحيح الذي لا يمكن منعه ولا دفعه ،
ومن نفاه لا حجة معه في مقابلة من أثبتهما . والله أعلم .

ثم هم كالجمعين على أنه كانت في ذي القعدة بعدها غزوة الطائف وقسم
غذائم حنين .

ومارواه الحافظ أبو القاسم الطبراني في معجمه الكبير قائلاً : حدثنا الحسن بن
إسحاق النستري ، حدثنا عثمان بن أبي شيبة ، حدثنا محمد بن الحسن الأسدى ، حدثنا إبراهيم
ابن طهمان ، عن أبي الزبير ، عن عمير مولى عبد الله بن عباس ، عن ابن عباس قال : لما
قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الطائف نزل الجمرانة فقسم بها الغنائم ثم اعتمر منها ،
وذلك للبيتين بقيتها من شوال .

فإنما غريب جداً وفي إسناده نظر . والله أعلم .

وقال البخاري : حدثنا يعقوب بن إبراهيم ، حدثنا إسماعيل ، حدثنا ابن جريج ، أخبرني
عطاء ، أن صفوان بن يعلى بن أمية أخبره أن يعلى كان يقول : لم ينـى أرى رسول الله صلى
الله عليه وسلم حين ينزل عليه . قال : فيـنـى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالـجـمـرـانـةـ وـعـلـيـهـ
ثوب قد أطلـَـ به معـهـ فـيـهـ نـاسـ مـنـ أـخـحـابـهـ إـذـ جـاءـهـ أـعـرـابـيـ عـلـيـهـ جـبـةـ مـقـضـمـ بـطـيـبـ .ـ قـالـ :ـ
فـأـشـارـ عـمـرـ بـنـ الـخـطـابـ إـلـيـ يـعـلـيـ بـيـدـهـ :ـ أـنـ تـعـالـ .ـ بـخـاءـ يـعـلـيـ فـادـخـلـ رـأـسـهـ إـذـاـ النـيـ صـلـيـ اللهـ
عـلـيـهـ وـسـلـمـ مـحـرـ الـوـجـ يـغـطـ كـذـلـكـ سـاعـةـ ثـمـ سـرـيـ عـنـهـ فـقـالـ :ـ «ـ أـينـ الـذـيـ يـسـأـلـيـ عـنـ
الـعـمـرـةـ آـنـفـاـ؟ـ »ـ فـالـتـسـ الرـجـلـ فـأـتـيـ بـهـ ،ـ قـالـ :ـ «ـ أـمـاـ الـطـيـبـ الـذـيـ بـكـ فـاغـسلـهـ ثـلـاثـ مـرـاتـ،ـ

وأما الجبة فانزعها ثم اصنف في عمرتك كاً اصنف في حجتك » .

ورواه مسلم من حديث ابن جریح . وأخر جاه من وجه آخر عن عطاء كلادها عن صفوان بن يعلى بن أمية به .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أبوأسامة ، أنبأنا هشام ، عن أبيه ، عن عائشة قالت : دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفتح من كداء من أعلى مكة ، ودخل في العمرة من كدّى .

وقال أبو داود : حدثنا موسى أبو سامة ، حدثنا حماد ، عن عبد الله بن عثمان بن خثيم ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه اعتمروا من الجمعة فرمّلوا بالبيت ثلاثة ومشوا أربعاً وجعلوا أرديتهم تحت آباطهم ثم قذفوها على عواتقهم اليسرى .

تفرد به أبو داود . ورواه أيضاً ابن ماجه من حديث ابن خثيم ، عن أبي الطفيل ، عن ابن عباس مختصرًا .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يحيى بن سعيد ، عن ابن جریح ، حدثني الحسن بن مسلم ، عن طاوس ، أن ابن عباس أخبره أن معاوية أخبره قال : فَصَرَّتْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِشَفَقَصْ . أو قال : رأيَه يَقْهَرُ عَنْهِ بِشَفَقَصْ عَنْهُ مَرْوَةَ .

وقد أخر جاه في الصحيحين من حديث ابن جریح به . ورواه مسلم أيضاً من حديث سفيان بن عيينة ، عن هشام بن حمير ، عن طاوس ، عن ابن عباس ، عن معاوية به . ورواه أبو داود والناساني أيضاً من حديث عبد الرزاق ، عن معمر ، عن ابن طاوس عن أبيه به .

وقال عبدالله بن الإمام أحمد : حدثني عرو بن محمد الناقد ، حدثنا أبو أحمد الزبيري ،

حدثنا سفيان ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، عن معاوية قال : قصرت عن رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم عند المروءة .

* * *

والمقصود أن هذا إنما يتوجه أن يكون في عمرة الجمرانة .

وذلك أن عمرة الحديبية لم يدخل إلى مكة فيها بل صدر عنها كما تقدم بيانه ، وأما عمرة القضاء فلم يكن أبو سفيان أسلم ولم يبق بمكة من أهلها أحد حين دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بل خرجوا منها ، وتغيبوا عنها مدة مقامه عليه السلام بها تلك ثلاثة الأيام ، وعمرته التي كانت مع حجته لم يتحمل منها بالاتفاق ، فتعين أن هذا التقصير الذي نماطاه معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما من رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم عند المروءة إنما كان في عمرة الجمرانة كما قلنا . والله تعالى أعلم .

وقال محمد بن إسحاق رحمه الله : ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من الجمرانة معتمراً وأمر ببقاء الفيء بحبس بجنة بناحية مر الظاهران .

قلت : الظاهر أنه عليه السلام إنما استبقى بعض الم quem يتألف به من يلقاه من الأعراب فيما بين مكة والمدينة .

قال ابن إسحاق : فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من عمرته انصرف راجعاً إلى المدينة واستخلف عتاب بن أسيد على مكة ، وخاف معه معاذ بن جبل يفقه الناس في الدين ويعلمهم القرآن .

وذكر عروة وموسى بن عقبة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خلف معاذا مع عتاب بمكة قبل خروجه إلى هوازن ، ثم خلفهما بها حين رجع إلى المدينة .

وقال ابن هشام : وبلغى عن زيد بن أسلم أنه قال : لما استعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم عتاب بن أسيد على مكة رزقه كل يوم درهماً ، فقام بخطب الناس فقال : أيها

الناس ، أَجَاعَ اللَّهَ كُبْدَهُ مِنْ جَاعَ عَلَى دَرْهَمٍ ! فَقَدْ رَزَقَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَرْهَمًا كُلَّ يَوْمٍ ، فَإِيَّاسْتَ لِي حَاجَةً إِلَى أَحَدٍ .

قال ابن إسحاق : وكانت عمرة رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذي القعدة ، وقدم المدينة في بقية ذي القعدة أو في أول ذي الحجة . قال ابن هشام : قَدِمْهَا لَسْتُ بَقِينَ مِنْ ذِي القعدة فِيهَا قَالَ أَبُو عُمَرٍ وَالْمَدِينِي .

قال ابن إسحاق : وحج الناس ذلك العام على ما كانت العرب تحج عليه ، وحج بالمسالين تلك السنة عَثَابُ بن أَسِيد وَهِيَ سَنَةُ ثَمَانٍ .

قال : وأقام أهل الطائف على شِرْكِهِمْ وامتناعهم في طائفهم ما بين ذي القعدة إلى رمضان من سنة تسع .

إسلام كعب بن زهير بن أبي سلمى

أبوه هو صاحب إحدى المعلمات السبع ، الشاعر ابن الشاعر ، وذُكر قصيده التي سمعها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي بانت سعاد

قال ابن إسحاق : ولما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من مُنصرفة عن الطائف كتب زهير بن أبي سلمى إلى أخيه لأبويه كعب بن زهير يخبره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قُتل رجالاً بمكة ممن كان يهجوه ويؤذيه ، وأنَّ من بقي من شعراء قريش : ابن الزبيري وهبيرة بن أبي وهب هربوا ^(١) في كل وجه ، فإن كانت لك في نفسك حاجة فطرد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه لا يقل أحداً جاءه تائباً ، وإن كنت لم تفعل فانج إلى نجائبك من الأرض . وكان كعب قد قال :

الآبلغَا عني بُحِيرَا رسالَةَ فويحك ^(٢) فِي افْتَلَتَ وَيَحِكَ هَلَّ كَا
فَبِينَ لَنَا إِنْ كَفَتَ لَسْتَ بِفَاعِلٍ عَلَى أَيِّ شَيْءٍ غَيْرَ ذَلِكَ دَلَّ كَا
عَلَى خُلُقٍ لَمْ أَفْرِيْ يَوْمًا أَبَّا لَهُ عَلَيْهِ وَمَا تَلَدَّفَ عَلَيْهِ أَبَا لَكَا
إِنْ أَنْتَ لَمْ تَفْعَلْ فَلَسْتُ بَاسْفٍ وَلَا قَافِلٌ إِنَّمَا عَثَرْتَ لَعَالَكَا ^(٣)
سَفَاكَ بِهَا الْمُؤْمِنُ كَأسًا رَوِيَّةَ فَأَهْلَكَ الْمُؤْمِنُ مِنْهَا وَعَلَّكَا ^(٤)

قال ابن هشام : وأنشدني بعض أهل العلم بالشعر :

مَنْ مُبْلِغٌ عَنِ بُحِيرَا رسالَةَ فَهَلَّ لَكَ فِي افْتَلَتَ بِالخَيْفِ هَلَّ لَكَ
شَرَبْتَ مَعَ الْمُؤْمِنُ كَأسًا رَوِيَّةَ فَأَهْلَكَ الْمُؤْمِنُ مِنْهَا وَعَلَّكَا

(١) ابن هشام : قد هربوا . (٢) ابن هشام : فهل لك .

(٣) كلة فقال للعاثر ، دعاء له بالإفادة من عثرته .

(٤) أنهلك : سفاك أولاً . وعلك سفاك ثانياً . والمؤمن : يربده النبي صلى الله عليه وسلم .

وَخَالَفَتْ أَسْبَابَ الْمُهَدَّى وَأَنْبَعَتْهُ
عَلَى أَىْ شَيْءٍ وَيْبَ غَيْرِكَ (١) دَلَّكَا
عَلَى خُلُقٍ لَمْ تُلْفِ أَمَّا وَلَا أَبَا
فَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَقْعُلْ فَاسْتَ بَآسْفٍ لَكَا

قال ابن إسحاق : وبعث بها إلى زهير ، فاما أنت بغيرها كره أن يكتبهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنشده إليها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سمع : « سقاك بها المؤمن » : « صَدَقَ وَإِنَّهُ لَكَذُوبٌ ، أَنَا الْمُؤْمِنُ » ولما سمع : « على خلق لم تُلْفِ أَمَّا وَلَا أَبَا عَلَيْهِ » قال : « أَجَلْ لَمْ يُلْفِ عَلَيْهِ أَبَاهُ وَلَا أُمَّهُ » .

قال : ثم كتب بغير إلى كعب يقول له :

مَنْ مُبْلِغٌ كَعْبًا فَهُلْ لَكَ فِي التَّيْ
تَلُومَ عَلَيْهَا بَاطِلًا وَهِيَ أَخْذَمُ
إِلَى اللَّهِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ
فَتَتَجَوَّلُ إِذَا كَانَ النَّجَاءَ وَتَسْنَمُ
لَدَى يَوْمِ لَا يَنْجُو وَلَيْسَ بِمُفْلِتٍ
مِنَ النَّاسِ إِلَّا طَاهِرٌ الْقَابُ مُسْلِمٌ
فَدِينُ زُهَيرٍ وَهُوَ لَا شَيْءَ دِينُهُ
وَدِينُ أَبِي سُلَيْمَى عَلَى مُحَمَّرَمْ

قال : فلما بلغ كعباً الكتاب ضاقت به الأرض وأشفق على نفسه وأزاحف به من كان في حاضره من عدوه ، وقالوا : هو مقتول . فلما لم يجد من شيء بدأ قال قصيده التي يمدح فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذكر فيها خوفه وإرجاف الوشاة به من عدوه ، ثم خرج حتى قدم المدينة ، فنزل على رجل كانت بينه وبينه معرفة من جهينة كما ذكر لي ، ففدا به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في صلاة الصبح ، فصلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم أشار له إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : هذا رسول الله فقام إليه فاستأمه .

فذكر لي أنه قام إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم خلساً إليه ووضع يده في يده ،

(١) وَيْبَ غَيْرِكَ : هَلَّكَتْ هَلَّاكَ غَيْرِكَ .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يعرفه ، فقال : يا رسول الله إن كعبَ بنَ زَهْيرَ قد جاء ليستأمن منك تائباً مُسلماً ، فهل أنت قابلٌ منه إن جئتك به ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نعم » فقال : إذاً أنا^(١) يا رسول الله كعبُ بن زهير .

قال ابن إسحاق : خدثني عاصم بن عمر بن قتادة أنه وتب عليه رجل من الأنصار فقال : يا رسول الله دعنى وعدوا الله أضرب عنقه . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « دعه عنك ، فإنه جاء تائباً نازعاً ». .

قال : فغضب كعبُ بن زهير على هذا الحى من الأنصار لما صنع به أصحابهم ، وذلك أنه لم يتكلّم فيه رجل من المهاجرين إلا بخبير . فقال في قصيده التي قال حين قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم :

بَاتْ سَعَادُ فَقْلِبِي الْيَوْمَ مَتَبِولٌ
وَمَا سَعَادُ غَدَاءَ الْبَيْنِ إِذْ رَحَلَا
[هِيفَاءَ مُقْبَلَةَ عَجْزَاءَ مُذْبِرَةَ
تَجْلُو عَوَارِضَ ذِي ظَلْمٍ إِذَا ابْتَسَمَتْ
شُجَّةَ بَذِي شَمَّ مِنْ مَاءَ حَمْنِيَّةَ
تَنْفَقِي الرِّبَاحُ الْقَدَى عَنْهُ وَأَفْرَطَهُ
فِيمَا خُلِّلَ لَوْ أَنْهَا صَدَقَتْ]

مَتَّمْ عَنْدَهَا لَمْ يُفْدَ مَكْبُولٌ
إِلَّا أَغْنَ غَصِيصُ الظَّرْفِ مَكْبُولٌ
لَا يُشْتَكِي قَصْرُهَا وَلَا طُولُ []
كَأَنَهُ مُهْكَلٌ بِالرَّاحِ مَعْلُولٌ
صَافٍ بِأَبْطَحِ أَضْحَى وَهُوَ مَشْمُولٌ
مِنْ صَوْبٍ غَادِيَّةَ يَبْضُعُ يَعْمَالِيلُ
بَوْعِدِهَا أَوْ لَوْأَنَ النَّصْحَ مَقْبُولٌ

(١) ابن هشام : فقال أنا .

(٢) بات : بعدت . والمتبول : السقيم من الحب . والمكبول : القيد .

(٣) الأغن : الطبي . (٤) عن ابن هشام . (٤) تجلو : تكشف ، والظلم : بريق الأسنان وياضها .

(٥) شجت : مزقت . والشيم الشديد البرد . والحمينة : منطف الوادي . والمشمول : الذي ضربته ربيع شمال حتى برد .

(٦) أمرطه : سبق إليه . والصوب : المطر . والгадية : السجابة تغار غدوة . والعماليل : السحب البيض .

لَكُنْهَا خُلَّةٌ قَدْ سَيِطَ مِنْ دَمِهَا
 فَأَنْدُومُ عَلَى حَالٍ تَكُونُ بِهَا
 وَمَا تَمْسِكُ بِالْعَهْدِ الَّذِي زَعَمْتَ
 فَلَا يَفْرَنُكَ مَا مَنَّتْ وَمَا وَعَدْتَ
 كَانَتْ مَوَاعِيدُ عُرْقُوبِ لَهَا مَثَلًا
 أَرْجُو وَآمُلُ أَنْ تَدْنُو مُودَّتُهَا
 أَمْسَتْ سَعَادًا بِأَرْضٍ لَا تَبْلُغُهَا
 وَلَنْ يُبَلِّغُهَا إِلَّا عَذَافَرَةُ
 مِنْ كُلِّ نَضَاحَةِ الدَّفْرَى إِذَا عَرَقْتَ
 تَرْمِي الْفَيُوبَ بِعَيْنِي مُفْرَدٍ لَهِقَيْ
 ضَحْمٌ مُفْلِدُهَا فَقْمٌ مُفْيَدُهَا
 حَرْفٌ أَخْوَهَا أَبُوهَا مِنْ مَهْجَنَةٍ
 يَمْشِي الْقُرَادُ عَلَيْهِ شَامٌ يُزِيقُهُ

إِلَّا كَمْسُكُ الْمَاءِ الْفَرَابِيلُ
 إِنَّ الْأَمَانَىَ وَالْأَحَلامَ تَضْلِيلُ
 وَمَا مَوَاعِيدُهَا إِلَّا الْأَبَاطِيلُ
 وَمَا لَهُنَّ إِخَالُ الدَّهْرَ تَعْجِيلُ
 إِلَّا الْعِتَاقُ النَّجَيِّبَاتُ الْمَرَاسِيلُ
 فِيهَا عَلَى الْأَيْنِ إِرْقَالُ وَتَعْجِيلُ
 عَرْضَتُهَا طَامِسُ الْأَعْلَامِ مَجْهُولُ
 إِذَا تَوَقَّدَتِ الْحِزَانُ وَالْمَيْلُ
 فِي خَلْقَهَا عَنْ بَنَاتِ الْفَجْلِ تَفْضِيلُ
 وَعَثَرَهَا خَالِهَا قَوْدَاهُ شَمْلِيلُ
 مِنْهَا لَبَانٌ وَأَقْرَابٌ زَهَالِيلُ

(١) الخلة : الصحبة . وسيط : خلط .

(٢) ابن هشام : وما إخال لدينا منك تنوبيل .

(٣) العذافرة : العظيم الشديد من الإبل . والأين : التعب . والإرقال : الإسراع . والتغيل : ضرب من سير الإبل .

(٤) النضاخة : الغزيرة . والدفرى : العظم الشاخص خلف الأذن . وعرضتها : وجهتها . وطامس الأعلام : المتغير الذي لا يهتدى فيه .

(٥) الاهق : الثور الأبيض والحزان : جم حزين وهو المكان الغليظ المنقاد . والميل : ما انسع من الأرض

(٦) المقلد : موضع القلادة من العنق . والقوداء : الشديدة العنق . والشمليل : السريعة .

(٧) الحرف : الناقة الضامرة أو العظيمة . والقوداء : الشديدة العنق . والشمليل : السريعة .

(٨) القراد : دويبة . واللبان : الصدر . والأقرب : جم قرب وهو الحاصرة . والزهاليل : جم زهاليل وهو الأملس

عِيرَانَةُ قُدِّفَتْ بِالنَّحْضُ عنْ عُرْضٍ
 مِرْفَقُهَا عَنْ بُنَاتِ الْزَّوْرِ مَفْتُولٌ^(١)
 قَنْوَاءُ فِي حُرَّتِهَا لِلْبَصِيرِ بِهَا
 عِتْقُ مُبَيِّنٍ وَفِي الْخَدَّيْنِ تَسْهِيلٌ^(٢)
 كَأْمَا فَاتِ عَيْنِهَا وَمَذْبَحُهَا
 مِنْ خَطْمِهَا وَمِنَ الْلَّاهِيْنِ يُرِّ طَمِيلٌ^(٣)
 ثُمَّرُ مِثْلَ عَسِيبِ النَّخْلِ ذَا خُصَّلَ
 فِي غَارِ زِ لَمْ تَخْوُنَهُ الْأَحَالِيْلُ^(٤)
 تَهْوِي عَلَى بَسَرَاتِ وَهِيَ لَاهِيَّةٌ
 ذَوَابِلِ مَسَهَّنَ الْأَرْضَ تَحْلِيلٌ^(٥)
 يَوْمًا يَظْلِمُ بِهِ الْحَرْبَاهُ مُصْطَلِخِدًا
 كَأْنَ ضَاحِيَهُ بِالشَّمْسِ تَخْلُولٌ^(٦)
 وَقَالَ لِلْقَوْمِ حَادِيْهُمْ وَقَدْ جَعَلْتَ
 وُرْقَ الْجَنَادِيْبِ يُرِّ كِضْنَ الْحَصَّا قِيلُوا^(٧)
 أَوْبُ يَدَيْ فَاقِدُ شَمْطَاهُ مُؤْلَوَةٌ
 قَامَتْ خَاوِبَهَا نُكَدُّ مَنَا كِيلٌ^(٨)
 نَوَّاحَةُ رَجْخُوَةُ الضَّبَاعِينِ لَيْسَ هَا
 لَمَّا نَعَى بِكُرْهَاهَا النَّاعُونَ مَعْقُولٌ^(٩)
 تَفَرِي الْلَّبَانَ بِكَفَيْهَا وَمِدْرَعُهَا
 مُشَقَّقٌ عَنْ تَرَاقِيَهَا رَعَابِيلٌ^(١٠)
 إِنَّكَ يَابِنَ أَبِي لَمْلَى لَمَقْتُولٌ^(١١)
 تَسْعَى الْفُوَّاهُ جَنَابَهَا وَقَوْلُهُمْ
 وَقَالَ كُلُّ صَدِيقٍ كَفْتَ آمَلُهُ لَا أَهْمَنَّكَ إِنِّي عَنْكَ مَشْغُولٌ

(١) العِيرَانَةُ من الإبل ، الناجية في نشاط . والنَّحْضُ : الاسم المكتنز . والعرسُ : الجائب .

(٢) القنواةُ : المرتفعة الأنف ، وهو عيب في الفرس .

(٣) البرطيلُ : حجر أو حديد طويل صلب خلقه ، ينقر به الرحي . وهو المول أيضا

(٤) عَسِيبُ النَّخْلِ : جريدة من النخل مستقيمة دققة يكشط خوصها . والنَّازِرُ : الضرع . وتخونهُ : تقصه . والأحاليلُ : جم لتحليل وهو مخرج اللبن .

(٥) ابن هشام : تخدي . اليساراتُ : الخفاف السهلة . والتَّجَالِيلُ : الحبرى . حلُّ : عدا .

(٦) الحرباءُ : دويبة تستقبل الشمس برأسها . والمصطاخُ : المحترق من حرارة الشمس . والضاحيُ : مابرز منه للشمس . والخلولُ : المذاب .

(٧) الجنادبُ : الجراد . والورقُ : التي يضرب لونها إلى السواد .

(٨) الأوبُ : رجم القوائم في السير . والشَّمْطَاهُ : التي خالطها الشيب . والمعلولةُ : الصائحة بالبكاء

والنَّكَدُ : جم نكداء وهي التي لا يعي لها ولد . والمَثَّا كِيلُ : جم مشكلة وهي التي لزمهها التشكك .

(٩) الرخوةُ : المسترخية والضبعُ : العضد .

(١٠) الْلَّبَانُ : الصدر . والمدرعُ : القميص . والرَّعَابِيلُ : المزق ..

(١١) جَنَابَهَا : حولها

فَقُلْتَ خَلُوا سِبِيلِي لَا أَبَا لَكُمْ
كُلُّ ابْنٍ أَنْتَ وَإِنْ طَالَتْ سَلَامَتُه
نُبَيَّتْ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ أَوْعَدَنِي
مَهْلًا هَذَا الَّذِي أَعْطَاكَ نَافِلَةً إِلَّا
لَا تَأْخُذْنِي بِأَقْوَالِ الْوَشَاءِ وَلِمْ
لَقْدْ أَفَوْمُ مَقَامًا كَلَّا لِي قَوْمٌ بِهِ
أَطْلَئَ يُرْعَدُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ لَهُ
حَتَّىٰ وَضَعْتُ يَمِينِي مَا أَنَّازَ عَمَّا
فَلَهُو أَخْوَفُ عَنِّي إِذَا أَكَلَهُ
مِنْ صَيْقِيمٍ بِضَرَاءِ الْأَرْضِ مُخْدَرَهُ
يَنْدُو فِي لَحِيمٍ ضِرْغَامِينَ عِيشُهُمَا
إِذَا يُسَاوِرُ قَرِنَا لَا يَجِدُ لَهُ
مِنْهُ تَظْلُلٌ حَمِيرُ الْوَحْشِ نَافِرَةً
وَلَا يَزَالُ بِوَادِيهِ أَخْوَهُ ثَقَةً
إِنَّ الرَّسُولَ لَنُورٌ يُسْقِطُهُ بِهِ
فِي عَصْبَةٍ مِنْ قَرْيَشٍ قَالَ قَاتِلُهُمْ
زَالُوا فَازَ الْأَنْكَاسُ وَلَا كُشِّفَ

(١) الأصل : اطليل يرعد من وجد موارده من الرسول ; وما أثبتته عن ابن هشام

(٢) الضوء: الأرض المستوية.

(٣) المغفور : الملك في التراب . والحراديل : القطم الصغار .

(٤) الأراجيل : جماعات الرجال .

(٥) العز : السلاح . والدرسان : الشياب الخلقية .

(٦) الأذكاء : جم نكس وهو الجبان . والمازيل : الذين لاسلاح معهم .

يَمْشُونَ مُشَى الْجَمَالِ الزَّهْرَ يَفْصِمُهُمْ ضَرَبٌ إِذَا عَرَدَ السُّوْدُ التَّنَابِيلُ^(١)
 شُمُّ الْعَرَانِينَ أَبْطَالٌ لَبُوْسَهُمْ من نَسْعَجَ دَاوِدَ فِي الْمِيَاجَ سَرَّاً بَيْلُ
 بِيَضٌ سَوَاعِنُ قَدْ شُكِّتْ لَهَا خَلَقَ كَانَهَا حَلَقُ الْقَفْعَاءِ مَجْدُولُ^(٢)
 لَيْسُوا مَفَارِحَ إِنْ نَالَتْ رَمَاحُهُمْ قَوْمًا وَلَيْسُوا مَجَازِيًّا إِذَا نَيَّلُوا
 لَا يَقْعُدُ الطَّعْنُ إِلَّا فِي نَحْنُ وَرَمُّ وَلَا هُمْ عَنْ حِيَاضِ السَّوْتِ تَهْلِيلُ
 قَالَ ابْنُ هَشَامَ: هَكَذَا أَوْرَدَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ هَذِهِ الْقَصِيمَةَ وَلَمْ يَذْكُرْ لَهَا إِسْنَادًا.
 وَقَدْ رَوَاهَا الْحَافِظُ الْبَيْهِقِيُّ فِي دَلَائِلِ التَّبَوَّةِ بِإِسْنَادٍ مُتَّصلٍ، فَقَالَ: أَنْبَأَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحَافِظُ،
 أَنْبَأَنَا أَبُو الْفَاسِمِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ أَحْمَدَ الْأَسْدِيِّ بِهِمْذَانَ، حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ
 الْحَسَنِ، حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمَنْذِرِ الْخَزَائِيُّ، حَدَّثَنَا الْحَجَاجُ بْنُ ذِي الرَّقِيقَيْهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ
 ابْنُ كَعْبٍ بْنُ زَهِيرٍ بْنُ أَبِي سَلَمٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ قَالَ: خَرَجَ كَعْبٌ وَبُجَيْرٌ أَبْنَا زَهِيرٍ
 حَتَّى أَتَيَا أَبْرَقَ الْعَزَّافَ، فَقَالَ بُجَيْرٌ لِكَعْبٍ: أَثْبِتْ فِي هَذَا الْمَكَانِ حَتَّى آتَى هَذَا
 الرَّجُلِ - يَعْنِي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَأَسْمَعَ مَا يَقُولُ: فَبَثَتْ كَعْبٌ وَخَرَجَ بُجَيْرٌ
 بِجَاءِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَعَرَضَ عَلَيْهِ الإِسْلَامَ فَأَسْلَمَ . فَبَلَغَ ذَلِكَ كَعْبًا فَقَالَ:
 أَلَا أَبْلَغَنِي بُجَيْرًا رِسَالَةً عَلَى أَىِّ شَيْءٍ وَنِيبَ غَيْرِكَ دَلَّكَ
 عَلَى خُلُقٍ لَمْ تَلْفَ أَمًا وَلَا أَبَا عَلَيْهِ وَلَمْ تُدْرِكْ عَلَيْهِ أَخَاكَ
 سَقَاكَ أَبُوبَكْرَ بِكَاسٍ رُوَيْهٌ وَأَنْهَلَكَ الْمَأْمُونُ مِنْهَا وَعَلَّكَ
 فَلَمَّا بَلَغَتِ الْأَيَّاتِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَهْدَرَ دَمَهُ وَقَالَ: «مَنْ لَكَ
 كَعْبًا فَآيَقْتَلَهُ» .

فَكَتَبَ بِذَلِكَ بُجَيْرٌ إِلَى أَخِيهِ، وَذَكَرَ لَهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ أَهْدَرَ دَمَهُ
 وَيَقُولُ لَهُ: الْتَّبَّاجَاءُ وَمَا أَرَاكَ تَنْفَلْتَ . ثُمَّ كَتَبَ إِلَيْهِ بَعْدَ ذَلِكَ: أَعْلَمُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ

(١) عَرَدٌ: هَرْبٌ . وَالتَّنَابِيلُ: الْفَصَارُ .

(٢) الْقَفْعَاءُ: ضَرَبَ مِنَ الْمَسْكِ تَشَبَّهَ بِهِ حَاقَ الدَّرِ

عليه وسلم لا يأته أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله إلا قبْل ذلك منه وأسقط ما كان قبل ذلك ، فإذا جاءك كتابي هذا فأسلم وأقبل .

قال : فأسلم كعب وقال قصيده التي يمدح فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم أقبل حتى أناخ راحلته بباب مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم دخل المسجد ورسول الله مع أصحابه كالمائدة بين القوم متخلقون معه حلقة خلف حلقة ، يلتفت إلى هؤلاء مرأة فيحدثهم وإلى هؤلاء مرأة فيحدثهم .

قال كعب : فأنجت راحلتي بباب المسجد فعرفت رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصفة حتى جلست إليه فأسالت وقلت : أشهد أن لا إله إلا الله وأنك محمد رسول الله الأمان يا رسول الله . قال : « ومن أنت؟ » قال : كعب بن زهير . قال : « الذي يقول » ثم التفت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « كيف قال يا أبا بكر؟ » فأنشده أبو بكر :

سقاك بها المؤمن كأساً روية وأهلك المؤمن منها وعدلك
قال : يا رسول الله ما قلت هكذا قال : « فكيف قلت؟ » قال قلت :

سقاك بها المؤمن كأساً روية وأهلك المؤمن منها وعدلك

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مأمون والله . ثم أنشده القصيدة كلها حتى أتى على آخرها وهي هذه القصيدة :

بانت سعاد فقلبي اليوم متبعول مُتيم عندها لم يفده مَكْبُولُ

وقد تقدم ماذكرناه من الرمز لما اختلف فيه إنشاد ابن إسحاق والبيهقي رحمهما الله

عز وجل وذكر أبو عمر بن عبد البر في كتاب الاستيعاب أن كعباً لما أنهى إلى قوله :

إنَّ الرسولَ لَنُورٌ يُستَضَاءُ بِهِ مهندٌ من سيفِ اللهِ مَسَلُولُ

نبأَتْ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ أَوْعَدَنِي وَالْفَغُوُّ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ مَأْمُولُ

قال : فأشار رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى من معه أن اسمعوا . وقد ذكر ذلك قبله موسى بن عقبة في مغازيه . والله الحمد والمنة .

قلت : وردَ في بعض الروايات أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطاه بُرْدته حين أنسده القصيدة ، وقد نظم ذلك الصرّ صرى في بعض مدائحه ، وهكذا ذكر ذلك الحافظ أبو الحسن بن الأثير في الغابة ، قال : وهي البردة التي عند الخلفاء .

قلت : وهذا من الأمور المشهورة جداً ، ولكن لم أر ذلك في شيء من هذه الكتب المشهورة بـاستناد أرتضيه . فالله أعلم .

وقد روی أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له ، لما قال بانت سعاد : ومن سعاد؟ قال : زوجتني يارسول الله . قال : لم تَبِنْ .

ولكن لم يصح ذلك . وكأنه على ذلك توهّم أن بإسلامه تَبِين امرأته ، والظاهر أنه إنما أراد البَيْنَوْنَةَ الحسَيْنَةَ لِلْحَكْمَيَةَ . والله تعالى أعلم .

* * *

قال ابن إسحاق : وقال عاصم بن عمر بن قتادة : فلما قال كعب - يعني في قصيده - «إذا عرَّدَ السُّودَ التَّنَابِيلَ» وإنما يريدهنا عشر الأنصار لما كان أصحابنا صفع به ، وخص المهاجرين من قريش بمدحه ، غضبت عليه الأنصار فقال بعد أن أسلم يمدح الأنصار ويدرك بلاءهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم وموضعهم من اليمين :

من سَرَّهُ كَرَمُ الْحَيَاةِ فَلَا يَرُزُّ فِي مِقْنَبٍ مِنْ صَالِحِي الْأَنْصَارِ^(١)
وَرَثُوا الْمَكَارَمَ كَبِرَّاً عَنْ كَبِيرٍ إِنَّ الْخَيْرَ هُمُّ بُنُو الْأَخْيَارِ
الْمَكْرُّهِينَ السَّمْهُرِيَّ بِأَذْرَعٍ كَسَوَ الْفِي الْمَنْدِيَّ غَيْرَ قِصَارٍ

(١) اللقب : الجماعة من الحيل .

والناظرين بأعينٍ مُخمرَةٍ
كالجُرْ غير كليمة الإبصارِ
والبائعين نفوسهم لبيتهم
لِمَوت يومٍ تماقِي وَكِرارِ
يتظاهرون يرون نُسُكًا لهم
بدماء من عَلِقاًوا من الْكُفَارِ
دَرِبُوا كَا دَرِبَتْ بطونُ خَفَّةٍ
غُلْبُ الرِّقابِ مِنَ الْأَسْوَدِ ضَوارِي
وَإِذَا حَلَّتْ لِيَنْعُوكُمْ إِلَيْهِمْ
أَصْبَحَتْ عَنْدَهُ مَعَاقِلُ الْأَعْفَارِ^(١)
ضَرَبُوا عَلَيْهَا يَوْمَ بَدِيرٍ ضَرَبةً
دانَتْ لِوْقَعَتْهَا جَمِيعُ نَزَارِ
لُوْيَ عَلِمَ الْأَقْوَامُ عَلَى كَلَّهُ
فِيهِمْ لِصَدَقَنِي الَّذِينَ أُمَّارِي
قَوْمٌ إِذَا خَوَتْ النَّجُومُ فَإِلَيْهِمْ
لِلْطَّارِقِينَ النَّازِلِينَ مَقَارِي

قال ابن هشام : ويقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له حين أنسده بانت سعاد : « لو لا ذكرتَ الأنصارَ بخيرٍ فإنهم لذلك أهل؟ » فقال كعب هذه الأبيات وهي في قصيدة له .

قال : وبلغني عن علي بن زيد بن جدعان أن كعب بن زهير أنسد رسول الله صلى عليه وسلم في المسجد : بانت سعاد فقلبي اليوم متَبِولٌ .

وقد رواه الحافظ البيهقي بإسناده المتقدم إلى إبراهيم بن المنذر الحزاعي ، حدثني معن بن عيسى ، حدثني محمد بن عبد الرحمن الأفطس ، عن ابن جدعان . فذكره وهو مرسل .

وقال الشيخ أبو عمر بن عبد البر رحمه الله في كتاب « الاستيعاب في معرفة الأصحاب » بعد ما أورد طرفاً من ترجمة كعب بن زهير إلى أن قال : وقد كان كعب بن زهير شاعراً جنوداً كثير الشعر مقدماً في طبقته هو وأخوه بجير ، وكعب أشعارها ، وأبوها زهير فوقهما ، وما يستجاد من شعر كعب بن زهير قوله :

لو كنْتْ أَعْجَبُ مِنْ شَيْءٍ لِأَنْجِبَنِي سَعْيُ الْفَتَى وَهُوَ تَخْبُؤُ لِهِ الْقَدْرُ

(١) الأعفار : جمع عفر وهو واد الوعل

يسعى الفتى لأمورٍ ليس يُدِرِّكُها فالنفسُ واحدة والمُهُمُ مُفْتَشٌ
والمرءُ معاشٌ ممدودٌ له أملٌ لا تنتهي العينُ حتى ينتهي الأثرُ
نم أورد له ابن عبد البر أشعاراً كثيرة يطول ذكرها، ولم يُؤرخ وفاته، وكذا لم
يُؤرخها أبو الحسن بن الأثير في كتاب الغابة في معرفة الصحابة، ولكن حكى أن آباء
توف قبلاً المبعث بسنة . فالمأثور .

وقال السهيلي : وما أجاد فيه كعب بن زهير قوله يمدح رسول الله صلى الله عليه وسلم :

تَجْرِيْ بِهِ النَّاقَةُ الْأَدْمَاءُ مُعْتَجِرًا
بِالْبَرِّ كَالْمَدْرِ جَلَّ لِيْلَةَ الظُّلُمِ
فِي عِطَاوَيَةٍ أَوْ أَنْفَاءٍ بُرُودَتِهِ
مَا يَعْلَمُ اللَّهُ مِنْ دِينِ وَمِنْ كَرْمِ

فصل

فيما كان من الحوادث المشهورة في سنة ثمان والوفيات

فـكان في جمادى منها وقعة مؤتة ، وفي رمضان غزوة فتح مكة ، وبعدها في شوال غزوة هـوازن بحنين ، وبعدها كان حصار الطائف ، ثم كانت عمرة الحـمراء في ذى القعـدة ، ثم عاد إلى المدينة في بقية السنة .

قال الواقـدى : رجـع رسول الله صـلـى الله عـلـيـه وـسـلـمـ إلى المـدـيـنـة لـلـيـالـ بـقـيـنـ من ذـى الحـجـة فـسـفـرـتـه هـذـه .

قال الـوـاقـدـى : وـفـي هـذـه السـنـة بـعـثـ رسول الله صـلـى الله عـلـيـه وـسـلـمـ عمـرو بـنـ العاصـ إـلـى جـيـفـرـ وـعـمـرـ وـابـنـ الـجـلـنـدـى مـنـ الـأـزـدـ ، وـأـخـذـتـ الـجـزـيـةـ مـنـ مـجـوسـ بـلـدـهـ وـمـنـ حـوـلـهـ مـنـ الـأـعـرابـ .

قال : وفيـها تـزـوجـ رسول الله صـلـى الله عـلـيـه وـسـلـمـ فـاطـمـةـ بـنـتـ الصـحـاحـكـ بـنـ سـفـيـانـ الـكـلـابـىـ فـى ذـى القـعـدةـ ، فـاستـعـاذـتـ مـنـهـ عـلـيـهـ السـلـامـ فـفـارـقـهـ ، وـقـيـلـ بـلـ خـيـرـهـ فـاخـتـارـتـ الدـنـيـاـ فـفـارـقـهـ .

قال : وـفـي ذـى الحـجـةـ مـنـهـ وـلـدـ إـبـراهـيمـ بـنـ رـسـولـ اللهـ صـلـى اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ مـنـ مـارـيـةـ الـقـبـطـيـةـ ، فـاشـقـدتـ غـيـرـ أـمـهـاتـ الـمـؤـمـنـيـنـ مـنـهـ حـيـنـ رـزـقـتـ وـلـدـاـ ذـكـراـ ، وـكـانـتـ قـاـبـلـهـاـ فـيهـ سـلـمـيـ مـوـلـاـةـ رـسـولـ اللهـ صـلـى اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ ، نـخـرـجـتـ إـلـىـ أـبـيـ رـافـعـ فـأـخـبـرـتـهـ فـذـهـبـ فـبـشـرـ بـهـ رـسـولـ اللهـ صـلـى اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ فـأـعـطـاهـ مـلـوـكـاـ ، وـدـفـعـهـ رـسـولـ اللهـ صـلـى اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ إـلـىـ أـمـ بـرـأـةـ بـنـ المـنـذـرـ بـنـ أـسـيدـ بـنـ خـيـدـاـشـ بـنـ عـامـرـ بـنـ غـمـمـ بـنـ عـدـىـ بـنـ النـجـارـ وـزـوـجـهـ الـبـرـاءـ بـنـ أـوـسـ بـنـ خـالـدـ بـنـ الجـمـدـ بـنـ عـوـفـ بـنـ مـبـذـولـ .

وكانَتْ فِيهَا وفَاتُهُ مِنْ ذَكْرِنَا مِنَ الشَّهِداءِ فِي هَذِهِ الْوَقَائِعِ .

وقد قَدَّمَنَا هَدْمَ خَالدَ بْنَ الْوَلِيدَ الْبَيْتَ الَّذِي كَانَتِ الْعَزَّى تُعبدُ فِيهِ بِنَخْلَةٍ بَيْنَ مَكَةَ وَالطَّائِفَ ، وَذَلِكَ نَحْسٌ بَقِينَ مِنْ رَمَضَانَ مِنْهَا .

قالَ الْوَاقِدِيُّ : وَفِيهَا كَانَ هَدْمُ سُوَاعِ الدَّى كَانَتْ تَعْبُدُهُ هُذَيْلُ بِرْهَاطُ ، هَدْمَهُ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَلَمْ يَجِدْ فِي خَزَانَتِهِ شَيْئًا ، وَفِيهَا هَدْمٌ مِنَّةً بِالْمَشْلَلِ ، وَكَانَتِ الْأَنْصَارُ أُوسَهَا وَخَزْرَجَهَا يَعْظِمُونَهُ ، هَدْمَهُ سَعْدُ بْنُ زَيْدٍ الْأَشْهَرِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

وقد ذَكَرْنَا مِنْ هَذَا فَصْلًا مُفَيِّدًا مِبْسُوطًا فِي تَفْسِيرِ سُورَةِ النَّجْمِ عَنْدَ قَوْلِهِ تَعَالَى :

«أَفَرَأَيْتَ الْلَّاتَ وَالْعَزَّى وَمِنَّةَ النَّالِثَةِ الْأُخْرَى» .

قَلْتَ : وَقَدْ ذَكَرَ الْبَخَارِيُّ بَعْدَ فَتْحِ مَكَةَ قَصْةً تَخْرِيبٍ خَثْعَمَ الْبَيْتَ الَّذِي كَانَتْ تَعْبُدُهُ وَيُسَمُّونَهُ الْكَعْبَةَ الْيَاهِنِيةَ مَضَاهِيَّةً لِلْكَعْبَةِ الَّتِي بِمَكَةَ ، وَيُسَمُّونَ الَّتِي بِمَكَةَ الْكَعْبَةِ الشَّامِيَّةَ وَتَلِكَ الْكَعْبَةَ الْيَاهِنِيةَ ، فَقَالَ الْبَخَارِيُّ : حَدَّثَنَا يُوسُفُ بْنُ مُوسَى ، حَدَّثَنَا أَبُو أَسَمَةَ ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبِي خَالدٍ ، عَنْ قَيْسٍ ، عَنْ جَرِيرٍ قَالَ قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «أَلَا تُرِيحُنِي مِنْ ذَى الْخَلَصَةِ؟» قَلْتَ : بَلِّ .

فَانْطَلَقْتُ فِي خَمْسِينَ وَمِائَةً فَارِسٍ مِنْ أَهْمَاسِ ، وَكَانُوا أَصْحَابُ خَيْلٍ ، وَكَفَتْ لَأَنْبَتُ عَلَى الْخَيْلِ ، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَضَرَبَ يَدَهُ فِي صَدْرِي حَتَّى رَأَيْتُ أَثْرَ يَدِهِ فِي صَدْرِي وَقَالَ : «اللَّهُمَّ ثَبِّقْهُ وَاجْعَلْهُ هَادِيًّا مَهْدِيًّا» قَالَ : فَوَقَتْ عَنْ فَرْسِ بَعْدِهِ .

قَالَ : وَكَانَ ذُو الْخَلَصَةِ يَيْتَمًا بِالْيَمِينِ لَخْعَمَ وَبَحِيلَةٍ فِيهِ نُصُبٌ تُبَدِّي قَالَ لَهُ الْكَعْبَةُ الْيَاهِنِيةُ . قَالَ : فَأَتَاهَا خَرْقَهَا فِي النَّارِ وَكَسْرَهَا .

قَالَ : فَلَمَّا قَدِمَ جَرِيرُ الْيَمِينَ كَانَ بِهَا رَجُلٌ بِسْتَقْسِمٍ بِالْأَزْلَامِ فَقَيْلَ لَهُ : إِنَّ رَسُولَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَاهُنَا فَإِنْ قَدِرْتَ عَلَيْكَ ضَرَبَ عَنْقَكَ ، قَالَ : فَبِيَمَا هُوَ يَضْرِبُ بِهَا إِذْ

وقف عليه جرير فقال : لتكسرنها وتشهد أن لا إله إلا الله أو لأضر بن عنقك .
فكسرها وشهد .

ثم بعث جرير رجلا من أحمس يكتفى أربطة إلى النبي صلى الله عليه وسلم يبشره بذلك . قال : فلما أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : يا رسول الله والذى بعثك بالحق ماجئت حتى تركتها كأنها جمل أجرب . قال : فبارك رسول الله صلى الله عليه وسلم على خيل أحمس ورجاها خمس مرات .

ورواه مسلم من طرق متعددة ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن قيس بن أبي حازم ،
عن جرير بن عبد الله البجلي بنحوه .

« وإلى هنا ينتهي الجزء الثالث من السيرة النبوية لابن كثير
ويقلاه الجزء الرابع وأوله ذكر غزوة تبوك »

فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٥٩	الذى روى في وَجْهِنَى النبِي (ص)	٣	سنة ثلاثة من المجزرة
٦٠	«وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ ..»	٤	غزوة ذي أَمْرٍ
٦١	جهاد أنس بن النضر	٥	خربة يهود بني قينقاع
٦٣	الرسول يقتل أبي بن خلف	٨	سرية زيد بن حارثة إلى عير قريش
٦٥	كيف كُفِنَ مُعْصَبُ بْنُ عَمِيرٍ!	٩	مقتل كعب بن الأشرف اليهودي
٦٦	خبر عَيْنِي قتادة بن النعمان	١٨	غزوة أحد
٦٧	نسيبة بنت كعب تقاتل في أحد	١٩	حديث ابن إسحاق عن أحد
	أول من عرف رسول الله بعد	٣٤	مقتل حزرة رضي الله عنه
٦٨	المزيمة ..	٣٩	الفئران الذين قاتلوا دون رسول الله
٦٩	شعر لحسان بن ثابت في أبي بن خلف ..	٤١	حنظلة غسيل الملائكة
٧١	خبر قُرْمَان	٤١	شعر لأبي سفيان يوم أحد
٧٢	خبر مُحَمَّدِيق اليهودي	٤٢	بقية حديث ابن إسحاق
٧٣	خبر الأصيর .. وعمرو بن الجبور	٤٦	مانَصَرُ اللهُ فِي مَوْطِنِ كَمَا نَصَرَ يَوْمَ أَحَدٍ
٧٤	شأن هند بنت عتبة في أحد	٤٩	روايات الإمام أحد
٧٥	نداء أبي سفيان حين انصراه من أحد	٥٢	روايات للبخاري
٧٧	دعاة النبي (ص) بعد الوقفة يوم أحد	٥٥	وقع في أحد أشياء مما وقع في بدر
٧٨	الرسول يسأل عن سعد بن الربيع	٥٥	فصل فيما لقى النبي (ص) يومئذ من
٧٩	حزن الرسول على حزرة	٥٧	المرشِكين
٨٠	ذكر الصلاة على حزرة وقتل أحد	٥٨	ذاك يوم كله لطلاحة !

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
١١٧	عبد الله بن رواحة يبكي شهداه أحد	٨٤	كان رسول الله يجمع بين الرجلين والثلاثة في القبر الواحد
١١٨	صفية بنت عبد المطلب تبكي حزنة	٨٥	ادفنوهم حيث صرعوا
١١٩	أبيات لحسان بن ثابت	٨٦	خبر جابر عن دفن أبيه
١٢٠	حوادث سنة ثلاث	٨٨	الرسول يبشر جبرا ..
١٢١	سنة أربع من الهجرة	٨٩	كان الرسول يزور شهداه أحد
١٢٣	غزوة الرجيع	٩١	عدد شهداه أحد
١٢٥	رواية ابن إسحاق في ذلك	٩٣	رجوع الرسول إلى المدينة ..
١٣٢	ماقيل من الشعر في غزوة الرجيع	٩٥	« لكن حزنة لا بوأكي له .. »
١٣٥	سرية عمرو بن أمية الضرمي	٩٧	خروج النبي بأصحابه إلى حراء الأسد
١٣٩	سرية بشر معونة	١٠٢	مقتل أبي عزة الجعفي ومعاوية بن المغيرة
١٤٥	غزوة بنى النضير	١٠٣	افتضاح عبد الله بن أبي بن سلول
١٥٠	ماقيل فيها من الشعر	١٠٣	فصل فيما تقاول به المؤمنون والكافار
١٥٣	ما أفاء الله على رسوله	١٠٥	ماقيل في وقعة أحد من الأشعار
١٥٥	قصة عمرو بن سعدي	١٠٥	قصيدة هبيرة بن أبي وهب
١٥٦	غزوة بنى حليان	١٠٦	إجابة حسان بن ثابت له
١٦٠	غزوة ذات الرقاع	١٠٧	قصيدة لكعب بن مالك
١٦١	قصة غورث بن الحارث	١١٠	قصيدة لعبد الله بن الزبيري
١٦٤	قصة الذى أصيبت امرأته في هذه الغزوة	١١١	إجابة حسان بن ثابت له
١٦٦	قصة جمل جابر في هذه الغزوة	١١٢	كعب يبكي حزنة
١٦٩	غزوة بدر الآخرة	١١٣	وحسان يبكي حزنة وشهداه أحد
١٧٢	فصل في جملة من الحوادث سنة أربع	١١٦	قصيدة أخرى لكعب بن مالك
١٧٧	سنة خمس من الهجرة		

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٢١٧	الرسول يبعث حذيفة لينظر ما فعل العدو	١٧٦	غزوة دومة الجندي
٢٢١	معنى : « و كفى الله المؤمنين القتال »	١٧٨	غزوة الخندق
٢٢٢	من استشهد في غزوة الخندق	١٨٠	الخلاف في السنة التي وقعت فيها
٢٢٣	فصل في غزوة بنى قريظة	١٨١	سياق ابن إسحاق في غزوة الخندق
	لأ يصلين أحد العصر إلى ابن قريظة	١٨٦	من معجزات الرسول في غزوة الخندق
٢٢٦	الخلاف في المصيبة من الصحابة في	١٩٧	قدوم قريش وخروج المسلمين إليهم
	تلك الصلاة	١٩٨	بني قريظة تنقض العهد
٢٢٧	الرسول يقدم على بن أبي طالب ..	٢٠١	اشتداد البلاء على المسلمين
	شأن أبي لبابة مع بنى قريظة	٢٠٢	محاولة الفوارس اقتحام الخندق
٢٢٩	كعب بن أسد يشاور بنى قريظة	٢٠٧	إصابة سعد بن معاذ
٢٣٠	من أسلم من اليهود في تلك الغزوة	٢٠٨	من الذي أصاب سعد بن معاذ ؟
٢٣٢	بنو قريظة ينزلون على حكم	٢٠٩	صفية بنت عبد المطلب أشجع من
	رسول الله	٢١٠	حسان بن ثابت !
٢٣٣	حكم سعد بن معاذ فيهم	٢١١	« شغلونا عن صلاة العصر .. »
٢٣٤	روايات في شأن سعد بن معاذ	٢١٢	الرسول يبشر أصحابه
٢٣٦	رواية مطولة للإمام أحمد	٢١٣	الصلاحة الوسطى هي صلاة العصر
٢٣٨	كيف قتل بنو قريظة	٢١٤	هل يجوز تأخير الصلاة لعذر القتال ؟
٢٣٩	كيف قُتل حيى بن أخطب	٢١٥	فصل في دعائه عليه السلام يوم الأحزاب
٢٤٠	قصة الزبير بن باطا	٢١٦	حيلة نعيم بن مسعود
٢٤١	حكم صبيان أهل النمة		رواية موسى بن عقبة في ذلك

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٢٨٥	سنة ست من المجرة :	٢٤٢	لم يقتل من نساء بني قريظة إلا امرأة واحدة
٢٨٦	غزوة ذي قرداً	٢٤٢	قسمة أموال بني قريظة
٢٩٣	المرأة التي نجت على ناقة النبي (ص)	٢٤٣	من استشهد في تلك الغزوة
٢٩٤	ما قيل من الأشعار في غزوة ذي قرداً	٢٤٣	وفاة سعد بن معاذ
٢٩٧	غزوة بني المصطلق	٢٤٥	ضفطة سعد بن معاذ في قبره!
٢٩٩	شأن عبد الله بن أبي بن سلول في تلك الغزوة	٢٤٧	اهتز العرش لموت سعد بن معاذ
٣٠٢	حكم العَزْل عن النساء	٢٤٩	شعر لأم سعد بن معاذ
٣٠٢	قصة جوبرية بنت الحارث	٢٥٠	كل ناحية تكذب إلا ناحية سعد!
٣٠٤	قصة إلفك	٢٥٠	رثاء جسان بن ثابت لسعد
٣١٠	حسان يهجو صفوان بن المuttle	٢٥١	فصل فيما قيل من الأشعار في الخندق وبني قريظة
٣١١	شعر لحسان بن ثابت يعتذر لعائشة	٢٦١	مقتل أبي رافع اليهودي
٣١٢	غزوة الحديبية :	٢٦٧	مقتل خالد بن سفيان المذلي
٣١٢	سياق ابن إسحاق عن تلك الغزوة	٢٧٠	قصة عمرو بن العاص مع النجاشي بعد الخندق وإسلامه مع خالد ابن الوليد
٣١٩	بيعة الرضوان	٢٧٣	زواج النبي (ص) بأم حبيبة
٣٢٠	كتابة العهد بين الرسول وقرיש	٢٧٧	زواجها (ص) بزینب بنت جحش
٣٢١	شأن أبي جندل	٢٧٨	تفسير الآيات التي نزلت في قصة زینب
٣٢٤	كانت بيعة الرضوان فتحاً!	٢٨٠	نزول الحجاب صبيحة عرس زینب
٣٢٥	عدد المسلمين في تلك الغزوة	٢٨٣	فضل زینب بنت جحش
٣٢٧	الشجرة التي بايعوا تحتها		
٣٢٨	على أي شيء كانت البيعة؟		
٣٢٩	ذكر سياق البخاري لعمره الحديبية		

الصفحة	الموضع	الصفحة	الموضع
٣٧٥	فتح حصون خير وقسمة أرضها	٣٣٨	ذكر السرايا والبعث التي كانت
٣٧٨	الرسول يقرّ يهود خير في أرضها	٣٤٢	في سنة ست
٣٨٠	قسمة غنائم خير	٣٤٤	ما وقع من الحوادث في هذه السنة
٣٨١	حُكْم الأراضي الفنومة	٣٤٤	سنة سبع من الهجرة
٣٨٤	سهم النبي في خير	٣٤٤	غزوة خير في أوها
٣٨٦	الرطخ للعبد والنساء في خير	٣٤٦	قصة عامر بن الأكوع
٣٨٩	قدوم جعفر بن أبي طالب ومن	٣٤٨	كَلَّ الله أكْبَر خربت خير
٣٩٢	كان بقى بالخشبة من المسلمين أبو هريرة يسأل رسول الله أن يقسم له من خير	٣٤٩	النهى عن لحوم الحمر الأهلية
٣٩٤	قصة الشاة المسومة	٣٥١	لأعطين الرأبة غدار جلا يحبه الله
٤٠١	رجوع الرسول إلى المدينة	٣٥٥	ورسوله
٤٠٥	شعر لابن لقيم العبسي في فتح خير	٣٥٩	مقتل مَرْحَب اليهودي
٤٠٦	ذكر من استشهد بخير من الصحابة	٣٦٠	مقتل ياسر أخي مرحبا
٤٠٧	خير الحجاج بن علاط البهري	٣٦١	الرجل الذي قتل نفسه
٤١٢	فصل في مروره عليه السلام بوادي القرى . . .	٣٦٣	العبد الأسود الذي قتل شهيدا
٤١٤	معاملة الرسول ليهود خير . . .	٣٦٣	فتح حصون خير
٤١٧	وكيف أخرجهم عمر منها . . .	٣٦٤	حرirm لحوم الحمر الأهلية
٤١٨	سرية أبي بكر الصديق إلى بنى فزانة	٣٦٤	ما نهى عنه الرسول في خير
	سرية عمر بن الخطاب إلى تربة من	٣٦٥	النهى عن نَكَاح المتعة
	أرض هوازن	٣٦٦	الخلاف في تحريم نَكَاح المتعة
		٣٦٩	حِلّ أكل شحوم اليهود
		٣٧١	قصة صفية بنت حي
		٣٧٥	تسليم يهود خير

الصفحة	الموضع	الصفحة	الموضع
٤٥٨	نَزْوُلُ الْمُسْلِمِينَ بِعِمَانَ مِنْ أَرْضِ الشَّامِ	٤١٨	سَرِيَةُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دَوَاحَةَ إِلَى يَسِيرٍ
٤٦١	اسْتَشْهَادُ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ		ابْنِ رَزَامَ
٤٦٢	اسْتَشْهَادُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَوَاحَةَ	٤١٩	سَرِيَةُ أُخْرَى مَعَ بَشِيرِ بْنِ سَعْدٍ
٤٦٣	الرَّسُولُ يَخْبُرُ الْمُسْلِمِينَ بِخَبْرِ مَوْتَةٍ	٤٢٢	سَرِيَةُ أَبِي حَدْرَدٍ إِلَى الْفَاقِةِ
٤٦٩	لِقَاءُ الرَّسُولِ وَالْمُسْلِمِينَ بِجَيْشِ مَوْتَةٍ	٤٢٣	السَّرِيَةُ الَّتِي قُتِلَ فِيهَا مُحَمَّدُ بْنُ جَنَامَةَ
	وَتَأْنِيبُ الصَّبِيَانَ لِهِ		عَاصِمَ بْنَ الْأَضْبِطِ
٤٦٩	اسْتَدْرَاكُ ابْنِ كَثِيرٍ عَلَى ابْنِ إِسْحَاقِ	٤٢٦	سَرِيَةُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَذَافِهِ السَّهْمِيِّ
	فِي شَأنِ الْفَارِئِينَ مِنْ مَوْتَةٍ	٤٢٨	عُمْرَةُ الْقَضَاءِ
٤٧١	كَانَ يَسْوَغُ الْفَرَارَ مِنْ مَوْتَةٍ	٤٣٩	قَصْةُ تَزْوِيجِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِمِيمُونَةَ
	لِكَثْرَةِ الْمَدُو	٤٤٢	خَرْوَجَهُ (ص) مِنْ مَكَّةَ بَعْدِ قَضَاءِ عَمْرَتِهِ
٤٧١	ثَبَّتَ بِاَيِّ الْمُسْلِمِينَ فَنَصَرَهُمُ اللَّهُ فِي مَوْتَةٍ .. وَدَلِيلٌ عَلَى ذَلِكَ .	٤٤٢	قَصْةُ ابْنَةِ حَمْزَةَ
٤٧٣	رَأَى ابْنُ إِسْحَاقَ فِي ذَلِكَ	٤٤٤	سَرِيَةُ ابْنِ أَبِي الْمَوْجَاهِ إِلَى بَنِي سَلِيمٍ
٤٧٤	الرَّسُولُ يَعْزِّي آلَ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ	٤٤٦	سَنَةُ عَمَانَ مِنَ الْهِجْرَةِ :
٤٧٧	إِحْدَادُ أَسْمَاءٍ عَلَى زَوْجِهِ جَعْفَرٍ	٤٤٦	فَعْلَلُ فِي إِسْلَامِ عُمَرِ بْنِ الْعَاصِ وَخَالِدِ
٤٧٨	تَاقَ الرَّسُولُ وَالْمُسْلِمِينَ لِلْجَيْشِ		ابْنِ الْوَلِيدِ وَعَمَانَ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ
٤٨٠	فَصْلٌ فِي فَضْلِ هُؤُلَاءِ الْأَمْرَاءِ الْثَّلَاثَةِ :	٤٥٠	طَرِيقُ إِسْلَامِ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ
٤٨٠	فَضْلُ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ	٤٥٣	سَرِيَةُ شَجَاعِ بْنِ وَهْبٍ إِلَى نَفْرِ مِنْ هَوَازِنَ
٤٨٣	فَضْلُ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ	٤٥٤	سَرِيَةُ كَعْبِ بْنِ عَمِيرٍ إِلَى بَنِي قَضَاعَةَ
٤٨٦	فَضْلُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَوَاحَةَ	٤٥٥	غَزْوَةُ مَوْتَةٍ :
٤٨٩	ذَكْرٌ مِنْ اسْتَشْهِدِ يَوْمِ مَوْتَةٍ	٤٥٦	تَوْدِيعُ النَّاسِ لِأَمْرَاءِ مَوْتَةٍ

الصفحة	الموضوع	الصفحة	ال الموضوع
٥٤٣	إسلام العباس بن عبد المطلب	٤٩٠	فضيلة عظيمة لأمراء هذه السرية
٥٤٥	نزول المسلمين بعمر الظهران	٤٩١	ماقيل من الأشعار في غزوة مؤتة
٥٤٦	خروج أبي سفيان بن حرب وصحابيه يتجسسون الأخبار	٤٩٤	كتاب بعث رسول الله (ص) إلى ملوك الآفاق
٥٤٧	العباس يصحب أبو سفيان إلى الرسول	٤٩٥	حديث أبي سفيان عن كتاب رسول الله إلى قصر
٥٤٩	إسلام أبي سفيان بن حرب	٥٠٢	رواية أخرى في ذلك
٥٥٥	صفة دخول الرسول (ص) مكة	٥٠٦	إرسالة (ص) إلى ملوك العرب من النصارى بالشام
٥٥٧	إسلام أبي قحافة	٥٠٧	ذكر بعثه إلى كسرى ملك الفرس
٥٦٠	دخول خالد بن الوليد مكة	٥١٠	مقتل كسرى ، وآية للرسول في ذلك «إذا هلك كسرى فلا
٥٦٣	النفر الذين أهدر الرسول (ص) دماءهم في فتح مكة	٥١٠	كسرى بعده»
٥٦٩	طواف الرسول بالبيت حين دخل	٥١٠	ملوك الروم لا يعودونا إلى أرض الشام!
٥٧٢	خطبة الرسول على باب الكعبة	٥١٤	بعته (ص) إلى المفوس
٥٧١	تسكير الأصنام حول الكعبة	٥١٦	غزوة ذات السلاسل
٥٧٥	أذان بلال ومواثيق في نفوس الكافرين	٥٢١	سرية أبي عبيدة إلى سيف البحر
٥٧٦	محاولة أبي سفيان المقاومة	٥٢٤	موت النجاشي وصلاته الرسول عليه
٥٧٧	«إن الله حرم مكة . . .»	٥٢٦	غزوة الفتح الأعظم :
٥٧٧	هل فتحت مكة غنة أم صلحًا؟	٥٢٦	سبب فتح مكة
٥٧٩	أول قتيل وداء رسول الله يوم فتح	٥٣٦	قصة حاطب بن أبي بلقة
٥٨١	تخوف الأنصار من إقامة الرسول بعكة	٥٣٩	خروج الرسول مع المسلمين إلى مكة
	ورد الرسول عليهم		
	فضالة بن عمير يحاول اغتيال الرسول		

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٦١٨	هزيمة المسلمين في أول الواقعة ونداء الرسول لهم	٥٨٢	إسلام صفوان بن أمية
٦١٩	مقالة بعض الطلقاء حين المهزيمة	٥٨٥	إسلام ابن الزبوري ، وشعر له
٦٢٠	خنجر أم سليم !	٥٨٦	عدد المسلمين في فتح مكة
٦٢٢	« لكن رسول الله لم يفر .. »	٥٨٧	ماقيل من الشعر في يوم الفتح
٦٢٣	« من قتل قتيلاً فله سلبته »	٥٩١	بعشه عليه السلام خالد بن الوليد إلى بني جذيمة
٦٢٥	« ياعباس ناد : يامعشر الأنصار .. »		قصة الفتى من بني جذيمة الذي قتله
٦٢٦	فضل الأنصار في هوازن	٥٩٥	جند خالد
٦٢٧	« الآن حمى الوطيس .. »	٥٩٧	بعث خالد بن الوليد هدم العزّى
(٦٣١)	قصة شيبة بن عثمان مع الرسول	٥٩٨	مدة إقامة الرسول بمكة
٦٣٣	الملائكة تقاتل في حنين	٦٠٠	ماحكم به (ص) بمكة من الأحكام
٦٣٣	شعر لخديج بن العرجاء النصري		بيعة الرسول للناس يوم الفتح على
٦٣٤	شعر لمالك بن عوف النصري	٦٠٢	الإسلام
٦٣٥	« قد غلبت خيل الله خيل اللات »	٦٠٣	بيعة النساء يوم الفتح
	شعر للعباس بن مرداس في فرار	٦٠٥	« لا هجرة بعد فتح مكة .. »
٦٣٦	قارب بن الأسود	٦٠٦	حكم الهجرة بعد الفتح ..
٦٣٧	وقف هوازن بعد المهزيمة ..	٦٠٧	« إذا جاء نصر الله والفتح .. »
٦٣٨	الرسول يأمر بجمع الغنائم	٦١٠	غزوة هوازن يوم حنين
٦٣٨	الرسول نهى عن قتل النساء	٦١٠	متى كانت غزوة هوازن ؟
٦٤٠	غزوة أوطاس	٦١١	دريد بن الصمة يخرج مع قومه
٦٤٤	من استشهد يوم حنين وأوطاس	٦١٥	عدد المسلمين في هوازن
٦٤٥	ماقيل من الأشعار في غزوة هوازن	٦١٨	فصل في كيفية الواقعة

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٦٧٢	رد السُّبُّيْ كَانَ بَعْدَ قِسْمَةِ الْغَنَامِ	٦٥٢	غَزْوَةُ الطَّائِفُ
٦٧٣	بعض الأنصار يتكلّم في قسمة الغنائم	٦٥٢	قصيدة لـ كعب بن مالك في غزوة الطائف
٦٧٤	استرضاة الرسول للأنصار		الطائف
٦٨٠	العباس بن مردارس يطلب زيادة المطاء	٦٥٥	أول دم أقيد به في الإسلام
٦٨٢	الذين أعطاهم الرسول مائة من الإبل	٦٥٥	مرور المسلمين بقبر أبي رغال
٦٨٣	قدوم مالك بن عوف النصري على الرسول	٦٥٦	حصار المسلمين للطائف
٦٨٤	شعر لحسان في تأخر الأنصار عن الغنيمة	٦٥٧	«من خرج إلينا من العبيد فهو حر»
٦٨٦	اعتراض بعض الجهلة على قسمة الرسول	٦٥٨	الرسول أول من رمى في الإسلام بالمجنيق
٦٨٨	مجيء أخت رسول الله من الرضاعة	٦٥٩	«من بلغ بسمهم فله درجة في الجنة»
٦٩٢	عمره الجمرانة في ذى القعدة	٦٦٠	قصيدة الحفت الذي سمعه الرسول يذكر النساء
٦٩٥	عمره الجمرانة ثابتة بالنقل الصحيح	٦٦١	رجوع المسلمين عن الطائف
٦٩٩	إسلام كعب بن زهير	٦٦٣	الرسول يدعو بهداية ثقيف
(٧٠١)	قصيدة كعب بن زهير : بانت سعاد	٦٦٣	من استشهد من المسلمين بالطائف
٧٠٥	رواية للبيهقي في إسلام كعب	٦٦٥	نزول ثقيف على حكم الرسول وإسلامهم .
٧٠٧	الرسول يخُلُّم على كعب بردهه	٦٦٧	مرجعه عليه السلام من الطائف
٧٠٧	كعب بن زهير يمدح الأنصار		وقسمة غنائم هوازن
٧٠٨	شيء عن كعب بن زهير	٦٦٧	وفد هوازن يستعطف الرسول
٧١٠	ما كان من الحوادث المشهورة في سنة ثمان	٦٦٨	الرسول يعطيهم النساء والأبناء
		٦٧١	ما أصحاب كل مسلم من الغنائم

فهرس القوافي

الصفحة	الشاعر	القافية
	(المزنة)	
٥٨٧	حسان بن ثابت	خَلَاءٌ
٥٥٩	امرأة من قريش	جَاءَ
٤٦٠	عبد الله بن رواحة	الْحَسَاءُ
٥٥٧	حسان بن ثابت	كَدَاءُ
	(الباء)	
٣٥٨	مرحب اليهودي	يَعْطِبُ
٣٥٧ ، ٣٥٦ ، ٣٥٥	مرحب اليهودي	مَجْرِبُ
٣٥٧	كعب بن مالك	صَلْبُ
١٣٤	حسان بن ثابت	وَأَثْبَرُوا
٤٦١	عبد الله بن رواحة	شَرَابُهَا
٥٣٥	حسان بن ثابت	رَقَابُهَا
٦٤٥	عباس بن مردارس	الْكِتَابِ
٢٠٥	علي بن أبي طالب	أَصْحَابِي
٢٥٣	عبد الله بن الزبيري	الْأَحْقَابِ
٢٥٥	كعب بن مالك	الْوَهَابِ
٤٣	حسان بن ثابت	صَوَابِ
٢٠٥ ، ٢٠٣	علي بن أبي طالب	بِصَوَابِ
٤٣	حسان بن ثابت	الْحَوَاجِبِ

الصفحة	الشاعر	القافية
١٦	محيصة بن مسعود	قارب
١١٩	هند بنت عتبة	مطلي
٤١	أبو سفيان بن حرب	شعوب
٤١	ابن شعوب	مجيب
٤٢	حسان بن ثابت (الثناء)	عصيب
٦٣٥	امرأة من المسلمين	بالثبات
٤٦٢	عبد الله بن رواحة (الجيم)	صليمت
٤١١	الفريعة بنت همام	حجاج
١١٢	كعب بن مالك (الحاء)	تلجاج
١١٣	حسان بن ثابت	النوائخ
٣٠٩	—	ومسطح
٢٠٨	(الدال)	
١١٦	أبوأسامة الجشمي	خالد
١٨٤	كعب بن مالك	الأغيد
٤٥٦	—	أبدًا
٢٤٩	عبد الله بن رواحة	الزبدًا
٢٩٥	أم سعد بن معاذ	وحذًا
٥٣٢ ، ٥٢٧	حسان بن ثابت	سعدًا
	عمرو بن سالم الخزاعي	الأتلدًا

الصفحة	الشاعر	القافية
٦٤٢	رجل من بني جشم	يُسْنَدَا
٢٩٤	حسان بن ثابت	الْقَوَادِ
٥٩٠	عباس بن مراداس	الْمَسْجَدِ
١٤٣	حسان بن ثابت	نَجْدِ
٦٧	ابن قتادة بن الفعـان	الرَّدِّ
٢٥٠	حسان بن ثابت	سَعْدِ
٢٦٨	عبد الله بن أنس	مَقْدَدِ
١٢٧	عاصم بن ثابت	الْمَوْقَدِ
٣١٠	حسان بن ثابت	الْبَلَدِ
٥٤٤	أبو سفيان بن حرب	مُحَمَّدِ
٦٨٣	مالك بن عمـون النـصـري	مُحَمَّدِ
٥٨٩	أنس بن زئيم الـدـليل	اَشْهَدِ
٤١١	كعب بن مالـك (الراـء)	مِذْوَدِ
٦٣٤	مالك بن عمـون النـصـري	وَيَكْرِ
٦٤١	عمرة بنت دريد بن الصمة	يَنْجَدِرُ
٧٠٨	كعب بن زهـير	الْقَدْرِ
٦٨٤	حسـان بن ثـابت	دَرَرِ
٦٩٠	زـهـير بن سـرـد	دَرِّ
١٤٤	حسـان بن ثـابت	نَزَرِ
٦٥٤	شـداد بن العـارـض الجـشـعـي	يَنْقَطِرُ
٤٨٦ ، ٤٥٦	عبد الله بن رواحة	نَصْرَوَا
٦٦٧	زـهـير بن صـرد	يَنْقَطِرُ

الصفحة	الشاعر	القافية
٦٤٨	العباس بن مرداس	الشقر
٣٥٦	عامر بن الأكوع	مغامر
٤٩١	حسان بن ثابت	سهر
٥٨٥	عبد الله بن الزعرى	بور
١٥٠	كعب بن مالك	يدور
٦٣٧	العباس بن مرداس	الخبير
١٥	كعب بن مالك	البصير
٢٥٩	حسان بن ثابت	نصير
١٥٠	حسان بن ثابت	مسقطير
٢٥٩، ١٥	أبو سفيان بن حرب	السعير
٤٧٨	أسماء بنت عميس	أغبرا
٢٩٥	حسان بن ثابت	قصورا
٣٥٧	علي بن أبي طالب	المنظرة
٣٥٥	علي بن أبي طالب	القسورة
٣١	هند بنت غتبة	الأدبار
٧٠٧	كعب بن زهير	الأنصار
٤٠٥	ابن لقيم العبسى	وفقار
٢٤٩	رجل من الأنصار	عمرو
٧٤	هند بنت عقبة	سر
٧٤	حسان بن ثابت	الكفر
٥٩٧	حاجب العزّى	شمّرى
٤٨٢	حسان بن ثابت	القبور

الصفحة	الشاعر	القافية
١١٨	صفية بنت عبد المطلب	وخبير
٢٥٩	حسان بن ثابت	نصير
٧٠	حسان بن ثابت	السعير
	(السين)	
٦٤٩	العباس بن مردارس	عمرمسُ
١١٩	امرأة شيماس بن عثمان	لباسِ
١١٩	الحكيم بن سعيد	الناسِ
٢٩٦	كعب بن مالك	الفوارسِ
٤١	ابن شعوب	الشمسِ
	(المين)	
٦١٢	دريد بن الصمة	وأضعُ
٢٩٠، ٢٨٦	سلمة بن الأكوع	الرَّاضعُ
٢٦٠	حسان بن ثابت	راجِعُ
٢٥٨	كعب بن مالك	نوادِعُ
٤٨٨	عبد الله بن رواحة	ساطِعُ
١١	كعب بن الأشرف	وتَدْمِعُ
٦٤٦	العباس بن مردارس	فَلِمَصَانُ
١٠٧	كعب بن مالك	مَتَعْنَعُ
٥٦٧، ٢٩٨	مقيس بن صبابة	الأَخَادِعُ
٦٨٠	العباس بن مردارس	وَالْأَقْرَعُ
١٣٢	خَيْبَب	جَمِيعٌ

الصفحة	الشاعر	القافية
	(الفاء)	
٦٣٣	خديج بن العرجاء النصرى	أخضفـا
٦٤٧	العباس بن مرداس	خلفـا
٥٨٩	مجير بن زهير	خفافـ
١٥٢	علي بن أبي طالب	أصـدـفـ
٢٦٣، ١٥	حسان بن ثابت	الأشرفـ
	(القاف)	
٣١	هند بنت عقبة	الممارـقـ
٦٣٤	مالك بن عوف	مختفـقـ
٣٤	عثمان بن أبي طلحة	تدقـا
٢٥٧	كعب بن مالك	الحرـقـ
٦٦٤	مجير بن زهير	الأبرـقـ
١٣٣	حسان بن ثابت	القلـقـ
٥٩٥	فتى من جذيمة	الخواـنـقـ
	(الـكـافـ)	
٦٤٦	العباس بن مرداس	هـواـكـا
٦٩٩	كعب بن زهير	هلـ لـ كـا
٧٠٥	كعب بن زهير	دـلـ كـا
٣١٥	جارية من الأنصار	بـحـمـدـونـكـا
١٧٠ ، ٨	حسان بن ثابت	الأورـاكـ
٥٩٧	خالد بن الوليدـ	أـهـانـكـ

(اللام)

١١١	حسان بن ثابت	عدَلٌ
١١٩	» » »	والفشلُ
١١٠	عبد الله بن الزبوري	فعلٌ
٩٣	امرؤ القيس	جلنٌ
٥٦١	حمس بن قيس	وألهٌ
١٢٦	عاصم بن ثابت	عنابلٌ
٤٧٣	قيس بن الحسر	قبلٌ
٤٩٢	كعب بن مالك	المخصلٌ
٧٠١	كعب بن زهير	مكبولٌ
٦٩	حسان بن ثابت	الرسولُ
٧٠٦	كعب بن زهير	مسلولٌ
١١٧	عبد الله بن رواحة	العوبيلٌ
٤٣٢	عبد الله بن رواحة	رسولهٌ
٦٧		أبوالا
٢٧٢	عبد الله بن الزبوري	المقربٌ
٣٨٠	أبو طالب	آجلٌ
٢٣٩	جبل بن جوال	يخذلٌ
٤٦٠	عبد الله بن رواحة	فائزٌ
٥٢٨	الأخرز بن لمعط	ناصٌ
٣١١	حسان بن ثابت	الفوافلٌ
٥٢٩	بديل بن عبدمناف	نافلٌ
٢٠٣	حسان بن ثابت	تفَعلٌ

٩٩	معبد الخزاعي	الأبابيل
٣٢	أبو دجابة	النخيل
٤١٠	حسان بن ثابت	ونخيل
٤٨٥	حسان بن ثابت	كثما
٤٣١	عبد الله بن راحة	رسوله
٤٣٢	عبد الله بن رواحة	تزييله
	«الميم»	
٢٠	أبو عزة الجمحي	حام
٤٠٩	العباس بن عبد المطلب	الأشم
٤٧٣	قطيبة بن قتادة	الخطم
٥٨٤	فضالة بن عمير	والإسلام
٧٠٠	بجير بن زهير	أحزم
٥٩٠	العباس بن مרדاس	مسوّم
٥٨٥	عبد الله بن الزبيرى	بسم
٦٥٤	كنافنة بن عبد ياليل	نزيمهمها
١٢٧	عاصم بن ثابت	كراتا
٦٥٠	العباس بن مرداس	ياما
٥٥١	سعد بن عبادة	الحومه
٥٦٢	حمس بن خالد	عكرمه
٦٤١	سلمة بن دريد	توسمه
٥١١	خالد بن حق	اللحاير
١٣٣	حسان بن ثابت	وعاصم
٧٠٩	كعب بن زهير	الفلم

٢٠	نافع بن عبد مناف	التذمِّر
٤٥٩	عبد الله بن رواحة	العَكْوَمُ
٥٨٥	حسان بن ثابت	لَثِيمٌ
	«النون»	
٣٧	عدي بن سهل	المفْشِنُ
٥١١	—	بَكْفَنُ
٦١٥	العباس بن مرادس	مُبْنِيَانُ
١٨٦		شَقِيقَنَا
٣٥٦، ٣٤٧، ١٨٥		صَلَيَّنَا
١٣٨	—	الْمُسْلِمِيَّنَا
٢٥١	ضرار بن الخطاب	طَحُونَا
٤٦٢	عبد الله بن رواحة	لَتَكْرَهْنَا
٦٤٥	مجير بن زهير	جَبَانٌ
١٣٣	حسان بن ثابت	لَحِيَانٌ
٣٠	الشماخ	بِالْمَدِينَ
	«الياء»	
٣١٥	ناجية بن جندب	نَاجِيَهُ
٤٠	الحارث بن النضر	بَادَيَهُ
١٧٠	عبد الله بن رواحة	وَافِيَّا
١٠٥	هبيرة بن أبي وهب	عَوَادِيَهَا
١٠٧	حسان بن ثابت	مَخْزِيَهَا
٥٤٥	عبد الله بن مسعود	فِيهِ

لُصُوْيَات

الصفحة	الصواب	السطر	نَزَّرتَ	٦
٣٤٧	عن أبي عبيـد [وبروى نشأ بها مثله . قال السهـيلـي	٤	وـبروى : قـل عـربـى مـشاـبـها ^(١) [مثلـه ، ويـكون	منـصـوباـ بالـخـ .
٣٤٩	بعد : تـفـرـدـ بـهـ الـبـخارـىـ دـونـ مـسـلـمـ : وـرـدـتـ	١٢	فـاـ هـذـهـ الـزيـادـةـ : «ـ فـائـدـةـ : قـالـ السـهـيلـيـ : فـيـهـ	إـبـاحـةـ التـقـافـؤـ ، لـأـنـهـ لـمـ أـرـأـيـ بـأـيـدـيـهـمـ المـسـاحـيـ
ـ وـ المـعـاـولـ وـهـىـ مـنـ آـلـاتـ الـهـدـمـ وـالـحـفـرـ قـالـ ذـلـكـ .	ـ قـالـ : وـالـعـربـ تـسـمـىـ الـجـيـشـ الـكـثـيفـ خـيـسـاـ ،	ـ لـأـنـ لـهـ سـاقـةـ وـمـقـدـمةـ وـجـنـاحـينـ وـقـلـبـاـ . قـالـ : وـلـيـسـ	ـ مـنـ تـخـمـيـسـ الـغـنـيـمـةـ لـأـنـ هـذـاـ حـكـمـ شـرـعـىـ »ـ اـهـ .	
٣٥٠	ـ زـفـاقـ	ـ ١٦		
٣٩٤	ـ شـرـأـكـانـ	ـ ١٧		
ـ ٣٨١	ـ هـامـشـ (١)			
ـ ٤٢١	ـ قـالـ أـبـوـ عـبـيـدـ : «ـ لـأـحـسـبـهـ عـرـبـاـ »ـ وـقـالـ			
ـ	ـ الـأـزـهـرـىـ : هـوـ لـغـةـ يـمـانـيـةـ لـمـ تـفـشـ فـيـ كـلـامـ مـعـدـ .			
ـ	ـ وـقـالـ فـيـ الـقـامـوسـ : «ـ وـهـ بـيـانـ وـاحـدـ وـعـلـىـ بـيـانـ ،			
ـ	ـ وـيـخـفـ ، أـىـ طـرـيقـةـ وـاحـدـةـ »ـ وـقـالـ فـيـ النـهاـيـةـ :			
ـ	ـ أـىـ أـتـرـكـهـ شـيـئـاـ وـاحـدـاـ .			
ـ	ـ وـلـوـ كـانـ رـيـثـةـ لـتـحرـكـ .	ـ ١٠		
(١) سقطـتـ فـيـ الطـبعـ .				

تصويبات

الصفحة	السطر	الصواب
٣٤٧	٦	نَزَرْتَ
٣٤٧	٤	عَنْ أَبِي عَمِيدٍ [وَيَرَوْيَ نَشأْ بَهَا مَثَلَهُ] . قَالَ السَّهِيلِي وَيَرَوْيَ : قُلَّ عَرَبٌ مُشَابِهِا ^(١) [مَثَلَهُ] ، وَيَكُونُ مَنْصُوبًا لِغَةً .
٣٤٩	١٢	بَعْدَ : تَفَرَّدَ بِهِ الْبَخَارِيُّ دُونَ مَسْمَعٍ : وَرَدَتْ فِي اَهْذِهِ الْرِّيَادَةِ : « فَانْدَةٌ » : قَالَ السَّهِيلِيُّ : فِيهِ إِبَاحَةُ التَّفَاؤُلِ ، لَأَنَّهُ لَمْ يَرَأْيْ بِأَيْدِيهِمْ الْمَسَاحِي وَالْمَعَوْلُ وَهِيَ مِنْ آلَاتِ الْمَدْمَ وَالْحَفْرِ قَالَ ذَلِكَ . قَالَ : وَالْعَرَبُ تَسْمِيُ الْجَيْشَ السَّكَيْفَ خَمِيسًا ، لَأَنَّ لَهُ سَاقَةً وَمَقْدَمَةً وَجَنَاحَيْنَ وَقَلْبًا . قَالَ : وَلَيْسَ مِنْ تَخْمِيسِ الْفَنِيمَةِ لَأَنَّ هَذَا حَكْمٌ شَرِيعِيٌّ » اهـ .
٣٥٠	١٦	زَفَاق
٣٩٤	١٧	شِرَّا كَان
٣٨١	١٨	هَامِش ^(١) قَالَ أَبُو عَمِيدٍ : « لَا أَحْسِبُهُ عَرَبِيًّا » وَقَالَ الْأَزْهَرِيُّ : هُوَ لِغَةُ يَمَانِيَّةٍ لَمْ تَفْشِلْ فِي كَلَامِ مَعَدَّةٍ . وَقَالَ فِي الْقَامُوسِ : « وَهُمْ بَيَانٌ وَاحِدٌ وَعَلَى بَيَانِ ، وَيَخْفَفُ ، أَيْ طَرِيقَةٌ وَاحِدَةٌ » وَقَالَ فِي النَّهَايَةِ : أَيْ أَتَرَكُهُمْ شَيْئًا وَهَاجِدًا . أَوْ كَانَ رِيدَةً لَتَحْرِكَ .
٤٢١	١٠	

(١) سقطت فيطبع.